ابن المرزوق

إظهار صدق المودة في شرح قصيدة البردة

صاحب هذا الشرح المبارك سليمان
بن عبد الله الحبشي عفى الله عنه
وعن مشايخه والمسلمين أجمعين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

قد انخرط في سلك كتب اضعف العباد
محمد الشهير بابن خاتون العامل عفي عنه
... غفر الله له

T. C.
MİLLÎ E[illegible] BAKANLIĞI
RAGIP P[illegible] KÜTÜPHANESİ
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 979

من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
وقفي عبد

١١٤٠

RAĞIP P.
Ka. N.
1129

١٢٩٢

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله عليه توكلت

قال الشيخ الفقيه الامام العالم العلم الصدر المحقق المتقن القدوة
الصالح العامل حجة الاسلام وحامل لواء سنة النبي عليه السلام ابو عبد الله
محمد بن احمد بن محمد بن مرزوق رضي الله عنه بمنه وكرمه وحسن توفيقه
الحمد لله الذي افضل بجميل افضاله وانعم فتمم نواله وغفر الذنوب فكمل
احسانه وستر العيوب فتواصل غفرانه احمده على ما منح من المنن
واشكره على ما وفق اليه من اتباع ما رضي من السنن واشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له شهادة من اختاره لتوحيده وجعله من خيار عبيده
واشهد ان محمدا عبده ورسوله سيد الكونين ورسول رب العالمين
الى الثقلين صلى الله عليه وسلم وعلى اله واصحابه وازواجه وذرياته
صلوة تزحزح عن النار وتنيل من نعيم الابرار ما ينال به الفوز وتقر به العين
اما بعد فان من نعم الله علينا ايتها الامة المحمدية التي لا تحصى ومننه
لدينا لا تعد ولا تستقصى النعمة الكبرى والشرف الزائد على كل شرف
في الدنيا والاخرى ما خصصنا به من اتباع ملة سيد البشر وشفيع الخلق
في المحشر ورافع لواء الحمد يوم العرض الاكبر محمد نبينا رسول الله الذي
لا يعبر عما اوتي من الفضل الحاصل والشرف المدخر نجانا الله به من مهالك الضلال
وانقذنا على يديه من عمى الحيرة والجهالة مشفق من اذيتنا حريص على سلامتنا
من الافات وهدايتنا نتقحم في النار فيأخذ بحجزنا ونتباعد عن الجنة فيردنا اليها

بماهو

بما هو كالاخذ بنواصينا ما ترك شيئا يقربنا من النار الا حذرنا منه بقربه ولا شيئا
يدنينا من الجنة الا امرنا بتحصيله وكسبه متهمم بامورنا في المحيى والممات
مستغفر للاحياء والاموات من المؤمنين والمؤمنات يقول امتي امتي
حيث يقول كل مصطفى نفسي نفسي فجزاه الله عنا افضل ما جزى به نبيا وآتاه
الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وبعثه المقام المحمود الذي
وعده في يوم كان وعده ماتيا ولما جعل الله جل جلاله حصول طاعته
مقرونا باطاعته والاتصاف بمحبته مشروطا باتباعه ومحبته وامرنا
بنصره وتعزيره وكلفنا بتعظيمه وتوقيره لزمنا لذلك ولما علينا به من النعم
التي لا ينتهي ان نصرف همتنا اليه لما كلفنا من ذلك فيه نبلغ من الارب
منتهاها وكان من هذه الامة من كملت نعمة الله عليه في ذلك فقام اظهارا
لملته ببذل نفسه واهله وماله وسلك انهج المسالك ومنهم من خطه من ذلك
القيام بحفظ احاديثه وسننه على امته ومنهم من حاز الذب عنها والحماية
ممن اراد ادخال الدخل في شريعته ومنهم من قصر على تلك المقامات فاقتصر
على مدحه صلى الله عليه وسلم بذكر بعض البعض مما اشتمل عليه من حميد الصفات
كل بقدر وسعه وطاقته لينفق ذو سعة من سعته والكل على نهج قويم
وطريق مستقيم ونائل ان شاء الله الحظ الاوفى من فضل الله العميم وكان
ممن قام في هذا المقام الرابع وهو الحد الضروري الشيخ الامام الفقيه
الفقير العارف المتقن الاديب الناظم شرف الدين ابو عبد الله محمد بن سعيد
بن حماد المصري البوصيري بمدح خير العارفين وسيد المرسلين بقصيدة
ظهرت صحة محبته فيه صلى الله عليه وسلم [illegible] وكسته حسن البها فسماها
البردة ووقعت منه صلى الله عليه وسلم الموقع التام واعتنى بها اهلها
اعتناء اظهر له من اجله في المنام واسعفه في المطلب الذي اعيى تحصيله جميع
الانام وبعد ما يرجى في الدار الاخرة من الفوز بدار السلام فتعلق من
بعده بهذا الفضل العظيم باذيال هذه القصيدة فمنهم المعارض والمخمس والشارح
كل بقدر همته الضعيفة او العتيدة وكنت من المتطفلين على الدخول فيها

الاستشفاع?

وليس من البضاعة ما احصل به منها ما اليه النفس تشوق فلم اصل الى التلذذ
ببعض ما فيها الا بالنظر فلم انقلب عن نيل ادراك ما انويه من ذلك الا بالعي
والحصر حتى دعا بعض اخواني من الاصحاب الى التكلم على ما في القصيدة من لباب
البديع والاعراب فاجبته الى ذلك ووضعت فيه مجموعا سميته بالاستشفاع
فوقع من الاخوان افضالهم موضع التعظيم والتبجيل فاستدعوا مني ان اضم
الى ذلك التكلم عليها بالشرح ليقع التكميل فاستخرت الله لما ارجوه من الثواب
ان شاء الله تعالى في اسعافهم ولم اجد بدا من امتثال ما اليه اشاروا والاخلاد
الى خلافهم فوضعت عليها شرحا يذلل من اللفظ صعابه ويحط عن وجه المعنى
نقابه وجعلت الكلام على ما اشرحه من ابياتها في سبع تراجم اولها الغريب في
شرح لغات الالفاظ المفردة وما يتعلق بها من التصريف ثم التفسير في شرح المعنى
المقصود من تراكيب الجمل ثم المعاني في ذكر حكم خواص الكلم المستعملة في ذكر التركيب
دون غيرها افرادا او تركيبا ثم البيان في ذكر وجوه ما في ذكر التراكيب من وضوح الدلالة
على المعنى المراد وبيان الحقيقة منه والمجاز وما ينخرط في سلك ذلك من ذلك الفن
ثم البديع في ذكر وجوه ما في ذلك التركيب من المحاسن اللفظية والمعنوية ثم الاعراب
فاذكر منه الوجوه القوية الظاهرة دون غيرها وهي ترجمة معينة على فهم معنى الابيات
ثم الاشارات الصوفية اذكر منها ما يمكن ان يكون اشارة ظاهرة الى المعنى المذكور
وقصدت في كل ترجمة الى اقل ما يمكن ايثارا للاختصار مستغنيا في كثير منها عن ذكر
ما وقع مثله في نظيرها خشية السآمة من التكرار وكانت هذه التراجم سبعا رجاء
من المولى العظيم الرحمن الرحيم بجاه هذا النبي محمد المصطفى الكريم عليه افضل الصلوة
وازكى التسليم ان تكون كل منها صارفة عن كل باب من ابواب جهنم السبعة وربما
اضفت الى هذه التراجم باثر ترجمة التفسير ترجمة ثامنة لا انبني لها ابوبا اذكر
فيها ما يوافق المعنى الذي قصده الناظم من شعر لغيره او نثر ليكمل بذلك قصد الشرح
ويعظم بفضل الله الاجر والمسؤول منه جل وعلا ان يصلح في مقاصدها النية والطوية
وان يتم علينا من نعمه في هذه التراجم بان يفتح لنا في كل مقابلة بابا من ابواب الجنة
الثمانية وان يسددنا لطاعته في القول والعمل وان يختم لنا بالسعادة في الحيا[ة]

اظهار صدق المودة في شرح البردة

ويختم لنا بها عند حلول الاجل انه المنعم الكريم التواب الرحيم ذو الفضل العظيم
وسميت المجموع المذكور باظهار صدق المودة في شرح البردة واليه اسأل ان
يجعله خالصا لوجهه وان ينفعنا به والناظر فيه في الدنيا والاخرة انه ولي ذلك
والمنعم به وقد حصلت لي رواية القصيدة المذكورة من غير طريق اذكر بعضها المراد
جماعة عني من ذلك اني سمعتها بقراءة الشيخ العلامة المحدث المكثر الحافظ
شهاب الدين ابي العباس احمد الرشيدي المكي على الامام العلامة الشهير الكبير الحافظ
الرحال المحدث الراوية ذي الفنون الغريبة والتواليف العجيبة مجد الدين الفيروزابادي
من ذرية الامام ابي اسحق الشيرازي نزيل مكة المشرفة والطائف بمنزله المشرف على جبل
الصفا زادها الله تلك المعالم تشريفا ومن علينا بالعودة في قريب انه سميع مجيب
واخبرنا بها عن الامام العلامة قاضي القضاة بدر الدين ابي عبد الله محمد بن جماعة
الكناني الشافعي المصري عن الناظم رح وحدثني بها ايضا اجازة عن ابن جماعة المذكور
غير واحد من اشياخي الاعلام رحمهم الله تعالى ورضي عنهم منهم الائمة الثلاثة المشهورون
بحج الاسلام وحاملو راية سنة النبي عليه السلام السراج ابو حفص عمر بن
رسلان بن نصير بن صالح البلقيني وعمر بن علي بن احمد بن محمد الانصاري
الشهير بابن الملقن ووحيد دهره وفريد عصره الحافظ زين الدين ابو الفضل
عبد الرحيم ابن العراقي برد الله مثواهم وجعل اعالي الجنان منزلهم وماويهم رح
وحدثني بها ايضا عن احمد بن جماعة المذكور مولاي الجد ابو محمد بن مرزوق
رحمه الله ورضي عنه وحدثني بها ايضا اجازة ابي احمد رحمه الله وعمي ابو عبد الله
محمد حفظه الله عن والدهما محمد المذكور باسانيد فيها وهي كثيرة رح وحدثني
بها ايضا اجازة الامام العلامة النحوي اخر النحاة بالديار المصرية شمس الدين ابي
عبد الله محمد الغماري عن ابي حيان عن الناظم رح وحدثني بها ايضا اجازة الشيخ
الشيخ الفقيه الامام الاستاذ النحوي اللغوي الاعرف الحافظ المتفنن الراوية الصالح
العارف ابو العباس احمد بن محمد بن عبد الرحمن الازدي التونسي الشهير بالقصار
رحمه الله تعالى وله على القصيد المذكور تعليق ذكر فيه سدا من اللغة والاعراب
عن الشيخ الفقيه المحدث الرحال ابي عبد الله محمد بن جابر القيسي الوادي اشي بحق سماعه

لها عن الشيخ الصوفي جمال الدين ابو عبد الله محمد بن فخر الدين ابي عمرو عثمان
بن محمد التوزري بحق سماعه لها من ناظمها اصل

ام هبت الريح من تلقاء كاظمة وأومض البرق في الظلماء من اضم

شرح الغريب التذكر مصدر تذكر تفعل من الذكر وله معان وهو هنا ضد النسيان
قال تعالى وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره وقد يراد بالحفظ ايضا لانه
ضد النسيان ويقال ذكره ذكرى غير منون وذكره ولكن هذا على ذكر منك بكسر الذال — على ذكر منك
وضمها اي لا تنسه وذكرت الشيء بعد النسيان وذكرته بلساني اي نطقت به وبقلبي
وتذكرته واذكرته وذكرته بمعنى ومنه واذكر بعد امة اي ذكر بعد نسيان كذا فسر
الجوهري واصله اوتكر ابدلت التاء ذالا ودالا ثم ادغمتا الذال بعد اهمالها وتثم
من يعجم المبدلة من التاء ويدغم والاول اكثر وتطلق التذكر ايضا ويراد به
تردد الفكر الذي محله البطن الاوسط من الدماغ الذي هو محل القوى المفكرة — المفكر والدودة
وهو المسمى بالدودة عند الحكماء لكن هذا التردد ان كان لاستحصال المجهول
سمي نظرا وعنه ينشاء العلم بالمجهول الذي يحصل بعد في البطن المؤخر محل القوى
الحافظة على الخلاف في كيفية نشئه عنه ليس هذا محل بيانه وان كان التردد
لتذكر ما نسي مما حصل في الحافظة سمي تذكرا والاول عند المعتزلة يولد العلم
دون الثاني ويحتمل تفعل المذكور مصدره في البيت من المعاني ان يكون مطاوع
فعل كعلمته فتعلم اي ذكرت فتذكرت والتكلف كتصبر ولا يخفى بيانه في التغير
او الصيرورة كتايمت المرأة صارت ايما والاتخاذ كتبنيت الصبي او مواصلة العمل
في مهلة كتفهم او موافقة المجرد كتعدى الشيء وعداه جاوزه وذكر بعضهم
انه يحتمل ان يكون للتكثير والمراد من معاني تفعل التكثير الا انهم نصوا انه
يكون لموافقة فعل ومن معانيه التكثير وهو لا يتوهنا والجيران فعلان بكسر الفاء
وسكون العين جمع جار وهو جمع كثرة شايع في المعتل العين كتاد وتيران
وقاع وقيعان وقد جمع على جيرة واصل الياء فيه الواو الا انها
سكنت بعد كسرة فقلبت ياء وهو قياسها كميزان وميعاد من الوزن والوعد

واصل جار جور قلبت الواو الفا لتحركها بعد فتحة وهو من قربت داره من دارك
هذا معناه هنا ولا يتصدى في هذا الشرح لبيان ما يقع عليه اللفظ المشترك
من معانيه الا لما يليق به وبالبيت خاصة خشية السآمة وتقول جاورته
مجاورة وجوارا بكسر الجيم وهو الافصح وبضمها وتجاور القوم واجتوروا
صحت الواو لانها في معنى تجاوروا الذي لا يصح فيه الاعلال لسكون ما قبله
ومن هذا قيل للاعتكاف في المسجد مجاورة و ذو سلم موضع بين مكة — ذو سلم
والمدينة قريب من قديد و المزج الخلط ومزجت خلطت وقيل الخلط اعم — الخلط والمزج
لانه يكون فيما لا يصير بعد الخلط حقيقة واحدة كخلط الدراهم بالدنانير
بخلاف المزج و الدمع بينه وبين واحده اسقاط التاء فهو اسم جنس وواحده — الدمع
دمعة وهو الماء السائل من العين من البكاء والمراد به هنا ما يخرج مع البكا
اي بكيت فمزجت الا انها عبرها بالمسبب واراد السبب لان تجري الدمع من المقلة — سبب البكا
سببه غالب البكاء والدمع ماء مالح يخرج من العين فان كان للفرح كان باردا
وان كان للحزن كان سخنا وسببه مضاعفة الحرارة الغريزية بالحرارة الغريبة
التي تحدث بحركة النفس الشديدة عند الفرح او الحزن الا انها مع الحزن اقوى
فلذا يخرج سخنا كالماء الشديد الحرارة اذا فارق النار القوية لا يبرد الا بعد حين
فان كانت الحرارة ضعيفة فبنفس مفارقتها عاد الى اصله من البرد
كالماء الذي يكون على نار لينة يبرد من ساعته اذ فارقها ولذا لا يجد الدمع غالبا
الا مع الحزن لان الحرارة الحادثة بحزن او غيره يفر امامها مضادها من الماء
وهي الرطوبات المائية التي تكون من برد الدماغ فتندفع امام الحرارة فتنزل
من الرأس وهو الدمع وقل خروجه مع الفرح لان النفس تنقبض فتخرج الحرارة
على صوب واحد فتفر الرطوبات المائية امامها فاذا فرغت مخرج الدمع لانه اقرب
من غيره لغموضه الاعضاء وسريانه في ساير العروق كما يفر الماء الكاين على النار — ترتيب البكا
واذا تراه يطلب الصعود لولا ان مركزه يطلبه وترتيب البكاء ان تهيأ الرجل له
قيل اجهش فان امتلأت عينه دموعا قيل اغرورقت وترقرقت فاذا سالت
قيل دمعت وهمعت فاذا حكت دموعها المطر قيل همت فان بكى بصوت قيل نحب ونشج

فاذا صاح قيل اعول وقال الجوهري دمعت العين تدمع تفتح عين الماضي
وكسرها لغة حكاها ابو عبيدة والدماع بالضم ماء العين من علة او كبر ليس الدمع
قال الزاجر يا من لعين لا تني تهما عاقد ترك الدمع بها دماعا **و** المقلة شحمة

العين

العين التي تجمع السواد والبياض وفي المقلة الحدقة وهي السواد الذي في وسط
العين وجمعه حدق وحداق وفي الحدقة الناظر والانسان وهو موضع البصر
منها الذي تراه كانه صورة وليس بخلق مخلوق والعين كالمرآة اذا استقبلها
شخص رأيت شخصه فيه لشدة صفاء الناظر والناظر ايضا عرقان في العينين
يسقيان الانف كل واحد ناظر كل واحد ناظر واما طبقات العين السبع من الجليدية
وغيرها فبيان ذلك من علم التشريح وليس من غرضنا هنا كما ان سبب الابصار
من عادة يخلقها الله تعالى وانبعاث اشعة محله العلوم الحكمية **و**

الدم

الدم معروف وهو احد الامشاج الاربعة الذي خلق منها الجسم وهو حار
ورطب ومنشاؤه من الكبد وينفذ في عروقها الى الجسد وبعضه في القلب واصله
دموٌ بالتحريك حذفت اللام على غير قياس وقلبت الواو ياء في دمي يدمي لاجل الكسرة
كرمي وثناه بعض العرب دموان وقال سيبويه اصله دمْيٌ بالتسكين
واذا جمع دِماءٌ ودُمِيٌّ كظَبْيٍ وظِبًا ودَلْوٍ ودِلاءٍ ودُلِيٍّ ولو كان كعصًا لما جمع كذلك
وقال المبرد هو بالتحريك وجمعه مخالف لنظائره ولامه ياء واذا ثني دميان
وتصغيره دُمَيٌّ والنسب اليه دمِيٌّ او دَمَوِيٌّ ويقال دَمِيَ يَدْمَى دمًا
بتحريك المصدر اتفاقا وانما الخلاف في الاسم ودَمِيًا فهو دمٍ **و** هبت الريح

زاد رياح

هُبُوبًا وهَبِيبًا هاجت قال الجوهري والهبوة الريح التي تثير الغبرة وكذلك
الهبوب والهبيب وللريح تقاسيم تختلف اسماؤها بحسبها يطول
ذكرها لكن اسماؤها بحسب الهبوب خاصة ان هبت من جهات مختلفة فهي المتناوحة
ومن الارض نحو السماء كالعمود فهي الاعصار وبالغبرة فهي الهبوة وتقدم قول
الجوهري فيها واصل الريح روح بدليل جمعها على ارواح واما رياح فالياء بدل

اصل الريح روح

من الواو لكسر ما قبلها كما في الميزان والريح مؤنثة والقول بان حقيقتها اضطراب
الهواء او اجسام اخر مخلوقة مخزونة في خزائنها التي جعلها الله فيها وعليها

خزنة الملائكة لما ورد في الآثار **٥** انها تخرج بمقدار الا في الوقت التي اهلك الله
فيها عادا فانها عتت على الخزنة فخرجت من مقدار الخاتم ولو خرجت من مقدار
منخر ثور لاهلكت الدنيا **٥** كل ذلك مقرر في غير هذا ويدل على الثاني قوله تعالى
في وصف ريحهم عاتية وقوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه
الاية **و** تلقاء قال الجوهري فجلس تلقاءه اي حذاءه والمعنى في البيت من قرب

كاظمة

او من ناحيه **و** كاظمة موضع قاله الجوهري وقال غيره اسم ماء قال الاصمعي
تخرج من البصرة الى كاظمة فتسير ثلاثا وهي طريق المنكدر لمريد مكة وما كاظمة
ملح صلب يصلح عليه الحديد وكاظمة من مياه بني شيبان ورأيت ولا اتحقق
الان محله ان كاظمة موضع بقرب مكة المشرفة على ساكنها افضل الصلوة

ومض واومض

وازكى السلام وهذا انسب هنا **و** اومض البرق ايماضا لمع خفيا وكذا ومض
يمض ومَضًا ووَمِيضًا ووَمَضَانًا وهذا ان لم يعترض في نواحي الغيم فان
اعترض فيها ولمع فهو الخفق فان استطال في وسط السماء وشق الغيم ولم يعترض
يمينا ولا شمالا فهو العقيقة وله ايضا اسماء كثيرة بحسب صفاته وحقيقته نار

حقيقة البرق

تحدث عند اصطكاك اجرام الهواء فيحدث عند ذلك نار هو البرق وذلك
اكثر ما يكون عند انتقال الزمان من البرد الى الحر والعكس وفي البرد مصادفة
الهوا حارا او بالعكس فتحدث اصوات الرعد من تلك الاصوات وتكون النيران
لشدة الاصطكاك وهذا على اصول الحكماء واهل الهيئة واما السنيون فيقولون
ان الرعد ملك وقيل صوت ملك يزجر السحاب الى الجهات التي يريد الله سبحانه
تعالى والبرق صوته واختلفوا في مقدار جرم ذلك الملك بما يتوقف نقله

الظلمة

على خبر صحيح والله تعالى اعلم **و** الظلماء الظلمة وهي خلاف النور بضم الظاء
مع ضم اللام وفتحها والجمع ظلم وظلمات بضم اللام وفتحها وسكونها واما التي
في البيت فبفتح الظاء وقياس جمعها ظُلْم كحمراء وحُمْر الا انه ورد الجمع بفتح اللام
على غير قياس وربما وصفوا بها فقالوا ليلة ظلماء والظلام اول الليل وظلم الليل
بكسر اللام اظلم فقيل عدم الضوء فالتقابل بين الضوء والظلمة تقابل العدم
والملكة وقيل عرض كما اختلف في الضوء ايضا وبعضهم لم يجعله خلافا في الضوء

ان كان هو النور انرجسم و اضم بكسر الهمزة جبل وقال غير الجوهري واد
دون المدينة وقيل جبل لا شجع وجهينة التفسير معنى التبيين ان الناظم
نزل نفسه منزلة مخاطب يخاطبه لما راه باكيا قد امتزج دمع عينه بالدم فاستفهم
عن سبب بكائه على الوجه المذكور اهو من اجل تذكر جيران كانوا بذي سلم
وجاوروك بذي سلم ام هو من اجل ان هبت الريح من ناحية كاظمة ومن اجل
ان لمع البرق في ظلماء الظلام من ناحية اضم فذكرك احبابك من اهل الموضعين
اعني كاظمة واضما لان البكاء من اجل الحبيب اما عند تذكره وان حضر واما
عند مفارقته وليس البكاء من اجل المكان مجردا فالسر في السكان لا في
المنزل نعم ان بكى المنزل فمن اجل ساكنه قال ٭ امر على الديار ديار ليلى
اقبل ذا الجدار وذا الجدارا ٭ وما حب الديار شغفن قلبي ٭ ولكن حب من سكن الديارا
وقال ابو الوفا ٭ احن الى بغداذ شوقا وانما ٭ احن الى الفيها الى شقايق
مقيم بارض سرت عنها وبدعة ٭ اقامة معشوق ورحلة عاشق ٭ وفي النوادر
انشد احمد بن يحيى ٭ امن اجل دار بين لوذان فالنقي ٭ غداة
اللوى عيناك تبتدران ٭ فقلت لك لا بل قذيت وانما ٭ قرى العين
لي ما هيج الطللان ٭ فابيات هذا هو المعنى الصحيح ويدل عليه انه
خاطب نفسه قوله بعد هذا سرى طيف من اهوى فارقني الى قوله ظلمت بينه
وقوله استغفر فهو على هذا في مخاطبة نفسه كقول المتنبي ٭ لا خيل عندك تهديها
ولا مال ٭ فانه خاطب نفسه بدليل قوله بعد وان يكن محكمات الشكل تمنعني
وما بعده وكذا قول امرئ القيس تطاول ليلك بالاثمد ٭ لقوله بعد وذلك
من نبا جاءني وقول علقمة بن عبدة طحابك قلب في الحسان طروب لقوله
بعد تكلفني وهو كثير ويحتمل ان يكون الناظم مثل انسانا بصفة ما ذكر فخاطبه
قال بعضهم وهذا المعنى لا تكلف فيه بخلاف الاول قلت والصواب العكس عند
من غذي بلبان الادب وارتشف الضرب من لسان العرب لعوده الى الاخبار عن نفسه
كما تقدم الا ان يقول انه على حذف القول اي قال اي المخاطب نعم سرى وفيه من التكلف
والخروج عن المهيع ما يخفى ثم محصول هذا الوجه الرجوع الى الاول فان المخاطب

لا يعني

لا يعني به الا نفسه لا شخصا آخر غيره والالتفات المقصود وفي قوله مرجت على هذا
التفات وحقيقة هذا اللقب سواء جعل من علم المعاني او من علم البديع نقل كل
من التكلم او الخطاب او الغيبة الى الاخر منها سواء نقل بعد ذكره او كان مقتضى الظاهر
ذكره فعدل عنه الى غيره هذا راي السكاكي وهو عند الجمهور نقل ما ذكر من الثلاثة
الى الاخر منها وما عبر به اولى ولو اقتضى المقام غيره فكل التفات عندهم التفات
عند السكاكي ولا عكس ففي قول امرئ القيس تطاول ليلك بالاثمد
ونام الخلي ولم ترقد ٭ وبات وباتت له ليلة ٭ كليلة ذي العاير الارمد
وذلك من نبا جاءني ٭ وخبرته عن ابي الاسود ٭ ثلثة التفاتات عند السكاكي
واثنان عند الجمهور اولها على الاول ليلك فان مقتضى الظاهر ليلي وعلى الثاني
جاءني ومنه على الاول قول ربيعة بن مرهم ٭ بانت سعاد فامسى القلب
معمودا ٭ واخلفتك ابنة الحر المواعيدا ٭ ومقتضى الظاهر اخلفتني وكذا قوله
تذكرت والذكرى تهيجك زينبا ٭ واصبح باقي وصلها قد تقضبا ٭ وقول علقمة
بن عبدة طحابك قلب في الحسان طروب ٭ بعيد الشباب عصر حان مشيب ٭ تكلفني
ليلى وقد شط وليها ٭ وعادت عوادٍ بيننا وخطوب ٭ والاصل طحابي واقسام
الالتفات ستة مذكورة في علم البيان ويسمى ايضا تلوين الخطاب وفايدته
تنشيط النفس لاستلذاذها بلون جديد وهو في البيت من التكلم الى الخطاب
لان الاصل مرجت نحو انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر اي لنا التمثيل
فيه نظر فان الانتقال في الاية انما هو من التكلم الى الغايب ولم يبق الا ان يكون
واما على احتمال انسانا فيصح على معنى التجريد وحقيقة هذا اللقب في علم البديع
ان يبلغ شي النهاية في صفة من الصفات حتى يقدر انه ينتزع من ذلك الشي شي اخر
مثله في الاتصاف بالصفة تنبيها على المبالغة في الاتصاف بالصفة نحو مررت بالرجل
الكريم والنسمة المباركة وهي هو نحو ص والقران ذي الذكر اذا قدر اقسم بالسورة
الشريفة والقران وفايدة الالتفات ومخاطبة الانسان نفسه او التجريد هنا
كما في غيره اما ان يكون وبخ نفسه على البكاء المفرط وقلة الصبر كفعل الكرام
ومنه تطاول ليلك ٭ او حرضها على الازدياد منه اذ هو راحة المكروب

الالتفات

تلوين الخطاب

التجريد

لاسيما المحب ومنه قول ابي الطيب لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد
النطق ان لم تسعد الحال واجز الامير الذي نعماه فاجية بغير قول ونعمى
القوم اقوال حرض على مدح الامير او نصحها لتترك ما هي فيه خوفا من تفطن
الوشاة لقوله بعدا يحسب الصب البيت او خوف تلف النفس ومنه قول ابي
الاطنابة اقول لها وقد جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي
فانه لما وطن نفسه على احتمال المكروه جردها وخاطبها نفيا وهذا البيت
تمثل به معاوية يوم صفين بعد ان كان يضطرب وهو في الاحوال كلها مخاطب
بالاستفهام عن سبب مزج الدموع بالدم ففي التوبيخ يكون المعنى استبعادا ان يكون
كل من تذكر الجيران او هبوب الريح سببا لهذا الجزع العظيم لسائر امرهما بالنسبة
الى الحائل في المحبة بل الاولى الصبر وفي التحريض يكون الامر بالعكس والمعنى ان مثل
هذا البكاء لا يكون الا عن مثل احد الامرين غايتهما هو السبب فالاستفهام على المعنى
الثاني تحقيقي وفي المعنى تعظيم امر المستفهم عنه وعلى الاول انكاري نحو اطربا
وانت قنسري والدهر بالانسان دواري وفي النصح يكون المعنى اترك
ما انت عليه اما لان كلا من الامرين يسير فالاستفهام للتوبيخ وهو المعنى الاول
او لان كلا منهما عظيم وهو الثاني وامره بالترك لئلا يقع فيما هو اعظم مما هو فيه
من تفطن الوشاة او هلاك النفس فالمعنى الثالث يحتمل المعنيين الاولين
ويحتمل كلام الناظم وجوها كثيرة من التقريرات غير ما ذكر يطول تتبعها الا انها
على احتمال التجريد ويحتمل الخطاب في زجيت ان يكون من الخطاب العام وهو توجيه
غير معين للايذان بان الامر لعظمته لا يختص به واحد دون اخر كقول الاعشى
اذا انت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا ندمت
على ان لا تكون كمثله وانك لم ترصد كما كان ارصدا وفي التنزيل ولو ترى
اذ المجرمون اي تناهت حالهم في الظهور حتى لا يختص بها مخاطب بل كل من يتأتى
منه الرؤية وفي الحديث بشر المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام يوم
القيمة والتعظيم الموجب لهذا في البيت اما من حال المخاطب ومن حال سبب الخطاب
واعلم الذي يلي همزة الاستفهام هو المستفهم عنه ولما كان مزج العين بالدم

الخطاب العام

محققا المراد بوله الهمزة وانما اوليهما ما استفهم عنه وهو احد السببين ثم المعنى
الذي استعمله الناظم من الحنين الى الاوطان والبكاء من اجل تذكر الجيران
ومن هبوب الرياح وايماض البرق من نواحي الاحبة مشهور معلوم من مذاهب
الشعراء قديما وحديثا روي انه صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة
اغتم ووقف بالحزورة وهو موضع خشن بالحصى في ظاهرها وقال والله انك
لاحب البلاد الي ولولا ان اهلك اخرجوني ما خرجت فنزلت عليه بالجحفة
ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد وكان بلال ينشد بالمدينة
الا ليت شعري هل ابيتن ليلة بواد وحولي اذخر وجليل وهل ارد
يوما مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل وقال امرؤ القيس
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل وقال ذو الرمة خليلي عوجا من
صدور الرواحل بجمهور حزوى فابكيا في المنازل لعل انحدار الدمع يعقب
راحة من الوجد او يشفي نجي البلابل وهو في شعره كثير كقوله اان ترسمت
من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم وقوله الربع طلت عينك
الماء منهمل رشاشا كما استن الجمان المفصل وهذا المعنى يفوت استعماله الحصر
وهذان البيتان الاخيران اقرب الى منزع الناظم ويقرب منه في معنى بكاء الدم
قول مهيار بكت على الوادي فحرمت ماء فكيف يحل الماء اكثره الدم وللعماد
الاصبهاني كان دمعي لؤلؤ لكنهم ادخضوه بالنوى فهو عقيق
يا لعيني الهاطامية ولها في الدمع انسان غريق وللحسام الحاجري
قلت للسايق الجد بليلى وقد اعتد للفراق الفريق يا منادي الرحيل
ارخصت دمعي قال هكذا يباع العقيق وانشد ابو القاسم بن بكس عامل
القايم بامر الله بكيت دما حتى بقيت بلا دم بكا فتى فرد على سكن فرد
ابكي الذي اهواه بالدمع لقد جل قدره الدمع فيه اذا عندي وانشد
المرتضى اخو الرضي وهما ابنا الطاهر الموسوي ويوم وقفنا للوداع وكلنا
يعد مطيع الشوق من كان احزما نصرت بقلب لا يعنف بالهوى وعين متى
استمطرتها مطرت دما وهذا ابلغ مما للناظم فان هذا صرف وما له ممزوج

ايا جبلي نعمان

قال ابو عمرو بن العلاء مما يدل على نبل الرجل وكرم غريزته حنينه الى اوطانه وتشوقه الى متقدم اخوانه وبكاؤه على ما مضى من زمانه وقال يحيى بن سعيد الاموي تزوج رجل من اهل تهامة امرأة من نجد فلما اصابها حر تهامة قالت ما فعلت ريح كانت تاتينا ونحن بنجد يقال لها الصبا قال يحبسها عنك هذان الجبلان فقالت

ايا جبلي نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص الي نسيمها
أجد بردها او تشف مني حرارة على كبد لم يبق الا صميمها
فان الصبا ريح اذا ما تنسمت على نفس محزون تجلت همومها

وقال مصعب خرجنا للغزو زمن مروان فاصابنا مطر فملنا الى كرة فيه قصر فقالت وليدة منه بابي من اين اقبلتم قلنا من مكة فتنفست الصعداء وقالت من كذا اذا شجن بالشام يحبسه فان في غيره امسى لي الشجن وان ذا القصر حقا ما به وطني لكن بمكة امسى الاهل والوطن من ذا يسائل عنا اين منزلنا فالاقحوانة منا منزل قمن اذ نلبس العيش غضا ما يكدره طعن الوشاة ولا ينبو لنا الزمن فلما انفلتنا اتينا القصر فخرج صاحبه فانزل واكرم فقلت حاجة مقضية قلت وليدة صفتها كذا اما تبيع او تهب قال والله لقد وارتها الارض اليوم ولو انها حية ما انقلبت الا بها فتحرنا اذ لم ارجعها الى وطنها وكفى حاملا على الحنين الى الوطن قوله

ديار بها نيطت علي تمائمي واول ارض مس جلدي ترابها

وقال بعض الاعراب

ذكرت بلادي فاستهلت مدامعي لشوقي الى عهد الصبا المتقادم
حننت الى ارض بها اخضر شاربي وقطع عني قبل عقد التمائم

وقد اوضح ابن الرومي العلة في الحنين الى الوطن فقال

ولي وطن آليت الا ابيعه وان لا ارى غيري له الدهر مالكا
عهدت به شرخ الشباب ونعمة كنعمة قوم اصبحوا في ظلالكا
وحبب اوطان الرجال اليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذالكا
فقد الفته النفس حتى كأنه لها جسد ان بان غودر هالكا

وهو القائل بلد صحبت به الشبيبة والصبا ولبست ثوب العيش وهو جديد فاذا تمثل في الضمير رأيته

وعليه

وعليه اغصان الشباب تميد ولهذا خص الجيران ايضا فان حق الجار ثابت معلوم من الشريعة وغيرها قال تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا الى قوله والجار ذي القربى والجار الجنب وفي الصحيح ما زال جبريل يوصيني على الجار حتى ظننت انه سيورثه وفيه ايضا من قوله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره وفي رواية فلا يؤذ جاره والاستشهاد على هذا المعنى بالاشعار والحكايات يطول والجار من الاسماء الاضافية مقول بالتشكيك على الاقرب والابعد واقربه احقه بالمراعاة وفي الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها الى اقربهما بابا ومما ورد من قول الشعراء فيما يهيجه البرق من ذكر الاحبة ما حكاه صاحب كتاب نظم الفريد في منتخب الاد التليد عن الفضل بن محمد الضبي ابن العلاء قال لما قدم بغا بني نمير اسرى كنت اذهب اليهم لاسمع منهم وكنت لا اعدم الفصيح منهم فاتيتهم يوما في عقب مطر واذا بفتى حسن الوجه قد نهكه المرض وهو ينشد

شعر

الا يا سني برق على قلل الحمى لهنك من برق علي كريم
لمعت اقتذاء الطير والقوم هجع فهيجت اسقاما وانت سليم
فهل من معير طرف عين خلية فانسان عين العامري كليم
رمى قلبه البرق الملالي رمية بذكر الحمى وهنا فبات سليم

فقلت له يا هذا انك لفي شغل عن هذا فقال صدقت ولكن انطقني البرق فما كان ساعة حتى مات مما يتوهم عليه غير الحب المعاني في قوله لم تجب الالتفات على رأي من جعله من هذا الفن وعلى رأي من رآه من البديع ينبه عليه في ترجمته وكذا فيه الخطاب العام وهو على الرأيين وفيه الاسناد المجازي فان المخاطب لم يمزج الدمع بالدم بل فعل سببه وهو البكا فهو نحو بنا الامير المدينة ولقائل ان يقول ليس مثل هذا السبب بالذي يخرج الاسناد عن كونه حقيقة بحسب اللغة وهذا هو الظاهر والتنكير في جيران وفي دمعا وفي مقلة وفي دما اما للتعظيم واما للنوعية وتقدم فائدة تقديم من تذكر على عامله الذي هو مزجت لكونه المستفهم عنه

ويحتمل تنكيره معا ان يكون للتعظيم والنوعية جميعا الوصفه بجري
ووحد الريح ولم يجمعها لانها تهيج عليه الاحزان لانهم قالوا الرياح وردت
في القرآن في الخير والريح بضده ويحكى انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا
رأى ريحا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا ولا ينتقض بقوله تعالى بريح طيبة
لوصفها والان النافعة للسفن انما يكون من جهة واحدة وفيه ايضا
تجاهل العارف وسماه بعضهم سوق المعلوم مساق المجهول قال ابن حجة — التجاهل
ما وقع في القرآن تحاشيا من نسبة التجاهل والعرفان الى الله تعالى ومنه قولها
ايا شجر الخابور مالك مورقا كانك لم تجزع على ابن طريف فتى لا يحب
الزاد الا من التقى ولا المال الا من قنا وسيوف وقوله يا ظبية
الوعساء بين جلاجل وبين النقى آأنت ام ام سالم وهو في البيتين
بناء على انه علم السببي لا سيما ان قلنا انه خاطب نفسه **البديع**
في البيت الاول التجنيس الناقص في دمع ودم لاختلافهما بزيادة حرف العين — تجنيس ناقص
وحقيقة هذا اللقب ان لا يختلف الكلمتان الا في اعداد الحروف فقد يكون
النقص في اول نحو بالساق الى ربك يومئذ المساق او من الوسط نحو جدي
جهدي او من الآخر يمدون من ايد عواص عواصم تصول باسياف قواض قواضب
فان قلت خالفا ايضا بحركة قلت الظاهر انهم اغتفروا مثل ذلك والا لاهو اقرب
من تمثيلهم بجدي جهدي التضعيف في جهدي وايضا اصل دم السكون كما
تقدم لسيبويه الا ان يقال المعتبر حركة الحال وفيه تجنيس التشبيه بالاشتقاق — تجنيس الاشتقاق
في جيران وجري وهو ان يشتبه الكلمتان في الحروف ولا يجمعهما اشتقاق
نحو اثاقلتم الى الارض ارضيتم وهو ايضا في البيت الثاني في قوله اضم وايمن وفي الاول — التسهيم والارصاد
التسهيم وهو المسمى بالارصاد وهو ان يجعل فيه العجز من الفقرة او القافية
ما يدل عليه اذا عرف الروي نحو قوله تعالى وما كان الله ليظلمهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون وقوله احلت دمي من غير جرم وحرمت
بلا سبب يوم اللقاء كلامي فليس الذي حللته بمحلل وليس الذي
حرمته بحرام وهو في البيت قوله بدم لانه يفهم من قوله مزجت الى الاخر

لكن بعد علم ان الروي ميم مكسورة ولذا يضعف ادعاؤه في اول بيت من القصيدة
الا اذا علم ان البيت مصرع وفيه نظر بعد لكنه هنا في غاية الظهور فهو كحكاية
ابن عباس رضي الله عنهما مع الذي انشد نشط غدا دار جيراننا فقال
ابن عباس رضي الله عنهما والدار بعد غد ابعد وكان كذلك ولم يسمع غير
الشطر الاول وفيه ايضا براعة الاستهلال ويسمى براعة المطلع والاستهلال
وحسن المطلع وحسن الابتداء وهو ان يؤتى في اول القصيدة او الرسالة او الخطبة
بما يدل على مقصود المتكلم مع سهولة اللفظ وصحة السبك ووضوح المعنى
وتجنب الحشو ورقة التشبيب في الشعر وتناسب القسمين وان لا يكون البيت متعلقا
بما بعده وهذا المقام من المواضع التي ينبغي للمتكلم ان يتأنق فيها لان الابتداء
اذا كان حسنا اقبل السامع على ما بعده والا مجه والموضع الثاني الخروج مما قدم
في كلامه الى المقصود والثالث الختام وجعله بعضهم رابعا وزاد ثالثا
وهو المطلب ومن احسن الابتداءات المؤذنة بالمقصود قول ابي تمام في المعتصم
بفتح عمورية وكان المنجمون يزعمون انها لا تفتح حينئذ السيف اصدق
انباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب بيض الصفائح لا سود الصحائف في
متونهن جلاء الشك والريب ففي البيت علم ما قصده من مدح رسول الله
بذي سلم — صلى الله عليه وسلم من ذكر الجيران بذي سلم فانه من جبال الحجاز فان قلت الا انه
متعلق بما بعده لقوله ام هبت لان ام متصلة قلت التعلق المشترط نفيه ما لا يستقل
لفظ البيت بافادة المقصود من الشعر الا بذكر شيء من الثاني واما ان استقل
بافادة ذلك المعنى وكان تعلقه بالثاني مقويا له كما هنا فذلك مما يزيده حسنا
وهو ظاهر الاترى تعلق بيت ابي تمام الثاني بالاول وفي البيت الثاني مراعاة النظير
مراعاة النظير والايتلاف والتوفيق — ويسمى التناسب والايتلاف والتوفيق وهو الجمع بين امر وما يناسبه لا بالتضاد
نحو الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان ومن احسن ما ورد فيه قول
ابن رشيق اصح واقوى ما سمعناه في الندى من الخبر المأثور منذ قديم
احاديث ترويها السيول عن الحيا عن البحر عن كف الامير تميم فجمع فيه بين
الصحة والقوة والسماع والخبر المأثور والاحاديث وهذه كلها متناسبة

ثم العنعنة ثم السّيل والحيا والبحر الكف تميم وهو هنا جمعه بين الريح والبرق
والظلماء وزعم بعضهم ان في قوله اصم واومض جناس القلب قال لتشابه حروفهما
وقدم في احدهما ما اخر في الاخر ومنه قول ابي تمام الصحايف والصفايح قلت
واذا تاملت لم تجد هنا قلبا اصلا لا قلب كل نحو كل في فلك ولا قلب بعض
كلفظ ابي تمام الا ان يعتبر التقديم والتاخير من حيث الجملة فيشبه وزعم ايضا
ان في البيت الاول نوعا من المبالغة المقبولة وهو المسمى بالاغراق وحقيقته
ان يدعي لوصف بلوغه في الشدة او الضعف حدا مستحيلا عادة لا عقلا كقوله
ونكرم جارنا ما دام فينا ونتبعه الكرامة حيث مالا فان اتباعه جاره الكرامة
حيث مال ممتنع عادة لا عقلا وان من نقلنا عنه نقل انواع المبالغة ولم نحررها
ولا حاجة بنا نحن الان الا الى هذا النوع منها خاصة قال وهو في
البيت مزجت دما بدم فانه مستحيل عادة لا عقلا وفي استحالته عادة نظر اما انه
بعيد الوقوع كما انه وقع في كلامه هنا ما بين ان الجيران وجيري من التجنيس الا انه
لم يبين من اي اقسامه هو قال ومن التجنيس قول الشاعر الحمد لله منا باعث
الرسل هدى باحمد منا احمد السبل فان من الاولى لابتداء الغاية والثانية
لبيان الجنس قلت وتكرر منه هذا الكلام في عدة من تواليفه وهذا البيت
هو من قصيدة الشقراطسي والرواية فيه على ما حدثني به غير واحد من اشياخي
اجازة عن الشيخين الامامين ابي عبد الله محمد بن جابر القيسي الوادياشي
وشهاب الدين احمد بن محمد المرادي بسندهما فيها ان اللفظ الذي بعد احمد
هي مصدر من كقول الله تعالى فاما منا بعد والعامل فيه هدى اي هدى
باحمد تفضلا وقيل من الثانية لبيان الجنس الظاهر انها للتبعيض على تقدير
كونها حرف جر وهو في موضع الحال من احمد والاولى مثل التي في قوله تعالى
رسولا من انفسهم معنى وتقديرا الا انها في الاية صفة وهنا متعلقة بباعث
وعلى ان اختلاف معنى حرف الجر المكرر يكون تجنيسا يكون في البيت الاول
فان من الجارة لتذكر للتعليل والجارة لمقلة لابتداء الغاية وكذا الباء الجارة
لذي سلم فانها للظرفية والجارة لذي للتعدية قال بعضهم وفي قوله

من مقلة

الحشو

من مقلة حشو لان الدمع لا يجري الا منها واتى به للوزن لا لمعنى غيره ويسمون مثله
الحشو فان اتفق في قافية سموها قافية مستدعاة كقوله بعد فيعرب عنه نطق
بفم فان بفم يعرف مما قبله ويسمون خلافها قافية غير مستدعاة وقد يجمع
في بيت الحشو والمستدعاة كقول النابغة تحسبوه فالفوه كما حسبت
تسعا وتسعين لم تنقص ولم تزد فلم تنقص حشو ولم تزد مستدعاة قلت
هذا من كلام بعض الفضلاء والمحققون من متاخري المشارقة لم يعدوا
الحشو في البديع وانما ذكروه في علم المعاني بالعرض حيث ذكروا الايجاز
والاطناب والمساواة وجر التقسيم اليه فذكروه ليجتنب لا انه من محاسن الكلام
والجواب عن الزام الناظم الحشو ان بدم يطلبه مزجت وجرى فيعمل فيه
جرى ويعمل مزجت في ضميره ويكون حينئذ جرى من مقلة بدم احتراسا ويسمى ايضا
تكميلا وربما سمي تتميما وهو مقاصد منها ان يوتى في كلام يوهم خلاف المقصود
بما يرفعه وهو ايضا اقسام منها ان يكون في اخر الكلام كما هنا وبيانه انه لو اقتصر
على قوله مزجت دمعا بدم لكان مما يحتمل الكلام ان الدمع بعد انفصاله من العين
مزج بدم اجنبي وليس هذا مقصودة فرفعه جرى من مقلة بدم والبا للمصاحبة
ومنه قوله تعالى اذلة على المومنين اعزة على الكافرين فلما كان يتوهم انذالهم
للمومنين لضعفهم احترس بما بعده ولذا عدي اذلة بعلى لتضمنه معنى عاطفين
وكقول كعب بن سعد الغنوي حليم اذا ما الحلم زين اهله مع الحلم
في عين العدو مهيب والاحتراس في قوله اذا ما الحلم زين اهله وباقي
البيت تاكيد لاحترس فان قلت هلا كان بدم متعلقا بمزجت وما بينهما احتراس
فيكون من الاحتراس في اثناء الكلام نحو ويطعمون الطعام على حبه مسكينا
ان جعل الضمير للطعام وكقول طرفة فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع
وديمة تهمي قلت لا يزال الايهام اذ لا يفيد ان الدم من المقلة ولهذا البحث
اقتصرت في كتاب الاستيفا على جعل بدم متعلقة بجرى وهو نحو باول وهلا لان
المتبادر للفهم تعلقه بمزجت الاعراب يحتمل الهمزة الاستفهام المحض والتقرير
ان جعلت ام للاضراب انتقال لا ابطال على راي بعضهم ويدل عليه تعبير الموضح

الاحتراس والتكميل والتتميم

وهي للتعجب عند بعضهم قال والمعنى انه تعجب من تذكره والتحقيق انه تعجب من جعل التذكر
سببا ويحتمل الانكار والتوبيخ لقوله بعدما يحسب ولولا الهوى ومن تذكر
جار ومجرور وجيران مضاف اليه وهو منصوب المحل من اضافة المصدر الى
المفعول والفاعل ضمير المخاطب وهو محذوف وجوبا ومستتر على الرأيين ومن للتعليل
متعلقة بمزجت ولما كان المستفهم عنه او المقرر او المنكر هو موجب المزج اولي
الهمزة لان همزة الاستفهام او ما في حكمها لا يليها الا المستفهم عنه او ما في حكمه
من شروط العطف
فان استفهمت عن الفعل قلت اضربت زيدا او عن المفعول قلت ازيدا ضربت وهكذا
ولو استفهم عن الفعل لقال امزجت فان قلت المستفهم عن كونه موجبا احدهما
والذي اولي الهمزة احدهما قلت الثاني معطوف على الاول وصحة العطف
مشروطة بصحة وقوع المعطوف موقع المعطوف عليه او بولايته للعامل على الرأيين
وايضا فان كلا منهما علة مستقلة يصح قيامها مقام الاخرى وهذا ظاهر
على اتصال ام وفيه بحث على انقطاعها وبذي سلم الباء ظرفية وهي صفة
لجيران وعامله محذوف وجوبا اي كائنين ووقع في شرح شيخنا ابي العباس
القصار التونسي رحمه الله في هذا المحل ما نصه المجرور ان تعلق بظاهر فله محل
من الاعراب ويوجد مثله كثيرا له ولابن السيد شارح ابيات الجمل في شرحه اللذين
وهي مسامحة اي لا محل له مستقلا والا فقد تظافرت نصوص المعربين والنحويين
على ان محله النصب ولا يصح تعلق بذي بتذكر ولا بمزجت لان المعنى يأباه اذ
لا فائدة في ان يكون تذكرتهم بذي سلم او في غيره على التعيين موجبا للبكا
بل موجبه تذكرهم حيث كان ومثله مزجه الدمع بذي سلم ولا يصح ان يتعلق
بلفظ جيران لما فيه من معنى المجاورة لانه لا يدل الا على انهم جاوروه بذي سلم
واما ان موضعهم هو ذو سلم فلا فيفوت المقصود من براعة الاستهلال كما تقدم
ودمعا مفعول لمزجت ومن متعلقة بجرى ومن لابتداء الغاية في المكان وبدم
متعلق بمزجت ايضا وبيانه ان فيه مزجت فيعمل مزجت في ضميره اي مزجت دمعا به
وتقدم ما في تعلقه بمزجت من البحث في ترجمة البديع فراجعه والباء في بدم
للمصاحبة اي مع دم وقيل للالصاق وجملة جرى وما تعلق به صفة لدمع

ويصح

ويصح ان يكون بدم حالا من دمع لوصفه بالجملة اي كائنا او جاريا وهذا اظهر
ام المتصلة والمنفصلة
مع دم وام متصلة لوقوعها بعد همزة يصلح في موضعها وهبت معطوف على تذكر
والتقدير امن اجل ان ذكرت ام من اجل ان هبت وام من هبوب الريح لان الفعل اذا عطف
على الاسم او بالعكس فلا بد من رد احدهما الى الاخر بالتاويل وذهب شيخنا
ابو العباس الى انها منقطعة وهي استيناف سؤال على جهة الانكار والتعجب وتقدم
الاضراب عن الاول انتقالا لا ابطالا والمعنى بل اهبت الريح واومض البرق فبكيت
ولا يصح اتصالها لان المتصلة عاطفة فتكون هنا عطفت جملة فعلية من غير
تقدير حرف مصدري ولا ملفوظ به على اسم مجرور وهو غير جائز قلت وما قدمناه
من الاعراب والتقدير مشهور معلوم لا حاجة الى الاستشهاد عليه بنص او مثال
ومن تلقاء متعلق بهبت ومن لابتداء الغاية المكانية ويحتمل ان يكون حالا
من الريح واومض معطوف على هبت وفي الظلماء متعلق بها او حال من البرق
اي كائنا او باديا ومثله في الوجهين من اضم ومن لابتداء الغاية المكانية
واجاز بعضهم ان يكون في الظلماء حالا من اضم من نعت للنكرة المتقدم عليها
هذه القصيدة من البحر البسيط
ولا كبير معنى له العروض ولا يحتاج الى تكرار هذه الترجمة في غير هذا الموضع
لانه تطويل من غير كبير فائدة فنقول هذه القصيدة من البحر المسمى بالبسيط
وسمي بسيطا لانبساطه عن مدى الطويل والمديد فجاء وسطه فعلن في آخره
فعلن حكاه الاخفش عن الخليل وقيل لانبساط الاسباب في اوايل اجزائه السباعية
قاله الزجاج وقيل لانبساط الحركات في عروضه وضربه وهو مثمن في اصل
العروض والضرب والخبن
الدايرة مبني من مستفعلن فاعلن ومثلها الا ان عروضه وهو الجزء الاخير
من الشطر الاول من البيت لم تستعمله العرب الا مخبونة وكذلك ضربها الاول
والضرب الجزء الاخير من الشطر الثاني ومعنى الخبن حذف الثاني الساكن فيصير فاعلن
فعلن وله ثلاثة اعاريض وستة اضرب فعروضه الاولى مخبونة ولها ضربان
ضرب مثلها وبيته يا حار لا ارمين منكم بداهية   لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك
وهذه القصيدة من العروض الاولى من الضرب الاول لهذا البيت الا ان الجزء
الاول من البيت الاول من كلام الناظم مخبون لانه حذف ثانيه الساكن ويجوز

الطي والخبل

في هذا البحر من الزحاف الخبن والطي والخبل فالخبن تقدم والطي حذف الرابع
الساكن من مستفعلن والخبل اجتماعهما فالخبن يصير فاعلن فعِلن
ومستفعلن مفاعلن كما في جزو الناظم الاول وهو حسن لاسيما في الخماسي
لاعتماده على الوتد بعده والطي يصير مستفعلن مفتعلن وهو صالح والخبل
يصير مستفعلن متعلن فتنقل في الوتد الى فعِلتن وفي البيت الاول التصريع

التصريع

وحقيقته في علم العروض ان يوافق العروض الضرب في الشيء الذي يختص
بالضرب وقسمه ابن الاثير في كتاب المثل السائر الى سبعة اقسام باصطلاح
آخر وان هذا الذي عند الناظم هو السادس ويسمى التصريع المعلق وهو ان يكون
المصراع الاول معلقا على صفة يأتي ذكرها في اول الثاني قال وهو معيب جدا
ومنه قول امرئ القيس الا ايها الليل الطويل الا انجلي بصبح وما الاصباح فيك
بامثلي فان انجلي معلق على بصبح ومنه قول المتنبي قد علم البين منا
البين اجفاننا تدمى والف في ذا القلب احزانا فعلق اجفانا على تدمى
واعترضه صاحب الفلك الداير على المثل السائر بان السادس هو الثاني
وحقيقته عنده ان يكون المصراع الاول مستقلا بنفسه والثاني غير مستقل
بنفسه بل مرتبطا بالاول ومنه قفا نبك البيت الاول لاستقلال مصراعه الاول
وارتباط الثاني به كما قال فان كان هذا حسنا فالثاني كذلك وان كان
معيبا جدا فالثاني مثله وابن الاثير لم يقل في الثاني انه معيب واطال في بيان
موافقتهما واليك النظر في الفصل بينهما فانا خشينا السامة واقرب الاسئلة
المثبتة للفرق بينهما ان يجعل ما ذكر في السادس كالموصول المفتقر لصلته
وما ذكر في الثاني كالجملة الكائنة صفة للنكرة قبلها في افتقارها الى موصوفها
واستغنا الموصوف في افادة مدلوله عنها قاتله الاشارات الصوفية
فتح الله بصايرنا لمعرفة ما اريد بنا والعمل بما علمنا بمنه وفضله
اعلم رحمك الله انه من المحتمل ان يكون اجرى الله على لسان هذا الناظم الابتدا
بذكر البكاء والاستفهام عن موجب مزج الدمع بالدم لا عن المزج لان المزج
مستحق الكينونة ولا ينبغي ان يكون عن الاتصاف به بينونة فان الله تجاوز

لما اخبر عن كيفية

لما اخبر عن كيفية خلقة الموجودات قدم في الذكر ما هو اعظم المصيبات
والغاية القصوى من اجل حلوله العزات وهو الموت الذي لابد منه ولابد
لكل مخلوق ذي روح عنه قال تعالى الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم
ايكم احسن عملا فمن علم اول كل شيء ان الموت مخلوق له وحلوله لازم
فكيف يلذ قرارا ام كيف يضحك سرا وجهارا ولينا اذا كان الموت لم يكن
سواه ولا اهوال ومحاسبات يكون بعدها المرء في احد الدارين مثواه
ولو انا اذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي ولكنا اذا متنا نشرنا
ونسئل بعدها عن كل شيء قال الله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا
ولا يخفى ان الابتلاء للمجازات وروينا من حديث انس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
وفي بعض الروايات وما تلذذتم بالنسا على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجئرون
الى الله ويروى انه صلى الله عليه وسلم قال لما بان اثر هذا يا ليتني كنت شجرة
تعضد رفعه بعضهم ووقفه بعضهم وقال الله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا
كثيرا ومن حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يدخل النار من بكى من خشية الله حتى يلج اللبن في الضرع ولا يجمع
غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري عبد ابدا وكفى بهذا دليلا
على الرغبة في استدامة البكاء والحزن وموجب البكاء خوف الله ان يحل
مكروه او بفوت محبوب ويحتمل ان يكون تنبيه الله تعالى اياك
ببكاء الناظم من اجل تذكر جيران بذي سلم ان تبكي خوفا ان لا تكون
مجاورا لاهل الجنة فيها لانهم الكاينون بذي سلم فان الجنة دار السلام
والله يدعو الى دار السلام تحيتهم فيها سلام سلام عليكم بما صبرتم
او ان يكون من اهل النار ولبيبها بكاظمة فانها تنطبق على اهلها
وتكظمهم وتكاد تميز من الغيظ في يوم القيمة وهي الان كاظمة
اجارنا الله منها بفضله وايضا بهبوب الريح وايماض البرق فان في الحديث
اذا كانت الريح والسحاب تغير رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل وخرج

وعرف ذلك منه حتى قيل له في ذلك فقال ما ادري ولعلها كما قال لعاد
هذا عارض ممطرنا فاذا امطر سري عنه وقال تعالى ريح فيها عذاب اليم
لا سيما والناظم وحدها اما البرق فقال تعالى يجعلون اصابعهم
في اذانهم من الصواعق ثم قال يكاد البرق يخطف ابصارهم ولان
البرق نار او كالنار بل انما كنى عن جهنم بكاظمة اي مكظومة لانها مقيدة
عن الخلاص الى اليوم ففاعل بمعنى المفعول كماء دافق بمعنى مدفوق وشعر
قاط بمعنى مقطوط وكاتم اي بمعنى مكتوم ويحتمل ان يكون بمعنى فاعل على
حقيقته فهي كاظمة اليوم غيظها في القيمة تبديه انتقاما من اعداء الله كما
قال الله تعالى تكاد تميز من الغيظ ومن غيظها قولها هل من مزيد
اذا قيل لها هل امتلأت فعل المتغيظ الذي لا يشبعه انتقام ومن ذلك
ما رويناه في صحيح الموطأ وغيره من قوله صلى الله عليه وسلم اشتكت النار
فقالت يا رب اكل بعضي بعضا فاذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس
في الصيف الحديث فهذا الايماء يدل على انها مكظومة ويحتمل ان يراد
بالريح ريحها وبايماض البرق لهبها ولعله العنق الذي يخرج منها لالتقاط
اهلها فلهي اعرف بهم من الوالدة بولدها كما قال صلى الله عليه وسلم
اجارنا الله منها بمنه ثم تلتقطهم لالتقاط الطير حب السمسم او حين تزفر
زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثا على ركبتيه كما في الصحيح
ويدل عليه قوله في الظلماء فانها سوداء مظلمة في الحديث اوقد عليها
الف سنة حتى ابيضت ثم حتى احمرت ثم حتى اسودت فهي سوداء مظلمة
فان قلت خطاب هذا لمن يبكي فظاهر وان قدرته لمن لم يبك فلعله من
تجاهل العارف او من تنزيل الجاهل منزلة العالم لان معه ما ان تأمله
ادنى تامل علم حقيقتهما وعظيم شانهما لقوله تعالى وان كنتم في ريب
خاطبهم بان التي تخاطب بها الشاك وان كان ريبهم محققا تنبيها على انه
لا ينبغي لهم ان يشكوا وانما يفرض شكهم كما يفرض المحالات لا انه الاظهر
وكذا هنا اي ينبغي لكل مكلف ان يبكي مخافة فوت الجنان او مخافة مقاساة

النيران حتى لا يسأل عن بكائه بل عن اخذ النسيين فانه ليس بعد الموت من مستعتب
ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار ولا شك ان البكاء ايسر ويكون
للامرين على ان فوت نعيم الجنان اسهل وايسر من مقاساة عذاب النيران
ادخلنا الله الجنة واجارنا من النار برحمته وانما وقع الابتداء بذكر
الجنة وان كان درء المفاسد اهم لقوله تعالى فيما حكى عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان رحمتي سبقت ويحتمل ان يكون الناظم
اراد بالجيران محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه فان ذكر المحبوب يوجب
بكاء المحب اما لمجرد المحبة فانه لا يتمالك منه وان كان حاضرا واما للاشتياق
لمفارقته او تعظيما واجلالا او غير ذلك ولقد كان كثير من الصحابة رضوان الله
يدركه شبه الموت اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فمنهم من يضطرب ومنهم
من يصفر لونه ومنهم من يغشى عليه كعبد الله بن مسعود وغيره رضوان الله عليهم
وكذا جماعة من التابعين والسلف الصالح حشرنا الله في زمرتهم وامادتنا
على حب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وساير انبيائه عليهم السلام وحبهم ويحتمل
على الوجه الاول ان يكون على الترقي فانه لما ذكر البكاء على الجنة اما خوف
ان لا يدخلها او تأسفا على فراقها حين اخرج منها ادم عليه السلام تذكر
النار واليمها فاضرب عن ذلك واستفهم عن الموجب الاخر وهو خوف النار
لا سيما على القول بانفصال ام على ان هذا التقرير متات مع الاتصال وفي
كلامه ايضا اشارة الى ان الحزن لا ينبغي ان يفارق المكلف لا باطنا كما في
التذكر ولا ظاهرا كما يشاهد بحواسه الظاهرة مما لا ينفك الوجود عنه غالبا
من ريح او برق ليلا ولا نهارا كما عند هبوب الريح من تلقاء كاظمة
فانه لا يتحقق ضوؤها عند التحقيق الا مع النظر اليه لا يكون الا من تلك
الجهة وذلك نهارا ولا ليلا كما عند ايماض البرق في الظلماء او كانه
حذف من الاول ما اثبت نظيره في الثاني اي هبت الريح في الضوء من تلقاء
فيكون فيه على هذا طباق خفي فليحلى هذا ترجمة البديع ومثاله اغرقوا فادخلوا
نارا لان الاغراق يستلزم الماء ويحتمل ان يكون ابتداء في البكاء مصدرا منه

وتوبة مما جنت يد فى سالف الدهر كما انه عليه فى قوله خدمته بمديح
استقيل به ذنوب عمر مضى فى الشعر والخدم او يكون تنبيها منه على انه
لم يبق له رجاء فى كشف ما نزل به الا بالله وان امره بلغ منتهاه مسنى الضر
وانت ارحم الراحمين امن يجيب المضطر اذا دعاه فلولا اذ جاءهم باسنا
تضرعوا وبالجملة فالتزام الحزن والبكاء خوفا من نقم الله لا يسكن الا
قلب تقى كما قال بشر الحافى الخوف ملك لا يسكن الا فى قلب تقى وقال
شاه الكرمانى علامة الخوف من الله الحزن الدائم وقال معاذ بن جبل المؤمن
لا يطمئن قلبه ولا تسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وراء ظهره وقال
سفيان بن عيينة لو ان محزونا بكى فى امة لرحم الله تلك الامة ببكائه
وقال الفضيل خمس من علامات الشقاء القسوة فى القلب وجمود العين
وقلة الحياء والرغبة فى الدنيا وطول الامل وقال بعض السلف
اكثر ما يجد المؤمن فى صحيفته من الحسنات الهم والحزن واكثرهم على المحمود
من الحزن ما يتعلق بالاخرة وقال ابو عثمان الحيرى فى الحزن بكل وجه فضيلة
وراحة للمؤمن الا المعصية لانه لم يوجب تخصيصا يوجب تمحيصا **تنبيه**
قال الحيرى عيب الخائف فى خوفه السكون الى خوفه لانه امر خفى وفى الكلام
من الانشاد اكثر من هذا وفيما ذكرنا مع التوفيق مقنع والله المستعان

فما لعينيك ان قلت اكففا همتا — وما لقلبك ان قلت استفق يهم
ايحسب الصب ان الحب منكتم — ما بين منسجم منه ومضطرم

شرح الغريب اكففا اجبسا عن البكاء كففت الرجل عن الشئ حبسته عنه
وكف عن كذا اذا لم تفعله وهمتا سالتا يقال همى الماء والدمع يهمى هميا
وهميانا اذا سال والعين حاسة الرؤية وهى مؤنثة والجمع اعين وعيون
واعيان وتصغيرها عيينة ومنه قيل ذو العينين للجاسوس ولا تقل
ذو العويتين والقلب الفؤاد وقد يعبر به عن العقل قال الفراء فى قوله تعالى
ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب اى عقل وهو شكل صنوبرى وموضعه
من الجسد وسط الصدر وهو منبع الحيوة وهو يغذى الجسم بالحيوة ولولا القلب

كان الجسم كسائر الاجسام النامية غير الحساسة وهو عنصر الحرارة للجسم وينفذ
فى العرق الشريانى الاحمر ما ينقذه من الدماء وبالجملة هو احد اصول اعضاء الجسم الاربعة
وقال الاصمعى وفى البطن الفؤاد وهو القلب ومنه سويداؤه وهى علقة
سوداء اذا شق القلب بدت سوداء كانها قطعة كبد وحدث سليمان بن حرب
الواشحى قال حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن ابى صالح عن ابى هريرة
قال القلب ملك وللملك جنود فرجلاه بريداه ويداه جناحاه والعينان مسلحه
والاذنان قمع واللسان ترجمان والكبد رحمه والكليتان مكيدة والطحال ضحك
والرية نفس فاذا صلح الملك صلح الجنود واذا فسد الملك فسدت الجنود
واستفق معناه افق قال الجوهرى استفاق من مرضه ومن سكره بمعنى افاق
ويهم مضارع هام على وجهه يهيم هيما وهيمانا ذهب من العشق وغيره
وقلب مستهام اى هائم والهيام كالجنون من العشق وهائم فى العشق لا يدرى اين
يتوجه ويحسب الصب معناه اظن يقال منه حسب يحسب بكسر السين فى الماضى والمستقبل
وهو شاذ ونقل فى التسهيل ان فيه الفتح ايضا والقياس فى فعل كل مكسور العين
فى الماضى ان يفتح عينه فى المضارع الا ما سند بالكسر خاصة وهى الفاظ محفوظة
منها ومق يمق وما جاء بالوجهين منها حسب والصب فعل بكسر العين من الصبابة
وهو رقة العشق وحرارته قال الجوهرى يقال رجل صب عاشق مشتاق
وقيل مستهام وقد صببت يا رجل بالكسر قال ولست بصب الى الظاعنين
اذا ما صديقك لم يصب ولا بد من ذكر بعض ما قيل فى حقيقة الحب والعشق
والفرق بينهما فان الصب هو العاشق المستهام والحب والهوى مترادفان
روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والنظر فانها تزرع فى
القلب شهوة وكفى بها فتنة وقال صلى الله عليه وسلم القلوب اجناد مجندة
ما تعارف منها ويروى الارواح ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف
وعقد ابو نواس فقال ان القلوب لاجناد مجندة لله فى الارض بالاهواء تعترف
فما تعارف منها فهو مؤتلف وما تناكر منها فهو مختلف وعن على رضى الله عنه
آفة العقل الهوى وعن ابن عباس الهوى اله معبود قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه

القلب

حسب

الظن

الحب والهوى

وقال بعضهم الحب صفاء الحال بين المحب وحبيبه وقال بقراط الهوى امتزاج النفس
بالنفس كالماء مثله عسر تخلصه بل لا يمكن والنفس الطف من الماء وارق مسلكا
فلذلك لا يزيله مر الليالي دق عن الاوهام مسلكه وخفي عن الابصار موضعه
وحارت العقول دون كيفيته ويتكون غير ان ابتداء حركته وعظم سلطانه من القلب
ثم يعم الاعضاء فتبدو رعدة الاطراف وصفرة الالوان ولجة الكلام وضعف
الراي وثقل اللسان حتى ينسب صاحبه الى النقص ووصفه اعرابي فقال داء تتداوى
به النفوس الصحاح وتسيل منه الارواح وهو سقم مكتتم وجمر مضطرم
فالقلوب به منضجة والعيون ساكبة قلت ولعل الناظم من قول الاعرابي
اخذ قوله فما العينيك وما القلبيك وعن المظفر بن يحيى احب رجل امراة دونه
في القدر فعذل فقال لا تلم مجبرا على سقمه فالمقهور على نفسه مستغن عن منازعة
خصمه وانما يلام من اقترف ما يقدر على تركه وليس الهوى الى الراي فيملكه ولا الى
العقل فيدبره بل قدرته اغلب وجانبه اعز من نفوذ حيلة حازم فيه ولطف
محتال وعاتبت امراة من المدينة اخرى على هوى لها فقالت يقال في الحكمة
الغابرة لا تلومن من اساء بك الظن اذا جعلت نفسك هدفا للتهمة ومن لم
يكن عونا على نفسه مع خصمه لم يكن معه شيء من عقد الراي ومن اقدم
على هوى وهو يعلم ما فيه من سوء المغبة سلط على نفسه لسان العذل وضيع
الحزم فقالت المعذولة ليس امر الهوى الى الراي فيملكه ولا الى العقل فيدبره
وهو اغلب قدره وامنع جانبا من ان ينفذ فيه حيلة الحازم او ما سمعت قوله
ليس خطب الهوى بخطب يسير لا ينبيك عنه مثل خبير ليس خطب الهوى يدبر
بالراي ولا بالقياس والتفكير انما الامر في الهوى خطرات محدثات الامور
بعد الامور وقالوا العشق اشد واكثر من الحب المكلف واكثر منه الشغف والهيام — العشق
والفرق بين الحب والعشق ان العشق مقرون بالشهوة والحب مجرد عنها غالبا — الحب والعشق
ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال بعض المتكلمين العشق ارادة
تصدر عن فرط ميل اللحظ وكثرة الاستحسان بمناسبة روحانية ومجاذبة مؤلفة
فلكية غير ان الانسان يتعرض فيجيبه انه يقع وهو مخصوص بالشباب فان

اصاب منا قتلك فتنة وذهب كثير من الطبيعيين والمتطببين الى انه طمع
يتولد في القلب وينمى ويسري اليه مواد الحركة فكلما قوي ازداد صاحبه في
الاهتياج واللجاج والتمادي في الفكر والهيمان وضيق الصدر فاذا فسد الفكر
ادى الى الجنون فربما قتل العاشق نفسه او مات غضبا او حزنا او تنفس الصعد
فتختفي روحه في تامور قلبه وينضم القلب عليه فلا ينفرج حتى يموت وربما راى
معشوقه فيموت وانت ترى المحب يصفر لونه ويستحيل عند ذكر من يحب وقال
بعض الاطباء ان سببه تمكن الفراغ وكثرة حديث النفس وهو حرفة البطالين
وفيما قاله نظر وهو مع التعفف شريف روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فمات فهو شهيد وتلا الاخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين والعفاف مع البذل كالاستطاعة
مع الفعل كما قال صريع الغواني وما ذمي الايام ان لست حامدا لعهد لياليها
التي سلفت قبل الا رب يوم صادق العيش نلته بها وندماي العفاف والبذل
وقال نفطويه ليس الظريف بكامل في ظرفه حتى يكون عن الحرام عفيفا
واذا تعفف عن محارم ربه فهناك يدعى في الانام ظريفا والكلام في الحب
وما يتعلق به كثير جدا وغرضنا الايجاز والتنبيه على اوائل الامور منكتم مستتر
اسم فاعل من انكتم مطاوع كتمه فانكتم تقول كتمت الشيء كتما وكتمانا واكتتمه
ايضا وسحاب مكتتم لا رعد فيه وسر كاتم اي مكتوم ومكتم بالتشديد بولغ
في كتمانه واستكتمته سري سالته كتمه وكاتمني كتم عني ورجل كتمة كهمزة للمبالغة
منسجم من سجم الدمع سجوما وسجاما سال وانسجم ايضا فمنسجم اسم فاعل من انسجم
ويستعمل ايضا سجم متعديا فيكون انسجم مطاوعه يقال سجمت العين دمعها
جعلت فيه سجوما واسجمته جعلته ساجما قاله الخليل وعين سجوم وارض مسجومة
اي ممطورة واسجمت صبت قاله الجوهري ومضطرم ملتهب يقال ضرم الشيء
بالكسر اشتد حره وضرم الرجل اشتد جوعه وضرمت النار وتضرمت واضطرمت
اذا التهبت واضرمتها انا وضرمتها شدد للمبالغة وتضرم عليه اي تغضب والطاء
في مضطرم بدل من تاء اصله مضترم على وزن مفتعل وانما ابدلت لانها حرف

مستعل مهموس فتنافرت الضاد الذي هو حرف الاستعلاء والاطباق فيحسن اجتماعهما — لو قال افتعل صصطظ
وكذا يفعل بالتاء مع الطاء في افتعل من الظلم ومع الضاد في افتعل من الصبر
ومنهم من يدغم فيقول اصّبر ويقلب الضاد ومنهم من يقلب الطاء فيقول اطّلم
وكذا في اظّلم واصّبر **التفسير** احسن ما فسّر به البيت الاول ما قيل ان
ما استفهم عنه في البيتين قبله من احد الوجهين للبكاء كان المسؤول انكر ان يكون
بكاؤه لكل منهما فكانه قال لا لواحد من الامرين وهكذا الجواب عما سئل عنه — سؤال وجواب
بالهمزة وام ان انتفاء الامران جميعا كقوله صلى الله عليه وسلم لما قال له ذو اليدين
اقصرت الصلوة ام نسيت كل ذلك لم يكن لان السائل بذلك انما يكون
اعتقاده احد الامرين كاينا فان وافق اعتقاده فالجواب بتعيينه ولا يحصل
الجواب حينئذ بنعم ولا ببلى فان اخطأ في اعتقاده وكان الامران منتفيين
فالجواب بلا كقول الشاعر يقول عجوز مدرجي متروحا على بابها من عند اهلي
وغاديا ازوزجه بالمصر امر ذو خصومة اراك لها بالبصرة العام ثاويا
فقلت لها لا ان اهلي جيرة لاكثبة الدهنا جميعا وماليا وما كنت مذ
ابصرتني في خصومة اراجع فيها يا ابنة القوم قاضيا فلما انكر المسؤول — ما
ان يكون السبب واحدا من الامرين تبين للسائل الخطأ في اعتقاده فابتدأ
السؤال عن حقيقة السبب الموجب سؤال الجاهل بلا معتقد فيه انه احد امرين
وكذا سأل بما فانها للسؤال عن حقيقة الشيء بخلاف سؤاله الاول بالهمزة فانه
لاحد الامرين والفاء جواب شرط مقدر اي ان كان حقا ما انكرت فما لعينيك
اي اي سبب ثبت واوجب لعينيك ان قلت لهما اكففا بكاء وكفا اي احبساه
او كفا عنه همتا اي سالتا دمعا فالتمييز محذوف للعلم اي سال دمعهما فهو
منقول من الفاعل والتقدير همتا بالدمع وهذا يحتمل امرين اما ان يكون
دمعه متمادي السيلان فيكون قوله همتا معناه تمادتا على سيلان
الدمع منهما واما ان يكون بكاؤه على الوصف الموصوف لا لحالة الخلوة وانه لا يجيب
بحضرة احد خشية الواشي فلما اطلع السائل على امره وتعجب من فرط بكائه
وظن انه لاحد امرين وسأله عن ذلك تكلف الكتمان وسمع عنه ميلاد

وانكر ان يكون بكاؤه فضلا عن كونه على احد الامرين وفي ضمن ذلك انكار
ان يكون من المحبين فيكون هذا السؤال الثاني على معنى ان صدقت في انكار
الحب فما لعينيك ان قيل لهما اكففا بادرتا بسيلان الدموع فهل المحب الذي
لا يتمالك على البكاء عند نهي لعاذل اياه لكونه عن العذال في صمم بل ربما
كان النهي تحريضا له على البكاء والخطاب في قوله ان قلت وفي لقلبك كالخطاب
في قوله رجت لانجار عليه فهو اما التفات او تجريد او من مخاطبة الانسان
نفسه او من الخطاب العام وقال بعضهم معنى ان قلت اكففا اي
ان اردت ان يكفا فهو مجاز من اطلاق اللازم وارادة الملزوم فان من اراد
منك فعلا امرك به فصدور الامر بالفعل لازم لارادته غالبا حتى غلط من
قال الفعل بالامر ارادته قلت فالمعتقد اهل السنة ان الامر ليس الارادة
ولا يستلزمها فليس بينهما تلازم ثم اللازم على ما قرر صدور الامر لفظ
والموصوف بالمجاز اللفظ لا صدوره الا ان يقول لفظه لازم صدوره
ولازم اللازم لازم لكن يحتمل ان يقال المجاز المرسل انما يكون بين
اللازم والملزوم الذي لا وسط بينهما وهو ظاهر وقوله وما لقلبك يحتمل
ايضا ان يكون حين تعطى له احد نفسه بطلب قلبه بالاستفاقة وتركا
حاله في الخلوة حال المولّه الذاهب العقل وخص القلب لانه محل العقل — محل العقل
عند اكثر الفقهاء السنيين واقل الحكماء لقوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها
واكثر العلماء الحكماء واقل الفقهاء على انه في الدماغ ومنهم من جمع بين القولين
لما بينهما من الاتصال فان برودة الدماغ تحفظ حرارة القلب ان لا تلتهب وحرارة
القلب تحفظ برودة الدماغ ان لا يكون عنها دماغ لفرط البرودة فسبحان المدبر
الحكيم لكي لا يستطيع مع اخذه اياه بالاستفاقة الا ان يهيم اي يذهب حيرة
ويحتمل ان يكون المعنى ان حالة هيمان قلبه مستدامة فمعنى يهيم اي يتمادى
على هيمانه ثم ان السائل بعد هذا السؤال الثاني تبين له صحة اعتقاده الاول
في ان الموجب له احد الامرين فانه لما لم يجبه بالتعيين عن السؤال الاول وغلط
نفسه وسؤاله عن حقيقة الامر فلم يرد عليه شيئا تبين ان جوابه اولا بمحض الانكار

ويحتمل ان يكون السائل على بصيرة من اول الامر انه بكا، وليس لا لاحد الامرين
نعم لما انكر سلم له تسليما جدليا ونزّل نفسه منزلة الجاهل فساله عن الحقيقة
فلما لم يحر جوابا واقحمه بالسوال المسكت والالزام المبهت رجع الى تحقيق
وتغليطه في انكاره حالة الحب التى لا يخفى فقال منكرا ايحسب الصبا اى يظن
العاشق المستهام اى الذى ولهه الحب ان حبه ينكتم له بين منسجم اى دمع
عين منسجم ومضطرم اى وحر قلب مضطرما او بين منسجم دمعه وهو العين
ومضطرم حره وهو القلب هيهات لا ينكتم له بين دينك ولو كتمه وظن
انه ينكتم بينهما من هيمانه وتدلهه وقوله منه الضمير يعود على الصب اى
من دمعه ومضطرم يعني منه اى من حر قلبه ومن احسن ما ورد في هذا المعنى
المذكور في البيتين من ان الحب لا ينكتم بما انشد القالى قال انشدنا
ابن الانبارى قال انشدنا ابو العباس احمد بن يحيى من كان يزعم
ان الحب ينكتم حتى يشكك فيه فهو كذوب الحب اغلب للفواد
بقهره من ان ترى للستر فيه نصيب واذا بدى سر اللبيب فانه
لم يبد الا والفتى مغلوب انى لابغض عاشقا متسترا لم تتهمه
اعين وقلوب وقال اخر وهو يوافق ما للناظم كم استر الواجد
والاجفان تهتكه واطلق الدمع والاحشاء تمسكه عصى القلب لولا
ان تملكه غيرى فواسفى لو كنت املكه ماضر من لم يدع منى سوى رمق
لو كان يسمح بالباقى ويتركه لهفى على الوصل لو انى ظفرت به ماكل ما يتمنى
المرء يدركه وقال اخر الا ايها القلب الذى قاده الهوى
افق لا اقر الله عينك من قلب ومما يدل على ان الحب لا يخفى هتك الامر
كون من ادعاه وليس هو عليه بما يكذب حكى القشيرى عن جعفر عن الجنيد
قال دفع السرى الى رقعة وقال هذه خير لك من سبعمائة قصة او حديث
تعلو وفي رواية تعلو فاذا فيها فلما ادعيت الكذب قالت كذبتنى فمالى
ارى الاعضاء منك كواسيا فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا وتذبل حتى
لا تجيب المناديا وتنحل حتى لا يبقى لك الهوى سوى مقل تبكى بها وتناديا

مراتب الحب

واول مراتب الحب الهوى ثم العلاقة وهو الحب اللازم للقلب ثم الكلف وهو
شدة الحب ثم العشق وهو اسم لما فضل عن المقدار المسمى بالحب ثم الشعف
وهو احراق الحب للقلب مع لذة يجدها وكذلك اللوعة واللاعج فان ذلك
حرقة الهوى وهذا هو الهوى المحرق ثم الشغف وهو ان يبلغ الحب شغاف القلب
وهى جلدة دونه وقد قرئ بالمهملة والمعجمة ثم الجوى وهو الهوى الباطن
ثم التيتم ويقال التتيم وهو ان يستعبده الحب ومنه سمى تيم الله اى عبد الله

تيم الله

ومنه رجل متيم ثم التبل وهو ان يسقمه الهوى ومنه رجل متبول ثم التدله
وهو ذهاب العقل من الهوى ومنه رجل مدله ثم الهيام ويقال له الهيوم
وهو ان يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه ومنه رجل هايم المعانى
يحتمل الاستفهام بما ان يكون حقيقيا على التفسير المتقدم سواء كان التسليم
حقيقيا او جدليا الا انه على كونه جدليا صورة لا اعتقاد والفاء ان كانت
جواب شرط مقدر كما قدمنا فهى المسماة بالفاء الفصيحة لدلالة المعنى
على المعطوف عليه المحذوف واغنائها عنه نحو التى فى قوله تعالى ان اضرب بعصاك
البحر فانفلق اى فضرب فانفلق الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض
مخضرة اى فيستقر فيها فتنبت النبات فتخضر ونحوه فعدة من ايام اى فافطر
فعليه عدة سببا وهو كثير وفى البيت مجاز الحذف لحذف الشرط المقدر

مجاز الحذف

ويحتمل ان يكون الاستفهام بما انكاريا وهو الظاهر وعلى نحو ما كانت الهمزة
فى امن تذكر جيران على جميع الوجوه المتقدمة وعلى هذا فالفاء عاطفة جملة
استفهامية مراد بالاستفهام فيها الانكار او واحد من المعانى المتقدمة فى امن تذكر
بل هنا مكانه ارقى فى الانكار فان الانكار مع السوال من احد الامرين
اسهل من الانكار مع السوال عن كل موجب وفايدة العطف بالفاء افادة التعقيب
والمبادرة اليه بالانكار خوفا عليه من التلف لاجل بكائه الموصوف وبه
يندفع ما قيل من ان الفاء هنا ان لم تكن جواب شرط محذوف كما تقدم يكون ها
معنى اذ لم يتقدمها سبب يكون ما عطف بها مسببا عنه ولا ما تقتضى الترتيب
والتعقيب واما همزة ايحسب فللانكار ليس غير والمنكر ما وليها من فعل الحسبان

رد احتراس

وفي البيت الاول ايجاز الحذف في اماكن في الفاء في وجه كما قررناه وحسنه الاختصار
وفي قوله ان قلت اكففا همتا فان التقدير ان قلت لهما اكففا دمعكما وفائدة
حذف هذين المعمولين ايهام انهما بمجرد سماع قول القائل فان هذا الخطاب
العام كما قررنا في وجه اكففا يهميان ولا يحتاجان ان يكون ذلك القول لهما
بل متى سمعا اكففا يهميا وان احتمل ان يقال لغيرهما او يقال لهما اكففا عن النظر
مثلا او غير ذلك مما ليس طلب ترك البكاء لانهما لما كانت راحتهما في البكاء
استكانتا اليه والفناه حتى صار لهما كالنديم المخالف فهما يخافان على قرائنه
فلا يسمعان ما يمكن ان يكون زجرا الا صرفاه اليهما وعيناه عن البكا الذي
وان لم يصرح بذلك وكذا البحث في قوله ان قلت استفيقا فان فيه ايجاز الحذف
والتقدير ان قلت له استفق من تدلهك والغاية كالتي في العينين وقوله
استفق لطلب الافاقة لا بمعنى افق لكان المعنى آكد لانه يكون بذلك على انه
لا يحصل له الافاقة الا بعد تكلف طلبها ومما يؤكد هذا المعنى الذي قررناه
جعله همتا ويهيم جوابين لئن قلت فهما لا يتخلفان عن القول كما لا يتخلف الجواب
عن شرطه لان المشروط مقدر عن شرطه وفي البيت الثاني الاحتراس في قوله
اذ لولا هو لتوهم انهما يكونان شاهدين عليه اعني المنسجم والمضطرم وان لم
يكونا منه وفيه ايضا ايجاز الحذف في قوله ان الحب على مذهب البصريين ان
التقدير الحب منه لا على مذهب الكوفيين في ان ال نائبة عن الضمير وفيه التفات
اي حبه ومنه قوله تعالى فان الجنة هي المأوى له على الاول ومأواه
على الثاني ونائبا عن الضمير وفيه التفات من الخطاب المتقدم الى الغيبة فان
اخباره عن الصب اخباره عن الغائب لان الاسم الظاهر بمثابة الضمير الغائب فهذا
الالتفات مثل قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وفائدة الالتفات
ما ذكره اهل الاصول من ان ترتيب الحكم على الوصف مشعر بعليته نحو والسارق
والسارقة فاقطعوا ايديهما وهو هنا كذلك فانه لما انكر عليه الكتمان
كان حرضه على افشاء الحب لانه لا يليق بحال الصب وكتمان الصب الحب لا يليق
كما تقدم فاتى بلفظ الصب ليشعر بذلك ولو لم يحسب لفات حسن التنبيه

على التعليل لهذا الحكم بهذه العلة لان الضماير جامدة لا رايحة فيها للسببية ويقوي
ان هذا قصده عوده الى الخطاب في البيت بعده وجعل بعضهم ما من قوله ما بين
موصولة وصلتها ما بعدها قال وفائدة الصلة تنبيه السامع على خطائه
نحو قوله ان الذين ترونهم اخوانكم يشفي غليل صدورهم ان تصرعوا
وهنا لما انكر الصب كونه بكاء لاحد السببين وغفل عن ان شهادة دمعه
ولوعة قلبه عليه لا يسمع معهما انكار واخطأ في هذا نبه ما بين منسجم انتهى
قلت والذي يذكره اهل علم المعاني يكون لتنبيه المخاطب على خطأ في
اعتقاده تعريف المسند اليه او ما في حكمه بالموصولية نحو البيت المذكور وهنا
لو لم يذكر ما اصلا لفهم المعنى فالمفيد لذلك ما اضيفت اليه بين لا ما ولا بين التي
هي الصلة كما زعم ثم الظاهر ان ما زايدة كما ياتي وفيه الحشو فان ما من قوله
ما بين زايدة على الاظهر لكن زيادتها مع بين كثير لا سيما وضرورة الوزن
داعية هنا اليه البيان في البيت الاول تشبيه العينين بباكيتين وتنزيلها
منزلة المخاطبين يعقلون الخطاب لان ادراك العين اظهر من ادراك ساير الجوارح
فكانها الذات ولذلك يقال جاء فلان عينه اي ذاته وتشبيه القلب بمخاطب
ووجه التشبيه فيه اظهر فانه الملك كما تقدم وفي الصحيح الا وان في الجسد
مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله الحديث وفيه المجاز المرسل على رأي من فسر
ان قلت بان اردت وتقدم ما فيه وفي البيت الثاني مجاز الحذف اي من دمع
نحو واسئل القرية وفيه الحذف من الاواخر لدلالة الاوايل فان التقدير
ومضطرم منه نحو والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اي كثيرا وفي منه
المقدر مجاز الحذف اي من حرج قلبه نحو من اثر الرسول اي اثر حافر فرسه
البديع في البيت الاول المطابقة وتسمى الطباق والتضاد وهو الجمع بين
ضدين او متقابلين في الجملة ويكون بين اسمين نحو وتحسبهم ايقاظا
وهم رقود وبين فعلين نحو يؤتي الملك من يشاء الاية وبين حرفين
نحو لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وبين مختلفين نحو او من كان ميتا
فاحييناه وهو في البيت بين اكففا همتا وبين استفق يهم وفيه مراعاة النظير

المطابقة والطباق والتضاد

مراعاة النظير

لجمعه بين العين والقلب وفيه ايضا الموازنة وهي تساوي الكلمتين وزنا لا بتقفيه فان كان في احديهما او اكثره مثل ما يقابله من الاخرى خص باسم المماثلة نحو ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة واتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم ومنه قول ابي تمام مها الوحش الا ان هاتا اوانس قنا الخط الا ان تلك ذوابل وهو في البيت الاول فان كل كلمة من السطر الاول موازنة لنظيرها من السطر الاخير الا لفظي عينيك وقلبك فانه من موازنة الاكثر وفيه ايضا نوع من التقسيم وهو الذي تذكر فيه احوال الشيء مضافا الى كل حال ما يليق به كقول المتنبي

سأطلب حقي بالقنا ومشايخ ... كأنهم من طول ما التثموا مرد
ثقال اذا لاقوا خفاف اذا دعوا ... كثير اذا شدوا قليل اذا عدوا

وهو هنا لما خاطب الرجل اولا قسم ثانيا احوال عينيه وقلبه فقال ما لعينيك كذا وما لقلبك كذا وفيه التجنيس الشبيه بالاشتقاق في همتا وهيم وفي البيتين معا المذهب الكلامي وهو ايراد المتكلم حجة لما يدعيه على طريقة المتكلمين نحو لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وهو في القرآن كثير ومنه قول النابغة

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة ... لمبلغك الواشي اغش واكذب
ولكنني كنت امرأ لي جانب ... من الارض فيه مستراد ومذهب
ملوك واخوان اذا ما مدحتهم ... احكم في اموالهم واقرب
كفعلك في قوم اراك اصطنعتهم ... فلم ترهم في مدحهم لك اذنبوا

اي فكما ان مدح من مدحك لاكرامك اياه لا يعد ذنبا فكذا مدحي من اكرمني وهو في البيتين اما في الاول فانه لما انكر الزامه فبسؤال مسكت واما في الثاني فقوله احسب الصبابة لا يبيع الانكار مع شاهدي الدمع ولازم اضطرام القلب وهو السقم فتمت الحجة للسائل فكان من المذهب الكلامي وفي البيت الثاني القسم الاول من اقسام حسن التعليل الاربعة وهو على التقريب ان يدعى لوصف ثابت كونه علة الحكم وذلك في لفظ الصب على ما قررناه في ترجمة علم المعاني

الموازنة والمماثلة

التجنيس

المذهب الكلامي

حسن التعليل

في فائدة الالتفات بالصب ومنه قول ابي الطيب لم تحك نائلك السحاب وانما حمت به فصبيبها الرحضاء وقول ابي تمام لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي وفيه التجنيس اللاحق وهو اختلاف كلمتين بحرف واحد وليس احدهما بمقارب للآخر في المخرج نحو بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون وقول البحتري هل لما فات من تلاق تلاف ام لشاك من الصبابة شاف لكن يشترط في حروف الكلمتين اتفاق الهيئات وما وجدته في البيت مختلف وذلك قوله الصب والحب ادنى من هذا النوع ومن نوع يقال له المحرف وهو ما يتفق حروف كلماته وتختلف هيئاتها نحو جبة البرد جنة البرد وفيه ايضا الطباق والخفي من قوله منسي ومصطبر وفيه الموازنة في كلمات منكتم ومنسي ومصطبر الاعراب تقدير الكلام في الفاء اهي جواب ام او عاطفة وتقدم ان ما استفهامية وهو مبتداء والخبر لعينيك واكففا فعل امر وفاعل في موضع نصب مفعول لقلت وهمتا فعل ماض وفاعل في موضع جزم جواب ان كما ان جملة قلت في موضع جزم بان والظاهر ان جملة الشرط والجزاء تفسير للجملة الاولى فلا محل لها لانها تفسيرية كما ان الاولى كذلك لانها مستأنفة او معطوفة على المستأنفة وقوله اكففا بالفك هي لغة الحجازيين في الفعل المضعف اللام الساكنها جزما نحو لم يكفف او وقفا نحو اكفف وبنو تميم يستصحبون الادغام فيهما فيقولون لم تكف وكفا ولا يأتون بهمزة وصل للاستغناء عنها بحركة ما قبل المضعف وقال بعضهم ان ان من قوله ان قلت غاية لظهور منافرة الشرط للجزاء نحو ان تستغفر لهم سبعين مرة الاية وكقوله صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فتأمل هذا الكلام وهذا النظر فان البحث فيه يطول وذهب جماعة من المحصلين الى ان جملة الشرط والجواب في موضع نصب على الحال والتقدير عند بعضهم اي ما لعينيك في هذه الحال تعجبا منه واجابوا عن كون فعل الشرط والجزاء حالين لان ان تخلصهما للاستقبال والحال ينافي الاستقبال بانها حال مقدرة نحو مررت بالرجل ومعه صقر صائدا به غدا اي مقدرا به الصيد غدا

التجنيس اللاحق

التجنيس المحرف

حالية الشرطية

قلت انما حملهم على جعل الحال مقدرة في المثال وروده منصوبا ولا وجه لمنع الا
ان يكون حالا اقا ولو اذكر التاويل او خبر كان مضمرة لكنه رأي كوفي على ان بعض
المحققين رد المقدرة الى المقارنة وان معنى صائدا به غدا اي ناويا الآن الصيد
غدا واما الجمل فلا ضرورة الى ادعاء ذلك فيها على انهم جعلوا من شروط وقوع
الجملة حالا ان لا تكون مفتتحة بدليل استقبال فلو جوزنا مثل ذلك فيها لبطل
هذا الضابط فالاولى في اعرابها ما قدمناه واعراب الشطر الثاني كاعراب الاول
الا ان يهم فعل مضارع مجزوم وكسرت ميمه لالتقاء الساكنين قبل كسرة عينا وهو حرف الردف
مع الياء التي بنا عليه القصيدة ويسمى حرف الوصل وتقدم ان همزة ايحسب للانكار
ويحسب بمعنى يظن وان الحب منكتم وان ومعمولاها في موضع مفعولي يحسب وما في
قوله ما بين زايدة وبين ظرف زمان ان اضيف الى الزمان ومكان ان اضيف الى المكان
والعامل فيه منكتم ويحتمل على بعد وتكلف كون ما موصولة او نكرة موصوفة وهي ايضا
صفة لموصوف محذوف تقديره على الاول في المكان الذي ثبت بين وعلى الثاني
في مكان ثابت بين وبين صلة على الاول وصفة على الثاني ومنه صفة لمنسجم
وضميره يعود على الصب ومن لابتداء الغاية ويحتمل تعلق منه بمنسجم

حرف الردف وحرف الوصل

الاشارات تقدم في قوله امن تذكر جيران ان الاشارة الى الحض على البكاء
واستدامته لطي الغيب عنا فيما يريد بنا من امور الآخرة وبلا شك ان الذي
لا يبكي للآخرة هو المستغرق في احوال الدنيا المغرق في بحارها فكان المعنى في
البيتين الاولين هكذا ينبغي ان يكون حال المرء ان يكون بكاؤه حنينا الى الجنة
التي هي ذو سلم او خوفا من النار التي هي كاظمة لا من بكى لتذكر جيران من
اهل الدنيا او هبوب ريح من تلقاء ديارهم او يصرف همته الى ظاهر زخرف
الدنيا وبهاء رونقها ولذيذ جنا ثمرها وقد سكرت ابصار قلوبنا فتعامت
عن النظر الى قبيح عيوبها فالها فهم في لذاتها منغمسون وفي مهلكة فتنتها
متورطون مع علمهم بسوء عواقب حظها وتجرع مرارة شربها وسرعة
استرجاعها ما وهبت واخراجها عما ملكت فليس ينجو منها الا من جردها
ولا يهلك فيها الا من امنها وكذلك صورة الهوى فهما في الفتنة سوا

فان كابر

فان كابر هذا الناظم مكابرا ونافر وعظه منافرا زعما منه ان حاله على الجادة
المستقيمة وبكاؤه على الطريقة القويمة ناسب ان يبادر بقوله فما لعينيك
اي فما لهما تتطاولان الى رؤية الدنيا وزخرفها ولا يغني لك شيء من قلامة
ظفر من جيفتها الا ما كتب عليه والله سبحانه وتعالى يقول لاكرم خلقه عليه
ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه
ورزق ربك خير وابقى الى قوله والعاقبة للتقوى وما لهما ان قلت
لهما اكففا عن نظرها وتعلق بالكما بما يطغى لم يرتدعا ذلك الا لسرعة هيمان
الى الدخول فيها كما يهمي الماء الى مركزه وما لقلبك الذي هو اصل جسمك وصلاحه
صلاحه وفساده فساده اذا قلت له استفق من توله حب الدنيا
واعقل ما كلفت به من الاشتغال بامور آخرتك لم يرتده ذلك الا هيمانا
ثم قال انكارا لا انكاره ايحسب العاشق للدنيا المستهام بها ان حبه اياها
ينكتم له بين ارسال عينيه اليها • واضطرام قلبه عليها • لا يكون ذلك
ويحتمل ان يكون اشارة الى ما هو ارفع من ذلك وهو ان من حاله البكاء من امور
اخرته او مما تمكن من قلبه من حب مولاه حقه ان يكتم ذلك ولا يفشيه
وان كان المطلع عليه يذيع ذلك ويستوشيه ويقول له فما لعينيك الى
آخر ما يقول يحكيه كما يفعل اهل الحب ويحتمل على نمط ما تقدم ان يكون
قوله ايحسب الى آخره اشارة الى ان من احب الجنة وهي تتجشم انهارها ومن خاف
من النار التي تضطرم نيرانها لا يخفى حبه بين تذكر حصول ما يرجو والنجاة مما
فمنسجم راجع لذي سلم ومضطرم لكاظمة فهو من اللف والنشر المرتب
فليلحق بترجمة البديع والكلام في الاشارات لا يفي به العبارات • فيكفي الاقتصار
على ادناها • اذ لا سبيل الى منتهاها وانما سميت الاشارة اشارة لانها
تغني عن العبارة وفي الاشارة ما يغني عن الكلم ص

لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل ولا ارقت لذكر البان والعلم
ولا اعارتك لوني عبرة وضنا ذكرى الخيام وذكرى ساكني الخيم

شرح الغريب الهوى مقصور هوى النفس وتقدم انه الحب وجمعه اهواء

ويقال في الفعل منه هوي بالكسر يهوى هوًى اي احب واما هوى بالفتح يهوي
هويا فقال الاصمعي معناه سقط وسمعت الامام العلامة محب الدين محمد بن الامام
جمال الدين عبد الله بن هشام المصري رحمهما الله يقول لا تقوا المكسور فانه
يؤدي الى المفتوح وهذا الشيء اهوى الي من كذا اي احب وقال بعضهم الهوى
اول مراتب الحب واراقة الحب الدمع صبه يقال اراق واصله ارْوَق فنقلت حركة
عين الفعل المعتلة الى الساكن الصحيح قبلها لانه اولى بالحركة ثم قلبت الواو
الساكنة الفا لفتح ما قبلها وبعضهم يقول تحركت الواو في الاصل وانفتح ما قبلها
في الحال فقلبت الفا فصار اراق والمضارع يريق واصله يأروِق فحذفت الهمزة
وهذا الشان في مضارع افعل لانها حذفت مع همزة المتكلم استثقالا وحمل
سائر الحروف المضارعة عليها ليجري الباب على سنن واحد ثم نقلت حركة الواو
الى الراء الساكنة كما في الماضي فوقعت واو ساكنة قبلها كسرة فابدلت ياء كما في
من الوعد ولما دخل الجازم في كلام الناظم حذفت لالتقائها ساكنة مع سكون
القاف للجزم وارقت الدمع تريقه صببته وراق الدمع يريق اي انصب كذا وجدت
في شرح شيخنا ابي العباس والطلل الشخص من اثار الدار اي ارتفع والجمع اطلال
وطلول وقال بعض الاشياخ الطلل ما يجاور الدار وينسب اليها كالدكان
يجلس عليها ولا ادري من اين نقل هذا التفسير واللايق من معاني اهل هنا
على ما ذكر الشيخ البعدية ويحتمل ان يكون للكثرة كاضب المكان كثر ضبابه
او للصيرورة كاغد البعير اي صار ذا غدة والارق السهر وقد ارقت بالكسر اي
وكذلك ايترقت على افتعلت فانا ارق واعنى سهر البان ضرب من الشجر واحده
بانة وهي طيبة الريح رخصة الاغصان قال امرؤ القيس برهرهة رؤدة رخصة
كخرعوبة البانة المنفطر ويعمل منه دهن يعرف بدهن البان واظنه الذي
سماه في المدونة الزنبق وقال بعضهم انه يسمى الغالية قال واما ما تسميه
العامة الغالية فتلك لزينة فغرق بينهما وفي بعض الشروح البان من ذوات الياء
قلت وانما ذكره الجوهري في مادة بون والعلم هنا قالوا الجبل وقيد بعضهم
بالطويل قال اذا قطعن علما بدا علم والعلم ايضا علم والراية اعارتك

رنسب لابن هشام

يقولا تقوا المكسور فانه يؤدي الى المفتوح

البان

الغالية

من العارية

من العارية بتشديد اليا قال الجوهري كانها منسوبة الى العار لان طلبها عار
وعيب قال انما انفسنا عارية والعواري قضاء ان ترد وقال الخطابي
مما يجب ان تثقل والرواة يخففونه قوله صلى الله عليه وسلم العارية مردودة
ولذلك جمعها وهي اللغة العالية قال وقد يقال ايضا عارية وعارة
وقال الجوهري العارة مثل العارية قال ابن مقبل فاخلف واتلف انما المال
عارة وكله مع الدهر الذي هو اكله كذا نسب الجوهري البيت لابن مقبل
وزعم المبرد انه لعبد الله بن همام السلولي وانشد بعده فاهون
مفقود وايسر هالك على الحي لا يبلغ اليه انا ثله قال الجوهري
يقال هم يتعورون العواري بينهم واستعاره ثوبا فاعاره اياه وقد قيل
مستعار بمعنى متعاور اي متداول انتهى قال بعضهم ولو كانت منسوبة
الى العار كما زعم لقالوا يتعيرون فالعارية من المعاورة وهي الاخذ والاعطاء
يقال الجيران يتعاورون الاواني اذا اردت المعاورة ما استعار قال ذو الرمة
وسقط كعين الديك عاورت صحبتي ابناها كما ترى واو وعين العادة
قال النابغة وعيرتني بنو ذبيان البيت وقال شيخنا ابو العباس
العارية ما تداولته مع غيرك تقول استعرته ثوبا فاعارنيه اي طلبته
مداولة فغعل قلت وفي هذا التفسير تخصيص فلا يسلم من عدم الانعكاس
اي الجمع فتامله وحقيقتها شرعا على التقريب عليك منافع العين بغير عوض
واللون هيئة كالسواد والحمرة وهو من الاعراض كالالوان ونفاه بعضهم
والمثبتون له اختلفوا في انواعه هل كل اصل بنفسه او بعضها اصول وبعضها
متفرع عنها كما اختلف هولاء في الاصل منها ما هو ومحل هذه الابحاث علم الكلام
والحكمة واللون ايضا النوع وفلان متلون لا يثبت على خلق واحد ولون
البسر تلوينا بدا فيه النضج العبرة بفتح العين تحلب الدمع اي سيلانه من قولهم
تحلب العرق سال وقيل وسميت الدمعة عبرة لمجاوزتها العين الى الخد
لان العبور المجاوزة وتقول منه عبر الرجل بكسر الثاء يعبر عبرا بفتحها فيهما
اي سال دمعه فهو عابر وعبرت عينه واستعبرت دمعت والعبران الباكي

مبحث الغالية

انما الدنيا عوار وهبات وسرور
ترح بعد رخاء ورخاء بعد شدة

والعبر بالتحريك سخنة فى العين تبكيها والعُبر بالضم مثله يقال لامه العُبر والعَبر
ورأى فلان عُبر عينيه اى ما يسخنها والضنى المرض يقال ضنى بالكسر اى مرض مرضا
فهو ضنى نحو حرى حرى فهو حرٍ يقال ـــــ تركته ضنى فيستوى فيه المذكر
والمؤنث والواحد والجمع لانه مصدر فى الاصل وضنيا فيختص ويثنى ويجمع
نحو واضناه المرض اثقله والذكرى والذكرة والذكر ضد النسيان الشئ وضد الغفلة
عنه وقد تقدم فى اول بيت الخيام جمع خيمة وهو بيت تبنيه العرب من عيدان
الشجر ويجمع ايضا خيمات وخيم كبدرة وبدر والخيم مثل الخيمة قال النابغة
فلم يبق الا آل خيم منضد وثم على عرش الخيام غسيل والجمع ايضا خيام
كفرخ وافراخ وخيمه جعله كالخيمة وخيم بالمكان اقام وتخيم بر ضرب
خيمته به هذا كله نقل الجوهرى ونقل بعضهم عن ابى منصور ان الخيمة
خبا من صوف والخيم جمع خيمة ايضا كما تقدم وقال بعض اشياخنا خيم
القوم محل اقامتهم خيم بالمكان اذا اقام به قلت فظاهره انه الجهة التى
يسكونها من الارض فتأمله التفسير لما انكر على الصب ظنه ان حبه
يخفى بين سجم الدمع وظهور اثر حرارة القلب المفرط قدرنا كان الصب
تمادى على انكاره وكتمانه فكان قائلا يقول والصب نفسه يقول الحب مخفى
من علامات الحب شئ فماذا زعمت نسبتى اليه وانى كتمته وما دليلك
على ذلك وكان الانكار الاول الذى قدرناه عند قوله فما لعينيك انكار
لسبب البكاء ان يكون هو ما ذكره السائل ولذا اعاد السؤال خاصة فلما
لم يجبه انكر عليه ظن خفاء الحب وحقق نسبته اليه واضافه فانكر
المخاطب انكارا ثانيا نفى به اصل المحبة وطالب من نسبه الى ذلك بالدليل
وكان المسئول قال ـــــ للسائل سلمنا انكارك على الصب ظنه خفاء حبه
لكنى لست بصب فما الدليل على ذلك فقال السائل لولا وجود الهوى
لديك لما صبيت دمعك على طلل الاحباب اى فى طللهم اذ اقتحنا انه
شاهد يبكى بين الاطلال ومن اجل ان ذكرت او ذكرت لك اطلال
الاحباب وهذا الثانى اظهر فان ذكر غيره يكون لسانيا فيبكى الصب

عند

عند سماعه فيطلع العاذل عليه واما ذكر الصب الاطلال فلا يكون الا لسانيا
لما قصد من الكتمان وحينئذ ما الذى يطلع العاذل عليه الان يقال علم ذلك
من بكائه لا يقال اسباب البكاء كثيرة فما الذى يدرى العاذل ان بكاءه هنا من تذكر
اطلال الاحباب بقلبه لانا نقول قد يدعى حصرها بالسبر والتقسيم فى الايلام
الظاهر والباطن فاذا انتفى الظاهر بالمشاهدة لانتفاء اسبابه
لم يبق الا الباطن وليس هو بعد السبر والتقسيم الا المحبة ويحتمل ان
يكون ذكر الصب الاطلال لسانيا لان فكره لما تعلق بها فلا بد ان ينطق
لسانه بها لان من احب شيئا اكثر ذكره فيفيض دمعه حينئذ فان قلت
وكيف يسعه الانكار مع الذكر اللسانى قلت كما وسعه مع الشواهد المذكورة
وايضا فانه لا يتفطن بما يصدر منه لشغله ثم اردف هذا الدليل باخر
فقال ولا ارقت اى ولولا الهوى لم تسهر لذكر البان وهو شجر بلاد
الاحبة والعلم وهو من جبالهم وانما اورث ذكرهما السهر لان الحب كثير
حرارته كما قررنا فيفنى رطوبات دماغه التى هى من صعود الابخرة من المعدة
اليه وانما يكون النوم من تلك الرطوبات اذا كثرت فيجمد هنالك ويكون
عنها النوم والسبات ولذا ينعكس الحرارة عند النوم الى داخل الجسد
وسببها الاعظم كثرة الطعام والشراب لاشتغال الحرارة بهضمها فيضعف
ما يصل منها الى الدماغ ويكثر فيه ما يفر امام الحرارة من الرطوبات الباردة
فيجمد لذلك وينام والمحب الذى الهاه حبه عن الاكل والشرب وتضاعفت
حرارته الغريزية بالغريبة التى اكتسبها من لوعة الحب وحرقته تفنى رطوباتها
بها فلا ينام لاسيما عند تذكر معاهد الاحباب وذكرها ملازم لمن احب
شيئا اكثر من ذكره وكذا ايضا يكون ناحل الجسم مصفر اللون كصاحب المرض
الذى يسمى الذبول وقوله لذكر البان والعلم يحتمل ايضا ذكره او ذكر غيره
والبحث فيه كالذى قبله ثم اردف هذا الدليل بدليل ثالث فقال ولا
عرتك اى ولولا الهوى لم يعرك اى لم يعطك على سبيل العارية ذكرى الخيام
وذكرى ساكنيها لونى العبرة والضنا اى نوعيها فاللون هنا النوع فكانه شبه

حكمة السهر والنوم

نوعي العبرة والضنا بلباسين اعارهما ذكرى الخيام وذكرى ساكني الخيم للصب
ووجه التشبيه ان اثار الحب زينة للصب يتزين بها كما يتزين باللباس
فرقة جسمه وصفرة لونه كثوب بديع الرقة والصبغ وذلك لونا الضنى اي
نوعه وانسجام دمعه سمطين سمطين او اكثر على النحر مشابه الدر المعلق
عليه وذلك لون العبرة اي نوعها قال امرؤ القيس ففاضت دموع العين
مني صبابة على النحر حتى بل دمعي محملي وقال آخر ما علق الدر على نحرها
الا لما تخشى من العبرة ويروى قوله لونين لوني وهو حينئذ استعارة
ترشيحية وعلى رواية لوني استعارة بالكناية كما ترى الفرق بينهما في علم
البيان انشاء الله تعالى وفي قوله ذكرى الخيام وذكرى ساكني الخيم من البحث
من البحث في الذكر من هو ما تقدم ويحتمل ان يكون المراد اللون الذي هو [illegible]
وهو متمكن في الضنى فلون في العبرة الا ان يريد كون الدمع نفسه فان اراد
الصافي شبه بالدر وان اراد الممزوج بالدم شبه بالعقيق لا بالدر كما تقدم
في ابيات العماد الحاجري في شرح اول بيت من القصيد وبكاء الديار
من اجل الهوى منزع عند الشعراء قديم وطريق تواتروا عليه مستقيم
وافتضاح حبهم من اجل ذلك ظاهر واستدلال الوشاة العاذلين
عليهم بسلوكها دليل باهر قال مرداس بن هباس الطائي سقى الله
اطلالا باخيه الحبي فانكن قد ابدين للناس ما بيا منازل لو مرت
بهن جنازتي لقال صداي حاملي انزلا بيا المعاني الالف
واللام في الهوى يحتمل الجنس اي لولا هذه الحقيقة والعهد اي لولا هواك
وفي قوله لم ترق التفات من الغيبة التي في لفظ الصب الى الخطاب نحو ملك
يوم الدين اياك نعبد وقول ابن عنمة ما ان ترى السيد زيدا في نفوسهم
كما يراه بنو كرز ومرهوب ان تسألوا الحق يعطي الحق سائله والدرع
محقبة والسيف مقروب والتنكير في دمعا للتعظيم او النوعية كما تقدم
وكذلك تنكير طلل مع احتمال التقليل فيه او التحقير عند غير الباكي
كما يحتمل دمعا التقليل عند الباكي وتنكير عبرة وضنى كتنكير دمعا

واعلم

(قصد المخبر بحكم اولازمه) واعلم ان قصد المخبر لمن يخبره اما افادة الخبر كقولك زيد قايم لمن لا يعلم ذلك
او لازمه كقولك لمن حفظ القرآن حفظت القرآن اعلاما منك له بانك علمت ذلك
ويسمى الاول فايدة الخبر والثاني لازم فايدة الخبر وهذا الاخبار من العاذل
للمحب من لازم فايدة الخبر فان المخاطب يعلم انه لولا الهوى لما اراق الى آخره
ولولا هذه القصد لامتنع الاخبار وكذا يمتنع الاخبار بالمعلوم نحو النار حارة
ويحتمل ان يكون هذا الاخبار من تنزيل العالم بفايدة الخبر ولازم فايدته منزلة
الجاهل لعدم جريه على موجب العلم نحو ولقد علموا لمن اشتراه ثم قال تعالى
لو كانوا يعلمون فنفى آخرا ما اثبت لهم من العلم اولا لعدم جريهم على موجبه
وهو كثير وفي كلام بعضهم ان ههنا قسما ثالثا يفيد الاخبار وهو فايدة
الخبر ولازم فايدته جميعا بخبر واحد وانظر كيف يتصور هذا بعد احاطتك
بحقيقة الامرين وفي البيت الاول ايجاز الحذف اذ التقدير حد من عينيك على طلل
لاحبابك ولا ارقت ليلك وقيل لا يعلق ارقت بمفعول فيه وهو اولى
ليعم السهر اوقاته وانه لا ينام ليلا ولا نهارا وانما قدم المفعول في البيت الثاني
وهو لون في عبرة على الفاعل وهو ذكرى لامرين الاول القافية الثاني ان تقديمه
عند العاذل المخاصم اهم لانه به تقوم الحجة فان قيل على الاول لو قدم
ذكر الخيام ثم ذكر المفعول ثم ذكر وذكرى الثاني يحصل المطلوب من القافية
(الاسناد المجازي) قيل يؤدي الى الفصل بين المتعاطفين باجنبي وانما كرر ذكرى ساكني الخيم وله
يقل لاجل قصد التكثير كقوله لو عد قبر وقبر كنت اكرمهم واسناد اعارتك
الى ذكرى الخيام من الاسناد المجازي ويسمى اسنادا عقليا ومجازا في التركيب وقد
(ايقاع الظاهر موقع المضمر) تقدم في قوله مزجت وهو هنا من اسناد الفعل الى سببه وفي قوله الخيم [illegible]
ايقاع الظاهر موقع المضمر وفايدته قصد التعظيم او القافية او ما ياتي من
(مطلب الاستعارات) فوايد التكرير في فصل البديع **البيان** قوله في البيت الثاني ولا اعارتك
استعارة بالكناية ويسمى ايضا مكنيا عنها ويلازمها استعارة تخييلية وحقيقتها
ان يضمر التشبيه في النفس ولا يذكر شيء من اركانه سوى المشبه ويدل على التشبيه
بان يثبت للمشبه شيء مختص بالمشبه به فيسمى التشبيه استعارة بالكناية او مكنيا [illegible]

ويسمى اثبات ذلك الشيء للمشبه استعارة تخييلية ومثاله قول الهذلي
واذا المنية انشبت اظفارها • الفيت كل تميمة لا تنفع فانه شبه المنية
بالسبع في اغتيال النفوس قهرا من غير تفرقة بين نفاع وضرار ولم يذكر الا المشبه
لكنه اثبت له ما هو مختص بالمشبه به وهو الاظفار التي لا يكمل الاغتيال فيه
الا بها مبالغة في التشبيه ومنه قول الاخر • ولئن نطقت بشكر برك مفصحا •
فلسان حالي بالشكاية انطق • فشبه الحال بانسان ناطق لم يذكره واثبت
احواله لحال اللسان وهو هنا تشبيه لوني العبرة والضنا بلباسين ولم يذكرا
لكن ذكر ما هو من احوالهما وهو العارية فتشبيه اللونين باللباسين هو الاستعارة
بالكناية واثبات العارية لهما استعارة تخييلية كما ان اثبات اللسان للحال
هو التخييلية الا ان العارية لا زم اعم فلا تلزم دلالة لها على اللباسين واما على
رواية ثوبي فهي استعارة تحقيقية وهي من اقسامها الثلثة ترشيحية وهي التي
تقرن بما يلايم المستعار منه نحو قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى فما ربحت تجارتهم فانه استعير الشراء لتبديل الهدى بالضلالة لان الاشتراء
تبديل الثمن بالمثمون وقرنت بالربح والتجارة الذين يلايمان الشراء وهو المستعار
ومنه قوله ينازعني ردائي عبد عمرو • رويدك يا اخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني • فدونك فاعتجر منه بشطر • استعار الرداء
للسيف واثبت له الاعتجار وهو من صفة الرداء ومنه قوله • غمر الرداء
اذا تبسم ضاحكا • غلقت لضحكته رقاب المال • استعار الرداء للمعروف
لانه يصون صاحبه كالرداء وقرنه بالغمر الذي يلايم الرداء ومن المعنى المذكور
هنا فاذاقها الله لباس الجوع والخوف فالزمخشري يجعلها عقلية
والسكاكي يجعلها حسية والاستعارة في الاية الكريمة اظهر وفيها كلام طويل
وقد يقال ان ما في البيت على هذه الرواية ليس باستعارة لذكر المشبه به والاستعارة
مبناها على تناسي التشبيه بل يسمى هذا النوع تشبيها بليغا عند المحققين
وتضمن قوله ولا اعارتك ثوبي عبرة وضنا الى اخره مجازات ثلثة مجاز تركيبي
في اسناد اعار الى ذكرى ومجازان افراديان في تسمية لوني العبرة والضنى ثوبين

واذ

قال بعضهم وهي كلها استعارات علاقتها الشبه ونظيره في جمع ثلث تشبيهات
في كلام واحد قوله نشرت غدائر شعرها لتجنني • خوفا علي من الرقيب المحنق
فكانني وكانها وكانه صبحان باتا تحت ليل مطبق قلت وفي كون المجاز
الاسنادي من الاستعارة بحث طويل • وهو مذهب لبعضهم واما نظيره ما
للناظم بالبيت الذي انشد فغير مطابق فان لوني عبرة وضنى استعارة كما قررنا
وما في البيت تشبيه صريح ليس من الاستعارة في شيء لذكر طرفي التشبيه والاداة
ويقرب في هذا البيت مما يسميه بعضهم النظير وهو ان يؤتى في الكلام بمواضع
متقابلة كانها طراز وهو ايضا من اللف والنشر **البديع** في البيتين المذهب
الكلامي وتقريره لو لم تكن ذا هوى لما ارقت ولا اعارتك فاذا استثني نقيض التالي
بان يقول لكنك ارقت وارقت واعارتك انتج له نقيض المقدم اي فانت ذا هوى
وفي البيت الاول التجنيس الشبيه بالاشتقاق في يرق وارقت وفيه الموازنة في الاصل
بين البان والعلم وفيهما مراعاة النظير كانه قال الشجر والجبال وفي الثاني
مراعاة النظير لجمعه بين العبرة والضنى وفيه التجنيس الناقص في الخيام والخيم
في وجه وفيه التام في ذكرى وذكري لتغاير المذكورين وفيه نظر
قال بعضهم في ذكري الخيام الى اخره الترديد وهو ذكر اللفظ مع اتحاد
معناه اذا كان لفظا ذكري مقصورين وهو فيهما وفي لفظ الخيام والخيم ومنه
قول الشاعر فليعجب الناس مني ان لي بدنا • لا روح فيه ولي روح بلا بدن •
قلت الترديد هو الذي يسميه الطيبي وغيره التكرير وهو اقسام كثيرة لمقاصد
شتى والذي يليق منها هنا تثبيت المعنى وتحقيقه وهو قريب من التكرار
اللفظي عند النحاة الا ان الغرض عند النحاة لفظي ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
ان بني هاشم استاذنوني ان ينكحوا ابنتهم عليا فلا اذن لهم ثم لا اذن لهم ثم لا اذن لهم
الحديث كرر لما وجد من الغضب لجمع بين بنت ولي الله وبنت عدو الله واما
تنظيره بالبيت فغير مطابق بل البيت من نوع يقال له العكس والتبديل وهو اقسام
ومنه قوله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وما عليك من حسابهم من شيء
الاية وقول المتنبي ولا مجد في الدنيا لمن قل ماله • ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

تشبيه بوجه وشعر

النظير

الترديد

وقول الاخر ان الليالى للانام مناهل • تطوى وتنشر دونها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار • وفى الثانى
الطباق الخفى فى جمعه بين العبرة والضنى فان العبرة الدمع وهو ماء والضنا سببه
حرارة نار الهوى وفيه ايضا التوشيع وهو ان يوتى فى عجز الكلام بمثنى مفسر
باسمين احدهما معطوف على الاخر ومنهم من جعله من فوايد الاطناب كالقزوينى
فحقه على هذا ان يذكر فى ترجمة المعانى وجمع بعضهم منه الفاظا فقال
الثاويان البدو والحضر • الواعيان السمع والبصر • الناعيان الشيب والكبر
الانوران الشمس والقمر • الاجدوان البحر والمطر • المزعجان الخوف والحذر
الماضيان السيف والقدر • الاعجبان الطير والوتر الهاديان العين والاثر
وفى الخبر يشيب ابن ادم وتشب منه اثنان الحرص وطول الامل • ومنه
سقتنى فى ليل شبيه بشعرها شبيهة خديها بغير رقيب • فما زلت فى ليلين
شعر وظلمة • وشمسين من خمر وخد حبيب وقول البحترى لما مشين بذى
الاراك تشابهت • اعطاف قضبان به وقدود فى حلتى حبر وروض فالتقى
وشيان وشى ربا ووشى برود وسفرن فامتلأت عيون راقها وردان
ورد جنى وورد خدود وان كان سبب لون العبرة ذكرى الخيام وسبب الضنا ذكرى
ساكنى الخيام ففيه لف ونشر مرتب ولما كان ذكرا الساكن اشوق كان
اثره اسوأ وفيه الارصاد فان بنفس ذكر ساكنى مع العلم بالقافية يعلم
ان الباقى الخيم الاعراب لولا حرف امتناع لوجود وهى تلزم الدخول على المبتدأ
وهو هنا الهوى وخبره محذوف وجوبا على الصحيح والتقدير لولا الهوى موجود
ويغنى عنه فى الغالب جواب لولا ولم والفعل المضارع المجزوم بها وما يتعلق به
جواب لولا وتقدم فى فصل الغريب تصريف ترق ودمعا مفعول ترق وعلى طلل
متعلق به ويحتمل على من المعانى للاستعلاء اذا قدر وقوفه على الطلل
واساله دمعه عليه وفيه تكلف والظرفية فيه اظهر على هذا المعنى كما قررنا
فى التفسير ومنه قوله تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها اى فى
حين غفلة وان لم تقدر وقوفه على الطلل فهى للتعليل نحو لتكبروا الله على ما هداكم

وقال بعضهم لا يصح ان تكون سببية لان فيه مصادرة لان التقدير اذا كان
ان يكون بكاؤه لتذكر الطلل فلا يصح ان يقال له لولا الهوى لم تبك
لتذكرك فيصير المعنى لولا تذكرك لاحبابك واطلالهم لم تبك بسبب تذكرك
الاطلال قلت وهذا المعنى الذى قرره هو المعنى المستقيم كما قررنا فى التفسير
وانما اشكل عليه من اين علم ان بكاه لتذكر الاطلال وقد ذكرنا دليله وبينا
فى التفسير ولا ارقت معطوف على لم ترق لانه فى معنى ما ارقت ولا لتاكيد النفى
واللام فى لذكر البان للتعليل واجاز بعضهم كسر رائه وفتحها على ان يكون
مقصورا وسقطت الالف لالتقاء الساكنين وهو متعلق بارقت ولا اعارتك
معطوف على الجواب وايضا الكاف مفعول اول لاعارت ولونى مفعوله
الثانى وعبرة مضاف اليه وضنى عطف على عبرة وقوله ذكرى الخيام فاعل
اعارتك ومضاف اليه وذكرى ساكنى عطف على ذكرى وسقطت النون
من ساكنى للاضافة وقال بعضهم الظاهر ان ساكنى جمع ليوافق الخيام وعند
الاستاذ القصار ان ذكرى الاول انما هو ذكر مذكر واجاب عن تانيث اعارت
المسند هو اليه مع انه مذكر اذ لا يصح الاسناد الا الى المتقدم من المتعاطفين
بان ذكرى فى معنى تذكرت فساغ تانيثه باعتبار المعنى ولانه لما اضيف الى المؤنث
اكتسى منه التانيث وشرط ذلك وهو صحة حذف المضاف وابقاء المضاف
اليه مع العلم بما حذف موجود فيه فانك لو قلت ولا اعارتك
الخيام لعلم انا نعتبر ذكرها ومثله قولهم اجتمعت اهل اليمامة وقطعت
بعض اصابعه كذا يمثلون بالثانى وفى وجود الشرط فيه وما فى البيت نظر كسب التانيث وشرطه
الاشارات يحتمل ان يحقق حب الدنيا على من وعظه فى تركها فيقول
له لولا محبتك فيها ما حزنت وبكيت على ما فاتك منها ولم تتصل منها
الا بمثل الاطلال والاثار ولا سهرت من اجل استغراقك فى تحصيل رتبها
ومناصبها الظاهرة كالبان فى علو ولا اعارتك ذكرى قصورها العالية
ومساكنها الباهية وذكرى ساكنيها من المنعمات لونى العبرة والضنا
فانت لا ترى الا بهم ما تحزنون على امور الدنيا وهى لا تاتيك وما احق هذا الامر

ان يكون من اجل الاخرة ومخافة فوات نعيمها فانك ان فعلت ذلك حصل لك
طائل مما اهتممت به واتتك الدنيا وهي راغمة وان فعلت ذلك من اجل
الدنيا فاتك المقصد الاسنى من الدار الاخرى ولم ياتك من الدار
الدنيا الا ما كتب لك من حظك منها من كان يريد حرث الاخرة نزد له في
حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب
فاذا علم ذلك العبد لم يوجه طلبته الا من مولاه ولا يحزن لشيء يفوته
مما سواه فان الله مالك الدارين • وهو على كل شيء قدير • وغيره ما يملك
من قطمير قال الباجي اشتهيت شيئا اطلبه فطلبته لا نسان فرأيت
في المنام كان قائلا يقول لي تحمل بالحر المريد • ان يذل للعبيد • وهو يجد
من مولاه ما يريد ويحتمل ان يكون مر على فسق التحريض على استدامة الحزن
والبكاء لانالة الثواب او خوف العقاب فان درجة الحزن عظيمة وطريق
اهله طريقة مستقيمة قيل روي عطا السلمي في المنام فقيل له كنت
طويل الحزن فما فعل الله بك فقال اما والله لقد اعقبني ذلك راحة
طويلة وفرحا دايما فقيل له ففي اي الدرجات انت فقال مع الذين انعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
وقيل رئي الاوزاعي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال ما رايت ههنا
درجة ارفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين ورئي سفيان في النوم
فقيل له ما فعل الله بك فقال وضعت اول قدمي الصراط والثاني في الجنة
وانما نال هذا والله اعلم بكثرة انقباضه وحزنه وقال بن ابي الحواري رأيت
في النوم جارية ما رأيت احسن منها يتلألأ وجهها فقلت لها ما انور وجهك
فقالت تذكر الليلة التي بكيت فيها فقلت نعم فقالت حملت اليك دمعتك
فمسحت بها وجهي فصار ضوء وجهي هكذا ورئي ابو زيد الرقاشي النبي
صلى الله عليه وسلم في النوم فقرأ عليه فقال هذه القراءة فاين البكاء وقال
ابو بكر الكتاني رأيت في المنام شابا ما رأيت احسن منه فقلت من انت فقال
التقوي قلت فاين تسكن قال في كل قلب حزين ثم التفت فاذا امرأة سوداء

كاوحش ما يكون فقلت من انت فقالت الضحك فقلت فاين تسكن فقالت في
قلب كل فرح مرح قال فانتبهت فاعتقدت ان لا اضحك الا غلبة •

فكيف تنكر حبا بعد ما شهدت ... به عليك عدول الدمع والسقم
نعم سرى طيف من اهوى فارقني ... والحب يعترض اللذات بالالم

مطلب المحب

شرح الغريب تنكر تجحد والانكار الجحود والحب المحبة وكذا الحب
بكسر الحاء وهو بالكسر ايضا الحبيب كخدن وخدين واحبه فهو محب وحبه
يحبه بالكسر فهو محبوب قال احب ابا مروان من اجل تمره واعلم ان الرفق
بالمرء ارفق ووالله لولا تمره ما حببته ولا كان ادنى من عبيد ومشرق
ولا ثاني في مضارع المضاعف المعدى مكسور العين الا ويشركه الضم
وشد هذا الحرف وما كنت حبيبا ولقد حببت بالكسر اي صرت حبيبا وحبب
بفلان اي ما احبه الي وقال الفراء وابن السكيت اصله حبب فادغم
ونقلت ضمة الباء الى الحاء لانه مدح ومنه حبذا ويجوز فتح حاء حب لجرده
من ذا وضمها وتقدم معنى الحب ورفض مصدر الرباعي من هذا الفعل كما رفض
اسم مفعوله الا ما انشد من قول عنترة مني بمنزلة المحب المكرم كما رفض
اسم فاعل الثلاثي منه فيقال محب ومحبوب لا حاب ومحب وشهدت
اي اخبرت ومما قالوا اشهد الرجل بسكون الهاء تخفيفا عن الاخفش

الشهاده

والشهادة الخبر القاطع وشهد له بكذا اي ادى ما عنده من الشهادة فهو شاهد
والجمع شهد كصحب وسافر وسفر وبعضهم ينكره وجمع الشهد شهود واشهاد
والشهيد الشاهد والجمع الشهداء واشهدته على كذا فشهد عليه اي صار شاهدا
عليه عدول جمع عدل واصله ضد الجور عدل عليه في القضية فهو عادل
وبسط الوالي عدله ومعدلته بكسر الدال وفتحها وفلان من اهل المعدلة اي
العدل ورجل عدل اي رضي مقنع في الشهادة واصله مصدر وقوم عدل
وعدول ايضا وقد عدل بالضم عدالة فالعدل باعتبار المصدر الذي
هو اصله لا يثنى ولا يجمع وباعتبار ما صار اليه من النقل للذات يثنى ويجمع
فتقول عدلان وعدول وتقدم تفسير الدمع والسقم بضم السين وسكون القاف

وبفتحها الحزن وحزن مصدر وسقم بالكسر يسقم اي طال به المرض فهو سقيم
واسقمه الله والمسقام الكثير السقم سرى يسري سُرًى ومسرى واسرى بمعنى
اي سار ليلا واسرى لغة الحجاز وجاء القران بهما فاسر باهلك واسرى بعبده
وقال حسان • حي النضيرة ربة الخدر • اسرت الي ولم تكن تسرى •
وسرينا سرية واحدة والاسم السرية بالضم والسرى واسراه واسرى به
مثل اخذ الخطام واخذ به وانما قال تعالى ليلا وان كان ذلك حقيقة السرى
للتاكيد كقولهم سرت امس نهارا والبارحة ليلا قال الزمخشري ولما يفيد
تنكير ليلا من التقليل الدال على ان ذلك الاسراء العظيم كان في بعض الليل
وياتي تمامه في قوله سريت من حرم ان شاء الله تعالى والسارية سُرى الليل وهو
مصدر ومجيئه على هذا البناء قليل لانه من ابنية الجمع يدل عليه تانيث
بني اسد السرى والهدى توهما انهما جمع سرية وهدية الطيف الخيال في النوم
تقول طاف يطيف طيفا ومطافا قال كعب بن زهير • انى الم بك الخيال
يطيف • ومطافه لك ذكرة وشغوف • ارقني اسهرني وتقدم يعترض
اي يحول قيل ويحتمل ان يكون معناه يغبن كاللذات من قولهم عرض اي
غبنه اعرض الشيء صار عارضا كالخشبة المعترضة في النهر واعترض الشيء
دون الشيء حال دونه واعترض الفرس في رسنه لم يستقم لقائده واعترضت
البعير ركبته وهو صعب واعترض له بسهم اقبل به قبله فرماه فقتله واعترضت
الشهر ابتدأته من غير اوله واعترض فلان فلانا وقع فيه وعارضه جانبه وعدل عنه
اللذات جمع لذة وقد لذذت الشيء بالكسر لذاذا ولذاذة وجدته لذيذا واللذ
النوم الالم الوجع وهو مصدر الم يالم بكسر الماضي وفتح المضارع اي اشتكى
الوجع وقولهم الم بطنك كقولهم رشدت امرك اي الم بطنك ورشد امرك
والتالم التوجع والايلام الايجاع والاليم الموجع كسميع اي مسمع واللذة والالم
متقابلة وقال ابن زكريا الطبيب الرازي اللذة دفع الالم كالاكل لالم الجوع
والجماع لالم دغدغة المني لاوعيته ورد بانه اخذ اسبابها وقد تحصل دون
كالالتذاذ برؤية وجه مليح بغتة والظفر بمال كذلك فانه لم يتقدم الم الفقد

حتى

حتى يدفع بالاطلاع عليها وفي امثال الكنانى نظر وقال الحكماء الالم سببه
تفرق الاتصال ورده الفخر بان قطع العضو بسكين حارة بسرعة لا يحس معه
بالالم الا بعد حين بل تفرق الاتصال سبب سوء المزاج الموجب للالم وعلى الخلاف
في تفسيرهما فالتقابل بينهما اما تقابل الضدين واما تقابل العدم والملكة التفسير
التفسير لما اورد السائل على المخاطب الحجج الدالة على انه محب واكثر منها
فانه اوردها اولا مجملة في قوله ايحسب البيتين ثم مفصلة في قوله لولا الهوى
البيتين وذلك كله بعد ان انزل نفسه منزلة الجاهل في سؤاله عن سبب الخاص
والعام فعل المجادل العارف بوجوه الاحتجاج وتمت الحجة على المخاطب حتى
لم يبق له عذر وصحت نتيجة المستدل اقبل عليه بالخطاب وقال منكرا عليه
بصورة الاستفهام فكيف تنكر حبا بعد هذه الحجج وبعد ما شهدت بالحب عليك
عدول لا ترد شهادتهم من الدمع السائل من عينيك عند ذكر الطلل والسقم
القائم بجسمك لتذكر ساكني الخيم اي ذلك كله مع قيام هذه الشهادة لا يحسن
فانهما شاهدان منك عليك لا يتهمان فيما قاما فيه مقام اقرارك واحرى ان يؤخذ
المرء اقراره على نفسه والتقدير عدول دمعك وسقم جسمك وفي قوله بعد
ما شهدت به عليك استبعاد للانكار فانه انما يحسن قبل الشهادة لا بعدها
سيما مع شهادة لا يمكن تكذيبها لانها طبيعية لا اختيارية ومتصلة بذوات
المشهود عليه لا منفصلة عنه لانه انما يحسن الانكار نسيان المشهود عليه
الواقعة فاذا كان الشاهد اجنبيا منه وقد ينفصل عنه ربما يقوى نسيانه اما
ان كان ملازما له مذكرا له بالواقع في كل حال فيبعد كل البعد ادعاء النسيان
في المشهود به والجحد له ولما كانت هذه الحجة واضحة • وعلى كل شروط الاباحة •
افصح المخاطب فاقر بلسان المقال • كما اقر بلسان الحال • فقال نعم اي صدقت
ايها السائل في كل ما ادعيت علي وجميع ما نسبت لي فاول ما تبل ديمتي به
عن نعتك راسي • واول ظني ظننتني بفكرك صادق • فاني انما بكيت وسقمت
من تذكر الجيران الذين كنت فارقتهم وتسليت عنهم بعض التسلي وكان السائل
عرف انه فارق الجيران وتسلى عنهم ولذا حين سأله قال امن تذكر جيران

نعم

ولم تقل امن مفارقة جيران ولما اقر الخاطب انه من التذكر ما له السائل عن سببه
اوتبرع المخاطب بتفاله وسبب ذلك التذكر ان طيفهم اى خيالهم المنافي
طاف وسرى الي اى طرقني ليلا في النوم فانتبهت وتبين لي من اجل ذلك فزعا
مرعوبا الماجر كهي من الفرح بسبب لقائهم ظنا مني ان ذلك في اليقظة فلما انتبهت
وتبين لي انه حلم عاد الي ما كنت تسليت عنه بعض التسلي من الحزن لفراقهم فاثر
هذا الحزن الثاني عندي الارق وهو السهر وعدم النوم حتى نال الجسم ما رايته من النحول
والسقم وهكذا شان اليقظة اذا تمادت فانها تعود ارقا وتحدث للنفوس
كربا وقلقا وسببه ما اشرنا اليه قبل من افناء رطوبات الجسم باشتعال نار
الحزن فيه المسببة عن كثرة حركة النفس واضطرابها وكذا لا يتوفر صحة الجسم
الا بمقدار معلوم من اليقظة والنوم فان بهما صلاح الغذاء الناشي عنه صلاح
البدن ولذا يقولون تغدا وتمدا وتعشى وتمشى لان الغذاء لما كان غرفا بالنهار
وهي مظنة الحركة امر بالاتكاء لينال الجسم حظه من الراحة اذ الحركة تمام
لا بد منها غالبا والحركة تؤثر حرارة غريبة فتنضم الى الغريزية فيسرع هضم الطعام
فلا ينتفع الجسم به انتفاعا كاملا ولما كان العشا محله الليل وهو مظنة السكون
امر بالمشي لياخذ الجسم حظه من الحركة اذ السكون للنوم لا بد منه والنوم ايضا
ان تمادى بالافراط يملا بطون الراس بالاخلاط ويطفي الحرارة لما يلازمه من البرد
كما قدمنا فيرطب الجسم ويرخي وتمام تحقيق هذا في علم الطب وكان الحاجب
يقول حين اقر لما اجبتنا حبا في الا ادركني من الحزن ما يدرك من فارق احبابه
فاضناني ذلك لكنها حالة صادفتني صحيح الجسم قوي الاحتمال فكان ذلك
يقاوم ما بي من الضنا فكنت انام احيانا واتسلى عنهم فلما طرقني خيالهم في النوم
وتجدد علي الحالة الموجبة للمرض وصادفني عليلا انتقضت قواي بالكلية اذ للجز
في مقاما وهذا المعنى هو موجب صعوبة انتكاس المريض بعد افاقته وقوله فارقني
ذكر لعلة البكاء والنحول وقوله والحب الى آخره اى انه كان لي قبل طروق خيالهم
التذاذ بالنوم الموجب لراحة بدني عند من يرى اللذة وجودا بنفسها لا انها
اضافية او للتسلي عن الم فراقهم عند من يراها دفع الالم لكن لما كانت

شان

شان الخيال ان يعرض اللذات اى يخلطها بالالم او يغيبها به او يقع به فيها
على حسب ما تقدم في تفسير اعترض لغة وهواى الحب قائم بالحجر اعترض
لذاتي من النوم وصحة البدن وغيرهما بالالم هذا احسن معنى عندي في
تفسير البيت وابينه ويحتمل ان يريد سرى طيف من اهوى فالتذذت به في
منامي فلما ارقني الفرح به او الذعر الذي ادركني من حال اللقاء منعني ذلك
من الالتذاذ برويته ولو في النوم وهكذا الحب فانه يعترض اللذات بالالم
وانا متصف به وفاعل ارقني المضمر على هذا التفسير هو على حذف مضاف اى فرح
او ذعره ولا يحتاج الى تاويل على التفسير الاول ويحتمل ان يريد بالبيت اعتذارا
عن انكاره فانها حالة لا يحس باللبيب مع قيام الدليل على صحة مقابلها
وربما نسب فاعل ذلك الى نقصان عقله واختلاله فكانه يقول نعم صدقت
في قولك ان هذا الانكار لا يصلح مع شهادة هؤلاء العدول لكن من اهوى
سرى فارقني فاوجب ذلك نقصا نابتا في جسمي وخللا ظاهرا
في عقلي فلذا ترى جوابي جواب الحيران الدهشان وما دل الا لما قصا بالحث
وشان الحب اعتراض اللذات من صحة الاجسام واستقامة السؤال والجواب
في الكلام بالالم الحاصل من الاتصاف بذكر ذلك وهذا ايضا معنى ظاهر
وتفسيرنا هو وذهب بعضهم في معنى البيت الى ان محصوله انه رجع عن انكاره
واعتذر بلطف وكانه قال ما رايت مني لم يكن باختيار بل سرى طيف من اهوى
فارقني فلم ينسب لنفسه الارق بل الى سببه وان كان هو الفاعل لكل شيء بيده
منها قال وهذا من بديع الفصاحة نحو لن نؤمن لك حتى نرى الله
جهرة فاخذتكم الصاعقة نسبحانه الاخذ للصاعقة لا لنفسه كانهم
فعلوا ذلك لا نفسهم فكذا هيهنا كانه وقعه في الفضيحة بالبكا طيف من يهوى
قال ظاهر لفظة نعم اقرار بالمتقدم ورجوع عن الانكار ويحتمل كونها
لما بعدها غير متعرضة لما قبلها نحو ان يقال اعطيت الفا فتقول
لم اعطها نعم كسيت ثوبا الا ان ما بعدها في المثال مخالف لما قبلها والبيت
موافق انتهى قلت انظر ما محصول هذا التفسير من ظاهر كلامه او هو صحيح

يقظة والنوم
...هما ...
...تغدا فتمدا
...تعشى فتمشى
المرض والتنكس
اللذة والالم

الا ان الارق فعله لقوله وان كان هو الفاعل لكل شيء وظاهره انه لم يرد
بقوله كل شيء الا ان الارق وسببه لا عمومه فان ذلك هو الله تعالى
وحينئذ لا يصح كلامه فان الارق وسببه ليس من فعله اذ لا قدرة له
عليه ولا سرى الطيف ايضا اللهم الا ان يكون تعاطى اسباب الحب باختياره
اولا ويريد ان فاعل السبب فان بعد فاعلا لما تسبب عنه وان بعد ايضا فيعم
لكنه انما اراد ان يخبر عن سبب البكا والنحول الغريب كما قدمنا وليس لا
سرى الطيف وليس من مقدوره • واما ما اجابه من المعنى الثاني في نعم
وتنظيره بالمثال ثم تفريقه بينهما فتناقض بين لا يخفى على من تامل ثم قال
الارق يكون للسرور وللحزن فان اراد السرور استقام الشطر الثاني فانه
لما التذ بخيالهم حركت حبه ايام الشوق اليهم فتبدلت اللذة الما وان اراد
نحول الحزن عسر التئام الشطرين اذ لا لذة يعرضها الحب بالالم قلت وهذا
كلام من لم يلم بشيء من المعاني الثلثة التي قررنا في معنى البيت واما ما تضمنه
البيتان من المعنى فقد انشدناه في قوله احسب الصب البيتين كثيرا
فراجعه ومنه • ارى الحب لا يخفى وكم قد كتمته • فاصبح عندي قد اناخ وطنبا
ومن معنى البيت الثاني قول ابن بشار • لم يطل ليلي ولكن لم انم
ونفى عني الكرا طيف الم • ومن معنى قوله والحب يعرض اللذات بالالم
قول الحسام بن الحاجري • اذا ازداد خطارت بقلبي فرحة • فاذهل
عن فوزي بلذة قربه • ويناسب معنى هذا البيتين الا انه متفرق في ابيات
قول قيس بن ذريح الكناني الليثي من قصيدة له طويلة • نهاري نهار الناس
حتى اذا دجى • لي الليل هزتني اليك المضاجع • اقضي نهاري بالحديث
وبالمنى • ويجمعني بالليل والهم جامع • اما الله ان يلقى الرشا دمتيم
الا كل امرئ يوما لا بد واقع • هما برحاني معولين كلاهما • فؤاد وعين ماؤها
الدهر هامع • وهذا البيت الاخير كقوله فكيف تنكر من البيت ومن الارق
للحب كقول عمرو بن حكيم ابن معية التميمي • اذا ام ثنى العاذلات تصرمها
هفت كبد عما تقول صديع • وكيف اطيع العاذلات وحبها • يؤرقني والعاذلات

هجوع

هجوع • ومما يستحسن في فضح الدموع المحب قول ابي نواس • لا جزى الله دمع عيني
خيرا وجزى الله كل خير لساني • نم دمعي فليس يكتم شيئا • ورأيت اللسان
ذا كتمان • كنت مثل الكتاب اخفاه طي • فاستدلوا عليه بالعنوان •
وان فسرت اللذة في البيت برؤية خيال الاحبة في النوم والحلم يمنع الارق
ذلك فمما يستحسن في استجلاب الخيال قول قيس بن معاذ مجنون بني عامر
من ابيات له واني لاستغشي وما بي نعسة • لعل خيالا منك يلقى خياليا
واخرج من بين الجلوس لعلني • احدث عنك النفس في السر خاليا
اشوقا ولما يمض لي غير ليلة • رويدا الهوى حتى تغب لياليا
ومن عجب ما قيل في شهادة السقم بالحب قول التمار الواسطي • قد كان لي
فيما مضى خاتم • فالان لو شئت تمنطقت به • انحلني الحب فلو زج بي
في مقلة النائم لم ينتبه • وقول كشاجم • وما زال يبري جملة الجسم حبها
وينقصه حتى لطفت عن النقص • وقد ذبت حتى صرت ان انا زرتها • امنت
عليها ان يرى اهلها شخصي • وقول ابن دريد • ان الذي بقيت من جسمه
يا متلف الصب ولم يشعر • حبابة لو انها قطرة • يجول في جفنك لم تنظر
وقول ابي الطيب • اراك ظننت السلك جسمي فعقته • عليك بدر عن لقاء
الترائب • ولو قلم القيت في شق رأسه • من السقم ما غيرت من خط كاتب
قال ابو عبيد هذا معدوم البتة غير موجود لان ادق ما يكون من الشعر
واحقر ما يدرك غاية البصر بغير لحظ واستحسن في هذا شيء نزهنا هذا المجموع
عن ذكره لحقارة قايله وقيل فيه ايضا • ولو سرت في طي الكتاب لزرتكم
ولم تدر عني احرف وسطور المعاني الاستفهام في قوله فكيف للاكثار
كما قدمنا • ويحتمل التعجب والتوبيخ وتنكير حبا للتعظيم او النوعية اعظاما
وتعريف الدمع والسقم بال للعهد اي الدمع المترجم والسقم الظاهر عليك
وتعريف عدول بالاضافة لهما للاختصاص وتعريف من اهوى بالموصولية
اما لان المخاطب الذي هو السائل لا يعرف منه الا ذلك نحو الذي كان
معنا امس رجل صالح لان مخاطبك لم يعلم منه الا ذاك واما لزيادة التقرير

نحو التي هو في بيتها • فانه ادل على تنزيه يوسف عليه السلام • واما للتفخيم
نحو فغشيهم من اليم ما غشيهم واما للايماء الى وجه بناء الخبر نحو ان الذين
يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين الاية واما للغيرة على التصريح
باسم الهوى واللام في اللذات والالم اما للعهد واما للتعريف الحقيقة وفي
قوله والحب يعترض الى اخره التذييل وهو ما اكد مفهوم الجملة التي قبله التذييل
لان قوله ارقني يفهم انه اعترض لذة نومه فهو كقول النابغة الذبياني
ولست بمستبق اخا لا تلمه • على شعث اي الرجال المهذب • فان صدر البيت
دل بمفهومه على نفي الكامل من الرجال المحقق ذلك وقرره بعجزه ويشبه
ان يكون قوله بالالم من الايغال وفي اختصاصه بالنظم قولان وعلى الخصوص
فهو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها كزيادة المبالغة في قول الايغال
الخنساء • وان صخرا لتأتم الهداة به • كانه علم في رأسه نار • لم ترض
تشبيهه بالعلم الذي هو الجبل المعروف بالهداية حتى جعلت في رأسه نار
وهو في البيت لما قال تعترض اللذات بالالم كان يكفي عن قوله بالالم
اذ اعتراض اللذة الم هذا ان قلنا لا واسطة بينهما • وان كان اعتراضها
توقيفا • وقد لاح انا لم كان قوله بالالم تكميلا وهو الاحتراس وقد تقدم
وتقديم به وعليك في البيت الاول على الفاعل للاهتمام بهما وفي البيت الثاني
الاستئناف البياني اذ التقدير فما رد عليك المسؤول بقولك امن تذكر
الى قولك السقم فكان السائل قال قال لي نعم الى اخره ومنه قالوا
سلاما قال سلام اي فماذا قال حين سلموا قال الم نربك فينا وليدا
الى اخر المقاولة وهو نيف وعشرون كلها على تقدير سؤال وكثرته في القران
والكلام مما لا يخفى وجعل بعضهم الاسناد في قوله شهدت عدول الدمع
مجازيا مما طرفاه مجازيان نحو احيى الارض شباب الزمان واحياني كحلي الى طلعتك
وفي قوله عدول الدمع والسقم كقوله في حلتي حبر وروض فالتقا لادعو
واقع موقع المثنى وفي قوله سرى طيف من اهوى فارقني ايجاز الحذف اي فانتبهت
ولم اقدر بعد على النوم فارقني وفاء فارقني هي الفصيحة وجعل بعضهم فارقني

التفاتا

التفاتا من الخطاب الى التكلم وهو محتمل البيان الاولى ان يجعل قوله
عدول الدمع والسقم من التشبيه البليغ لذكر المشبه وهو الدمع والسقم الاستعارة ما احد طرفاه تشبيه متناس
والمشبه به وهو عدول الا على راي بعضهم في ان ذكر الطرفين انما ينافي
الاستعارة اذا اتى به على صورة تقييد التشبيه واما على صورة يتناسى معها
التشبيه فلا كما هنا في الاستعارة وتنبه الى هذا البحث فانه يحتاج اليه
في مواضع كثيرة من هذا النظم فليكن على ذكرك لئلا يحتاج الى اعادته ووجه
التشبيه ان العدل يخبر بحقيقة الامر المغيب كما ان الدمع والسقم يدلان
على ما يغيب من الحب فالمجاز على هذا افرادي على راي بعضهم المذكور وكذا
ان جعلناه استعارة بالكناية وتخييلية على راي الاكثر بان لا يجعل لفظ
عدول هو المشبه به بل شيء من صفاته اي من لوازمه وان المشبه به في الحقيقة
الموصوف بالعدل وهو الرجل ولم يذكروا انما ذكر شيء من صفاته وهي العدالة
فاذا لم يذكر الا المشبه خاصة وهو الدمع والسقم مع شيء من لوازم
المشبه به فهي استعارة بالكناية وتخييلية كما قدمت لك في حقيقتها في لوعة
عبرة وهي ايضا من الترشيحية لذكر الانكار والشهادة والعدالة التمثيل مجاز مركب
وان جعلنا المجاز اسناديا فهو من مجاز التركيب ومنه ما يسمى التمثيل وفي
اثبات هذا المجاز ثم تعيين نوعه من الاستعارة او غيرها خلاف كثير بين
البيانيين والاصوليين ولا يبعد ان يكون قوله والحب يعترض استعارة
مكنيا عنها ايضا وتخييلية بان يقدر تشبيه الحب بقاطع طريق ولم يصرح
به بل بما هو من صفاته وهو الاعتراض بما يولم البديع في البيت الاول مراعاة
النظير لجمعه بين الانكار والشهادة والعدول وبين الحب والدمع والسقم وفيه الطباق
الخفي لان الشهادة كالانكار في ثبوت الحكم بما يجمع بينها وبين ضدها الذي
هو الانكار لا تضمحل معها وفيه الجمع وهو جمع متعدد في حكم وهو هنا
جمع الدمع والسقم في الشهادة والحب وفيه العدالة ايضا ومنه المال
والبنون زينة الحيوة الدنيا وقوله ان الشباب والفراغ والجدة •
مفسدة للمرء اي مفسدة • وفي الثاني ايضا مراعاة النظير لجمعه بين السرى

والطيف والارق والهوى والحب وفيه الطباق الخفي لان سرى الطيف
لا يكون الا مع النوم فجمع بينه وبين الارق والطباق الظاهر بجمعه بين اللذة
والالم وفيه الارصاد ان يعين الحلم للذكر والاتفاق للخير وفيه ارسال المثل ارسال المثل
وحقيقته ان يذكر الشاعر في شعره مثلا او ما هو كالمثل كقوله اقر الخصم
فارتفع النزاع وهو هنا قوله والحب الى اخره وهو ايضا من المذهب الكلامي
ويشبه ان يكون من حسن التعليل وهو ان يدعى بوصف علة مناسبة حسن التعليل
له باعتبار لطيف غير حقيقي وقد تقدم ولقائل ان يقول الاعتبار هنا
حقيقي وهو ظاهر ويحتمل ان يكون قوله والحب الخ من التشبيه المدعو بالتذييل التذييل المثالي
المثالي وهو ان يخبر بما لم يعلم صدقه ثم يردفه بخبر يشبهه به معلوم الصدق
لا بكر استدلالا على صدق الاول لتشابههما معنى فاستدل بقوله والحب الخ صحة
اخباره عن سرى صدق من اهوى وتألمه لذلك وبكائه منه سيطلبني قومي
اذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يلتمس البدر وقوله لو اختصرتم من
الاحسان زرتكم والعذب يهجر للافراط في الخصر قلت وبتسميته بالمذهب
الكلامي اولى لكن لا مشاحة في التسمية **الاعراب** الفاء تودن بسببية
ما بعدها نتيجة كما تقدم وكيف اسم استفهام عن حال وهي حال او ظرف على الرأيين كشف حال او ظرف لسماوقع وكذا كيفما
هنا والعامل فيها شكر بتقييد الاستفهام المؤول وما موصول اسمي او نكرة موصوفة
وشهدت وما يتعلق به صلة او صفة والتقدير بعد الحال الذي شهدت به او حال
شهدت به وجعلها الاستاذ القصار ومن تبعه على ذلك موصولا حرفيا وجملة الموصول اسمي وحرفي
شهدت في محل خفض بالظرف اي بعد شهادة وهو بعيد لذكر العائد في صلتها
ونعم حرف تصديق مخبر بعد قول القائل قام زيد واعلام مستخبر بعد قوله نعم
اقام زيد ووعد طالب بعد قوله اعطني وهي هنا الاعلام مستخبر وقال بعضهم
فيها حرف تصديق في الخبر والاستفهام وعدة في الطلب والعبارة الاولى اجمع
واصح ومن مخفوضة باضافة فتطيفا اليها وهي موصول اسمي وعائدها محذوف
اي اهواه فارقني عطف على محذوف كما تقدم اي فانتبهت فارقني وبالالم
متعلق بيعترض وجملة والحب الظاهر انها مستأنفة وجعلها القصار معطوفة

على ما قبلها ويحتمل ان تكون اعتراضية آخر الكلام والجمع في قوله عدول اما باعتبار
انواع الدمع والسقم او من وضع صيغة الجمع على المثنى ما حقيقته ان قيل اقل الجمع
اثنان او مجازا على الخلاف فيه **الاشارات** من انكر الحب واخفاه اظهر دمعه
وضناه فكذا من اراد بعبادته غير مولاه فلا بد ان يظهر بلوم ان ربه ابغضه وقلاه
وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ومن ستر سريرة كساه الله رداها
ومهما تكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم فالمغرور بالدنيا
المشغوف بزينتها ان ادعى انه على الجادة او يراقب الله سبحانه وتعالى في امره كيف
يخفى حاله بين بكائه على ما يفوته منها وحزنه على ما لا يدركه مما امله فيها فالذي يحاله
انه لا يكابر وينكر بل يرجع الى الحق ويقر فيقول نعم بكائي على النزر اليسير الذي انالني
من الدنيا ان تلك الذي هو بمثابة طيف الخيال ولو كان المنال جميعها قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما مثل الدنيا في الاخرة كمثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم
فلينظر بما ذا يرجع فما اكثر حرمان من يرضى بالرجوع بمثل ما يتعلق بالاصبع
من البحر ويترك الانغماس في البحر وحوزه اللهم لا تحرمنا على ان ما تناله من الدنيا
من الدنيا الذي هو طيف الخيال معترض بالم الحرمان منه في اكثر الاوقات كما يعترض
الارق لذة الاستمتاع بطيف الخيال بل عوائق الدنيا اكثر واشد وما مثل ما ينال
منها وان كان جميعها الا كمثل ما يناله المحب من حبيبه من طروق خياله في النوم فيلتذ
بذلك المقدار فاذا استيقظ تبين له انه لم يحصل على طائل فكذا العبد في الدنيا
ان نال منها شيئا فما اسرع حواله بالموت فحينئذ يكشف له الغطاء ويتبين له ان
ما كان فيه غلط وخطاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا
ماتوا استيقظوا فلذا كان اكيسنا اكثرنا للموت ذكرا واحسننا له استعدادا
كما قال صلى الله عليه وسلم فانه من عل الحال اليقظة واللذة كان لم يكن بين
الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر بل نحن كنا اهلها فابادنا صروف
الليالي والجدود العواثر وينشد لعثمان رضي الله عنه تفنى اللذاذة
ممن نال صفوتها من الحرام ويبقى الاثم والعار يبقى عواقب سوء من مغبتها
لا خير في لذة من بعدها النار ويحتمل ان تكون اشارته بالبشير الى ولي الله

الباكين شوقا الى الجنة وخوفا من النار فان هؤلاء لا يلتفتون بالهم الا بربهم سيما ان ارتقوا عن هذا المقام الى مقام المشاهدة فان منهم من لو حجب عن ربه ساعة لاستغاث من الجنة كما يستغيث اهل النار من النار رضا ولا في ابتدائهم يخفون احوالهم وسبب بكائهم ونحو لهم فاذا اطلع الله للمؤمنين على ما استروا كما قال تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله علموا انه رضي اظهارهم فاظهروا امرهم واجابوا من سألهم بنعم واخبروا انهم المحبون وان التذاذهم بالخلوة والخفاء اعرضه المراد الظهور ولذا قال بعضهم لو بعت منه خلوة بملك سليمان مع خزاين قارون في عمر نوح لغبنت في بيعي والاشارات في هذا المعنى والحكايات كثيرة ويحتمل ان يشير بالبيت الاول الى ان فاعل الكتمان لا يخفى حاله وان انكر شهد عليه شاهد منه لشهادة الدمع والسقم على محض الحب وكشهادة الاعضاء في الدار الاخرة بعد الانكار قالوا والله ربنا ما كنا مشركين يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ويحتمل كلام الناظم من الاشارات وجوها غير ما ذكر لكن شانا الاختصار

اصل: بالاحي في الهوى لقدى معذرة • مني اليك ولو انصفت لم تلم
عدتك حالي لا سري بمستتر • عن الوشاة ولا دائي بمنحسم

شرح الغريب: اللائم العاذل وجمعه لوم واللوم العذل لامه على كذا لوما ولومة فهو ملوم ولومة مبالغة واللائمة الملامة وكذا اللومى فعلى واللوائم والملاوم جمع الملامة واللائمة ما يلام عليه والام اتى بما يلام عليه ويقال لام فلان غير مليم وفي المثل رب لائم مليم واستلام الى الناس استنزل ابو عبيدة المثنى يعني لمته وتلاوموا ملاومة لام بعضهم بعضا ورجل لومة يلومه الناس ولومة يلوم الناس كهزأة وقال بعضهم اللائم والكاشح والعاذل واللاحي متقاربة المعنى قلت الكاشح مضمر العداوة العذري منسوب الى عذرة قال الجوهري قبيلة من اليمن وقال غيره من العرب اشتهر شبابها بالعشق حتى يؤول بهم الى الموت ولهم في ذلك اخبار مشهورة وما اشبه ما قال الجوهري فان اهل اليمن ارق افئدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذرة ابو القبائل

قال

قال الزبير بن بكار وهو عذرة بن سعد هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن اسلم بن الحاف بن قضاعة منهم الاقيل العذري القائل • من يطع قائد الهوى يبد منه عورة لا يجنها بالثياب • هاج شوقي ولم اكن ذا اصابة طلل في مطالع الاطراب • ومنهم جميل بن عبد الله بن قمية العذري الشاعر المشهور صاحب بثينة ومن شعره • لقد فرح الواشون اذ صرمت حبلي بثينة او ابدت لنا جانب البخل • القصيدة المشهورة • وحكى الاصمعي ان جميلا حين حضره الموت دعا رجلا فقال له هل لك ان اعطيك ما خلفت على شيء اعهده اليك قال نعم قال اذا مت فاعمد الى حلتي التي في عيبتي وخذ ما سواها وانت بحي الحت من عذرة وهم رهط بثينة فان وصلتهم فالبس حلتي واشققها واركب ناقتي هذه واعل شرفا وناد بهن الابيات وخلاك ذم وهي • صرخ النعي وما كنى بجميل • وثوى بمصر ثواء غير قفول • ولقد اجر الذيل في وادي القرى • نشوان بين مزارع ونخيل • قومي بثينة فاندبي بعويل • وابكي خليلك دون كل خليل • فلما قضى الرجل فبلغ وصيته فما اتم الابيات حتى اتتني جارية مع نسوة فرعتهن طولا كانها بدر طالع في دجنة تعثر في مرطها فقالت يا هذا لقد قتلتني • ولئن كذبت لقد فضحتني فلما رأت حلته عرفتها فصاحت وصكت وجهها واجتمع اليها نساء الحي يبكين وغشي عليها ثم قامت تقول • وان سلوي عن جميل لساعة من الدهر لا حانت ولا حان حينها • سواء علينا يا جميل بن معمر اذا مت باس الحيوة ولينها • ثم اغمي عليها ثم قامت تقول • انعى عباد الله فاد جميل • بحيث يرى للشوق فيه رسول • ليهنك يا زين العشيرة محدث • ومن اين لي صبر عليك جميل • ستبكيه مني عبرة تعرف الهوى • وتتبعها بعدي وذاك قليل • قولها فاد اي مات يقال فاد يفود ويفيد وفي قولها ومن اين لي صبر عليك جميل تورية حسنة لان جميل منادى وهو يوهم انه نعت لصبر كالذي في الاية ثم ما لبثت الا اياما يسيرة في ضنى حتى ماتت وحكى ابن رشيق

لابن عباس سابك كالشن البالى من الضعف فقيل يا ابن عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم استشف لهذا فقال له لابن عباس ما علتك فلم يحر جوابا
ثم قال بلسان فصيح • بنا من جوى الحب المبرح لوعة تكاد لها نفس المحب
تذوب • ولكنما ابقى حشاشة ما ترى • على ما به عود هناك صليب
فقال ابن عباس ممن الرجل فقيل من عذرة ثم شهق شهقة فمات
فقال ابن عباس لجلسائه هل رايتم وجها اعتق ولسانا ازلق مما رايتم
اليوم والله انه لقتيل الهوى لا دية فيه ولا قود والى الله نرغب العافية
واخبار العذريين كثيرة يكل القلم دون المشار منها معذرة يقال
عذرته اعذره عذرا وعذرا والاسم المعذرة والعذرى وكذلك المعذرة
كالجلسة وقال بعضهم معذرة مصدر وهى ايضا الشئ الذى
يعتذر به ومعنى عذرته صفحته عنه ومحوت اساءته واعتذر اعتذارا اذا
احتج لنفسه والاعتذار من الذنب واعتذر رجل الى النخعى فقال قد عذرتك
غير معتذر ان المعاذير يشوبها الكذب واعتذر بمعنى عذر اى صار ذا عذر
واعذر بالغ فى العذر • وانصفت اى عدلت والانصاف العدل يقال
انصفه من نفسه وانتصفنا منه وتناصفوا اى انصف بعضهم بعضا
من نفسه • وقوله انى عرضت الى تناصف وجهها عرض المحب الى الحبيب الغائب
يعنى استواء المحاسن كان بعض اعضاء الوجه انصف بعضا فى اخذ القسط
من العدل وكم تلم من اللوم وتقدم تفسيره وقال بعضهم الانصاف الاعتراف
بما يجب ان يعترف به وقيل انصفنا انصافا اى سلم واحسن بما عمل وانظر
ما معنى هذا التفسير عدتك تجاوزتك وعداه الامر يعدوه جاوزه
وما عدى فلان ان صنع كذا وما عن فلان معدى اى لا تجاوز الى غيره ولا
يقصر دونه وعدوته عنه صرفته والتعدى مجاوزة شئ الى غيره وعديته
فتعدى اى تجاوز وعد عنه اى اصرف بصرك والحال تذكر وتؤنث والا فصح
التانيث والمراد هيئته وقال الجوهري الحالة واحدة حال الانسان واحواله
السر الذى تكتم وجمعه اسرار والسريرة مثله والجمع السرائر وفى المثل ايوم

حليمة بسر يضرب للامر المشهور وهى حليمة بنت الحارث الغسانى جهز ابوها
جيشا الى المنذر بن ماء السماء فاخرجت لهم طيبا فى مركن فطيبتهم فنسب اليوم
اليها ومستترا اى متكتم تقول سترت الشئ استره سترا بفتح السين فى المصدر
اى غطيته فاستتر هو وتستر اى تغطى وجارية مستترة اى مخدرة ومحجوبة
مستورا اى محجوبا على حجاب والاول مستور بالثانى والمراد كما قال الله
قلوبهم فى اكنة وفى اذانهم وقر وقيل مستور بمعنى ساتر نحو انه كان وعده
اى اتيا ورجل مستور وستير اى عفيف والجارية ستيرة الوشاة جمع واش
كغاز وغزاة ورام ورماة وهذا الجمع مطرد فى المعتل اللام والواشى الكاذب
النمام الذى يبلغ الحديث ويكذب فيه ويزين فيه وقيل الوشاة النمامون
الناقلون للاحاديث للافساد بين الناس كاذبين او غير كاذبين يقال
وشى يشى وشاية اى كذب فهو واش قال الجوهري وشى كلامه كذب
ووشى به الى السلطان وشاية اى سعى قلت ولعله انما سمى واشيا لانه
يوشى كلامه اى يزينه ليقبل الداء المرض والجمع ادواء وهو مصدر داء الرجل
يداء اى مرض واداء ايضا وقد دئت يا رجل واداءت فهو مدى واداءته انا
اصبته بداء يتعدى ولا يتعدى يحسم اى ينقطع حسمته قطعته فانحسم
ومنه حسم العرق وفى الحديث لما قطع السارق قال احسموه اى اكووه
بالنار لينقطع الدم وفيه عليكم بالصوم فانه محسمة للعرق منصبة للاشر
والليالى الحسوم لحسمها الخير عن اهلها والحسام السيف القاطع وحسام السيف
طرفه الذى يضرب به التفسير لما اقر المحب للعاذل وصدقه فيما
ادعى عليه واعتذر اليه من انكار او غير ذلك من الوجوه المتقدمة واخبر السبب
اخذ لان يلومه كلامه هو فقال الا تمى اى يا عاذلى ومفندى فى الهوى اى
اى بسبب الهوى الذى اتصفت به العذرى اى الموصوف بكونه من هوى
بنى عذرة الذين اذا اتصف احد منهم به لم يزل ذلك به او يقتله غالبا
فهوادن لا اختيار للانسان فى دفعه بعد تمكنه منه ولا قدرة له على
ازالته بل مطلق الهوى كذلك كما قدمناه فى بعض حدوده فى تفسير قول الحسب

وانما اختص بنو عذرة بهذا لصدقهم فيه ورقة قلوبهم فهم اذا هووا
اى اذا احبوا سقطوا وما لوا الا ان الفؤاد الرقيق سريع امالته والقلب الغليظ
القاسي لا ينفعل لشيء ولذا كانت الحكمة يمانية والايمان يمان كما روينا عنه
صلى الله عليه وسلم في صحيح وغيره والمعنى اذا كان من اتصف بطلق الحب
لا يلام فيما يظهر عليه من اثاره لغلبته وعدم اختياره فكيف بمن حبه عذري
الذي هو اقوى الحب وارضه هو احرى ان لا يلام مع الانصاف وقوله معذرة
مني اليك يحتمل ان يكون معناه هذه معذرة مني اليك والاشارة
الى الحب ان يكون هواه عذريا فانه لما علم من حال ذلك الهوى القتال لكان
نفس الانتماء اليه عذرا يجب قبوله سيما مع الانصاف كما ذكر او يكون معناه فهو معذرة
اى الهوى العذري او يكون النداء ثم يبتدى في الهوى العذري مقدرة
ويحتمل ان يكون الاشارة بهذا المعذرة الى قوله في البيت قبله سرى
طيف من اهوى فارقني وهي المعذرة اى ما يعتذر به كما تقدم في بعض
نقا سيما لعذر ويحتمل ان يكون المعنى اقبل او خذ معذرة مني اليك او اعتذر انا معذرة
قال بعضهم ولا يصح ان يقدر اعتذر في معذرة لانه يصير فاعل المعذرة هو العاذل
ويتنافى مع قوله مني اليك قلت ولا منافرة فيه وهو على احد معنيين اما
ان يكون معذرة مصدرا اى اعتذر في معذرة صادرة مني اليك بان تقبلها
مني واما ان يكون منصوبا على اسقاط الخافض اى بعذرة او بضمن اعذرني
معنى اقبل مني ويحتمل ان يكون منصوبا بعذرتك اى عذرتك معذرة مني
لانك لم تذق مرارة كاس الحب وحلاوته المعنيان الاخيران اظهرها والاولين تكلف
وهي اى المعذرة اما ما قدمنا واما ان يكون ابن بقول المعذرة مجملا ثم فسرها
بقوله لا سري يستتر الى اخره والمعنى انه من بلغ الى ان لا يخفى حاله عن الوشاة
ولا ينقطع داؤه فواجب ان تعذره وعدتك حالى على هذا المعنى اعتراض وقوله
ولو انصفت لم تلم اتما لذلك لان العاذل هو الذي استدل على عذله
بانه محب بما ذكر من الادلة من قوله اولا امن تذكر الى قوله عدو الدمع
والسقم فحال الصب اذا لم يخف على العاذل لا سيما وهو يدعي تحقيق ما ادعاه عليه

من ذلك

من ذلك فالصب يقول للعاذل كفى بدعواك انى محب ان لا تلومني فان الحب
لا يلام سيما العذري فلو انصفت لم تلم لكنك انت لم تنصف فقوله ولا معذرة
مني اليك على تقدير تجهل العاذل بحاله ثم استدرك وقال على انى لا احتاج الى
اعتذار فانك تزعم انك حققت على انه محب وذلك كاف في عذرك اياى
لو انصفت وكانها استفاقة من الصب بعد حيرته في التماس العذر واما قوله
عدتك حالى فيحتمل ان يريد الدعاء له والمعنى جاوزتك حالى اى لا حلت بك
فالجملة انشائية استعطا فا منه له لعله يرق له فيقبل عذره ثم قوله لا سري
الى اخره تاكيد للاستعطاف اى انه يجب له ان ترق لحالى فانه بلغ من امره
ان اطلع عليه كل احد حتى الوشاة الذين هم اعدائى والاطلاع على المصيبة
يشق على صاحبها ولو من حبيبه فكيف بعدوه ثم زاد في ذلك بان اخبر
ان داءه غير منقطع فانه لو كان ينقطع لسهل امره لانتظار الفرج ويحتمل ان يريد
بقوله عدتك حالى الاستفهام على سبيل الانكار اى اعدتك وحذفت الهمزة للعلم
بها كما قيل في قوله تعالى حكاية عن ابرهيم هذا ربي وقوله تعالى وتلك
نعمة في وجه وعلى هذا التاويل يكون تاكيدا لقوله ولو انصفت لم تلم اى
فان حالى لم تعدك اى لم تعدك مشاهدتها وظهورها لكل احد فسري ليس
بمستتر عن الوشاة ودائى غير منحسم اى لا يرجى زواله ولا برئي وافاقتي منه
فسؤالك بعد هذا عني ليس من الانصاف وخصوصا مع دعواك تحقيق امري
ويحتمل ان يريد الاستفهام الحقيقي اى اجاوزتك حتى جهلتها وكان العاذل قال
حين استفهمه نعم جاوزتني فقال الصب خذ علمها لا سري بمستتر الى اخره
ويحتمل ان يكون الجملة خبرية اى جاوزتك حالى فانت لم تصب بمصيبتي حتى
تعلم مقدار ما انا فيه ولو اصبت بها لما عذلتني وعذرتني وقوله لا سري
على هذا التقدير جواب سؤال مقدر كانه قال له وما حالك التي استعظمتها
فقال لا سري الى اخره وقال بعضهم ويحتمل جملة لا سري على هذا الوجه ان
تكون تفسيرية لحالى نحو ان الانسان خلق هلوعا الاية ويحتمل وجها اخر
لطيفا وهو ان تكون الجملة انشائية دعاء على العاذل ان لا ينال ما يريد الصب

في الحب وحالته لكون الصب يرى ان مرتبة الحب شريفة قد عاب على عاذله فيه
ان لا يناله وقوله على هذا الاسى الى اخره افتخار عليه بالرتبة التي نالها
من الحب واستلذاذ بذكرها ونكاية لما فتن فيه كقول الكفار لما قال ابرهيم
صلوات الله عليه وسلامه ماذا تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها
عاكفين وكان يكفي في جواب سؤاله اصناما لكن لما علموا انه يغيظه ذكرها
زادوا فنظل لها عاكفين تشفيا منه ويحتمل على تقدير الجزاء ايضا وجها آخر
اي ان حالتي وصلت اليك وجاوزتك الى غيرك فسرى غير مستتر عن الوشاة
فان كان العاذل منهم فقد دخل في عمومهم وان لم يكن منهم فعلمه بحاله اخرى
لان الوشاة اذا علموا حال المحب مع انه يحترز منهم بقدر امكانه فما لك ممن
لا يحترز منهم ذلك الاحتراز وربما يفشي له سره او يسمع منه او يرى ما يستدل
به عليه فانه لا يجتنبه كمجانبة الواشي وقال بعضهم معنى قوله يا لائمي في الهوى
العذري اعذرني في الهوى فلست ببدع فيه فقد استولى قبلي على بني عذرة
وهم خلق كثير قلت ولا يخفى عليك بعد هذا القصد وضعف هذا التفسير ولو
اراد هذا المعنى لقال فقد استولى على اهل الدنيا وما عسى ان يبلغ عدد
المحبين من بني عذرة ممن اتصف به من خلق الله والمعنى الذي اشار اليه الناظم من نسبة
اللائم في الحب الى قلة الانصاف لكونه لا يقدر على دفعه قد تقدم مستوفى
في شرح قوله ايحسب الصب وقد قال اسطو العشق ضرورة داخلة على النفس
والعاشق جاهل بتلك الضرورة الداخلة عليه قال المتنبي مما اضر
باهل العشق انهم هووا وما عرفوا الدنيا وما فطنوا وكذا قوله وعذلت
اهل الحب حتى ذقته فعجبت كيف يموت من لا يعشق فعذرتهم وعرفت ذنبي
انني عيرتهم فلقيت منهم ما لقوا وهذا المعنى يناسب بعض الوجوه التي قررناها
في عدتك على ان تكون اخبارا مجردا ومما ورد في وصف الهوى بكونه عذريا
قول حفص العليمي اقول للحلمي لا ترعوي عن الصبا وللشيب لا تذعر على الهوى لينا
طلبت الهوى العذري حتى وجدته وصيرت في تجديده ما كفانيا وفيه ايضا
النهي عن اللوم في الهوى لانه نهي حمله عن ذلك المعاني النداء بيا لا الاقرب

العاذل

العاذل عند المحب البعد او التنبيه على غباوته للومه في الهوى العذري والتنكير
في معذرة اما للتعظيم او للنوعية وقوله ولو انصفت لم تلم جملة اعتراضية
مقوية لقبول العذر ويحتمل ان يكون تذييلا وفي البيت الثاني الاطناب
لان فيه ايضاحا في قوله لا سرى الى آخره بعد ابهام في قوله حالي وكذا قال بعضهم
انه شبيه بالتوشيع وفي قوله لا سرى لا استتينا في البيت كما تقدم وقال بعضهم
او يكون بدل الجملة من مفرد كقوله والخل كالماء يبدي لي ضمائره مع الصفا
ويخفيها مع الكدر البيان اسناد عدت الى حالي من المجاز العقلي وكذا
مستتر الى الضمير سري وبحسم الى الضمير دائي على نظر في هذين البديع
في البيت الاول التجنيس الشبيه بالاشتقاق في العذري ومعذرة وتجنيس الاشتقاق
في لائمي ولم تلم وحقيقته ان يجمع الكلمتين اشتقاق نحو فاقم وجهك للدين القيم
وفيهما بين اللفظين رد الصدور على الاعجاز وهو في الشعر ان تكون احدى الكلمتين
المتكررتين او المتجانستين في آخر البيت والاخرى في صدر المصراع الاول او حشوه
او آخره او صدر الثاني او حشوه نحو سريع الى ابن العم يلطم وجهه وليس الى داعي
الندى بسريع وقوله اذا المرء لا يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان
وقوله سكران سكر هوى وسكر مدامة انى يفيق فتى به سكران
ومثله في الكلام وتخشى الناس والله احق ان تخشيه وفيهما ايضا الطباق
لان لائمي مثبت ولم تلم منفي وهذا بالنظر الى اللفظ والا فلم تلم مثبت فانه
جواب لو الامتناعية ونفيها اثبات على ما قيل لان المعنى امتنع عدم اللوم لامتناع
الانصاف وامتناع عدم اللوم لوم وبعضهم يسمي رد الصدر على العجز التصدير
وتناسب الاطراف وان جعل معذرة مرفوعا وجزء في الهوى العذري فيكون
من التجريد نحو لهم فيها دار الخلد وهي هي وكذا الهوى هو نفس المعذرة لا انها
فيه ومنه ويجعل له من امره يسرا اي امره وفيه حسن التعليل في قوله الهوى
العذري وفي قوله مني اليك طباق لان من لابتداء الغاية والى لانتهائها وفي
قوله لو انصفت لم تلم المذهب الكلامي لا تراه استثنى نقيض التالي لينتج نقيض
المقدم وتقريره بالجلي انت لائم في الهوى العذري وكل لائم فيه غير منصف

جناس الاشتقاق

رد الصدر على العجز ويسمى التصدير وتناسب الاطراف وكلها واحد

التجريد

المذهب الكلامي

فانت غير منصف ولا يبعد ان يكون جملة لو من التذييل كما تقدم في المعالي
وفي قوله لم تلم التجنيس الناقص لزيادة التاء في تلم نحو بالساق الى ربك
يومئذ المساق وهذا هو القسم الاول من الناقص وفيه ايضا مراعاة النظير
لجمعه بين الهوى والمعذرة واللوم والانصاف وقد يقال الجمع بين اللوم والانصاف
في هذا من الطباق وكذا بين اللوم والمعذرة واما نوع اللوم والانصاف فمن مراعاة
النظير وفي البيت الثاني في قوله عدتك التوجيه وهو ايراد الكلام محتملا
لوجهين مختلفين او اكثر كقول من قال لاعور يسمى عمرا خاط عمرو لي قباء ليت
عينيه سواء فانه يحتمل الدعا عليه وله ومنه قوله تعالى واسمع غير
مسمع وراعنا كما قرره الزمخشري في مسمع وراعنا من الوجوه وفيه الموازنة
بين سري ودائي وبين مستتر ومنحسم هذا باعتبار المفردات وباعتبار التركيب
لا سري بمستتر موازن للادآء بمنحسم وفي كل قسم على حدته مراعاة النظير كمناسبة
السر والاستتار والداء والانحسام وفيه تجنيس الاشتقاق في سري ومستتر
وفي الجمع بين السر والوشاة طباق خفي لان الواشي واضح وفي قوله لا سري
بمستتر طباق لفظي ولا يبعد ان يكون في قوله عن الوشاة نوع من المبالغة
وفيه النوع الاول من الجمع مع التقسيم فانه جمع حاله مجملة ثم قسمها بقوله لا سري
الى آخره كقول ابي الطيب • حتى اقام على ارباض خرشنة • تشقى به الروم والصلبان
والبيع • للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا • والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا •
جمع في البيت الاول شقا الروم بالممدوح مجملا ثم قسم في الثاني او يكون الذي
عند الناظم من التقسيم المتقدم في قوله فما لعينيك الاعراب يا حرف نداء
للبعيد وغيره • لائمي منادى مضاف الى ياء المتكلم وهو منصوب بفتحة مقدرة
في الميم على الصحيح في الهوى متعلق بلائمي وفي للسببية والعذري نعت للهوى
مختص ومعذرة منصوبا اما على المصدر او المفعولية كما تقدم في التفسير او على الاغراء
اي الزم معذرة وهو اذا انتصب يفيد التجدد مشاقتنا على ما تبين في علم المعاني
ومني صفة لمعذرة اي كائنة مني ومن لابتداء الغاية وبكائنة المقدر يتعلق
اليك او بفعل محذوف لدلالة المعنى اي وتنتهي اليك واذا قدرت العامل

التوجيه

٢٦

في معذرة خذا ونحوه لم يتعلق به اليك لئلا يتعدى فعل الفاعل المضمر المتصل الى
مفعوله المضمر المتصل وليس ذلك من افعال القلوب ويصح رفع معذرة اما على انه خبر مبتدا
محذوف اي هذه كما تقدم ومني اليك على حالهما الاول او على الابتداء ومني صفة
له واليك الخبر ويتعلق بكون مطلق او خاص لدلالة السياق او يكون الخبر في
المجرور السابق وهو قوله في الهوى العذري ولو حرف لما كان سيقع لوقوع غيره
وهذه اسد العبارات فيها وهي عبارة سيبويه ولم تلم جوابها وعدتك
فعل ماض وعلامة التانيث ومفعول وحالي فاعل ومضاف اليه ولا محل
لجملة عدتك لانها اما مستانفة او اعتراضية او انشائية ولا نافية وسري
مبتدا خبره بمستتر والباء زائدة لا يتعلق بشيء ويضعف عمل لا عمل ليس لتعريف
اسمها ونظير زيادة هذه البـــاء فكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة بمغن
فتيلا عن سواد بن قارب وعن الوشاة متعلق بمستتر واعرابا بعد لكل
قبله ولا محل من الاعراب لقوله لا سري الى آخره لانه تفسير الاشارات
ينبغي للعبد ان يستغرق في طاعة ربه رجاء ان يكون من المعدودين في اوليائه ولا خوف
ولا عليه من عدل من عدله لمفارقة الحال المالوف والاتصاف بغير صفة اهل
الزمان وعرفهم المعروف وليجتهد في احياء سنن الهدى واتباع طريق المهتدين ولو
عنفه في ذلك احد فليعرض عن الجاهلين قال الله تعالى لاكرم خلقه عليه
فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين • اعاذلتي على اتعاب نفسي
ورعي في الدجا روض السهاد • اذا شام الفتى برق المعالي
فاهون فائت طيب الرقاد • فعلى ذلك اشتياقا الى مولاه كالمتصف
بالهوى العذري فان عذله جاهل بحقوق الله او متهاون بها فليقل للجاهل
عذرتك معذرة لجهلك بهذا المقام وليقل للعاصي المتهاون لو انصفت لم تلم
وعذرتك حالي اخبار للجاهل وتعليم له بطريق الرشاد واستفهام على طريق الانكار
للعالم العاصي او دعا له بالارشاد على تقدير اسقاط لا لا عليه فانه اللائق
بحال الدعاة اليه المشتاقين اليه فانه يعلم ان رضي سعي ذلك وقد قال
صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه لان يهدي الله بك رجلا واحدا

احب اليك مما طلعت عليه الشمس وقال ابو علي الدقاق خرج داود عليه السلام يوما الى بعض الصحاري منفردا فاوحى الله تعالى اليه يا داود مالي اراك وحدانيا فقال الهي استأثر الشوق الى لقائك على قلبي فحال بيني وبين صحبة الخلق فاوحى الله تعالى اليه ارجع اليهم فانك ان اتيتني بعبد ابق اثبتك في اللوح المحفوظ شهيدا ويروى حميدا وكما حكى ان بعض الاكابر مر هو واصحاب له على جماعة يشربون ويطربون فقيل له الا تدعو على هؤلاء المجاهدين فقال اللهم كما فرحتهم بها في الاخرة او كلاما هذا معناه فقيل له في ذلك فقال لنا اذا فرحهم بها في الاخرة تاب عليهم واقتدي هذا السيد بسيد المرسلين صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما حين قيل له ادع على دوس فقال الناس هلكت دوس يعنون ان دعا عليهم فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اهد دوسا وآت بهم ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى • وقوله لا ترى الى آخره اي ينبغي لمجاهد في الله حق جهاده ان لا يخاف فيه لومة لائم مهما امكنه ان يدعو الى الله من لم يسلك سبيل المحبين المطيعين لله كالموسنا ما لعاه في الحب فليكن دعاؤه اياهم لذلك جهرا لا استسرا عنهم ولذلك يوطن على ان يكون داؤه الذي يلقى منهم حال الدعوة لا ينقطع ولما علم الله سبحانه وتعالى ما يلقى الداعي اليه قال لنبيه صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين ويحتمل تخريج كلام الناظم في الاشارات على وجوه لكن ما قل وكفى خير مما كثر والهى

اصل

محضتني النصح لكن لست اسمعه ... ان المحب عن العذال في صمم
اني اتهمت نصيح الشيب في عذلي ... والشيب ابعد في نصح عن التهم

شرح الغريب المحض الخالص محضته الود وامحضته اخلصه والمحض اللبن الخالص الذي لا ماء فيه حلوا او حامضا ولا يسمى اللبن محضا الا كذلك

في الدنيا استهم بها

ورجل

ورجل ماحض كلابن وتامر ومحضته سقيته المحض وكذا الامحاض وامتحنت انا وكل شيء اخلصته فقد امحضته قال قل للغواني اما فيكن فاتكة تعلو اللئيم بضرب فيه امحاض • ويقال ايضا محضت الذهب بالنار بالضاد المهملة اي خلصته رجع الى المعجمة وعربي محض خالص النسب الذكر والانثى والجمع سواء ويجوز ان يؤنث ويثنى ويجمع كقلب ونجت وقد محض بالضم محوضة صار حسبه محضا النصح والنصاحة مصدر انصحه وتعديته باللام افصح قال الله تعالى وانصح لكم الاسم النصيحة والنصح الناصح وقوم نصحاء ورجل ناصح الجيب اي نقي القلب وقال الاصمعي الناصح الخالص من العسل وغيره كالناصح وكل شيء خلص فقد نصح وانتصح قبل النصيحة ويقال انتصحني انني لك ناصح وتنصح تشبه بالنصحاء واستنصحه عده نصيحا ولست اسمعه اي لا اقبله قال بعضهم لان السماع لازم القبول فعبر باللازم عن الملزوم وهو من المجاز اللغوي والمحب اسم فاعل من احب وتقدم ان اسم مفعوله نادر ولم يستعمل اسم فاعل الثلاثي والعذال جمع عاذل وهو اللائم والعذل بالذال المعجمة الملامة مصدر عذلته والاسم العذل بالتحريك وعذله فاعتذل اي لام نفسه واعتب ورجل عذلة يعذل الناس كثيرا كضحكة ورجل معذل اي يعذل لافراطه في الجود شدد للكثرة والعاذل العرق الذي منه دم الاستحاضة قاله ابن عباس الصمم السد في الاذن يقال رجل اصم بين الصمم ومنه صمام القارورة سدادها وصممت القارورة سددتها واصممتها جعلت لها صماما وحجر اصم صلب مصمت ورجب الاصم قال الخليل سمي بذلك لانه لا يسمع فيه صوت مستغيث ولا حركة قتال • ولا قعقعة سلاح لانه من الاشهر الحرم • اتهمت استربت من الريب وهو الشك وهو افتعلت من الوهم والاصل اوتهمت ابدلت الواو تاء وادغمت في التاء واتهمته بكذا والاسم التهمة بالتحريك واصل التاء واو ويقال للرجل اذا اتهمته اتهمت اتهاما مثل ادوات ادواء واتهم الرجل صارت به الريبة وانظر هل يحتمل ان يكون ما في النظم من توهمت

اى ظننت فيكون المعنى ظننت نصيح الشيب غير ناصح والظاهر انه بعيد تصريفا
ومعنى ونصيح فعيل من النصح وقد تقدم تفسيره وهو الخالص النصح وقيل
المتكلف فى الوصية والشيب والمشيب واحد وقال الاصمعى الشيب بياض
الشعر والمشيب دخول الرجل فى حد الشيب من الرجال وقال ابن السكيت فى قول
عدى فيما قال الجوهرى وقال غيره صوابه عبيد تصبو وانى لك التصابى
والراس قد شابه المشيب يعنى بيضه المشيب لا خالطه وانشد قد رابه
ولمثل ذلك رابه • وقع المشيب على السواد فشابه • فالمشيب على قول الاصمعى
اسم زمان وهو القياس وعلى القول الاخر مصدر والاشيب المبيض الراس وشاب
راسه شيبا وشيبة فهو اشيب على غير قياس لان هذا الوزن من فعل يفعل
وشيب المسوط عن ابن جنى صحيح واشتعل الراس شيبا تمييز وقال الاخفش مصدر
لان معنى اشتعل شاب والشيب جمع اشيب والشيب الجبال الشاب فتشيب به وشيب
شائب كقولهم ليل لائل وشيب واشاب الحزن راسه وبراسه وشيبه واشاب
الرجل شاب اولاده وترتيب الشيب يقال لاول شعرة تبدو ومنه رايناه فى راسه
شعرة واعيه وهى الرواعى فان كثر قليلا قيل شاب ولا يقال شمط حتى يزيد
والشمط خلط الشئ بالشئ فاذا اختلط الاسود بالابيض فهو اشمط ويقال
وخطه القتير وهو الشيب واخذه وخصفه ولغمه وخوصه اذا استوى بياضه
وسواده ويقال فيه ايضا نصف شيبه تنصيفا ويقال لوجه القتير تلويحا
واول ما يظهر يلمع فيه الشيب تلميعا وثغبه تثغيبا ووخزه وخز ويقال اخلس راسه
فهو مخلس وخليس اختلط سواده ببياضه وكذا النبات بعضه اخضر وبعضه
يبيس ورجل خلاسى لمن احد ابويه ابيض والاخر اسود فان غلب بياضه سواده
فاغثم ويقال تقشع فيه الشيب كثر وانتشر وخيط فى راسه ابو زيد
الاشمط من علا بياضه سواده والمتلمع من شاب نواحى راسه فان نبته قيل
زنبقه يزنبقه زنبقا والعذل الملامة كما تقدم وقيل توبيخ على ما لا يليق بالموبخ اذا
صدر منه والتهم جمع تهمة وتقدمت [illegible] لما كان العاذل انما ابدى
عذله فى صورة النصح كما قدمنا فى اول بيتين من النظم من انه يقول كف عن هذا

البكاء

من المهم مراتب الشيب

البكاء لئلا يتفطن لك الوشاة او لئلا يتمادى بك الحال الى الموت وكان بعض
شئ الى المحب العاذل على اى حال كان قال له هب انك اخلصت لى النصح بزعمك
وانا لا اسلم ذلك سلمنا انه كما ذكرت لكن لست اسمعه منك اى سماعا
احتفل به واعمل بمقتضاه او المعنى التصامم عنه لكونى لا احبه كقوله تعالى
وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى اذاننا وقر وقوله تعالى صم بكم
وقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بشر عندهم اذنوا
اصم عن الشئ الذى لا اريده • واسمع خلق حين اريد •
وقوله اصم عما ساءه سميع • وقوله فاصممت عمرا واعميته •
عن الوجود والفخر يوم الخنان • ولما كان عدم قبول النصح لا سيما المحض منه
على خلاف مقتضى العقل ابدى عذره فى ذلك فقال انا المحب الخ اى كانه
يقول وانما لم اسمعه لانى محب والمحب صم عن العذال اى عن عذل العذال او يقدر
انه لما قال لست اسمعه كان سائلا ساله ان ذاك مظنة السؤال فقال لم لا تسمع
فان قبول النصح شان العقلاء فاجاب لانى محب والمحب فى صمم عن العذال
فان المحب يصم عنه لانه ليس بنصح حقيقة وان اشبهه صورة بل هو غش او خديعة
او نحو ذلك وانما التفت فى قوله ان المحب لما قصد من الاستدلال على خصمه ولا
تقوم له الحجة الا اذا كان ذلك شان كل محب ولو قال انى عن العذال لما قامت
الحجة له فانه يقول له ولم فعلت ذلك قال فى المحب للعموم او لتعريف الحقيقة
وكذا هى فى العذال للعموم او كل عاذل وقوله انى اتهمت الخ اى يقول اسلك
عليها ايها العاذل عن نصحك فان شانى اتهام كل عاذل فى الحب ولو كان ممن لا تتطرق
اليه التهمة كالشيب النصيح اى الناصح الذى هو ليس من كسب احد بل مخلوق لله تعالى
فاذا كنت اتهم الشيب مع انه ابعد فى نصحه عن التهم فكيف لا اتهمك ايها العاذل
فان من الجائز ان تخالفنى الى ما تنهى عنه ومعنى كون الشيب نصيحا انه منذر بقرب الاجل
وحلول الموت الموجب لاشتغال العبد بما يقربه الى مولاه زلفا ويورث لديه حسن العقبى
وليس بعد بياض الزرع الا حصاده وقد قيل فى قوله تعالى وجاءكم النذير
انه الشيب فالشيب يقول للمحب اترك ما انت عليه من هذا الهوى واشتغل بما ينفعك فى اخراك

كصورة ما يبديه العاذل في نصحه ولذا نقاب لحوال الهوى على الشيخ كما قال
طربا وانت قنسري • والدهر بالانسان دواري • ومن هنا وطا المصنف الى
الخروج الى ما قصد من مدح النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الموضع هو المطلب
الطيبي الذي هو قبل الخروج وهو الثالث عنده من الاماكن التي يجب ان يتانق فيها
الخطيب او الشاعر كما قدمنا وبلا شك ان في اتيان الناظم به هكذا حسنا زايدا
ولطافة بينة فانه خرج من نسيبه الذي هو التغزل في ذكر الحب والعاذل الحاذ
خرج الى ذكر عذل الشيب وانتقل به الى الوعظ وقوله ابعد في نصح عن التهم يصح
ان يكون ابعد افعل تفضيل وهي الرواية ويصح كونه فعلا ماضيا قال بعضهم وعلى
الثاني ينبغي ان يكون نصحي مضافا الى ياء المتكلم قال والاول احسن لانه يفيد ان الشيب
ابعد الاشياء في النصح عن التهم فيعم نصحه ونصح غيره وعلى انه فعل ماض يختص نصحه
والعام ارجح لكثرة فايدته فيترجح الحمل عليه قلت ولا ادري من اي وجه ينبغي ان
يكون بالياء مع الفعل وبالتنكير مع غيره ورد المحبين على العذال نصحهم مشهور لدى
الشعراء ومما جاء مما يدل على ان الشيب ابعد في نصح عن التهم قول قيس بن عاصم
المنقري الشيب خطام المنية وقول اكثم بن صيفي الشيب عنوان الموت وقول
المعتمر بن سليمان الشيب اول مراحل الموت وقال التيمي الشيب بريد الحمام
وقال آخر لو كان الشباب فضة لكان الشيب له خبثا قال ابن رواحة
صدت هنيدة لما جئت زائرها • عني بمطروفة انسانها غرق • وراعها
الشيب في راسي فقلت لها • كذاك يصفر بعد الخضرة الورق • وقال
ابو دلف ونسبها الحصري الى خالد الكاتب • نظرت الي بطرف من لم يعدل
لما تمكن طرفها من مقتلي • صدت صدود مجانب متجمل • فجعلت اطلب
وصلها بتلطف • والشيب يغمزها بان لا تفعل • وهذا من عذل المشيب
وقال كشاجم وقفتني ما بين حزن وبوس • وثنت بعد ضحكة وعبوس
اذ راتني مشطت عاجا بعاج • وهي الابنوس بالابنوس • وقال آخر
وكنت اذا ما سرح المشط عارضي • رايت سحيق المسك بين يديا •
فصرت اذا خللتها باناملي • تناثر كافور بهن عليا • وقال محمود الوراق

ناجاك

ناجاك من بعد المشيب نذير • والدهر من اخلاقه التغيير • فسواد راسك
والبياض كانه • ليل يدب بجونه وتسير • وقال القحيف العقيلي
خليلي لا والله ما قلت مرحبا • لاول شيبات طلعن ولا سهلا •
خليلي ان الشيب داء كرهته • فما احسن المرعى وما اقبح المجلى
وقال رجل من الازد ولقد اقول لشيبة ابصرتها • في مفرقي فتحنيا
اعراضي • عني اليك فلست منها ولو • عممت بك مفارقي ببياض •
هل لي سوى عشرين عاما قد مضت • مع ستة فجا ثرهن مواضي •
ولقلما ارتاع منك وانني • فيما هويت وان وعت لماضي • فعليك
ما استطعت الظهور بلمتي • وعلي ان القاك بالمقراض • وهذا كله مذهب
من يحفل بحلول الشيب ويعده نذيرا مقبول النصح واما مذهب من لم يحتفل
ويتهمه في نصحه كمذهب الناظم فمن جيد ما ورد فيه قول ابن مقبل وتنكرت
شيبي فقلت لها • ليس المشيب بناقص عمري • سيان شيبي والشباب اذا
ما كنت من اجلي على قدر • وقال علي بن محمود الكوفي بكى للشيب
ثم بكا عليه فكان اعز من فقد الشباب • وقال مسلم بن الوليد
الشيب كره وكره ان يفارقني • اعجب لشيء على البغضاء مودود • يمضي الشباب
وقد ياتي له خلف • والشيب يذهب مفقودا بمفقود • وقال آخر • وقايلة
حل الهوى لرجاله • فان الهوى بعد المشيب جنون • فقلت لها ان الهوى
فيه راحة • الذ الكرى عند الصباح يكون • وهذا كقول ابزون بن مهبرد
الكاتب العماني • وقالوا افق عن سكرة اللهو والصبا • فقد لاح شيب في
دجاك عجيب • فقلت اخلاي دعوني ولذتي • فان الكرى عند الصباح
يطيب • وقال آخر نظرت الى راسي فقلت ماله • قد ضم فوديه
قناع ادكن • يا هذه لولا النجوم وحسنها • لم تالف الليل البهيم لاعين •
فتضاحكت عجبا وقالت يا فتى • نقصان عقلك في قياسك بين •
الليل يحسن بالنجوم وانما • ليل الشباب بلا نجوم احسن •
وقال الناس في الشيب كثيرا وغرضنا الايجاز

المعاني التاكيد فى قوله ان المحب بالاشجان فى الحزبان لكون المقام
طلبيا لانه لما اخبرانه لم يسمع النصح كان كل سامع لذلك متشوقا العلم علته
ونظيره ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون لانه لما قدم له ما يلوح
بالسؤال عن حالهم وكد عرفهم بان ويحتمل ان يقال ان المقام انكارى
لانه ينكر على من يعتقد خطا من لا يقبل النصح هنا ومن الاول واستغفروا الله
ان الله غفور رحيم لان النفس تتشوق الى علم هل الله موصوف بذلك بعد الامر
بالاستغفار ومنه • بكرا صاحبى قبل الهجير • ان ذاك النجاح فى التبكير وقوله
ان المحب التفات من التكلم الى الغيبة وفايدته ما تقدم فى التفسير وهذه الجملة
ايضا من التذييل ويحتمل ان يكون مما خرج مخرج المثل منه نحو ان الباطل
كان زهوقا ويحتمل ان يكون من غيره وتقدم نظيره فى قوله والحب يعترض
وفى قوله عن العذال تتميم لانه احترس به من نصح من ليس بعاذل فانه لا يتصام
عنه وفى جعله الصمم عن العذال ظرفا للمحب مبالغة حسنة لانه احاط به وقوله
ايضا ان المحب من الاستيناف البيانى ويسمى بهذا الاسم ترك العطف وهو الفصل
والجملة المفصولة ايضا وهو ثلثة اقسام وهذا من اقسامه السؤال عن سبب الحكم
الذى تضمنته الجملة الاولى كانه سيل لم لم يسمعه فقال ان المحب ومنه قوله
قال لى كيف انت قلت عليل • سهر دايم وحزن طويل • اى ما بال علتك فقال
سهر وقوله وقد غرضت من الدنيا فهل زمنى • معط حياتى لغر بعد ما غرضا
جربت دهرى واهليه فما تركت • لى التجارب فى ود امرى غرضا • اى لم تقول
هذا وما الجاك اليه فقال جربت • ويحتمل التوكيد فى قوله انى اتهمت لكون المقام
انكاريا وقوله فى عذلى احتراس وكذا قوله فى نصح وانما نكره وان كان مقتضى
الظاهر الا وفى تعريفه ليفيد ان الشيب ابعد فى حقيقة النصح لا فى نصح ما لاجل
الوزن لان التنوين لا ياتى مع ال ويحتمل ان يكون التنكير فيه للتعظيم وليس
استحقاقه للتعريف بال مقصورا على كونه ابعد للتفضيل خلافا لبعضهم
البيان قوله محضتنى النصح يطلق النصح ويراد به الالفاظ الدالة عليه
ويطلق ويراد به المعنى فان اريد الاول فلا مجاز فى لست اسمعه وان اريد الثانى

فهو اما مجاز الحذف اى اسمع لفظه واما ان المعنى لست اقبله فهو من باب التعبير باللازم
او الملزوم كما تقدم وفى محضتنى الود اى فصحتنى فهو من اطلاق السبب على
المسبب لان الود سبب النصح واسمعه على هذا من مجاز الحذف اى لفظ نصحه او اقبله
كما تقدم وقوله عن العذال اى من مجاز الحذف اى عن عذلهم وقوله نصيح الشيب الظاهر
انه استعارة لانه شبه الشيب بنذير ينصحه ولم يذكر المشبه به لكنه ذكر من لوازمه
النصح فهو استعارة بالكناية على ما مر غير مرة ووجه الشبه ان الشيب يعلم
معه الانسان انه فى نقصان فهو كالمنذر بقرب الموتان وليس هذا من التشبيه
فى شئ اذ لا دلالة لفظا على المشبه به ويحتمل ان يكون مجازا مرسلا من اطلاق
الشيب وارادة المسبب لان ظهور الشيب سبب فى عذل من ظهر عليه ان صبا
او هو يلزم العذل فيكون من تسمية اللازم باسم ملزومه نحو رعينا الغيث اى
النبت لان الغيث ملزومه البديع سمى بعضهم نحو محضتنى خطاب العاذل تهكما
قلت وينبغى ان ينظر فى ذلك فان كان المتكلم متلذذا بالحالة التى هو عليها لا يرى
غيرها شيا فصحيح ووجه هذه التسمية وان كان متندما عليها ساخطا لها
فلا بل ينبغى ان يلحق بما سماه ابن المعتز عتاب المرء نفسه وان قال بعضهم لا ينبغى عده
فى البديع لانه حكاية حال ومنه قول المتنبى • وانا الذى اجتلب المنية طرفه
فمن المطالب والقتيل القاتل • ويشبه ايضا ان يسمى بمخرج الجد مخرج الهزل
او بعكسه وسمى بعضهم نحو لكن لست اسمعه استدراكا وهو عنده من الفاب
البديع وشرط تضمنه نكتة زايدة على الاستدراك يحسنه كقول الارجانى
غالطتنى اذ كست جسمى ضنا • كسوة اعرت عن الجسم العظاما • ثم قالت
انت عندى فى الهوى • مثل عينى صدقت لكن سقاما • قلت والحاقه
بالقول بالموجب اولى وان كان بلفظ الاستدراك • ومن القول بالموجب وهو من القسم
الثانى منه وهو حمل كلام غيره على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه قول ابن
دوبرة المغربى من ابيات يخاطب بها من اودع قاضيا مالا فادعى القاضى ضياعه
ان قال ضاعت فصدق انها • ضاعت ولكن منك يعنى لو تعى •
او قال قد وقعت فصدق انها • وقعت ولكن منه احسن موقع

خطاب العاذل

عتاب المرء نفسه

تبادل الجد والهزل

الاستدراك

وقريب منه قوله واخوان حسبتهم دروعا • فكانوها ولكن للاعادي
وخلتهم سهاما صائبات • فكانوها ولكن في فؤادي • وقالوا قد صفت
منا قلوب • لقد صدقوا ولكن من ودادي • الا ان في هذا القول الكثير
بما تقدم وفي انطباقه على هذه الامثلة نظر بل الاولى ان يجعل بما حاول به
اهل اصول الفقه وهو تسليم الدليل مع بقاء النزاع وفي قوله ان الحب الى
آخره المذهب الكلامي وتقرير الدليل من الضرب الاول من الشكل الاول
انا محب والمحب في صمم عن العذال فينتج انا في صمم عن العذال وفي قوله اني
اتهمت مفهوم الموافقة فانه اذا اتهم من لا يتهم فمن يتهم اخرى وفي
محضتني النصح مراعاة النظير لمناسبتهما وكذا ذكر العذال معهما وفي اسمعه
وصمم مطابقة لفظية وفي لكن لست اسمعه مع قوله محضتني مطابقة
معنوية وهو الخفي لان من لم يسمع من النصح كأنه غير محوض وفي البيت الاول
الاستخدام وهو ان يراد بلفظ له معنيان احدهما وبضميره الآخر او يراد
بضميريه احدهما وبالآخر الآخر وذلك لما قدمنا من ان النصح يراد به اللفظ
والمعنى فهو يحتمل ان يريد بالنصح المحض المعنى وبمتى اسمع لا يعود الا على اللفظ
لان متعلق السمع اللفظ لا المعنى فهو كقوله اذا نزل السماء بارض قوم •
رعيناه وان كانوا غضابا • اراد بالسماء الغيث وبضميره النبت وفيه نظر
وجعل بعضهم قوله في صمم من التجريد كما تقدم في الهوى العذري وفي البيت الثاني
من الادماج وهو ان يضمن كلام سيق لمعنى معنى آخر كقول المتنبي اقلب
فيه اجفاني كأني اعد بها على الدهر الذنوبا ضمن وصف الليل بالطول الشكاية
من الدهر وهنا ايهام العاذل في نصحه اتهام الشيب والشكاية من النقص عنده
ايقاظها بالشيب وبدأ بذكر الشيب توطئة لذلك ولا يبعد ان يقال ان فيه
ايضا مراعاة النظير وفيه تجنيس الاشتقاق في نصيح ونصح على بعض الكلام
في مثل المصدر مع غيره وكذا القول في العذال والعذل وفيه الرجوع وهو
العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة كقول زهير • قف بالديار التي
لم يعفها القدم • بلى وغيرها الارواح والديم • كأنه لما وقف عليها ادهشه

الاستخدام

الادماج

الحزن

الحزن حتى اخبر بما لم يتحقق فلما رجع اليه عقله تدارك بقوله بلى ومنه
ليس قليلا نظرة ان نظرتها اليك وكلا ليس منك قليل • وقوله
فان لهذا الدهر لا بل لاهله • وهو هنا لما اخبر باتهام الشيب رجع
فاخبر انه ابعد في نصحه عن التهم ويشبه ان قوله لكن لست اسمعه من الرجوع
ايضا وقوله والشيب ابعد من المذهب الكلامي وفي قوله اتهمت والتهم
رد الصدور على الاعجاز وهو ايضا من تجنيس الاشتقاق وقوله نصيح الشيب
والشيب من المكرر ولو قصد ما حسن ايقاع الظاهر موقع المضمر
والغرض منه تفخيم امر الشيب وتعظيم امره في استبعاد التهمة ومن فوائد ذلك
ايضا اقامة الوزن وفي البيتين الارصاد وهو ظاهر الاعراب
محض يتعدى الى مفعولين كما ترى ولا محل للجملة لانها اما مستأنفة او تفسيرية
للوم اللائم المتقدم ولكن حرف استدراك تعطف وتقع بين متضادين او
او مختلفين والمتعاطفان بها هنا كالمتناقضين لان الود ان لم يسمع فكأنه
غير محوض كما تقدم وجملة اسمعه في محل نصب على انها خبر ليس وجملة لست اسمع
الكبرى لا محل لها لعطفها على ما هي كذلك وفي صمم خبر ان فهو متعلق بمحذوف
وعن العذال متعلق بصمم او بكائن على انه هو الخبر وفي صمم به وفي تعلقه بصمم
تقدم معمول المصدر الا انه قد يقال المراد به الثبوت لا التجدد وان المجرور
والتوسع فيه يسوغ تقدمه ويعمل فيه رائحة الفعل وفي الثاني ايضا نظر اذ لا
تستقل به الفائدة وفي الظرفية مبالغة كما تقدم وعن للمجاوزة اي جاوز
صممه العذال وجملة اني اتهمت الى آخرها لا محل لها لاستينافها ونصيح
الشيب من اضافة الصفة الى الموصوف اي الشيب النصيح وفي عن لي متعلق باتهمت
والاقرب كون في سببية وجملة والشيب الى آخرها اما معطوفة على
الاولى فلا محل لها او حال من نصيح فتكون في محل نصب وعن التهم متعلق بابعد
وكذا في نصيح على الاظهر الاشارات وعلى نمط ما تقدم منهما في البيتين قيل
من الاعتبارات انه ينبغي للمجاهد في الله حق جهاده الذي لا يخاف فيه
لومة لائم ان جاوزك اهل زمانك المخالفون امر الله رده عما هو فيه من الكلام عليهم

محض متعد لها

لكن

في السبب

العبارات

تلطف منهم ويحيل بعد عجزهم عن مجاهرته او استحيائهم منه فانهم يبدون له
النصيحة بمثل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم وقوله
صلى الله عليه وسلم اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي
راى برايه فعليه بخويصة نفسك فليتهم قايل ذلك كانهم الشيطان يفحم
وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم
لمشركون • وليقل لقائل ذلك محضتني النصح بزعمك لكن لا اسمعه ان الحب
فيما عند الله من الثواب الجزيل عن عدل العذال مثلك لفي صمم ومما يبديه
هذا العاذل من النصيحة ان يقول للقايم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر
اربع على نفسك لئلا تهلكها بنا واياك من لا تطيقه • ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة وما علم هذا العاذل ان من افضل الجهاد كلمة حق عند امام
جاير فاذا اصدر منه هذا فليقل له اني تهمت في مثل هذا النصح بل فيما
هو اقل منه من لا يتهم وهو الشيب فان لسان الحال الشيب يقول للمجتهد
في العبادة او غل فيما برفق فانك قد ضعفت وكبرت فابق على نفسك لئلا
ينقطع عملك بالكلية وهذا وان كان ظاهره جميلا لكن فيه دسايس فانه
ان اطاعه فقد يكون استدراجا يؤول الى ترك العمل شيئا فشيئا الى ان ينقطع
بالكلية وما ترك سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر شيئا من عمله بعد كبره نعم كان يصلي بعد وروده جالسا
بعد ان كان يقوم حتى يتفطر قدماه ويقال له لم وقد غفر الله لك ما تقدم
وما تاخر فيقول افلا اكون عبدا شكورا فكيف بمن اثقلت ظهره الاوزار
ولا يا من من عذاب النار ان يغفل حال شيبته • ويتوانى عند ظهور
شيبته • فالذي يليق بحال ذي الشيبة ان عدله شيبه ان ينشد قول
الذاكري عند الصباح يكون وقول وابدع ما يكون الشوق يوما
اذا دنت الخيام من الخيام بل ينبغي للانسان ان يستعد قبل حلول شيب
اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك فان من شاب فقد لاح بياض صبح سواد
ليل شعره وقوله لقد انذر المن لم يدخل في الصباح ان موعدهم

الصبح اليس الصبح بقريب • فكيف بمن دخل في الصباح وظهر كوكب نهاره
في افق راسه ولاح سمع بعضهم منشدا ينشد اذا العشرون من شعبان ولت
فواصل شرب ليلك بالنهار ولا تشرب باكواس صغار • فقد ضاق الزمان
عن الصغار فخرج مسرعا الى الحكة واقام بها مجدا في العبادة الى ان مات اللهم
الهمنا رشد انفسنا بمنك وفضلك اصبر

فان امارتي بالسوء ما اتعظت … من جهلها بنذير الشيب والهرم
ولا اعدت من الفعل الجميل قرى … ضيف الم براسي غير محتشم

شرح الغريب اماره يعني نفسي وهي فعالة للمبالغة والتكثير من امره بكذا
امرا وجمع الامر اوامر والسوء اسم جامع للقبائح يقال ساء الرجل يسوء افتح
وساء سوءا بالفتح وسا ومساءة نقيض سره والاسم السوء بالضم وقرى
به دائرة السوء وهي الهزيمة والشر ومن فتح فهو المساءة ورجل سوء بالاضافة
ورجل السوء ايضا قال الاخفش لا يقال الرجل السوء ويقال الحق اليقين
وحق اليقين لان السوء ليس الرجل والحق هو اليقين ولا يقال الرجل السوء بالضم
واساء اليه نقيض احسن ومنه السوءى اتعظت من الوعظ واصله اوتعظت
فابدلت الواو تاء وادغمت في التاء والوعظ النصح والتذكير بالعواقب وعظه
وعظا وعظة فاتعظ اي قبل الموعظة يقال السعيد من وعظ بغيره
والشقي من اتعظ به غيره والجهل خلاف العلم جهل جهلا وجهالة وتجاهل
اري من نفسه وليس به واستجهله عده جاهلا واستخفه ايضا والتجهيل
النسبة الى الجهل والجهلة ما يحمل على الجهل ومنه الولد مجهلة النذير
اسم فاعل بمعنى المنذر وهو المبلغ ويكون النذير ايضا مصدرا بمعنى الانذار وهو
الابلاغ ولا يكون الا في التخويف والاسم النذر ومنه عذابي ونذري اي انذاري
والهرم بالتحريك كبر السن وقد هرم بالكسر واهرمه الله فهو هرم وقوم هرمى
وترك العشاء مهرمة اعدت معناه يسرت وهيات ومنه اعدت للمتقين
وقيل ادخرت قال بعضهم واصله جمعت الجميل الحسن اسم فاعل من جمل بالضم
اي حسن والجمال الحسن وامراة جميلة وجملاء عن الكسائي والجمال بالضم والتشديد

ازوا مرجع الاس
السوء والسوءى
مصدر اسم

اجمل من الجميل • وقول ابي ذويب • جمالك ايها القلب القريح • ستلقى من تحب فتستريح • معنا • الزم تجملك وخيارك ولا تجزع جزعا قبيحا والقرى بكسر القاف مقصود وبفتحها ممدود مصدر قريت الضيف اذا احسنت اليه وقريته قرى كقليته قلى والمقرى انا يقرى فيه والجفنة مقراة • الضيف تكون واحدا وجمعا وقد يجمع على اضياف وضيوف واضياف ويقال للمرأة ضيف وضيفة وضفت الرجل وضيفته انزلته بك ضيفا وقريته وضفت الرجل وتضيفته نزلت عليه ضيفا ومنه قول الفرزدق • وجدت الثرى فينا اذا التمس الثرى • ومن هو يرجو فضله المتضيف • واضافني اما التجا الى نفسه بالضيافة والمنزل والالمام النزول ومحتشم اى مستحي ابو زيد حشمت الرجل واحشمته آذيته واغضبته ابن الاعرابي معناهما اخجلته واشمته اغضبته والاسم الحشمة وهو الاستحياء والغضب ايضا الاصمعي انما الحشمة الغضب لا الاستحياء وعن بعض الفصحاء العرب ان ذلك لمما يحشم بني فلان اى يغضبهم واحتشمت منه بمعنى ورجل حشيم اى محتشم وحشم الرجل خدمه ومن يغضب سموا بذلك لانهم يغضبون له التفسير من هنا تجرد الناظم من ثياب الهزل صورة وهو الغزل الذى كان يوهمه ويريد وانغمس في بحر الجد الذي دخل فيه وهو خروج بديع الى المطلب فانه علل انهماكه في حبه بتركه للجد ودخل فيه ولما كان قوله انى اتهمت نصيح الشيب يستلزم منه انه لم يطعه ولم ياخذ بقوله اذ لا استشهاد لمتهم بين هنا علة ما اجمله في ذلك فقال حاملا على عدم قبول نصح الشيب فان كانا يعد في نصح عن التهم ان امارتي اى نفسي الامارة بالسوء ما اتعظت اى ما قبلت موعظة الشيب من اجل جهلها بنذير الشيب اى جهلت انذار الشيب والهرم فنذير على هذا بمعنى المصدر او بالشيب النذير فيكون من باب اضافة الصفة الى الموصوف ويكون التقدير ايضا ونذير الهرم اى والهرم النذير او وانذار الهرم على التقدير الاول ويبعد ان يكون فان امارتي جواب سؤال مقدر اى لم لم تطع الشيب مع انه العد في نصح عن التهم من اجل الفاء ولولاها لتمكن ويحتمل ان يكون المعنى ما اتعظت بانذار الشيب فافاقت من جهلها لكنها اعرضت عن انذاره فاستمرت في جهلها

وبناء بنذير على هذا التفسير للاستعانة ويتعلق باتعظت وكذا من وهي لابتداء الغاية اى ابتداء انتفاء اتعاظها من مصاحبة جهلها على حذف مضاف وقال بعضهم هي للانتهاء نحو افاق من غشيته اى من انتهائها قلت ولا يصح هنا والالزام ان يكون اتعظت نفسه لانه حقيقة الانتهاء وهو يخبر عنها انها ما اتعظت وعلى التفسير الاول الباء زايدة في المفعول اى جهلت نذيرا او قدر نذير على حذف مضاف ومن زيادتها مع المفعول ولا تلقوا بايديكم وقال بعضهم ان تعلقت بجهل فهي للتعدية قلت وبعده ظاهر لتعديه جهل بنفسه وقوله امارتي اضاف امارة التي عنا بها نفسه الى ياء المتكلم وهي ايضا نفسه فيكون نفسه على هذا آمرة مامورة والعقل يقضي بتغايرهما واما قوله تعالى ان النفس لامارة بالسوء سواء قدرنا انه من تمام كلام امرأة العزيز على القول بذلك او من كلام يوسف عليه الصلوة والسلام فلا يرد فيه مثل هذا لانها لم تصف قال الزمخشري اراد هذا الجنس بامرها بالسوء ويحمل عليه ما فيه من الشهوات واجاب بعضهم عن هذا السؤال بان الانسان ان عزم على شيء تردد فيه فتارة يشتد عزمه على فعله وتارة على تركه فهما خاطران فالصواب منهما النفس المطمئنة وهي المامورة بالسوء ومخالفة النفس الامارة قال وهذا هو المراد في الآية ايضا لان نفس الانسان تامر انسانا آخر قلت والاولى ان يقال ان الامارة هي النفس والياء المضاف اليها هي البدن وهو المامور فالنفس مستولية بسلطانها على البدن تصرفه في شهواتها الا ان يزعها وازع العقل وقال الحكماء النفس شيء واحد فان مالت الى عالم الالهي فمطمئنة والى الشهوة والغضب فامارة وهذا البناء للمبالغة لان النفس من اول حدوثها الفت المحسوسات وعشقتها وشعورها بعالم المجردات قادر لا يحصل الا للواحد في الاوقات النادرة ومنهم من قال المطمئنة هي العقلية النطقية والشهوانية والغضبية مغايرتان لها وقال علماؤنا رضي الله عنهم قسم الله تعالى النفس ثلاثة اقسام لثلثة احوال الامارة وهي التي لا يلوح لها طمع الا تعرضت له ولا تبرز لها شهوة الا اقتضتها لم تسلك طريق الرشاد ولا استضاءت بنور السداد ولا احكمتها الرياضة فهي تهيم في كل واد من البطالة وذلك المعبر

بالهوى وهذه النفس من ظنين او فطين ومطمئنة وهي التي ثبت لها من الله
العصمة من المعاصي وسبقت لها منه السعادة وقيل انها مطمئنة لاطمينانها
الى ذكرها وقيل الى الايمان • وقيل الى التصديق بوعد الله وقيل غير ذلك ولوامة
وهي التي اذا وقعت في معصية بسابق القضا رجعت بالملامة على ذاتها وتلك حالة
حميدة ولها ان شاء الله عاقبة جميلة وهي حالة اكثر المؤمنين ولفضلها اقسم
الله بها قال بعضهم لي نفس مشومة والمعاصي فعالها كلما قلت قد سلت عن
هواها بدالها • ليت شعري الذي غرها فاستمالها • فان قلت كيف وبخ النفس
على عدم انقاذها من جهلها والجهل لا قدرة للانسان على تحصيله ولا قلة
ما لا يقدر عليه الانسان قد يكون قادرا على سببه فيلام لترك السبب ويمدح
بالاحد فيه ولذا امرنا ان نعلم ان لا اله الا الله ونحن لا نقدر الا على سبب
ذلك وهو الاستدلال واسباب رفع الجهل المقدورة هي التعلم ومن هذا ولا
تموتن الا وانتم مسلمون فانه نهى عن الموت الا حال الاسلام ولا قدرة لنا
على ذلك وانما المعنى لا تفارقوا الاسلام كي تموتوا عليه ولا يختص هذا السؤال
بجهل من في منجهلها لغير التعليل خلافا لبعضهم وقوله ولا اعددت اي ان ما
ما انقطت ولا اعددت اي يسرت وهيأت من الفعل الجميل وهي الاعمال الصالحات
التي يجب الحتم بها قرى ضيف اي احسانا بالفعل الجميل الى الضيف الذي نزل براسي
ولم يحتشم وذلك الضيف هو الشيب وانما استحق ان يعد الاعمال
الصالحات لضيافته لانه نذير الموت ومنذر به وكانه انما ياتي ليرحل بمن نزل به
فالواجب ان يعد الانسان زاده قبل ان يجي الركب الذي هو سريع الارتحال فانه اذا
اخر الاستعداد الى نزوله قد لا يتمكن من شي لسرعة الرحيل وضيق الوقت
شبابك قبل هرمك • ووجه تشبيه الشيب بالضيف ان الذي كان ملازما للانسان
قبل الشيب هو الشعر الاسود فلما تبدلت صفته كان كالضيف الاجنبي الذي نزل
بالشخص ولما كان نذيرا بانقضاء العمر صار بلسان حاله كالطالب المبادرة بالاعمال
الصالحة التي يتزود الى الاخرة كما يطلب الضيف قراه تصريحا او حكما ووجه وصفه
بكونه غير محتشم اي غير منقبض ولا مستحي انه لما كان من دابه الضيف ان لا

الثواء والاقامة عند من اضافه حتى يخرجه كما ثبت ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم
على ما روينا في الصحيح وان من ادابه الاكتفاء بما وجد وستر مقابح اهل البيت
من تقصيرهم بجهته وغير ذلك ومن لا يفعل ذلك من الضياف فهو غير محتشم
كان ضيف الشيب غير محتشم لانه ان نزل لا يرحل الى الممات ويشتغل كل يوم ويزيد
فهو كالضيف الداعي الاهنب في هلموا الى النزول وهو بلسان حاله ينعى
وينادي جهارا على من لم يقم بحقه بالتوبيخ ويوجب التقبيح من الناس على من لم يراع
حقه ومما قيل في الشيب الشيب نور في الرؤس وظلمة في النفوس الشيب وكل
الشيب حلية العقل • الشيب زين محضتها الايام ومما قيل في وعظه الشيب
خير نذير لو كان يغني النذير • ولمر الدولة • لما رأيت المشيب في الشعر الاسود
قد لاح صحت واحزني هنا وحق الاله احسبه اولخيط سد من الكفن
ولابي الفتح البستي • لا عذر من بعد المشيب لكالع • يصبو الى كاس المدام
ويترب الشيب مثل طليعة ووراه جند يغير على الحياة وينهب
ولبعض شعرا • البتيمه لقد بان الشباب وكان غصنا له ثمر واوراق تظلل
وكان البعض منك فمات فاعلم • متى ما مات بعضك كلك • ولآخر
يا شيبتي دومي ولا تترحلي • ويتعنى اني بوصلك مولع قد كنت
اجزع من حلولك مرة • والان من خوف ارتحالك اجزع • ومن البكا
على الشباب وهو ابكى بيت قيل فيه وفي هذه • ونسبلا لبعض الاسديين
اتامل بهجة الدنيا اسفاها • وقد صار الشباب الى ذهاب •
فليت الباكيات بكل ارض • جمعن لنا فنحن على الشباب • ومما
حسن ما قيل فيه قول محمد بن حازم الباهلي • لا تكذبن فما الدنيا باجمعها
من الشباب بيوم واحد بدل • شرخ الشباب واذا بقيت في حزنا •
ما جد ذكرك الاحد لي تكل • ولابي العتاهية فيا اسفي اسفت على شبابي
نعاه الشيب والراس الخضيب • عريت من الشباب وكان زينا • كما يعري
من الورق القضيب • فيا ليت الشباب يعود يوما • فاخبره بما فعل المشيب •
وقال آخر ولى الشباب وكنت تشكو ظله • فانظر لنفسك اي ظل تشكو •

وينهى المشيب عن الصبا لوانه • يدلي بحجته الى من يلقن • ولبعضهم لم لا تتب
وقد لم نذير • للشيب يوذن انه سيبير • اما الشباب فانه عذر وما للمرء
من بعد الشباب عذير • وقال آخر اتطمع ان تكون وانت شيخ • كما قد كنت ايام
الشباب • لقد كذبتك نفسك ليس ثوب • جديد كالرثاث من الثياب •
وقال ايضا من شاب قد مات وهو حي • يمشي على الارض مشي هالك •
لو كان عمر الفتى حسابا كان له شيبه فذلك • قال اسحق الموصلي
غنت لي جارية كاعب بطريق فغازلتها فمرت ولم تحفل فتبعتها الى باب
دار شاهقة فاخذت بعضادته وكشفت عن وجه كالقمر • وقالت
الان لما علاك المشيب • وابصرت في عارضيك القتيرا • وبان
الشباب بلذاته • فولى واصبحت شيخا كبيرا • تطربت وارتحت للغانيات
هيهات حاولت امرا عسيرا • ثم دخلت فانصرفت اخزى من دخل النار •
ولتسمية الشيب ضيفا قوله اهلا وسهلا بضيف نزل • واستودع الله
الفا رحل • فاما المشيب فصبح بدا • واما الشباب فليل افل • وقوله
اناخ الشيب ضيفا لم ارده • ولكن لا اطيق له مردا • ردا اللذي
فيه دليل يردى من به يوما تردى • وقول الناظم ضيفا لم • من قول المتنبي
ضيفا لم براسي غير محتشم • والسيف احسن فعلا منه باللمم • المعاني
الفاء وان كلاهما للتعليل الحكم الذي في البيت قبله يليه وفي قوله اماراتي
التفات من التكلم الى الغيبة لوضعه الظاهر موضع المضمر وفايدته ما في لفظ
امارتي من التعليل المناسب لعدم الاتعاظ وتقدم نظيره في امن الصب وان
الحب وللتوصل به الى تقديم المسند اليه المخبر عنه بالفعل لافادة تقوى الحكم
الذي هو عدم الاتعاظ لان فيه الاسناد مرتين اسناد الفعل الى ضميره الظاهر نحو
انا قمت فانه ادل على القيام من قمت وقمت انا ان جعل انا تاكيدا للمستتر
وفي نذير الشيب والهرم شبه التوشيع لان نذير واقع موقع المثنى اي نذيري
لان المضافين الى مثنيهما اذا افترقا يختار فيهما لفظ الافراد على لفظ التثنية
كقوله تعالى على لسان داود وعيسى بن مريم • وقال بعضهم ان لفظ

فان للتعليل

الهرم معطوف على نذير فلذا لم يثن نذير الا ان معناه واحد فلو ثني قلت اما ما ذكره
من العطف فاحتمال صحيح واما قوله انما لم يثنه لان معناه واحد فمفهومه انه لو كان
ما اضيف اليه اثنان لما افرده وليس كذلك كما قررت لك وال في الشيب اما
للحقيقة او للمبالغة لانهما الكاملان في الانذار والتنكير في ضيف للتعظيم ويحتمل
ان يكون في قوله براسي التفات من الغيبة الى التكلم اي براسها وان عاد على
ما عاد اليه ضمير امارتي فلا التفات فيه ووصف ضيف بالجملة الفعلية
لافادة التجدد دائما وهو يفسر شيئا فشيئا نحو كلما نضجت جلودهم
بدلناهم نص عليه الزمخشري فيه والتعبير بان تارة لافادة ان ذلك وصف
ثابت لهما وكانا تعطيا علمت ماضيين لافادة ان المطلوب حصولهما واستعلاء
لئلا يفجا الامر وكانا فعليين منفيين لافادة نفي ما هو ثابت منهما احرى ولا
ضدهما وهو امرها بالسوء ثابت فيهما متجددان البيان الظاهر ان
تسمية النفس امارة باعتبار ميلها الى الشهوات وتوفر دواعيها لديها فيكون
من باب الاستعارة بالكناية ولا يخفى عليك تقريره لتقدمه غير مرة واسناد
الاتعاظ اليها يحتمل الحقيقة والمجاز واما قوله فهو ضيف مجاز بليغ لا استعارة
لذكر طرفي التشبيه وفي قوله الم براسي غير محتشم ايغال لانه لم يقتصر على
بالضيف حتى وصفه بانه غير محتشم كقولها كانه علم في راسه نار لم تقتصر على تشبيهه
بالعلم وان كان وافيا حتى زادت في راسه نار واما وصف الشيب بانه غير محتشم
فان اخذت القضية معدولة فمجاز وان اخذت على معنى السلب فحقيقة ولو اثبت
الاحتشام لكان مجازا البديع في البيتين عتاب المرء نفسه وهو من المذهب
الكلامي ومن حسن التعليل ومن حسن الاعتذار وفي الفاظ البيت الاول كلها
مراعاة النظير وخصوصا في الشيب والهرم وفيه الارصاد وفيه الطباق لجمعه
بين الامر والسوء والاتعاظ وهما ضدان والاتعاظ ايضا ضد الجهل وفي ضيف
الم وغير محتشم مراعاة النظير وان صلح مكان محتشم منتقص فهو من التخيير
الاعراب جعل الاسناد والقصار الفاء لتعقيب هذه الجملة التي هي كالشاهد
بحجة بجملة اني تمت التي هي الحجة وقدمها الا انها اهم عنده بالسوء متعلق بامارة

وجملة ما اتعظت في موضع رفع خبر ان وبنذير متعلق باتعظت وباؤه للسببية
وكذا من جهلها ومن فيه للتعليل وتقدم هذا وغيره في التفسير وجملة ولا اعتدت
معطوفة على ما اتعظت ومن الفعل متعلق باعدت ومن للتبعيض على الاظهر وقرى
مفعول باعدت وفاعل لم ضمير يعود على الضيف وبرأسي متعلق بالم والباء
للظرفية والجملة في موضع خفض نعت لضيف وغير صفة لضيف وهو على غير
الغالب لان الاسم ان نعت بمفرد وجملة قدم المفرد واخرت الجملة غالبا فان

النعت المفرد اقدم غالبا على الجملة ولو ظرفا ومجرورا مشبهها

كان معهما ظرف او مجرور فيتوسط نحو وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه
ونظيرها هنا فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على
الكافرين ويصح نصب غير على انه حال من فاعل لم وهو وان كان نعوجا لعدم
انتقاله والحال منتقلة غالبا الا انه يتخلص به من سبقية النعت بالجملة الاشارات

المنتقلة اصل

لما تقدم في البيتين قبل هذين ان الانسان ينبغي ان يقف مع الحق ويتلقى مصنفه
في ذلك بما تقدم نبه هنا على انه ينبغي له مع ذلك ان يتحفظ من النفس وان يرى
لنفسه شفوقا على من يعظه فان الواجب عليه ان يبدأ بنفسه ابدأ بنفسك ثم من
تعول ولا اقبح ممن يأمر بالمعروف ثم لا يأتمر وينهى عن المنكر ثم لا ينتهي اتأمرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون ٭ وللمتوكل
الليثي الكناني وتروى لسابق البربري ٭ ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فاذا انتهت عنه فانت حكيم ٭ فهناك يقبل ان وعظت ويقتدى ٭ بالعلم منك
وينفع التعليم ٭ لا تنه عن خلق وتأتي مثله ٭ عار عليك اذا فعلت عظيم ٭
وفي الصحيح الاخبار عن شدة عذاب فاعل هذا وان اهل النار يقولون له عندما يرون
من عذابه الم تكن تامرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول بلى ولكني كنت لا اتمر
ولا انتهي وقال الواعظ يقول اقول لما اقول ولست عليه فان امارتي بالسو
الى آخره وقد فعل هذا من شهد له اله العالمين بالعصمة والاخلاص وهو
يوسف الصديق صلوات الله عليه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه
من عبادنا المخلصين ومع هذا اظهر القصور وقال بعدما بالغ في اظهار براءته
وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء فالمرء وان اتعظت نفسه الغاية

فليقل ما اتعظت هضما لها وتحريضا على الزيادة وكذا يقول ولا اعتدت من
الفعل الجميل المستعد غاية وسعها منه قرى ما ينزل بها من اضياف الآخرة كالشيب
وغيره مما لا يرتحل ولا يحتشم فالكريم المستحي الخائف من العار يضيف
الدنيا وان كان غاية ما يستحق عند ضيافة ثلثة ايام ثم يرتحل فوق
ما يقوم به فيها فما عسى ان يكون الانسان المستحي من ربه الخائف من عذابه
لاضياف لا يرتحلون عنه ولا يحتشمون اذهم اضياف الآخرة التي لا تفنى
اعاننا الله على ما يقربنا اليه زلفى بمنه فالعاقل لا يرضى عن نفسه ٭ فان النفس
امارة بالسوء مكارة ولو رضي عنها لرضي عنها الكريم بن الكريم بن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وقال ابن عطاء في قوله تعالى
وما ابرئ نفسي اي ما ابرئ نفسي بنفسي انما ابرئ نفسي بربي وقال
جعفر الصادق من لم يتهم نفسه على دوام الاوقات ولم يخالفها في جميع الاحوال
ولم يجرها الى مكروهها كان مغرورا ومن نظر اليها باستحسان شيء منها فقد اهلكها
وقيل النفس مجبولة على سوء الادب والعبد مأمور بحسن الادب وملازمة فالنفس
تجري على طبعها ميدان المخالفة والعبد يردها عن سوء البطالة فمن اعرض
عن الجهل فقد اطلق عنان النفس وغفل عن الرعاية وقال ابو حفص المغتر
النفس ظلمة كلها وسراجها سرها ونور سراجها التوفيق فمن لم يصحبه في سره
توفيق من ربه كان مظلمة كلها وقال سهل النفس الامارة ليس لها في الاخلاص
نصيب وللنفس ثلثة اعوان الشيطان كقوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر

اعوان النفس

ان الشيطان لكم عدو والدنيا لقوله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
والهوى لقوله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وليس للآمر ولحد
وهو العقل والكل جند من جند الله واولئك حزب الشيطان والعقل من حزب
الرحمن والقضا مسيطر على الكل يفصل بين تنازعهم ويمضي بكل احد الى
ما كتب له لا محالة ولبعضهم ابليس والدنيا عدوان لي وهما بينهما حائر
ومن ينتصر بالله سبحانه فان مولاه له ناصر ٭ فاصبر وكن محتسبا انما
وليه المحتسب الصابر ٭ لعل ذا العرش الى مذنب ٭ برحمة تشمله ناظر ٭

وقال بعض الائمة الافات ثلث عذاب الدنيا وهوى النفس واهوال القيامة ٥
والنجاة من الثلث متعلقة بالرحمة قال الله تعالى في الاولى لا عاصم اليوم
من امر الله الا من رحم وفي الثانية ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي
وفي الثالثة يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون الا من رحم
وهذه الاية ازالت نوم العابدين فكذا لا ينجو من افات النفس الا من رحم الله
فليس لاحد ان يزكي نفسه لان نفس الادمي طبعت على الهوى والشهوة فلو تركها
لا بالسوء قال تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى الم تر الى الذين
يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء • ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم
من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء نجانا الله من فتن الدنيا المضلة
ومهالك الاخرة بفضله ومنه ورحمته **اصل**

لو كنت اعلم اني ما اوقره — كتمت سرا بدا لي منه بالكتم
من لي برد جماح من غوايتها — كما يرد جماح الخيل باللجم

شرح الغريب العلم المعرفة علمت الشيء بالكسر اعلمه علما عرفته وحد اهل
الاصول بحدود اصحها انه صفة توجب تمييزا لا يحتمل النقيض وعالمت الرجل
فعلمته اعلمه بالضم غلبته بالعلم ورجل علامة عالم جدا الهاء للمبالغة قال
الجوهري كانهم يريدون به داهية واستعلمني الخبر فاعلمته اياه وعلمته الشيء فعلم
وعلمته فتعلم وليس التشديد هنا للتكثير ويقال تعلم بمعنى اعلم قال ابن السكيت
تعلمت ان فلانا خارج بمنزلة علمت ولذا قال اعلم ان زيدا خارج قلت قد تعلمت
وتعلم ان زيدا خارج لم تقل قد تعلمت وتعالمه الجميع اي علموه وقال النحاة
اذا كان العلم بمعنى المعرفة تعدى لواحد وبمعنى اليقين لاثنين وقولنا اعلم يحتملها
الا ان الاظهر كونه لليقين • اوقره اعظمه والتوقير التعظيم والترزين ايضا
وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون لله عظمة عن الاخفش
ورجل موقر اي مجرب والتيقور الوقار اصله ويقور قال العجاج فان يكن
امسى البلا تيقوري • بعد شباب عبقب التصوير • اي وقاري ومن المادة الوقار
وهو الحلم والرزانة وقر الرجل يقر وقارا وقره فهو وقور كتمت الشيء كتما وكتمانا

العلم

احمد

اخفيته وتقدم تمامه والسر الشيء المكتوم وجمعه اسرار والسريرة مثله
والجمع السرائر وتقدم تمامه بدا الامر يبدو بدوا كقعد قعودا اي ظهر وابديته
اظهرته وقوله تعالى بادي الرأي في قراءة من لم يهمز اي ظاهره وعند
من همز اي اوله والكتم بالتحريك نبت يخلط بالوسمة ويختضب به قاله الجوهري
وسمعت من يقول هو النجم المسمى بالمثنان وسمعت فيه غير ذلك ممن لا اثق به
الجماح مصدر جمح الفرس جماحا وجموحا اذا اعتز فارسه وغلبه فهو فرس
جموح وجمحت المرأة من زوجها خرجت من بيته الى اهلها قبل ان يطلقها والجموح
من الرجال الذي يركب هواه فلا يمكن رده وجمح اي اسرع وبه فسر ابو عبيدة
وهم يجمحون قال الازهري الجموح له معنيان احدهما ما لا يثنيه شيء فهو من
الجماح الذي يرد منه بالعيب والثاني النشيط السريع وهو ممدوح
ومنه قول امرئ القيس وكانوا من اعرف الناس بالخيل واوصفهم لها جموحا مروحا
واحضارها • كمعمعة السعف الموقد • والرد مصدر رده عن وجهه يرده ردا
ومردا صرفه ومنه فلا مرد له ويحتمل ان يكون من رد عليه الشيء اذا لم يقبله
او خطاه ورده الى منزله ورد اليه جوابا رجع والمردودة المطلقة والمردود ايضا
ردها في ضابها والمردود الرد مصدر كالمعقول من غوايتها من ضلالها بفتح
الغين والغي الضلال والخيبة وغوى بالفتح ويغوى غيا وغواية فهو غاو
وغوي واغواه غيره فهو غوي على فعيل قال الاصمعي لا يقال غيره وانشد للمرقش
فمن يلق خيرا يحمد الناس امره • ومن يغو لا يعدم على الغي لائما • ولدريد بن الصمة
وهل انا الا من غزية ان غوت • غويت وان ترشد غزية ارشد • والتغاوي التجمع
والتعاون على الشر من الغواية او الغي ومنه تعاونوا على عثمان فقتلوه ويحتمل
ان يكون ما في البيت لمعنى لا بالضرب من الغوي مصدر غوي الفصيل بالكسر قال
ابن السكيت اذا لم يرو من لباء امه ولا من اللبن حتى يموت هزالا وقال غيره
هو ان يشرب من اللبن حتى يتخم ويفسد جوفه الخيل اسم جمع واحد فرس من غير
لفظه وقيل جمع خائل قلت كراكب وركب وعابد وعبد ونائحة ونوح ويجمع الخيل
ايضا الخيول ومنه والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة والخيل الفرسان

ومنه واجلب عليهم بخيلك ورجلك والخيالة اصحاب الخيل واللجم جمع لجام
وهو فارسي معرب واللجام ايضا ما تشد به الحايض وفي الحديث تلجمي اي شدي لجاما
كقولهم استثفري وجاء فلان وقد لفظ لجامه اذا انصرف من حاجته مجهودا من الاعيا
والعطش كما يقال جاء وقد فرض رباطه **المعنى** لما بين ان نصح الشيب
لا ينبغي ان يهمل نصحه ويجب قبوله لقوله والشيب ابعد واعتذر عن عدم قبوله
هو بقوله فان امارتي بالسوء اي لم يحملني على مخالفة وعظه الا النفس الامارة ولا
فقد كنت رتقبت حلوله ونزوله واعتقدت ان القاه بما يليق به وهكذا شان المؤمن
فانه وان كان في غاية الانهماك في المعاصي فانه يامل التوبة ويوطن على استدراك
ما فاته ولهذا وشبهه كانت نيته خير من عمله فكانت نية الناظم ان يقلع عند
حلول الشيب به ويشتغل بالعبادة ويعد الشيب من اقوى الاحتجاجات على من يرى
من نفسه او غيرها على ما كان عليه قبله من البطالة ويعتذر له بظهوره فيقول
ما يحسن بي الان ما تقدم لظهور الشيب في اطرابا وانت قنسري وهذه النية
في الشيب تستلزم فرحه به وان لا تغيره فلما لم يتم له مناه ولم يطابق فعله بعد ظهوره
ما نواه لغلبة النفس الامارة اياه حتى استحلى حاله الاولى واستمر على هواه
وراى من سوء العتاب وتقبيح الفعال من الناس ما لم يكن قبل رواه ندم على ان لا يكون
كتمه عند ظهوره ولخفاه فقال لو كنت اعلم اني ما اوقره اي اعرفه واتبعه قبل نزوله
الشيب اني ما اوقره اي اعظمه واترك فعل القبيح استحياء منه كما نويت قبل نزوله
كتمت سرا اي لكنت كتمت اي لخبيت ابدا لي منه اي من الشيب ولقرنه بالخضبه
بالكتم او غيره مما تخضبه وعبر عنه باسراره اولا من الشيب بالسر لانه قبل ظهوره
خفي كحديث النفس الذي لم يظهر او لانه منذ يتقرب اجله الذي كان خفيا فاذا ظهر فلا
مطلع عليه غالبا صاحبه لاهتمامه بشان نفسه اكثر مما يهتم به غيره
فلذا قال لي فليس قوله لي كالمستغنى عنه على ما زعم بعضهم قال ولا معنى له
لولا الوزن فان المستقبح منه ما يبدو لغيره فيلومه عليه لا ما يبدو له هو انتهى
قلت واذا فهمت ما قدمت لك علمت انه لا بد من ذكره ويحتمل عكس هذا
وهو انه لما كان محل اكثر ما يبدو فيه الشيب الاشيب الغالب كالراس واللحية لا يمكن

نية المؤمن خير من عمله

من النظر

من النظر اليه صاحبه وانما يراه غيره فاذا عذلني لاحي على هواه بعد الشيب عند ذم
بانه لم يظهر له هواي ولا يصدقه او يقول له لما لم يبد لي فهو من القلة بحيث
لا يلزمني مراعاته ولا احتشم منه حتى اراه وذلك كله لفرط الهوى وهذه
الاعتذارات بمثابة من يخبر بان الضيف نازل به ولم يره هو فان من لا يراعي
حق الاضياف لبخله يسوف ويعتذر بادنى عذر يمكنه لرفع اللايمة عنه فاذا
شاهده الضيف ولم يعم تجهه سلم حينئذ لمن نسب اليه اللوم وانقطع عذره
فيكون المعنى حينئذ كتمت سرا بدا لي وهو الذي يقطع عذري لاني لما المراد
فقد خفي عني كالسر ولما لم يرتض هوى نفسه ومضيها قدما فيه على وجهها عناد
واعظ الشيب استفهم عمن يتكفل له برد جماحها فقال من لي برد اي
من يتكفل لي ويتفضل علي برد جماح اي قوة واعتزازا واسرع من ضلالة نفسي
رداً كرد جماح الخيل باللجم القوية لا كفانا واعظ الشيب والظاهر ان الناظم
انما اراد بالجماح المعيب فهو اللائق بحال المبالغة قال بعضهم ويخيل
الناظم الامارة الجامحة في غيها مركوبا للمطمئنة غالبا لها قلت والمطمئنة
لا يكون مركوبها الامارة لما قررت لك فقل بل الذي يخيل الناظم راكبا
الامارة ومركوبا الغواية وهو في غاية الظهور **فائدة** في قوله لو كنت اعلم
اني ما اوقره تنبيه على وجوب توقير الشيب لان الله تعالى سماه وقارا لما جاء ان
اول من راى الشيب ابرهيم صلوات الله وسلامه عليه حين رآه فقال ما هذا
يا رب فقال وقار يا ابرهيم فقال يا رب زدني وقارا فاصبح وقد عمه
الشيب وقد اختلف العلماء هل الافضل تركه او ستره بالخضاب والفرق
بين الحاجة الى الخضاب عند اظهار التقوي والارهاب للعدو فيكون افضل
وبين عدم الحاجة اليه فيكون تركه افضل وعليه يدل قوله صلى الله عليه وسلم
في ابي قحافة حين اتى به اليه يوم الفتح وراسه كالثغامة الا غيرتم هذا الشيب
وقول علي رضي الله عنه في الخضاب كان ذلك والاسلام قل واما الان
فامرؤ وما اختار يدل على الاباحة وكره مالك ستره بالسواد وهما قيل
فيما قصد الناظم من كتم سر الشيب بالخضاب ابعاد كتمه عن ذي الشيب

وعن غيره قول بعضهم • شبت والنفس فتاة والفتى • نفسه ادعى الى دعوى
الكرم • فرأ ميت الصوت الصبا • وكمنت الشيب قلب الكتم •
كيف لا اطمع من لو زبر • تبصر الاعين تقصير الهمم • وقول عبد الله بن [illegible]
في مشيبي شماتة لعداتي • وهو داع منغص لحياتي • ويعيب الخضاب قوم
وفيه • انس الى حضور وفاتي • لا ومن يعلم السرائر مني • ما ارتئيه كل يوم
مرات • وهو داع الى تقني ومن ذا • سره ان يرى وجوه النعاة • وقال آخر
قالت اراك خضبت الشيب قلت لها • سترته عنك يا سمعي ويا بصري • فاستضحكت
ثم قالت من تعجبها • تكاثر الغش حتى صار في الشعر • وقال في ذم الخضاب
انشد ابن الانباري عن ابيه • رأيت الشيب تكرهه الغواني • ونحن الشباب
لما هوينا • فهذا الشيب نخضبه سوادا • فكيف لنا فنسترق الشبابا •
وقال نسيم الحلي اقول لاخرة بالخضاب تحاول رد الشباب النضير •
اليس المشيب نذير الاله • ومن ذا يسود وجه النذير • وقال ابن الرومي
يا ايها الرجل المسود شيبه • كيما يعد به من الشبان • اقصر فلو سودت كل حمامة
بيضا ما عدت من الغربان • وقال ابو الفضل الميكالي • قد ابى لي خضابي
فؤاد • فيه جد بكم سري وولوع • خاف ان يحدث الخضاب نصولا • ونصول الخضاب
شر بديع • وندب اعرابي الى الخضاب ففعل مرة ثم تركه فقيل له لم تركته فقال يا هنا
لقد شدت لحيا فخلت اخا لي ميتا • وقال كشاجم فجمع بين اخفا الشيب واظهاره
واحسن غاية • نظرت الى المراة فرد عتق • طلايع شيبتين المثاني • فاما شيبة
فضرعت عنها • الى المقراض من حب التصابي • واما شيبة فضعفت عنها • لتشهد
بالبراة من خضاب • فيالك من مشيب قد بدا • اقمت به الدليل على شباب •
المعاني انما عبر بلو دون ان لان لو للشرط في الماضي والمعنى لو كنت علمت لو وإن وما
فيما مضى لان المضارع الذي يتعلق به لو يصرف الى الماضي واما قوله ما اوقر
فالظاهر ان الفعل بعد ما مستقبل خلاف ما يقول اكثر النحاة انها لنفي الحال ورأى
ابن مالك انما قد تأتي لنفي المستقبل كقوله تعالى قل ما يكون لي ان ابدله من
تلقاء نفسي • وكقول النابغة يمدح النبي صلى الله عليه وسلم له نافلات

ما يغب نوالها وليس عطا اليوم مانعه غدا • وقال ابو ذؤيب اودى
بني واعقبوني حسرة • عند الرقاد وعبرة ما تقلع • فهو يقول لو علمت فيما مضى
انه لا يكون مني توقير في المستقبل كمنت وانما لم يقل لا وان كانت تخلص المضارع
للاستقبال عند غير ابن مالك ايضا لانها موهمة لنفي التابيد بخلاف ما ولا
يصح حمل ما هنا على الحال لانه كان يجب ان يقارن الفعل الذي بعد لو المجعول
ماضيا وهو محال لانهما لا يجتمعان ولانه ان لم يوقر في الحال لا يحسن نفي علمه
لان لو حرف امتناع وهو معنى النفي فان قلت معناه لو علمت اني لم اوقر حال وجود
قلت هذا هو حقيقة الاستقبال والتنكير في سر اما للنوعية او للتعظيم وفي قوله
لي احتراس كما تقدم او هو من البيان بعد الاجمال فهو من باب الاطناب نحو رب
اشرح لي صدري ويسر لي امري وفائدته علم الشيء اجمالا ثم تفصيلا او
الاستلذاذ بتعيينه بعد الاياس منه فيكون اللذة اتم لانها اتت بعد حرمان
التبيين واللذة بعد الالم اكمل من المستانفة والاستفهام في قوله من لي للتعظيم
او للاستبعاد والبحث في لي الواقع بعد من يقرب من الذي قبله وتنكير جناح
للتعظيم وفي قوله بالنجح احتراس من الجناح الذي يكون من النشاط وسرعة
الجري فانه يرده ادنى تخييل بخلاف الذي يكون لاعتزام في رأس الفرس كما تقدم
فدل بقوله بالنجح على انجماح نفسه من العيب ويحتمل ان يكون بالنجح
من الاطناب المسمى بالايغال ونكتته تحقيق تشبيه جماح النفس بجماح الخيل
كقول امرئ القيس كان عيون الوحش حول خبائنا وارحلنا الجزع الذي لم يثقب
فان الجزع غير المثقب ازيد شبها بالعيون من غيره وفي البيتين التفات لانه
قبل كان يخبر عن النفس بالاسم الظاهر وهو غايب ثم اخبر هنا عن المتكلم ويحتمل ان
لا يكون التفاتا البيان لما كان منصوبا وفره يعود على الضيف احتمل ان
وقوله كمنت سرا تشبيه بليغ لانه شبه اخفاء الشعر الابيض بالصبغ باخفاء السر
ولم يذكر اداة تشبيه ولولا اشتمال البيت على ذكر طرفي التشبيه لكان من الاستعارة
واما في قوله من لي برد جماح من غوايتها فلو اقتصر على هذا الشطر لكان استعارة
بالكناية وهي ترشيحية لذكر ما يلايم المستعار منه وهو الجماح لكن لما ذكر الشطر الثاني

تبين انه تشبيه ووجهه بين والغرض منه يعود الى المشبه لانه لما طلب او تمنى
من يرد له نفسه من جماحها كان سامعه استبعد ذلك لما علم من حال النفس
فذكر ما يدل على قرب مطلوبه ان صح قياسه ومن هذا قول ابى الطيب فان تفق
الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال والتشبيه فى هذا البيت مقدر
اى انت فى الفضائل كانك خارج من نوع الانسان وان كنت منه فان استبعد ذلك
مستبعد فليعتبر بالمسك فانه من الدم ولما فيه من الخصايص كانه ليس منه
قيل ومنه واذ تنغنا الجيل فوق تخيم كانه طلة وفيه نظر واذا اخذ تشبيهه
دليلا فالتشبيه المستدل عليه ما تضمنه الشطر الاخير ويتعين حينئذ
كونه استعارة والظاهر انه تشبيه واحد لا تشبيهان وقوله برد جماح من مجاز الحذف
على الاظهر اى ذات جماح **البديع** قوله لو كنت اعلم الى آخره من المذهب الكلامى
اى لكنى لم اكتم فلم اعلم انى لا اوقر وفى قوله سرا بدا مطابقة وفى قوله كتمت والكتم
من التجنيس الشبيه بالاشتقاق وجمعه بين ضمير الشيب والكتم من مراعاة النظير ومنه
ايضا جمعه بين كتمت والسر وجمعه بين جماح وغوايه وكذا بينه وبين الخيل واللجم
من مراعاة النظير وان كان قوله برديا الغيبة حتى يكون جماح بمعنى رفض
الكبر وفائدة اختلاف المتعلق وان كان بتاء التانيث حتى يكون جماح جمع جموح
اى الخيل الجموحة من اضافة الصفة الى الموصوف ففيه مع الاول جناس تام وفى
كما ترد جماح على ما تقدم فى البيان المذهب الكلامى ولا يبعد ان يكون باللجم
من الارصاد **الاعراب** كنت كان واسمها واصله كون كضرب وكل ماض يسند الى التاء
او النون او نا فانه يسكن آخره ويحذف ما قبله من حرف العلة فان كان على
فعل بضم العين كطال او فعل بكسرها كخاف فان اصل الاول طول بدليل طويل و
اصل الثانى خوف بدليل يخاف نقلت حركة ذلك الحرف من ضمة او كسرة الى الفاء
وحذف ذلك الحرف لالتقائه ساكنا مع آخر الفعل المسكن للاسناد وان كان على
فعل ككان وباع اصله بيع ففيه هنا خلاف فمنهم من يقول تحرك حرف العلة وانفتح
ما قبله فقلب الفا ثم حذفت لالتقائها ساكنة مع آخر الفعل ثم حركت الفاء
فى الواوى بالضم وفى اليائى بالكسر لتدل على ما حذف وقيل بل يحول الواوى

واعلالها ضاجوف

كفعل واليائى كفعل قبل الاسناد ثم ينقل الضمة او الكسرة الى الفاء والكلمة بعد حذف
حركتها وتبقى الواو والياء ساكنة فيحذف لالتقاء الساكنين وقيل تنقلبان بعد
الاعلال الفا فيتعذر وجود احد الحركتين وبعدها الف فتعود الضمة فتحة
فاذا زالت الالف رجعت الضمة والوجه الذى قبل هذا اولى لانه رأى الامر يفضى
الى آخر ضمير آخره اوله وكان نحو هذا التصريف يقرر عند قوله ان قلت اكتفا
وجملة اعلم فى موضع نصب خبر كنت وجملة ما اوقر فى دفع رفع خبر ان
وما نافية وان ومعمولاها فى موضع مفعول اعلم او مفعوليه وكتمت جواب لو و
بالكتم متعلق برد وبدا لى منه فى موضع نصب صفة لسر ولى ومنه متعلقان بيبدا
ومن للتبعيض او للابتداء ومن مبتدا ولحجره ويرد متعلق بما يتعلق به الخبر من
كون مطلق او خاص يدل عليه السياق وهو الظاهر اى يتكفل لى ونحوه ورد
مصدر مضاف للمفعول وفاعله ضمير عايد على من والتقدير ذات جماح او لا يحتاج
الى حذف ومن غوايتها صفة لجماح ومن لابتداء ويجوز تعلقها بجماح على انها
سببية او يرد وهى للبيان جنس الجماح الذى هو غوايتها ولا يصح كونها بمعنى عن
لان المطلوب حينئذ رد الجماح عن الغواية لا الغواية والكاف فى كما نعت لمصدر
محذوف وما مصدرية فى الاظهر اى ردا كرد ويحتمل كونها موصولا اسميا والحال
انها نعت لمصدر اى كالرد الذى يرد جماح الخيل وحذف العايد وباللجم متعلق بيرد
الاشارات قوله لو كنت اعلم البيت فيه اشارة الى ما ذكرنا من ان المؤمن
انما كان حاله ابدا توطين النفس على عبادة ربه والاقلاع عن المعاصى ولو كان
متورطا فيها وانه لا يزجره عن العمل بمقتضى من النية الا ما يبهره ويغلبه حتى
يخرج عن طوقه بجماح النفس الذى لا تقدر ان يغالبه ولا يرده كما لا يقدر على رد جماح
الفرس الا باللجام المحكم بعد اعمال الجهد ويستفاد من كلامه انه لا يهمل نفسه والصبا
رضى به بل لا يكون الا كارها له ساعيا فى تركه كما يكره الفارس جماح فرسه وهو
فى حال جريه على سبيل الجماح غير راض بذلك الجرى ويحاول فى امساك فرسه عنه
فانه قد يؤدى الى هلاكه كما يؤدى لعصيانه الى الهلاك فالنفس تجاهد حتى تكف
عن جرها كما يجاهد الجموح واصل المجاهدة بها وملاكها فطمها عن المالوفات وحملها

كما

على خلاف هواها في عموم الاوقات ولها صفتان انهماك في الشهوات وامتناع عن الطاعات
فاذا جمحت عند ركوب الهوي يجب كبحها بلجام التقوى فاذا حرنت عند القيام بالموافقات
يجب سوقها على خلاف الهوي واذا ثارت عند غضبها فمن الواجب مراعاة حالها فما
من منازل احسن عاقبة من غضب يكسر سلطانه بحسن خلق • ويخمد نيرانه برفق
واذا استحلت شراب الرعونة فضاقت الا عن اظهار مناقبها والتزين لمن ينظر اليها
ويلاحظها فمن الواجب كسر ذلك عليها بما يذكرها من حقارة قدرها وخساسة
اصلها وقذارة فعلها وجهد العوام في توفية الاعمال وقصد الخواص الى تصفية
الاحوال فان مقاساة الجوع والسهر سهل يسير • ومعالجة الاخلاق وعرفانها
صعب شديد ومن غوامض افاتها ركونها الى استحلاء المدح فان من تحسى
منه جرعة حمل السموات والارض على اشفاره قال عروة بن الزبير
رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى عاتقه قربة ماء فقلت يا امير المؤمنين
لا ينبغي لك هذا فقال لما اتاني الوفود سامعين مطيعين دخلت نفسي
نخوة فاحببت ان اكسرها ومضى بالقربة الى حجرة امرأة من الانصار ففرغها في انائها
ويحمل على نظم ما تقدم ان يقول القائم بالحق اذا عنف لو كنت اعلم اني ما اوتي
او الله سبحانه وتعالى كتمت سر ابدا الى عنه اى عباده باكتم اى بالكتمان وحركة
تاء الكتم للضرورة وقوله من لي برد بمن منه ان يكون له جماعة تعضده على القيام
بالحق حتى يرد الامة عن جماح غوايتها بالسيف الذي هو للعصاة كاللجم للخيل
الجموحة وهذا كله حرص على هداية الامة اقتداء بسيد المرسلين
في ذلك واداء لما يجب من النصح لعامة المسلمين وخاصتهم اصل

فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها ... ان الطعام يقوي شهوة النهم
والنفس كالطفل ان تهمله شب على ... حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

شرح الغريب فلا ترم لا تطلب رمت الشيء اريمه روما اذا طلبته ابن الاعرابي
رمت فلانا ورمت بفلان اذا جللته بطلب الشيء والمرام المطلب
والمعاصي جمع المعصية من العصيان وهو ضد الطاعة وهو فعل محرم او ترك واجب
رفضا وقد عصاه بالفتح يعصيه عصيا ومعصية فهو عاص وعصي وعاصيا

مثل

مثل عصاه واستعصى عليه واعتصت النواة اشتدت واعصى الكرم اخرج عيدانه
والعاصي عرق لا يرقى وعصية بطن من سليم وكسر مصدر كسرت الرجل عما يريد
كسرا صرفته عنه وكسرت الشيء فانكسر وتكسر وكسرته شدد للكثرة
وناقة كسير لقولهم كف خضيب وكسر الطائر ضم جناحيه حين ينقض والكاسر
العقاب وعود صلب المكسر بكسر السين اذا عرفت جودته بكسره وفلان
طيب المكسر محمود عند الخبرة وارض ذات كسور اى ذات صعود وهبوط ورجل
ذو كسرات وهذرات اذا كان يغبن في كل شيء وكسارة الحطب دقاقه وشيء
كسير اى مكسور والجمع كسرى كمريض ومرضى والطعام ما يؤكل وربما خص بالبر
والطعم بالفتح ما يؤديه الذوق وما يشتهى ايضا منه يقال ليس له طعم والطعم بالضم
الطعام وطعم يطعم طعما اكل واذاق كغنم يغنم غنما فهو طاعم كغانم وقيل
طعمه اى اكله وفروع لغة الطعام كثيرة • وقوله يقوي من القوة خلاف الضعف
والشهوة قال الجوهري معروفه قلت وهي ميل النفس الى شيء قال بعضهم
من قبيل الامنيات وطعام شهي اى مشتهى ورجل شهوان للشيء وشهيت الشيء
بالكسر شهوة اذا اشتهيته وتشهيت على فلان كذا وهذا يشهي الطعام اى يحمل
على اشتهائه والنهم اسم فاعل من نهم بالكسر ينهم نهما بالتحريك وهو افراط
الشهوة في الطعام والنهمة ايضا بلوغ الهمة في الشيء وقد نهم بكذا فهو
منهوم اى مولع به وفي الحديث منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال والنفس
لغة الروح وهي ايضا الدم وهي ايضا الجسد كله وتطلق على معان اخر لا يليق بهذا
المحل واما حقيقتها وهل هي مرادفة للروح او مباينة له ففيه للعلماء اختلاف
كثير ذكر بعضهم انه ينتهي الى ثلث مائة قوله ويسئلونك عن الروح قل الروح
من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا • والطفل المولود قال بعضهم فاذا فطم
سمي فطيما والجارية طفلة وولد كل وحشية طفل والجمع اطفال • وقد يكون
الطفل واحدا وجمعا ومنه او الطفل الذين قال بعضهم ما دام في البطن
فجنين فاذا ولد فصبي ما دام رضيعا وان فطم فغلام الى سبع سنين ويافع
الى عشر فحزور الى خمس عشرة فقمد الى خمس وعشرين فعنطنط الى الثلثين

الطفل
رب العم

حذف التقابل

باكله من طعام كسر شهوته اياه فان الطعام يقوي شهوته وحذف التقابل هو
ان يثبت في كل من لفظين نظير ما حذف من الاخر نحو ومثل الذين كفروا كمثل
الذي ينعق تقديره عند سيبويه مثلك يا محمد والذين كفروا كمثل الناعق
والمنعوق به الذي لا يسمع فحذف من الاول يا محمد وهو داع واثبت نظيره في
الثاني وهو الناعق وحذف من الثاني المنعوق به وهو المدعو واثبت نظيره
في الاول وهو الذين كفروا ومنه واني لتعروني لذكراك قرة كما انتفض العصفور
بلله القطر • والتقدير قرة فانتفض كما يعرو العصفور قرة القطر فينتفض وفي
البيت حذف من الاول فانها تقوى واثبت نظيره في الثاني وهو ان الطعام يقوي
وحذف من الثاني كالا ترم واثبت نظيره في الاول وهو فلا ترم فاذا عرفت ان
هذا معنى البيت علمت ان قوله ان الطعام من الاستيناف البياني الذي هو سؤال
عن سبب الحكم الخاص كانه قيل لم يروم النهم باكله كسر شهوته فقال ان الطعام
والاسناد في قوله يقوي مجازي لانه من الاسناد الى السبب وال في النفس وفي الطفل
للعموم وفي الرضاع للحقيقة وفي البيت الثاني الاطناب لانه اجمل حين شبه
النفس بالطفل ثم فسر بقوله ان تهمله الى اخره البيان قصد الناظم
في البيت الاول كما تقدم تشبيه تقوي النفس بالمعاصي بتقوي شهوة النهم بالطعام
فالطرفان اعني المشبه والمشبه به عقليان والجامع وهو التمادي فيهما حسي
وهو واحد ولم يات بالتشبيه صريحا بل اتى بالمشبه به على صورة الدليل
ونظيره قول المعري • فان كنت تبغي العيش فابغ توسطا • فعند التناهي
يقصر المتطاول • توقى البدور النقص وهي اهلة • ويدركها النقصان
وهي كوامل • ومنه فان تفق الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال
وقول ابن بابك في ابي علي حين استوزره فخر الدولة بعد وفاة ابن عباد
واعرت شطر الملك ثوب كماله والبدر في شطر المسافة يكمل
وقول ابي تمام بعد ابيات ان الهلال اذا رأيت نموه ايقنت ان سيكون
بدرا كاملا وطرفا التشبيه في البيت الثاني حسيان والجامع مركب عقلي
ومنه والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء

فضل الى اربعين فكهل الى الخمسين فشيخ الى الثمانين فهم فان كبير وقيل في ترتيبه
غير ذلك مما يطول ذكره ان تهمله تترك واهملت الشيء خليت بينه وبين نفسه
والهمل بالتحريك الابل بلا راع كالنفش الا انه لا يكون الا ليلا والهمل يكون
ليلا ونهارا وفي المثل اختلط المرعي بالهمل • والهمل ايضا الماء لا مانع له والمهمل
من الكلام ضد المستعمل • وشب الغلام يشب بالكسر شبابا وشبيبة اذا كبر
وقال ثابت في كتاب خلق الانسان اذا اسود وجه شعر الغلام فاخذ بعضه بعضا
فهو محمم ومنه حمم الفرخ اذا لون ريشه الى الخضرة والسواد ويقال عند ذلك
قد بقل وجهه وقد التف وجهه ثم هو شاب وفتى فاذا اجتمع وتم فهو كهل وقال
الفقهاء الشباب لمن بين البلوغ وكمال الاربعين وقال الجوهري الشبيبة خلاف
الشيب واشب الرجل بنين اذا شب اولاده واعييتني من شب الى دب كقوله
صلى الله عليه وسلم عن قيل وقال ومن شب الى دب يجعل من عليه
بمنزلة الاسم وان كان في الاصل فعلا والرضاع بالفتح كالسماع مصدر رضع
الصبي يرضع واهل نجد يقولون رضع يرضع رضعا كضرب وحكاه الاصمعي
عن عيسى بن عمر وارضعته امه وامراة مرضع اي لها ولد ترضعه فان وصفتها
بارضاع الولد قلت مرضعة والرضوعة الشاة ترضع وقيل لكل مرضعة و
الراضعتان ثنيتا الصبي ولئيم راضع اصله رجل كان يرضع ماشيته ولا يحلبها
لئلا يسمع فيطلب منه ورضع بالضم كالشيء الذي يطبع عليه وهذا اخي
من الرضاعة بفتح الراء ورضيعي كاكيلي ورسيلي وراضع ابنه دفعه
الى الظئر وارتضعت العنز شربت لبن نفسها وتفطمه اي تفصله عن الرضاعة
وتفطم معناه ينفصل من قولك فطمت الام ولدها تفطمه فطاما فهو فطيم
اي فصلته عن رضاعها وجمع الفطيم فطم كسرير وسرر وفطمت الرجل من
عادته ابن السكيت ناقة فاطم اذا بلغ حوارها سنة ثم فطم وفطمت
الرجل قطعته النفس لما امر برد النفس عن جماحها باقصر ما يكون من العنف
كرد الخيل الجموحة باللجم القوية وكان من المجاز ان يقال بل الاولى السياسة في ردها
الى الطاعة وان لا يقلعها دفعة عما هي فيه لئلا تنفر بل تقلع برفق وتترك

تنتد

حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ومثل الذين حملوا التورية الاية ونظير اجادة
الناظم التشبيه ثم تفسير وجهه قول ابن المعتز والليل كالحلة السوداء لاح
من الصباح طراز غير مرقوم الا ان الجامع هنا حسي وذكر الجامع من صفات المشبه
عكس ما فعل الناظم لانا ذكر الناظم من صفات المشبه به كالاية الاولى البديع
في البيت الاول الطباق الخفي فان المعنى لا ترم الكسر فانها لا تنكسر وكذا الجمع
بين الكسر والتقوية فيه طباق وفي قوله شهوتها وشهوة اما التجنيس التام
لاختلاف متعلقيهما واما التكرير وفائدته ان الاول فرع والثاني اصل والبيتان
معا من المذهب الكلامي وفي البيتين النوع المسمى بالكلام الجامع وحقيقته
ان ياتي الشاعر ببيت جملته حكمة او موعظة او وصية او تنبيه او ما جرى
مجرى ذلك ومنه ما بعد هذين البيتين الى قوله ظلمت وهو في هذا
القصيد كثير وشعر المتنبي هو الكفيل به ومنه قوله واذا كانت النفوس
كبارا تعبت في مرادها الاجسام وقوله ان الطعام من رسال المثل ومن
حسن التعليل وجمعه بين المعاصي والشهوة والكسر وكذا الطعام والتقوية
والشهوة من مراعاة النظير وفي البيت الثاني الطباق في تهمله وتفطمه ومراعاة
النظير في الطفل والرضاع والفطام وفيه التسهيم لانك تدرك ينفطم
قبل ذكره الاعراب لا ناهية وترم مضارع مجزوم بها واصله تروم حذفت
الواو لالتقاء الساكنين وبالمعاصي متعلق به والباء للاستعانة او للسببية
ولا يتعلق بكسر لان معمول المصدر لا يتقدم عليه لانه موصول لتقديره بان
والفعل وان لا يتقدم معمول صلتها عليها واما قوله كما تجزى بالعصا ان جعل
مفعول الفعل محذوف وكسر مفعول ترم وشهوتها مضاف ومضاف اليه والضمير
للمعاصي او النفس وهو الاظهر وعلى الاول يكون من اضافة الصفة الى الموصوف
معنى اي المعاصي المشتهاة ولا محل لجملة ان الطعام الى آخر البيت لاستئنافها كما تقدم
والنفس مبتدأ خبره كالطفل ولا محل لجملة الشرطين والجوابين لانهما تفسير
للتشبيه وجملة شب على حب الرضاع في محل جزم لانها جواب الشرط وفاعلها
وفاعل ينفطم ضمير الطفل وفاعل تهمله ضمير المخاطب ومفعوله ضمير الطفل

الكلام الجامع

الاشارات

الاشارات

وفي الحقيقة البيتان اشارة بانفسهما لكن لا بد ان شاء الله تعالى من الجري
على العادة فيهما وفي غيرهما فيقول لا تساعد النفس على هواها فروم
بتمكينها من المعاصي وقضاء وطرها منها ان تشبع فتترك ما كانت عليه وانت
ترى ان ذلك من السياسة في محاولة اقلاعها عما كانت فيه فان في تمكينها
من هواها ولو من المباح الهلاك فكيف به من المعاصي وهذا يؤيد ما ذكرنا
انه اشار في البيتين قبلهما الى انه لا يرضى بما هو عليه من المعاصي وان يقلع النفس
عنها قلعا عنيفا فان في ذلك الصلاح وفي قوله ان الطعام اشارة الى المعين
على ترك المعاصي والشهوات التزام الجوع فان كثرة الاكل تقوي مواد النفس
حتى يكون استعمالها لها طبعا كاكل النهم الطعام ان تمادى عليه ووجد وقد نبه
صلى الله عليه وسلم على هذا المعنى حسبما رويناه في الصحيح من قوله ان الشيطان
يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالصوم ويتضمن البيت الاول
بشطره الاول التنبيه على مخالفة النفس وبشطره الثاني على المعين على ذلك
وهو الجوع فان اول تمكينها من هواها كثرة الاكل وهو السبب الاقوى في
اتباع الهوى والمعاصي اما دليل المقام الاول فقوله تعالى ولمن خاف
مقام ربه جنتان والخوف يكون مع مخالفة هواها لقوله تعالى واما من خاف
مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى ومن حديث جابر
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اخوف ما اخاف
على امتي اتباع الهوى وطول الامل اما اتباع الهوى فيصد عن الحق
واما طول الامل فينسي الاخرة واستلزم كلام الناظم النهي عن طول الامل
فان في رومه كسر شهوتها بالمعاصي تراخيا عن التوبة والاقلاع فيخاف ان
يتمادى به الحال الى الموت على حاله كما حكي ان اعشى بن قيس واسمه ميمون
بن قيس خرج الى النبي صلى الله عليه وسلم يريد الاسلام ومدحه صلى الله عليه
وسلم بقصيدة فاعترضه ابو سفيان بن حرب فساله فاخبره بقصده فقال
يا ابا بصير انه يحرم الزنا فقال ذلك امر لا ارب لي فيه فقال انه يحرم الخمر فقال
اما هذه ففي النفس منها علالات لكني ارتوي منها عامي هذا ثم آتيه فاسلم

فانصرف ومات من عامه ولم يسلم نسأل الله العافية والممات على الاسلام
والمبادرة الى الاعمال الصالحة والتوبة الصادقة بمنه وفضله وسئل
بعض المشايخ عن الاسلام فقال ذبح النفوس بسيوف المجاهدة وروى المخالفة
وقال ذو النون مفتاح العبادة الفكرة وعلامة الاصابة مخالفة الهوى
والنفس ومخالفتهما بترك شهواتها قال الجنيد ارقت ليلة فقمت الى وردي
فلم اجد ما كنت اجد من الحلاوة فاردت النوم فلم اقدر فقعدت فلم اطق فتحت
الباب وخرجت فاذا رجل ملتف في عباءة ملقى في الطريق فلما احس بي رفع
رأسه وقال يا ابا القاسم الى الساعة فقلت يا سيدي من غير موعد فقال
بلى سألت محرك القلوب ان تحرك لي قلبك قلت قد فعل فما حاجتك فقال متى
يصير داء النفس دواها فقلت اذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواؤها
فاقبل على نفسه وقال اسمعي فقد اجبتك بهذا الجواب سبع مرات فابيت
الا ان تسمعيه من الجنيد فقد سمعتيه فانصرف عني ولم اعرفه واما دليل
المقام الثاني فقوله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع الى وبشر
الصابرين • فبشرهم بجزيل الثواب على الصبر على الجوع وقال ويؤثرون على
انفسهم ولو كان بهم خصاصة • ومن حديث انس رضي الله عنه جاءت فاطمة
رضي الله عنها بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية بقرص
من شعير فقال ما هذه فقالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى اتيتك بهذه
الكسرة فقال اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلثة ايام وقال
سهل لا يأكل الطعام الا في كل خمسة عشر يوما فاذ دخل رمضان لم يأكل
حتى يرى هلال شوال ويفطر كل ليلة على الماء القراح وقال يحيى بن معاذ
لو ان الجوع يباع في السوق لما ابتغى لطالب الآخرة ان يشتري اذا دخله غيره
وقال سهل لما خلق الله الدنيا جعل في الشبع المعصية والجهل وفي الجوع
العلم والحكمة وقال يحيى بن معاذ الجوع للمريدين رياضة وللناس تجربة
وللزهاد سياسة وللعارفين تكرمة واقل مفاسد الشبع ان يكسل عن
الطاعات ان لم يوقع في المعاصي وفي الخبر لا تأكلوا كثيرا وتشربوا كثيرا فترقدوا

كلام كاف

ما لعجب النفس فاردد لها دواوها واردد لهما دوا

بجميل م

كثيرا فتخسروا كثيرا • ثم شبه النفس بالطفل تنبيها على انها لفرط شهواتها تجهل من امور
مصالحها ما يجهل الصبي فينبغي ان تجعل بيد من اكرمه الله تعالى بالتقوى حتى
يربيها كما يربى الصبي وان لا يهمل للشهوات كما لا يهمل الصبي للرضاع وان لا يقلع عنها
بعنف وان اضر بها في الحال كما يفطم الصبي بعنف وان شق عليه ويكفي هذا القدر
من الاشارات فان في تتبعها خشية السآمة اعاننا الله على مخالفة هوى انفسنا بمنه

فاصرف هواها وحاذر ان توليه ... ان الهوى ما تولى يصم او يصم
وراعها وهي في الاعمال سائمة ... وان هي استحلت المرعى فلا تسم
كم حسنت لذة للمرء قاتلة ... من حيث لم يدر ان السم في الدسم
واخش الدسائس من جوع ومن شبع ... فرب مخمصة شر من التخم

شرح الغريب فاصرف ادفع اورده على وجهه صرفت الرجل عني فانصرف
والمنصرف مكان او مصدر وصرفت الصبيان قلبتهم وصرف الله عنك الاذى
واستصرفت الله المكاره اي سألته صرفها والهوى تقدم تفسيره وقال ابن عطية
اكثر استعماله في الباطل ومن استعماله في الحق قول عمر في اسرى بدر فهوى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت رضي الله عنهما وحاذر اي
تحرز والحذر والحذر التحرز وقد حذرت الشيء احذره حذرا وامور الاخاف
وآمن مالست مجيه من الاقدار وروي لا تضير انشده سيبويه وهو نادر والتحذير
التخويف والحذار المحاذرة وابن احذار اي حزم وحذر وحذار اي احذر والحذر
الفزع وقرى بجميع حاذرون • اي متأهبون وحذرون بضم الذال ايضا حكاه
الاخفش ومعناهما خائفون وحذريان شديد الفزع والحذر وتوليه اي
تؤمره من الامارة وهي الولاية وروي تواليه اي تتابعه تقول من الاول ولي الوالي
البلد يليه بالكسر فيهما وهو شاذ وكذا البيع ولاية فيهما وفلان ولي وولي عليه
وولاه عمل كذا وبيعه وتولى العمل تقلده ومن الثاني والى بينهم ولاء اي تابع
وافعله على الولاء اي متابعة وتوالى عليه شهران اي تتابع ويصم الاول بضم
الياء رباعي يقتل من اصميت الصيد اذا رميته فقتلته وانت تراه وفي الحديث كل ما
اصميت ودع ما انميت ومعنى انميت اي رميته فغاب عنك ثم مات والنامي

الناجي وصمى الصيد يصمي اذا مات وانت تراه ويحتمل ما في البيتان يكون من اصمى
الفرس على لجامه اذا عض عليه ومضى وهو قوي المناسبة لقوله من لحى بر دجاج
وقوله او يصيم بفتح الياء ثلاثي اي يعيب من وصمه يصمه وصما اذا عابه والوصم
العيب والعار يقال ما في فلان وصمة والوصم ايضا الصدع في العود من غير بينونة
يقال بمتن القناة وصم وراعها قيل معناه انظر الى شيء تصير او لاحظها وقيل
تتبع احوالها بالاخبار وقيل انظر اليها او استمع وهذا قلق قال الجوهري راعيت
الامر نظرت الى ما يصير وراعيته لاحظته وراعيته من مراعاة الحقوق والحمار
يراعي الحمراء اي ترعى معها واسترعيته الشيء مراعاة وفي المثل من استرعى الذئب
فقد ظلم وفروع هذه المادة كثيرة والاعمال اعمال الخير او الشر او بالاطلاق
واحدها عمل وهو مصدر عمل وسائمة اي راعية والسوام والسايم المال الراعي
وسامت الماشية تسوم سوما رعت فهي سايمة وجمع السائمة والسايم سوايم واسمتها
اخرجتها للرعي ومنه فيه تسيمون واستحلت استفعل من الحلاوة واصله استحلو
قلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم حذفت لالتقائها ساكنة مع تاء
التانيث ومعناه وجدت المرعى حلوا فاستفعل هنا لالفاء الشيء بمعنى ما صيغ
منه او لما ظن انه كذلك نحو استعظمه واستصغره واستحسنه واستقبحه
اي وجده او ظنه كذلك ويقال حلا يحلو حلاوة واحلولى مثله ولم يتعد
الا في قوله فلما اتى عامان بعد انفصاله عن الضرع واحلولى دماثا يرودها
وفي قولهما اعرورويت الفرس واحليته جعلته حلوا او وجدته حلوا ايضا
وما امر وما احلى لم يقل شيئا وحاليته طايبته والحلوى نقيض المرى وتحاليت المراه
اظهرت حلاوة وعجبا والمرعى يحتمل ان يكون اسم المارعي كالرعي بكسر الراء
وهو الكلاء وان يكون مصدر رعيته كالرعي بفتحها وان يكون للموضع
او للزمان وفي المثل مرعى ولا كالسعدان وجمع الراعي رعاة ورعيان كشبان
ورعاء كجياع ويرعى على ابيه اي عمه وترعية بضم التاء وكسرها وشد الياء
وترعايه لمن يحسن رعية الابل والرعاوي بفتح الراء وضمها الابل ترعى حوالي
ديار القوم لانها التي يعتمل عليها وتسم مضارع اسمت المتقدم واصله تسيم

حذف

مرآن مرأة مرة
مري مرية مري
امرئي السم بالفتح والضم

حذفت الياء لما سكن الميم للجزم وحركته بعد عارضة لان القافية مطلقة
فلذا لم ترد الياء وحسنت زينت وحسنت الشيء تحسينا زينته فاحسنت الله
وبه يحسن الشيء يعمله ويستحسنه يعده كذلك وفروع المادة كثيرة وتقدم
تفسير اللذة والمرء الرجل وتفتح فاؤه التي هي الميم وتضم ايضا مطلقا مع سكون
الراء فيهما وتتبع حركة اعرابه ايضا هي وفاؤه التي هي العين فهذه ثلث لغات
فتح الراء وضمها واتباعها حركة الاعراب واما امراة فمفتوحة الراء على كل حال
وتصغيرهما بترك الهمزة مري ومرية وربما قيل للذئب امرء وقالت عربية
انا امرؤ لا اخبر السر والنسب اليه مري وامرئي ولم يدر اي لم يعلم والسم
بضم السين وفتحها القاتل قال الجوهري وقال بعضهم هو الشيء القائم به
ما هو سبب للقتل اذا تناوله الاكل قال الجوهري ويجمع على سموم وسمام
وسمه اسقاه السم والطعام جعله فيه والسامة ذات السم وسام ابرص من كبار
الوزغ والدسم الودك ودسم بالكسر يدسم دسما صار ذا دسم وتدسيم الشيء جعل الدسم
عليه ودسم المطر الارض بلها ولم يبالغ واخش اي خف وخشي يخشى خشية خاف
فهو خشيان والمراة خشيى وخاشاني فخشيته اخشيه بالكسر كنت اشد خشية
منه وذا المكان اخشى من ذاك اي اخوف وخشاه يخشيه خوفه والدسايس
جمع دسيسة وهي المكر الخفي والدسيس اخفاء المكر ودسه في التراب اخفاه
فيه والدساسة حية صماء تندس تحت التراب اندساسا اي تندفن ويروى
الدواخل ولعله جمع داخلة اي باطن الامر ومنه داخلة الازار لطرفه الذي
يلي الجسد وداخلة الرجل باطن امره وكذا الدخلة بالضم يقال عالم
بدخلته ودخيله وداخله الذي يداخله ويختص به ويحتمل ان يكون من
الدخل وهو العيب والريبة ومن كلامهم ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل
وكذا الدخل بالتحريك يقال فيه دخل ودخل بمعنى ومنه ولا تتخذوا
ايمانكم دخلا بينكم اي مكرا وخديعة والجوع والشبع معروفان ويقال
شبعت خبزا ولحما ومن خبز ولحم شبعا وهو من مصادر الطبايع وهما عرضان
متضادان يخلق الله تعالى الجوع عادة عند خلاء المعدة من الطعام والشبع

عند وجوده فيها وقد يجلبها مع غير ذلك هذا مذهب اهل الحق والمخمصة
المجاعة وهو مصدر كالمغضبة والمعتبة وخمصه الجوع خمصا ومخمصة
والخمصة الجوعة يقال ليس للبطنة خير من خمصة تتبعها وخمصان
وخميص الحشا ضامر البطن والمرأة خميصة وخمصانة والتخم جمع تخمة وهو
فساد الطعام في المعدة قلت كذا في شرح الامنا د العقاد والصواب فساد
المعدة بالطعام لان كل طعام يدخل المعدة غالبا يفسد وقد لا يكون التخمة
الا ان يريد فسادا خاصا فيصح وفسرتها ايضا بانها ضد المخمصة ولا يصح
فان الشبع ضدها وان لم يتخم ويقال تخم يتخم بكسر الماضي وفتح المستقبل وبالعكس
واصل التخمة وخمة فابدلت الواو تاء ووخم بالكسر اي اتخم واتخمت من الطعام
وعنه والاسم التخمة بالتحريك كوكلة وتكلة والجمع تخمات وتخم واتخمه الطعام
اصله اوخمه وطعام متخمة بالفتح اصله موخمة وتوهموا التاء اصلية
لكثرة الاستعمال والعامة تسكن التخمة وجاء في شعر اعرابي • واذا المعدة جاشت
فارمها بالمجنيق • بثلث من نبيذ ليس بالحلو الرقيق • تهضم التخمة هضما حين
تجري في العروق **التفسير** لما شبه النفس بالطفل وذكر وجه التشبيه وبينا
انه خرج من كلامه انها جاهلة بمصالحها كالصبي وكان الصبي لا يؤمر ولا ينهى
فلا يقال له لا تتمادى على الرضاع لانه لا يفهم ذلك وان فهمه فلا يمتثل لحبه
في الرضاع وانما الشان في ازاحته عنه ان لا يمكن منه امرهنا
بصرف الهوى عن النفس اي بدفعه عن حضرتها وتغييبه عنها حتى لا يجتمع فتعلق به
ولم يقل اصرف النفس عن هواها لانها لا تفهم هذا المعنى او تفهمه ولا تمتثل كالصبي
وقوله هواها اي مهويها ويصح ان يراد المصدر وقوله وحاذر اي احذر وتحرز
من ان توليه اي من ان تتركها واياه فتكون قد جعلته عليها اميرا واليا لانها
لما كانت لا تخالف هواها صار كالامير والوالي وهو مولى عليها سفاذ الاحكام
وشارع الطاعة وليس مثل الهوى الذي يقود الى الهلاك ينبغي ان يولى لانه
اذا تولى لا بد وان يقتل او يعيب وهو اقل الامرين وهذا معنى قوله ان الهوى
ما تولى اي تولية تولى في اي زمن ولبته يصم اي يقتل او يصم اي يعيب

واما على رواية ان تواليه وتوالي فالمعنى تحرز من ان تتابع هواها بل ان عرضت
فيه يوما فاكبحها بلجام الشرع فان الهوى ان تتابع على النفس او على غيرها
يقتل او يعيب واليك الترجيح بين الروايتين وبميس رد الاولى الى الثانية ولا يخفى
عليك ولا يقال ان الاولى ارجح لانها اذا احذر من ان موليها فقد نهاه ان يجمع
بينها ولو مرة بخلاف تحذيره من متابعته فانه لا يستلزم النفي عنه جملة بل
عن المتابعة خاصة لانا نقول معنى التحذير من التولية ان لا تجعل الهوى اميرا
على النفس بحيث يامرها فتطيعه ولا يلزم منه التحذير من ان تكون النفس اميرة عليه
تمثل هوادرها الا ان مقتضى كونها اميرة بحيث تطرده وتصرفه عنها ان ساوت
لا ينافي مقصود الناظم وكذا لا يلزم منه النهي عن اجتماعهما وعلى سبيل المساواة
وان لا يتأمر احدهما على الاخر فان لم ترتج الثانية بكونها تقتضي ان لا
يجامع الهوى النفس لامرة لانا نزاد عليها متابعة فلا اقل من تساويهما فان
قلت انك قلت اولا انها لا تصلح للخطاب بان تقلع عن هواها فكيف توهم
هنا ان تكون هي الاميرة قلت ذلك على سبيل المبالغة في ان لا تتمكن منه انها في
صرف الهوى لحبها فيه وهو مناسب الا ان ياتي بلفظ يوهم خلاف ذلك فان قلت
ظاهر كلامه ان النفس تصرف عن كل ما تهواه حتى عن الطاعة ان هويتها وعن المباح
لان هواها اسم جنس اضيف فيعم ولذا تعليله ان الهوى لتعريفه اسم الجنس فيه
بال يعم ايضا وهذا لا يصح على اطلاقه قلت هذا وارد ولكنه ازال هذا الاشكال
وبين هذا الاجمال في البيتين بعد فقال وراعها اي لاحظ نفسك والحال انها
سائمة اي راعية في الاعمال كملاحظة الراعي غنمه او غيرها وهي سائمة في
انواع الكلاء فما ينفعها منه اقرها على رعيه واقدمها عليه وما يضرها منه جنبها
اياه وان اعجبها وقد قدمنا انه يحتمل ان يريد اعمال الخير والمباح او كليهما وما
من الاحتمالات انه اراد اعمال الخير والطاعات لانا قدمنا ان اكثر استعمال الهوى في
المكروه فاذا امر بصرفه لم يبق الا ينبغي ان تؤمر بالتزامه والتلبس به الا الخير ثم لما كان
للنفس حظ في افعال بعض العبادات كالتي يلحقها الرياء ويمدح الانسان من اجل
فعلها فهي قد تهواها لذلك ثم قد لا يخفى على صاحبها هذا القصد الخبيث فيها

فينظر الى صورة العبادة ولا يتفقد ما اندس في تحتاتها تنبيه على ذلك وقال نعم
وكما انت مامور بالحذر من ان توليه الهوى او توليه انت مامور برعايتها حالي
سومها في الطاعات لئلا يكون لها فيها حظ فتفعلها لذلك الحظ لا لقصد
ما عند الله مولاها فتهلك ثم اعطى ضابطا لذلك ونصب علامة على وفق تفقدها
فقال وان هي استحلت المرعى اى وجدته حلوا فاتمكنت فيه او همت بالعكوف
عليه فلا تسمها اى فلا تخرجها الى ذلك المرعى ولا تمكنها منه حتى تتفقد دسايسه
تفقد الراعي الروض المربع لعل فيه ما يقتل او يلم مما ينبت الربيع لان النفوس البشرية
الا من رحم الله لا تهوى الطاعة من حيث هي طاعة فاذا استحلتها ومالت اليها
امكن ذلك ان يكون لغرض لها فيعود هواها المكروه المامور بصرفه عنها
وتنقلب الطاعة معصية ثم استشهد على هذا المعنى الذي مر بملاحظته بقوله كم
حسنت لذة اى كثيرا ما زينت النفس لذة قاتلة للمرء فوقع فيها الى هنا له ولم يدر
انها قاتلة لانه لم يختبر باطنها ولم يتفقد دسايسها فهو من تلك الحيثية بمثابة
من لم يدر ان السم دس له في الدسم او في الود لما كله ولم يتفقد باطنه مما دس
فيه وخص الدسم لكونه يعلو الاشياء فيستر ما تحته كصورة العبادة الساترة
لما يظن من النية الخبيثة اولان الدسم لسهولة امتزاج السم به يخفى الا على المتفقد
للبيت كخفا السيئات في العبادات فمراده باللذة على هذا التلذذها بالطاعة
وقوله واخش الدسايس على هذا النمط ايضا اى احش ما تخبيه النفس من المكر
حال تلبسها بقليل العبادة او كثيرها وكنى عن قليلها بالجوع وعن كثيرها بالشبع
ووجهه انه لما كان اللايق بحال المكلف صرف الهمة الى ما ينفعه في الدار
الاخرة من ثواب ربه لان هذه الدار انما هي لاتخاذ الزاد والبلغة الى تلك كانت
الاخرة هي محل العيش حقيقة ومن ادخر قليل القوت يقال انه جايع ومن ادخر
كثيره يقال انه شبعان دليله ما روينا في كثير من كتب السنن من قوله
صلى الله عليه وسلم بيت لا تمر فيه جياع اهله ومفهومه يقتضي
ان البيت الذي فيه التمر شباع اهله ووجه اخفائها المكر في قليل العبادة
ان تزين لصاحبها ان الاستكثار من العبادة يضر بالبدن فيؤدي الى العجز

بالكلية

بالكلية او في كثير منها الرياضة فلازم القليل وداوم عليه ونحو هذا وقد تكون
قصدها في هذه النصيحة الميل الى الراحة وترك الجد واخفاؤها اياه في الكثرة
ان تزين له الاستكثار لتكثير الثواب وتكفير السيئات التي لا يخلو منها الا
من عصم الله من البشر ونحو هذا وقد يكون قصدها بهذا ان يلازم صاحبها العبادة
ويجد فيها حتى يشتهر بذلك فيجد في الناس ويعظم في عيونهم حتى لو امرهم بامر
لبادروا الى امتثال امره وهذا هو الغاية القصوى في الغش المهلكة فانه حينئذ
يقصد بعبادته تلك غير وجه الله تعالى وذلك هو الشرك والعياذ بالله
او يؤدي اليه وهذه مفسدة عظيمة اكبر من الاولى في الظاهر وهي في مقابلة
مفسدة التخمة الناشئة عن كثرة الاكل او كالناشئة عن كثرة جمع القوت
والاموال لان كثرة الجمع لا يتاتى في الاكثر الا مع منع الحقوق الواجبة ولكن
لكن هذه المفسدة وان كانت عظيمة الا ان مع الاستكثار من العبادة قد يسلم
له كثير منها وان كان يقصد بعضها كالفرايض التي لا رياء فيها وما يفعله منها
خاليا وغير ذلك اذا الغالب على من اتصف بالايمان هذا وان كانت شهوة النفس
تغلبه احيانا والتي تنشا عن تقليل العبادة اعظم مفسدة من هذه لان
ذلك قد يؤدي والعياذ بالله الى ترك الفرايض لانه اذا كان لا يلاحظ من
لئلا يقع في الرياء بزعمه لا يبالي بما ياتي ولا بما يدري وقد جاء ان من تساهل
بترك الاداب ابتلي بترك الفضايل وتارك الفضايل يبتلى بترك السنن
وتارك السنن بترك الفرايض ويخاف بعد من ترك الايمان والعياذ بالله
وقد كان بعض اشياخنا رضوان الله عليهم يقول اجتهدوا في اصلاح ظواهركم
فانكم ان فعلتم يوشك ان تصلح بواطنكم ويحكى ان واحدا تعبد سنين
كي يشتهر بذلك فتجعل عنده الامانات لينتفع بها فلم يحفظ احد عنده شيئا
فلما طال الامر عليه وبخ نفسه وقال لو ان هذه العبادة لطلب ما عند الله
لكان الفوز العظيم فعقد نية التوبة جزما فلما اصبح اتى بامانة فقال
لصاحبها ما كان بيننا وبينها الا ظلام البارحة اذهب بسلام ولعل هذا
من بركة العمل الصالح فقد ظهر ان الخصلتين كلتيهما شر وان قلة الطا

المكنى عنها بالجوع والمخمصة اشد من كثرتها الكاين فى بعضها رياء وهى المكنى
عنها بالشبع والتخم ويحقق ان فى الكثرة ما ينفع انه ذكر التخم الذى فيه زيادة
على الكثرة هذا كله ان اراد بالاعمال الطاعات وان اراد بها المباحات فمعنى كلاءة
راع النفس والحال انها متناولة من المباحات على قدر الحاجة والضرورة وان
هى استحلت المرعى فى بعضها واستكثرت منه او مالت اليه فلا تسمها لان
حب الشئ يعمى ويصم فيؤدى محبتها فى ذلك الشئ الى سعيه فى حصوله
ولو بالمعصية كما ترى شديد الحب للمال يستسهل الوقوع فى الرياء وكذا ان
استحلت الزهد فيه وتركه فلا يستأمن اليها لانها قد تقع بذلك فى المعاصى
كمن له مال حلال فتزين له النفس ان يفرقه فى المساكين ويصبر هو على تحمل
الجوع وغيره من مضرات الفقر لينال الثواب فان هذا ان لم يكن مندوبا فهو
مباح وان كان الحكم فى هذا يختلف باختلاف الناس لكن هذا من حيث الجملة
وهذا التزين الذى زينت قد يوقع فيما هو اعظم مفسدة من الاول اذ قد لا يصبر
بعد اتلافه ماله على تجرع مرارة كاس الفقر اذ قد كاد الفقر ان يكون كفرا
فيحمله ذلك على تكسب المال من غير حله بانواع المظالم وغيرها فيصير ماله كله
حراما واين هذا من مفسدة الاول الذى قد يقع فى الدنيا ريا وهذا اشد
وهو الذى بمثابة الجوع والمخمصة والاول بمثابة الشبع والتخم ولم يخف عليك
دسيسة الاول على الثانى وان اراد بالاعمال ما هو اعم من المباح والطاعة
فالمعنى راعها حال اخذها من كل ما يليق فان استحلت المباح فلا تسمها فيه
وكفها الا عن قدر حاجتها منه لئلا يلهيها التكاثر عن الاستعداد للآخرة
وان استحلت العبادات وتركت التلذذ بالمباحات فتفقدها فلعل ذلك
لغرض دنيوى فتكون اجاعتها عن المباحة كالتلبس بهذه الطاعات اشد
من تخمها بسبب تناول المباحات لان التكاثر بسبب الحسنة والعبادة لغرض
دنيوى نفس المفسدة والمقصد اقوى من الوسيلة ثم لو صح قصدها وجه الله
بهذه العبادة التى ربما ادى الحال لعدم اخذها راحة منها الى العجز عنها
بالكلية فتنعطل فتكون اجاعتها عن المباحة بهذا اشد من تركها واياها

اذا لم تتعطل عبادتها ولا يبلغ ولا يسكت وقد جعل الله لكل شئ قدرا وان
لنفسك عليك حقا الحديث وقال عبد الله بن عمرو بن العاص
رضى الله عنه عن عبد الله وابيه بعد ما كبر يا ليتنى قبلت رخصة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فهذه وجوه فى تقرير معنى قوله وراعها البيت وقوله
واخش البيت وهى ان شاء الله ظاهرة كافية وهناك تقريرات آخر تركناها
خشية السآمة واما قوله كم حسنت فمعناه حسبما قررناه قبل جار مع
هذه التقريرات كلها لا يختلف الا فى قوله لذة فان المراد بها يختلف بحسب التقريرات
وهنا وجه قريب فى تقرير البيتين مفرع على ان المراد اعمال الطاعات بان يكون
المعنى راعها حاله رعيها فى اعمال الطاعات وطالما رأيتها لم تستحل نوعا منها
بل يأخذ من كلها على قدر قاسمها لذلك ولا تكفها وان هى استحلت المرعى
فى نوع منها وتركت غيره او اجهدت جهدها فى كلها بحيث لم تأخذ فى شئ
من مصالحها الدنيوية فلا تسمها لذلك لان فى الحالة الاولى تفويت
كثير من الثواب وانما نوع الشارع العبادات للانالة من كلها وفى الثانية
اضرار بالبدن والافراط بالشئ كالتفريط به فاجرها على سنن القصد والا
فالافراط فيما يظن مصلحة يؤول الى المفسدة الا ترى ان الجوع مصلحة للبدن
لان كثرة الاسقام من غلبة بعض الاخلاط وهى تكون من كثرة الغذاء وذلك لا يكون
مع الجوع ولهذا كان الشبع مفسدة لكن ان افرط الجوع افنى البدن لجفاف رطوباته
وتحليل جواهره بالحرارة التى لا تجد ما يشتغل فيه من الغذاء فتاكل اجزاء البدن
فيجئ الموت وهذه مفسدة اشد من مفسدة التخم لانها تنجبر بترك الاكل ادنى زمان
وانما مثل بالجوع والشبع لانا قدمنا انه نبه على مصلحة الاول ومفسدة الثانى
بقوله ان الطعام يقوى شهوة النهم وفى كلام بعضهم ما يقتضى ان المراد
بالاعمال الطاعات والمعاصى قال وان النفس اشهى للمعاصى بل تفرطها
عن الطاعات فاحق العاصل بحفظها قال وقوله وان هى استحلت الى آخره
ظاهره انه اراد ان تمادت على الطاعة وتركت المعصية فلا تمل ثم قال وان
اراد النفس بحد حقيقة استحلاء الطاعة حتى لا تحس مرارة الصبر على اداء العبادة

فهذه درجة لا يلحقها الا الانبياء او واحد من الالف وان اراد بالاستحلاء ملازمة
الطاعة بلا التذاذ بها مع الصبر على ثقل العبادة فهذا صالح لا رادته فانه
قد يوجد في اولياء الله تعالى وقليل ما هم انتهى قلت ولا يخفى ان خصمت قررت
لك ان الناظم امر بتركها ثم عطلها لم يستحل مرعى وليس ينبغي ان يؤمر بتركها
للرعي حال اخذها من المعاصي لان المعاصي من هواها وهذا قد امر بصرفه فان قلت انما
امر بصرف تولينه او تولي البلاء بصرفه مطلقا والامر بترك الاخص والمقيد لا يستلزم
الامر بترك الاعم او المطلق في غير مطلق صورة الاخص او المقيد قلت بل تضمن كلامه هنا
امرين احدهما صرفها الهوى مطلقا وهي الجملة الاولى من قوله فاصرف هواها
اي لا تقع فيه ولا تدم عليه والثاني الحذر من التمادي عليه ان وقع فيه والمبادرة
بالتوبة وهو قوله وحاذر ان توليه ثم قوله استحلاء المعصية حقيقة
لغير الانبياء قليل لا شك في قلته بالنسبة لمن يتصف بذلك والا فهو كثير
في نفسه ولعلنا نستشهد على شيء في ترجمة الاشارات ان شاء الله تعالى
واما قوله ان ملازمة العبادة مع الصبر على ثقلها قد يوجد فظاهره قلته ايضا
وليس كذلك بل الظاهر ان هذه اخلاق عامة المومنين والاول هو المخصوص
بالاولياء واما قوله فلا تمل فيظهر منه ان قول الناظم فلا تسم مضارع سيم اذا مل
وانه نقل حركة الهمزة الى السين الساكنة وحذفت وهو خلاف الرواية
كما قدمنا انه مضارع اسام اذا اخرج ماشيته للرعي ومنه الاية فيه تسيمون
وهو ايضا يناقض قوله كم حسنت فانه انما اتى به شاهدا على انها اذا استحلت
شيئا واستحسنته فلا تدعها له الا ان يقول انه شاهد على قوله وراعها لان
معناه عنده لا تتركها للمعاصي لكنه ينبو عن لفظه لان قوله وهي سائمة لا يريد
انها استحسنت شيئا بل فعلها للطاعات والمعاصي على حد السواء من غير ترجيح
لجانب ثم هو مناقض ايضا لما شرح به قوله واخش الدسائس البيت فانه
قال مراده الوصية بالتوسط في العبادة فكما ينهى من التفريط فيها ينهى
عن الافراط في مجانبة ما ابيح من اللذات وطيبات الرزق تدينا لئلا يجمح
النفس عن الطاعة فيصعب ردها واستدل بما في الصحيح من قوله صلى الله عليه

اكلفوا

اكلفوا من العمل ما لكم به طاقة فان الله لا يمل حتى تملوا قال وهكذا كان عمله
صلى الله عليه وسلم توسطا لا لعجز ولا خوف ملل ولا قصد راحة بل ليقتدى به
في ذلك وقال للثلاثة الذين قال احدهم اما انا فلا انام الليل والاخر اما انا
فاصوم الدهر والاخر انا اعتزل النساء ابدا اما والله اني لاخشاكم لله واتقاكم
له لكني اصوم وافطر وارقد واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني
انتهى قلت فاذا كان هنا يامر بالتوسط فكيف يصح قوله قبل ان استحلت
النفس الطاعة فلا تمل لان هذا يقتضي طلب الاستكثار والدوام اللهم
الا ان يقال الامر بالتوسط ما لم تستحل فاذا استحلت نهى عن الملل الا انه خلاف
ما ذكر انه سنة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم واما قوله انه كان عمله
صلى الله عليه وسلم توسطا بل يقال انه كان في الغاية القصوى من الجد وكذا
سنة المرسلين صلوات الله عليهم اجمعين قال الله تعالى لموسى صلوات الله
عليه فخذها بقوة ويا يحيى خذ الكتاب بقوة ويا ايها المزمل قم الليل الاية
فاستقم كما امرت وفي المتقين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وتتجافى جنوبهم
عن المضاجع وروينا في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم في الصلوة
حتى تنفطر قدماه وحتى تتورم فيقال له اتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر فيقول افلا اكون عبدا شكورا وروينا فيه انه صلى الله
عليه وسلم كان يواصل فقيل له انك تنهانا عن الوصال وانت تواصل فقال
اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وروينا فيه ايضا ان عائشة
رضي الله عنها سئلت عن عمله صلى الله عليه وسلم فقالت ايكم يطيقه كان
عمله ديمة وكان اذا عمل عملا اثبته وهذا المعنى في الصحيح وغيره اكثر من ان
يحصى واما تركه للطيبات والاستلذاذ بها واقتصاده العيش وهذا شيء
الدنيا وابتغاء ما عند الله فجار مجرى الضروريات ومما قيل في معنى البيت الاول
ما تقدم من قول الجنيد اذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها
وقال بعض الحكماء يا بني اعص هواك والنساء واطع من شئت ويروى
اصنع ما شئت وقال بعضهم العقل صديق مقطوع والهوى عدو متبوع

الجد والكد من الصلحاء

وقيل افضل الناس من عصى هواه وافضل منه من رفض دنياه وقال اذا انت
لم تعص الهوى قادك الهوى الى بعض ما فيه عليك مقال وقال نون الهوى
من الهوى مسروقة • وصريع كل هوى صريع هوان • وفى معنى قوله وراعها
الى سائمه قوله لا يصلح النفس اذ كانت مصرفة الا التنقل من حال الى حال
وفى معنى وان هى استحلت البيت اذ معظم الاسم لا تمكنها مما استحلت
وهى شهوتها كم من عزيز قد رأينا الحرص صيره ذليلا • يارب شهوة ساعة
قد اورثت حزنا طويلا • وقيل الحرية فى رفض الشهوات وقيل النفوس الروحانية
بترك الشهوات البهيمية طبعا لا خوفا اذا كانت الشهوة فوق الحذر كان هلاك
النفس دون بلوغ الشهوة وقال خف الله واحذر من عواقب شهوة
مسرتها تفنى ويبقى لك الوتر • ولا تحتقر ذنبا صغيرا تضيفه
الى مثله فالسيل وله قطر وهذا ايضا من معنى قوله ما يولى وفى معنى
قوله كم حسنت البيت قوله غلبت على البهايم شهواتهم فانهم ملازين
بزين وقال كم شهوات سلبن صاحبها ثوب الديانات والمروات وكم
جهول تراه مسترسلا سرور وقت بغم اوقات كم شهوة مستفزة فرحا
قد انجلت عن غموم اوقات وفى معنى قوله واخش الدسايس العاقل
يشتهى فينتهى ويبصر فيقصر رايت بميز العقل ما حسن قبحا فاعتب العدول
من العدل المعانى الوصل فى قوله وحاذر صادفا لحزم كانه يقول اصرف
هواها ابتداء ودواما او انتهاء وكذا وراعها اى ولا تغفل مع ذلك لما يقع
فيما امرت بصرفه عنها واسناد توليه الاول الى المفعول حقيقة ان كان من الولى
وكذا اسناد تولى الى الفاعل وان كانا من التولية فاسنادهما مجازى لكنه
فى الثانى متمكن لانه ثبوت واما فى الاول فالمعنى النفى اى لا توله واذا كان
الاثبات مجازا فسلبه حقيقة لان من علامة المجاز صحة النفى فاذن
نفى الاثبات المجازى حقيقة وفى البيت الاول الايجاز فى وحاذر ان توليه
لان اصل الكلام ما قدمنا فى التفسير والاصل ايضا اصرف هواها عنها
وحاذر من ان توليه عليها فحذف او فى قوله ان الهوى اسينا فى بيان لا يرجوا

سؤال عن سبب خاص للحكم كانه قيل لم لا يولى ويشبه ايضا ان يكون تذييلا من الجارى
مجرى المثل او غيره وانما عبر بحاذر دون احذر تنبيها على ان النفس تراقب غفلة صاحبها
عنها لتقع فى هواها فهى تحاذره كما يحاذرها وتعريف هواها بالاضافة اما للاختصار
والتنبيه على عظم ما يضاف للنفس منه لانها امارة ووقع الظاهر موقع المضمر
فى ان الهوى اعتراضا بين المتعاطفين اى وراعها مع ما قبله لافادة الاخذ فيما امر
بالجد وال فى الاعمال للعهد والمعهود شرعى اى الطاعات اذ لا يؤمر براعاتها
حال العصيان بل بزجرها وتمامه قد مر وتقديم المسند اليه فى وان هى لافادة
تقوى الحكم وال فى المرعى للجنس وحذف مفعول لا تسم اما للايجاز واما للورود
او لهما والاسناد فى حسنت يحتمل الحقيقة والمجاز وتنكير لذة للتعظيم او للنوعية
وتقديم المرو على قاتله ان قلنا يتعلق به للوزن وقوله من حيث البيت احتراس لانه
يقال كيف يتناول العاقل اللذة القاتلة له او كيف يقبل تزيين النفس باهاله
وفى البيت الرابع البيان بعد الاجمال فهو من الاطناب لانه اجمل الدسايس ثم بينها
بقوله من جوع فهو شبيه التوشيع والتنكير فى مخمصة مبنى على معنى رب
فان كانت للتكثير فهو ايضا كذلك او للتعظيم او كانت للتقليل فهو له او للتعظيم
ويحتمل النوعية فى الوجهين وجمع التخم تنبيها على ان مخمصة واحدة قد تكون
اشر من تخم متعددات فما بالك بواحدة من التخم او مخمصة من هذه المخمصة فى
بعضهم ولو قال كم مخمصات اشر من التخم او ما يؤدى هذا المعنى لما كان مخطيا
قلت الا انه يفوته هذا المعنى البديع الذى قررنا فى افراد المخمصة وجمع
التخم وايضا فان المخمصة راجع للجوع الذى قلنا انه كناية عن قلة العبادة فلذلك
لاق التوحيد ولما كانت التخم راجعا الى الشبع ناسبه الجمع وهو غاية فى الظهور
والحسن فتامله البيان فى البيتين الاولين استعارة بالكناية اما الاول فانه شبه
النفس فيه بطالب للامارة وحذفه واثبت من لوازمه الامر بصرفه عن الولاية او عدم
التولية وانه جائر ظالم لا اذان تولى قبل او عاب فهى ترشيحية لانها قرنت بما يلايم
المستعار منه وقدم نظيرها غير مرة وهذا على رواية توليه فلا مجاز فيه كما تقدم
فترجح رواية توليه لتحصيل هذه الاستعارة فان المجاز ابلغ من الحقيقة على ما قرر

علي الاصول والبيان واما الثاني فانه شبه النفس فيه بماشية واثبت من
لوازمها المراعات على نظر في اختصاص المراعاة بالماشية والثبت بعضا من لوازمها
السوم والمرعى وكذا قوله فلا تسم وهي من الترشيحية وكذا تشبيه الاعمال
بالنبات الا انه يحتمل ان تكون من الاستعارة المطلقة لانه لم يقرن بما يلايم المستعار
ولا المستعار منه ويحتمل ان يقال انها من الترشيحية لان اثبات الاسامة والرعي
مما يلايم النبات او يقال استعار للنفس وصف السائمة باعتبار انتقالها من عمل
الى عمل كانتقال الماشية الراعية من كلاء الى كلاء ورشح استعارة بذكر استحلت المرعى
لان ذلك مما يلايم المستعار منه ثم ان كان وجه التشبيه بين الاعمال والنبات التناول
فهي استعارة محسوس لمحسوس وان كان باعتبار ما ينشاء من زيادة الغذاء وحصول
الثواب فهو من استعارة محسوس لمعقول وان كان باعتبار ما يحصل من عيش الاخرة
او ما يعاش به فيها فهو من المحسوس الى المحسوس ايضا والتشبيه في قوله من حيث
لم يدر مضمر ايضا مستدل عليه بقوله من حيث كما تقدم في قوله ان الطعام لانه
شبه اللذة المزينة بدسم فيه سم ومرت شواهده في قوله ان الطعام وهو هنا
من تشبيه معقول لمحسوس والجامع عقلي وهو اخفاء ما يضر ولا يبعد ان يكون
قوله واخش الدسايس من هذا النوع بان يشبه ما دسته النفس في قليل العبادة
وكثيرها بما اندس في الجوع والشبع من المفاسد فالتشبيه ايضا مستدل
عليه اي اخش دسايس النفس في قليل الطاعة وكثيرها كما تخشى دسايس مفاسد
الجوع والشبع وعلى هذا فالكلام حقيقة وعلى ما قررنا في الشرح يكون الجوع
والشبع من المجاز المرسل من باب تسمية الشيء باسم ما يؤل اليه لان قلة العبادة
تؤول الى الجوع في الاخرة بالنسبة الى شبعها وكثيرها تؤول الى شبعها كذلك
ايضا ومنه اني اراني اعصر خمرا سمى العنب خمرا لما له اليه او من تسمية الشيء
باسم مسببه لان قلة العبادة سبب جوع الاخرة وكثرتها سبب شبعها فالجوع
والشبع مسببان والقلة والكثرة سببان وجعل بعضهم قوله واخش مجازا
من اطلاق السبب على المسبب والمراد اجتنبها لان الخشية سبب الاجتناب
قلت والظاهر انه حقيقة لان الدسايس حقيقة لا تظهر فالمناسب الامر بخشيتها

والامر

والامر بالاجتناب انما يناسب لو كان ظاهرا البديع في قوله فاصرف هواها البيت
مراعاة النظير لجمعه بين الصرف والتولية وايهام الطباق لان لفظ وحاذر يثبت
ففيه ايهام اثبات التولية من حيث اللفظ وهو ضد الصرف لكن معناه النفي
فلذا لم يصر ضدا اصرف معنى وفي توليه وتولى على الروايتين التكرار وقوله
ان الهوى من ارسال المثل ومن حسن التعليل ومن الكلام الجامع وفي قوله
يصم او يصم نوعان من الجناس التشبيه بالاشتقاق والمحرف وفي قوله وراعها
البيت مراعاة النظير لان اكثر الفاظه متناسبة على ما لا يخفى والتجنيس الشبيه
بالاشتقاق في راعها والمرعى وهو من تجنيس الاشتقاق وهو الظاهر واسامة
وتسم فهي تجنيس الاشتقاق وعلى ما شرح بعضهم فمن التشبيه به وفي قوله وراعها
ولا تسم طباق وكذا في سائمة ولا تسم وفي استحلت ولا تسم وفي سائمة واستحلت
لان معنى سائمة غير عاكفة واستحلت عكفت وفي قوله كم حسنت البيت مراعاة
النظير لجمعه بين التحسين واللذة والدسم وبين القتل والسم والطباق في اللذة
والقتل لانه نهاية الالم وفي السم والدسم لفظ الاول وتقع الثاني وفي حسنت لانه علم
تحسينها والمريد وقوله السم والدسم من التجنيس الناقص لزيادة الدال في
الدسم وقدم تفسيره في البيت الاول ويسمى ايضا المعرف والمردف قلت ولو جعل
نحو قوله من حيث لم يدر تنبيه المخاطب على خطاء في اعتقاده لكان لعبا كما قيل في قوله
ان الذين ترونهم اخوانكم يشفي غليل صدورهم ان يصرعوا وجعل بعضهم قوله
في البيت قبل هذا وراعها من التورية وهو ان يذكر لفظ له معنيان قريب وبعيد
ويراد البعيد ثم ان قرن بما يلايم القريب فمرشحة والا فمجردة وراعها
معناه هنا حافظ وهو بعيد ومعناه القريب رعاية الماشية وقرن بما يلايمه
فهي مرشحة ومن بديعها قول ابن الخطيب الاندلسي يصف فرسا الوردا وبها الشعر
لحقا او عارضها بالبرق كما اورد عين الشمس يسقي فوردي بعين ماء يسمى عين الشمس
واراد معناها البعيد المجد الذي هو القرص ورشحها باورد قلت وليس
في كلام الناظم تورية فان معنى راعها القريب اراده من الحفظ ولو قيل انه
في الماشية هو معناه البعيد العدو كذا لفظ ابن الخطيب بعيد من التورية

المعرف والمردف

التورية

لقرينة الشعرى والبرق فمعنى عين الشمس القريب هنا انما هو القرص وقوله
ريتها اورد ظاهر الضمير فى ريتها عوده على القرص الذى هو مراده عنه
وحينئذ لا يحسن ان يكون اورد ترشيحا له وانما يحسن ان يكون ترشيحا
لعين الماء الواردة فكلامه متدافع كما ترى فتأمله وفى البيت الرابع الطباق
فى جوع وشبع وفى مخمصة وتخم ومنه ايضا اللف والنشر المرتب وحقيقته واللف والنشر
ذكر متعدد مفصلا او مجملا ثم ما لكل من غير تعيين ثقة بان السامع يرده
اليه كقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا
من فضله ۰ وقوله فعل المدام ولونها ومذاقها فى مقلتيه ووجنتيه وريقه
وله اقسام محلها علم البيان وهو هنا فى رد مخمصة لجوع وتخم لشبع
ولا يبعد ان يكون فى هذا البيت مقابلة على راى الجميع لاتفاق الجوع والشبع
فى الدسايس والمخمصة والتخم فى الشر لكن يشترط ان تجعل التخمة فى مقابلة الجوع
والمخمصة فى مقابلة الشبع ليحصل التقابل بين الاضداد واما ان تعد ذلك
فى البيت الذى قبل هذا فليس بمقابلة الا على راى من يراها مقابلة ضدين
او اكثر بمثلهما سواء اشترك كل من المتقابلين فى معنى ام لا وفى قوله
من شبع الجوع وتقدم تفسيره وبيانه هنا انه لما قبح للجوع او حذر منه
توهم ان ضده وهو الشبع ليس كذلك فكر عليه وقال من شبع ولما كان
استقباح الجوع على خلاف المعهود استدل عليه بقوله فرب مخمصة فهو من المذهب
الكلامى ولم يعد عن استقباح الشبع لانه معلوم الاعراب هو اما منصوب
اصرف ومضاف اليه والضمير للنفس وان توليه معمول لحاذر والاصل من ان
وحذف حرف الجر مع ان وان المصدريتين مطرد واختلف فى محلهما بعد حذف حذف حرف الجر من ان وكلها بعد الحذف
الجار فقيل جر اذ لم يظهر فيهما فلا قبح فى بقاء الجر فيهما بعد حذف حرفه بخلاف
ما يظهر فيه الجر ونسبه كثير لسيبويه والفراء وقيل فى محل نصب كغيرهما
ونسب للخليل وقال بعضهم ان الحكم على موضعهما بالجر هو مذهب الخليل والكسائى
ويحتمل ان توليه ان يكون مفعول حاذر من غير حرف جر ويكون فاعل بمعنى المجرد
او على معناه من الاشتراك كما قدمنا فى المعانى ولا اصل الجملتين اصرف وحاذر

لانهما اثنا ثنتان وما فى قوله ما تولى شرطية وهى مفعول تولى ويلزم تقديمه
لان ادوات الشرط لها صدر الكلام وفيها معنى الظرفية كما اشير اليه فى التفسير
وتولى فى موضع جزم بها وفاعله ضمير الهوى ويصم جواب الشرط وعلامة
جزمه السكون وكسر لحرف الاطلاق واصله يوصم لانه من وصم كما تقدم
وحذفت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة كما فى يعد ولولا الوزن والقافية لجاز
رفع هذين الفعلين لان فعل الشرط ماض وفاعل الجواب وما عطف عليه
ضمير الهوى ومفعولهما محذوف لدلالة السياق عليه اى من ولى
عليه وقال الاستاذ الفضار انه ضمير يعود على ما وقدره بعض اشياخنا
اى شى توليه اصماه او وصمه وجملة الشرط فى موضع رفع خبر ان
ويحتمل وجها من الاعراب ضعيفا لان المعنى يساعده وهو ان يكون يصم
او يصم خبران وحذفت ياء الاول لضرورة وكسر الثانى اقواء وما ظرفية مصدرية
والعامل عليها احد الفعلين وليس من التنازع اذ لا يكون مع تقدم
المعمول على العاملين واو هنا لاحد الشيئين فهى على بابها وزعم بعضهم
انها بمعنى الواو ولا تا اصماه عنده بمعنى عصته ووصمه عابه وجملة راعها
مطوقة على اصرف وفى الاعمال المتعلق بسائمة وسائمة خبر هى والجملة
ضمير بعدان فى موضع نصب على الحال وصاحبه المنصوب براع وان هى هذا الضمير
فاعل الفعل محذوف يفسره ما بعده لان اداة الشرط لا يليها الا الفعل ظاهرا
او مقدرا والاصل وان استحلت فلو حذف الفعل انفصل الضمير هذا
مذهب البصريين وقال الكوفيون ان مثل هذا الضمير مبتدأ ومثله
وان احد من المشركين استجارك وفلا تسم جواب الشرط ولا ناهية جازمة
فاء الجواب كما لتسم وفاء الجزاء رابطة مودنة بالنسبة وزعم بعضهم انها لم تخرج عن العطف
وهو بعيد وكم خبرية معناها التكثير وهى مفعول حسنت ولذة تمييز لكم
اى كثيرا من اللذات حسنته وفاعل حسنت ضمير النفس وفى شرح
الاستاذ محل كم النصب على الظرف لان تمييزها اسم زمان اى مرة وحذف
للعلم به قلت وما ذكرته اولى لوجود التمييز وكم من لها صدر الكلام

كالاستفهامية وبيت هذه لتضمنها معنى الشرط والجزية لشبهها بها لفظا
ومعنى وقائلة نعت للذة ولا يضر فصلهما بالمرء لانه غير اجنبي وتعلقه
على هذا بلذة من لذلى كذا اى استطبته او يكون صفة للذة ولا يصح تعلق
للمرء وبحسنت ولا بقائلة ان جعل قائله صفة للذة لئلا يلزم الفصل بين التابع
والمتبوع باجنبي وفيه نظر وقال بعضهم ان علق بلذة لم يكن فى كلامه
تعيين للمحسن له لكى يعلم عقلا ان لذة المرء انما تحسن له قلت بل الدليل
صناعى لو جاز هذا التقدير فى البيت كما ذكرنا لانه من التنازع وقد اعمل
فيه لذة فيعمل حسنت فى ضميره قال ويجوز تعلقه بحسنت اى حسنت له
ما هو لذة فى ذاته لكل ملة قائل بما فيه بما لم يشعر به كالزناء وعلى الاول
فاللذة مقيدة بالمرء فيدخل فيه الاساءة للاعداء والاحسان للاولياء
وهذا ليس بلذة كل احد قال ويجوز ان يتعلق بقائلة اى اللذة القائلة
للمرء كثيرا ما تحسنها النفس قال وسعدا لانه لا يبقى دليل على من تحسن له
بل يوهم ضد المقصود لان القائل لا يستحسن الا ان يقال دليله من حيث
لمريدين فانه متعلق بحسنت قلت وجواب على تقدير جوازه ما تقدم انه
من التنازع لا يقال التنازع انما يكون فى معمول تأخر عن العاملين لانا نقول اصله
التأخير على تقدير تعلقه بقائله ولذا قوي باللام لانه لما قدم مع ضعف عامله الفرع
زيدت فيه اللام وهو مقيس فى مثله مع التأخير نحو فعال لما يريد فاحرى مع
التقديم ثم هذا كله عناء لما قدمنا من ان هذين الوجهين للفصل بالاجنبي فان
قلت اجعل قائلة حالا من لذة فيصح هذان الوجهان اذ لا محذور فى الفصل
بين الحال وصاحبه بالاجنبي قلت ان سلم نفي المحذور لم يصح جعله حالا من
لذة الا ان جعل للمرء صفة له لان الحال لا يكون من النكرة غالبا الا مع تخصيصها
نعم يتم هذا ان جعل قائلة حالا من الضمير فى حسنت والبيت يحتمل الاكثر من
هذا الكا حشينا السامة ومن حيث متعلق بقائلة او بحسنت وبنيت حيث
لافتقارها لزوما الى الاضافة الى الجملة وفيها لغات وفروع مستوفاة فى النحو
وجملة لمريد الى آخر البيت فى محل خفض باضافتها اليه وفاعل يريد ضمير المرء

رب لزوم العماد حيث

وان السم

وان السم مفعول يدر وفى السم خبران وجملة واخش الدواخل معطوفة على وان
وكم حسنت البيت اعتراض بين المتعاطفين ويحتمل عطف واخش على محذوف
اى واخش هذه النفس الموصوفة واخش ومن جوع ومن شبع متعلقان
باخش ومن فيهما لبيان الجنس او للموافقة فى قال ابن مالك ومنه قول
علي بن زيد عسى سائل ذو حاجة ان منعته من اليوم سؤلا ان ييسر فى غد
ومثله ابن هانئ بقوله تعالى اروني ماذا خلقوا من الارض اى
فيها ويحتمل من فى البيت التبعيض ويحتمل المجرور ان ان يكونا فى موضع الحال
من الدسائس والجمهور يقولون فى ربنا انها حرف يجر النكرات ولا بد لمجرورها
غالبا من الصفة والعامل فيه عند سيبويه محذوف تقديره لاينا او وجدت
وانشد للشماخ ودوية قفر تمشي نعامها كمشي النصارى فى خفاف اليرندج
وقدره قطعت لان هذه واو رب اى رب دوية قالوا وتقدير سيبويه
هو ما نطق به الشاعر بعد الا ان سيبويه لم يحفظه ولا نقص عليه
فى ذلك والبيت قطعت الى معروفها منكرا بتيها وقد خال الاعفر المتوهج
وذهب الاخفش الى انها حرف جر زائدة فى الاعراب لا يتعلق بشيء فمجرورها
فى نحو رب رجل صالح لقيتني فى موضع مبتدأ خبره لقيتني فان قلت لقيت
فهو فى موضع مفعول به فاصحاب هذه الطريقة يقولون ان لفظه غرّنى
البيت مخفوضة صفة مخصصة ويقدرون محذوفا حديثا ونحوه هو العامل
فيه على مذهب سيبويه او خبر على مذهب الاخفش ومخصصة فى محل مبتداء
ويحتمل مجرورها النصب ايضا عند الاخفش على هذا التقدير قلت وعلى مقتضى
ما قال فى التسهيل ولا يلزم وصف مجرورها خلافا للمبرد ومن وافقه واستشهد
على ذلك فى شرحه بما يطلع عليه من اراده تكون مخصصة على مذهب الاخفش
مبتداء وشر خبرها نحو قوله ان يقتلوك فان قتلك لم يكن عارا عليك ورب
قتل عار فعار خبر بنفسه ولا حاجة الى تقدير هو عار وهذا الاعراب فى
كلام الناظم اسهل شيء واوفقه لما قصد فتامله والجمهور ان رب حرف
وقال الكوفيون اسم وعزا ابن مالك لسيبويه انها حرف تكثير والتقليل بها نادر

وخالفه غيره فعكس النقل عنه وقيل انهما للتكثير دايما وقيل للتقليل دايما
وقيل تاتي لهما واختلف في تعيين الاكثر وفيها كلام كثير محله النحو وعند
بعضهم ان شر هنا مبتدأ خبره ضاق المحل عن ذكره اي هي قال ويجوز خفض
قلت وليتما مذهبه في احتياج مجرورها الى الوصف واحتياجها الى العامل
فان كان كراي الجمهور فعلى تقدير رفع شر يحتاج الى الوصف وعلى تقدير
خفضه يحتاج الى العامل وهذا اسهل لانه يقدر الا انه لا يخفى ما فيه من
التكلف وشر وخير هنا افعل تفضيل اصلهما اخير واشر غلب حذف
همزتهما في التفضيل وقرئ من الكذاب الاشر وندر حذفها منهما في التعجب
ومن الخير متعلق بشر ومن هي المتصلة بافعل التفضيل وتعلق من بشر
سوا رفع وخفض لا يجوز فيهما غير ذلك ولذا ترجح رفع شر الاشارات
قوله فاصرف هواها وقد قدمنا شيئا من مخالفة هوى النفس في البيت الذي
قبله وكان البيت المتقدم كالمقدمتين لانه قانون كلي يعطي ان النفس تفعل
وهذا كالنتيجة اي اذا كانت كالطفل اي شيء تريد ان تفعل بها فعلت فاصرف
هواها قبل تمكن سلطانه وبادره حال ضعفه فهواها في ابتدائه كالطفل
الصغير على اي خلق اردت تربيته تاتى لك ان الغصون اذا قومتها اعتدلت
ولن تلين اذا قومتها الخشب واما اذا تمكن سلطانه وهو الذي
بقوله وحاذر ان توليه اي تغفل عنه حتى يتمكن فيكون كالطفل اذا كبر لا ينفع
تاديبه ثم بين ما يؤول اليه من المفسدة اذا تولى وهو تمكنه وهي اما انه
يقتل او يصم وهو اقل الامور وما اجدر وابدا دار حاله من هذين الامرين
ان يزل فان الرعية انما تصلح بصلاح اميرها فاذا دار حال
اميرها بين هذين الامرين ولعله اشار بقوله يصم الاول الى الوقوع في الكفر
والعياذ بالله لانه يوجب الخلود في جهنم اعاذنا الله منها ومن ساير عذابه
وهي الموتة العظمى باعتبار حيوة الايمان اي العزة والهلكة التي لا توت
بعدها وهذا كما يقال في الامر العظيم الموت الاحمر وليتها لو كانت موتا حقيقة
لكانت الراحة بل لا يموت فيها ولا يحيى وبقوله ثانيا او يصم الى الشيئين

للخير والشر

المعصية

المعصية مع الايمان وهذا اسهل ولا شك ان الاستمرار على المعصية عصمنا الله
تعالى منها بمنه وفضله قد يؤدي الى الكفر وان لم يصل اليه فهو العيب الاعظم
ومصداقه ما جاء في الحديث ان العبد اذا عصى نكت في قلبه نكتة
سوداء ثم لا يزال يزداد الاصرار توالي حتى يتم السواد قلبه وذلك هو الران
كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون الآية
وقال ابو بكر الطمستاني النعمة العظمى الخروج من النفس لانها اعظم حجاب بينك
وبين الله تعالى وقال ما عبد الله بشيء مثل مخالفة النفس والهوى وقال مالك
بن دينار من غلب شهوات الدنيا فذلك الذي يفرق الشيطان من ظله وقيل لبعضهم
الا تشتهي فقال اشتهي ان لا اشتهي ويحكى ان ابا الخير العسقلاني اشتهى السمك سنين
ثم تاتى له من حلال فلما مد يده اليه اخذت شوكة يده فذهبت فيها فقال يا رب هذا
لمن مد يده لشهوة حلال فكيف بشهوة حرام وعن ابراهيم الخواص كنت في جبل لكام
فرايت رمانا فاشتهيته فاخذت منه فوجدته حامضا فتركته فرايت رجلا
مطروحا وعليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم
فقلت كيف عرفتني فقال من عرف الله لا يخفى عليه شيء فقلت لك حال مع الله
فلو سالته صرف الزنابير عنك فقال فان لدغ الرمان في الاخرة ولدغ الزنابير
في الدنيا قلت مصداقه ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم واوحى الله تعالى الى داود
عليه السلام يا داود حذر اصحابك اكل الشهوات فان القلوب المعلقة بشهوات الدنيا
عقولها عني محجوبة ورؤي رجل في الهوى فقيل بم نلت هذا قال تركت الهوى
فسخر لي الهوى وقيل لو عرض للمؤمن الف شهوة لاخرجها بالخوف ولو عرضت
للفاجر شهوة واحدة لا اخرجته من الخوف وقيل لا تضع زمامك
في يد الهوى فانه يقود الى الظلمة وقال ابن اسباط لا
يمحو الشهوات من القلب الا خوف مزعج او شوق مقلق وقال الخواص
من ترك شهوة فلم يجد عوضها في قلبه فهو كاذب في تركها واما قوله
وراعها البيت فانه لما امر بصرف هواها المريق ما تستعمل فيه الا ما
تكرهه بالطبع وذلك العبادات لما فيها من الكلفة فامر بمراعاتها طالما

فهي اخذ من جميعها وشقلة من نوع منها الى اخر كالعيم السائمة في
انواع الكلاء فان استحلت معنى منها ومالت اليه بطبعها فاعلم ان لها
فيه غرضا وعادت الى هواها المكروه فينبغي ان لا تترك عليه لان كل
ما تهواه تصرف عنه فان تمرها في ذلك ولا تغالط بان هذه عبادة قد
رايتها فان ذلك مكر لا تصلح النفس اذ كانت مضرة الا النقل من حال
الى الحال الاخرى لا الارتفاع عما في ايدي الناس فقد حث الشارع صلوات الله
وسلامه عليه رويناه في الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم
اليد العليا خير من اليد السفلى ولان ياخذ احدكم حبله فيحتطب خير له
من ان يسأل احدا اعطاه او منعه وقوله صلى الله عليه وسلم للذي بايعه
واسر اليه كلمة لا تسأل الناس شيئا ثم ان القشيري حكى بسنده عن عصام
بن يوسف البلخي انه وجه شيئا الى حاتم الاصم فقبله فقال لم قبلته فقال
وجدت في اخذه ذلي وعزه وفي رده عزي وذله فاخترت عزه على عزي
وذلي على ذله وانما فعل هذا رضي الله عنه هضما للنفس ويحتمل كلام
الناظم وجها اخر وهو انما امر بمراعاة النفس في ابتداء امرها وحال نقل
العبادة عليها خوفا ان تملك فان تمكنت لها حلاوة الطاعة واستلذاذها
بالمداومة عليها وصارت لها امرا معروفا والفا مالوفا فحينئذ لا تتهمها
اي لا تترعها ولقد حكى لي عن بعض اشياخنا رضي الله عنهم وقد كان يصوم نحو
اربعين سنة انه قال يوما لقد خفت ان لا يوجر على هذا الصوم لما اني لا اجد
كلفه واتكره الفطر كما يتكره الصوم وقال بعضهم انما قال تعالى انا وجدناه
صابرا نعم العبد ولم يقل صبورا لانه لم يكن في جميع احواله الصبر بل كان
في بعض احواله يستلذ البلاء ويستعذب به فلم يكن في حال الاستلذاذ صابرا
فلذا لم يقل صبورا والحكايات في هذا المعنى كثيرة فان قلت فقوله كم
حسنت على هذا التفسير على اي شيء استشهد به قلت على بعض الاحوال التي
امر بمراعاتها فيها ثم في هذا البيت اشارة الى انها لا تتابع فيما حسنته فالمطلوب
من العبد ترك الاختيار والرضى بما وردت به الاقدار فربما حسنت النفس

للسبب ترك الاسباب والتجرد للتوجه الى عبادة رب الارباب وهذا وان كان
حسنا الا انها قد لا تصطبر على مشقة التجريد فقد يكون لها مع الاسباب
حال فيختل عليها وكذا ان كان تجردا فزين له السعي في تحصيل الاسباب لينال بها
ما عند الله من الاجر والثواب وهذا مقصد جميل الا انه قد لا يجد
الى التوصل اليه على وجهه من سبيل • والى هذا اشار الامام ابن عطاء الله
الاسكندري رحمه الله بقوله في كتابه الحكم ارادتك التجريد مع اقامة الله
اياك في الاسباب من الشهوة الخفية وارادتك الاسباب مع اقامة الله اياك
في التجريد انحطاط عن الهمة العلية وبالجملة مقامك حيث اقامك الله
بعباده خبير بصير وقال ابو سليمان اذا سلا العبد عن الشهوات فهو راض
ويؤيد ان المراد بقوله وان هي استحلت المرعى اي الطاعات فلا تسم اي فلا تكثر
لرعايتها وان قوله كم حسنت لذة البيت شاهد على ذلك ما حكى القشيري
في باب الرضى عن الواسطي انه قال اياكم واستحلاء الطاعات
فانها سموم قاتلة وقيل قال الشبلي بين يدي الجنيد لا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم فقال الجنيد قولك هذا ضيق صدر وضيق الصدر
ترك الرضا بالقضا واما قوله واخش الدواخل البيت فهو تحقيق ما قدمنا
في قوله ان الطعام تقوى انما اشار به الى المعين على ترك شهوات النفس هو الجوع
وذكرنا بعض فضائله هنالك واشار هنا الى ان الجوع وان كان معينا على ترك
شهوة النفس فانه تخفى دسايسه كما تخفى دسايس الشبع وهو التخم هذا مع
ان الداراني يقول مفتاح الدنيا الشبع ومفتاح الاخرة الجوع وقال
يحيى بن معاذ الجوع نور والشبع نار والشهوة مثل الحطب يتولد منه الاحراق
ولا تطفى ناره حتى تحرق صاحبه وربما تحرق صاحبها لكن ان كان الجائع
يجوع نفسه ليظهر للناس فيه اثر العبادة فيجد فيهم مخمصة شر من تخمته
لان مضرة تخمته قد لا تعود عليه الا في الدنيا ومفسدة مخمصته في الاخرة
وشتان ما بينهما نسأل الله تعالى السلامة والعصمة من كل شيء في الدين
والدنيا والاخرة اصل واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت

المحارم والزم حمية الندم وخالف النفس والشيطان واعصهما وان هما محضاك النصح فاتهم ولا تطع منهما خصما ولا حكما فانت تعرف كيد الخصم والحكم

شرح الغريب استفرغ معناه اطلب اراقة الدمع او افرغ الدمع فيكون استفعل بمعنى افعل وهو من قولهم افرغت الدماء اي ارقتها وفرغته تفريغا اي صببته وفرغ الماء بالكسر يفرغ فراغا مثل سمع سماعا اي انصب وافرغته ويحتمل ان يكون من قولهم استفرغت مجهودي في كذا اي بذلته او من تفريغ الظروف وهو اخلاؤها اي ابدلها واخلها وتقدم تفسير الدمع والعين وامتلاء الشيء وتملا بمعنى يقال تملات من الطعام والشراب وتملا غيظا وملات الاناء فهو مملوء ودلو ملآى وكوز ملآن ماء والعامة تقول ملا ماء والملء بالكسر ما ياخذه الاناء اذا امتلا يقال اعطني ملاه وملايه وثلثة املائه والمحارم جمع محرم وهو الحرام والحرمة ما لا يحل انتهاكه وكذا المحرمة بفتح الراء وضمها والحرام ضد الحلال وكذا الحرم بالكسر وقد يقال حرم كزمن وزمان ومحارم الليل مخاوفه التي تحرم على الجبان ان يسلكها الاصمعي يقال ان لي محرمات فلا تهتكها واحدتها محرمة ومحرمة والاحرام والتحريم ضد التحليل وحرم الشيء حرمة وحرما وحرم بالكسر لغة وحرمه يحرمه حرما كسرقه سرقا بكسر الراء وحرمة وحريمة وحرمانا والحرم بكسر الراء الحرمان واحرم الرجل دخل في الاحرام وكذا في حرمة لا تهتك حمية من حميت المريض الطعام حمية وحموة وقيل حموة بالضم اذا منعته منه لئلا يضره وكذا غير الطعام واحتميت احتماء وحميته حماية دفعت عنه وشيء حمي محظور لا يقرب واحميت المكان جعلته حمى وسمع الكسائي في تثنية حموان وقال والوجه حميان وحمي الدبر فعيل بمعنى مفعول وهو عاصم بن ثابت الانصاري رضي الله عنه والندم الكره يقال ندم بالكسر يندم ندما وندامة كره وتندم مثله وانعمه الله تندم وندمان اي نادم واليمين حنثا ومندمة وتقدم تفسير النفس والشيطان معروف وكل عات متمرد من الجن والانس والدواب شيطان والعرب يسمى الحية شيطان وقال الفراء في قوله تعالى رؤس الشياطين ثلثة اوجه تشبيه طلعها بذلك لان رؤس الشياطين موصوفة بالقبح او بالحيات المسمى واحدها شيطانا

وهو

حرم

حمى

ندم

شيطان

الجن والشيطان

وهو ذو العرف قبيح الوجه او بنبت قبيح يسمى رؤس الشياطين وان جعلت نونه من تشيطن صرفته لانها اصلية او من شيط لم يصرفه لانه فعلان واظهر الوجوه فيه انه من شطن عنه اذا بعد واشطنه ابعده لانه مبعد من رحمة الله تعالى وشطن بعد ويبرشطون بعيد القعر ونوى شطون فنونه زايدة ونونه اصلية ويكون وزنه فيعالا وان كان من شاط بمعنى هلك او احترق فنونه اصلية ونونه زايدة ووزنه فعلان واختلف في الجن والشيطان على القول بوجودها وهو مذهب اهل الحق هل هما نوع واحد او الشياطين متمردة الجن ثم قال المتكلمون انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل والفلاسفة واوايل المعتزلة انكروها قالوا لانها ان كانت بلطافة الهوى لم يقو على شيء من الافعال ويفسد تركيبها ادنى سبب وان كثفت وجب رؤيتها والا كانت بحضرتنا جبال لا نراها والجواب لم لا يكون لطافتها عدم اللون لا رقة القوام سلمنا لكن الابصار غير واجب فان لم يخلقه الله لم يكن وزعم الفلاسفة ان الشياطين لا متحيزة ولا قايمة بمتحيز واكثرهم على انها مخالفة بالنوع لارواح البشر ومنهم من يقول الارواح اذا فارقت ابدانها وكانت شريرة كانت شديدة الانجذاب الى ما يشاكلها من النفوس البشرية فتتعلق بابدانها ضربا من التعلق وتعاونها على الشر وهو الشيطان وان كانت خيرة فالامر بالعكس والمعصية ضد الطاعة وتقدم تفسيرهما وتفسير المحض والنصح والتهمة وتقاد طاع واطاع اي انقاد واطاع اي اتبع الامر ولم يخالفه والخصم معروف يقع على الواحد والاثنين والجمع مذكرا ومؤنثا لانه في الاصل مصدر خصم فهو خصم بكسرهما اي كثير الجدال وقد يثنى ويجمع قال تعالى هذان خصمان اختصموا في ربهم والخصيم الخصم وجمعه خصماء وخاصمته خصاما ومخاصمة والاسم الخصومة وخاصمته فخصمته اخصمه بالكسر وهو شاذ ولا يضم والقياس في مضارع المقابلة من مثله الضم ومنه قراءة حمزة يخصمون واختصم القوم وتخاصموا بمعنى والسيف يختصم جنبه اذا اكله من حدته والحكم بالتحريك الحاكم

وفي المثل في بيته يؤتى الحكم وحكم بينهم حكما لقضى وحكم له وعليه وحكمه
السفيه واحكمته اخذت على يديه وحكمته في مالي جعلت له الحكم فيه فاحتكم
على في ذلك واحتكموا الى الحاكم وتحاكموا بمعنى والمحاكمة المخاصمة وسمي الخوارج
محكمة لانكارهم امر الحكمين وقولهم لا حكم الا لله • والكيد المكر كاده
يكيده كيدا ومكيدة ومكايدة وربما سمي الحرب كيدا ومنه غزا فلان فلم يلق
كيدا وكل شيء تعالجه فانت تكيده ويكيد بنفسه يجود بها ويسمى اجتهاد الغراب
في صياحه كيدا وكذا القيء التفسير لما امر بتخليص الاعمال من المفاسد
بقوله واخش الدسايس امره بالتوبة والندم على ما عسى ان يكون وقع منها فيها
وعلى ما صدر منه من المعاصي ولما كانت التوبة معظمها الندم وكان الندم الحقيقي
يلازمه البكاء وبقدر الامكان امر باستفراغ الدمع من العين فقال استفرغ الدمع
اي اراقه منها واخلها منه والاولى من عين قد كانت امتلأت حتى يسوغ
مما عل ذ هذا هو حقيقة الامتلاء خاليا عن المحارم والمعنى من تدارك
ما فرط منه من كثرة تعرضه الى النظر فيما لا يحل له النظر فيه وانما امر البدأة
بالتنصل من تبعات العين لوجهين اما لان البكاء علامة الندم على جميع ما سلف
واما لان السبب الاعظم في الوقوع في المعصية هو النظر لان العين رائد الزنا
وغيره من المعاصي كما قال لناظر تنظر وتستحسن فتقع فيما لا يحل وقانا الله الفتن
المضلة بمنه • يا قلب بئس لك من صاحب • كل البلاء منك ومن ناظري
وقوله والزم حمية الندم اي الزم منع الندم اياك من الوقوع في المعاصي
وانما لم يقل والزم المنع من المعاصي من غير ضم الى الندم لان الامتناع منها
قد يكون لمصلحة بدنه او قصد التحصيل ما هو اعظم منها او لوجوه شتى
غيرها يحمل عليه خوف عقاب الله سبحانه وتعالى وهذا كله من جنس المعصية
ومعظم التوبة او هو حقيقتها الندم على ما فات من رعاية حقوق الله تعالى وعلى
الوقوف في المعصية من حيث هي معصية لا من حيثية اخرى وهذا مقرر
في علم الفقه وغيره وقيل انما قال حمية الندم لان الاحتماء من الطعام قد يكون

قبل

قبل ان يضر وقد يكون بعد مضرة استعماله وهذا النوع من الاحتماء اكد من الاول
قال بعضهم معنى امتلأت من المحارم اي لم يبق لها نوع من المرئيات المحرمة الا وقد
نظرت اليه ولا يتخيل امتلاء العين الا هكذا قلت لا يصح الحصر اذ يتخيل امتلاؤها
من نوع واحد من المحرمات بل هذا اشبه بالمستحيل ان لم يدع الايقان فان تمام
النظر اليه النساء الاجنبيات وكيف يمكن الاحاطة ببعض البعض منهن فكيف
بكلهن ام كيف يحل لاجرم النظر فيه ثم قال والامر في قوله واستفرغ للارشاد
نحو واستشهدوا واذا تبايعتم لانه في هذا المقام كالمفتي لذلك اذ ليس له
الايجاب قلت بل الامر المفتي فيما هو متعلق الوجوب للوجوب لان طاعته واجبة
لقوله تعالى واولي الامر منكم وقوله فاسألوا اهل الذكر والسؤال قد يكون
عن واجب ولم يجب العمل به لم يكن في الامر بالسؤال فائدة واما الامر هنا
فان كان معنى استفرغ استفعل في استفرغ الطلب لم يبعد الوجوب ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم ان لم تبكوا فتباكوا وطلب البكاء باستدعاء مقدماته
واسبابه مقدور وكذا ان كان هذا الامر كناية عن ملازمة حال الباكين وان
كان استفعل بمعنى المجرد من السين والتاء نحو استغنى بمعنى غني حتى يكون استفرغ
بمعنى افرغ فان اراد المجاز كما ذكرنا فهو للوجوب وان اراد حقيقته فهو للوجوب
باعتبار قوم وللندب باعتبار اخرين لا يقال فيه استعمال العام اللفظ في حقيقته
ومجازه على هذا التقدير والمشترك في معنييه وهو غير جائز لانا نقول في جوازه
خلاف والمانعون منهم من لم يمنع استعماله لذلك مجازا وقوله وخالف
النفس البيت لما امره بالمبادرة الى الطاعة والتزام الندم على ما فات من العصيان
نبه الان على انه ان فعل ذلك فقد خالف النفس والشيطان فلذا امر بمخالفتهما
اي بادر الى التوبة وخالف النفس والشيطان فيما يدعوانك اليه من التمادي
على الغي او الى ما يدخلان في العبادة من فساد النيات كما اشار اليه فيما تقدم
وقوله واعصهما تنبيه على انه لا يكتفي بمخالفتهما بل لا بد من عصيانهما بان يلتبس
بضد ما امراه به لانه قد يخالف امرا وبه الى غيره مما يرضيان به وقال بعضهم
يحتمل ان يريد يخالفهما في المكروه والمحرم معا واعصهما في المحرم فيكون من عطف

الخاص على العام للاهتمام فتامله ثم قال وانهما محضاك النصح فاتهم اي
ان اخلصت لك النفس او الشيطان النصيحة فيما ابدياه لك كان يقول لك
لك النفس متعني بهذا الشهوة لكي اتملاء منها ثم اتوجه الى الطاعة فارغة
السر لا تحدث خطى من شهوتي والان حملني على الطاعة ولم اقض وطري من شيء
ابقى معلقة البال بها فلا تخلص في عبادة او تقول لمن نوى الجد في العبادة اربع
على نفسك لتدوم عبادتك والا تفهت نفسك فلا تقدر ان تأتي بشيء
منها او تقول كثر من العبادة لتفوز بالدرجات العلى او تقول ان الله غني عنك وعن
عبادتك فحافظ على اصل الايمان ويكفيك او تقول للمنهمك في العصيان انك قد اجترمت
امورا عظاما لا يحصل لك معها توبة فاربح دنياك فليس لك في الاخرة نصيب وغير ذلك
او يكون المورد لهذه الوجوه كلها الشيطان فاتهم قائل ذلك من كل منهما
ولا تثق به ولا بنصيحته ولتعلم ان كيدها في الوجه الاول ان تمكنها من شهوتها
حتى تتمادى فيها فيعسر اقلاعها وفي الثاني تأنس التقليل وترك الشيء بعد الشيء
الا ان تنقطع العبادة بالكلية وفي الثالث استعمال اسباب الملل حتى يترك العبادة
دفعة لثقلها كما قال صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغل فيه
برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى ولن يشاد الدين احد الا غلبه
او كما قال صلى الله عليه وسلم وفي الرابع الامن من مكر الله فلا يأمن مكر الله
الا القوم الخاسرون وفي الخامس القنوط من رحمة الله ومن يقنط من رحمة
ربه الا الضالون وانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
وبالجملة لا طاعة لهما في ورد ولا صدر وقوله ولا تطع منهما خصما ولا حكما
اي لا تطع واحدا منهما لا في ابتداء الامر كما اذا راودك احدهما على الاقدام على
المعصية وهذه هي صورة كون احدهما خصما فانه حينئذ يزين الفعل ويرغبها
والمأمور يدفع ذلك لما يعلم من سوء العاقبة فهما كخصمين يدلي احدهما بحجة
ويدفع الاخر ولا بعد تمكن الاشتغال بالمعاصي وهذه هي صورة كون احدهما حكما
وذلك اذا استولى سلطان احدهما فالمكلف يريد التنصل والنفس او الشيطان
يزين له البقاء والتسويف وطول الامل ويمنيه بالاسعاف بالزهد المزم بعده

ويزين له اجلا بعد آخر مثل الحكام فيما يقطعون به الحقوق والاجراء فيما يعدون
باعطائه ويقول له بان سلطاني استولى عليك فلا يمكنك مخالفتي ولا الخروج عن
طاعتي وهذا لسان استحلاء المعصية فقد ظهر انه اراد بالخصم والحكم كل واحد
منهما وقوله على هذا فانت تعرف كيد الخصم والحكم كل واحد منهما وقوله على هذا
فانت تعرف كيد الخصم والحكم اي فانت تعرف كيد النفس والشيطان الذين يكون
كل منهما خصما تارة وحكما اخرى ويحتمل ان يريد الخصم بالاطلاق والحكم الذي
له شهوة في خلاف ما يريد المحكوم عليه يعني فان الخصم ابدا ذو كيد واجتهاد
في تحصيل مطلوبه وخيبة خصمه والحاكم المائل على الحق اشد كيدا في تحصيل
غرضه واقوى مخلدا من الخصم فان هذا الحاكم خصم وهو مع كونه خصما بيده الحكم
فكانت نتيجة حيلة اسرع وانفذ والخصم الذي ليس بحاكم حظه استعمال الحيل
ويقف تمام ذلك على الحاكم ولا شك ان الخصم هنا هو الحكم المائل وهما متفقان
واحد بهما قائلين وكيف اذا اجتمعا فاذا كان لا يحترز من احدهما فهما احذر
وقال بعضهم في شرح هذا الكلام ان النفس تتخيل في صورة خصم قائلة
لصاحبها لم تحرمني من هذه النعم وانما خلقها الله سبحانه وتعالى لعباده وانا منهم
وهذه حجة من قال من العلماء ان ما لم يرد فيه شرع هو على الاباحة
ويتخيل الشيطان في صورة حكم يقول للمرء انا احكم لنفسك عليك فارفع عنها ظلمك
فينقاد المرء لحكمه لهذه الحجة فلذا قال ولا تطع منهما البيت قلت كان يرد الخصم
للنفس والحكم للشيطان وليس ببعيد ويصح العكس والاولى اشرحنا به لانه اعم
فائدة ومما قيل في معنى قوله وخالف النفس قوله • اذا ما دعتك النفس
يوما لشهوة • وكان عليها للخلاف طريق • فخالف هواها ما استطعت فانما
هواك عدو والخلاف صديق • وروي اذا طالبتك النفس • وقال
اذا المرء اعطى نفسه كل شهوة • ولم ينهها تاقت الى كل باطل • وقيل اذا ابصرت
العين الشهوة عمي القلب عن الاحتياط • وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله
ثلث من كن فيه كمل من لم يخرجه غضبه عن طاعة الله ولم يستنزله رضاه الى
معصية الله واذا قدر عفا وكف وقيل اي الجهاد افضل قال جهادك هواك

وفي الحديث المرفوع جاهدوا اهواكم كما يجاهدون اعداكم وقال عبد الله بن المقفع
اذا عرض لك ابدا امران لم تدر ايهما اصوب فما نظر ايهما اقرب الى هواك فخالفه
فان اكثر الصواب في خلاف الهوى قال الشاعر اذا حار وهمك في معنيين
واعياك حيث الهدى والصواب فخالف هواك فان الهوى يقود النفس الى
ما يعاب واما الشاهد على مخالفة الشيطان فاكثر من ان يحصى وكفى
بقوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعوا
حزبه ليكونوا من اصحاب السعير المعاني فلما قال استفرغ ولم يقل
وليفرغ لافادة ان ذلك لا يكون الا بالطلب ومعلوم ما في الطلب من التكلف
لا سيما في طلب ما يخالف هوى النفس وايضا فان طلب استفراغ الدمع علم
فيمن يبكي او يتباكى بخلاف وليفرغ فانه خاص بحصل ذلك وال في الدمع
للحقيقة اي لا يبقه فيهما ما امكن وذلك قليل في جنب ما فرطت والتنكير في
عين اما للتحقير باعتبار رتبتها او للتعظيم باعتبار جريمتها او للنوعية باعتبار
جنايتها وال في المحارم اما للحقيقة او للنوعية اي العظام وليست للعموم لما
قدمنا في التفسير انه محال وفي قوله امتلأت من المحارم واطنابا لان في
امتلأت ابهام وفي من المحارم ابهاما وتفسير لحوا اشرح لي صدري وفي وجه
وكذا اضافة حمية الى الندم وال في الندم للحقيقة او للمبالغة اي الكامل
ولا يبعد ان يكون والزم حمية الندم من التذييل لان ما قبله يدل عليه وال
في النفس والشيطان عهدية وليس قوله واعصهما بحشو كما بينا التفسير
والذي بان في قوله وان هما لا جزام المشكوك فيه بل لا يفرض الا كما يفرض
المحالات فان النصح لا يتصور من جهتهما وليس قوله هنا من تقديم المسند اليه
حتى يكون تقديمه لافادة تقوي الحكم والاختصاص لانه فاعل بفعل محذوف دل
عليه الظاهر لان ان لا يليها الا الفعل فلما حذف الفعل انفصل الضمير اللهم
الا على رأي الكوفيين الذاهبين الى انه مبتدأ فنعم واذا عرفت انه فاعل علمت
انه لا فرق بين وان محضاك وبين وان هما محضاك وقال بعضهم لو قال
ان محضاك النصح فاتهم كانت ان غائية لمنافرة الشرط الجزاء فان محض النصح

يوجب

ان غاية

يوجبان لا يتهم فلما حذف الفعل واولى هما ان كانا شارة الى ان الخبث فيها
لا من غيرهما ان محضاه فناسب الشرط وهو فاتاهما للجواب وصارت
ان شرطية لا غائية ومثله لو انتم تملكون اي فانكم مجبولة على الامساك
فلو شرطية ولو جاء لو ملكتم امسكتم كانت غائية قلت اما ما ذكر من
فايدة ان هما محضاك فصحيح على رأي الكوفيين واما على رأي البصريين
فقد علمت ما فيه لكن الزمخشري قرر ذلك في الآية على تقدير كونها فاعلا
وقد علمت ما فيه وفي كلام الزمخشري تدافع فانه جعل انتم تاكيدا للمتصل في
الفعل المقدر وهو يملكون ولا زمه ان تملكون ربنة التاخير كسائر المؤكدات
فاذا لا يكون من التقدير المفيد ما ذكر الا انه قال اتى به في صورة المبتداء
والخبر فهو يقتضي افادة ذلك صورة لا تحقيقا واما ما ذكر من ان غائية
ان قيل محضاك وشرطية مع ان هما فلا حصول له لانهما ان كانت غائية
فيهما او شرطية فكذلك لما قررنا مع انه لا يتحقق في الغائية الا الشرطية
وقال ايضا انما قال وان هما الضرورة الوزن قلت لا ضرورة فيه مع ان ان خالف
غيرهما من ادوات الشرط قال الله تعالى وان احد من المشركين استجارك
وال في النصح اما للحقيقة او للمبالغة اي الكامل فان قلت قوله ولا تطع
تاكيد اذ يغني عنه قوله واعصهما قلت اما عند من يرى ان الامر بالشي ليس
عين النهي عن ضده ولا يتضمنه فليس بتاكيد واما على مذهب من يرى انه
يتضمنه فالمطابقة اولى من التضمن واما على مذهب من يرى انه عينه ففايدته
افادة المعصية في جميع الاحوال فان قوله واعصهما فعل مثبت ولا يدل
على العموم في اقسامه على الصحيح بل هو مطلق وقوله ولا تطع منهما نهي ونهي
نفي والفعل المنفي يعم على الصحيح لا سيما وقد ذكر متعلق النهي في قوله خصما
ولا حكما وايضا اختلف في الامر هل يدل على التكرار او المرة وهل يقتضي الفور
او التراخي ولم يختلف ان النهي يفيد التكرار والفور ولو سكت عنه واقتصر
على واعصهما لاحتمل الخروج من العهدة بمرة او لا يجب المبادرة فان قلت
فلم لم يقتصر على النهي قلت لان المختار ايضا انه ليس عين الامر ولا يتضمنه

النهي نفي

اولان المطابقة اولى ومثل هذا البحث فى قوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون • ويقرب منه البحث فى قوله اقول له ارحل لا
تقيمن عندنا والا فكن فى السر والجهر مسلما وبالجملة لا يخلو الكلام
من الاطناب وفى قوله خصما ولا حكما احتراس فانه فرق من نهى عن طاعة
منهما بالخصم والحكم وذلك حيث يكون كل منهما مريدا المكر وهو الخصم والحكم
القاهر فلو كانت النفس هى المقهورة وامرته بطاعة لا ينبغى ان يطيعها وهو المراد
بقوله راعها وتنكير خصما وحكما لتعظيم شانهما فى الشر او تحقيرها بالنسبة
الى الطاعة وقدم المسند اليه فى قوله فانت لافادة تقوى الحكم لا الاختصاص
فتامله وال فى الخصم والحكم اما للعهد واما للحقيقة وقوله فانت الى اخره
من التذييل الجارى مجرى المثل واوقع الظاهر موقع المضمر فى الخصم والحكم تفخيما
لشانهما البيان يمكن ان يكون قوله واستفرغ البيت من الاستعارة بالكناية
بان يكون شبه امتلاء العين بالدمع بعضو ممتلى من خلط او انصباب مادة
اليه فحذف المشبه به الذى هو العضو وذكر من لوازمه الاستفراغ والامتلاء
والاحتماء والاستعارة على هذا بالكناية فى العين خاصة والاستعارة
التخييلية خاصة فى اللوازم المذكورة ولا يضر فى هذا الوجه تعلق الاستفراغ
بالدمع والامتلاء بالمحارم والحمية بالندم ويحتمل ان يكون استعارات بالكناية
واستعارات تخييلية بان يشبه الدمع بالخلط والعين بالعضو والمحارم بالغذاء
الموجب للخلط ان جعلت من فى من المحارم للتعليل وان جعلت للتبعيض فبالخلط
كالدمع فالاول ارجح لئلا يلزم التكرار والندم بمرض او غذاء فهذه استعارات
الكناية وتخييلية الاولى استفرغ والثانية والثالثة امتلات والرابعة حمية
الندم وهى كلها الترشيحية ولا يخفى عليك وجه التشبيه كانت استعارة او تشبيها
وتقريره يطول وهو مفهوم واما قوله وخالف النفس البيت فيحتمل الحقيقة
ويحتمل المجاز بان يشبههما برجلين مثلا آمرين بالقبائح بما يوسوسا به ويزينا
فحذفهما واثبت من لوازمهما محض النصح والمخالفة فهو من النوع الذى قبله
واما قوله ولا تطع البيت فحقيقة على كل حال لكنه يحتمل ان يكون لم يقصد

التشبيه بل منهما الخصم والحكم بالاصالة ويحتمل ان يكون قصد التشبيه اى لا تطع
منهما من هو كالخصم وكالحكم واذا لم يكن على هذا الوجه مجازا من الاستعارة بالكناية
لاشتمال الكلام على ذكر طرفى التشبيه والاستعارة لا يصرح فيها بالطرفين كما اشرنا
اليه قبل ويسمى هذا النوع تشبيها بليغا لحذف الاداة منه البديع

التورية والايهام

فى البيت الاول التورية وتقدمت الاشارة اليها من كلام بعضهم وتسمى الايهام
ايضا وهو ذكر لفظ ذى معنيين قريب وبعيد والمراد البعيد وهى مجردة ان لم يجامع
ما يلايم القريب نحو الرحمن على العرش استوى فمعنى الاستواء القريب الاستقرار و
البعيد القهر او غيره من لنا ويلائم المذكورة فيه ولم يقترن بما يلايم القريب ومرشحة
ان قرنت بما يلايم البعيد نحو والسماء بنيناها بايد اى بقوة والبنيان يلايم
معنى اليد القريب ومنه فلما نات عنا العشيرة كلها • انخنا فحالفنا السيوف على الدهر
فما اسلمتنا عند يوم كريهة • ولا نحن اغضينا الجفون على وتر • فالاغضاء يلايم
جفن العين والمراد اغماد السيوف لانها ان اغمدت تطبق جفنها عليها وان جردت
انفتح الجلا بين الدفتين • وقول القاضى عياض فى صبيحة باردة كان كانون
اهدى من ملابسه • لشهر تموز انواعا من الحلل • او الغزالة من طول المدا خرفت
فما تفرق بين الجدى والحمل • فالغزالة الشمس وقرنت بما يلايم معناها
القريب وهو الحيوان وذلك الجدى والحمل قلت وفى جعل هذا المثال من التورية
نظر فان الغزالة مشترك او منقول وكذا الجدى والحمل وهو هنا فى الفاظ الاستفراغ
والامتلاء والحمية فان معانيها القريبة ما يستعملها فيه الاطباء ومن امتلاء العضو
بما ينصب تراجه بسبب خلط فيه او انصباب مادة اليه ثم استفراغه بدواء مسهل
او بفصد مثلا ثم الزام ذى المرض الاحتماء من الاغذية المقوية لذلك الخلط او
استعمالها على غير الوجه الطبيعى ثم اريد بالاستفراغ هنا البكاء وبالامتلاء ما ترتب
على المكلف من المآثم الكثيرة وبالاحتماء الندم لان باعتبار الندم يمتنع من
معاودة الذنب كما يمتنع من الغذاء مخافة الداء وهى من التوريات اللطيفة وفيه
مراعاة النظير لجمعه بين الاستفراغ والامتلاء والاحتماء والاولان ايضا
من الطباق قال بعضهم وهذا اذا اخذا مطلقين واما مع تعليق الاستفراغ

بالدمع والامتلاء بالمحارم فلا مضادة بينهما لان هذا الامتلاء بسبب ذلك الاستفراغ
قلت وفيه نظر لان الطباق في علم البديع ان يذكر لفظان معنياهما متضادان
وان اختلف متعلقاهما بل لا يكون الا كذلك لان الضدين لا يجتمعان
وفيه طباق من وجه آخر فان الامتلاء يضاد كلا من الاستفراغ والاحتماء قلتم
وهو ايضا في استفراغ والزم لمضادتهما وفي المحارم والندم وفي الثاني مع
مراعاة النظير لجمع النفس والشيطان والمخالفة والعصيان والنهي عن الطاعة
في البيت الذي يليه والنصح والتهمة وقد يقال ان هذين وكذا المخالفة
والنصح من الطباق ايضا ومفعولا عصهما والضمير فيهما من التكرار وفائدة
تقدمت ويحتمل ان يكون في قوله وان هما محضاك النصح من تجاهل العارف
ويسميه السكاكي سوق المعلوم مساق غيره من اجل ما وقع منه في القرآن وغيره
لنكت كالتوبيخ والمبالغة في مدح او ذم والتدله في الحب والتحير وغير ذلك
ولعل نكتته هنا تجهيل المخاطب بصفات النفس والشيطان كانه ممن يجوز عليه
اعتقاد محضهما النصح ويتفرع على هذا القصد ان يكون من القول بالموجب
ومن المذهب الكلامي اي وان سلمنا محضهما النصح فاتهمهما وكذا يكون
قوله فاتهم من الارصاد لاحتمال ان يكون موضعه فاعتنم انتجاهلا
او تسليما جدليا ومنه التقسيم ثم الجمع لتقسيم المأمور بمخالفته الى النفس
والشيطان ثم جمعها في قوله واعصهما وان هما ومنه قول حسان
رضي الله عنه * قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم * او حاولوا النفع في اشياعهم
نفعوا * سجية تلك منهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع
وهو ضد التوشيع وفي البيت مراعاة النظير في الخصم والحكم والكيد
وفي ذكر الخصم والحكم مرتين تكرير فائدته مر في اخر المعاني وهو من رد
الصدور على الاعجاز وتقدم تفسيره ثم ان جعلت الخصم النفس والحكم الشيطان
في البيت قبله فلف ونشر مرتب وان عكست الجعل فهو من المعكوس نحو
يوم تبيض وجوه الآية وان تصور من كل منهما الخصم والحكم فهو من الجمع
مع التقسيم لذكرهما لكل منهما مجملا ثم مفصلا وتقدم ان من مثله قول المتنبي

حتى اقام على ارباض خرشنة البيتين وعلى هذا الاحتمال يكون في البيت التجريد
وتقدمت الاشارة اليه وهو ان ينتزع من امر ذي صفة امر آخر مثله في تلك
الصفة مبالغة في كمالها فيه وهو اقسام ومنه وشوهاء تعدو بي
الى صارخ الوغى * بمستلئم مثل الفنيق المرحل * اي بلغ من كمال استعدادي
للحرب اي تجرد مني شخص آخر مثلي في كونه لابسا اللأمة ومنه قولهم لقيت
منه بحرا ولتسألن به البحر وفي البيتان كلا منهما لما بلغ الغاية في الخصم
والحكم فهو بحيث يصح ان يتجرد منه خصم آخر وحكم وقوله فانت الخ جزء
من المذهب الكلامي لانه نوعية دليله من الخطابة وفيه حسن التعليل
وفي البيت الارصاد ولو سمي نحو قوله فانت الخ بالاحالة او التفويض وبما لكان
لقبا **الاعراب** جملة استفرغ وما تعلق بها معطوفة على واخش ومن
في من عين لابتداء الغاية وجملة قد امتلأت في موضع خفض صفة لعين
ومن المحارم متعلق بامتلأت ومن فيه للتبعيض او للتعليل اي امتلأت من الاثام
من اجل المحارم وقد الظاهر انها للتحقيق وغير بعيد هنا اعتبار تقريبها من
الحال وما بعد هذا من الجمل المتعاطفة الى قوله واعصهما اعرابه ظاهر
وقوله وان هما فاعل لفعل محذوف يفسره الظاهر وقد تقدم في المعاني
محضاك فعل ماض والفاعل ضمير المثنى وهو الالف والكاف مفعول به والنصح
مفعول ثان وجملة ولا تطع معطوفة على واعصهما وخصما معطوف بتطع
ومن في منهما للتبعيض والمجرور في موضع الحال من خصما لانه من نعت النكرة
تقدم عليها فانتصب على الحال ولا حكما معطوف على خصما ولا لتأكيد النفي
وجملة تعرف وما تعلق بها في موضع رفع خبر انت وجملة فانت الكبرى معطوفة
على جملة ولا تطع منهما وفي عطف الخبرية على الطلبية او العكس خلاف قيل
والصحيح الجواز ونسبه ابن عصفور الى سيبويه ومنه قوله * وان شفائي عبرة
ان سفحتها * وهل عند رسم دارس من معول * ومذهب البيانيين المنع وقال
ابن الطراوة ان جمع الجملتين معنى واحد جاز كالتسمية والتصلية لاشتراكهما
في التبرك والا فلا فعلى القول الاول لا اشكال وعلى قول ابن الطراوة فالعطف

مع هذا لان الثانية كالسبب اى لا تظهما السبب معرفتك بكيد هما قلت ولا بعد ر
شك هذا الاشتراك فى كثير مما عطف من هذا النوع بالفاء **العبارات**
قد تقدم طرف من القول فى الحزن اول النظم وامره باستفراغ الدمع هنا حتى لا يبقى
منه شئ وهذا ترتيب حسن لان الزام الحزن معين على صرف هوى النفس وطرح قبائح
افعالها والبكاء على الخطيئة من افضل القرب واسنى المرتب يقول الله تعالى انا
عند المنكسرة قلوبهم وقال عيسى ع م طوبى لمن خزن لسانه ووسعه بيته وبكى
على خطيئته وحدث ابن المبارك عن عبد الاعلى التيمى انه قال من اوتى من العلم ما لا
يبكيه لخليق ان لا يكون اوتى علما ينفعه لان الله عز وجل نعت العلماء فقال ان
الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان يبكون وعن الحسن
انه قرأ افمن هذا الحديث تعجبون الاية وقال والله ان اكيس القوم فى هذا الا
لمن يبكى فيما ابكوا هذه القلوب وابكوا هذه الاعمال فان الرجل تبكى عيناه وانه
لقاسى القلب وقال الصديق رضى الله عنه من استطاع منكم ان يبكى فليبك
ومن لم يستطع فليتباك وعن عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال املك
عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وعن ثابت البنانى عن مطرف عن ابيه
قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ولجوفه ازيز كازيز المرجل
يعنى يبكى وحين قرأ ابن مسعود على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النساء حتى بلغ
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال فرأيت عيناه
تذرفان قال لى حسبك وفى حديث عائشة ان ابا بكر رجل اسيف اذا قام مقامك
لا يسمع الناس من البكاء وفى التورية اذا احب الله عبدا نصب فى قلبه نائحة واذا
ابغض عبدا جعل فى قلبه مزمارا وكان صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم
الفكر وفى الخبر ان الله يحب كل قلب حزين وقال الدقاق يقطع صاحب الحزن
من طريق الله فى شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه سنين ولما قال قد استلات
من المحارم عقبه بقوله والزم حمية الندم وهكذا الشأن ان يعقب المعصية بالتوبة
لان الندم هو التوبة اى الزم الاحتماء من المحارم اى من فعلها بالندم ويحتمل ان يكون
اشار الى انه يمتنع من عقاب المعصية بالندم قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا

نجاة الكذاب

التوبة

ايها المومنون لعلكم تفلحون ومن حديث انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول التائب من الذنب كمن لا ذنب له واذا احب الله عبدا لم يضره ذنب ثم
تلا ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين قيل يا رسول الله وما علامة التوبة
قال الندامة ومن حديثه ايضا ما من شئ احب الى الله تعالى من شاب تائب
فان قلت ان التوبة هى الندم على ما فعل من المخالفة والاقلاع فى الحال والعزم على
ان لا يعود فلاى شئ اقتصر على الندم قلت قال بعض المحققين انه يكفى فى تحققها
وهو مستتبع الركنين الاخرين فانه يستحيل ان يندم على ما هو مصر او عازم على مثله
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة وقيل المعنى معظمها كقوله الحج عرفات
اى معظمه واول اسباب التوبة هجران اخوان السوء فانهم الحاملون على السوء كان
النفس والشيطان كذلك واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون فليستبدل
بصحبتهم العزلة عنهم وليصل ليله بنهاره فى التلهف ويمحو بعبرته اثار عثرته ولا
يتم له هذا الا با نضاء خصومه واستحلالهم فان لم تسمح نفوسهم او لم تسع
طبيعته على ذلك عند الامكان وليبتهل الى الله بالدعاء لهم والكلام فى التوبة
وفى اقسام التائبين يطول تاب الله علينا عنه وقوله وخالف النفس البيت
اشارة الى هجران اخوان السوء الحاملين على المعاصى وليبدأ بترك الاقرب منهم
ومن لا يفارق كالنفس والشيطان فان مفسدة المداخل اعظم واذا امر بهجران
الاقرب مع شدة اتصاله فالابعد احرى فكم من جاهل ارتد حليما حين واخاه
اما النفس التى بين جنبيك فامارة كما قال تعالى حكاية عن الصديق ولا نجاة منها
الا برحمة الله كما قال الا ما رحم ربى ومخالفتهما رأس العبادة وترك شهوتهما
اول مراتب السعادة واذا قيل النعمة العظمى الخروج من النفس لانها اعظم حجاب بينك
وبين الله وسبيل عظمى عن قرب شئ الى مقت الله فقال رؤية النفس واحوالها
واشد من ذلك مطالعة الاعواض على افعالها وتقدم كثير من الاشارة اليها والى ترك
شهواتها ومخالفة نصحها واهوائها واما الشيطان فعداوته لا تخفى على اليقظان
وكيف يقبل اللبيب نصحه ام كيف يأمن العاقل خديعته ولذا قال بعضهم انظر
فعله مع ابيك وقد اقسم له انه له لمن الناصحين فكيف بك وقد اقسم عليك

لحول ولا قوة الا بالله

ليعونيك اللهم لا حول لنا عن غواية ولا قوة بنا على مخالفته الا بحولك وقوتك
اللهم انا نعوذ بك من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا ومن كيد الشيطان الرجيم
يا سميع يا عليم ويرحم الله هذا الناظم فلقد حذرنا غاية التحذير وامر بالتشمير
على ساعد الجد في مجانبتهما غاية التشمير فقال وخالف واعصهما ولا تطع والنهم
اللهم انلنا عصمتك وانشر علينا رحمتك بمنك وفضلك **اصل**

استغفر الله من قول بلا عمل ... لقد نسبت به نسلا لذي عقم
امرتك الخير لكن ما ائتمرت به ... وما استقمت فما قولي لك استقم
ولا تزودت قبل الموت نافلة ... ولم اصل سوى فرض ولم اصم

شرح الغريب استغفر طلب العفو والغفران وهو الستر والتغطية وغفرت
المتاع جعلته في الوعاء ويقال اصبغ ثوبك فانه اغفر للوسخ اي احمل له واستغفر الله
لذنبه ومن ذنبه بمعنى فغفر له ذنبه مغفرة وغفرا وغفرانا واغتفر ذنبه مثله فهو غفور
والجمع للغظه غفر الله هذا الاسم العظيم قال ابو حامد هو اسم واجب الوجود الجامع
لصفات الالهية ونعوت الربوبية المتفرد بالوجود الحقيقي لان كل موجود سواه غير
مستحق للوجود من نفسه انتهى والكلام على هذا الاسم العظيم الجليل يفوت الحصر ولنشر
الى بعض ما ذكر فيه واختلف في اشتقاقه فذهب كثير من اهل الحق وهو احد قولي الخليل
ويحكى عن الشافعي الى انه غير مشتق وانه اسم تفرد تعالى واختص به قالوا الا ان اهل اللغة
لم يتصرفوا فيه وقل ما يوجد في كلامهم قبل الشرع مستعملا في صفته تعالى فضلا عن
صفة غيره ويكتبون باسمك اللهم وقيل في قوله تعالى هل تعلم له سميا اي هل
تعلم احدا فسمي الله وهذا الخبر مما يدل على صدقه صلى الله عليه وسلم فهو معجزة
فمنع الله تعالى الالسن من اطلاقه في صفة غير الله مع كثرة اعداء الدين وقيل
باشتقاقه ثم اختلفوا فقيل من يوله اليه في الحوايج اي يفزع كلها فانما بالخفض بر
وهذا التفسير ليس بجيد لانه لم يكن في الاول فازع يفزع اليه لكنه باعتبار
الصحة وقيل من الوله وهو الطرب لان العبد يطرب بسماع هذا الاسم وهذا القول
بحسب الصلاحية ايضا وقيل لاه بمعنى احتجب وليس من حجاب الاجسام تعالى الله
عن ذلك بل لانه منع المبصرين من ادراكه وهو ايضا بحسب الصحة وقيل من لاه

الله

بمعنى علا ومنه لاهت الشمس علت وهي تسمى الاهة وهو في حقه تعالى من علو
الصفة لا المكان وقيل من اله بالمكان اذا قام وذلك لدوام وجوده وقدمه
وقيل من اله اذا تحير لتحير العقول في جلاله وهو بحسب الصلاحية وقيل من اله
اذا عبد فاله فعال بمعنى مفعول ككتاب وهو كل الذي قبله فقيل حذفت
همزته على غير قياس والزم حرف التعليل وقيل ادخلت عليه بها ثم نقلت حركتها
الى لام التعريف الساكنة ثم حذفت وقيل لما اجتمع في الكلمة همزتان والساكن
بينهما ليس بحصين حذفت الثانية تخفيفا ولم تحذف الاولى لانها اجتلبت
لسكون اللام فاجتمع المثلان على هذه الاقوال فادغم والزمت الكلمة التفخيم تعظيما
والقول مصدر قال ومثله قولة ومقال ومقالة وقيل وقال وقالة والمراد
هنا الالفاظ المامور بها الالفاظ والنهي والمرغب والمحذر ونحوه ويطلق ايضا
على النفس وفي اصطلاح النحاة على الكلمة والكلام والكلم والعمل مصدر عمل
ورجل عمل بكسر ميمها وعمول ايضا مطبوع العمل ونسبت اي اضيفت ونسبت
الرجل انسبه بالضم نسبة ونسبا ذكرت نسبه والجمع انساب وانتسب اعتزى
وتنسب ادعى انه نسيبك وفي المثل القريب من تقرب لا من تنسب ونسابة عالم
بالانساب والها للمبالغة كانهم ارادوا داهية او غاية او نهاية والنسل الولد
وتناسلوا ولد بعضهم من بعض ونسلت الناقة بولد كثير تنسل بالضم والنسولة
التي تقتنى للنسل والعقم مصدر عقمت الرحم والمراة بفتح القاف عقما اي لم تقبل
الولد والقاف منه مسكنة الا ان الناظم حركها بالضم اتباعا لضمة العين ونحو
للضرورة ويجوز فتح العين ايضا وليس ما في البيت جمع عقيم وان سمع عقيم وعقم
لان اضافة ذو اليه يمنع من ذلك لانها لا تضاف الا الى مصدر وان كان هذا النوع
يسلم من الضرورة واعقم الله رحمها فعقمت على ما لم يسم فاعله ورحم معقومة مسدودة
لا تلد وكلام عقمي بفتح العين وضمها غامض وعقمت مفاصله يبست ورجل عقيم
لا يولد له والملك عقيم لان الرجل يخاف ولده على ملكه فيقتله وريح عقيم لا تلقح
سحابا ولا شجرا ويوم القيمة عقيم لانه لا يوم بعده وامراة عقيم ونسوة عقم وقد
يسكن وامر يامر امرا والجمع الاوامر وهو حقيقة في القول الدال على طلب الفعل

مع الاستقامة واختلف في دلالته على الفعل نحو وما امر فرعون برشيد فقيل حقيقة
فيكون مشتركا وقيل مجاز وقيل متواطئ فيهما والخير ضد الشر والاخيار ضد الاشرار
وائتمرنا فعلت من الامر اى امتثلت وهو مطاوع امر يقول امرته فائتمر اى امتثل لامره
واستقمنا اعتدلنا واصله استقومت فنقلت حركة العين التي هي الواو
لانها حرف علة الى الساكن الصحيح قبلها اذ هو اولى بالحركة فقلبت الواو
الفا لسكونها وانفتاح ما قبلها او تقول تحركها في الاصل وانفتاح ما قبلها
الحال ثم سكن اخر الفعل للاسناد فحذفت الالف لالتقاء الساكنين واصل
استقم استقوم فنقلت حركة الواو الى القاف ثم قلبت ياء ثم حذفت لالتقائها
ساكنة مع المسكن للجزم والمصدر استقامة واصله استقواما فنقلت حركة
الواو الى القاف ايضا وابدلت الفا فالتقى الفان فحذفت المبدلة من الواو
وقيل الزايدة وعوض منها هاء التانيث والاستقامة الاعتدال وقيل انه مجاز في
المعاني حقيقة في الاجسام يقال استقام له الامر ومنه فاستقيموا اليه اى
في التوجه اليه دون الالهة وقومت الشيء فهو قويم اى مستقيم وما قوم رشاد
ودين القيمة انث بمعنى الملة وكان بين ذلك قواما عدلا وقوام الرجل بفتح
قامته وحسن طوله وقوام الامر بالكسر نظامه وعماده وملاكه الذي يقوم به
وتزودت تفعلت من الزاد اما للاتخاذ اى اتخذت الزاد كتبنيت الصبي او اما
للتلبس بمعنى ما اشتق منه كتقمص وتعمم ويبعد كونه للمطاوعة واصل الزاد الطعام
المتخذ للسفر يقال زودته فتزود ويجوز به في المعاني ومنه وتزودوا فان خير
الزاد التقوى والمزود وعاء الزاد والعرب تلقب العجم برقاب المزاود والموت
ضد الحيوة ومات يموت ويمات وميت اصله ميوت فابدلت الواو ياء وادغم
ويخفف ايضا وموتى واموات وميتون ويخفف ايضا واختلف في الموت فقال
وجودي لقوله تعالى الذي خلق الموت والحيوة ومقابلته للحيوة تقابل الضد
وقيل عدمي اى وهو سلب الحياة عما من شانه ان يتصف بها فتقابلهما
تقابل العدم والملكة وفي ذلك خلاف كثير مستقصى في العلوم الحكمية والنافلة
والنفل العطية تطوعا من غير وجوب ومنه نافلة الصلوة والتنفل التطوع

وسوى

وسوى بمعنى غير ويجوز كسر سينها وضمها مع القصر وفتحها مع المد وحكى الفاسي
شارح الشاطبية كسر السين والمد والفرض ما اوجبه الله تعالى سمي بذلك
لان له معالم وحدود وجاء نصيبا مفروضا اى مقتطعا محدودا واصله الحز
والصلاة واحدة الصلوات المفروضة وهو اسم يوضع موضع المصدر تقول صليت
صلوة ولا تقل تصلية وصليت على النبي صلى الله عليه وسلم واصلها لغة الدعاء
ونقلها الشرع للعبادة المخصوصة واصل الصوم لغة الحبس والامساك ونقله
الشرع لامساك مخصوص وصام صوما وصياما وقوم صوم وصيم بالتشديد
وصومان اى صائم ابو عبيدة كل ممسك عن طعام او كلام او سير فهو صائم
ونذرت للرحمن صوما اى صمتا وصام الفرس والنهار صوما قام على غير اعتلاف
وقام قايما الظهيرة واعتدل والصوم ركوة الريح التقسيم لما اخذ
من عوايد النفس ولم يصرف الهوى عنها ومخالفة الشيطان وغير
ذلك مما حض عليه خاف على نفسه الريا فاخذ يغض منها ويستقصرها فاخبر
عن نفسه انه ممن لا يعمل بمقتضى وعظه وطلب غفران الله له من ذلك فقال
استغفر الله اى اطلب غفران الله من اجل قول صدر مني بالامر بالمعروف والنهي
عن المنكر بلا عمل اى وليس لي عمل او لم اتلبس بعمل فوافق لما امرت به واصل
استغفر الله خبر عن طلب المغفرة لكن المراد منه الانشاء اما انشاء الدعاء اللهم
اغفر لي انشاء التوبة اى ندمت على ما صدر مني واستغفرت وقوله لقد نسبت به
الى اخره اى ان مثلي فيما تصديت له من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتخلفي
عن العمل على شاكلة ذلك كمثل من نسب الذي هو الولد للعقيم فكذا ما نسب لنفسي
من رتبة الوعظ فانها لا تنسب الا لمن ياتمر وينتهي ويكون مستقيم الاحوال
فهذا هو الحقيق بان تنسب له هذه الرتبة فانها كنتيجة فعله وكونه واما ان نسبت
الى غيره ممن لا ياتمر ولا ينتهي ولم تستقم احواله فهي نسبة نتيجة الى العقيم الذي
لا ينتجها ولما كان هذا التمثيل غير ظاهر لكل احد من قوله لقد نسبت به نسلا لذي عقم
اى لصاحب عقم وهو من لا يلد فسر ذلك بقوله امرتك الخير اى بالخير
فنصب الخير بعد اسقاط الخافض ومراده بالخير الخير وما نهى عنه من قول فلا ...

سوي

تبادل الانشاء والاخبار

بالمعاصي الى قوله فانهم لكن ما ائتمرت انا يعني نفسه وما استقمت انا يعني نفسه نفى عنها الاستقامة وهي الاعتدال في الطاعات اى الاتيان بها على وجهها وقوله فما قولي لك استقم معناه اى شيء قولي لك استقم اى اي فايدة له اذ لا ترتب له او جرمه لكونه لم يوافق عملي فهو ليس بشيء الا شيء لا يعتد به وقوله ولا تزود البيت زيادة في توبيخ نفسه واستقصارها والمعنى مع ان هذا الذي نفيت عن نفسي من عدم الايتمار بالخير وعدم الاستقامة وهو شيء لا ينبغي ان يفرط فيه ولو كان امرا لا تدارك فانه لا يمكن استدراكه وقوله بالموت الذي هو امر معين لا يدرى وقت حلوله والموت سفر بعيد يحتاج الى زاد كثير من الاعمال الصالحة التي هي نوافل وتطوعات بعد اداء الفرايض لان التزود بالفرايض لذلك السفر قد لا يكفي لاحتمال ان يكون فيها نقص فيحتاج الى تكميل بالنوافل كما ورد في الحديث الكريم وقد دل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم للذي قال لا ازيد على هذا ولا انقص بعد الفرايض افلح ان صدق فانه قال لا انقص يعني قوله ولا تزودت اى ولا عملت قبل موتي نافلة التي هي بمثابة الزاد لسفر الموت ويعني قبل الموت اى الذي هو مغافص لا يدرى وقته ثم قال ولم اصل سوى فرض وهذا تاكيد لما قبله وتنبيه على ان الفرايض لا يصح الاخلال بها وقوله ولم اصم اى سوى فرضي يدل عليه ما قبله لا يقال المقام مقام ذم النفس والاتي بالفرايض لا يذم للحديث المتقدم لانا نقول المخل بالنوافل عادة يخل بشيء من الفرايض ولذا قال صلى الله عليه وسلم ان صدق تنبيها على ان الاتيان بجميع الفرايض على وجهها مع الاخلال بالنوافل نادر او متعذر ولانه تنبيه على فساد مذهب المرجئة القائلين لا يضر مع اصل الايمان ترك طاعة ولا فعل معصية فان قلت وما ذكره الناظم ايضا نادر لانه لا ينفك الفرايض من نافلة غالبا واقلها ما اشتملت عليه الفرايض من فضايل قلت كلامه مبني على المجاز والمبالغة اى ما اتيت به من النوافل لقلته لا تعد شيئا قال بعضهم ولو قال لم اوف بتكليف ولم اقم لكان احسن ولا يلزمه الكذب لاخباره بتوفية الصلوة الفرض لانه يحمل كلامه على المجاز والمبالغة كما ذكر قلت لو قال ذلك لوقع في مذهب المرجئة

وايضا

وايضا لا يلايم ملازمة تامه ما قصده من قوله ظلمت الى اخر البيت الثالث من قيامه صلى الله عليه وسلم للنافلة وملازمته للجوع للصوم وكذا خص هذين النوعين من الفرايض ولانهما من الدين بالمكان المعروف فهو يقول اذا كان حالي في هذين العبادتين اللتين لا اعظم منهما من الفروع الاقتصاد على الفرض منهما فكيف بغيرهما وايضا لو قال ذلك لينفي عن نفسه الايمان لانه من التكاليف فيخاف على قائل هذا ان نوقش الاقرار بالكفر لان اصل الايمان اذا لم يوف فهو كفر اذ لا واسطة بين تمام اصل الايمان والكفر عند اهل الحق فان قلت اذا اخبر عن نفسه ان عمله مخالف لقوله فكيف صح منه ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر قلت مذهب اهل السنة صحة ذلك وذهب مخالفوهم الى ان الامر الناهي لا بد وان يكون مؤتمرا منتهيا وهو عند اهل السنة من شروط الكمال اذ ترك الامر والنهي معصية وعدم امتثاله معصية فانه ان فاته الامتثال فلا يفوته الامر لان تقليل المعاصي ما امكن اولى او واجب ومثله الخلاف في التوبة من بعض الذنوب ومما ورد في هذا المعنى قول الخليل بن احمد اعمل بقولي وان قصرت في عملي ينفعك قولي ولا يضرك تقصيري انظر لنفسك فيما انت فاعله من الامور وشمر فوق تشميري ومثله حد المعلوم ولا تعبا بنا فلها اجتن الثمار وخل العود للناري ومما ورد في النهي عن هذه الحال قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقوله صلى الله عليه وسلم ابدا بنفسك وقد تقدم في هذا المعنى في الشعر كقوله ابدا بنفسك فانهها البيت وقوله لا تنه عن خلق البيت ومنه وتبصر في العين منا القذا وفي عينك الجذع لا تبصر **المعاني** تقدم ان استغفر من وضع الخبر موضع الانشاء وفايدته الرغبة في حصوله واخراجه في صورة المحقق الذي له خارج والتنكير في قول للتوعية او للتحقير وفي عمل للتقليل وهو الاظهر او للنوعية اى عملا موافقا للقول او صالحا ونحوه وفي البيت الاول مجاز الحذف لان لقد جواب قسم محذوف وتنكير نسلا للنوعية او للحقيقة كما انه في عمل للحقيقة وفي هذا البيت ايضا مع البيتين بعده الاطناب في الاول منهما ملة وجه تشبيه صدور القول منه بلا عمل بنسبة النسل لذي عقم ثم قدره بالتنبيه

بعد وفي مثل قولهم امرتك الخير ايجاز لان اصله بالخير ووجهه والله اعلم تقليل
الكلمات مع فهم المعنى وقصد ايصال الامر بنفس الخير لا بواسطة حرف ترغيبا
في التلبس به فان قلت فلم يقل ما ائتمرت بتحصيل هذا قلت هنا جاء على الاصل
ولان لفظ الضمير فيه اختصار فناسب ان يطوله بالحرف اظهارا للكلام متوازنين
معتدلين ومتقابلين وهو من محاسن الكلام كما قيل في زيد نعم الرجل وايضا
لما كان الفعل الاول لخبر بنفسه ناسب ان يصل بنفسه والثاني منفيا ناسبت
ان ينفى وصله بالخير ولو بواسطة تنبيها على بعد منه وجملة وما استقمت الى اخر البيت
يحسن ان يكون من التذييل لان الشطر الاول يدل عليها لانه اذا لم يأتمر بالخير
لم يستقم كما ان قوله فما قولي البيت يحسن ان يكون تذييلا لما استقمت والاستفهام
في قوله فما قولي للتحسر او التعجب او للتوبيخ او للانكار او نحو ذلك وقوله لك
البيان ابهام نحو اشرح لي صدري وتنكير نافلة للتقليل وقوله قبل الموت من الاحتراس
كما تقدم التنبيه عليه في التفسير وليس من الحشو كما ظن بعضهم فان قلت فائدته
ان مراده زاد الاخرة قلنا مما استقبل من قوله نافلة ولولا نافلة لما علم انه
اراد زاد الاخرة انتهى قلت وعلى هذا فنافلة احتراس وقوله سوى فرض
اي صلوة سوى فرض وكذا لم اصم اي التقدير صوما سوى فرض وهو من الحذف
من الاواخر لدلالة الاوائل وهو الكثير وضده قليل وتعريف فرض بالاضافة
للاختصار ولافادة العموم في الفرض ليتناول ما فرضه الله عليه وما فرضه على
نفسه كالنذور والنوافل بعد التلبس بها **البيان** قوله نسلا وكذا
عم من التشبيه البليغ وليس باستعارة لذكر طرفي التشبيه فان قولي بلا عمل
هو المشبه ونسلا الى اخره هو المشبه به ويحتمل ان يكون تشبيه مفرد بمفرد
او مركب بمركب كقوله من قوله من مجاز الحذف اي من صدق قولي ويشبه ان
يكون قوله نافلة من الاستعارة بالكناية فان تشبيه النافلة بطعام السفر
والتخييل في قوله تزودت ووجه الشبه ان الطعام الزاد يدخر ليتوصل به الى
غاية السفر وهو المكان المقصود الوصول اليه وللسلامة من عطب الجوع ابدا كل
الزاد فكذا التنفل بالطاعات يدخر قبل الموت لبلوغ الغاية بعد وهي دار الجنة

والسلام

والسلامة من العذاب ختم الله لنا بالسلامة من العذاب والفوز بالجنة بمنه
ويحتمل ان تكون نافلة من المجاز المرسل وان يكون من مجاز الحذف اي ثواب نافلة
البديع في البيت الاول مراعاة النظير في الجمع بين القول والعمل والنسب
والنسل والعقم وفي قوله بلا عمل ونسل وعقم طباق وقوله لقد نسبت الى اخر
البيت من المذهب الكلامي والبيت بكماله من توبيخ المرء نفسه واقراره بذنبه
ويشبه ان يكون من اللعب المسمى عتاب المرء نفسه كقوله • وانا الذي جلب المنية
طرفه فمن المطالب والقتيل القاتل وفي قوله امرتك وما ائتمرت وقوله وما استقمت
واستقم طباق وقوله لكن من الاستدراك او من الرجوع وفي البيت الثاني رد الصدر
على الاعجاز ولا يبعد ان يكون في الابيات الثلاثة ارصاد وقوله فما قولي الى اخره
من المذهب الكلامي وقوله اصلي ولم اصم ونافلة وفرض مراعاة النظير •
الاعراب استغفر يطلب مفعولين والثاني مجرور وهو هنا من قول
ويجوز حذف جاره فينتصب ومنه استغفر الله ذنبا اي من ذنب ويحتمل ان
يكون من في من قول للتعليل وبلا عمل جار ومجرور والباء للمصاحبة ولا زائدة
لفظا لا معنى وهي نافية واستسهل فصلها بين حرف الجر ومجروره لكونها كالجزء
المجرور والمجرور في موضع الصفة لقول لقد نسبت جواب قسم مقدر ونسلا مفعول
لنسبت وبه ولذي يتعلقان به والباء سببية والهاء عائدة على القول ولا يصح
جعل لذي صفة لنسل لئلا يلزم التناقض لان النسل لا يكون لذي عقم ولا يكون
مثله على الاول لانه لا يلزم من نسبته له ثبوته وامرتك استغفر كاستغفر المتعدي
وثاني مفعوليه الخير واصله بالخير ولكن عاطفة لوقوعها بين نقيضين ولا بعدها
نافية وائتمر فعل ماض وفاعل يتعدى الى واحد بحرف الجر لانه مطاوع ما يتعدى لـ
اثنين وجملة ما استقمت كجملة ما ائتمرت اعرابا ومعنى وهي معطوفة على جملة
امرتك وجملة فما قولي معطوفة على ما استقمت وما استفهامية المراد بها التحسر
او غيره مما تقدم في المعاني وهو خبر مقدم وجوبا للزومها صدر الكلام والمبتداء
قولي والعكس ضعيف ولك متعلق بقولي واللام للبيان كسقيا لك وجملة
استقم مفعول قولي ولا محل لجملتي امرتك وما استقمت لانهما تفسير بيان لقولك

او مسنا نفثان استينا فابيا نيا على تقدير كيف هذا القول فما لامرتك وجملة
ولا تروحت معطوفة على وما استقمت ولا زائدة لتاكيد النفي وصح دخولها على الماضي
لتكرار النفي في فما استقمت ولم اصل وقبل الموت ظرف وخص به معمول تروحت
ونافلة معمولة وسوى مفعول باصل واستعملهما الناظم متصرفة وهو مختار ابن مالك
ومذهب سيبويه عدم تصرفها ولزومها النصب على الظرفية **الاشارات**
لما امرونى رضي الله عنه اخذ في احتقار نفسه واقر بسوء كسبه فاستغفر ربه
من صدود وقول بلا عمل وناهيك منه قلة حياء واكبر ذلك واحتقار المرء نفسه
اجل ذخر وارفع ذكرا عن خالد بن معدان لا تفقه الرجل كل الفقه حتى يرى الناس
في جنب الله عز وجل امثال الاباعر ثم يرجع الى نفسه فيكون احقر حاقر لها وقال
غيلان بن جرير اقبل علينا مطرف يوما فقال لو كنت راضيا عن نفسي لقليتكم
ولكني لست عنها براض وقال مطرف العبد ملقى بين يدي ربه والشيطان
فان استنقذه ربه نجا وان تركه فالشيطان ذهب به وعن طلق بن حبيب حق الله
تعالى اعظم من ان يقوم بها العباد ونعمه اكثر من ان تحصى ولكن اصبحوا تائبين
وامسوا تائبين ولما كان الاستغفار رأس التوبة واولها كما جاء لا ذنب مع الاستغفار
ولا صغيرة مع الاصرار لجا اليه الناظم مع استعماله الاحتقار قال الله تعالى
حكاية عن نوح فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ومن يعمل سوءا او يظلم
نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ولو انهم اذ ظلموا انفسهم
الاية وروينا في الصحيح في حديث النزول من يستغفرني فاغفر له وفي الحديث
يقول الله تعالى عبدي لو اتيتني بقراب الارض ذنوبا لاتيتك بقرابها مغفرة ما لم
تشرك بي وفي حديث مسند يؤمر برجل الى النار فيلبث في ثلث الطريق
ثم في نصفه ثم في ثلثيه فيقول الله سبحانه ردوه ويسئل عن الغاية فيقول تفكرت
في ثلثه قولك وانك لغفور ذو الرحمة فرجوت وفي نصفه ومن يغفر الذنوب
الا الله فقلت لعلك وفي ثلثيه قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله فازددت طمعا فيقول الله تعالى اذهب فقد غفرت لك وفي قوله
تعالى ثم يستغفر تنبيه على ان من في حياته الزلات ثم ندم قبل الوفاة وجد

وجد من الله العفو عن السيئات فراجي ثم يدل انه من لم يتب الا بعد آخر العمر
قال بعضهم الهي لطائف تهتف به هاتفا انما البطا من مات ولم يتب وعمل سوء
الفعل ثم يستغفر القول فقد سهل عليك من رضي بقولك بدلا من عملك ثم تأمل
طلب المغفرة فوجدت الله فليس من سيارة طلبوا الماء فوجدوا يوسف ولمن عاص
طلب المغفرة فوجدوا الله • ولو ان فرعون لما طغى • وقال على الله اتكالا وتوكلا
اناب الى الله مستغفرا • لما وجدوا الله الا غفورا • وما في الصحيح من حديث الذي
قتل تسعة وتسعين وختم المائة بالعالم الذي سأله من اقوى دليل في الباب
اللهم اني استغفرك واتوب اليك فاغفر لي وتب علي يا ارحم الراحمين واما مخالفة
القول العمل فمن اقبح القبائح واشهر الفضائح فيحق بما خص الاستغفار منها
سيما حال التلبس بها وعن قيس بن رافع اجتمع ناس من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم عند ابن عباس رضي الله عنهما فتذاكروا وادعوا
وواقد بن الحارث ساكت فقالت الا تتكلم فقال تكلمتم وكفيتم واسمع
قول خائف وانظر وفعل امن وقال ابن مسعود رضي الله عنه كل الناس يحسن القول
فمن وافق فعله قوله اصاب حظه ومن خالف وبخ نفسه وقال الحسن
اعتبروا الناس باعمالهم ودعوا اقوالهم ولم يدع الله سبحانه قولا الا جعل عليه
دليلا من عمل يصدقه او يكذبه فمن وافق قوله الحسن عمله فنعم فاحمده واحبه
وكفى بقوله تعالى اتامرون الناس بالبر ذما لمن خالف قوله فعله وكذا
ما اخبر عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح من عقوبة من يأمر بالخير ويخالفه ولما كان
قوله استغفر الله البيت محتملا لاحتمال ان يكون استغفر من قول بلا عمل حيث وجد
ذلك اذ ليس فيه افصاح بان ذلك صدر منه اذ لم يقل من قولي بل نكره
وكذا قوله لقد نسبت لاحتمال ان يكون ذلك اشارة الى صاحب تلك الخصلة فصح
باحتقار نفسه في البيتين بعد فقال امرتك اي انا لما لا يتجرد عني تجرد
وكانه اتقا في مقامات الانابة ومجاهدات النفس فنسيه ان يكون داوصها
اولا على التسجيل عليها بمخالفة القول الفعل فافات القضية فلم تساعفه
فلم يزل بها حتى سمحت له بذلك على سبيل الاجمال فلم تمكن منها بذلك القدر

سهل امرها عنده قد تجها الى ان اذنت له فى الافضاح وصار عندها كالامر المبلج
هى النفس احملها تتحمل والنفس كالطفل ولما كان فى قوله امرتك الخير الخ قوله به
ايضا ما عليها وايجال فى الاخبار بقصورها وان كان افصح من الذى قبله لاحتمال
ان يكون الخير الذى لم تأتمر به الدرجة الكاملة فى العبادة مع حصول الاستقامة
بالغ بعد فى نفى الاستقامة عنه ثم لما كان المصنف بهذا بصدد ان توب وسيتدرك
ما فاته قبل الموت زاد فى المبالغة بان اخبر عنها انها ليس لا تستدرك الفائت
قبل الموت فان قلت ومن اين له هذا الاخبار عن الغيب قلت لما راى من
حال تسويفها عن التوبة واستطالتها الامل حتى غلب على ظنه انها لا تقلع وبالجملة
فقصد المبالغة فى هضم النفس واحتقارها وهذه المرتبة اقصى غاية فى ذلك
وهنا وجه آخر فى ان قوله قبل الموت ليس بحشو كما تقدم فى التفسير تذكرا
لله للمعاد قبل الموت والمهاد وتقريب وقوعه وطرح طول الامل والاستبعاد
قول عمر بن عبد العزيز فى بعض خطبه ان لكل سفر زادا لا محالة فتزودوا لسفركم
من الدنيا الى الآخرة التقوى وكونوا كمن عاين ما اعد الله له من ثوابه وعقابه
فترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الامد فتقسوا قلوبكم وتنقادوا لعدوكم
ثم قال بعد كلام طويل وهو من معنى ذم مخالفة القول الفعل واعوذ بالله
ان آمركم بما انهى عنه نفسى فتخسر صفقتى وتظهر عيلتى وتبدو مسكنتى
فى يوم لا ينفع فيه الا الحق والصدق زودنا الله اياهما انه الكريم

ظلمت سنة من احيى الظلام الى	ان اشتكت قدماه الضر من ورم
وشد من سغب احشاءه وطوى	تحت الحجارة كشحا مترف الادم
وراودته الجبال الشم من ذهب	عن نفسه فاراها ايما شمم
واكدت زهده فيها ضرورته	ان الضرورة لا تعدو على العصم

شرح الغريب الظلم والمظلمة وضع الشيء فى غير موضعه ويقال من اشبه
اباه فما ظلم ومن استرعى الذئب فقد ظلم والظلامة والظليمة والمظلمة ما تطلبه
عند الظالم اسم ما اخذ منك وتظلمنى ظلمنى وتظلم منه شكى ظلمه وظلمته
نسبته للظلم وانظلم احتمل الظلم واظلم تكلفه وهو افتعل فمنهم من يقلب التاء

طاء ثم يظهر فيقول اظطلم ومنهم من يدغم ويغلب الطاء المهملة التى هى بدل
وهو الاكثر ومنهم من يغلب الاصلى فيدغم والسنة السيرة وفى الشرع ما امر به
صلى الله عليه وسلم وداوم عليه واظهره فى جماعة وقيل فيها غير ذلك
والظاهر انه اراد بها هنا ما عدا الفرض فيشمل المندوب والنافلة والفضيلة
والرغيبة والمستحب وغير ذلك لكل اصطلاح لان اصطلاحات الفقهاء
اضطربت فى هذه الاسماء والسنن الطريقة وامض على سننك بفتح
السين وضمها اى على وجهك ومنه تنح عن سنن الخيل وعن سنن الطريق
وسننه بالحركات الثلاث وجاءت الريح سنائن اى على طريقة واحدة واحيى
الظلام قام فيه للصلوة واحييت الليل قصد وهو مجاز ومنه بالمعنى نهاره
صائم وليله قائم ومادة الحيوة بينه والظلام اول الليل وظلم الليل بالكسر
واظلم بمعنى ويقال لثلاث من ليالى الشهر اللاتى يلين الدرع ظلم لاظلامها
وهو شاذ والقياس تسكين اللام لان واحدتها ظلماء وتقدم شىء من هذه المادة
اول النظم شكوى اشتكوه شكوا وشكاية وشكية وشكاة واشكيته ايضا
اذا اخبرت بسوء فعله بك فهو مشكو ومشكى والاسم الشكوى واشكيته
فعلت به ما احوجه الى الشكوى واشكيته ايضا اعتبته من شكواه ونزعت عن شكاته
وازلته عما يشكوه فهو من الاضداد واشتكى عضوا وتشكى والشكى الذى يشتكى
وهو ايضا المشكو الموجع ومعناه هنا مجاز اى صارت حال قدميه صلى الله
عليه وسلم كحال من يشتكى نحو شكى الى جملى طول السرى والقدمان باطن
من قدم وجمعها اقدام وهى طرف الرجل مما يلى الاصابع ومنها حمارتها وهى
عظمها قريبا من مفصلها وعرشها اصول سلامياتها المنتشرة القريبة
من الاصابع وعقبها بكسر القاف وسكونها مؤخرها الذى يفضل عن مؤخر
القدم وهو موضع الشراك من خلفها واخمصها حضر باطنها الذى لا يمس
الارض وصدرها ما تحت الاصابع من مقدمها وفيها كلام كثير منعنا قصد الاختصار
ومن استيفائه واستيفاء غيره والضر بالضم الهزال وسوء الحال وبالفتح
خلاف النفع وضرها واضاره بمعنى والاسم الضر والمضرة خلاف المنفعة

حراسنا الوجل

والضرار المضارة ومكان ذو ضر ضيق ولا ضرر عليك ولا ضارورة ولا تضرة
وذو ضارورة وضرورة اي حاجة وقد اضطر الى الشيء الجئ اليه والورم مصدر
ورم يرم بكسرهما اي انتفخ وهو مما سمع من كسر مضارع فعل في الفاظ اخر
محفوظة وقال الجوهري الورم واحد الاورام وقد ورم وتورم بمعنى وتوريته
انا توريما واورمت الناقة ورم ضرعها وشد ربط وشده اوثقه وسنين مضارعه
بضم وكسر وهو من النوادر قال الفراء مضارع فعل المضعف اللازم بكسر عينه
وعين مضارع متعديه بضم الا شده وعله وهو من العلل وهو الشرب الثاني
وثم الحديث فانه ورد في مضارعها الضم والكسر وما ورد مثله ايضا مقصور
على السماع والسغب الجوع يقال سغب بالكسر يسغب سغبا بالفتح فهو ساغب
وسغبان وامرأة سغبى ويتيم ذو مسغبة ذو مجاعة والاحشاء جمع حشى وهو
ما انضمت عليه الضلوع وحشوة البطن بالضم والكسر امعاؤه وطوى الثوب
ونحوه طيا ثناه فانطوى والهيئة طية كجلسة والطوى ايضا الجوع يقال
طوي بالكسر يطوى طوى فهو طاو وطيان وطوى بالفتح يطوي طيا تعمد ذلك
وطوى كشحه اعرض بوده وطوى البطن على فعل اي ضامر وتطوت الحية تحوت
وقال تعالى المقدس طوى اي قدس مرتين وقال الحسن ثنيت فيه البركة
والتقديس مرتين والطوية الضمير والطوى البئر المطوية الحجار والحجار
جمع حجر وجمعه في القلة احجار والحجران الذهب والفضة الكشح ما بين
الخاصرة الى الضلع الخلف والخلف كفلس ويقال خلف ككتف وهو اقصر الجنب
والجمع خلوف وطوى عني كشحه قطعه وطوى كشحه على الامر
وستره والكشح بالتحريك داء يصيب الانسان في كشحه فيكوى وقد كشح كشحا
كوي منه وسمي بالمكشوح المرادي والكشاح سمة في الكشح وكشح له بالعداوة
وكاشحه اي اضمرها فهو كاشح مترف منعم وفي الجوهري اترفته النعمة اطغته
ولا يليق هذا التفسير في هذا المحل فان صح ان هذا معنى الاتراف لغة فالاولى
بالناظم كان ان يقول ناعم مكان مترف والادم ايضا جمع الاديم مثل افيق
وافق وقد يجمع على ادمة كرغيف وارغفة وراودته على كذا مراودة ورادا

اي اردته عليه قال الزمخشري راودته عن نفسي كان المعنى خادعته والجبال المعرقة
والشم جمع اشم يقال جبل اشم اي طويل الرأس فهو بين الشمم وشمام بكسر الميم
اسم جبل وله رأسان يسميان ابني شمام وقوله فاراها اي ابصرها اي جعلها
تبصر منه والشمم ارتفاع قصبة الانف مع استواء اعلاه فان كان فيها
احديداب فهو القنى ورجل اشم الانف بين الشمم ايضا واشم الرجل يشم اشماما
رفع راسه وقنب شميم اي مرتفع والذهب معروف وربما انث والقطعة
منه ذهبة وجمعه اذاهب وذهوب وذهب الرجل بالكسر رأى في المعدن ذهبا
فبرق بصره من عظمه في عينه وللذاهب سيور تموه بالذهب والمموه
مذهب والفاعل بكسر الهاء والاذهاب والتذهيب التمويه به وكميت مذهب
علت حمرته صفرة فاذا اشتدت حمرته ولم تعله صفرة فمدمى واكدت اي قوت
وشددت يقال وكدت العهد والسرج توكيدا واكدته تاكيدا والواو افصح وكذا
اوكد واكد ايكادا فيهما اي شدد وتاكد الامر وتوكد بمعنى والوكاد حبل
تشد به البقر عند الحلب والزهد ضد الرغبة يقال زهد فيه وعنه بكسر الهاء
وفتحها لغة زهدا وزهادة وتزهد تعبد والتزهيد في الشيء وعنه خلاف
الترغيب وواد زهيد قليل الاخذ للماء وارض زهاد لا تسيل الا عن مطر
كثير وخذ زهد ما يكفيك اي قدره وازدهد عطا فلان عده زهيدا قليلا
والضرورة الحاجة ومثلها الضارورة كما تقدم قال اينني اخا ضارورة اصفق
العدا عليه وقلت في الصديق اواصره وعدا عليه يعدو عداء بفتح العين
والمد وعدوا وعدوا على فعول اي ظلم وتجاوز الحد ومنه فيسبوا الله
عدوا وقرأه الحسن عدوا كالجلوس والعصم قالوا كلهم انه جمع عصمة وهي
المنع والحفظ فالمعنى على هذا على ذي العصم وهو محمد صلى الله عليه وسلم
او ذوي العصم وهم الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم والصواب
عندي ان يكون فعلا كغز واصله عصيم وهو بمعنى معصوم وقصره ضرورة
ونيابة فعيل عن مفعول كثيرة حتى ذهب بعضهم الى انها مقيسة قال في التسهيل
وينوب في الدلالة لا العمل عن مفعول بكثرة فعيل وليس مقيسا خلافا لبعضهم

فعيل

وانما لم يكن بناء اصليا لان عين ماضيه مفتوحة ويقال عصمه الطعام
اى منعه من الجوع وابو عاصم كنية السويق ويقال من الحفظ عصمته فانعصم
واعصمت بالله اى امتنعت بلطفه من المعصية ولا عاصم اليوم من امر الله
يجوز ان يراد لا معصوم اى لا ذا عصمة والعصام رباط القربة وسيرها الذى
يحمل بها واعصمتها جعلت له عصاما واعتصمته هيأت له فى الرحل والسراج
ما يعتصم به لئلا يسقط واعتصم استمسك بشئ لئلا تصرعه فرسه
اوراحلته وكذا اعتصم به واستعصم به كمتعصب قوله ظلمت الى آخره
هو شروع فيما قصد بهذا النظم من مدح سيدنا ومولانا ونبينا محمد
صلى الله عليه وسلم وخرج عما كان فيه من الغزل وما ختمه به من الوعظ فانه
لما اخبر عن نفسه بما اخبر من كثرة التفريط الذى ابرزه فى معرض الاعتذار الذى
عذله وقال انه لم يتزود للموت من النافلة حكم على نفسه بان ظلم سنة
سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم اى جاد عنها وجار فيها ووضعها غير
موضعها لان موضعها بالنسبة الى الصلوة احياء الليل بها الا النوم فيه
وبالنسبة الى متاع الدنيا الزهد فيه لا الرغبة وانه لم يحافظ عليها وهو الذى
عناه بقوله من احيى الظلام الابيات فذكر من عبادته صلى الله عليه وسلم وكثرة
زهده ما ذكر فهو يقول فاذا كانت هذه حاله صلى الله عليه وسلم مع انه المغفور له
صلى الله عليه وسلم ما تقدم من ذنبه وما تأخر فما عذر من هو كثير الذنوب عرى
الخطايا مثلى عن تقصيره فيما يكفر خطاياه ويكون سبب نجاته من عذاب ربه والفوز
بجنته قوله احيى الظلام اى قام فيه صلى الله عليه وسلم للصلوة والظلام
اراد ظلام الليل وانما كان القيام فيه احياء له لان تعمير الزمان بحركات العبادة
كالروح له والهدو فيه بالنوم او غيره او السعى فيما لا يحصل من الدنيا ما لا يعين
على الآخرة اماتة له مصداق ذلك كله قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون وقوله صلى الله عليه وسلم
الدنيا مزرعة الآخرة فمن استعمل الزمان من ليل ونهار لغير عبادة الله او ما يعين عليها
فقد ظلم سنة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وامات الزمان ومن سعى فيه كما امر

فقد احياه

فقد احياه واتبع السنة وقوله الى ان اشتكت اليبت اى قام بالليل للصلوة دائما
الى ان تورمت قدماه انتفخا من طول القيام لان طول القيام سبب في انصباب المواد
الكائنة فى اعالى الجسم اليها لسهولة الانصباب حينئذ وعدم استقرارها فى الاعضاء
كالماء المرسل من الاعلى الى اسفل والاستلقاء او الجلوس او الحركة يمنع من كثير
من ذلك فصارت قدماه بعد ذلك بحالة الشاكى ما نزل به من ضرر
ذلك الورم واشار الى هذا الاحيا ما رويناه فى الصحيح من حديث المغيرة بن شعبة
رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم صلى حتى انتفخت قدماه فقيل اتكلف
هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا اكون
عبدا شكورا ومثله من حديث عايشة رضى الله عنها الا ان فيه قام حتى تفطر
قدماه وقوله وشد من سغب لما اخبر عن قطعه بالقيام المذكور اخذ يذكر ما صنعه
النهار بالصيام والصبر على الجوع فقال وشد اى عصب وربط من سغب اى من اجل
كثرة جوع به احشاه اى احشا بطنه وما انعمت عليه ضلوعه وطوى اى ثنى
لان من جلد بطنه تحت الحجارة كشحا وهو ما بين خاصرته واقصر ضلع من جنبه
وانما قلنا ان معنى طوى ثنى لان تجلد البطن مع خلائه ينثنى بالشد والطى واذا
امتلأ البطن لم ينثن جلده ويحتمل ان يكون معنى طوى اى ستر واضمر وهذا
اذا اظهر فان قلت ان الاحشاء خفية باطنة فكيف ينالها الشد قلت
اذا وقع الشد فيما حواها انضم بانضمامه عليها بعضها الى بعض فشد الحاوى
لها فحصل الشد فيها وانما فعل هذا صلى الله عليه وسلم ليسكن بعض الم الجوع
وانما كان هذا الفعل مسكنا له لان كلب الجوع من شدة حرارة المعدة الغريزية
فمتى اذا امتلأت من الطعام اشتغلت تلك الحرارة بالطعام واذا لم يكن فيها طعام
طلبت رطوبات الجسم وجواهره فيتألم الانسان بتلك الحرارة فاذا لم يشد البطن
انتشرت تلك الحرارة فتعلقت بكثير من جواهر البدن واذا انضمت انضم
على المعدة الاحشاء والجلد فانخمدت نارها بعد الانخماد فقل الالم كما ان النار
اذا لم تغط لم يقدر على الاصطلاء بها فاذا غطيت تمكن من ذلك بها فان قلت
هذه فائدة الشد فما بال الحجارة اذ صورة ما اشار اليه الناظم انه صلى الله عليه وسلم

جعل على بطنه حجرا وعصبه من فوق قلت فاي الحجر امران احدهما استقبل الجلد لبكر انضمامه على الاحشاء وهو المقصود بالشد الثاني ما فيه من البرودة يكسر من حرارة المعدة ويستغل ببرودته وان قلت ثبت في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم حين نهى الناس عن الوصال وقيل له انك تواصل اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني فمن هذه حاله كيف يتألم بالجوع حتى يحتاج الى عصب بطنه بحجر قلت انما نهاهم عن الوصال لئلا تضعف قوتهم فلا يقدرون على الجهاد ولا القيام بغيره من العبادات ولهذا كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول على ما روينا في الصحيح في اخر عمره يا ليتني قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني حين خفف عليه في الصوم فشد على نفسه ولم ينهاهم لاجل تالمهم بالجوع خاصة فان التالم سبب الاجر وافضل العبادة احمزها واذا كان كذلك فهو صلى الله عليه وسلم يمده الله سبحانه بقوته ولهذا حين ضرب الكدية التي اعيت الصحابة رضوان الله عليهم عادت كثيبا اهيل كما استراه ان شاء الله تعالى عند ذكر الحديث الذي اشار اليه الناظم واما تالمه بالجوع في اصل لحصول الاجر مع حفظ قوته ونظارة جسمه حتى ان من يراه لا يظن اذ يرجع الا ان جسمه صلى الله عليه وسلم انما كان يرى اشد نظارة من اجسام المترفين بالنعم الدنيا وهذا المعنى هو الذي قصد الناظم بقوله مترف الادم وهذا الوجه هو الذي حسن استعماله لهذه اللفظة وان تعين تفسيرهما بما قال الجوهري اي ان جسمه صلى الله عليه وسلم مع كان عليه من مقاساة الجوع وانه ما يزيد في الحالة المذكورة اشد نظارة في عين الرائي من جسم المترف فان قلت فكيف علم جابر ما به صلى الله عليه وسلم من الجوع امراته بذلك واثر الجوع لا يعرف فيه قلت انما عرفه بعد ان كشف عن بطنه متهيئا للحفر ثم شرح هذه القصة ما رويناه في صحيح البخاري في غزوة الخندق قال حدثنا خلاد بن يحيى قال حدثنا عبد الواحد بن ايمن عن ابيه قال اتيت جابرا رضي الله عنه قال انا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاؤا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق فقال انا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة ايام لا نذوق ذوقا فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم

فضرب فعاد كثيبا اهيل او اهيم فقلت يا رسول الله ائذن لي الى البيت فقلت لامراتي رايت بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئا ما في ذلك صبر فعندك شيء فقالت عندي شعير وعناق فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم والعجين قد انكسر والبرمة بين الاثافي قد كادت ان تنضج فقلت طعيم لي فقم انت يا رسول الله ورجل او رجلان قال كم هو فذكرت له قال كثير طيب قال قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى اتي قال قوموا فقام المهاجرون والانصار فلما دخل على امراته قال ويحك جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والانصار ومن معهم قالت هل سالك قلت نعم فقال ادخلوا ولا تضاغطوا فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور اذا اخذ منه ويقرب الى اصحابه ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية قال كلي هذا واهدي فان الناس اصابتهم مجاعة وفي رواية سعيد بن ميناء عن جابر وهم الف فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز كما هو قلت وهذا من معنى قوله صلى الله عليه وسلم ابيت يطعمني ربي ويسقيني وقوله وراودته الجبال الشم الى اخر البيتين لما ذكر من جوعه صلى الله عليه وسلم ما ذكر خاف ان يتوهم الجاهل عند سماع ذلك فانه من فاقة وعيلة فيستبعد ذلك لانه على خلاف قوله تعالى ووجدك عائلا فاغنى فاردف ذلك بما يدفع هذا التوهم واخبر ان ذلك انما هو زهد في الدنيا وغنية عنها والا فقد تمكن منها بما لم يتمكن منه غيره فان الجبال الشم اي المرتفعات الرؤس زيادة علوها على غيرها راودته اي ارادته على نفسها ان تنقلب له ذهبا وتسير معه حيث سار باذن الله تعالى وان تطاوعه على ذلك نفسه وهذا معنى قوله عن نفسه وتقدم في الغريب ان تعد بترا ودبعن لانه في معنى خادع فعن للمجاوزة اي راودته ان تجاوز خداعها نفسه لا ان يقف عندها بان لا يطاوعها وقوله فاراها ايما شمم اي لما كانت الجبال المذكورة ذات شمم في الصورة الظاهرة فهي تتبجح بما لها من الارتفاع سيما اذا انقلبت الى الذهبية ارتفع عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم

ضيافة جابر للحضرة وصحبه كلهم في الخندق

ارتفاعا معنويا اعلى وارفع من ارتفاعها الحسي وذلك بالاعراض عنها الاعراض
الكلي وعدم الالتفات الى جهتها كما امره ربه سبحانه وتعالى في قوله ولا تمدن
عينيك الى ما متعنا به ازواجا الاية واراها اي جعلها ترى من نفسه صلى الله
عليه وسلم شمما عظيما وابيا شمم وعلامة شمم النفس ما يظهر في الانف من الارتفاع
لان الكاره في الشيء المحتقر له يبعد منه ويرفع انفه عند الاحساس به كانه يشير
الى انه ينزه انفه عن شم رايحته ولو عنده نكره كما ان المحب في الشيء المعظم المقرب
ويضمه ويشمه حتى يود لو ابتلعه فهي لما تاهت بارتفاعها الصوري الذهبي
ووثقت بان يشم رايحتها ويضم اراها صلى الله عليه وسلم في انفه الشمم الدال
على انها من حيث هي متنة لا تقرب فان رضى الله سبحانه وتعالى في الزهد فيها
والبعد عنها وهذا هو الشمم العظيم الذي يطلب به رضى الله ثم الشمم الكلي
هو من قوي الاسباب على صحة ما اعطاه الله سبحانه وتعالى الا لمن عصمه الله تعالى ووفقه
ثم قال واكدت زهده فيها ضرورته هذا البيت ايضا دفع لتوهم ما المورد من البيت
الذي قبله كما كان الذي قبله دفعا للتوهم المذكور وذلك انه لما اخبر عن ارتفاعه
العظيم عن الجبال المذكورة وزهده فيها ربما يتوهم ان ذلك لماله العظيم عنده اغناه
عن النظر اليها والالتفات العادة ان لا يهمل مثل هذا المال الجلال فاخبر ان ذلك
الزهد في الجبال المراودة لم يكن لكثرة مال بل كان مع شدة الحاجة والضرورة
وفيه الدليل الاعظم على تاييد الله اياه على ذلك واختياره له الدار الباقية
على الفانية وان ذلك لم يكن الا لما كان الله فيه من غنى النفس والنزاهة والتعفف
عن متاع الدنيا وطي الكشح الا عن نعيم الاخرة ولما كان من شان البشر الا من عصم
الترخص شرعا وطبعا في تناول متاع الدنيا عند الضرورة لدفعها ولو بتناول المحرم
الاصل كالميتة للمضطر اخبر انه صلى الله عليه وسلم على ضد هذا الوصف الموصوف
وخلاف ذلك العرف المألوف وان ضرورته مخالفة للضرورات اذ ساير الضرورات
تبيح ما لا ينبغي تناوله من المحظورات وضرورته هو تؤكد زهده في تناول ما ينبغي ان
يتناول هذا السعة بل اسرف تناوله وهو المال الحلال لكن اختصاصه هو وامثاله
بقوة اليقين في ان ما عند الله خير وابقى اوجب ذلك الزهد وهذا معنى

ان الضرورة

ان الضرورة لا تعدو على العصم اي على ذوي العصم على انه جمع عصمة او على الشخص العصم
على الضبط الاخر والمراد به الجنس ويحتمل ان يكون التقدير على ذي العصم او المراد
الشخص المعهود فيكون المراد محمدا صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم
ذو عصم جمة فهو ذو عصمة عن المعصية وعن الميل الى زينة الدنيا وعن كل رذيلة
فيتعدد العصمة في حقه بتعدد متعلقها وهو ايضا العصيم اي المعصوم فالمعنى ان
الضرورة التي من شانها ان تعدو على الناس فيستبيحون لاجلها ما لا ينبغي
لا تعدو على المعصومين فيتنزهون معها عن اشرف الاشياء واحلها فضلا عن اخسها
واحرمها هكذا ينبغي ان يشرح هذا البيت وتامل ما وقع في بعض الشروح من الكلام
عليه فانه مباين للفظ وخارج عن المقصود وخبط واما ما اشار اليه من مراودة
الجبال اياه ان يكون ذهبا فتضمنت ذلك احاديث كثيرة منها ما اخرجه الترمذي
من حديث ابي امامة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة
ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما او قال ثلثا او نحو ذلك فاذا
جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك وفي حديث آخر
ان جبريل عم نزل عليه فقال ان الله يقريك السلام ويقول لك اتحب ان يجعل لك
الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبرائيل ان الدنيا دار
من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله
بالقول الثابت يا محمد ومن حديث عايشة رضي الله عنها القدمات رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما في بيتي بشيء ياكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي وقال
اني عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما
فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه
فاحمدك واثني عليك واما ضرورته صلى الله عليه وسلم فمن ذلك ما في الصحيحين
وغيرهما من حديث عايشة رضي الله عنها انها قالت ان كنا آل محمد لنمكث
شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء وعن سماك سمعت النعمان بن بشير
رضي الله عنه يقول الستم في طعام وشراب ما شئتم لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم
وما يجد من الدقل ما يملاء بطنه وفي رواية يظل يومه يلتوي ما يجد دقلا يملاء بطنه

القول الثابت

الضرورة الصورية بالخبائث او غنى
اللهم صل وسلم عليه مبلغ
غنائك

الدقل بفتح الدال المهملة القاف ردى التمر واحاديث عايشة رضى الله عنها
فى هذا الباب كثيرة منها قوله لم يمتل جوفه صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم
يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة احب اليه من الغنى وان كان ليظل جايعا
يلتوى طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء لسأل ربه جميع كنوز
الارض وثمارها ورغد عيشها قالت وكنت ابكى رحمة له مما ارى به واسح
بيدى على بطنه مما به من الجوع واقول نفسى لك الفدا لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك
فيقول يا عايشة ما لى وللدنيا اخوانى اولو العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد
من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدنى
استحيى ان ترفهت • فما اقام بعد هذا الكلام الا شهرا حتى توفى صلى الله عليه وسلم
وفى هذا الحديث ما يدل على ان هذه الضرورة حال اولى العزم من الرسل فيترجح كون الضمير
فى البيت جمعا للمتعدد من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم واما الاحاديث الدالة
على زهده صلى الله عليه وسلم فاكثر من ان تحصى وخصوصا فى جبال الذهب منها ما رواه
فى صحيح مسلم وغيره من حديث ابى ذر رضى الله عنه قال كنت امشى مع النبى
صلى الله عليه وسلم فى حرة المدينة فاستقبلنا احد فقال يا ابا ذر فقلت لبيك
يا رسول الله قال ما يسرنى ان عندى مثل احد هذا ذهبا تمضى على ثلثة
وعندى منه دينار الا شى ارصده لدينى الا ان اقول به فى عباد الله هكذا وهكذا
عن يمينه وشماله ثم مشى ثم قال ان الاكثرين هم الاقلون يوم القيمة الا من قال
هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه وقليل ما هم وروى ان الدنيا
تزينت بزينتها وتحلت ببهجتها وتعرضت له فقال اليك عنى ام بنتى تخلت من رجالك
فاعرض عنها ولم يلتفت اليها وقوله صلى الله عليه وسلم امرتنى يدل على قربه
شيمه صلى الله عليه وسلم وخرج من مضمون الاحاديث المتقدمة ان الجبال التى
راودته جبال معلومة وهى جبال مكة والاظهر فى قوله من ذهب ان يتعلق بمحذوف
اى ان تكون من ذهب وان كان هذا التقدير خلاف المذهب البصرى فى حذف كاد
وخلاف القواعد فى حذف الموصول الحرفى وصلته لكن للضرورة ولا بد من هذا التقدير
للاحاديث المذكورة لانها لم تكن قد من ذهب انما عرض عليه ان يكون كذلك

زهده صلى الله عليه وسلم

وقال بعضهم يعنى الناظم تمثلت له حالة كونها من ذهب ويحتمل ان تكون قبل ذلك
حجرا فقلبها الله تعالى ذهبا ثم عادت كما كانت ويحتمل انها لم تكن وانما خلقت
ذهبا فلما لم تقبل عدمت قال ويحتمل ال فى الجبال الزيادة اذ لا حاجة الى التعريف
لا سيما على التقدير الثانى فان احدا من الناس لم يعرفها وعلى التقدير الثانى فمن
لبيان الجنس انتهى قلت وهذا كله خلاف الاحاديث كما رأيت واما تخصيصه
كون من لبيان الجنس بالتقدير الثانى فلا اعلم له وجها المعانى قوله ظلمت
وما بعده من الاستيناف البيانى كان قائلا قال هل اضعفت فى اقتصارك
على الفرض من صلوة وصوم او ظلمت فقال ظلمت ومثله زعم العواذل اننى فى غمرة
صدقوا ولكن غمرتى لا تنجلى لان التقدير اصدقوا ام لا فقال صدقوا وفى
قوله الضر من ورم اطناب لان فيه اجمالا وتفسيرا ومثله من سغب احشاءه
واسناد ظلمت الى مفعوله الذى هو سنة مجاز عقلى وكذا اسناد الاحياء الى
الظلام وهكذا اسناد اشتكت الى القدمين والضر وال فى الظلام للجنس على
الاظهر وكذا هى فى الضر وتنكير ورم للتعظيم لا للضرورة لامكان الاستغناء
بلام التعريف عن التنوين ولا مفهوم لقوله الى ان لان احياء الظلام لم يزل ابدا
الى ان مات صلى الله عليه وسلم وتنكير سغب للتعظيم وتقديمه من سغب على احشاءه
اما للضرورة او للابتداء من اول الامر بعلة الشد وتقديمه اهم ولو اخر لتوهم
اول الامر ان الشد اعانة على القيام او لغير ذلك وتنكير كشحا للنوعية
وفى قوله مترف الادم تكميل وهو الاحتراس لانه لما ذكر ان شد من سغب
يتوهم ان جسمه حينئذ يظهر فيه اثر الجوع ويشحب فاحترس ورفع ذلك
الايهام بقوله مترف الادم وقد تقدم بسطه فى التفسير وال فى الجبال للعهد
كما تقدم وفى قوله الجبال الشم الى ايهام فسره بقوله من ذهب فهو نوع من
الاطناب وعطف راها بالفاء ايذانا بان سبب ذلك عرضها نفسها عليه
وترغيبها اياه فى ان يتناول منها ولولا ذلك لنظر اليها على انها من مخلوقات الله
ونعمه منه على خلقه فلا يزدريها وفى هذا البيت مجاز اذ التقدير شمائل
ايما شمم عنها واسناد اكدت الى الضرورة والزهد واسناد تعدوا الى الضمير

كل ذلك من المجاز العقلي وتعريف نهد وضرورة بالاضافة لافادة الاختصاص
وتعريف الضرورة بال لافادة الجنس وال في العصم للعهد او للجنس **البيان**
يحتمل ان يكون ظلمت سنة من المجاز العقلي كما تقدم ويحتمل ان يكون استعارة
بان يشبه السنة لكونها لم تعرف حقها ولم تنزل منزلتها بشخص ظلم باخذ ماله
او غير ذلك ثم لم يذكر ذلك الشخص واستدل على التشبيه باسناد الظلم
الى السنة وقوله احيى الظلام يحتمل الوجهين ايضا والكناية بان يشبه الظلام
لكونه لا تظهر فيه الالوان ولا آثار الاشياء ولملازمة السكون فيه بالميت
الذي لا يظهر فيه اثار الافعال وانتفت عنه الحركة وحذف الميت ولم يذكر
غير الظلام وقرينة التشبيه نسبة الاحيا اليه وفيه وجه ثالث وهو احتمال
كون الظلام مجازا عن الجهل والاحيا الى العلم فان العلم نور وحيوة والجهل ظلمة
وموت وشاهده اومن كان ميتا فاحييناه اي ضالا فهديناه فيكون المعنى
في هذا الوجه انه صلى الله عليه قام باحياء ما اماته الجهل من الشرايع فان قلت
قوله الى ان اشتكت يبعد هذا الوجه ويقتضي ان احياء الظلام انما هو بالقيام
الى الصلوة قلت لا ينافيه اذ يكون التقدير احيى ظلام الجهل فقام بانواع العبادات
فمن ذلك قيامه للصلوة الى ان اشتكت ومن ذلك صبره على الجوع وغير ذلك
وقوله اشتكت قدماه يحتمل ان يكون من المجاز المرسل بان يكون سمى التورم
الذي هو سبب الشكوى او ملزومها باسمها فهو من باب تسمية السبب او الملزوم
باسم المسبب او اللازم وفي قوله احشاؤه مجاز الحذف اي جامع احشائه وقوله
وراودته الجبال يحتمل ان يكون اسناد المراودة اليها حقيقة بان يخلق الله سبحانه
وتعالى فيها النطق وادراك ذلك ويحتمل ان يكون من مجاز التشبيه بان تشبه
تمكنه منها وانتفاء المانع عنه من اخذها بعرضها نفسها عليه ومراودتها اياه
على اخذها وعلى هذا الوجه فالمراودة منه ايضا مجاز لانه بامتناعه من اخذها
في صورة من يراودها على تركه مما طلبت منه وعلى الاول فهما على حقيقته
من اقسام الفاعلية والمفعولية لفظا والاشتراك فيهما معنى ولا يصح جعلها
بمعنى المجرد من باب عاقبت اللص كما ظن وقوله فاراها يحتمل الحقيقة ان تخلق

فيها الادراك والا فهو من المجاز التشبيهي ويشبه ان يكون قوله ان الضرورة
لا تعدوا على العصم من الاستعارة بالكناية بان يشبه الضرورة باسد ضار بالعدي
الذي هو من لوازمه لكنه منفي ووجه تشبيه الضرورة بالاسد وما اختصا بذلك
التشبيه انما تحمل على افتراس الميتات وغيرها من المحرمات كما يفترس الاسد
البديع في البيت الاول حسن التخلص وهو الموضع الثاني والثالث على لفظ
الراوين من المواضع التي ينبغي للمتكلم ان يتانق فيها كما تقدم اول بيت من النظم ومعناه
ان يكون الانتقال مما شبب الكلام به من نسيب وغيره الى المقصود ملايما
لان السامع يرتقب الانتقال الى المقصود فان كان حسنا ملايما لما كان فيه اصغى
لما بعده والا فلا ومن احسنه قول ابي تمام تقول في قومس قومي وقد اخذت
منا السرى وخطى المهرية القود • امطلع الشمس تبغي ان تؤم بنا •
فقلت كلا ولكن مطلع الجود • وقول مسلم بن الوليد • اجدك هل
تدرين ان رب ليلة • كان دجاها من قرونك تنشر • لهوت بها حتى تجلت
بغرة • كغرة يحيى حين يمدح جعفر • وقول المتنبي خليلي ما لي لا ارى غير شاعر
فكم منهم الدعوى ومني القصايد • فلا تعجبن ان السيوف كثيرة
ولكن سيف الدولة اليوم واحد • وقد تقدم في اول التفسير توجيهها
وفيه التجنيس الشبيه بالاشتقاق وفي قوله ظلمت والظلام ونظير الجمع بينهما
ثاني بيت من مقصورة خادم وهو قوله • لقد جمعت الظلم والاظلام اذ وافت
شمس الحسن في وقت الضحى • وجمعه بين السنة واحياء الظلام من مراعاة النظير
وفي البيت الثاني ايضا مراعاة النظير لجمعه بين السغب والاحشاء فان من الاحشاء
المعدة التي هي بيت الجوع والشبع وكذا في ذلك وفي ذكر الكشح والادم
ومترف وفي ذكر الشد والطي وفي نسبة الشد الى الاحشاء والطي الى الكشح والحالة
ان الشد والطي مترادفان التفريع • وهو ان يثبت لمتعلق امر حكم بعد اثباته
لمتعلق آخر كقوله اذا فات شيء دنه دل انفه • وان فات عيقه رأى بالمسامع
ومنه احلامكم لسقام الجهل شافية • كما دماؤكم تشفي من الكلب وفي البيتين
الطباق الخفي اما الاول فلجمعه بين السنة وهي عدل والظلم وبينه هو وهو

حسن التخلص

التفريع

فاعل الظلم وبين محي الظلام وهو الكامل العدالة صلى الله عليه وسلم وفي جمعه
بين الاحيا والظلام ان كان المراد ظلمة الجهل لان احياها نور ولا يبعد
ايضا على المشهور واما الثاني فجمعه بين الشغب والاتراق لان الاتراق
لا يكون مع الشغب غالبا بل هو ملازم ضده الذي هو الشبع وكان حقيا لان
الاتراق ليس بضد الشغب بل ملازم ضده ومنه قوله تعا اغرقوا فادخلوا نارا
فليس الاغراق ضد النار بل ملازم ضدها وهو الماء وفي البيتين معا مراعاة النظير
في جمع المراودة والنفس والجبال والشم والطباق في الجبال والذهب وفي راود وتا
اياه وشممه وتجنيس الاشتقاق في الشم والشمم قال بعضهم وفي البيت
التبليغ وتقدم انه الخارق للعادة الممكن في العقل نحو قوله فما زالت القتلى
تمور دماؤها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل ويروى تمج دماؤها واشكل أي دجلة
من دم القتلى محال عادة ممكن عقلا قال فكذا ترفعه صلى الله عليه وسلم
وزهده في جبال الذهب خارق لعادة البشر لا يقال وقع مثله ليوسف عليه السلم
مع زليخا وجمالها ما علم فقال معاذ الله ولعلي رضي الله عنه في الذهب
والفضة حين قال يا صفراء ويا بيضاء غري غيري وصرفهما مصارفهما لانا نقول
هما فعلا ما وجب عليهما وفعله صلى الله عليه وسلم زهد في المباح انتهى
قلت وليس بخارق في حق مثله صلى الله عليه وسلم بل ولا في حق من هو دونه
ولولا الاطالة لجلبت من حكايات الاولياء في ذلك مما هو معلوم
لا يخفى ما يدل على ذلك كابرهيم بن ادهم وغيره وفي البيت الرابع الطباق في الزهد
والضرورة بانه لا يجامعها غالبا سيما وهي هنا اكدت وجمعها وقوله
ان الضرورة البيت من المذهب الكلامي ومن الكلام الجامع ويقرب من ارسال المثل
وهو ايضا من الاستيناف البياني لانه جواب عن علة الحكم الخاص كانه قيل كيف يكون
الضرورة مؤكدة للزهد والمباح ويقرب منه قول بشار بكرا صاحبي
قبل الهجير ان ذاك النجاح في التبكير وهذا النوع من علم المعاني فيلتبس
بترجمته كما انه يشبه ان يكون تذييلا فتلخص بر ايضا الاعراب لا محل
لجملة ظلمت وما تعلق بها لاستينافها كما تقدم ومن مضاف اليه وهي موصوف

التبليغ

لا يصح غير ذلك فيها وفاعل احيا عايد عليها وان اشتكت في موضع مصدر مجرور
بالى وتقدم ان لا مفهوم هنا للغاية ومن ورم متعلق باشتكت ومن للتعليل
ويحتمل بيان الجنس ورجحه بعضهم لاستلزام التعليل تحقق الشكاية وهو صلى الله
عليه وسلم لم يشتك قط قلت وهو غفلة لان الشكاية مسندة للقدمين
ولا يتصور شكايتهما الا بالمجاز فلا فرق بين المعنيين وجملة شد معطوفة
على احيا لا على اشتكت لانه فاسد وفاعله ضمير من ايضا ومن سغب متعلق بشد
ومن للتعليل واحشاه مفعول لشد ومضاف اليه وضميره عايد على من
وطوى عطف على شد او على احيى وتحت ظرف مكان عامله طوى وكشحا مفعول
طوى ومترف نعت لكشح والادم مضاف اليه واضافة مترف غير محضة
ولذا نعت به النكرة والمراد بها الانفصال اذ الاصل مترفا ادمه فادمه مرفوع
على انه مفعول لم يسم فاعله بمترف واسم المفعول يعامل معاملة الصفة المشبهة
في اضافته الى المرفوع وجملة راودته معطوفة على الجمل قبلها والشم نعت للجبال
ومن ذهب الاولى ان يكون متعلقا بمحذوف كما تقدم في التفسير ومن للتبعيض
ويحتمل تعلقه براودته ومن لبيان الجنس او يكون حالا من الجبال ومن للتبعيض
او نعتا لها عند من يرى المعرف بال الجنسية كالنكرة وعن نفسه متعلق براودته
وتقدم في التفسير ان معنى عن المجاوزة ويحتمل التعليل نحو الا عن موعدة فاراها
الفاء عاطفة على راودت وهي للسببية كما تقدم واري فعل ماض فاعله ضمير النبي
صلى الله عليه وسلم وها مفعوله وهو ضمير الجبال وايما شمم ايا مفعول ثان
لاري وما زايدة وشمم مضاف اليه وايا في الاصل صفة لمفعول موصوف بها حذف
وقامت صفته مقامه وحذف الموصوف مع اي قليل والتقدير شمما ايما شمم ونو
باي هنا النكرة كما يقع حالا من المعرفة لقصد التعظيم والمبالغة وتضاف الى الوصف
الذي يماثل الموصوف لفظا ومعنى او معنى خاصة وشمما المقدر الذي اري الثاني
في الاصل وهذا انما يصح اذا كان الشمم المقدر الذي اراها هو ارتفاع قصبة انفه
صلى الله عليه وسلم واما اذا كان المراد بالشمم المقدر والذي اضيفت اليه اي هو
صفة
المصدر فتكون مصدرا ويكون المفعول الثاني حينئذ محذوفا اي اراها اعراضا

اي

وعامل ايضا محذوف اى وشم شمما ايما شمم وفى هذا الوجه تكلف واجاز
الاستاذ القصار رفعه اى على الابتداء وهى استفهامية فيها معنى التعجب والخبر محذوف
يدل عليه السياق اى عنده قال ومثله قول الراعي • فاومات ايماء
خفيا لحبتر • وانه عينا حبتر ايما فتى • اى اى فتى هو وجملة المبتدأ والخبر
فى موضع مفعول لارى الثانى علقها الاستفهام عن العمل فيه قال ويحتمل ان يخلو
من الاستفهام مع كونها مبتدا ويكون صفة مدح وتعظيم والتقدير ارى شمم
عظيم عنده والجملة فى موضع المفعول الثانى ايضا انتهى قلت وكونها مرفوعة
فى البيت هى رواية سيبويه قال ابن مالك ورويت منصوبة على انها حال من حبتر
لانه علم واكثرت عطف على ما قبله وهو ماض وعلامة تانيث الفاعل وهو ضمير
وزهدن مفعوله والضميران عايدان على من وفيها متعلق بزهدن او باكثرت ولا
نافية وعلامة رفع تعدو ضمة مقدرة فى الواو وهو فعل مستقبل عند من راى تخلصه
للاستقبال ومضارع عند من يرى احتماله للحال وتوسمها وضمير فاعله يعود على
الضرورة وعلى الصم متعلق به والجملة فى محل رفع خبرانها الاشارات فى البيت الاول
التحريض على قيام الليل وان تاركه ظالم فانها سنة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم
ومعنى سنته طريقته وليس يعنى حقيقة السنة فى اصطلاح الفقهاء اذ ليست
كذلك اما فى حقه صلى الله عليه وسلم فهو واجب واما فى حق الامة فهو مندوب
الا ان يقال الواجب فى حقه صلى الله عليه وسلم مطلق القيام او مقيد لا على ما
ذكره الناظم من استمراره الى ان ترم قدماه فيكون حينئذ على ذلك الوجه سنة
فى حقه او مندوبا او يكون على اصطلاح من يطلق السنة على المندوب فيعم الجميع
وبالجملة فالناظم اشار بهذه الابيات الى ان المكلف انما يكون على السنة الجادة اذا
بالغ فى اتعاب نفسه بالمجاهدة وليعتبر بالمغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
صلى الله عليه وسلم ولينظر هل يجد الغريق له فى الخطايا لنفسه عذرا ان قصر
قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين
وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه الاية وقال صلى الله عليه وسلم الكيس
من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله

وفى المعنى قيل • اذا انت لم تزرع وابصرت حاصدا • ندمت على التفريط فى زمن البذر
وقال الدقاق رحمه الله من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرايره بالمشاهدة
وقال ابو عثمان المغربي من ظن ان يفتح عليه بشيء من هذه الطريقة او يكشف له
الا بلزوم المجاهدة فهو فى غلط وقال الاستاذ ابو على من لم يكن له فى بدايته قومة
لم يكن له فى نهايته جلسة وقال فى قولهم الحركة بركة حركات الظواهر توجب بركات
السرائر وقال الخراز بنى هذا الامر على ثلثة ان لا تاكل الا لفاقة ولا تنام الا غلبة
ولا تتكلم الا لضرورة وقال ابن ادهم لن تنال درجة الصالحين الا بعد ست
عقبات تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة • وتغلق باب العز وتفتح باب الذل • وتغلق باب
الراحة وتفتح باب التعب وتغلق باب النوم وتفتح باب السهر • وتغلق باب الغنى
وتفتح باب الفقر وتغلق باب الامل وتفتح باب الاستعداد للموت وقال ذو النون
انما دخل الفساد على الخلق من ستة ضعف النية بعمل الاخرة وصاروا بدانهم رهينة
لشهواتهم وغلبهم طول الامل مع قرب الاجل واثروا رضى المخلوقين على رضى الخالق
واتبعوا اهواءهم ونبذوا سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم وجعلوا قليل
زلات السلف حجة لانفسهم ودفنوا كثير مناقبهم وخص الناظم التنبيه على المجاهدة
بالتزام ثلثة انواع من العبادة وهى الصلوة والصوم والزهد فى متاع الدنيا لما تقدم
قبل ولان التزام هذه الثلثة يتضمن معنى ما رويناه فى الاحاديث الصحيحة من قوله
صلى الله عليه وسلم من ضمن لى ما بين لحييه وما بين رجليه ضمنت له على الله الجنة
وذلك ان المواظب على قيام الليل غالبا مواظب على الصلوة دايما وقال تعالى ان الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر فالمواظب على الصلوة المعتد بكونها صلوة المراقب لها يبعد
وقوع فاحشة الفرج منهم والمواظب على الصوم الزاهد فى متاع الدنيا الحلال
المباح يمتنع ان يدخل فاه كثيرا من المباح فكيف بالحرام ويمتنع ان ينطق بالحرام
والا لما كان صومه معتدا به لما روينا من قوله صلى الله عليه وسلم من لم يدع قول
الزور والعمل به فليس لله حاجة ان يدع طعامه وشرابه وايضا فالصلوة افضل الاعمال
روينا فى الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال اعلموا وخير اعمالكم الصلوة وروينا
فيه ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى

الحركة بركة

وانا اجزى به ولخلوف فم الصايم اطيب عند الله من ريح المسك وروينا عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى ايدى الناس
يحبك الناس وفى رواية فيما ايدى الناس وانبذ اليهم ما فضل عندك يحبونك
واما قيام الليل خصوصا فورد فى فضله فى الصحيحين وغيرهما ما هو معلوم وفى الابيات
ايضا اشارة الى استغراق جميع الازمنة بالعبادة فالليل بالقيام والنهار بالصيام
والزهد فى متاع الدنيا بحيث لا يشغله شئ عن عبادة ربه وان ذلك لا يترك
وان انهك البدن واضر به كانتفاخ القدمين بالصلوة واشتعال الحرارة نار المعدة
فى اجزاء البدن حتى يفنيها وان الجوع اذا افرط بصاحبه طوى كشحه تحت الحجارة ليتذكر
نار جهنم وان وقودها الناس والحجارة ويستعين على الصبر على ذلك ولو مع الضرورة
يتذكر ان بعض من لم يصبر على جوع بطنه وتناول ما لا يحل يطعم فى الاخرة النار التى
يرد الحجر بل يكون من وقودها قال تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما
انما ياكلون فى بطونهم نارا وقال الذين ياكلون الربوا لا يقومون الاية وتضمن
حديث الاسراء صفة اكل الربا واشار بالبيت الثالث الى ان المعين الاقوى مع توفيق الله
تعالى على التزام هذه المشاق فى هاتين العبادتين المتضمنتين انواعا من العبادة او كلها
انما هو الزهد فى متاع الدنيا ولو كان اكثر ما يكون واجله كما لو كانت الجبال التى تحتك
لا حد عليها ذهبا بحيث يتناول منها بلا حجر فالذى يجاهد به النجاة ان يزهد فيها
ويتركها الان فى ذلك النجاة ولو كان الانسان مضطرا غاية الضرورة واذا
كان هذا الحال من العبادة والزهد فى الحال المحض مطلوبا لكى ينجو برحمة الله من عذابه
فكيف الحال مع التقصير والهجوم على الحرام فى القليل والكثير ولله در القائل
تقنع بالقليل تعش غنيا • فمن يبغى الكثير هو الفقير • فان خبز الشعير بماء وملح
لمن طلب النجاة له كثير • ايقظنا الله من سنة الغافلين • وسلك بنا طريق اوليائه
الزاهدين العاملين بمنه وفضله وكرمه وهذه العبادة التى تضمنتها هذه الابيات
مترتبة وكل معين على ما قبله فراسها الصلوة الناهية عن الفحشاء والمنكر يعين
عليها الصيام لان كثرة الاكل تورث النوم كما تقدم والزهد فى الدنيا يعين على الجوع
والصبر عند الضرورة يعين على الزهد فى السعة وفقنا الله لما يحبه ويرضاه وجعل الجنة

مع السلامة من العذاب منزله كل مسا ومن احبابنا ومثواه اصل

وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من ... لولاه لم تخرج الدنيا من العدم
محمد سيد الكونين والثقلين ... والفريقين من عرب ومن عجم
نبينا الآمر الناهى فلا احد ... ابر فى قول لا منه ولا نعم
هو الحبيب الذى ترجى شفاعته ... لكل هول من الاهوال مقتحم
دعا الى الله فالمستمسكون به ... مستمسكون بحبل غير منفصم

كيف
بشرح الغريب كيف اسم مبهم غير متمكن بنى على حركة لالتقاء الساكنين وخص بالفتحة
دون الكسرة لاجل الياء ودون الضمة لثقلها وهى للاستفهام عن الحال وقد تقع للتعجب
نحو كيف تكفرون بالله وهى هنا للاستبعاد والنفى ولها تقاسيم تطول ذكرها
ومحله علم النحو وتدعو تصيح دعوت فلانا صحت به واستدعيته والدنيا فعلى
الدنيا
من الدنو وهى القرب تقول دنوت منه دنوا ودنية وجمع الدنيا دنى
ككبرى وكبر واصله دنو استثقلت ضمة الواو فحذفت لالتقائها ساكنة
مع التنوين والنسبة اليها دنيا وى ودنيوى ودنى وفروع المادة كثيرة والعدم
الفقر تقول عدمته بالكسر اعدمه عدما بالتحريك على غير قياس والعدم
صد الوجود وينقسم الى مطلق وهو الذى لا يضاف الى شئ والى مقيد وهو
العدم
ما يضاف الى شئ نحو عدم كذا ولا يسمى المعدوم شيئا عند اهل السنة كان مستحيلا
او ممكنا وخالفت المعتزلة فى الممكن فسموه شيئا والعدم قسمان ايضا سابق
وهو المتقدم على وجود الممكن ولاحق وهو الكائن بعد وجوده والسابق هو مراد
الناظم الان فى لفظه تجوزا فان قوله لم تخرج يوهم انها فى العدم شئ وحقيقة
وانما انتفى عنها الخروج منه الى الوجود ومذهب اهل الحق انه لا حقيقة للمعدوم
حال العدم وانه ليس بشئ فمعنى لم تخرج من العدم اى لم توجد محمد صلى الله
عليه وسلم افضل صلوة وازكى سلام هذا الاسم الكريم الشريف منقول من اسم
مفعول وهو مشتق من الحمد الذى هو نقيض الذم والحمد اعم من الشكر على الصحيح
تقول حمدت الرجل بالكسر احمده حمدا ومحمدة بكسر الميم الثانية وفتحها فهو حميد
محمود والمحمد الذى كثرت خصاله المحمودة قال اليك ابيت اللعن كان كلالها

الى الماجد القرم الجواد المحمد   واحمد الرجل صار ذا حمد ولحمدة و
محمودا وهو لهم لعود احمد اى اكثر حمدا وحمادا له اى حمدا وشكرا ومحمد
على يمتن وحمرة من يكثر حمد الشيء ويزيد على ما فيه ولابن اسحق ان امه صلى الله
عليه وسلم حين حملت به قيل لها حملت بسيد هذه الامة فاذا وضعته فقو
اعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمدا فقد طابق هذا الاسم الكريم المسمى
وانتظم اللفظ والمعنى وشق له هذا الاسم العظيم من اسمه سبحانه وتعالى الحميد
ومعناه المحمود وكذا محمد وشق له من اسمه لجلاله فذو العرش محمود وهذا محمد
قال خادم السنة ابو الفضل عياض رحمه الله ورضي عنه سماه الله
تعالى في كتابه محمدا واحمدا ومن خصايصه ان ضمن الله تعالى اسماه ثناه
وطوى اثناء ذكره عظيم شكره فاحمد افعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد
مبالغة من صفة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم اجل من حمد وافضل من حمد
واكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد
يوم القيمة ليتم له كماله ويبعث هناك مقاما محمودا يحمده فيه الاولون
والاخرون ويفتح عليه من المحامد ما لم يعط غيره واسم امته في الكتب الحمادون
فحقيق ان يسمى محمدا واحمد ولم يسم احد قبله بهذين الاسمين تخصيصا له
وكرامة ولئلا يدخل لبس على ضعيف القلب في امره فيتعين انه الذي اخبرت الكتب
وبشرت به الانبياء اما احمد فلم يحفظ سميه به قبله وكذا محمد الى ان شاع
وقرب بعثه صلى الله عليه وسلم ان زمانه قد اظل فسمى قوم من العرب قليلون
ابناهم به كل رجاء ان يكون هو والله اعلم حيث يجعل رسالته منهم محمد بن
احيحة بن الجلاح الاوسى ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن برا البكري ومحمد بن سفيان
ابن مجاشع ويقال هو اول من تسمى محمد واليمن تقول بل محمد الاسدي
وابن حمران الجعفي وابن خزاعي السلمي فأن ولا سابع لهؤلاء ولم يذكر
السهيلي غير ابن سفيان وقال انه جد جد الفرزدق الشاعر وابن احيحة وابن
حمران قال وكان ابا هؤلاء وفدوا على بعض الملوك وكان عنده علم بالكتاب
الاول فاخبرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وباسمه وكان كل منهم قد خلف

امراته حاملا ونذر كل ان ولد ذكرا ان يسميه محمدا ما كل من تاد الحمى يمنع المعدا
من اهله اهلا وبذاك الزاي ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء **قال** القاضي
ثم حمى الله تعالى كل من تسمى محمدا ان يدعي النبوة او يدعيه له او يظهر سبب يشكك
في امره حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم ويقال ان مما اكرم به الادمي
ان كان تصوره على شكل هذا اللفظ فالميم الاولى راسه والحاء جناحاه والميم
سرته والدال رجلاه قيل ولا يدخل النار من يستحق دخولها اعاذنا الله
منها الا ممسوخ الصورة اكراما لصورة اللفظ وله صلى الله عليه وسلم اسماء
كثيرة انهاها بعضهم الى تسعة وتسعين وبعضهم الى ثلثمائة وثلثين وروينا
في صحيح البخاري والموطا وغيرهما واللفظ للبخاري من حديث جبير بن مطعم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد
وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي
وانا العاقب الذي ليس بعده نبي **قال** ابو عبد الله وقد سماه رؤفا
رحيما وروينا في صحيح مسلم عن ابي موسى الاشعري **قال** كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسماء فقال انا محمد وانا احمد والمقفي
والحاشر يحشر الناس على قدمي ونبي التوبة ونبي الرحمة **ذكر** نسبه صلى الله
عليه وسلم هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم واسم هاشم عمرو
بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر
بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار
بن معد بن عدنان هنا انتهى النسب الصحيح باجماع الامة وما فوقه فمختلف
ولا خلاف ان عدنان من ولد اسمعيل بن ابرهيم عليهما الصلوة والسلام
وعلى ساير انبياء الله **وامه** امنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة
بن كلاب وهنا تجتمع مع ابيه **وازواجه** نسائه رضي الله عنهن خديجه
بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى تزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة
وامنت به رضي الله عنها وماتت قبل الهجرة بثلث سنين ثم تزوج بعدها
سودة بنت زمعة رضي الله عنها من بني عامر بن لوي ثم عايشة بنت ابي بكر

نسبه العالي ابا واما صلى الله عليه وسلم

وازواجه الطاهرة رضي الله تعالى عنهن

الصديق رضي الله عنهما تزوجها بمكة وبنى بها بعد الهجرة بسبعة اشهر ثم تزوج
حفصة بنت عمر رضي الله عنهما تزوجها بمكة وبنى بها بعد الهجرة بسنتين و[اشهر]
ثم تزوج زينب بنت خزيمة من بني هلال بن عامر وتوفيت عنده بعد صحبة لها
بشهرين ثم تزوج ام سلمة رضي الله عنها واسمها هند بنت ابي امية واسمه
حذيفة بن المغيرة من بني مخزوم وهي اخر نسائه موتا وقيل اخرهن صفية ثم تزوج
زينب بنت جحش رضي الله عنها من بني اسد بن خزيمة ماتت في اول خلافة
عمر رضي الله عنه ثم تزوج جويرية بنت الحارث من بني المصطلق بن خزاعة
ثم تزوج ام حبيبة واسمها رملة بنت ابي سفيان صخر بن حرب بن امية
وقيل اسمها هند تزوجها وهي ببلاد الحبشة وكانت هناك مهاجرة واصدقها
عنه النجاشي اربعمائة دينار وسيقت اليه من هناك وماتت في ايام اخيها
معاوية وتزوج اثر فتح خيبر صفية بنت حيي بن اخطب سيد بني النضير من ولد
هرون بن عمران عليه السلام ثم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية بمكة
في عمرة القضاء وهي اخر من تزوج وماتت ايام معاوية وقبرها بسرف قريب من مكة
ولم يتزوج بكرا غير عايشة **وولده** صلى الله عليه وسلم قبل النبوة غلام
وبه كان يكنى وعاش ايا ما يسيرة وولدان اخران اختلف في اسم احدهما
ولا تخرج الرواية في ذلك عن عبد الله والقاسم والطيب والطاهر وزينب
ورقية وفاطمة وام كلثوم وهؤلاء كلهم ولد وا بمكة من خديجة وولد له
بالمدينة ابرهيم من مارية القبطية سريته صلى الله عليه وسلم اهداها له
المقوقس ملك الاسكندرية ومات قبل موته صلى الله عليه وسلم بثلثة اشهر
وعمره عامان غير شهرين السيد الجليل العظيم وقيل الحليم وقيل غير ذلك
وفسر ابن عطية السودد بالاعمال في رضى الناس على اشرف الوجوه دون ان
يوقع في باطل وعليه يخرج قول ابن عمر ما رايت اسود من معاوية بن ابي سفيان
يقال ساد قومه يسودهم سيادة وسوددا وداله للالحاق ببرقع وسيد في
فهو سيد وهم سادة فعلة محركة قال الجوهري وسيد فيعل ومثله سري وكان
ولا نظير لهما وبدل عليه جمعه على سيايد كافيل وافايل وقال اهل البصرة

ولد دخل الاشراف في تلك الكلمة

سيد

وهو فيعل اصله سيود ثم قلبت الواو ياء لسكون الياء قبلها فادغم واما سادة
فكان جمع سايد كقايد وقادة وسيايد بالهمز غير مقيس والقياس تركه وهذا
سيد قومه اليوم وباعتبار المستقبل سايدهم عن قليل وسيد قاله الفراء واسا
الرجل واسود ولد سيدا او اسود واستاد بني فلان قتل سيدهم او اسره
او خطب اليه والكونين تثنية كون وهو الحدوث مصدر كان التامة وهما
كون السموات والارض وقيل وجود الدنيا والاخرة وقيل هما اهل الدنيا والاخرة
والثقلين الانس والجن قيل سموا بذلك لانهما ثقلا الارض والفريق الجماعة
الكثيرة **قال** الجوهري في الفرقة طائفة من الناس والفريق اكثر منه وفي
الحديث افاريق العرب جمع افراق وافراق جمع فرقة وفسر الناظم الفريقين بقوله
من عرب ومن عجم والعرب اسم جمع والواحد عربي وهو الذي يفصح بين الجمع وواحده
نزع ياء النسب ومثله العجم لان واحده عجمي وهو الذي لا يفصح **وقال** ابن قتيبة
الاعرابي هو البدوي والعربي المنسوب للعرب وان لم يكن بدويا والاعجمي الذي لا يفصح
وان كان بدويا والعجمي المنسوب للعجم **قال** الجوهري والعرب والعرب مثل العجم والعجم
كل ضد الاخر والعرب اهل الامصار والنسبة اليهم عربي والاعراب سكان البادية
والنسبة اعرابي وليس الاعراب جمع عرب كما ان الانباط جمع نبط وانما العرب اسم جنس
وقال غيره العرب ضد العجم والاعراب اهل البادية فلذا لا يكون جمع عرب لان
الجمع لا يكون اخص من واحده والمادة طويلة والنبي فعيل من النبا وهو الخبر لانه
يخبر عن الله بما يأتيه به الملك من الوحي وهو فعيل بمعنى فاعل تقول نبا وانبا
اى اخبر قال سيبويه ليس من العرب الا قايل تنبا مسيلمة بالهمز الا انهم تركوه في النبي
كما في الذرية والبرية والخابية واهل مكة خاصة يهمزون هذه كثيرها ونبات
من ارض الى اخرى اى خرجت وهو الذي اراد الاعرابي بقوله يا نبئ الله اى من خرج
من مكة الى المدينة فانكر عليه الهمز وقيل غير ذلك قالوا وتصغير النبي نبيء مثل
نبيع **والنبوة** نبيئة كنبيعة وقالوا كانت نبيئة مسيلمة نبيئة سوء كذا ذكر
الجوهري ونص النحاة والفقهاء على امتناع تصغير الاسماء المعظمة شرعا وجمع
النبيء انبياء وبنا الامر تقدم تفسيره والناهي من النهي وهو ضد الامر وهو لغة

كونين

ثقلين

العرب افراق جمع فرقة

النبي

طلب الكف عن الشيء وهذا اصل الاصول لغة اكتفا كف عن فعل على جهة الاستعلاء
ونهيته عن كذا فانتهى عنه وتناهى اى كف وتناهوا عن المنكر نهى بعضهم بعضا
وامور بالمعروف نهو عن المنكر على فعول وما لفلان ناهية اى نهي واحد يختص
بعد نفي نحو محض بحم لم يكن له كفوا احد ونهي نحو ولا يلتفت منكم واستفهام
نسبهما هل يحس منهم من احد بعموم من يعقل لازم الافراد والتذكير ولا يقع
ذلك الموقع في الايجاب خلافا للمبرد ولا يثنى احد ولا يجمع في النفي وشبهه
ويستوي فيه المذكر والمؤنث قاله الجوهري ومنه لستن كاحد وقال ابن مالك
انه هنا واقع موقع نسوة ويحتمل ان يكون معناه اصدق من قولهم برى يمينه
اى صدق ويحتمل ان يكون من البر والمبرة خلاف العقوق وفعله برر برا بالكسر
ابره برا فانا بر وجمعه ابرار وبار وجمعه بررة من قولهم فلان يبر خالقه ويتبرره
اى يطيعه والام برة بولدها وبرجة وبر وبر الله برا بالكسر فيه كله ولا لها
اقسام كثيرة وهي هنا اسم حرف النفي وحرف الجواب فيكون ضد بلى ونعم الحرف
النهي ونعم يقول فيها الاكثر عدة وتصديقا وفي التسهيل وهي لتصديق مخبر او اعلام
مستخبر او وعد طالب وسمعت شيخنا الاستاذ ابا عبد الله بن حباق الاندلسي
نزيل فاس برد الله ضريحه يقول لم يجمع احد معانيها احسن من هذا وربما
ناقض الجحد فهو تصديق بعد قوله ليس لي عندك بديعة وبلى تكذيب وحكى الكسائي
كسر عينها لغة الحبيب المحب او المحبوب وقيل رضي عنه المقبول وتقدمت المادة
وترجى من الرجاء بمعنى تمد ود الامل رجوته ارجوه رجوا ورجاء ورجاوة
وترجيته وارتجيته ورجيته بمعنى رجوته وما لكم لا ترجون لله وقارا
اى لا تخافون عظمة الله وشفاعة ان تطلب الشيء لغيرك كذا قيل والشفيع
صاحب الشفاعة واستشفعته الى فلان سالته ان يشفع لي اليه وتشفعت له
فيه فشفعني فيه تشفيعا وكان والله اعلم من الشفع لان المشفوع فيه ياتي
لطلب حاجته مع آخر الهول الفزع هاله الشيء يهوله هولا افزعه ومكان
مهيل ومهال اى مخوف وهلته فاهتال افزعته ففزع والتهويل التفزيع
وهول القوم على الرجل كان لكل قوم من الجاهلية نار عليها سدنة ويلقون فيها

احد

لا
بلى نعم

الشفاعة

الهول

الرجل

الهول

الرجل فيطرح سدنتها فيها ملحا بحيث لا يشعر الحالف يهولون عليه قال اوس
اذا استقبلته الشمس صد بوجهه كما صد عن نار المهول حالف واسم
تلك النار الهولة بالضم والتهاويل الالوان المختلفة وهولت المراة تزينت
مقتحم اسم مفعول من اقتحمت الشيء فهو مقتحم اذا رميت بنفسك فيه من غير
روية ومثله تقحم الامر تقحما وتقحيم النفس في الشيء اذا خالها فيه
من غير روية وقحم في الصف دخل واقتحم النهر دخله والقحمة بالضم المهلكة
وقحم الطرق مصاعبها وللخصومة قحم اى تقحم بصاحبها على ما لا يريد والقحمة
السنة الشديدة واصابت الاعراب قحمة اى قحط قد دخلوا الريف واقحم
فرسه النهر فانقحم وقحم الفرس فارسه تقحيما على وجهه رماه والمقحام
مقتحم الشوك من غير ارسال فيها المستمسك اسم فاعل من استمسك اى اعتصم
وامسكت الشيء وتمسكت به واستمسكت به ومسكت به اعتصمت
وكذا مسكت به تمسيكا وقرئ ولا تمسكوا بعصم والحبل الظاهر انه هنا
العهد والحبل ايضا الامان وهو مثل الجواز والحبل الوصال وحبل الرمل
ما استطال وحبل العاتق عصب وحبل الوريد عرق في العنق وحبل
الذراع في اليد وهو على حبل ذراعك اى قريب منك والحبل الرسن
وجمعه احبال واحبل ويظهر من الجوهري ان الحبل موضوع لهذا المعنى
كله فعلى هذا فاستعمال الناظم اياه في العهد وما يليق به من هذه المعنى
حقيقة اذ هو مشترك وان كان حقيقة في نحو الرسن فاستعماله في العهد
مجاز وبهذا جزم القصار ومنفصم اسم فاعل من فصمت الشيء فانفصم
اى كسرته من غير ان يبين بعضه من بعض قال الله تعالى لا انفصام لها وتفصم
مثله قال ذو الرمة وشبه غزالا بدملج من فضة * كأنه دملج من فضة
نبه * في ملعب من جواري الحي مفصوم * جعله مفصوما لتثنيه وانحنائه
اذا قام والقصم بالقاف الكسر مع ابانة ولذا لم يقله ذو الرمة بالقاف
فيكون بائنا باثنين وقال بعضهم عند موته اخ له قصمت ظهري وان
شئت قصمت واقصم المطر واقلع وكذا اقصمت عنه الحمى والمعنى الذي

حبل الوريد
عرق في العنق

قصد الناظم من ان المستمسك بحبل صلى الله عليه وسلم مستمسك بحبل غير منفصم
ماخوذ من قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك
بالعروة الوثقى لا انفصام لها التفسير قوله وكيف تدعو البيت
استدلال على الحكم الذى نفاه بقوله ان الضرورة لا تعدو البيت اى كيف
يتصور ان تدعوه صلى الله عليه وسلم ضرورة النازلة به اى تضيح به او تميل
الى الميل الى متاع الدنيا وزينتها والدنيا باجمعها انما خرجت من العدم الى الوجود
اى وجدت بعد ان لم تكن من اجله صلى الله عليه وسلم اى سبق فى علم الله وقضائه
ان الدنيا لولا ان وجود محمد من جملة موجوداتها ما كانت توجد دل على هذا
المعنى احاديث وردت فيه هذا هو الظاهر من المعنى المقصود له والجارى مع
الفاظ البيت ان يكون المعنى كيف تدعو الى الدنيا اى تضيح او تميل ضرورة
الشخص او الانسان او المخلوق او نحو الذى لولا هو او ضرورة شخص لولا هو
لم تخرج الدنيا من العدم الى الوجود فعلى الشرح الاول الذى كيف استبعدان تدعوه الضرورة
الى الدنيا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الثانى لا يكون تدعو معلقا بمفعول
معين وحينئذ فان ضمن تدعو معنى تميل ويدل على ذلك تعديته بالى فالمعنى
صحيح وان ترك على حقيقته من طلب مدعو فان قدرته النبى صلى الله عليه وسلم لقرينة
السياق صح وعاد الى المعنى الاول وان لم يعلق بمفعول معين بل اطلق ليدل على
العموم اى كل مدعو فيكون المعنى كيف تدعو ضرورة من لولاه الى خ احدا
اوشيئا الى ان تنيله الدنيا واصله الى نائلة الدنيا ولا بد من مثل هذه التقادير
والا فلو ترك تدعوا على اطلاقه فى صحة التعلق بكل مدعو لكانت الضرورة
صلى الله عليه وسلم لا تدعوا بعض اصحابه ان رأى بر منها الى فاز النهى عنه
بشىء من متاع الدنيا والواقع خلافه كما تقدم فى حديث جابر فان قلت
وقد تدعوه صلى الله عليه وسلم ضرورة الى الدنيا فقد ثبت فى الصحيح انه صلى الله
عليه وسلم خرج الى المسجد فاجتمع بالصديق والفاروق رضى الله عنهما
وقال ما اخرجكما قالا الجوع فقال وانا والذى نفسى بيده اخرجنى
الذى اخرجكما او قال وانا قد كان بى بعض ذلك وكما قال صلى الله عليه وسلم

ثم مضوا الى الانصاري الحديث وفيه انكم مسؤلون عن نعيم هذا اليوم
وكثيرا من هذا المعنى كسؤاله الطعام فى بيته غير مرة وبياعاته وشرائه
الاشياء التى يحتاج اليها وهل هذا الا من دعاء الضرورات الى الدنيا قلت
المراد بالدنيا المدعو اليها الزايد على قدر الحاجة الضرورية من القوت وستر
العورة وهو ما يؤدى الى الاشتغال بها وصرف الهمة اليها والغفلة عن الاخرة
كجبال الذهب والفضة التى راودته وغيرها مما فى معناها واما القدر الضرورى
منها فلا بد منه بل هو للاخرة اقرب منه للدنيا فانه من ضرورة الانسان
التى يتقوى بها على العبادة وبها يندفع ما يتوهم ايضا من انه اريد عموم
المدعو لزم ان لا تدعوا ضرورته صلى الله عليه وسلم عدوه الى ان يزيد
فيها او الى ان يرضها عنه ان قدر وليس كذلك وبالجملة فالفاظ البيت لا تخلو
عن تعقيد وقلق ويحتمل تخريجه على وجه آخر وهو ان يكون ضرورة منونا
وهو فاعل تدعو ومن مفعول وحذف تنوين ضرورة للضرورة نحو ولا ذاكر
الله الا قليلا وقراءة من قرأ والمقيمى الصلوة بحذف النون ونصب الصلوة
والمعنى لا تدعو الى الدنيا ضرورة اى ضرورة كانت عظمت او صغرت شخصا
لولا هو الى آخره وهذا الوجه غاية فى الحسن اذ فيه نفى المطلق فيستلزم نفى
المقيد اعنى الضرورة المضافة اليه صلى الله عليه وسلم وهى المنفية بغير هذا
الوجه ولا يلزم من نفيها نفى المطلق اما انه احرى لكون التخصيص والحمل على العموم
نعم فى هذا الوجه ضعف التاليف اعنى مخالفة القياس النحوى بحذف هذا
التنوين وذلك يوجب كون الكلام غير فصيح فان قلت والاولى ايضا فيه التعقيد
اللفظى وانتفاؤه ايضا شرط فى كون الكلام فصيحا قلت نعم الا ان مفسدة
التعقيد اخف من مفسدة التأليف والله تعالى اعلم واما تصحيح دعواه فى قوله
لولاه لم تخرج الدنيا من العدم فمن دلايلها ما ذكره الفقيه الجليل ابو العباس
العزفى فى كتاب الدر المنظم عن على رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله
مم خلقت فاطمة صلوات الله وسلامه عليه وعليه عرق كالجمان فقال يا على
لما عرج بى الى السماء وكنت من ربى قاب قوسين او ادنى فقال لى ربى يا محمد

قلت يا رب لم خلقتني فقال يا محمد وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت جنتي
ولا ناري فقلت يا رب لم خلقتني فقال يا محمد لما نظرت الى صفاء
بياض نور خلقته بقدرتي وابدعته بحكمتي واضفته تشريفا الى عظمتي
استخرجت منه جزءا فقسمته ثلثة اقسام فخلقتك انت واهل بيتك من القسم
الاول وخلقت ازواجك واصحابك من القسم الثاني وخلقت من احبكم
من القسم الثالث فاذا كان يوم القيمة عاد كل حسب ونسب الى حسبه ونسبه
ورددت ذلك النور الى نوري فادخلك انت واهل بيتك واصحابك
ومن احبكم جنتي برحمتي فاخبرهم بذلك عني يا محمد ومنه ايضا انه صلى الله
عليه وسلم قال لما خلق الله تعالى ادم ونفخ فيه الروح نظر الى ساق
العرش فرأى فيه مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فقال اى رب
من صاحب هذا الاسم فقال نبي من ذريتك آخر الانبيا واول الانبياء فقال
اى رب وكيف يكون اولهم وآخرهم فقال اولهم دخولا الجنة وآخرهم
بعثا فقال يا رب ويدخل الجنة قبلي قال نعم قال ادم الحمد لله الذي
جعل من ذريتي من يدخل الجنة قبلي فقال يا ادم هذا ولدك محمد لولاه
ما خلقتك ولا خلقت جنة ولا نارا ولا شمسا ولا قمرا هذا الذي يدخل
الجنة الخلايق بشفاعته يوم القيمة صلى الله عليه وسلم ومن احكام ابن القطان
عن عمر رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم قال لما اقترف ادم
الذنب قال رب اسئلك بحق محمد صلى الله عليه وسلم لما غفرت لي
فقال يا ادم كيف عرفت محمدا ولم اخلقه قال لانك يا رب لما خلقتني
رفعت راسي فرأيت في قوايم العرش لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت
انك لم تضف الى اسمك الا احب الخلق اليك قال صدقت يا ادم
انه لاحب الخلق الي اذ سألتني بحقه غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك
ثم تقريره ان يقال اذا ثبت ان وجوده صلى الله عليه وسلم علة وجود الدنيا
فالدنيا باجمعها مفتقرة في وجودها اليه لافتقار وجود المعلول الى وجود
علته فلو كانت ضرورية تدعو الى الدنيا لكان وجوده معلولا لوجودها

احاديث في اصل خلقته وتقدمه للخلق وغفران ادم به صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى اله وصحبه وعلى ادم وعلى سائر الانبياء م

وافتقر

مطلب عود الشارح

وافتقر في وجوده الى وجودها وهو خلف لان فيه عكس الحقايق من ضرورة
العلة معلولا وبالعكس لان العلة لا تفتقر في وجودها الى وجود المعلول
فان قلت بل تفتقر العلة الى معلولها اذ لا يتصور بدونه قلت ذلك في العلل
العقلية واما العلل الوضعية فلا نسلم استلزام العلة معلولها الا من حيث
انها لا توجد الا بوجوده بل من حيث اقتضاؤها ايجاده وبالجملة فالدليل
خطابي اقناعي لا برهاني يقيني وقال بعضهم وجه احتياج الدنيا
اليه ينبني على ثلث مقدمات الدنيا لولا الناس ما وجدت والناس لولا
عبادة الله ما وجدوا لا لحاجته سبحانه الى عبادتهم بل لذلك خلقهم
والعبادة لولا النبي ما وجدت فينتج الدنيا لولا النبي ما وجدت دليل الاولى
قوله تعالى ام السماء بنيها الى ولانعامكم والثانية وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون والثالثة ما قرره اصحابنا في الحسن والقبح انتهى
قلت وهذه المقدمات لا تنتج شيئا وليس يأتي من ترتيبها على ما ذكر قياس منتج
لا بالاقتراني حملية او شرطية ولا بالاستثنائي على ما لا يخفى على ماهر
الصنعة واقرب الترتيبات المنتجة الى مقصده ان يجعل من الاقتراني
الشرطي بان يقال لولا النبي لاختل المقصود من العبادة ولو اختل المقصود
من العبادة لاختل المقصود من خلق الناس ولو اختل المقصود من خلق الناس
لاختل المقصود من خلق الدنيا فينتج لولا النبي لاختل المقصود من خلق
الدنيا ثم بعد تسليم الادلة المقدمات وما قرره اصحابنا رضي الله عنهم اثبات
كون الحسن والقبح شرعيا لا يستلزم ذلك الافتقار الى نبي معين وهو محمد
صلى الله عليه وسلم الذي قصد الناظم بل الافتقار الى نبي بالاطلاق ثم
نتيجة القياس الذي ركبناه ليست هي المطلوب لان المطلوب لولا النبي لاختل
المقصود من خلق الدنيا الذي نتيجة الدليل بعد تصحيحه وتنقيحه فان الخصم
يقول بموجب هذا الدليل ولا يلزم المقصود اذ قد لا يختل المقصود من الدنيا
ولكن تدعو ضرورتها اليها قوله صلى الله عليه وسلم فيه وجوه من الاعراب
تاتي انشاء الله تعالى منها انه خبر مبتدأ محذوف اي هو محمد صلى الله عليه وسلم

وبالجملة جواب سؤال مقدر كانه قيل من هذا العظيم الذي لولاه هو لم تخرج
الدنيا من العدم الموصوف بما تقدم فقال هو محمد الذي حصلت له الرياسة
على الكونين اى على اهل السماء والارض وعلى الثقلين اى الجن والانس
وعلى الفريقين اى نوعى الانس العرب والعجم واذا تقرر ان العالم مخلوق
من اجله كانت السيادة له على كل من فيه فهذا البيت نتيجة الدليل الذي
تضمنه البيت قبله ثبت فى الصحيح وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال انا
سيد ولد آدم ولا فخر وهذا لا خلاف فيه وروى عن انس بن مالك
رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن جبريل عليه السلام
عن ربنا تبارك وتعالى انه قال لقد مننت عليك بسبعة اشياء اولها
انى لم اخلق فى السموات والارض اكرم على منك والثانى ان مائة الف نبى
اربعة وعشرون الف نبى كلهم مشتاقون والى امتك والثالث انى لم اعط
امتك مالا كثيرا حتى لا يطول عليهم الحساب والرابع انى لم اطول اعمارهم
حتى لا يجتمع عليهم الذنوب كثيرا والخامس لم اعطهم من القوة ما اعطيتهم
الامم السالفة حتى لا يدعوا الربوبية كما فعل الامم السالفة والسادس
اخرجتهم فى آخر الزمان حتى لا يكون مقامهم تحت التراب كثيرا والسابع
لم اعاقب امتك كما عاقبت بنى اسرائيل كانوا اذا اصابهم دم حيض فى ثيابهم
امرت بقطعه ولا يجوز له الغسل واذا اذنبوا امرت بقطع عضو وفى عند
وكانوا اذا اذنبوا وجدوه مكتوبا على ابوابهم وعن ابن عباس رضى الله عنه
فضل الله محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السموات والارض والانبياء
قالوا بم فضل على اهل السماء قال ان الله تعالى قال لاهل السماء ومن يقل
منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم
انا فتحنا لك الاية قالوا بم فضل على الانبياء قال ان الله تعالى قال
وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وروينا فى سنن الترمذى من حديث
ابن ابى وداعة قال جاء العباس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

من الخواص لم يروا منه صلى الله عليه وسلم ورحمهم

فضائل محمد تبا لعنته وخلقه واسماؤه سيما وكماله على خلق م

وكانه سمع شيئا فقام النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال من انا قالوا رسول الله
عليك السلام قال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ان الله خلق الخلق فجعلنى
فى خيرهم ثم جعلهم فرقتين فجعلنى فى خيرهم فرقة ثم جعلهم قبايل فجعلنى
فى خيرهم قبيلة ثم جعلهم بيوتا فجعلنى فى خيرهم بيتا ومثله فيها من حديث
عبد الله بن الحارث بن نوفل عن العباس رضى الله عنه وقال فى آخره
فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن كعب ان الله عز وجل انزل الكتاب على آدم
محصيا بعدد الانبياء فاقبل آدم على ولده شيث فقال اى بنى انت خليفتى
من بعدى فخذها بعمادة التقوى وكلما ذكرت الله عز وجل فاذكر الى جنبه
محمدا صلى الله عليه وسلم فانى رأيت اسمه مكتوبا على ساق العرش وانا بين الروح
والطين ثم طفت السموات فلم ار موضعا فيها الا رأيت اسم محمد مكتوبا ولقد رأيت
اسم محمد مكتوبا على صدور الحور العين ولم ار فى الجنة قصرا ولا غرفة ولا موضعا
الا رأيت اسم محمد مكتوبا وعلى ورق سدرة المنتهى وعلى اطراف الحجب وبين اعين الملائكة
اكثر ذكره فان الملائكة تذكره فى كل ساعة ومن احكام ابن القطان عن على بن الحسين
عن ابيه عن جده رضى الله عن جميعهم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كنت
نورا بين يدى ربى عز وجل قبل خلق آدم باربعة عشر الف عام وعن كعب
عرفت الملائكة محمدا وفضله قبل ان يعرف آدم فلما خلق آدم سمع من قفا ذرية
جبهته نشيشا كنشيش الطير فقال سبحانك ما هذا فقال الله تعالى يا آدم
هذا تسبيح خاتم النبيين وسيد ولدك من المرسلين وكان نور محمد
صلى الله عليه وسلم يرى فى غرة آدم عليه السلام كالشمس وعن ابن عباس
على باب الجنة مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله لا اعذب من قالها
وعن بعض من دخل بلاد الهند انه وجد فيها وردا احمر مكتوبا عليه بالابيض
لا اله الا الله محمد رسول الله وعن عبد الله بن صوحان عصفت بنا ريح
ونحن فى لجج بحر الهند فارسينا فى جزيرة فرأينا فيها وردا احمر ذكى الرائحة
طيب الشم وفيه مكتوب بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله ووردا
ابيض مكتوبا عليه بالاصفر براءة من الرحمن الرحيم الى جنات النعيم

مدفن ابي مدين

لا اله الا الله محمد رسول الله وعن بعضهم اتيت بسمكة فرأيت في احدى
شحمتي اذنيها لا اله الا الله وفي الاخرى محمد رسول الله قلت وحدثني جماعة
من اهل قريتنا العباد مدفن ولي الله ابي مدين شعيب خارج تلمسان المحروسة
وفيهم جماعة من طلبة العلم انهم وجدوا بالموضع المذكور واظن ذلك في سنة
سبع وثمانمائة بطيخة صفراء فيها خطوط شتى بالابيض خلقة ومن جملة الخطوط
كتب بالعربي في احد جانبيها الله وفي الاخر احمد قالوا والخط بين لا يشك فيه
عالم بالخط كما حدثوني ايضا هم انفسهم انهم وجدوا بالموضع المذكور
واظنه في السنة المذكورة او في غيرها قريبا منها ورقة من ورق الشجر المسمى
في المغرب بحب الملوك وهو ورق يشبه ورق الزيتون والرمان الا انه اكبر منه
وهو اخضر اللون ويصفر عند اوان سقوطه من شجره قالوا وجدنا الورقة
قد دخلتها الحمرة لقربها وان الاصفرار فيها مكتوب في احد وجهيها محمد فاذا
قلبت قرئ كما يقرأ لو كتب في صفحة كاغد كما حدثني بعض الجماعة المذكورة ان
بعض عمال هنين ثغر من ثغور تلمسان المذكورة اتى في اخريات العشر الاخيرة
من المائة الثامنة بسمكة مكتوب في احد جنبيها بخط ابيض لا اله الا الله
وفي الاخر محمد رسول الله فبادر اليها العامل واكلها تبركا فرفع الامر
الى سلطانه فعزله الا ان يكون طالعه بامرها حتى يكتب بها رسوما وكان السلطان
من اهل العلم ثم اني لقيت العامل فاستطعمته الخبر فقال لي انما وجدت في احد
الجانبين الله وفي الاخر محمد قال وكانت السمكة زرقاء على صفة السمك
وسمى لي نوعها غير اني انسيتها قال لي والخط بالابيض ابين ما يكون
ثم حدثني من لا اتهمه بكذب ان بعض الناس وجدوا في قرية من قرى هوارة
من عمالة تلمسان في سنة تسع وثمانمائة حبة عنب مكتوبا فيها بخط بارع
خلقة محمد وحدثني بعض العدول من العلماء انه رأى حبة فول ايضا مكتوبا
فيها بخط بارع بلون اسود محمد وكنت اسمع عن الشيخ الفقيه الصالح الولي
ابي عبد الله محمد بن فاتح الساكن بقرب تونس نفع الله به انه لا يريد ان يتناول
حجرا وفيه اسم محمد مكتوبا الا وجده ثم اني اخذت نفسي بتأمل الاحجار فلقيت

على

تفاضل الخلق نبينا
افضلهم صلوات الله
وسلامه عليه
وعلى اله

على كثير منها في غير موضع من الارض وفيه الاسم الكريم مكتوبا فنسأل الله جل جلاله
بفضل هذا الاسم الكريم ان يتداركنا برحمته وبالتوبة الصادقة التي لا بعدها
معصية وبالممات على محبته ومحبة اهل بيته واصحابه واتباع سنته وصلى الله
على سيدنا محمد واله وسلم قلت ومن هذا ما ذكر القاضي في الشفاء ان مولودا
ولد في بعض البلاد وعلى احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الاخر
محمد رسول الله وهذا جرى بالساحل فان قلت ظاهر قوله سيد الكونين
وتفسيره باهل السموات والارض يشمل الملائكة فيكون صلى الله عليه وسلم
افضل من الملائكة كلهم قلت نعم وانه اعني الانبياء عليهم السلام افضل من الملائكة
عليهم السلام لمذهب اكثر ائمتنا واهل السنة رضي الله عنهم والشيعة
واكثر الناس وذهب القاضي ابو بكر من اصحابنا والفلاسفة والمعتزلة الى ان
الملائكة افضل ونقل بعض المحققين من المتاخرين انه لا نزاع في ان الانبياء
افضل من الملائكة السفلية وانما النزاع في العلوية فقال الاكثر من اصحابنا الانبياء
افضل وعليه الشيعة وقال الحليمي منا والمعتزلة الملائكة افضل وعليه
الفلاسفة ونشير الى بعض ادلة الفريقين ونكل استقصاء ذلك لعلم الكلام
فاحتج اصحابنا بامرهم بالسجود لآدم والسابق للفهم امر الادنى بالسجود للاعلى
لا يقال هو سجود تعظيم لان قوله ارايتك هذا الذي كرمت علي
يدل على انه ايجاد تكرمة وبتعليم ادم الاسماء والعالم افضل من غيره لدلالة
السياق ولقوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
وبان الانسان عوائق عن العبادة من الشهوة والغضب والحاجة فعبادته اشق
فتكون افضل لقوله صلى الله عليه وسلم افضل العبادة احمزها اي اشقها والملتبس
بالافضل افضل واحتج الخصوم بان الملائكة كاملون بالفعل لانهم ارواح مجردة
بخلاف السفليات والتام اكمل من غيره وبان الروحانية نورانية والجسمانية مركبة
من المادة الظلمانية والصورة وبان الروحانية اعلم لاحاطتها بما في الالواح
وبما سيكون وبالامور الغائبة وعلومهم كلية امنة من الغلط والجسمانية
بخلافه والجواب ان هذا مبني على القواعد الفلسفية التي لا نقول بها ولا نسلمها

واحتجوا ايضا بقوله تعالى ولا اقول لكم اني ملك فاخبر انه ارفع واجيب بانه
جواب لمستعجلي الهلاك تهكما اي لست كالملك فاعلم متى يترك العذاب ولست في
قوتي فاقلب عليكم قريتكم كما فعل جبريل عليه السلام بمداين قوم لوط
فاين الافضلية وبقوله تعالى الا ان تكونا ملكين فاكلا لحصول الافضل واجيب
باحتمال ان يريا الملئكة احسن صورة واعظمها فظنا الكمال في ذلك
وبقوله تعالى والملئكة المقربون اذ لا يقال انا لا اقدر على هذا ولا من هو ادنى
مني واجيب بان النصارى استعظموا عبودية عيسى مع انه لا اب له فالزموا كون
الملئكة آلهة احرى اذ لا اب لهم ولا ام والاحتجاج من الجانبين كثير والغرض
الاختصار وقوله الثقلين من عطف الخاص على العام لدخولهما في اهل الارض
نحو وملئكته ورسله وجبريل وميكال وكذا قوله والفريقين لدخولهما
في الثقلين وحسن هذا الاطناب وكانه قصد بهذا التدريج في التفصيل نظيرما في
الحديث الذي يروى ان الله خلق الخلق فاختار منهم بني آدم ثم اختار
من بني ادم العرب ثم اختار من العرب بني هاشم فاختارني من بني هاشم فلم ازل
خيارا من خيار وقوله من عرب ومن عجم بيان للفريقين خاصة ولا يصح
ان يكون بيانا للكونين وما عطف عليه لانه تكرار بلا فايدة واخراج الملئكة
من التفضيل وهو مذهب الاقل كما تقدم واخراج للجن منه ايضا لا وجه له وقوله
نبينا الامر الناهي البيت وصفه صلى الله عليه وسلم في هذا البيت بانه نبي
وآمر وناهي صادق فيما يخبر عنه من نفي او اثبات وهو الذي عبر عنه بقوله فلا
احد ابر في قول لا منه ولا نعم اي لا اصدق منه في الخبر الذي يخبر عنه بقوله لا
وهو المنفي وفي الذي يخبر به بنعم وهو المثبت ووصفه بانه امر ناه قايم مقام
وصفه بانه رسول لانه الآمر الناهي وقد تقدم معنى النبي لغة ولا بد
من بيان معناه ومعنى النبوة شرعا ومعنى الرسول ايضا وبيان ما قيل في الوصفين
من التساوي او الفرق قال القاضي عياض رحمه الله النبوة في لغة من همز
من النباء اي الخبر وقد لا تهمز تسهيلا والمعنى ان الله اطلعه على غيبه واعلمه
انه نبي فيكون فعيل بمعنى مفعول اي منبأ او بمعنى فاعل اي مخبر عن الله بما بعثه به

واطلعه

واطلعه عليه وعند من لم يهمز من النبوة اي ما ارتفع من الارض ومعناه المرتبة
الشريفة فالنبي من له مرتبة شريفة منيفة عند مولاه فالوصفان مؤتلفان
واما الرسول فمعناه المرسل ولم يات فعول بمعنى مفعول الا نادرا وارساله
امر الله له بالابلاغ للخلق واشتقاقه من التتابع بمجاء الناس رسلا اي تبع بعضهم
بعضا كانه الزم تكرار التبليغ او الزمت الامة اتباعه وقيل النبي والرسول
مترادفان وقيل اجتمعا في النبوة بالمعنيين المتقدمين وزاد الرسول بالامر بالانذار
وقيل زاد بمجيئه بشرع مبتداء ومن لم يات به فنبي غير رسول وان امر بالابلاغ
والانذار ومذهب الاكثر ان كل رسول نبي ولا عكس واول الرسل آدم
وآخرهم محمد صلى الله عليهم اجمعين وسلم وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه
الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والرسل منهم ثلثمائة وثلثة
عشر اولهم آدم قالوا ويخرج عددهم من اسم محمد صلى الله عليه وسلم
ثم النبوة والرسالة ليستا ذاتا للنبي ولا وصف ذات بل تخصيص الله اياه بذلك
خلافا للكرامية وقال القرافي يعتقد كثير ان النبوة مجرد الوحي وهو باطل
لحصوله لمن ليس بنبي كمريم عليها السلام وليست بنبية على الصحيح مع انه تعالى
يقول فارسلنا اليها روحنا الاية وان الله يبشرك وفي مسلم بعث الله
ملكا لرجل على مدرجته كان نخرج في زيارة اخ له في الله تعالى وقال له ان الله
يعلمك انه يحبك لحبك لاخيك في الله وليس بنبوة لانها عند المحققين ايحاء لبعض
بحكم انشائي يختص به كقوله اقرا باسم ربك فهذا تكليف يختص به في الوقت
فهذه نبوة لا رسالة له فلما نزل قم فانذر كانت رسالة لتعلق هذا التكليف
بغيره ايضا فالنبي كلف بما يخصه والرسول بذلك وبتبليغ غيره فالرسول
اخص مطلقا فقول الناظم الامر الناهي اراد به وصفه بالرسالة كانه قال
نبينا الرسول وعبر بالآمر الناهي لانهما ملزومان للرسالة وكلما وجد الملزوم
وجد اللازم فهو شبه الاستدلال على رسالته وتنبيه على ان النبي لا يكون
رسولا بمجرد وصف النبوة بل حتى يؤمر بالانذار وذلك بالامر والنهي فهو
ممن يرى ان الرسول اخص وقوله فلا احد ابر البيت مدح له بانه صلى الله عليه وسلم

اكثر الخلق طاعة لامتثال اوامر الله سبحانه واجتنابا بنواهيه وانه ان امر بطاعة كان هو اول مبادر اليها وفاعلا منها اكثر مما يفعل غيره وانه ان نهى عن معصية كان هو اول المجتنب لها واذا كان الامر الناهي كذلك كان ابر الناس واصدقهم سرا وعلانية اذ وافق فعله قوله واذا كان يامر ولا ياتمر وينهى ولا ينتهي كان ان افجر الناس واخبثهم قال الله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانما اتى بالفاء في قوله فلا احد لانه كالنتيجة عما قدم في اوصافه من قوله سنة من احيى الظلام الى هنا وقوله وكيف تدعوا البيت اعترض فكانه يقول لما اجهد نفسه صلى الله عليه وسلم في عبادة ربه غاية الجهد كما تقدم مع انه المغفور له انتج ذلك ان لا احد ابر منه في امر ونهي فكذا ينبغي ان تكون سنة الامر بالمعروف والناهي عن المنكر لا كامر يا نا ونهي الذي خالف فيه القول الفعل ولذا قال استغفر الله من قول البيت واما قوله في قول لا منه ولا نعم فيحتمل ان يكون معناه لا احد اصدق منه في الخبر المنفي والمثبت كما تقدم وكنى عن الموجب بنعم وعن المنفي بلا وذلك اما باعتبار الخبر بالاطلاق او باعتبار الخبر عن الثواب والعقاب ونفيهما واذا اخبر عن ثواب وعقاب فهو اصدق الناس في خبره ولذلك قد يفعل ما يحتاج اليه منه ويترك كثيرا مما يحتاج اليه رغبة فيما عند الله كجبال الذهب واما باعتبار ما يعد به صلى الله عليه وسلم طالب الحاجة منه فان قال له فليس الا ذلك وان قال نعم فهو كذلك الا ترى في مبايعته الاعرابي ووعد اياه ان ينتظره في مكان الى ان ياتي فاتاه بعد ثلاث وهو صلى الله عليه وسلم ينتظره في مكانه وقال له لقد شققت علي فان قلت لا مدخل للا هاهنا فانه صلى الله عليه وسلم ما سئل حاجة قط فقال لا على في حديث جابر وكذا ايضا ما ثبت انه صلى الله عليه وسلم ما رد طالب حاجة منه الا باعطاء او وعد وكثير من هذا المعنى قلت امتناعه من قول لا في حوايج الدنيا التي فيها طاعة او لا معصية فيها واما من سأل منه معصية فلا يجيبه الا بلا كما قال لابن الطفيل العامري لما سأله اقتسام الوبر والمدر او يجعل له الامر من بعده وكذا لمسيلمة حين قال

لو سالني هذا واخذ شيئا من الارض وفي الصحيح انه اشار الى جريدة كانت في يده يتكاء عليها ما اعطيتكه وهو كثير وانما اراد الناظم ما لا معصية فيه ويحتمل ان يكون كنى بلا عن النهي لانه مطلوب النفي كما تقدم كما ان لا للنفي وبنعم عن الامر لانه مطلوب الثبوت كما ان نعم للايجاب فيرجع لا للناهي ونعم للامر والكناية بلا عن النهي ظاهرة لانها للنفي ولانها من حروفه واما نعم فحسن الكناية بها عن الامر وان كان معناها ما تقدم في الغريب ما ذكر ولان فيها مطابقة للا ولانها توجب الكلام طلبا كان او خبرا والامر نقيض النهي والنهي نفي فنقيضه ايجاب فان قلت اذا كانا كناية عن الخبر بالاطلاق فمقتضى لفظ الناظم انه صلى الله عليه وسلم اذا اخبر عن خبر بعدم وقوعه بصيغة لا او ما يساويها اذ النظر هنا للمعنى لا للفظ وانما اقتصر على لفظ لا لانها الاكثر في ذلك والاختصار لفظها ولما قصد من المطابقة بها لفظ نعم الذي اضطره اليها القافية حتى كنى بها عن الامر كما قلته في الوجه الاخر فما وجه قوله صلى الله عليه وسلم لذي اليدين لما قال له اقصرت الصلوة ام نسيت كل ذلك لم يكن بالنفي الكلي مع انه قد كان بعض ذلك وهو النسيان كما قال ذو اليدين فاجابه بالكلي الجزئي قلت هذا الحديث عنه اجوبة شتى وللناس فيه كلام طويل واقرب ما اختاره هنا في الجواب ان اقول ان الصادق هو كلامه صلى الله عليه وسلم اما القصر فظاهر انتفاؤه واما النسيان فلان ذو اليدين نسبه اليه نسبت بقوله وقد قال صلى الله عليه وسلم اني لا انسى على رواية النفي ولكن انسى لاسن فصح قوله كل ذلك لم يكن اي ما اخبر عنه ذو اليدين من النسيان الذي ينسب من صدر عنه الى تقصير وتفريط وغفلة عن الله لا سيما في حال مناجاة حضرة القدس وهي حال الصلوة اي اني لم انس نسيانا غير بل نسياني رحمة لما فيه من الاستنان ونسيان غيري نقمة نسوا الله فانساهم انفسهم فان قيل وبم تجيبون عن ما رويتم في الصحيح من قضية الاشعريين حين استحملوه فقال والله لا احملكم ثم لما اتى بذود غر الذرى فدعاهم وحملهم وقالوا استغفلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حلف ان لا يحملنا ثم نسي وحملنا قلت جوابه انه

اقصرت الصلوة ام نسيت

صلى الله عليه وسلم قال انا انا حملتكم ولكن الله حملكم لا يقال لا يتم هذا الجواب
اذ لا يصح الحلف من احد فان الله تعالى هو خالق الافعال كلها لانا نقول
انما امتنع من حملهم لكونهم لم يجدوا عنده صلى الله عليه وسلم شيئا يحملهم
فمعنى والله لا احملكم اى لا شيء معى من الرواحل زايدا على ما استحق منها احملكم
عليه فلما اتى منها ما اتى حملهم وقال انا انا حملتكم بل الله او يقال ان لفظ البر فى
قوله لا احد ابر من البر الذي هو فى مقابلة الفجور فيكون اعم من الصدق وهو
صلى الله عليه وسلم بار فى مخالفة قوله لا فى الحديثين جميعا لانه فى الاول سن
لامته فلا فيما بقى على من سلم من الصلوة معتقدا التمام مع القرب وان التكلم
لا يبطل البلا فى وسن لهم ايضا رجوع الامام الى عدلين وسجود السهو
وغير ذلك مما يطول عده وفى الثانى جواز القدوم على الحنث والتكفير اذا
كان فى تركه حلف عليه فضيلة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فى اخر الحديث
وانى والله ان شاء الله لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا كفرت عن يمينى
واتيت الذى هو خير • على ان الناظم لم يقل ان قال صلى الله عليه وسلم لا او نعم
لم يكن فى نفس الامر الا موافقتها بل قال لا احد ابر منه فى مقتضاها الا بما ان
اراد بلا او نعم الوعد فانه قد لا يقدر وقوع الشيء الموعود به كقوله لليهود لما سألوه
عن لبث اهل الكهف غدا اجيبكم فتاخر الوحى بضعة عشر يوما فنزل قوله تعالى
ولا تقولن لشىء الاية وما قاله بعضهم من ان امثال هذه الاجوبة انما يحتاج اليها
ان قيل ان الصدق ما وافق ما فى نفس الامر والكذب نقيضه واما على قول من يفسر
الصدق بمطابقة اعتقاد المخبر والكذب بمخالفة اعتقاده فهذا كله صدق
انما جرى فيه على ما نقل صاحب التلخيص واما ابن الحاجب فنقل التفسير الثانى قولا
للقائلين بالواسطة فان الجاحظ ومن وافقه من المعتزلة على اثبات الواسطة
بين الصدق والكذب يجعلون ما طابق اعتقاد المخبر ان لم يطابق ما فى نفس الامر
ليس صدقا ولا كذبا ويمكن ان يقال لم يرد الناظم ان كل لفظة بلا فان قول
القائل لا تارة يكون جواب قول القائل اعطنى او انطق وهذه مذمومة وتارة جوابا
المنعنى او يحرمنى وهذه محمودة فقوله ابر فى قول لا منه اى فى قول لا المحمودة

واما

واما المذمومة فيجوز الحلف فيها فيجوز مع انه لا تصدر منه صلى الله عليه وسلم الا
فى محالها لكن يرى الافضل فى تركه مقتضاها كما فى حديث الاشعريين ومن هذا المعنى
قول الشاعر ابى وجوده لا البخل واستعجلت به نعم من فتى لا يمنع الجود
قاتله فانه يروى قوله البخل بالنصب والجر فالجر على اضافة لا اليه والمعنى ابى
جوده النطق بلا التى للبخل ومفهومه ان التى للجود لا ياباها واما النصب فعلى
ان يكون البخل بدلا من لا او عطف بيان او مفعولا من اجله على حذف مضاف
اى كراهة البخل وعلى النصب فالمعنى انه لا ينطق بلا قط لئلا يقع فى البخل وفهم
العلة يقتضى انها لم يكن فيها بخل فلا يمتنع من النطق بها وعلى التقديرين فلا بد
من تخصيص لا بالتى للبخل والمعنى الذى قصده الناظم اشمل من هذا واجمع وكذا
هو اجمع واصح وامدح من قول من مدح انسانا بالكرم فقال ما قال لا قط الا
فى تشهده ولا نعم قط الاجابات النعم فان هذا يقتضى انه لا ينطق بلا الجود والبيت
الاول وجد فيه فى نسخة مظنون بها الصحة من الصحاح للجوهرى لفظة الجوع
بدلا من الجود بالعين مكان الدال وقال بعض من طرز على هذا المحل
ان المعنى لا يمنع الجوع قاتله وهو الخبز اى لا يمنع الخبز وهذا كما ترى
ليس فيه كثير بلاغة فى المدح بالنسبة الى معنى لفظ الجود بالدال لان المعنى معها
لا يمنع هذا الممدوح الجود قاتله اى لو قدرنا ان شخصا ضربه فانه قد تقع
ثم اتى ضاربه يسال هذا المضروب والممدوح ان يجود عليه بشى يطلبه منه لما
منعه اياه مع علمه بانه هو الذى تعمد مقاتلة فيوافق فى المعنى قول الاخر شعر
هو البحر من اى النواحى اتيته • فلجته المعروف والجود ساحله • فلو لم يكن فى كفه
غير نفسه • لجاد بها فليتق الله سائله • وهذا معنى بليغ فى المدح بالجود فاين
هو مما يفيده لفظ الجوع بالعين وفاعل يمنع ضمير فتى والجود مفعوله الاول
وقاتله الثانى وبالدال وجدته فى بعض نسخ الجوهرى وفى نسخ مظنون بها
الصحة من ابن عطية عند قوله تعالى ما منعك الا تسجد وتامل اعرابه فقوله
من فتى والاولى ان تكون صفة او حالا من نعم اى صادرة نعم المستعجلة به
من فتى شانه هذا واذا صدرت نعم من الجواد الموصوف بهذه الصفة لم يتخلف

الحبيب

مرتبته الدنيوية صلى الله عليه وسلم والاخروية

مقتضاها والله اعلم قوله هو الحبيب البيت الظاهر ان الحبيب فعيل بمعنى
مفعول اى المحبوب ويحتمل ان يريد مع ذلك ان محبه هو الله سبحانه ويحتمل ان
يريد امته فان كان الاول فمحبة الله عبده تخصيصه اياه بالمراتب الشريفة
فى الدنيا والاخرة ولا شك فى ثبوت ذلك له صلى الله عليه وسلم اما اولا
فلانه جعله خير خلقه وملكه فى الدنيا مشارق الارض ومغاربها وكان النبى
يبعث الى قومه خاصة وبعثه صلى الله عليه وسلم الى الثقلين والى الاحمر
والاسود ثم لم يستعمله فى الدنيا الا فيما يوجب له زيادة الدرجات
العلى فى الاخرى وقال له سبحانه ولسوف يعطيك ربك فترضى
فهو محبوب فى الدارين ومقرب فى الحالين صلى الله عليه وسلم تسليما
وان كان الثانى فلا شك انه لا يبلغ احد حقيقة الايمان حتى يكون الله
ورسوله احب اليه مما سواهما كما روينا فى الصحيحين وفى الصحيح ايضا
لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين
وقال له عمر لانت احب الى من كل شىء الا نفسى التى هى بين جنبى فقال صلى الله
عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذى
انزل عليك الكتاب لانت احب الى من نفسى التى بين جنبى فقال الان يا عمر
وقال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم الاية وقال قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعونى يحببكم الله وقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وتقدم
تفسير المحبة وهى اسباب فى حق محبة البشر مثلا يجمعها الميل الى بواعث الحب
وهى كلها متوافرة فيه صلى الله عليه وسلم منها حسن صورته وخلقه وخلقه
وعموم احسانه فاذا كان الانسان يحب من اسدى اليه معروفا او انقذه
من هلكة ولو يوما فكيف لا يجب محبة من منح الله على يديه ما لا يبيد من النعم
ونجى به مما لا يفنى من الجحيم واذا احب بطبعه ملكا لحسن سيرته او حاكما
لاستقامة طريقته او عالما لما يشاء من علمه او صالحا لكثرة طاعته فمن جمع
هذه الخصال على الكمال اولى بالمحبة قال على رضى الله عنه فى صفته صلى الله
عليه وسلم من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه هذا مع ما اعد

لمحبه

لمحبه من الثواب من ذلك ما فى حديث انس رضى الله عنه من قوله صلى الله
عليه وسلم من احبنى كان معى فى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم
للذى قال انا احب الله ورسوله انت مع من احببت وقال لصفوان
بن قدامة حين قال له يا رسول الله انى احبك فقال المرء مع من احب
جعلنا الله من المحبين لله ولرسوله بمنه وامامنا على ذلك وحشرنا
عليه بكرمه ويحتمل على بعد ان يكون الحبيب بمعنى الفاعل بمعنى انه محب لله
تعالى ولامته اما الاول فهو صلى الله عليه وسلم محب لله ومعنى محبة العبد
ربه التزام طاعته وامتثال اوامره واجتناب نواهيه ولرسول الله صلى الله
عليه وسلم المنزلة العليا فى ذلك وكفاك فى هذا قول عائشة رضى الله عنها
لما سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن فهو لا يتحرك
ولا يسكن ولا يتنفس ولا يحكم الا بموافقة القرآن وهذا الجمع دليل فى
هذا المعنى وقالت ايضا ايكم يطيق عمله كان عمله ديمة وكان صلى الله عليه وسلم
اذا عمل عملا من الطاعة اثبته واما محبته لامته فيكفى فى ذلك شهادة الله
سبحانه له بذلك وقال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه
ما عنتم حريص عليكم الاية وحسبك بحب ونعم المحب الحبيب ان الرسل
صلوات الله وسلامه عليهم يقول كل منهم فى المحشر عند حاجته كل حبيب الى حبيبه
نفسى نفسى وهو يقول صلى الله عليه وسلم امتى امتى وقوله الذى ترجى
شفاعته انما اقتصر على هذا الوصف فى هذا المقام تنبيها على اضافة بعض
الاوصاف الموجبة لان يحبه امته او التى يستدل بها على انه محب فيهم على
التفسيرين وانما خصه بالذكر لانه الاهم والمقصود الاعظم فان جميع
ما يغنى ودفع ضر لا يدوم الامر فى ذلك يسير واما المعتبر حق الاعتبار
فالنفع بمابيد ومرود فع ضر ان حصل قد لا يزول وهذا هو الحاصل لنا
ان شاء الله تعالى بمنه وفضله بشفاعة هذا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم
ولا حرمنا شفاعته ثم قول الناظم لكل هول من الاهوال المقتحم اى مدخول فيه
كهايد لانه اراد جميع يؤمل منه صلى الله عليه وسلم من الشفاعات الى العامة

كما قال بعضهم وشفاعاته صلى الله عليه وسلم كثيرة منها العظمى التي لا خلاف
انها ثابتة وخاصة به صلى الله عليه وسلم وهي في الاراحة مما يصيب
الخلايق من كرب الموقف حسبما ذلك معلوم مشهور في الصحيح من الاخبار وفي
للجن والانس والمومن والكافر ومنها شفاعته في قوم يدخلون الجنة بغير حساب
واخرى في اخراج اهل الكباير من امته من النار وادخالهم الجنة واخرى
في قوم حوسبوا واستوجبوا النار ان لا يدخلوها ويدخلون الجنة
واخرى في زيادة درجات في الجنة قيل واخرى في تخفيف عذاب بعض الكفار
كابي طالب وزاد بعضهم اخرى عند الصراط وعند الميزان فان قلت قوله
هو الحبيب بتعريفي المبتدا والخبر يوذن بالحصر فان جعلت الذي نعتا للحبيب كان
الحصر فيه انه لا حبيب ترجى شفاعته الا هو وليس كذلك لما ورد في الاخبار ان
الملايكة تشفع والانبياء والمؤمنون والقرآن بل يشفع من لا يشفع غيره فانه
لم تكن الشفاعة العامة كما حكيت عن بعضهم فما الجواب وان جعلت التي خبرا ثانيا
لزم حصر الشفاعة فيه ايضا باعتبار هذا الخبر ولزم من حصره في الخبر الاول
ان لا حبيب الا هو وليس كذلك قلت الظاهر ان الذي نعت والحصر المستفاد من التعريف
ان سلم انما هو باعتبار الشفاعة على اختلاف انواعها المتقدمة ولا
ثبت كذلك الا له صلى الله عليه وسلم ولا يراد العامة التي هي للاراحة
من الموقف لان قوله لكل هول يرده اذ هو ظاهر في العموم نعم ان اراد بالعامة
اي التي تشمل جميع الانواع فيصح كلامه الا ان عرف العلما في العامة هي التي في
الموقف ويحتمل ان يكون الحصر فيه باعتبار المحبة او الشفاعة او كليهما مبالغة
في المدح اي الكامل في تلك الرتبة ورويناه في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم
قال لكل نبي دعوة فتعجل كل نبي دعوته واني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي
يوم القيمة فهي نايلة انشاء الله تعالى من مات من امتي لا يشرك بالله شيئا
فجزاه الله عن امته افضل ما جزا به نبيا قوله دعا الى الله اي الى توحيده
كما يجب وطاعته والاقرار له صلى الله عليه وسلم بالرسالة كما يجب وطاعته
فيما يكلف به وهذه الدعوة اما صريحا كما في حق من شافههم بها واما حكما كما في حق

من لم يره لان الله تعالى امره بذلك فقال يا ايها المدثر قم فانذر ويا ايها
الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الاية ونحوه كثير وقال صلى الله عليه وسلم
مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل بنى دارا وصنع مادبة وامر داعيا يدعو
الناس الى تلك الدار فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة ومن لا فلا
فالدار الجنة والباني الله جل جلاله وتقدست صفاته واسماوه والداعي
محمد صلى الله عليه وسلم والمادبة ما فيها من النعيم المقيم وقال صلى الله عليه وسلم
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم
واموالهم واعراضهم الا بحقها وحسابهم على الله وقال صلى الله عليه وسلم
انما مثلكم كالفراش تقتحمون الدخول في النار وانا اخذ بحجزكم عنها وثبت في
في الصحيح وغيره من حرصه صلى الله عليه وسلم على هداية امته واجتهاده في دعايهم
الى الله تعالى ما هو معلوم لا يحتاج الى دليل وكفاك قوله تعالى لعلك باخع
نفسك الا يكونوا مومنين وقوله تعالى انك لا تهدي من احببت وقال
صلى الله عليه وسلم لملك الجبال حين اخبره ان الله امره ان يطيعه وقال له
ان شيت ان اطبق عليهم الاخشبين لا بل ادعوهم يوما واتركهم يوما
لعل الله تعالى يخرج من اصلابهم من لا يشرك بي شيئا وانما لم يذكر الناظم
المدعو ليفيد العموم في المدعو لان تقدير مدعو معين دون آخر مما لا يصلح
للدعاء ترجيح من غير مرجح ولما كانت رسالته صلى الله عليه وسلم عامة كان
دعاوه عاما وقوله فالمستمسكون به اي بدعائه اي بمدعوه اي الذي
يدعو اليه وهي سنته صلى الله عليه وسلم من الايمان وما يتفرع عنه والمعنى
فالذين اعتصموا بما دعا اليه اعتصموا بحبل اي بعهد غير منفصم وانما اتى
منفصم بالفاء لانه اضعف من ذي القاف ونفي الاضعف يستلزم نفي الاقوى
ولا ينعكس وانما قال المستمسكون ولم يقل فالمجيبون له وان كان انسب في
الدعاء تنبيها على ان مجرد الاجابة بالقول ونحوه لا يكفي في التمسك بسنته
وفي النجاة من المهالك بل لا بد من الاعتصام بما جاء والاستمساك به كما يفعل من صعد
من هواة في تعلقه بالحبل والتزامه به وان تقصر في الاستمساك وفارق الحبل و

ولو مره هوى والاشارة بهذا الى قوله صلى الله عليه وسلم تركتم فيكم شيئين
لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي وفي رواية وعترتي عضوا عليها
بالنواجذ وفي قوله الى الله اشارة الى صحة ما ادعاه من ان المستمسك به مستمسك
بما لا ينفصم قل هذه سبيلي ادعو الى الله وفيه اشارة ايضا الى انه مؤيد
بالمعجزة الدالة على صدقه والا لما كان داعيا الى الله بل الى سبيل الطاغوت
كالمتنبي من الناس ولذا اتى بالفاء في فالمستمسكون ايذانا بان هذا
الاستمساك يستحق ان يكون لانه مسبب الى الله تعالى المعاني المراد بالاستفهام
بكيف الاستبعاد او الانكار نحو كيف تكفرون وكيف يحكمونك الاية او النفي
وحذف مفعول تدعو تنزيلا له منزلة اللازم تنبيها على ان المستعد بتصور
حقيقة هذا الدعاء لا تعلقه بمفعول او لتضمينه معنى تميل كما تقدم او
اختصارا للعلم به على ان المراد النبي صلى الله عليه وسلم واسناده الى ضمير الضرورة
من المجاز العقلي والبيت كله كالتذييل لقوله ان الضرورة البيت وعبر بالموصول
به الى ذكر الصلة التي هي علة حكم الاستبعاد واوقع الظاهر موقع المضمر
وهو لفظ الدنيا الثاني اما للتعظيم اي الدنيا العظيمة بكمالها فكيف ببعضها الذي
هو الذهب واما للتحقير وهو ضده وفي التصريح باسمه صلى الله عليه وسلم
بعد ان كنى عنه بصفاته الايضاح بعد الابهام وهو من الاطناب ومن فايدته
ان النفس عند ذكر اوصاف عظيمة لم يذكر معها الموصوف تشتاق الى ذكره
وتتالم لعدم علمها به فاذا ذكر التذت بها والتذ تاكره لو بين ابتداء ولذا قيل
لحاصل بعد الطلب الذ من الحاصل بلا تعب وهو من الاستيناف البياني كانه قيل
من هذا المتصف بهذه الصفات العظيمة فقال هو محمد وقال بعضهم اسقط
حرف العطف من قوله هو محمد لتعين الفصل ولا توصل هذه الجملة اذ لا يتعدد
ما يتوهم عطفها عليه الا كيف ولا يصح لان جعلها انشائية وهذه خبرية او قولا
ولا يصح لانها صلة او المعطوف على الصلة في حكمها وهذه حالية من ضمير
الموصول فلا تصح لذلك انتهى وتحقيق ما ذكرت لك من ان فصلها للقصد الى الاستيناف
وفي هذا البيت نوع من الاطناب لان فيه عطف الخاص على العام وفي قوله

والثقلـ

والثقلين لدخولهما في الكونين وفي قوله والفريقين لدخولهما في الثقلين
ومن الاطناب ايضا اجمال الفريقين ثم تفسيرهما بعرب وعجم وهو ايضا
من التوشيع وتقدمت حقيقته وتعريف الكونين والفريقين والثقلين
للعهد بل والاضافة في نبينا للتشريف وتقديم لا في قول لا على منه للضرورة
والفصل في جملة نبينا الامر مثله في البيت قبله ان جعلت نبينا خبر مبتداء
وتقديم المسند اليه في هو الحبيب للاختصاص مبالغة لا حقيقة او للقرب بما يعقب
تقديمه مع الفعل من تقوى الحكم وتقدم ما في تعريف المبتدأ والخبر والتعبير
بالموصول في الذي ترجى شفاعته لافادة تعليل الحكم وجملة دعاء
يحسن فيها الوصل لصحة عطفها على ترجى والفصل لوجوده اما انها مستانفة
لقصد تعليل كونه حبيبا والا لان عطفها على الاسمية لا يناسب واما الغير ذلك
واختصار فصلها لانه ابلغ على ما لا يخفى ولافادته شيئين وحذف مفعول
دعا اما ايجاز للعلم به او تنزيلا للمتعدي منزلة اللازم لقصد العموم
وهما كالمتداخلين وعطف فالمستمسكون بالفاء اما لانه نتيجة
الدعاء الى الله واما للتنبيه على محذوف فاتى بمعجزة فالمستمسكون نحو
ان اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق فان قلت لم لم يقل
الداعي الى الله فياتي بالاسم الدال على الثبوت كالاوصاف قبله ولم لم يقل
فالذي تمسك كما قال الذي ترجى قلت لو قال الداعي لتوهم قصور
ذلك عليه صلى الله عليه وسلم وانما هو من جملة من دعا ولما في الفعل من
التجدد فيتصور السامع ما كان يتكرر منه من الدعاء مع ما كان يلحقه
فيه من المشقة لا يقال يلزم مثل الامرين في الامر الناهي فانه يفضل الامر
وتكرر ذلك منه لانا نقول التجدد فيها ليس بمقصود لانه لا يامر ولا ينهى
الا بعد ثبوت نبوته وحينئذ يتقبل منه جميع ما يصدر منهما ولا مشقة عليه
في القائهما حينئذ فكانهما من صفاته واما الاول فلان شريعته صلى الله عليه وسلم
لما نسخت ساير الشرايع وهي لا تنسخ لانه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين
كان كونه امرا وناهيا مستمرا لا متجددا والتعبير بالمستمسكين للتنبيه

على لزوم اتباع السنة فى الحال والعزم على استحبابه ذلك دايما ولما كانت
الشفاعة انما تكون فى المستقبل عبر عنها بفعله والتنكير فى بجبل للتعظيم وغير
منفصم من التتميم المسمى بالاحتراس **البيان** جعل الضرورة تدعو من المجاز
المرسل لانها سبب الدعا فهو من اسناد الفعل الى سببه وتقدم فى المعانى
وان قدرت وجود محمد صلى الله عليه وسلم سيد الموجودين يكون فى البيت
الثانى مجاز الحذف وفى قوله لا و نعم ويحتمل ان يجعلا كنايه عن الخبر المنفى
او المثبت وعن غيرهما كما تقدم فى التفسير وقوله بحبل من التشبيه
البليغ لا من الاستعارة لذكر المشبه به وتقدم وجه التشبيه فى التفسير
وحاصله ان الوصف الجامع بين العهد والحبل كون كل منهما سببا يتمسك به
ويتوصل به الى منجا من مهلك **البديع** البيت الاول بكماله والثانى من
المذهب الكلامى وهو ايضا والابيات بعده من الكلام الجامع بين تقدم تقرير
الاحتجاج به وفيه التكرار فى لفظ الدنيا وتقدمت فايدته وجمع الكونين و
الثقلين والفريقين من مراعات النظير وكذا العرب والعجم وفى هدى الطباق
وقوله ومن عجم من التسهيم وكذا ولا ونعم وفى الامر والناهى مراعات النظير
والطباق وفى ابر ولا انعم مراعات النظير وفى الحرفين الطباق وهما من اللف
والنشر المعكوس كما تقدم فى التفسير وفى قوله هول من الاهوال التكرر وكذا
فى قوله فالمستمسكون مستمسكون وفى قوله حبل غير منفصم مراعات النظير
والبيت الخامس من المذهب الكلامى **الاعراب** كيف حال وظرف على القولين
وعامله تدعو والى الدنيا متعلق بتدعو ولام الدنيا واو كما تقدم لانها من الدنو
وانما قلبوها ياء للتخفيف وكذا كل فعلى اسما لا وصفا كالقصوى والعليا لانه من قصوت
وعلوت وعكسوا هذا الحكم فى فعلى اسما لا وصفا فقلبوا ياءها واوا كالتقوى
لانها من وقيت هكذا نقل بعضهم وتامل كلام ابن مالك فى فعلى بالضم فانه
ذكر غير هذا وضرورة فاعل تدعو ومن مضاف اليه موصولة ليس غير وتقدم
فى التفسير احتمال كون ضرورة منونا ومن مفعولا فراجعه لولا حرف امتناع لوجود
والضمير بعدها مبتدا اصله هو وحذفت واوه اضطرارا لحز و رهطك لولاه

لقيت الذى لقوا وما انشده سيبويه من قوله ؞ فيبناه يشرى رحله قال قايل
لمن جمل رخو الملاط نجيب ؞ وخبره محذوف اى موجود ولم تخرج اجواب
لولا والدنيا فاعل تخرج ومن العدم متعلق به وجملة لولا وجوابها صلة
من والعايد المبتداء ويجوز ان يكون الضمير بعد لولا متصلا عند من يجر
ذلك وهو عند المبرد ثم هو مجرور موضع عند سيبويه ولولا عنده
حرف جر ولا يجر الا المضمر ولا يتعلق بشىء وهو مرفوع عند الاخفش والكوفيين
كما وقع ضمير الرفع موقع المخفوض فى قولهم ما انا كانت ولا انت كانا
واقوى الاعاريب فى محمد ان يكون بدلا من ضمير الفاعل فى احى الظلام
او من ضمير لولاه على انه منفصل اذ به يحصل الايضاح بعد الابهام و
فسيد نعت وكذا نبينا والامر والناهى وان جعلت محمدا مبتدا فيما خبران
ومن يمنع تعدد الخبر يجعل نبينا نعتا لسيد او خبر مبتداء او مبتداء
والخبر الامر الناهى او سيد نعت لمحمد ونبينا الخبر او يكون سيد عطف بيان
واما جعله بدلا فضعيف لاشتقاقه او يكون خبر مبتداء محذوف وتكثير الجمل
فى موضع الاطناب كالمدح اولى ووزنه قيل فيعل فاجتمعت الواو والياء وسكون
سابقهما فابدلت الواو ياء وادغم وقال الفراء فعيل واصله سويد فقدمت الياء
ثم قلبت الواو فادغم والكونين مضاف اليه والاسما بعده معطوفات عليه
وعلامة خفضها الياء ومن فى من عرب ومن عجم لبيان الجنس وهى الداخلة على
التمييز وعاملها العامل فيه وهو هنا الفريقين وانظر هل يصح كون المجرورين
حالين او صفتين نبينا الامر تقدم اعرابه ويحتمل ان تكون خبر مبتداء وكذا
كل من الامر والناهى فلا احد الفاء عاطفة جملة على اخرى على بعض الوجوه المتقدمة
احد مبتداء ساغ الابتداء به للنفى ابر خبره ولا ينصرف للوزن والصفة ويجوز
ان يعمل لا عمل ليس فاحد اسمها وينصب ابر خبرها منه متعلق بابر وضمير عايد
على نبينا صلى الله عليه وسلم وفى قوله متعلق بابر ولا مضاف اليه
محكى ولا نعم عطف على لا والاصل ولا قول نعم ولا الداخلة على نعم زايدة
لتاكيد النفى واصل ميم نعم السكون وكسرت لالتقائها ساكنة مع حرف الوصل

الدنيا
واو فعلى اسما يبدل ياءً
لولاه

البدل جامد
وزن سيد
من الجنس للتمييز
نعم

الساكن وهي الياء هو الحبيب مبتدأ وخبر الذي نعت وجملة ترجى شفاعته
صلة ولكل متعلق بترجى ومن الاهوال صفة لهول قال الاستاذ
القصار ومن للتبعيض قلت ويحتمل كونها للبيان اى الذى هو كل الاهوال
الفادحة وحذف الصفة للعلم بها ومقتحم صفة لهول وقدم الوصف بالمجرور
على الوصف الصريح وان كان الغالب عكسه لضرورة الوزن وجملة هو الحبيب
ان جعلتها مستانفة لم يكن لها محل وان جعلتها خبرا فمحلها الرفع وجملة
دعا مثلها والمستمسكون مبتداء وفاؤه عاطفة لجملته على جملة دعا
سببية كما تقدم وال موصولة اى الذين استمسكوا وبه متعلق بالمبتدا
وضميره لنبينا كما ان فاعل الذلك مستمسكون خبر بحبل متعلق به غير منفصم
نعت لحبل ومضاف اليه الاشارات اذا كان ضرورة بنبينا محمد صلى الله
عليه وسلم لا تدعوا الى الدنيا كما ذكر فضرورة من يدعى انه على ملته وداخل
في زمرة امته وهو سالك في طريقته ينبغي ان تكون كذلك قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم
محبة الله تعالى ومغفرته لعباده مشروطة باتباع نبيه صلى الله عليه وسلم
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر
وما اتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا وكيف لا ينبغي ان
يزهد في الدنيا باجمعها وهي لو كانت تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى
الكافر منها شربة ماء قال الله جل ذكره ولولا ان يكون الناس
امة واحدة الى قوله تعالى وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة
عند ربك للمتقين وقال صلى الله عليه وسلم ازهد في الدنيا يحبك الله
وان اعتبر العاقل حق الاعتبار تيقن انه لولا هو لم تخرج الدنيا من العدم
فان الله سبحانه وتعالى انما خلق الدنيا مزرعة ومطية للآخرة ليمتحن فيها
خلقه فيثيب المطيع ويعاقب العاصي الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم
ايكم احسن عملا وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ومن علم ان
الزهد كما اختار المحققون انما يكون في الحلال صبر عنه مختارا او مضطرا

حذف الصفة
وتقديم المجرور اقدم

سنة سيد المرسلين ومن علم ان الزهد كما قال ابن حنبل والثورى وعيسى
بن يوسف وغيرهم قصر الامل لم يلتفت سوى ما هو آيل اليه بل قال بعضهم هذا
من امارته وليس به بل الزهد الثقة بالله مع حب الفقر واجمع ما قيل فيه
قول الداراني الزهد ترك ما يشغلك عن الله وكذا قول الشبلي
هو ان لا ترى سوى الله وقال الفضيل جعل الشر كله في بيت وجعل مفتاحه
حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا والذي
يدل ان الناظم ارشد الى اتباعه صلى الله عليه وسلم في زهده وعادته
انه عاتب نفسه ان لا يكون كذلك بقوله ظلمت سنة الى اخره وقوله
قبله استغفر الله من قول الى آخره فان قلت اذا كان المكلف سببا في
في ايجاد الدنيا كما ذكر فما وجه اختصاصه صلى الله عليه وسلم بذلك
قلت وجه السببية يختلف وهي كلها اسباب مرتبطة بعضها ببعض
فسببيته صلى الله عليه وسلم في ايجادها ليظهر شرفه عند ربه للخلق
وسببية المكلفين لانهم الذين يظهر لهم ذلك وليظهر فيهم اثر القدرة
الكاملة من اختصاص بعض بالسعادة من غير مبالاة واخرين بالشقا كذلك
ولما كانت سببيته صلى الله عليه وسلم لاظهار الشرف على الكل قال محمد
سيد الكونين اى الدنيا والاخرة ولذا قال صلى الله عليه وسلم حياتي
خير لكم ومماتي خير لكم والثقلين اى نوعي المكلفين والفريقين اى خصوصا
صنفي الانسان من العرب والعجم وفي قوله نبينا الامر الناهي اشارة
الى ان اكتساب الشرف لمن يتبع سنته ومن يريد زيادة اختصاصه
انما يكون بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى كنتم خير امة اخرجت
للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ثم اشار
الى انه لا يحسن ذلك حتى يصاحبه الصدق والبرور فاتمروا وانتهى
كما انه صلى الله عليه وسلم لا احد ابر في قول لا منه ولا نعم
فمن امر وائتمر ونهى وانتهى فهو من خير امة اخرجت للناس فانه لم
يامر ولم ينه فهو من امة قيل فيهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه

الزاهد

وان خالف قوله فعله فهو ممن قيل لهم اتأمرون الناس بالبر الاية
ومن حصل هذا الوصف بشروطه استحق ان ينال ما يشبه رتبة نبيه فيقال
كما قيل في نبيه هو الحبيب الذي ترجى شفاعته لان الامرين الناهين هم
العلماء وهم ورثة الانبياء وانما ورثوا منهم هذا النوع ولما لم يكن ميراثهم
مستغرقا لم تكن شفاعتهم لكل هول كما هي شفاعته مورثهم في الخبر ان الناس
يدخلون الجنة فيبقى العلماء فيستأذنون الدخول فيقول
الله لهم انتم عندي كملائكتي اشفعوا ثم ادخلوا ولما كان صلى الله
عليه وسلم بامره ونهيه مقتحما كل هول من الموت فما دونه
لولا عصمة الله كان شفيعا من كل هول مقتحم ولذا كان افضل الاعمال
كلمة حق عند امير جائر ويدل على ان الناظم اشار الى التزام طريقته صلى الله
عليه وسلم في جميع اموره قوله دعا الى الله فالمستمسكون به اي بطريقته
وكان هذا البيت هو الكاشف لما قبله من المعاني الجامع لها فان
الدعوة الى الله سبحانه منتهى العبادة وفي قوله بحبل غير منفصم اشارة
الى ان الخروج عن السنة واتباع البدعة استمساك بما ينفصم بل ينفصم
تركت فيكم شيئين الحديث وهو يقتضي انه لم يتمسك بهما ولو لحظة
وقع في الضلال لان ما ظرفية مصدرية ارشدنا الله الى الاستمساك
بطريقته واماتنا على محبته واتباع سنته اصل

فاق النبيين في خلق وفي خلق ولم يدانوه في علم ولا كرم
وكلهم من رسول الله ملتمس غرفا من البحر او رشفا من الديم
وواقفون لديه عند حدهم من نقطة العلم او من شكلة الحكم
فهو الذي تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم
منزه عن شريك في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم

شرح الغريب فاق الرجل اصحابه يفوقهم اي علاهم شرفا الخلق بفتح الخاء
وسكون اللام الخلقة اي النشاءة وهو في الاصل التقدير خلقت الاديم اذا
قدرته قبل القطع والخليقة الطبيعة وجمعها خلائق والخلقة بالكسر الفطرة

وخليق ومختلق تام الخلق معتدل وقول ذي الرمة ومختلق للملك البيت
اي خلق خلقة تصلح للملك والخلق بضم الخاء مع ضم اللام او تسكينها السجية
والطبيعة يقال خالص المؤمن وخالق الفاجر ويتخلق بكذا يتكلفه قال
يا ايها المتحلي غير شيمته ان التخلق يأتي دونه الخلق لم يدانوه اي لم يقاربوه
وداناه يدانيه قاربه وتدانوا دنا بعضهم من بعض وتدنى فلان دنا قليلا
وفي الحديث اذا اكلتم فدنوا اي كلوا مما يليكم العلم المعرفة وتقدم
ذكره والكرم السخاء والجود او الرفعة ثوب كريم اي رفيع او نقيض اللوم
وقد كرم بالضم فهو كريم وقوم كرام وكرماء ونسوة كرائم ورجل كرم
وامراة كرم ونساء كرم والكرام بالضم كالكريم فاذا افرط في الكرم
فكرام بالتشديد وكارمته فكرمته اكرمه بالضم غلبته فيه والكرم
الطفوح وكرم السحاب مجيئه بالغيث واكرمته اكرمه اصله اؤكرمه
حذفت الهمزة الاصلية من اجل التي للمضارعة استثقالا ثم طرد الحذف
مع ساير حروف المضارعة وقوله فانه اهل لان يؤكرما رده للاصل
ضرورة وقولهم في التعجب ما اكرمه لي شاذ لانه رباعي ومن قرأ فما له
من مكرم بفتح الراء فهو مصدر اي اكرام والكرم والجود والسخا والسماحة
معانيها متقاربة وقال بعضهم الكرم الانفاق بطيب النفس فيما
يعظم خطره ونفعه ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره
بطيب نفس ضد الشكاسة والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا
يحمد وهو الجود ضد التقتير ملتمس اي طالب والالتماس الطلب والتلمس
التطلب مرة بعد اخرى والغرف مصدر تقول غرفت الماء بيدي غرفا والغرفة
منه قلت ولعله اصله من غرفت الشيء فانغرف اي قطعته فانقطع
والغرفة المرة الواحدة قال بعضهم وهي الشربة باليد والغرفة
بالضم المغروف وقال الجوهري اسم للمفعول منه لانك ما لم تغرفه
لا تسميه غرفة فتامله والجمع غراف كنطفة ونطاف وزعموا ان ابنة
الجلندى وضعت قلادتها على سلحفاة فانسابت في البحر فقالت يا قوم

الخلق بضم اللام او تسكينها
الكرم الرفعة
ما اكرمه شاذ
صفات الكرم واضدادها

نزاف نزاف لم يبق في البحر غير غراف والغراف ايضا مكيال ضخم كالجراف وهو القنقل والمغرفة ما يغرف به والبحر ضد البر سمى به لعمقه واتساعه والجمع ابحر وبحار وبحور وكل نهر عظيم بحر ومنه قيل للفرس الواسع الجرى بحر وما بحر مليح وابحر الماء ملح وابحر فلان ركب البحر الرشف الاخذ باطراف الشفة وقال الجوهري لمص ورشفه يرشفه بضم الشين وكسرها وارتشفه امتصه وفي المثل الرشف انقع اى اذا ترشفت الماء قليلا قليلا كان اسكن للعطش والرشوف المراة الطيبة الفم والديم جمع دية وهي المطر الذى ليس فيه رعد ولا برق يدوم يوما وليلة ولعله من دام الشئ اذا اسكن ومنه الماء الدايم ويدوم ويدام دوما ودواما وديمومة وادامة غيره ودومت الشمس في كبد السماء ودومت القدر وادمتها سكنت غليانها بالماء وواقفون اى ثابتون وتقول وقفت الدابة تقف وقوفا ووقفتها انا يتعدى ولا يتعدى ووقفته على ذنبه اطلعته عليه ووقفت الدار للمساكين وقفا واوقفتها لغة ردية وليس فى الكلام اوقفت عن الامر الذى كنت فيه اى اقلعت وكل شئ تمسك عنه وعن ابى عمرو لو مررت برجل واقف فقلت له ما اوقفك هنا لرايته حسنا وعن الكسائى اى شئ اوقفك هنا اى صيرك الى الوقوف والموقف موضع الوقوف حيث كان وموقفا المراة الوجه والقدم وقيل عيناها ويداها وما لا بد من اظهاره وتوقيف الناس بالحج وقوفهم بالمواقيف ولدى بمعنى عند نحو شيئا الى القياس الا انها للحاضر وعند للحاضر وغيره قلت وفى التسهيل وعند للحضور او للقرب حسا او معنى وقال بعضهم صوابه لمكان الحضور لانها ظرف لا مصدر وتاتى ايضا للزمان نحو جئت عند طلوع الشمس قلت وعبارة التسهيل اعم فهى احضر ولدى ايضا لغة فى لدن قال له الجوهري وفى التسهيل وليست لدى بمعناها يعنى بمعنى لدن بل بمعنى عند على الاصح وابدالها بالمضمر ان كان تقصد عليك وقد اغرى به فى قوله فدع عنك الصبى ولديك هما توقرن فى فوادك واختيالا ۞ وعند تقدم معناها وربما فتحت عينها وضمت

وقف

الفرق بين لدى وعند

بين شيئين والحد منتهى الشئ والتحديد مثله وفلان حديد فلان اذا كان ارضه الى جنب ارضه والحد المنع ومنه قيل للبواب والسجان حداد ولا يبعد معنى المنع هنا اى عند ما منعوا مجاوزته والمحدود والممنوع من البخت وغيره وامر حد ومنيع حرام لا يحل ودونه حدد اى منع ومنه قد حدد الله ذلك عنا ومنه احداد المراة لمنعها من الزينة ومنه الحد لمنعه من المعاودة والمحادة منع ما يجب والنقطة واحد النقط تقول نقطت الكتاب نقطا ونقوطا اعجمته والاسم النقطة والنقطة اصطلاحا طرف الخط ونهاية الخط نقطتان لانه مركب من السطوح فنهايتاه سطحان والنقطة ايضا قطعة من الشئ تقول لفلان نقطة من عسل اى قطعة منه وقال الجوهري النقطة واحدة النقاط والنقاط ايضا جمع نقطة كبرمة وبرام من ابى زيد ونقطت الكتاب نقطه نقطا ونقطت المصاحف تنقيطا فهو نقاط الشكل قيل واحد الشكل يقال شكلت الكتاب شكلا اى قيدته بالاعراب وهو ماخوذ من شكلة الفرس بالشكال قال الجوهري واشكلت الكتاب كانك ازلت به عنه الاشكال والالتباس قال وهذا نقلته من كتاب من غير سماع قلت ويحتمل ان يريد بالشكلة واحدة الشكل بفتح الشين الذى هو المثل وجمعه اشكال كقوم واقوام وشكول وتقال هذا اشكل بكذا اى اشبه ومن هذا المعنى اشكال الهندسة وانما قال الشكلة ليعيد الواحدة منها كالثمرة ولو قال شكل ليتوهم الجمع لانه اسم جنس الحكم جمع حكمة وهي من العلم والحكم قد يكون بمعناها والحكيم العالم وصاحب الحكمة المتقن للامور وحكم اى صار حكيما واصل الحكمة المنع لانه تمنع صاحبها من الخطاء ماخوذ من حكمة اللجام وهو ما احاط بحنك الدابة يمنعها من الجموح وغيره وحكمة السفينة واحكمته اخذت لا بين وحكمت الرجل تحكيما منعته عما اراد تم الشئ تماما كمل وتممه غيره واتمه ايضا كمله وكذا تممه واستتمه واتمت الحبلى فهى متم اذا تمت ايام حملها وولدت هى وولد المولود لتمام بكسر التاء وفتحها

لدى لغة فى لدن

النقط

الشكل

اصل الحكمة المنع لانه يمنع صاحبها عن الخطاء

تم

ليل التمام
جمع الصورة صُوَر
ومنه الصفيه
البرية الخلق
والتنزه البعد

وكذا قمر تمام فی لیلة البدر ولیل التمام مكسور لا غیر وهی اطول لیلة فی السنة
والی قائلها الا تما بتثلیث التاء ای تماما مضی علی قوله فلم یرجع والكسر
افصح ومعناه قبل حاله والظاهر ان المراد بمعناه ای ما ارید منه من قولهم
عنیتُ بالقول كذا ای ردت وعرفت ذلك فی معنی كلامه وفی معناه
كلامه فالمصدر علی هذا مضاف للمفعول وصورته خلقته وجمع الصورة
صور بكسر الصاد وضمها وصورة الله صورة حسنة ورجل صیّر شیّر
ای حسن الصورة والشارة عن الفرا وتصورت الشیء توهمت صورته فتصوّر
لی والتصاویر التماثیل اصطفاه اختاره واصله اصتفاه افتعل من الصفو
ثم ابدلت التاء لاستثقالها وعدم مجانستها حرف الاستعلاء الذی
هو الصاد طاء لانه حرف الاستعلاء وهذا العمل مطرد فی مثله وقیل معناه
اخلصه من صفا یصفو اذا خلص واصفیته الودّ اخلصته له وصافیته
وتصافینا تخالصنا والصفی المصافی والصفی ما یصطفیه الرئیس من المغنم
قبل القسمة وهو الصفیة ایضا والجمع صفایا والمصفاة الراووق للجیب تقدّم
الباری من اسمائه تعالی من برأ الله الخلق برءا ای خلقهم فهو من صفات الافعال
والبریة الخلق وقد تركت العرب همزها قال الفراء وان احدث من البرا
وهو التراب فاصلها غیر الهمز النسم جمع نسمة بفتح النون والسین وهو
الانسان وهی ایضا النفس والربو وفی الحدیث تنكبوا الغبار فمنه النسمة وتنسّم
ای تنفس وفی الحدیث لما تنسموا روح الحیوة ای وجدوا نسیمها وناسمه
ای شامّه متنزه ای متباعد والتنزیه البعد من قولهم سقیت ابلی ثم تنزهتها
الماء ای باعدتها وخرجنا نتنزه من البعد ایضا قال ابن السكیت وهو مما وضع
فی غیر موضعه وانما التنزه التباعد من المیاه والاریاف ویتنزه عن الاقذار
وینزه نفسه عنها ای یباعدها عنها والنزاهة البعد من السوء ونزه الفلاة
ما تباعد عنها من المیاه والاریاف ونزیه كریم لمن بعد عن اللوم وهو نزیه الخلق
ومكان نزیه ای بعید من الناس لا احد فیه الشریك جمعه شركاء واشراك
كشریف وشرفاء واشراف وللمراة شریكة والنساء شرائك وشاركته وصرت

شريك

الجوهر
القسم

شریكه واشتركنا وتشاركنا وشركته فی البیع والمیراث اشركه شركة والاسم
الشرك والجمع اشراك كشبر واشبار الحسن نقیض القبح والجمع محاسن علی غیر
قیاس كانه جمع محسن وقد حسن الشیء بالضم وقد تسكن الضمة تخفیفا
ولا تنقل الی الحاء لانه خبر فان كان لانشاء المدح جاز كنقل كسرة العین
فی نعم وبئس فان اصلهما فعل بكسر العین ورجل حسن بِسِن اتباع وامراة
حسنة وحسناء ولم یقولوا رجل احسن والمحاسن ضد المساوی والحسنی
ضد السوی والحُسان بالضم احسن من الحسن والانثی حُسانة والی احاسن
بك الناس وطعام محسنة للجسم بالفتح والجوهر حجر نفیس معروف والواحدة
جوهرة والظاهر من كلام بعضهم اطلاقه علی كل حجر نفیس والعرف عندنا
استعماله فی الدر والجوهر ایضا ذات الشیء وایضا اصله الذی جبل علیه
ای طبع وهو عند المتكلمین المتحیز الذی یشغل فراغا منقسم اسم فاعل من
قسمت الشیء فانقسم والمصدر قسم وانقسام والمقسم بالكسر الموضع والقسم
بالكسر النصیب من الخیر كالطحن للدقیق ویقسم امره قسما یقدره وینظر فیه
كیف یفعل وقاسمه المال وتقاسماه واقتسماه والاسم القسمة مؤنثه
وذكر فی قوله تعالی فارزقوهم منه علی معنی المیراث والمال وتقسّمهم
الدهر فتقسموا اقتسما فرقهم والقسامی من یطوی الثیاب اول
طیها حتی تتكسر علی طیه للتفسیر لا شك ان حسن الخلق غالبا علی ما
ذكر ابو حامد فی الاحیاء وغیره تابع لحسن الخلق والانبیاء صلوات الله وسلامه
علیهم احسنهم خُلقا ونبینا محمد صلی الله علیه وسلم احسن الانبیاء خلقا
فهو احسنهم خلقا والاحسن من الاحسن احسن فیلزم من وصف الناظم
ایاه صلی الله علیه وسلم بانه فاق النبیین فی خلق وفی خلق ان یكون
افضل الخلق كلهم فی ذلك وعن انس رضی الله عنه ما بعث نبیا الا حسن الوجه
حسن الصوت وكان نبیكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا ولا بد من ذكر
البعض البرد مما قیل فی صفة خلقه وفی صفة خلقه اذ لا مطمع فی مقاربة
الاستقصاء اما الخلق فاول ذلك طیب الاصل وقد قدمنا منه كثیرا

ومنه ما في الصحيح من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت منه اما وصفه
على الجملة فمنه ما روينا عن الترمذي من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما
قال سالت خالي هند بن ابي هالة وكان وصافا عن حلية النبي صلى الله عليه وسلم
فقال كان صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة
البدر واطول من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان انفرقت
عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره ازهر اللون
واسع الجبين ازج الحاجبين سوابغ في غير قرن بينهما عرق يدره الغضب
اقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتامله اشم كث اللحية سهل
الخدين ضليع الانف مفلج الاسنان دقيق المسربة كان عنقه جيد
دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادن متماسك سواء البطن والصدر
عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس انور المتجرد موصول
ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك
اشعر الذراعين والمنكبين واعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة
شثن الكفين والقدمين سائل الاطراف او قال سائر الاطراف
خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال زال قلعا
يخطو تكفيا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب واذا
التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء
جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام قال الحسن
فكتمها الحسين زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني اليه فساله عما سالته
عنه ووجدته قد سال اباه عن مدخله ومخرجه وشكله فلم يدع شيئا فهذه
جملة من خلقه وتمام هذا الحديث من بيان اخلاقه صلى الله عليه وسلم
وقال ابو عبيدة محمد بن عمار بن ياسر قلت للربيع بنت معوذ بن عفراء
صفي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت يا بني لو رايته رايت الشمس طالعة
وروينا في صحيح مسلم عن البراء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

حلية سلطان الدنيا صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

نسخ ضليع الفم

رجلا مربوعا بعيد ما بين المنكبين عظيم الجمة الى شحمة اذنيه عليه حلة
حمراء ما رأيت شيئا قط احسن منه وفي رواية عنه ما رايت من ذي لمة
احسن في حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم شعره يضرب
منكبيه بعيد ما بين المنكبين ليس بالطويل ولا بالقصير وفي رواية عنه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم
خلقا ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير وفيه ايضا عن الجريري عن ابي
الطفيل قال قلت له رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم
كان ابيض مليح الوجه قال مسلم مات ابو الطفيل سنة مائة وكان
آخر من مات من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وفي
رواية رايته وما على الارض رجل رآه غيري فقلت كيف رايته قال كان ابيض
اللون مليحا مقصدا وروينا في صحيح البخاري من حديث ابي جحيفة انه
صلى الله عليه وسلم ابيض وفي حديث مالك والبخاري من حديث انس
كان النبي صلى الله عليه وسلم ربعة من القوم ليس بالطويل ولا بالقصير
ازهر اللون ليس بابيض امهق ولا بآدم ليس بجعد ولا سبط رجل والازهر
الابيض الناصع الذي لا يشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء وروينا في سنن
النسائي من حديث ابي هريرة بينا هو صلى الله عليه وسلم جالس مع اصحابه
جاء رجل من البادية فقال ايكم ابن عبد المطلب فقالوا هذا الامغر المرتفق
الحديث والامغر المشرب بحمرة وروينا عن الترمذي من حديث انس
كان صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل ولا بالقصير حسن الجسم اسمر اللون شعره
ليس بجعد ولا سبط اذا مشى يتوكأ انتهى وجمهور الصحابة رضي الله عنهم
انما وصفوه بالبياض منهم ابو بكر وعمر وعلي وابو جحيفة وابن عمر وابن عباس
وهند بن ابي هالة والحسن بن علي وابو الطفيل ومحرش الكعبي وابن مسعود
والبراء وسعد وعائشة وانس في احدى الروايتين عنه وقد جمعوا
بين الاحاديث بوجوه منها ان المشرب بحمرة منه ما كان للشمس والرياح
كالوجه والعنق والازهر الصافي بغير حمرة ما تحت الثياب منه وانما وصفوه

ابو الطفيل رضي الله عنه

للسائل في حديث النسائي بما ظهر له منه لانه كان لا يعرفه قبل وعن كون
بياضه مشربا بحمرة عبر عنه بالاسمر في حديث الترمذي لان الحمرة اذا اشربت
بياضا ضربت الى السمرة وقيل انما وصفت بالسمرة ما كانت الشمس تصيبه منه
وضعف هذا بان انسانا لا يخفى عليه امر فيصفه بغير صفته الملازمة لقربه
منه ولم يكن صلى الله عليه وسلم ملازما للشمس نعم لو وصفه
بذلك بعض القادمين ممن صادفه في وقت غيرته الشمس وصحبه في سفر
لامكن والذي يقال ان راوي هذا عن انس حميد وهو قليل الرواية عنه
فلعله وهم او وهم من روى عنه قال يحيى بن معين حميد عن انس
لا يبلغ ثلثين حديثا ورواية الجمهور اكثر واصح وثبت في الصحيحين
وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم كان ربعة وقد جاء انه صلى الله
عليه وسلم ينسب الى الربعة ان مشى وحده ولا ماشاه احد ينسب الى
الطول الا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاطول وربما
اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما واذا فارقاه نسبا الى الطول ونسب
هو الى الربعة ويقول عليه الصلوة والسلام جعل الخير كله في الربعة
وفي البخاري من حديث انس كان صلى الله عليه وسلم ضخم الراس لم ار قبله
ولا بعده مثله وفي حديث الترمذي وصفه علي رضي الله عنه بان في وجهه
تدويرا ادعج العينين اهدب الاشفار جليل المشاش والكتد وفي مسلم
من حديث جابر بن سمرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم
اشكل العينين منهوش العقبين ضليع الفم عظيمه اشكل العين طويل شقها
ومنهوش العقب قليل لحم العقب انتهى وكانت عيناه نجلاوين ادعجين
وكان في عينه مزج من حمرة وعن جابر ايضا ان نظرت اليه صلى الله
عليه وسلم قلت اكحل العينين وليس باكحل وكانتا نجلاوين وفيهما مزج
من حمرة وفي مسلم سئل انس هل خضب صلى الله عليه وسلم قال انه
لم يكن رأى من الشيب الا قليلا قال ابن ادريس كان يقلله وقد خضب
ابو بكر وعمر رضي الله عنهما بالحناء والكتم وقد اضطربت الاحاديث في شيبه

صلى الله عليه وسلم واكثر الروايات انه كان قليلا وفي مسلم ايضا
سئل انس عن شيبه صلى الله عليه وسلم قال ما شانه الله ببيضاء قط
ولعل المنفي الشين لها لا هي وفي الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه
كان صلى الله عليه وسلم افلج الثنيتين اذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه
واذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق تلالأ وكان من احسن عباد الله
شفتين والطفهم ختم فم وفي حديث ابن ابي هالة كان صلى الله عليه وسلم
جل ضحكه تبسما يفتر عن مثل حب الغمام افلج الاسنان اشنبها فيها
طرايق مثل تفرق المشط الا انها حديدة الاطراف وفي حديث عايشة
رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم احسن عباد الله خلقا ما ظهر منه
للشمس والريح كانه فضة مشربة ذهبا يتلألأ في بياض الفضة وحمرة
الذهب وما غيبت الثياب منه فما تحت كان القمر ليلة البدر عريض
الصدر ممسوحه كان المرايا في شدتها واستوائها لا يعدو بعض لحمه
بعضا على بياض القمر ليلة البدر موصولا بين لبته الى سرته بشعر منقاد
كالقضيب لم يكن في بطنه ولا صدره شعر غيره له عكن ثلث يغطي الازار
منها اثنين ويظهر واحدة كل منها ابيض من القباطي المطواة والين مسا
جليل الكتدين مجتمع الكتفين والظهر واسع الظهر طويل المسربة
وهو الفقار التي فيه من اعلاه الى اسفله عبل العضدين والذراعين
طويل الزندين ممد الاوصال سبط العصب شثن الكفين رحب الراحة
سايل الاطراف كان اصابعه قضبان الفضة كفه الين من الخز صلى الله عليه
وعلى اله واصحابه صلوة يرضيها لهم اجمعين وعنها رضي الله عنها
انها قالت ما رايت منه ولا رأى مني تعني العورة فما ظنك بغيرها وفي
خاتم الخاتم
الترمذي عن جابر بن سمرة ان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بين
كتفيه غدة حمراء مثل بيضة الحمام وفي رواية سلعة مثل بيضة الحمام
وفي البخاري ومسلم من حديث السائب آخره ثم قمت خلف ظهره فرايت
خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة وفي مسلم من حديث عبد الله بن سرجس

ثم درت خلف ظهره فنظرت الى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض كتفه
اليسرى جمعا عليه خيلان كامثال الثاليل سئل انس بن قيل وهو مما يلي منكبه
الايمن فيه شامة سودا الى الصفرة حولها شعرات متواليات كانها
من عرف فرس وقالت عايشة هو كالبنية الصغيرة بين كتفيه وبين فقال
ظهره وقال ابو زيد الانصاري هو شعرات سود وفي الموطأ والصحيحين
من حديث ربيعة بن ابي عبد الرحمن عن انس انه صلى الله عليه وسلم
بعثه الله على راس اربعين سنة فاقام بمكة عشر سنين وبالمدينة
عشر سنين وتوفاه الله على راس ستين سنة وليس في راسه ولحيته
عشرون شعرة بيضاء صلى الله عليه وسلم وفي البخاري سئل البراء كان
وجه النبي صلى الله عليه وسلم مثل السيف قال لا بل مثل القمر وقال
جرير بن عبد الله كنت بين يديه صلى الله عليه وسلم فنظرت الى البدر والى النبي
فو عيشه لرايت وجهه احسن من البدر وخاطب عايشة شنا بليل
فسقطت ابرتها وطفي سراجها فدخل صلى الله عليه وسلم فاضاء البيت
من نوره حتى وجدت الابرة وقالت امه وظئره كنا نستضيء بوجهه
من غير مصباح ومن خصايصه صلى الله عليه وسلم انه لا ظل له لانه نور
كله يدل عليه ما في الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم اني لاراكم من خلفي
كما اريكم من امامي تحريضا على تسوية الصفوف وفي البخاري عن عايشة
رضي الله عنها دخل علي صلى الله عليه وسلم تبرق اسارير وجهه فقال
الم تسمعي ما قال المدلجي الحديث وفيه في حديث كعب بن مالك فلما سلمت
عليه صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور وكان صلى الله عليه
وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كانه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه
وبالجملة فما ثبت في الصحاح من جماله وتناسب اعضائه في حسنها
وسلامته من العيوب وتنزهه من الاقذار وبراءته من كل نقص ووصف
بشين فذلك امر يلتحق بالضروريات بل يكاد يكون من البديهيات
واما طيب عرقه صلى الله عليه وسلم فما لا يحتاج الى دليل وفي الصحيحين

خلقه العظيم صلى الله عليه وسلم

عن انس ما مسست حريرا ولا ديباجا الين من كفه صلى الله عليه وسلم
وفي مسلم عنه ايضا انه صلى الله عليه وسلم نام على فراش ام سليم
وعرق واستنقع عرقه على نطع وكان كثير العرق فجعلت تاخذ العرق في قوارير لها
فقال صلى الله عليه وسلم ما تصنعين يا ام سليم فقالت يا رسول الله
عرقك نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب نرجو بركته لصبياننا فقال
اصبت وفي البخاري من حديث ابي جحيفة وقام الناس فجعلوا ياخذون
يديه فيمسحون بها وجوههم قال فاخذت بيده فجعلتها على وجهي فاذا
هي ابرد من الثلج واطيب رائحة من المسك • واما خلقه صلى الله عليه وسلم
فلا يخفى على كل ذي لب ما كان صلى الله عليه وسلم من العبادة والزهد والشكر
والرضا والعلم والحلم والتواضع والعدل والعفو والعفة والكرم والشجاعة
والحيا وكل خصلة حميدة مما لو تتبع لضاقت عن حصره الدفاتر وكلت
دون مرماه الاقلام وجفت المحابر وضاقت عن جمعه الكتب وعجزت عن حمله
النجب ولله در بعض المتاخرين من ادباء الاندلس حيث يقول فيه صلى الله
عليه وسلم ايجيد مخلوق ثناك بعدما اثنى عليك الهنا الخلاق في بشير
الى قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم ولولا ما قصدته في هذا
الشرح من الاختصار لما نحن بصدده مما خصصناه منه من قصر الاعمار لجلبت
وسعي لما ارجو في ذلك من الربح في سعي ويكفيك قول عايشة رضي الله عنها
كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه وقوله صلى الله عليه وسلم
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق معناه والله اعلم ان لا ياتي احد بعدي
بمثل ما اتى به هو منها علما وعملا وامرا وتخليا وجمع فيه صلى الله عليه وسلم
ما تفرق منها وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وفي الترمذي من حديث علي
رضي الله عنه هو خاتم النبيين اجود الناس كفا واشرحهم صدرا واصدقهم
لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة
احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله وفي الصحيح من حديث انس

كان صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بانيتهم فيها الماء
فما يأتون باناء الا غمس يده فيه فربما جاؤه في الغداة الباردة فيغمس يده فيه
وفي البخاري من حديث البراء كان صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها
واحسنهم خلقا وفيه من حديث عبد الله بن عمرو لم يكن صلى الله عليه وسلم
فاحشا ولا متفحشا وكان يقول ان من خياركم احسنكم اخلاقا وفيه
من حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم اجود الناس واجود ما يكون
في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان
فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم اجود بالخير من الريح المرسلة
وفيه من حديث عايشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه
وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان تنتهك حرمة الله عز وجل
فينتقم لله بها وفي حديث جابر ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء
فقال لا وما وصفته خديجة حسبما تضمن ذلك حديث بدء الوحي
وكذا ما وصفه به ابو سفيان لهرقل مما يامره به معلوم وحين سال الحسين
رضي الله عنه ابن ابي هالة عن مدخله صلى الله عليه وسلم قال كان اذا
اوى الى منزله جزء دخوله ثلثة اجزاء جزءا لله وجزءا لاهله وجزءا لنفسه
ثم جزء جزءه بينه وبين الناس فيرد ذلك بالخاصة على العامة
ولا يدخر عنهم شيئا ومن سيرته في جزء الامة ايثار اهل الفضل باذنه
وقسمه على قدر فضلهم في الدين فمنهم ذو الحاجة وذو الحاجتين وذو
الحوائج ويخبرهم بالذي ينبغي ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغايب
وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغها فانه من ابلغ سلطانا حاجة من لا
يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة لا يذكر عنده الا ذلك
ولا يقبل من احد غيره يدخلون روادا ولا يتفرقون الا عن ذواق ويخرجون
ادلة على الخير قال فسالته عن مخرجه كيف يصنع فيه قال كان
صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا فيما يعنيه ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم

كل

كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد منهم
بشره ولا خلقه ويتفقد اصحابه ويسال الناس عما في الناس ويحسن الحسن
ويقويه ويقبح القبيح ويوهيه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان
يغفلوا ويملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الذين يلونه
من الناس خيارهم افضلهم عنده اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم
مواساة وموازرة قال فسالته عن مجلسه فقال كان صلى الله عليه وسلم
لا يقوم ولا يجلس الا ذكر واذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس
ويامر بذلك يعطي كل جلسائه بنصيبه لا يحسب جليسه ان احدا اكرم
عليه ممن جالسه ومن سالته حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول
قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء
مجلسه مجلس علم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن
فيه الحرم يتعاطفون فيه بالتقوى متواضعين ويوقرون فيه الكبير
ويرحمون فيه الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب انتهى
ومن صفاته صلى الله عليه وسلم انه كان يركب الحمار ويلعق الصحفة
ويأكل مع الخادم ويفلي ثياب الفقراء وفي الصحيح ما عاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم طعاما قط كان اذا اشتهاه اكله والا تركه صلوات الله وسلامه
وتحياته ورحمته وبركاته عليه وقول الناظم ولم يدانوه البيت
لما اخبر انه صلى الله عليه وسلم فاق جميع النبيين في كل خلق حسن
وفي كل خلق كريم اخبر انهم صلوات الله عليهم لم يدانوه اي لم يقاربوه
خصوصا في خلقين كريمين العلم والكرم فان قلت اما فهم ان المراد
كل النبيين فمسلم لانه جمع معرف تعريف جنس واما فهم كل خلق وكل خلق
فلا نسلم ارادة العموم فيهما لانهما نكرتان في سياق الثبوت
والنكرة لذلك لا تعم وحينئذ لا يكون مدحا تاما لان المعنى فاقهم
في بعض الخلق وبعض الخلق وكما يحتمل بعد ذلك ان يساويهم في البعض
الاخر يحتمل ان يفوقوه فيه فقد تحصل المعادلة ان كان ما فاقوه به

مثل فاقهم بره وقد يكون ما فاقوه به او بعضهم اكثر فينعكس ما قصد
من المدح قلت الجواب من وجهين الاول ان المراد خلقهم وخلقهم
اذ لا يراد خلق او خلق اي كان وانما المراد منه ومنهم وحينئذ فهما
اسما جنس اضيفا فيعما لدلالة العقل على تقدير الاضافة الثاني
ان يكون المراد بهما الحقيقة وهي واحدة لا يقال الانسانية واحدة
لا تفاوت فيها لانا نقول المراد العارض بها اما بالتركيب الصوري
وهو الخلق او باعتبار الاوصاف المعنوية وهي الخلق لان اصل هذه
الاوصاف فيه وفي غيره خلق الله تعالى من غير اكتساب بدليل
ما في صحيح مسلم من قوله صلى الله عليه وسلم لاشج عبد القيس ان
فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة فقال يا رسول الله
انا اتخلق بهما ام الله جبلني عليهما فقال بل الله جبلك عليهما
فقال الحمد لله الذي جبلني على خصلتين يحبهما الله ورسوله
نعم يكتسب الانسان قوتهما بالمخالطة والاستعمال والاول اقوى فان قلت
العلم والكرم داخلان في الخلق فما له خصهما بان النبيين لم يقاربوه
فيهما وايضا قوله لم يدانوه يقتضي انه فاق في الوصفين فوقا كثيرا
بحيث لم يقاربه فيهما وسكوته عن غيرهما يوهم ان يكون من المحتمل ان يقاربوه
فيه فهل يصح قصد ذلك قلت انما خص الوصفين لانهما كالمنبع لساير
الاوصاف الحميدة فاذا كان لا يقارب فيهما ففي غيرهما احرى واصل الاخلاق
الحميدة كلها العقل ومنه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عنه ثقوب الرأي و
جودة الفطنة والاصابة وصدق النظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة
الشهوة وحسن السياسة واقتناء الفضايل وتجنب الرذايل ويجمع هذه
كلها التقوى وهي الكرم ان اكرمكم عند الله اتقيكم فقد اعطي منه
صلى الله عليه وسلم انا مدينة العلم وعن وهب بن منبه قرأت في
احد وسبعين كتابا انه صلى الله عليه وسلم انا مدينة العلم وعن وهب
بن منبه قرأت في احد وسبعين كتابا انه صلى الله عليه وسلم ارجح

الناس عقلا وافضلهم رأيا وفي رواية وجدت في جميعها ان الله تعالى
لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله
صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من رمال الدنيا واما التقوى فلا يخفى
ما انفرد به منها ولم يثبت انه قيل لمخلوق ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تأخر الا له صلى الله عليه وسلم وحديث الشفاعة بذلك
على هذا والعلم اصل الكرم كما قررنا والى الكرم يرجع ساير الصفات
الحميدة فكانه قال لم يدانوه في اصل الاخلاق ولا في فرعها ويلزم
من ذلك انه لم يدانوه في الخلق ايضا لما قررنا اول التفسير ان حسن
الخلق تابع لحسن الخلق فالاخلاق كالساكنين والخلق كالبيوت وانما يسكن
كل فيما يليق به ويلايمه وانما حملنا الكرم على التقوى لان الكرم الحقيقي
الجامع لكرم النسب وغيره ويحتمل ان يخص بكرم النسب لانه سيد ولد آدم
ومصطفى من ساير الخلق وقوله صلى الله عليه وسلم الكريم بن الكريم
الحديث لا يقال مساقه يقتضي حصر الكرم في يوسف عليه السلام
لان ذلك حصر باعتبار السلسلة لا باعتبار مطلق الكرم ويحتمل
ان يريد في البيت الكرم بمعنى الجود ويثبت له منه صلى الله عليه وسلم
ما لم يثبت ولا يثبت لغيره من البشر ويكفيك دليلا على كرمه زهده
في جبال الذهب واعطاؤه غنما بين جبلين لرجل واحد وقول الرجل
لاهله اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفقر وما اعطى العباس
من المال الذي كان يحثوه في حجره حتى لم يستطع النهوض به ثم قسمه بين
الناس وكان كراما فلم يقم من مجلسه حتى لم يبق منه درهم واحد وما اعطى
المؤلفة قلوبهم وغير ذلك مما يفوت الحصر وناهيك انه لم يسأل شيئا قط
فقال لا وكيف لا يجوز بالدنيا العالم بخطرها والمتيقن ما اعد الله لمعطي
الجود بها ومن لولاه لم تخرج الدنيا من العدم ويترجح هذا الوجه الاخير
يختاره في تفسير البيت بعد هذا التحقيق في هذا المقام يغنيك عن قول
بعضهم ان قوله لم يدانوه تكميل لانه فاق يحتمل الكثير واليسير كما ان فاق

تكميل لقوله لم يدانوه اذ لولاه لم يرد من زاد على الآخر وهذا من الحذف
من الاوايل لدلالة الاواخر وبالعكس وان كان احدهما حديثا عن الخلق
والخلق والاخر عن العلم والكرم لكن يقاس كل منهما على الاخر انتهى
وهذا كلام يستحسن بديهة فاذا توُمّل بما يطول تتبعه فلا شيء
وفي البيت وجه اخر من الشرح اليك تامله فانا اردنا عنان القول فيه
وقوله وكلهم من رسول الله ملتمس البيت الذي اختاره في معنى
هذا البيت من الوجوه التي يحتملها ان يكون المعنى وكل النبيين عليهم
الصلوة والسلام طالب من رسول الله يعني محمدا صلى الله عليه
وسلم من بحر علمه غرفا ومن ديم كرمه رشفا فقوله من البحر ومن الديم
بدلان من رسول الله صلى الله عليه وسلم بدل اشتمال والاصل
في قوله من البحر ومن الديم من بحر علمه ومن ديم كرمه كما ذكرنا ثم حذف المضافان
اللذان هما علم وكرم واقيم المضاف اليه فيهما الذي هو الضمير مقامهما فصار
من بحره وديمه ثم حذف الضمير الرابط بين بدل الاشتمال والمبدل منه
واتى بال في البحر والديم نايبة عن ذلك الضمير كما هو رأي الكوفيين
في هذا نحو فان الجنة هي المأوى اي ماويه وعلى رأي البصريين يكون
التقدير من البحر له ومن الديم له او نحو ذلك وهذا وجه سايغ سهل لا
تكلف فيه من حيث المعنى نعم فيه تعقيد لفظي للفصل بين المبدل والمبدل منه
بملتمس ومفعوله وما عطف عليه وهو اجنبي وهذا على ان المراد بالكرم
هو الجود وكثيرا ما يشبه الكريم بالغمام وبالمطر وان اريد مكارم الاخلاق
جمله فهو حسن لعمومه ولذا شبهه بالديم التي هي جمع اشعارا باختلاف
انواعها وعلى هذا الشرح لا يحتاج الى اعتذار عما يورد هنا من ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم متاخر في الزمان عن النبيين صلوات الله وسلامه
عليهم فكيف يطلبون منه اذ طلبهم على هذا الوجه انما هو من بحر علمه
وديم كرمه وهذا لا يستلزم اتحاد زمان وجودهم ولا علمهم بمبعثه صلى الله
عليه وسلم بعدهم كما تقول فيمن لم يصل طبقة مالك في الفقه ممن تقدمه فلان

يطلب من بحر علم مالك غرفه اي القدر الذي حصل له من الفقه بالنسبة
الى الذي اسفرت العاقبة انه حصل لمالك كغرفه من بحر وعلى وزان هذا
من يطلب التخلق بصفة الكرم ممن تقدمها تماوقصر من رتبته ولئن سلمنا
انه لا بد لهم حال الطلب من تصور بحر علمه وديم كرمه فذلك حاصل لهم
بما علموا من مبعثه وصفاته واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم
من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول الاية والذي يجدونه مكتوبا عندهم
في التورية والانجيل الاية ثم اذا عرفت ان المعنى تشبيه ما حصل لهم قبله
بالغرفة وما حصل له لكثرته بالبحر ولذا في الرشف والديم علمت ان تلك
الغرفة وذلك الرشف يسا ماخوذين مما حصل له صلى الله عليه وسلم
حتى يلزم ان يكون خلا علمه وكرمه عن ذلك القدر الماخوذ كما اعترض به
بعضهم على الناظم حتى قال لو شبه انتفاع الانبيا من صفات نبينا بما
لا ينقص شيئا من المشفع به لكان حسنا ثم قوله كلهم يحتمل ان يريد به الكل
الافرادي اي كل واحد من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم انما حصل له
ذلك القدر وهذا الوجه اولى وامدح ويرجحه ما حكى عن وهب في بيت قبله
من نسبة عقل الخلايق الى عقله وفي شرح شيخنا ابي العباس القصار ما يقتضي
انه الافرادي ان المراد بالبحر والديم علمه كما ان المراد بالعلم والحكم في البيت
الثاني وانما سبه بالغرف والرشف على سبيل التوزيع لانه ذمة والمعنى انهم
فريقان كالمقترف من البحر وفريق كالمرتشف من الديم اي ملتمس به كما يلتمس
المقترف ثم قال ويحتمل ان يكون هذا في قضية الاسراء فقد جاء انه
صلى الله عليه وسلم ام النبيين فصلى بهم في حضرات ارواح الانبيا اثنوا
على ربهم وانه صلى الله عليه وسلم اثنى فقال الحمد لله الذي ارسلني رحمة
للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه تبيان كل شيء
وجعل امتي هم الاولون وهم الاخرون وشرح لي صدري ووضع عني
وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابرهيم عليه السلام
بهذا فضلكم محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون على الفرض اي مثل

حالهم وحاله لو قدر اجتماعهم كما قال الزمخشري في قوله تعالى انا عرضنا الامانة
على السماوات والارض الاية اى مثل التكليف في صعوبته وثقل محمله بحاله
المفروضة لو عرضت على السموات انتهى فهذا واشباهه من المقدرات
المتكلفة لبعضهم في هذا المقام لا يحتاج اليها بعد احاطتك بما تقدم وفي البيت
وجه اخر حسن في نفسه الا ان قوله في البيت بعد لديه يبعده فلذلك
تركناه وقوله وواقفون البيت وكل واحد من النبيين صلوات الله وسلامه
عليهم واقف عند حده اى منتهى مرتبة حظه من العلم والكرم لدى محمد
صلى الله عليه وسلم من العلم الممثل بالديم فان قلت فما وجه تشبيه ما حصل
لهم من العلم في البيت الاول بالغرفة وهي اكبر من النقطة التي شبه بها
حدهم هنا وكذا تشبيه في الاولى ما حصل لهم من الكرم بالرشف وهو
اكثر من الشكلة لان الرشف اسم جنس مجرد من التاء يحتمل القليل والكثير
كالضرب والشكلة مختوم بالهاء فيتعين فيه الوحدة وهذا كالضرب
والضربة وهل افاد بالبيت الثاني غير ما افاد بالاول قلت يحتمل ان يكون
اراد بالمعنى كل في البيت الاول المجموع يدل عليه افراد الضمير في ملتمس وفي
الثاني الافراد وكذا جمع واقفون وهذا على رأى من يستعمل اللفظ المشترك
في معنييه ضربا مجازا فشبه جانب العلم في الثاني بالنقطة لانه باعتبار
كل واحد وفي الاول بالغرفة لانه باعتبار المجموع وهي ما يجتمع من النقط
باعتبار الاحاد وشبه جانب الكرم في الثاني بالشكلة المفيد الوحدة
بسبب الهاء لانه لكل واحد وفي الاول بالرشف المجرد لانه جمع ما قرن بالتاء
لا يقال كان المناسب على هذا ان يقوله ومن رشفه الحكم حتى يكون
رشف جمعا لها لانا نقول القصد دليل الوحدة والجمع بالاطلاق وكما ان الغرفة
ليست جمعا للنقطة وانما جمعها النقط لكن المقصود تقابل الكثرة والقلة
ولان لفظ الشكلة يحصل له مراعاة النظير مع النقطة اويقال شبه
اولا باعتبار ما طلبوه وثانيا باعتبار ما حصل لهم سواء اريد المجموعي
او الافرادي والمعنى انهم حين طلبوا انما طمعوا في ان ينالوا مما تمثلت له

الغرفة

الغرفة والرشف ثم الذي حصل لهم من مطلبهم النقطة والشكلة ما كل ما يتمنى
المرء يدركه هي المواهب لم اشدد لها ازري يختص من يشاء بما يشاء ثم ان الناظم
الله انما ورّى بالنقطة والشكلة من نقطة الحرف وشكلته وخص النقطة
بالعلم لان بها تمييز ذوات الحروف المشتبهة الصورة والعلم خاصيته
التمييز كما تقدم في حده واضاف الشكلة للحكم لان فائدة الحكمة وضع
الشيء في المكان الذي يستحقه على اكمل وجه لئلا يختل النظام وهذه فائدة
الشكلة لان بها تضاف الحكم الى صاحبه ويزول اللبس ولا تظنن مجانبة الاخلاق
الحميدة من الجود وغيره من الحكم بل هي عينها واتى بلفظ الشكلة تنبيها على حد
المانع لهم من التقدم ولان الشكل القيد كما تقدم ولذا منعت الشكلة من الفساد
فالتورية على هذه خطية ويحتمل ان يكون ورّى بالنقطة والشكلة الهندسيين
والنقطة عندهم شيء ما لا جزء له كالجوهر الفرد عند المتكلمين والشكلة
واحدة اشكالهم كصورة مثلث او غيره وانت تعلم ما نسبة شكلة واحدة
من مربع مثلا الى جميع اشكال المربع الكائنة في الوجود بل الى حقيقة جميع اشكال
الاجسام كلها من سائر الاشكال التي لا تتناهى وكذا النقطة التي لا جزء لها
من حقيقة العلم الذي هو غير متناه في ذاته لا علمه صلى الله عليه وسلم
وحكمه فانهما متناهيان ووجه التورية الخطية ان نقول انظر ما نسبة النقطة
الواحدة التي هي من اسباب العلم الى نفس العلم والى سائر اسبابه وكذا الشكلة
التي هي صفة حسن الى سائر المحاسن وصفاتها وقوله فهو الذي البيت
لما ثبت فوق النبيين خلقا وخلقا وثبت ان من عداهم من الخلق لا يصل
درجتهم في ذلك ممن عدا النبيين ليس بتام حسن الخلق والخلق لزيادة
النبيين عليهم في ذلك والنبيون ايضا كذلك لزيادة محمد صلى الله عليه وسلم
وسلم عليهم في ذلك انتج ذلك صلى الله عليه وسلم هو الذي تم اى كمل
معناه اى اخلاقه وصورته اى تركيبه وخلقه ولفظه يقتضي حصر
احدهما انه لا احد ارفع منه في ذلك والا لكان ناقصا باعتباره
فلا يصدق قوله ثم ثانيهما انه لا يساويه احد في ذلك وهذا يفهم

من تعريف المبتدأ والخبر اي هو الذي تم معناه وصورته لا غيره والحصر الاول
لا يستلزم الثاني وقوله ثم اصطفاه اي ثم اختاره خالق النسم حبيبا ثم
بعد ان اكمل صورته ومعناه هذا ان جعلت ثم للترتيب الوجودي وهو بعيد
لان اختياره حبيبا وآدم بين الماء والطين لانه حينئذ نبي وكل نبي محبوب
الا ان يقال ذلك بحسب التقدير فيصح الترتيب وان جعلت ثم لترتيب
الاخبار بالمدح نحو ان من ساد ثم ساد ابوه ثم قد ساد بعد ذلك
جده فلا اشكال وروى ابن عباس ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
جلسوا ينتظرونه فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابرهيم من خلقه خليلا
وقال آخر ماذا عجب من موسى كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله
وروحه وقال آخر وآدم اصطفاه الله فقال صلى الله عليه وسلم
وكان يسمع قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابرهيم خليلا
وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك
وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا اول
من يحرك حلق الجنة فيفتح الله فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا
اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وقال صلى الله عليه وسلم ان
صاحبكم خليل الله يعني نفسه وفي حديث ابي هريرة قال الله تعالى
لنبيه عليه السلام اني اتخذتك خليلا قال عياض واصل المحبة المحبة
الميل ولا يصح ذلك في حق الخالق بل هي راجعة الى ارادته السعادة
للعبد وتوفيقه الى اسباب القرب واعلاها كشف الحجب عن قلبه حتى يرى
بقلبه ولا ينظر ببصيرته غيره فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته
كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به
ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد لله والاعراض عن غيره كما قالت الخلة
عايشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه
واختلف في المحبة والخلة فقيل متساويان وقيل الخلة ارفع لقوله قد
قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا واكثرهم على

ان المحبة

ان المحبة ارفع لانها مقام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والخلة مقام ابرهيم
صلوات الله وسلامه عليه وانما قال الناظم بارئ النسم فخص بهذا
الوصف والله اعلم من بين ساير اوصافه تعالى تنبيها على ان معنى محبة الله
له خلقه اياه على تلك الصورة وتوفيقه لتلك الاخلاق الحميدة
التي جماعها الاعراض عما سوى الله في الحركات والسكنات فمحبة الله
على هذا لعباده صفة فعلية فاختار لها الوصف الفعلي وهذا من قول
بعضهم انما اتى بهذا الوصف لضرورة الوزن والقافية وقال والا فان
نظر الى تخصيصه دون غيره ناسب ان يقول الفعال لما يريد وان نظر الى الفضل
ناسب ذو الفضل العظيم انتهى وقوله منزه عن شريك البيت يعني
انه صلى الله عليه وسلم لما اختص بان تم معناه وصورته بان اصطفاه الله
حبيبا دون غيره لان المعطوف على المحصور محصور فهو اذن منزه اي مباعد
عن شريك اي باعده الله عن من يشاركه في محاسنه اي في جميعها
لانه جمع اضيف فيعم واما المشاركة في بعضها كالنبوة والرسالة مثلا
فهي موجودة وقوله فجوهر الحسن اي حقيقة الحسن الكاملة غير منقسمة لكن
ذكر منقسم باعتبار لفظ الجوهر وقوله فيه الاولى ان يكون خبرا عن جوهر
الحسن وال في الحسن للعهد وهو الحسن المفهوم من قوله محاسنه
والمعنى ان حقيقة الحسن الكامل هي كاينة فيه لانه الذي تم معناه دون
غيره وهي غير منقسمة بينه وبين غيره والا لما كان حسنه تاما لانه اذا انقسم
لم ينله الا بعضه فلا يكون تاما فيه والغرض خلافه وفيه وجوه آخر
من الاعراب تذكر في ترجمته ان شاء الله تعالى فان قلت اذا كان معنى منزه
لغة مباعد كما تقدم فاي مدح في قولك هو مباعد عن الذي يشاركه
في الحسن قلت قوله عن شريك على حذف مضاف اي عن وجود شريك ولا
يتصور البعد عن وجود الشريك الا بعدمه فاذا لا يوجد الشريك وبهذا
يندفع الاعتراض بان شريك نكرة في سياق الثبوت فلا تعم كل شريك
فيكون المعنى منزه عن بعض الشركاء في المحاسن والجواب انها في سياق النفي

لان معنى منزه عن شريك اى لا يوجد له شريك كما قررنا ومن معنى البيت الاول
قول زهير في قومه سعى بعدهم قوم لكي يدركوهم فلم يفعلوا ولم يليموا
ولم يالوا واخذ معناه طريح بن اسماعيل الثقفي فقال يمدح السفاح
فتطلب الناس ما بلغت فلم يالوا وما قاربوا وقد جهدوا وقال الحراش
بن زهير الناس تحتك اقدام وانت لهم راس فكيف يسوى الراس والقدم
ومن معنى قوله فهو الذي تم معناه البيت قول ابن منصور النمري في الرشيد
ان المكارم والمعروف اودية • احلك الله منها حيث تجتمع • ومن معنى
وكلهم من رسول الله البيت قول ابن ايوب التيمي في الفضل بن سهل •
لعمرك ما الاشراف في كل بلدة • وان عظموا الا لفضل صنايع • ومن معنى
قوله منزه البيت قول المتنبي ذكر الانام لنا فكان قصيدة كنت البديع
الفرد من ابياتها • ولهيار كان الله خيره فسوى • خلايقه للحسان كما
اشتهاها ومن معنى قوله نجوم الحسن فيه غير منقسم • قول بعضهم فلو ابصر
النظام جوهر ثغرها • لما شك فيه انه الجوهر الفرد • وورى بالنظام المعتزلي
وهو ممن انكر الجوهر الفرد ومعناه القريب ناظم الجوهر المعاني الخ
البيتين للعموم وتنكير خلق وخلوقا ما للتعظيم او للنوعية او للحقيقة
هذا ان وقفنا مع اللفظ والا فنقدر انهما على نية الاضافة والتعريف
فيهما بالاضافة المنوية للاختصاص والتعظيم لانهم من علموا وقول بعضهم
في فلم يدانوه تكميل كما ان فاق تكميل له كما تقدم فيه نظر فان الاحتراس انما
يكون بعد تقرير المعنى ولا يكون المتقدم احتراسا فياتي الاحتراس في ولم
يدانوه دون فاق على ان الاحتراس في ولم يدانوه تعلق فانه لا يشمل ما تقدم
من الخلق والخلق وانما هي لنفي المقاربة في بعض الاخلاق خاصة او لجميعها
على التاويل المتقدم فيبقى الخلق معرضا للاحتمال ولا معنى لقياس لم يذكر
على ما ذكر اذ لا مدخل هنا للقياس ويشبه ان يكون تنكير علم وكرم للتقليل
اى في شيء ما من علمه او كرمه يدل عليه من نقطة العلم وهذا ايضا باعتبار
لفظهما والا فاضافتهما منوية اى علمه او كرمه وفايدة الاضافة ايضا التعظيم

وقدم من رسول الله على ملتمس لان الاهم عنده ذكر الملتمس منه لا التماس
او الملتمس ووحد ضمير ملتمس لما تقدم ولان جماعة الطالبين حاجة انما
يتكلم منهم واحد وجمع واغفون للاشعار بكثرتهم فانهم امدح له صلى الله
عليه وسلم وتقديم المسند اليه وهو كلهم لافادة تقوى الحكم لقربه
من الفعل وانما عبر بالاسم لافادة ثبوت الالتماس لهم وان ذلك كان
دابهم ووجه تقديم غرفا ورشفا مع كون الاصل فيهما الاهتمام بالقدر
الملتمس ولو قدم من البحر ومن الديم لجاز قبل سماع بعدهما ان يكون ملتمسهم
اكثر الى قوله من البحر ومن الديم البيان بعد الاجمال لان من رسول الله مبهم وانما
افرد البحر وجمع الديم اما لرجوع البحر الى صفة العلم وهي واحدة ولرجوع
الديم الى كرم الطباع وهي اخلاق متعددة كل منها ديمة واما لان الماخوذ
نقطة وهي واحدة بسيطة فناسب التوحيد والماخوذ من الديم شكلة
وهي مركبة فناسب الجمع ولذا اضافها الى الحكم كما اضاف الرشف الى الديم
وفي البيت الرابع اطناب في موضعين في قوله عند حدهم فانه بيان لديهم
وفي قوله من نقطة الى آخره فانه بيان لحدهم وال في العلم والحكم للعهد
لنيابتها عن الضمير والتعبير بالموصول في قوله الذي تم للتوصل الى الاخبار
بالحكم ولمناسبة ما بني عليه من الاصطفاء المذكور وتقدم فايدة الظرف
ثم وتقديم مفعولي اصطفى على فاعله للاهتمام وللعلم بالفاعل وانما
ذكره بعد لانه لا يحذف وللتعبير عنه بالوصف المناسب اى خالق النفوس
الذي يخلق ما يشاء فلا يستبعد ما ذكر من التمام وتنكير حبيبا ومنزه للتعظيم
وهو في شريك للتقليل وتعريف محاسن بالاضافة لافادة الاختصاص وما
احق قوله نجوم الى آخره ان يكون احتراسا لطيفا لانه لما قال منزه عن شريك
خاف ان يتوهم ان هذه صفة الاله وهو قد حذر من هذا وقال دع ما ادعته
فاضاف اليه الجوهر وان كان نصا في الحسن وجعله محلا له بقوله فيه فكانه
يقول هو من الجواهر ومتصل بها والاله ليس كذلك البيان في
البيت الثاني التشبيه البليغ في تشبيه علمه بالبحر وكرمه بالديم وتشبيه ما اخذ

الانبياء منهما بالغرفة والرشف او بالنقطة والشكلة وذلك فيهما تشبيه بليغ
ووجه تشبيه العلم بالبحر اما لاتساعه واما لبعد غوره واما لان الغايص فيه
يستخرج الدر واما الغرف ذلك او لكل ذلك فيكون التشبيه منتزعا من
امور ووجه تشبيه الكرم بالديم ما يحصل من النفع بهما حتى ان المطر يسمى
رزقا قال تعالى وفي السماء رزقكم فسر بالمطر وليس هذا النوع
باستعارة لذكر طرفي التشبيه وتقدير وجه تشبيه الشكلة بالحكم
وانما خص الرشف بالديم والغرف بالبحر لانها تجري على سطح الارض فلا تجتمع
منها ما هو كالبحر حتى يغترف منه وذلك هو اللازم للديم وان كان تجتمع
منها في وقت بحر لكنه قد يتخلف فاذا لاينال من الديم غالبا الا بمثل الرشف
وانما شبه ثانيا ما حصل لهم بالنقطة والشكلة لان العلم اعم متعلقا
من الحكم فما اخذوا منه الا كالنقطة والحكم اضيق مجالا واقل وجودا
يؤتى الحكمة من يشاء فاي شيء اخذ منها يظهر لشكل والله اعلم
وقوله كجوهر الى آخره من التشبيه البليغ ايضا لانه شبه عدم انقسام
كمال الحسن بينه وبين غيره بالجوهر الفرد الذي لا ينقسم وذلك
في اصطلاح المتكلمين البديع في البيت الاول مراعاة النظير في خلق
وخلق وعلم وكرم وتكرار قوله في من الترديد ليفيد القوة في كل خصلة
ولذا اتى بالى في ولا كرم وفي فاق ولم يدانوه وفيها التجنيس المحرف في خلق
وخلق لاختلاف هيئات حروفهما المتفقة وفيه المماثلة لموازنة خلق
وخلق لعلم وكرم وان اختلف في القافية ولا عبرة باختلاف الحركة
بل بمقابلة المتحرك والساكن لمثلهما وفي الثاني المماثلة في غرفا ورشفا
ولا يبعد ان يكون فيهما طباق خفي لما قررنا في وجه التشبيه فتامله وفيهما
وفي البحر والديم مراعاة النظير وفيه اللف والنشر لرجوع البحر الى العلم
الى الكرم كان نقطة العلم وشكلة الحكم مردود الى غرفا من البحر او
رشفا من الديم فهو لف ونشر في مثله وفي الثالث في نقطة وشكلة
تورية اما خطية او هندسية كما تقدم في التفسير وفي الثاني والثالث نوع

من التقسيم

من التقسيم الذي هو اضافة الشيء الى ما يليق به لاضافة الغرف الى الرشف والكرم
الى الديم والنقطة الى العلم والشكلة الى الحكم وقوله وواقفون عند
حدهم من مراعاة النظير وفي الرابع مع الاول اللف والنشر المعكوس لرجوع
الصورة الى الخلق وهما من مراعات النظير ويبعد ان يكونا تورية حكمية
بان يراد بالمعنى المادة فيحصل الجمع بينها وبين الصورة فان المراد بالمعنى
هنا الاخلاق وليست الصورة مركبة منها حتى يكون مادة وهذا
كنت ذكرته في كتاب الاستيعاب ولا ارتضيه هنا وفي الخامس تورية
كلامية في قوله كجوهر الحسن فيه غير منقسم والجوهر الفرد عندهم هو الذي
لا ينقسم وقد اختلفوا في ثبوته والمذهب الحق ثبوته واستعمله هنا في كمال
الحسن البشري اي هو لا ينقسم فيه كما ان الجوهر الفرد لا ينقسم وفيه شبه
الحصر الجزئي والحاقه بالكلي وحقيقته ان ياتي المتكلم الى نوع ما فيجعله بالتعظيم
له جنسا بعد حصر الانواع فيه والاجناس كقوله فبشرت امالي بملك هو
الورى • وداري هي الدنيا ويوم هو الدهر • وهو هنا جعل الحسن
جنسا مقصورا عليه لا انواع له ومن هذا المعنى قوله وليس لله بمستنكر
ان يجمع العالم في واحد وفي محاسنه والحسن تجنيس الاشتقاق ورد
الصدور على الاعجاز والتكرير والبيتان الاخيران كالنتيجة لما قبلهما من الابيات
فالجميع من المذهب الكلامي كما ان البيت الاخير خاصة يتاكد ذلك فيه •
الاعراب فاعل فاق ضمير يعود عليه صلى الله عليه وسلم وفي خلق
وخلق يتعلقان بفاق ولا محل لجملة فاق لانها استئنافية ويدانوه فعل مضارع
والواو فاعل والهاء مفعول وحذفت النون للجزم وفي علم متعلق بيدانو وكرم
عطف على علم ولا زايدة وجملة لم يدانوه عطف على جملة فاق او في موضع الحال
اما من فاعل فاق او من مفعول او منهما معا والربط بالضمير وبالواو وحاصل
على كل حال وصح دخول الواو على الحال المضارع لانه منفي بلم فهو من معنى
الماضي بل يدخل على منفيه مطلقا واستثنى في التسهيل المنفي بلا فان حكمه
في التجرد من الواو ومعها حكم مثبته وكلهم مبتدأ ومضاف اليه وملتمس خبر

الجوهري

الحصر الجزئي

ومن رسول الله متعلق به ومن فيه وفيما بعد لابتداء الغاية وتقدم اعرابي
من البحر من الديم وغرفا مفعول بملتمس ورشفا عطف على غرفا واو للتفصيل
ويجوز ان يكون من البحر نعتا لغرفا او متعلق به كما يصح تعلق من الديم برشفا
ومن الديم نعت لرشفا لكن الاولى ما قدمنا في التفسير من البدلية وان كان
ضعيفا في الصناعة وليس ملتمس بمعنى المضي كما ظن فيحتاج الى الاعتذار
عن عمله في غرفا لانه على مذهب الكسائي او حكاية حال لان المقصود
تشبيه الحالة بالحالة من غير نظر الى زمان الماضي وواقفون عطف على ملتمس
وكل اذا اضيفت الى معرفة يجوز في الراجع اليها من الضمير اعتبار اللفظ كملتمس
واعتبار المعنى كواقفون ولديه وعند يتعلقان بواقفون ومن لفظة العلم
يتعلق به ايضا ومن لابتداء الغاية او يجعل حالا من حد وسهل
وقوعها من المضاف اليه كون عند كالجزء من حد وهذا على راي ابن مالك
ومن لابتداء الغاية ويجوز ان يكون واقفون خبر مبتدا محذوف
اي وهم فيكون من عطف الجمل ويجوز ان يكون عند بدلا من لديه بدل
شيء من شيء ويساويه في مفهومه كما يتساويان في قول امرئ القيس
كاني غداة البين يوم تحملوا فان يوم وان كان اوسع من غداة يجعل
مساويا له في مفهومه حتى يكون بدل الشيء من شيء وبهذا يصح بدل
العام من الخاص الا ان لدى وعند متساويان على الاصح وانما يحتاج
الى هذا التاويل فيهما عند من يرى عند للحاضر والغائب ولدى للحاضر او من
شكلة عطف على من نقطة واو للتفصيل نحو كونوا هودا او نصارى ولا يكون
له الا بعد اجمال فهو الظاهر ان هذه الفا عاطفة على جملة فاق وفيهما
السببية لان ما دخلت عليه نتيجة ما تقدم كما قررنا في البديع والذي
خبر هو وتم فعل ماض ومعناه فاعله ومضاف لنسمه وصورته عطف
عليه والجملة صلة الذي ويجوز ان يكون معناه مفعولا ومضافا اليه
وفاعل تم هو الله تعالى لان تم يستعمل متعديا كما تقدم فعلى هذا
فبارئ النسم يطلبه تم واصطفى فيجيء المذهبان اصطفاه عطف على تم

ثم لازم
ومتعد

ومفعول ويجوز ان يعطف جملة اصطفى على جملة فهو وحبيبا الاظهر فيه الحالية
من مفعول اصطفى ويجوز جعله حالا من ضمير معناه وسوغه كون معناه
جزءا منه منزه خبر مبتدا مضمر اي هو وعن شريك متعلق بمنزه وفي محاسنه
كذلك او يتعلق بشريك المنفي بما في منزه عن معنى النفي او صفة لشريك
فجوهر مبتدا خبر غير منقسم والفاء عاطفة على جملة منزه للسببية لان
ما بعدها نتيجة ما عطفت عليه فهو من المذهب الكلامي كما تقدم في البديع
وفيه تقدم في التفسير انه خبر جوهر وعلى هذا ايضا يجوز نصب غير على
انه حال من ضمير متعلق فيه ويجوز ان يكون فيه حالا من غير من نعت
النكرة المنتصب على الحال المتقدمة عليها ويصح ان يكون حالا من ضمير منقسم
وصح تقديم معمول المضاف اليه على المضاف لان المضاف كلمة غير
والمراد بها النفي وهي مستثناة في هذا الحكم نص عليه في باب الاضافة من التسهيل
واجازه الكسائي في نحو انت اخانا اول ضارب وعلى هذا يجوز تعلق فيه
بمنقسم ولضعف تعلق المجرور ايضا وقال القصار لا يصح هذا الوجه
لفساد المعنى قلت لعله راى ان مفهومه ان جوهر الحسن ينقسم في غير الجوهر
لا ينقسم لكنه ان راى هذا ضعيف لان المعنى على المجاز فالوجه قوي في
مراد الناظم لان المراد بجوهر الحسن ذاته لا حقيقة الجوهر بر فان الحسن معنى
وقال انه حال من الحسن اي فجوهر الحسن كاينا فيه وعامله ما في الحسن
من معنى الفعل قلت وفيه اتحاد ذي الحال وعاملها ولو قال من جوهر فيكون
حالا من المبتدا على مذهب الاخفش كما قرئ ونحن عصبة بالنصب لكان
اولى وليس في هذا الوجه فساد معنى كما ظن بعضهم ويجوز ان يكون نعتا
للحسن عند من اجاز نعت ذي ال التي للحقيقة بالمجرور الاشارات لما
صلى الله عليه وسلم بما ذكر قبل من الزهد في الدنيا والاعراض عنها والاقبال
على الله بكليته والدعاء اليه بالامر والنهي واقتحام المهالك في ذلك حصل
له ما حصل من الفوقية على الكل والاختصاص اصل ذلك كله ولما كان
زيادة حسن الصورة لا كبير طائل تحته اكتفى الناظم بمجرد الاخبار

الاخلاق
الحميد

بانه صلى الله عليه وسلم فاق النبيين عليهم السلام فيه ولما كان مدار
العمل على حسن الاخلاق لم يكتف بذلك بل احترس عن وهم المقاربة فيها
مع كونه فاق بان نفى عنهم المداياة فيما هو جماعها كما قررنا ان الله لا ينظر
الى صوركم واجسامكم انما ينظر الى اعمالكم وفي الحديث ما معناه ان حسن
الخلق معلق بسلسلة في باب الجنة مربوطة بصاحبه يذهب صاحبه كل مذهب
فلا يزال به حتى يرده الى الجنة وان سوء الخلق معلق بسلسلة في باب جهنم
مربوطة بصاحبه يذهب صاحبه كل مذهب فلا يزال به حتى يدخله النار
فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل
صدره ضيقا حرجا وكان صلى الله عليه وسلم من النبيين عليهم السلام
بالمنزلة المذكورة لنيله من الاخلاق الحميدة ما لم ينالوه ومن حديث
انس قيل يا رسول الله اى المؤمنين افضل ايمانا قال احسنهم خلقا وقد
كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم وشج جبينه فلم يزد على ان قال
اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ودعاؤه بالمغفرة للكفار اما بان يسلموا
او بان لا يستاصلوا بالعذاب من اجل فعلهم ذلك بينهم سنة الله في الكفار
وليس المعنى دعاؤه لهم برفع المواخذة في القيمة ولو ماتوا كفارا لما كان
يستشكله بعض العلماء والصالحين من اشياخنا رحمه الله ورضي عنه
حتى لقد كان ينكر صحة الحديث من اجله وقال الدقاق ولم يثن الله
على نبيه على شيء مما خصه به بمثل ما اثنى عليه من حسن الخلق في قوله وانك
لعلى خلق عظيم وقال الواسطي وصفه بذلك لانه جاد بالكونين
والتسلي بالله وقال الكتاني التصوف خلق فمن زاد فيه زاد تصوفا وقيل
للاحنف ممن تعلمت الخلق فقال من قيس بن عاصم المنقري جاءت خادمه
بسفود شواء فوقع على ابن له فمات فدهشت فقال انت حرة وقال — اعتاق قيس فتاة له
الكرماني علامة حسن الخلق كف الاذى واحتمال المؤن وقال صلى الله عليه وسلم
انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وسئل
ابو حفص عن الخلق فقال ما اختاره الله لنبيه صلى الله عليه وسلم

خذ العفو الاية وقيل هو احتمال المكروه بحسن المداراة حتى ان ابن ادهم
ساله جندي في برية عن العمران فاشار الى المقبرة فشجه موضحة ثم عرف به
فجاء يعتذر فقال حين ضربني سالت الله الجنة فقال لم فقال لاني اوجر
فلا يكون نصيبي منك الخير ونصيبك مني الشر وسئل صلى الله عليه وسلم
عن الشوم فقال سوء الخلق وقيل قلب السيء الخلق لا يسع غير مراده كالمكان
الضيق لا يسع غير صاحبه وقيل يا رسول الله ادع على المشركين فقال انما
بعثت رحمة لا عذابا واما فضيلة العلم من بين ساير الاخلاق فلا يحتاج — العلم
الى دليله وكانه بحر لا ساحل له فكذلك فضله لان لكل حرسه منزلة فضيلة
ويكفيك ان الله جل جلاله وعز سلطانه جعل العلماء ثالث رتبة فقال تعالى
شهد الله الاية واما الكرم فيجعل معناه هنا السخاء فقال تعالى ويؤثرون — الكريم
على انفسهم وقال صلى الله عليه وسلم السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب
من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار
والجاهل السخي احب الى الله من العابد البخيل وقال بعضهم ما احب ان ارد
احدا عن حاجة لانه ان كان كريما اصون عرضه وان كان لئيما اصون عنه
عرضي وقيل الجود اجابة الخاطر الاول وقال بشر بن الحارث النظر الى البخيل — الجود
يقسي القلب ومرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطا عواده من اخوانه
وسال عن ذلك فقيل استحيوا من دينك عليهم فقال اخزى الله
مالا يمنع الاخوان من الزيارة وامر مناديا ينادي من كان لقيس عنده شيء فهو في
حل فكسرت عتبته بالعشي لكثرة عواده واراد رجل ان يضار عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما فقال لوجوه البلد يقول لكم ابن عباس تغدوا عندي فاتوا
الدار فقال ما هذا فاخبر فامر بشرا الفواكه والخبز والطبخ واصلح امرا فلما
فرغوا قال لوكلائه اموجود لنا كل يوم مثل هذا قالوا نعم قال فليتغد
عندنا هؤلاء كل يوم وقال ابن المبارك سخا النفس عما في ايدي الناس افضل
من سخائها بالبذل فمن حسن خلقه وخلقه واتسع علمه وكرمه وقف اخوانه
ببابه وقصر اقرانه عن مقاومته فصار بها كما ان نبينا صلوات الله وسلامه عليه

لما كمل منه ذلك كان كل النبيين ملتمسا منه ما وصف واقفون لديه عند حده

الذي عرف وقال صلى الله عليه وسلم كل ذلك لاختياره مقام العبودية

على ملك الملوكية من تواضع لله رفعه الله فمقام العبودية عظيم وفضل ما يناله

به عميم فلما اختار مقامها تم معناه وصورته واصطفى حبيبا ونزه عن شريك

في المحاسن حتى صار جوهر الحسن فيه غير منقسم وبه وصفه الله سبحانه نبيه

صلى الله عليه وسلم في اشرف اوقاته في الدنيا وهي ليلة المعراج فقال عز وجل

سبحان الذي اسرى بعبده ليلا وقال فاوحى الى عبده ما اوحى

فلو كان اقل منه لسماه به قال سهل لا يصح التعبد حتى لا يجزع من

الجوع والعري والفقر والذل وقيل من علامة العبودية ترك التدبير وشهود

التقدير والعاقل كل العاقل من عرف نفسه من الله علينا بالتوفيق وارشدنا الى الاستقامة على طريق

اصل دع ما ادعته النصارى في نبيهم ‖ واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

وانسب الى ذاته ما شئت من شرف ‖ وانسب الى قدره ما شئت من عظم

فان فضل رسول الله ليس له ‖ حد فيعرب عنه ناطق بفم

لو ناسبت قدره اياته عظما ‖ احيى اسمه حين يدعى دارس الرمم

لم يمتحنا بما تعي العقول به ‖ حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم

شرح الغريب دع اترك واصل ماضيه ودع الا انه لم يستعمل قال سيبويه استغنوا

عنه بترك وكذا استغنوا عن وذر ومصدر عه يدع واصله يودع حذفت

واوه لوقوعها بين ياء وكسرة مستحقة بحسب الاصل لان مضارع فعل المفتوح العين

يأتي على يفعل بكسرها او ضمها ولا يفتح الا اذا كانت العين او اللام حلقية

ففتحه عارض ولهذا حذفت الواو من نحو يدع وان كانت العين مفتوحة لان

فتحه عرضت لكون اللام حلقية والاصل لولا ذلك كسرها فحذفت الواو

باعتبار الكسر المستحق بالاصالة ونحوه يهب ولهذا نظائر ولمراعات الاصل

وان كان الحال على خلافه والامر من المضارع كما تقدم وكما لم يستعمل ماضيه

لم يستعمل مصدره ولا اسم فاعله ومفعوله استغنى عنهما بالترك والتارك

والمتروك قلت وفي الحديث دعوا الحبشة ما ودعوكم قال الجوهري

حذف واو بين كسر وياء

وجاء في الشعر ودع قال ليت شعري عن خليلي ما الذي غاله في الحب حتى ودعه

وجاء فيه مودوع قال اذا ما استحمت ارضه من سمائه جرى وهو مودوع

وواعد مصدق اي متروك لا يضرب ولا يزجر وادعته اي ذكرته وعقدت

وادعيت على فلان كذا والاسم فيه في النسب الدعوى والنصارى جمع نصران

ونصرانة كندامى في جمع الندمان وندمانة قال فكلتاهما خرت واسجد

راسها كما سجدت نصرانة لم تحنف ولم يستعمل نصران الا بياء النسب قالوا نصراني

ونصرانية ونصره جعله نصرانيا ومنه فابواه يهودانه وينصرانه واختلف

في سبب تسميتهم نصارى قال الجوهري لنسبتهم الى نصران قرية بالشام

ويقال ناصرة وقال غيره نصريا ويقال نصرة وكان ينزلها عيسى وامه

عليهما السلام وقيل لتناصرهم او لقولهم من انصاري الى الله وقال

الخليل واحدهم نصري كمهري ومهارى واحكم اقض حكم بينهم يحكم حكما

نصارى جمع نصران ونصرانة

وحكم له وعليه والمدح الثنا الحسن وقيل هو مقلوب الحمد وهما

اخوان ومدحه وامتدحه وكذا المدحة والمديح والامدوحة وتمدح

تكلف ان يمدح وممدح ممدوح جدا واحتكم من قولهم حكمته في كذا فاحتكم

فيه اي جاز حكمه وحكمته في مالي جعلت حكمه اليه فاحتكم علي فيه

واحتكموا الى الحاكم وتحاكموا بمعنى والمحاكمة المخاصمة وانسب اي اضف

من النسب واحد الانساب والنسبة بضم النون وكسرها مثله وانتسب

اعتزي ونسبته انسبه نسبا ونسبة ذكرت نسبه والنسب القريب

وتنسب ادعى النسب وفي المثل القريب من تقرب لا من تنسب وتناسبه

فهو نسيبه اي قريبه ونسابة اي عالم بالانساب الهاء للمبالغة فيقول

ثلث نسابات وعلامات كرجال وذات في اصطلاحهم حقيقة الشيء

ونفسه لا تانيث ذو بمعنى صاحب وكان نقل من قولهم لقيته ذات مرة

او يوما او ليلة والمعنى مرة وقال الاخفش في قوله تعالى واصلحوا

ذات بينكم انما انثوا ذات لان بعض الاشياء قد يوضع له اسم مؤنث

الذات

ولبعضها اسم مذكر كالدار والحائط انثوا الدار وذكروا الحائط وقد

اشاؤه اي اردته وكل شيء بمشيئة الله بكسر الشين كسبعه اي بمشيئته الشرف
العلو والرفعة والمكان العالي ايضا وجبل مشرف عال ورجل شريف والجمع
شرفاء واشراف بالضم فهو شريف اليوم وشارف عن قليل سيصير شريفا وشرفه
الله تشريفا وشرفته اشرفه شرفا غلبته بالشرف فهو مشروف وفلان
اشرف منه وقدر الشيء ومقداره مبلغه وقدر الله وقدره بمعنى واصله مصدر
وما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق تعظيمه وهما ايضا بمعنى ما يقدره
الله من القضاء وعظم الشيء عظما كبر فهو عظيم والعظام بالضم مثله
وعظم الشيء اكبره ومعظمه وقولهم تعجبا عظم البطن بطنك اي عظم فنقل وخفف
وكذا ما وازنه في مدح او ذم كنعم وبئس ويجوز في غيرهما التخفيف بحسن
بسكون عينه ولا ينقل ضمها لخلوه عن المدح او الذم واعظم الامر وعظمه
فخمه والتعظيم التبجيل واستعظمه عده عظيما واستعظم وتعظم
تكبر والاسم العظم وتعاظمه امر كذا ومطر لا يتعاظمه شيء اي لا يعظم عنه
الفضل والفضيلة قياس النقص والنقيصة والافضال الاحسان ومفضال
ومفاضلة ذو فضل سمح وافضل عليه وتفضل بمعنى والمتفضل مدعي الفضل
على اقرانه ومنه يريد ان يتفضل وفضلته تفضيلا حكمت له بذلك على غيره
او صيرته كذلك وفاضلته ففضلته غلبته حذا اي غاية فيعرب اي يبين
ويفصح واعراب كلامه لم يلحن وبحجته افصح بها ولم يبق احدا ومنه
الثيب تعرب عن نفسها وناطق اي متكلم والمنطق الكلام ونطق نطقا و
انطقه غيره وناطقه واستنطقه كلمه والمنطيق البليغ واصل فم فوه
حذفت هاؤه ولم يحمل الواو الاعراب لسكونها وعوض عنها الميم ويصغر فويه
ويجمع افواه على الاصل لا افمام النسب اليه فمي او فموي وشفوه فموان
وانما جمعوا بين العوضين كانهم جعلوا الميم في هذين الحالين عوضا عن الهاء
لا عن الواو وفيه لغات اعرابه بالحركات الثلث مع تثليث فائه وقد تثلث
فاؤه مع القصر وقد يشدد ميمه في الشعر والكثر فيه القول في شرح التسهيل
ناسبت اي ماثلت وليس بينهما مناسبة اي مشاكلة اياته اي علامات ثبوته

جمع آية وهي العلامة واصلها عند سيبويه اوية بحركة الواو وقبلها
فتحة فقلبت الفاء قال لان باب طويت اكثر من حييت وقيل ايية وينسب
على الاول اووي وقال الفراء وزنها فاعلة واصلها آيية
وقيل الاية كقصعة فابدلت الهمزة الثانية الفا لسكونها بعد المفتوحة
وفيها اقوال اخر لا تطيل بها وعلى هذا الاخير خففت بحذف اللام وجمعها
آي واياي وايات واية الرجل شخصه والاية الجماعة ومنه آية القرآن
لانها جماعة حروف ولا يصح هذا هنا احيي من الحيوة ضد الموت
يقول احياه الله فاحيى وبالادغام ايضا وهو اكثر فان عرضت الحركة
نحو ان يحيي لم يدغم وحييت احيي وللجماعة حيوا كخشوا قال
سيبويه ذهبت الياء للساكنين لان الواو ساكنة وحركة الياء
قد زالت اذ لا تحرك بالضمة لثقلها ويجوز ادغامه والاسم اراد به
التسمية اي اللفظ وحين اي وقت يدعى اذ يتادبه الدارس الذاهب
العافي درس الرسم يدرس دروسا ودرسته الريح يتعدى ولا يتعدى
اذا عفا وذهب ورمم جمع رمة بالكسر وهي العظام البالية ويجمع
ايضا على رمام ورم العظم يرم بالكسر رمة وقوله تعالى وهي رميم
لان فعيلا وفعولا قد يستوي فيه المذكر والمونث امتحنته
ومحنته اختبرته والاسم المحنة واحدة المحن التي يمتحن بها الانسان
من بلية ومحنة البئر محنا اي اخرجت ترابها وطينها عيي بالكسر وقد
يدغم وهو اكثر يعيى بالفتح اي لم يهتد لوجهه وفي الجمع عيوا مخففا
كما تقدم في حيوا وقد يدغم والوصف عيي على فعيل وعي على فعل
والعي خلاف البيان عي في منطقه وعيي وفي المثل اعيى من باقل
وقوم اعياء واعيياء واعييته وعييت بامري واعيا هو اذا
لم يهتد لوجهه واعيى الماشي فهو معي ولا يقال عيان واعياه الله
واعيا عليه الامر وتعيا وتعايا بمعنى وداء عياء صعب لا دواء له كانه
اعيا الاطباء والمعاياة ان تاتي بشيء لا يهتدى له وجمل عياياء لا يهتدي للضراب

على مفعول مصدر
ام لا

ورجل عيايا اذا عيي بالامر والمنطق والعقول جمع عقل وهو الحجر والنهى
ورجل عاقل وعقول وعقل يعقل عقلا ومعقولا ايضا وقال
سيبويه لا ياتى المصدر على مفعول البتة وانما هو صفة وتاول المعقول
كانه عقل له شئ اى حبس وشدد وايد قال ويستغنى بهذا عن المفعل
الذى يكون مصدرا والحرص اشد الطلب وهو الجشع وقد حرص على الشئ
يحرص بالكسر فهو حريص والريب الشك وارتياب شك والريب الشك ورابك
من امر والاسم الريبة بالكسر ورابنى واسترنبت به رايت منه ما يريبنى
ويكره وهذيل يقول ارابنى وهام الرجل فى امراة لم يدركه تحريج
وتقدم فمعنى لم يبهم لم يتحير التفسير تقول اترك ما ادعته النصارى
وما قالته فى نبيهم وهو عيسى عليه السلام من نسبته الى الالهية على
اختلافهم فى ذلك كما تراه انشاء الله تعالى واحكم بما شئت من
سوى ذلك من ساير انواع المدح والثناء فى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
واحكم اى وجز الحكم فيه بما شئت من المدح لكونك حكمت فى ذلك
ما احطبك دعوى النصارى المذكورة فانك لا تحكم بها ولا تحكم فتحكم
فيها اى لا تجز الحكم فيها ثم قال وانسب الى ذاته السنت اى تركت
المقالة المذكورة فلا تبال بما توالت فيه من المدح فاحكم بما شئت
وانسب اى اصف الى ذاته اى الى حقيقته ما شئت من شرف اى من علو
منزله ورفعتها واصف ايضا الى قدره اى الى مبلغه فى الرتبة الشريفة
والمناصب المنيفة ما شئت من عظم اى من تعظيم وتبجيل فانه لا حجر عليك
بعد العدول عن المقالة المذكورة وانت صادق فيما تمدحه به من ذلك
لا تكذب وخص الذات بالشرف لان الشرف العلو ومنه مكان مشرف
ولما كانت الذات مدركة اشبهت المكان العالى الظاهر لكل احد فكانها
جبل مشرف لا يخفى وان كان الشرف يشمل شرف النسب وكرم الاخلاق
وحسن الصوره فان ذلك كله لا يخفى ولما كان مقداره لا نهاية له
ولم يكن بحيث يدركه احد على سبيل الاحاطة والتفصيل خص باضافه

العظم له ولا اعظم مما لا انتهاء له ودل على ان شرفه وقدره لا نهاية لهما
قوله فيهما بما شئت اى بما يتصوره من المشيئة ولو ساغها لا نقطعت المشية
لانحصار متعلقها وما اباح من مدحه بما شاء المادح من انواع المدح ومن
نسبه ما شاء من الشرف الى ذاته وما شاء من العظم الى مقداره امر لا يجهل
فى كل حال لا يعدل لان مدح رسول الله لا يبلغ احد مداه ولا يصل
الى منتهاه والى هذا اشار بقوله فان فضل رسول الله ليس له حد
اى ليس له نهاية فيعرب عنه اى لاحد له فكيف يتصور ان يفصح عنه ناطق
بفم اى متكلم باى كلام كان ولذا قال بفم اى لا يختص العجز عن حصر مدحه والافصاح
به ناطقا بفم لا اعجميا لقصور تعبيره ولا عربيا لحسن تحبيره وتطرد لاله
فم على العموم وعدم كونه حشوا ما قرره الزمخشرى فى قوله تعالى
وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الاية فانه جعل الارض
وبجناحيه للدلالة على العموم ثم لما كان قول الناظم احكم بما شئت وانسب
الى ذاته ما شئت وانسب الى قدره ما شئت كل ذلك توهم لعمومه انما افاد
بان يقال بما شئت من الحسن وغيره فسر الاول بقوله مدحا والثانى بقوله
من شرف والثالث بقوله من عظم وهذه التفاسير كلها من الاحتراس فان
قلت وبماذا يحترس عما يوهمه عموم مدحا وشرف وعظم من شمول الاوصاف
الالهية فان هذه الالفاظ تفسير لما الموصولة العامة وتفسير العام عام
قلت احترس عن ذلك بقوله فى البيت الاول دع الى آخره فدل ان مراده بعموم
تلك الالفاظ ما عدا الاوصاف الالهية مما لا يجوز فى حق البشر كما ان البيت الاخر
ايضا احتراس عما يوهمه قوله قبله فجوهر الحسن فيه غير منقسم من شمول
الاوصاف الالهية وقال بعضهم زاد فى البيت الاول دع الى آخره واكتفى
بذلك عن ذكره فى الثانى فهو حذف من الثانى لدلالة الاول قلت انما يحسن
ان يكون من هذا النمط ان لو تاخر عن قوله واحكم والا فهو متقدم على الجميع
فالاولى ما قلنا من ان ذكره دع اولا قرينة التخصيص فى لفظ ما من جميع الجمل
فان قلت كان من اللايق ان يقول فى البيت الثانى انسب بغير عاطف وياتى

بالفاء فان ترك العاطف يقتضي انه تفسير ما اجمل في قوله احكم بما
سئت مدحا والفاء يدل انه نتيجة وسبب عنه واما الواو فلا معنى
لها هنا لانها يوذن بالمغايرة ومعنى الامرين واحد قلت ليس معنى الامرين
واحد والواو في محلها فان الاول امر بان يحكم بما شاء من المدح اي ان
سمعت فيه مدحا باي شيء كان ماعدا ما ذكر فاقض بصحته ولا تكذب
قائله فمعنى بما شئت اي لصحة ما شئت مما سمعت لان مما يسند عليه
الحكم محكوما فيه ولا بد وان يكون غير فعل الحاكم واتى بقوله واحكم
استظهارا على ان المحكوم عليه بصحة مدحه يرضى بتحكيمك في ذلك
فيحصل لك حيازة الحكم وهو احتراس عما يوهمه احكم ان ذلك لسلطان
الحاكم وقهره فزاد احتكم ليدل على انه من الحكم الذي يرتضيه المحكوم عليه
به فيحكم الحاكم في ذلك قوله وانسب اي وكما حكمت بصحة مدح غيرك
فتول انت ذلك بنفسك وانسب فالامر الاول بالحكم بصدق ما سمع
من المدح والثاني بمباشرة المدح وانشائه وهو في غاية الوضوح والحسن
وبهذا يعلم ضعف قول من قال ان البيت الثاني لم يفد الا بفضل ما افاده
الاول كما لا يخفى وبعد عن فضل رسول الله هو باعتبار المنتهى وليس كنفي الطرف
عن الدائرة فانه يقال لا طرف لها كما قال بعضهم ولا يحتاج الى
بان الناظم انما نفى الحد لا الطرف فان قسما لا نهاية له لم يحتج الى ما ذكره
قال ولو قال الناظم فان فضل انبياء كلهم ليس له حد اذ هم رسول الله
لصح التعليل واستقام المعنى فان فضل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
انما كان لا حد له من حيث كان منهم عليهم السلام قال وعلى هذا يجوز
ان يريد برسول الله الكلي اي اي رسول كان انتهى قلت ولقائل ان يقول
وان سلم ان كلا منهم لا نهاية لفضله لكنه خلاف مقصود الناظم
فانه لو كان هذا حكم كل نبي صلوات الله وسلامه عليهم لتساووا كلهم
في الفضل لان من لا يتناهى فضله لا يفضل من يساويه في ذلك لكنه
فضل محمدا صلى الله عليه وسلم وعليهم على جميعهم بقوله فاق النبيين

وما يعد

اعتقاد النصارى لعنهم الله في حق عيسى صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء

وما بعده وبقوله فهو الذي تم معناه فخصص لك فيه وبقوله فجوهر الحسن فيه
غير منقسم هذا خلف وايضا قرينة الاخبار عنه فيما قبله وما بعده يعين
انه المراد واما اشار اليه الناظم من مقالة النصارى في عيسى عليه السلام
فاعلم ان النصارى فرق تختلف الاعتقادات فيه الا انهم مع اختلافهم
اطبقوا من حيث الجملة على ان له حظا من الالهية نقله ابن عطية فمنهم
من يقول انه اله ومنهم من يقول ابن الله ومنهم ابن الهين وهم ايضا
مع اختلاف فرقهم على ما ذكر في الارشاد مجمعون على التثليث اي يقولون
ان الله ثالث ثلثة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وما من اله الا اله
واحد ثم اطبقوا على ان المسيح اله وعلى انه ابن الاله وعلى لاهوت وناسوت
اي هو مركب من جزء انساني وهذا معنى الناسوت وجزء الاهي وهذا معنى
اللاهوت وهي متناقضات لا يصدر عن عاقل وقالوا الاقانيم ثلثة الوجود
وهو الاب والعلم وهو الابن وقد يسمونه الكلمة والحياة وهو روح القدس
وزعموا ان الكلمة اتحدت بالمسيح وتدرعت بالناسوت منه فمنهم من قال حلت
جسده كحلول العرض محله وقالت الروم امتزجا كامتزاج الخمر واللبن ويلزمهم
لولا تحكمهم ان تكون الاقانيم اربعة بزيادة القدرة بل عدها منها اولى
من عد العلم فان خاصيتها التاثير وليس عد الوجود منها باولى من عد البقاء
والسمع والبصر وقالوا ان الاقانيم هي الجوهر بلا مزيد وانما كونه ثلثة بمثابة
الاحوال فيقال لهم اذا حل العلم المسيح فاما ان يبقى للجوهر او لا فان
بقي استحال حلوله بعيسى لان العرض الحال في جسم يستحيل ان يحل في اخر
مع بقائه في الاول ويستحيل ان يحل فيهما معا لان الواحد لا يقوم بالاثنين واذا
امتنع هذا في العرض فلان يمتنع فيما هو كصفة النفس اولى وان لم يبق العلم
بعد حلوله بعيسى للجوهر لزم خلو الجوهر عنه فلا يكون فيه الحقيقة الالهية
وبالجملة فالكلام مع النصارى في الالهيات خبط لانهم لا يعقلون
ما يقولون ثم الذي اداهم الى مقالتهم في عيسى هو ما ظهر على يديه من ابراء
الاكمه والابرص وغير ذلك من خرق العوائد وقالوا ان هذه الافعال لا تصدر

اللاهوت والناسوت

الكلام مع النصارى في الالهيات خبط

الا عن الاله ويقال لهم لو كان ظهور خوارق العوايد دليلا على الهية من ظهرت على يديه للزم ان يكون موسى عليه السلام وغيره من الرسل الهة تعالى الله عن ذلك بل ذلك في موسى اظهر منه بعيسى عليه السلام فان احياء الميت اقرب الى العقل من قلب العصا ثعبانا وقال الامام فخر الدين ورد علينا نصراني يدعي العلم ويطلب المناظرة فقلت له هل تسلم انه لا يلزم من انتفاء الدليل انتفاء المدلول فلم يفهم مقتضى القاعدة فلم ازل به حتى فهمها وسلمها فقلت اذ ذاك لم لم تحل ذات الاله في ساير المخلوقات كذات عيسى فقال لظهور الخوارق فانا ما اثبتنا ذلك لعيسى الا لما ظهر على يديه ولما لم يظهر ذلك على يد غيره لم يمكن اثبات الحلول له فقلت تلك الاشياء دليل على الحلول وانتفاؤها لا يدل على انتفائه لما سلمت من القاعدة فيلزمك ان تشك هل حل في غير عيسى من ساير الاجسام ام لا واخس بمذهب يجوز الحلول في احقر الاشياء فانقطع ومما يناسب قول الناظم فان فضل رسول الله البيت ما روي ان عمر سمع بعد موته صلى الله عليه وسلم يقول وهو يبكي بابوي انت يا رسول الله لقد كنت تخطب على جذع فلما اتخذت المنبر حن لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك احق بالبكاء عليك صلى الله عليك وسلم بابوي انت بلغ من فضلك عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله ثم بابوي انت بلغ من فضلك عند الله ان اخبرك بالعفو قبل الذنب فقال عفى الله عنك لم اذنت لهم قلت لا يريد رضي الله عنه الذنب المتعارف وانما هو من قولهم حسنات الابرار سيئات المقربين فهو من ترك الاولى ثم قال بابوي انت بلغ من فضلك ان بعثت اخر الانبياء وذكرت اولهم قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك الاية بابوي انت بلغ من فضلك ان اهل النار يودون وهم بين اطباقها ان يكونوا اطاعوك يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا بابوي لئن اعطي موسى حجرا يتفجر منه الانهار فليس باعجب من نبع الماء من اصابعك صلى الله عليك

منازعة الامام فخر الدين الرازي مع نصراني

تعازي عمر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم

بابوی

بابوي انت لئن اعطي سليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر فليس باعجب من سيرك على البراق الى السماء السابعة من ليلتك ثم صليت صبحها بالابطح صلى الله عليك بابوي انت لئن اعطي عيسى احياء الموتى فليس باعجب من كلام لحم الشاة المسمومة وهو مشوي لك فقال لا تاكلني فاني مسموم بابوي انت لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فلو دعوت علينا مثلها هلكنا عن اخرنا فقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون بابوي انت لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره فقد امن بك الكثير ومن امن معه الا قليل بابوي انت ان لم تجالس الا كفوا لك لما جالستنا ولم تنكح الا كفوا لك ما نكحت الينا ولو لم تواكل الا كفوا لك ما واكلتنا فلقد جالستنا ونكحت الينا وواكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار واردفت خلفك ووضعت طعامك على الارض ولعقت اصابعك تواضعا منك صلى الله عليك وسلم تسليما وقوله لو ناسبت قدره البيت يعني ان فضله صلى الله عليه وسلم لما كان لا حد له لزم من ذلك ان جميع ما ظهر على يديه من الايات لم يكن شيء منها مناسبا لقدره ولو ناسبت شيء منها قدره لكان من جملتها انه اذا دعي دارس الرمم مع ذكر اسم محمد صلى الله عليه وسلم عند دعاء الدارس ان يجيبه الله سبحانه وتعالى بسبب بركة ذلك الاسم عنده كان يقال مثلا محمد قم يا فلان فدارس على هذا يطلبه يدعى واحيا فان عمل فيه يدعى فيعمل احيى في ضميره ولم يذكره لانه منصوب عنه عمله في الاصل والتقدير احياه اي احيا دارس الرمم بركة ذكر اسم محمد صلى الله عليه وسلم حين يدعى اي ينادي دارس الرمم فدارس الرمم مرفوع على انه مفعول لم يسم فاعله بيدعى وان اعملت فيه احيى كان منصوبا به على انه مفعوله وفي يدعى ضمير مرفوع نايب عن الفاعل والتقدير احيا بركة ذكر اسمه دارس الرمم حيا لذكر الاسم المبارك ويحتمل ان يكون ضمير يدعى معنى يذكر اي احيا اسمه دارس الرمم

حين يذكر هو اى اسمه ودارس على هذا مفعول احيى وهذا وجه سهل
او يكون مرفوع يدعى ضمير الاسم اى ينادى الاسم ودارس على هذا منصوب
باحيى واسناد النداء الى الاسم اما لان الاسم المسمى او مجاز اى مسمى الاسم
اذ المدعو حقيقة المسمى ثم لا يخلو الكلام من تعقيد وقيل معناه احيى اسمه
اى بركة اسمه او ذكره دارس الرمم حين يدعى الى الله تعالى ويتوسل اليه بذلك
الاسم كان يقال اللهم بحق محمد احيا هذه الرمة فيدعى من الطلب لا من النداء
وضمير يدعى ضمير المصدر الذى هو الدعاء ولا يعود على الاسم لانه يفسد المعنى
انتهى وهذا وجه حسن الا ان قوله ان ضمير يدعى يعود على المصدر ولا
معنى له ولو قلنا انه يعود الى الله جل جلاله للعلم بانه لا يدعو سواه والتقدير
حين يدعى الله سبحانه ذلك ببركة ذلك الاسم لتم حسنه واما بيان ما قصد
تقريره من الدليل فان يقال لو ناسبت اياته صلى الله عليه وسلم قدره لكان
اذا دعى باسمه دارس الرمم يحيى بان الله على اختلاف فى تفسير الدعا باسمه
فلم يناسب اياته اما بيان الملازمة فلانه لا اعظم فى منازل الاكرام من
ان يحيى الميت عند ذكر اسمه المكرم والنبى صلى الله عليه وسلم اكرم الخلق
فيكون منزلته اعظم منازل الاكرام ان ناسبت قدره اياته فلما لم يحصل
هذه المنزلة من الاحيا باسمه لم تناسب اياته قدره هذا تقرير كلامه وفيه
ابحاث الاول ان يقال الملازمة ممنوعة قوله لا اعظم فى منازل الاكرام
من كذا قلنا بل اعظم منه ان يستقر الميت عند ذكر اللفظ حيا فى الجنة من
دون حساب ولا عذاب او ان يكون ذكر اسمه عصمة من الموت الى ان يدخل فى
الجنة من غير موت او يموت عند ذكر اسمه هيبة ثم يستقر حيا فى الجنة او غير ذلك
من الوجوه الكثيرة لا يقال ما ذكرته ممتنع لانه يخالف ما سبق به العلم
لانا نقول وما ذكره الناظم ايضا من ذلك الثانى ان يقال سلمنا الملازمة هنا
على ان الخاصية المذكورة لا اعظم منها لكن لا يلزم ان لا يكون فى منزلتها
ما هو مساو لها اذ لا يلزم من كون شئ من المخلوق لا اعظم منه الا ان يكون
له مساو فى العظم وانما اللازم ان يكون شئ اعظم منه وبهذا يجمع بين قوله تعالى

ومن

ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وبين قوله ومن اظلم ممن منع مساجد الله
لان المعنى فيهما لا احد اظلم من كذا فان لم يكونا متساويين يلزم ان يكون
كل اظلم من الاخر وانما المعنى ان لا مرتبة من الظلم فوقهما اذا عرفت هذا
فاعلم ان الخاصية المذكورة وان دلت على مناسبة قدره صلى الله عليه وسلم
لاية لو اعطيها فلذلك ما هو مثلها لو اعطيه وحينئذ لا يلزم من كونه
لم يعط الخاصية المذكورة على التعيين ان لا يكون اعطى ما يساويها فى العظم
وذلك كالشفاعة الكبرى مثل الذى يظهر فيها فضله صلى الله عليه وسلم
لجميع الامم على جميع الخلايق او كشفاعته لاخراج المومنين من النار
او كنطق العجماوات له صلى الله عليه وسلم والجماد كسلام الحجر والشجر
وحنين الجذع وهذا نوع من الاحياء وككلام ذراع الشاة او فخذها له على
اختلاف الروايات وكحديث الحسن قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم
طرحت بنية لى فى وادى كذا فانطلق معه الى الوادى وناداها يا فلانة احيى
باذن الله فقالت لبيك وسعديك فقال لها اسلم ابواك فان احببت رجعتك
اليهما فقالت لا وجدت الله خيرا لى منهما وعن انس رضى ان شابا توفى وله
ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناه فقالت مات ابنى قلنا نعم قالت اللهم ان كنت
تعلم انى هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان يعيننى على كل شدة فلا تحملن على
هذه المصيبة فما برحنا الى ان انكشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وعن
عبد الله بن عبيد الله الانصارى كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس
وقد قتل باليمامة فسمعناه فى القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر
الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت وعن النعمان
بن بشير ان زيد بن خارجة خر ميتا فى بعض ازقة المدينة فرفع وسجى اذ سمعوا
بين العشائين والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا انصتوا فحسر عن وجهه
فقال محمد رسول الله النبى الامى وخاتم النبيين كان ذلك فى الكتاب
الاول ثم قال صدق صدق ثم ذكر ابا بكر وعمر وعثمان ثم قال
السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان الثالث

الكرامات السيد صلى الله عليه وسلم

لم تزل الناس يعترضون هذا البيت من وجه آخر ويقولون كلامه يعطي ان شيئا
من اياته صلى الله عليه وسلم لم يناسب قدره لان لو حرف امتناع لامتناع اى
امتنعت الخاصية المذكورة لامتناع مناسبة شيء من اياته قدره وهذا باطل
لان من اياته القران وهو كلام الله وكلامه صفته وشرف الصفة لشرف
الموصوف فكيف يصح ان يقال الصفة الله لم تناسب قدر النبي هذا تقدير الاعتراض
واكثروا في الجواب واقول ان هذه مغالطة فان القران يراد به كلام الله
الذي هو صفة ذاته وهذا المعنى قايم بذاته سبحانه وتعالى ولا يفارق الذات
باطلاق القران عليه بمعنى المقرو وهذا لا يكون معجزة لان المعجزة فعل الله
خارق للعادة وهذه صفة للذات ويراد بالقران الحروف والاصوات التي
ينطق بها صوت القاري وينتفي اوداجه وهذا هو المعجزة واطلاق القران عليه
بمعنى القراءة ومدلول للمعنى القديم وهو الدال عليه وهو مراد الناظم لانه
اراد بالاية المعجزة وحينئذ يمنع ان يكون الحروف والاصوات مناسبة لقدره
صلى الله عليه وسلم ولقد ذاكرت بعض فضلاء المصريين في هذا الاشكال
فذكر عن بعض فضلاء العجم انه اجاب عنه بان قال ولئن سلم الناظم شرف
الحروف والاصوات او مساواتها لقدره صلى الله عليه وسلم لكنه انما بنى
شرطيته على ان كل اية اية لو ناسبت لكان كذا لكنه لم يكن فلم تناسب كل
اية اية ولا يلزم كون البعض مناسبا لانه انما علق الحكم على مناسبة كل
فرد فرد وانما قلنا ذلك لان ايات جمع اضيف فيعم ودلالة العام من باب
الكلية لا من باب الكل واستحسنت هذا الجواب حين ذكره ثم نظرت فيه فرايته
يقتضي الخلاف المقصود لانه انما يستثنى في هذه القضية نقيض التالي فينتج
نقيض المقدم اى لم يناسب كل فرد فرد من اياته قدره نعم لو كان الدلالة العام
من باب الكل من حيث هو كل لصح كلامه فانه لا يلزم من نفي الحكم عن المجموع
من حيث هو مجموع نفيه عن كل فرد واعترض كلام الناظم ايضا بان هذا
المدح يجوز معه ان يكون هناك نبي متصف بهذه الصفة ولا يكون اعظم
بل يجوز في ساير الانبياء ان لا يحصل اية من ايات كل منهم الا وهي دون قدره

الكل والكليات

ولا

ولا يلزم ايضا ان يكون الاتى باعظم الايات اعظم الانبيا كعيسى عليه السلام
فانه جاء باعظم الايات وهي احياء الموتى قلت وهذا الاعتراض كالذي تقدم
في قوله فان فضل رسول من ان ذلك انما كان من حيث كونه رسولا من الرسل
عليهم السلام والجواب كالجواب فراجعه وقوله لم يمتحنا البيت تمام اتى به
بما قبله لانه لما بين ان قدره اكثر مما ظهر على يده اخذ يعتذر بانه
لو اتت اياته على مناسبة قدره لاعيانا فهم ذلك لقصورنا عن قدره فاتت
الايات التي ظهرت على يديه على قدر رتبتنا لنفهم المراد منها وهذا المعنى
قربه الغزالي في الاحياء على ما حكى من جواب الحكيم الذي ساله الملك كيف
ادركوا البشر كلام الله وهو فصل طويل كبير الفايدة فاطلبه في موضعه
واظنه في كتاب اداب القراءة او اداب الصلوة من ربع العبادات ولولا الاطالة
لحكيناه ولهذا المعنى الذي اشرنا اليه كان الرسل من جنس البشر لا من جنس
الملئكة كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا الاية لان البشر لا يقدر بنيته
لضعفها ان يتلقى من الملك على حاله ولذا ما كان جبريل يلقى محمدا
صلى الله عليه وسلم بل بغيره الا في صورة البشر وانه حين ساله ان يراه على
هيئته فلما غشيه لم يطق على ذلك وهو معنى قوله تعالى لجعلناه رجلا
اي في صفته لانهم لا يطيقون ملاقاته الا كذلك فهو يقول لعلو قدره
صلى الله عليه وسلم اخص من المعارف من درت الايمان وعجزه بما لا
يقدر نحن على ادراكه وبسط هذا يضيق عن حمله الدفاتر فاقتنع
بالاشارة فمن حرصه صلى الله عليه وسلم على ايماننا وتبليغ خير البيات
لم يخاطبنا بما يريد بلاغه الينا وفهمنا اياه على قدر منزلته بل على قدر
منازلنا والى هذا اشار بقوله لم يمتحنا اى لم يختبرنا في التكليف والتفهيم
بما تعيى اى تكل العقول اى عقولنا به اى بسببه او عن حمله ويحتمل التقوى
بدل العقول وقوله حرصا اى لاجل حرصه ورغبته على هدايتنا او نحوه
من المضاف المقدر الينا وقوله فلم نرتب اى فلم نشك فيما يلقى الينا
ولم نهم اى ولم نتحير في ذلك وهذا المعنى الذي اشار اليه دل عليه الكلام

والسنة قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ولا رحمة
مع التكليف بما لا يفهم وقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل
شيء وقال ولتبين للناس ما نزل اليهم وهو كثير وقال صلى الله عليه وسلم
ما تركت شيئا يقربكم من الجنة ولا شيئا يبعدكم من النار الا بينته لكم ومن حرصه
صلى الله عليه وسلم على هدايتنا كان كثيرا ما يضرب المثل بالمحسوس ليحصل
الفهم سنة القرآن من ذلك ما رويناه في صحيح البخاري من حديث ابي موسى
انه صلى الله عليه وسلم قال مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث
الكثير اصاب ارضا فكان منها نقية قبلت الماء فانبتت الكلاء والعشب
الكثير وكانت منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا
وسقوا وزرعوا واصاب منها طائفة اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء
ولا تنبت كلاء فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به
فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي
ارسلت به ومنه ما رويناه في الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم
في بعض خطبه ما اخشى عليكم الا ما يخرج من زهرة الدنيا فقال رجل
يا رسول الله ايأتي الخير بالشر فصمت ساعة ثم قال كيف قلت فاعاد عليه
فقال صلى الله عليه وسلم ان الخير لا يأتي الا بالخير او خير هو وان كل ما ينبت
الربيع يقتل حبطا او يلم الا آكلة الخضر اكلت حتى امتلأت خاصرتاها استقبلت
الشمس فثلطت وبالت ثم اجترت فعادت واكلت فمن يأخذ مالا بحقه يبارك
له فيه ومن يأخذ بغير حقه فمثله كمثل من يأكل ولا يشبع فاقر صلى الله
عليه وسلم ان الخير لا يأتي الا بالخير وانكر ما ظن السائل انه خير من متاع الدنيا
وضرب المثل بالدنيا فانه خير في الظاهر ولكنه منه او جميعه قد يقتل حبطا
اي بامتلاء البطن منه او يلم اي يقارب القتل وهو كالمكثر من مال الدنيا
يأخذ من غير وجهه ويصرفه في غير حقه فهو يهلك او يقارب ووجه
التشبيه ان النبات الاخضر زهرة الدنيا والمال كذلك واكلة الخضر
هي الدابة ترعى فاذا امتلأت تركت الرعي واستقبلت الشمس ليضاعف حرارتها

العزيزية بحرارة الشمس فيكون ذلك اعانة على الهضم فتسلم بذلك وتترك
التمادي على الرعي من التخم وغيرها من آفات الشبع والخضر النبات الغض وقل
كلاء الصيف والثلط خروج البراز بسهولة ضرب مثلا لمن يأخذ من مال
الدنيا على وجهه بقدر الحاجة ويصرفه في حقه فهذا يسلم من آفات الدنيا
ومن التبعات ومن ذلك ايضا حديث عبد الله خط النبي صلى الله عليه وسلم
خطا مربعا وخطا في الوسط خارجا منه وخطوطا صغارا من جانبي هذا
الذي في الوسط فقال هذا الانسان يعني ما في داخل المربع من الخط
الوسط وهذا اجله محيط به او قد احاط به يعني المربع وهذا الذي خارج
امله والخطوط الصغار الاعراض ان اخطاه هذا نهشه هذا وجعل
صلى الله عليه وسلم الامل متصلا بخط الانسان وخروجه عنه اشارة
الى طوله حتى انه جاوز اجله وكان الاجل مربعا اشارة الى ان الاجل محيط
من الجهات الاربع من اليمين والشمال والخلف والامام او المشرق والمغرب
والجنوب والشمال اما الفوق فلا يفر من الاجل اليه اذ لا يقدر على الصعود
واما التحت فلا يدخله الا بانتهاء اجله وهو القبر والبحث فيه كما في قوله تعالى
حكاية عن ابليس ثم لآتينهم الآية وفي بيانه وشأن لم يترك التمثيل بحلقة
الدائرة طول فلذا تركناه فان قلت قول الناظم فلم ترتب نفي للشك ولا يلزم
من انتفائه نفي الظن بل قد يثبت الظن مع انتفاء الشك فاذا لم يشك فيما اخبر
قلت اما ما يرجع الى الاحكام في المسائل الظنية الاجتهادية فلا نسلم ان الظن
لا يكفي فيها لا بمعنى انا نظن صدق ما اخبر هو صلى الله عليه وسلم به من حيث هو
خبر بل من حيث انه مراده بخبره لا سيما ان قلنا لا شيء من الادلة اللفظية
يفيد القطع على ما هو التحقيق واما ما يرجع الى المسائل الاعتقادية فالظن لا يكفي
فيها كما ذكر لكن لا نسلم انه لم ينتف بقوله لم ترتب فانه نفي لجنس الريب
قويا كما كان في الشك المتساوي الطرفين او ضعيفا كالوهم الباقي مع الظن
لان نفي الاعم يستلزم نفي الاخص ونفي الشك يستلزم نفي الظن لان
حقيقة الظن مهما وجدت وجد معها الاحتمال المرجوح فلا ينتفي جنس الشك

الا بثبوت اليقين او نقول المنفي شك خاص وهو الذي يحصل به العمى
والتحير وذلك في المتساوي الطرفين واما الذي مع الظن فلما كان نرجوحا
كان الحكم للراجح وهو ظن لا حيرة معه ولذا اردفه بقوله ولم نتم نفي للوهم
فينتفي الظن لان نظن احد النقيضين يلزمه وهم الاخر قلت وكان نتم
عنه اصله نوهم من الوهم وقد علمت ان معناه تحير من تهام يهيم كما ينتفي
الظن بنفي الوهم ينتفي بنفي الشك كما قررنا فيكون ولم نتم على هذا تكرارا
فان قلت كيف قال لم يحنا بما نعي العقول به وفي القرآن المتشابه الذي
لا يعلم تاويله الا الله قلت هي مسئلة خلاف والمحققون على ان الوقف
على قوله تعالى في العلم لان الخطاب بما لا يفهم بعيد فيعلم تاويله ايضا
الراسخون في العلم واذا علموه علموه غيرهم او نقول لم يحنا بكذا ابا
ما يرجع الى ما كلفنا به لا يكلف الله نفسا الا وسعها وما جعل عليكم في
الدين من حرج والمتشابه ليس من ذلك اذ لا يتعلق به تكليف وتمام تحقيقه
في علم التفسير المعاني التعبير بالموصول في قوله ما اذعنه لتعظيم مقام
باعتبار جرأتهم على الله وكفرهم نحو فغشيهم من اليم ما غشيهم وان كانت
نكرة موصوفة فالتنكير للتعظيم ولذا عبر بالامر في قوله دع دون النهي
لان هذا النوع من الاوامر في ضمنه النهي فاختاره حتى يكون محرضا على
ترك هذه المقالة بالامر والنهي ولا يستفاد هذا من صيغة النهي واختار
اللفظة بعينها دون ان يقول اترك لتحصيل التجنيس وال في النصارى
عند بعضهم للعهد قال ومراده النصارى نجران الذين حاجوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في شان عيسى عليه السلام حتى دعاهم الى المباهلة
بامر الله في قوله تعالى قل تعالوا ندع الاية والصواب انها للجنس لما قدمنا
من ان جميع النصارى يجعلون لعيسى حظا من الالهية والمعهود في الشيء
انه من البشر ولهذا الاشارة بقوله تعالى ما المسيح بن مريم الا رسول قد
خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلون الطعام اي وليس
برسول ولا ياكل الطعام وليست الاضافة للاختصاص اذ ذلك يوهم نفي

لس

ليس نبيا لنا ايضا وليس كذلك بل هو نبي لنا بمعنى انا نؤمن بنبوته لا انه
صاحب شريعتنا وهو سيبعث فينا منا واماما منا ويوهم ايضا ان محمدا
صلى الله عليه وسلم ليس بنبي للنصارى وهو باطل والموصولية فيما
شئت في المواضع الثلثة للعموم وفي جميعها ابهام ومدح وشرف وعظم
تفسير وتنكير مدحا للتعظيم وهو للاحتراس وانظر هل يكون لفظ فيه احتراس
نحو على حبه وتنكير شرف وتعظيم للتعظيم وهما احتراسان وتنكير حد
للجنس وهو منفي وناطق وفم للتقليل اي لا يوجد ولو نادرا والاضافة في فضله
وايائه واسمه للاختصاص وعظما احتراس وتنكيره للتعظيم ودارس فيه
اجمال والرمم فيه بيان احتراس لان احيا من بليت عظامه اقوى في الاثر ممن
درس لحمه وال في العقول نائبة عن الضمير اي عقولنا وان قدرت العقول منا
فللعهد وحذف متعلق ترتب ولهم اي في شيء لافادة عموم متعلقها البيان
المجاز في اسناد الاحياء الى اسمه والاعيا الى العقول من المجاز العقلي على الجزم لانه
المختار وهو من اسناد الفعل الى سببه لان ببركة الاسم يحيي الله تعالى وتعكس
ان بعضهم جعله من الاستعارة وان شئت جعلت يعني العقول من التمثيل نحو
مثل الذين حملوا التوراة الاية البديع تقرر ان البيت بكماله احتراس عما
يوهمه اطلاق المدح بما شئت كما تقدم ان قوله مدحا وشرف وعظم
احتراس ودع ما ادعته من التجنيس الشبيه بالاشتقاق واما احكم واحكم
فمن التجنيس الاشتقاق وفي البيت الطباق لان دع متضمن النهي واحكم
واحكم امران قال بعضهم وفيه التفريق وهو كما تقرر ان يحكم لكل من
المتناسبين بضد ما حكم للاخر قال وذلك ان صفات المدح تتناسب جميعها
في المدح ومنها محال على البشر كالنبوة المدعاة لعيسى وممكن له وهو اعلام
من صفات البشر وحذر الناظم من الاولى وحرض على الثانية قال وفيه الاستتباع
لانه لما اباح للمادح مدحه بما شاء واستتبع ذلك الاخبار باحتواء الممدوح
على جميع صفات الكمال الممكنة له انتهى وفي البيت الثاني نوع من التقسيم
وهو ان يضاف لكل ما يستحقه وذلك في نسبة الشرف الى الذات والعظم الى القدر

التعريق

التقسيم

وقدمه وجهه وفي الموازنة بين ذاته وشرف وقدره وعظم وفي جميع الذات
والقدم مراعاة النظير وكذا في الشرف والقدر والبيت الثاني من المذهب
الكلامي ومن الكلام الجامع وهو كله تذييل وفيه التقسيم لفهم بهم من ناطق
او هو من التخيير وليس بهم من القافية المستدعاة كما ظن بعضهم وفي الرابع
المذهب الكلامي وانظر هل يحتمل ان يكون فيه استتباع لان مقصوده
ان اياته ينبغي ان تكون اعظم الايات وذلك يستلزم كونه اعظم الانبياء وفي
نظر وفيه الطباق في احيا ودارس الرمم وفيه مراعاة النظير وفي الخامس الجمع
مع التقسيم لنفيه اولا ما يعني لم العقول بمجموعا وقسمه ثانيا بقوله لم يرتب
ولم يهم لان ما يعني العقول يرقلا نفهم اما لانه غير واضح الدلالة فيكون
عرضة لمخامرة الريب والشكوك واما لانغلاقه وصعوبة فهم العقول عنه
ولا تهتدي الى الذهول اليه الاعراب دع فعل امر ما مفعول به موصولة
وادعته فعل ماض وعلامته التأنيث على معنى جماعة النصارى ومفعول
هو العايد والنصارى فاعل في نبيهم متعلق بادعت وجملة ادعت وما تعلق
بها صلة ويجوز كون ما مصدرية اي دعوى النصارى ويضعف كونها
نكرة موصوفة بالعلم بدعواهم واما التي في قوله بما شئت محتملة للثلاثة
وعلى الاسمية فالعايد محذوف اي شئته والباء للتعدية ومدحا تمييز لما او
لمفعول شئت المحذوف والحال اما من فاعل شئت ومن مفعوله اي مادحا او ذا مدح
او من ما وهو ضعيف لابهامها او مفعول من اجله ويضعف تعلقه بمدحا او
حلت او انسب معطوفان على جملة واحكم وما في الموضعين لبيان موصولة
او نكرة موصوفة وهي مفعوله وعايدها محذوف ومن في الموضعين لبيان
الجنس وقيل للتبعيض ويتعلق بشئت او بانسب او بمحذوف حال مما او عايدها
والفاء في فان للسببية وجمله ليس له حد في موضع رفع خبر ان وحد اسم ليس
وله خبرها والفاء فيعرب جواب النفي الذي افادته ليس ويعرب فعل مضارع منصوب
باضمار ان بعدها وهي للسببية لان ما بعدها مسبب عما قبلها وعنه متعلق
بيعرب وناطق فاعله وبفم يتعلق بفم على امر او بيعرب وهو اظهر في نفي التاكيد

لان الاعراب اي البيان يكون بالفم وغيره من نحو الاشارة والكتابة ويقرب من هذا
قول من قال ان بفم تاكيد برفع المجاز في ناطق لئلا يتوهم انه من نطق لسان
الحال واصله فوه كما مر ولما حذفت لامه حذفا قويا ان يسقط واوه للتنوين
فيبقى الاسم على حرف واحد فعوضوا منه حرفا يثبت مع التنوين ويقاربه
في المخرج وهو الميم فاذا اضيف لم يدخل التنوين فعادت الواو في الرفع وانقلبت
بمناسب النصب والجر فيهما وفاعل سنا اياته وقدره مفعوله وعظما تمييز
منقول من الفاعل اي عظم اياته ومن المفعول اي عظم قدره واحيا فعل ماض
اسمه فاعله ودارس الرمم مفعوله وحين يتعلق باحيي وتقدم في التفسير
ما في وجوه الاعراب وبسطنا القول فيها في كتاب الاستيعاب ويدعي مبني لما
لم يسم فاعله ومفعوله دارس او ضمير كما تقدم وقال القصارا انه ضمير
يعود على ما عاد عليه المخفوض باسم او على نفس الاسم او التقدير يدعي به فحذف
الجار فاتصل الضمير بالفعل وجملة احيا الى اخر البيت جواب لو ويمتحنا مجزوم
بلم وما مفعوله ادغمت فيه النون الاصلية وفاعله ضمير عايد على النبي صلى الله
عليه وسلم وبما يتعلق بيمتحن والباء للتعدية وامتحن يتعدى الى مفعولين
ثانيهما بحرف الجر وما موصولة او نكرة موصوفة وتعني العقول به صلته او صفته
والرابط المجرور وحرصا مفعول من اجله وناصبه يمتحن المنفي وتامل ما قاله
بعضهم هنا قصد القاعدة التي قررها ابن الحاجب وغيره على ما نقل صاحب
المعنى ومع التامل لا تطابقها والاطالة تمنع من بيان ذلك وعلينا متعلق
بحرصا او بمحل صفة له فلم ترتب ولم نهم معطوفان على لم يمتحنا
الاشارات لما قدمنا في فصل الاشارات ان ما ناله صلى الله عليه وسلم
من المنازل الشريفة انما كان لاختياره مقام العبودية اتى الناظم بما يدل
على ذلك فقال دع ما ادعته النصارى اي نحن وان مدحناه بما سمعت ولنا
لك ان تنسب الى ذاته الشريف ما شئت من شرف والى قدره العظيم ما شئت
من عظم وعللنا ذلك بان فضله ليس له حد فيعرب عنه فلا تخرجه انت
عن قدره من العبودية لله تعالى رب الارباب وملك الملوك فقد عني فيه

كتاب الاستيعاب

العبودية تعز الكبر

ما ادعت النصارى في عيسى عليه السلام فيكون قد احترز له الم يجز لنفسه
وقد قال صلى الله عليه وسلم اني عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد
وحين رد الله سبحانه وتعالى على النصارى مقالتهم انما ذكر فيه صفة العبودية
فقال عز من قائل لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون
وقال هو عليه السلام ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي
وربكم واذا عرفنا ان اشرف مقامات الانبيا والملائكة صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين هو العبودية فاني يليق بك يا ذليل يا حقير يا مسكين ان تطلب
عزة فتتكبر وتتجبر وربنا جل جلاله يقول على ما حكى عنه نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما قصمته
ان الله لا يحب كل مختال فخور ان الله لا يحب المستكبرين ان الذين يستكبرون
عن عبادتي الاية ويعزى لعلي رضي الله عنه ما بال من اوله نطفة وجيفة اخره
يفخر عاش من عرف قدره وفي المعنى انشدوا ومعتقد ان الرياسة في الكبر
فاصبح ممقوتا بها وهو لا يدري يجر ذيول العجب يطلب رفعة الا فاعجبوا
من طالب الرفع بالجر وروى ابن المبارك بسنده انه صلى الله عليه وسلم
قال يحشر المتكبرون يوم القيمة امثال الذر في صورة الرجال يغشاهم
الذل من كل مكان يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس يعلوهم نار الانيار
يسقون من عصارة اهل النار طينة الخبال وارسل النجاشي الى جعفر واصحابه
رضي الله عنهم يوما فاتوه وعليه خلقان جالسا على التراب فاشفقوا من
حاله فقال ابشركم جاء من ارضكم عين لي فاخبر ان الله عز وجل نصر نبيه واهلك
عدوه واسر فلان وقتل فلان التقوا بواد يقال له بدر كثير الاراك كاني
انظر اليه كنت ارعى لسيدي رجل من بني ضمرة ابله فسألوه عن جلوسه ولباسه
على التراب فقال نجد فيما انزل على عيسى وعلى محمد على نبينا وعليه السلام
ان حقا على عباد الله عز وجل ان يحدثوا لله عز وجل تواضعا عند كل
ما احدث لهم من نعمة فاحدثت هذا التواضع لنصر الله نبيه صلى الله
عليه وسلم وقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله لو اكلت متكئا

كان

كان اهون عليك فاصغى بجبهته حتى كاد يمس بها الارض وقال بل اكل كما
ياكل العبد وانا جالس كما يجلس العبد وانما انا عبد وكان صلى الله عليه وسلم
يجلس محفزا وقيل ان المراد بقوله صلى الله عليه وسلم احثوا التراب في وجوه
المداحين انه في الذي يقول في الممدوح ما ليس فيه وهذه اشارة اخرى
اي لا يقل في احد ما ليس فيه تطرية بذلك وقوله لم يمحها البيت هكذا فليكن
المقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشفق على امته ويحرص على هدايتهم
بكل وجه امكن لا سيما العلماء فانهم ورثة الانبيا فينبغي لهم النصح
للامة حتى لا يرتابون ولا يتحيرون كما كان هو صلى الله عليه وسلم فان الله
تعالى وصفه بانه بالمؤمنين رؤف رحيم وبذلك كان يامر صلى الله
عليه وسلم قال لمعاذ وابي موسى رضي الله عنهما حين بعثهما الى اليمن كما
في الصحيح يسروا ولا تعسروا وقال ايضا يسروا ولا تعسروا وبشروا وسكنوا
ولا تنفروا وسددوا وقاربوا وقال الدين النصيحة لله ولرسوله ولعامة
المسلمين وخاصتهم وكان يشترط في البيعة مع الايمان بالله ورسوله النصيحة
لكل مسلم وقال الخلق عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله وهذا المعنى ايضا
يفوت الحصر جعلنا الله ممن عرف قدره ونصح امة رسوله ولا ازاغ قلوبنا
عن التزام هديه وسلوك سبيله **اصل**

أَعْيَى الْوَرَى فَهْمُ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى ... لِلْقُرْبِ وَالْبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَحِمِ
كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدٍ ... صَغِيرَةً وَتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ
وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ ... قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِالْحُلُمِ
فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ ... وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ
وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسْلُ الْكِرَامُ بِهَا ... فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمِ
فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا ... يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ

شرح الغريب اعياه الامر اذا لم يضبطه وتقدمت المادة في البيت
قبله والورى الخلق يقال ما ادري اي الورى هو اي اي الخلق هو والفهم
المعرفة وقال الجوهري فهمت الشيء فهما وفهامية علمته وفلان فهم استفهمني

الشيء فاهمته وفهمته تفهيما وتفهم الكلام فهمه شيئا بعد شيء ومعناه
حاله ويرى يحتمل ان يكون من روية العين فيتعدى الى واحد وبمعنى العلم
فيتعدى لاثنين وفروع مادة اللغوية كثيرة والقرب والبعد متقابلان تقابل
الضدين وقرب الشيء بالضم يقرب قربا دنا وقربته بالكسر اقربه قربانا
دنوت منه وقريب من المحسنين ذكر الرحمة على معنى الاحسان ولان
ما لا يكون تانيثه حقيقيا يجوز تذكيره وقال الفراء قريب المسافة يذكر
ويونث وقريب النسب يونث بلا خلاف فالمراة قريبتي اى ذات قرابتي
وبعد بالضم فهو بعيد اى تباعد وابعد غيره وباعده وبعده تبعيدا
والبعد جمع باعد كخادم وخدم من ضد القرب ومن الهلاك واستبعد
تباعد واستبعده عده بعيدا ويح غير بعيد كم قريبا وما انتم ببعيد
للواحد والجمع وكذا بعيد وبينهما بعيد من الارض والقرابة وابعده الله
ولا يقال للاثنين منه شيء وهو من قربانه وبعدانه جمع فعل كرغفان
ومتفخم اسم فاعل من التفخم اذا سكت ولم يجب وهو مطاوع الافحمة وكلمته
حتى افحمته اذا اسكته في خصومة او غيرها وافحمته ايضا وجدته لا يقول
الشعر والشمس معروفة وجمعها شموس كانهم جعلوا كل ناحية منها شمسا
كما فعلوا جعلوا في المفارق وتصغيرها شميسة قاله الجوهري وشمس
يومنا يشمس ويشمس كان ذا شمس واشمس ايضا كذلك وللشمس عدة اسماء
كثيرة كلها مونثة قيل وسميت شمسا لبعدها وسرعتها والشمس النفود
والتباعد ومحلها الفلك الرابع وراى اهل الهيئة ان جرمها كقدر الارض
مائة ونيف وستين مرة وعن ابن عباس وعكرمة كقدر الدنيا وتظهر
من ظهر الشيء بالفتح ظهورا تبين وظاهر خلاف الباطن واستظهرت الشيء
تبينته ومن بعد هو ضد القرب الا انه حرك العين بحركة الفاء اتباعا
لاقامة الوزن واصله السكون ووقع في ذلك خبط لبعض الشارحين
وصغيرة من الصغر ضد الكبر وصغر فهو صغير وصغار بالضم واصغره غيره
وصغره تصغيرا واستصغرت القربة جززتها صغيرة واستصغره عده صغيرا

الشمس

وتصاغرت اليه نفسه تحاقرت وجمع الصغير في الشعر صغراء والصغرى تانيث
الاصغر والجمع الصغر قال سيبويه لا يقال صغرى واصاغر الا بالالف واللام
كذا سمعنا العرب يقول الاصاغر وان شئت قلت الاصغرون وكل الشيء اعيا و
اكله غيره فالشمس تكل الطرف اى تعييه وكلالت مثنى اكل كلالا وكلالة
عييت وكذا البعير وكل السيف والرمح والطرف واللسان تكل كلا وكلة
وكلالة وكلولا وسيف كليل الحد ورجل كليل اللسان والطرف وقيل
كلال البصر غير مصروف فعلاء منه لانه موضع تكل فيه الريح من عملها
والطرف العين ولا يجمع لانه في الاصل مصدر فيكون واحدا وجماعة قال
تعالى لا يرتد اليهم طرفهم وفسره بعضهم هنا بالبصر والامم القرب
يقال احدث ذلك من امم اى قرب ودار عامر داره اى مقابلتها والامم المقارب
والامم بين القريب والبعيد وهو من المقاربة والامم الشيء اليسير يقال
ما سالت الا امما ويدرك من الادراك وهو اللحوق مشيت فادركته
وادركته زمانه واستدركت ما فات وتداركته بمعنى وتداركوا تلاحقوا
وادرك الغلام او الثمر بلغ وتدارك الثريا ادرك ثري المطر ثرى الارض
والدريكة الطريدة ويبعد من ان يكون من ادركته ببصري اى رايته
والحمه ويقال ايضا الحمه اصل الشيء وذاته والقوم اسم جمع
للرجال دون النساء ولا واحد له من لفظه وربما دخل فيه النساء
بالتبع لان قوم كل نبي رجال ونساء جمعه اقوام وجمع جمعه اقاوم
وقال ابن السكيت يقال قايم واقاوم والقوم يذكر ويونث وكذا
كل اسم جمع لادمي قال تعالى وكذب به قومك وكذبت قوم نوح
ولا تدخل الهاء في تصغير ما يكون لغير الادميين كابل للزوم تانيثه في
جمع نايم ويقال نوم على الاصل لانه من النوم ونيم على اللفظ ونام
نيام ويا نومان للكثير النوم ولا يستعمل في غير النداء وانمته ونومته
بمعنى ولحن نوام جعل النوم بغير بر ونتاوم ارى من نفسه النوم وليس
ونمته بالضم غلبته بالنوم سلا عنه يسلو سلوا وسليت غير بالكسر

الدرك

القوم

اقايم واقاوم جمعا اقوام جمع قوم

سلا قلبي

سلبا تركه عن طيب نفس وتسلى مثله الا ان فيه طلبا وسلاه من همه
تسلية واسلاه كشفه عنه وان سلى عنه انتهى وتسلى انكشف والسلوة
بالضم خرزة ان صبت عليها ماء المطر فشرب منه عاشق سلا قال شربت
على سلوانه ماء مزنة فلا وجديد العيش يا مي ما اسلوا ويقول سقيتني
سلوة وسلوانا اى طيبت نفسي عنك وقيل السلوان دواء يسقا
الحزين فيسلوا ويسميه الاطبا المفرح والحلم بالضم ما يراه النائم تقول
حلمت بالفتح واحتلم وحلمت بكذا وحلمته ايضا ومبلغ العلم بلاغه
اى غايته من بلغت المكان بلوغا وصلت اليه او شارفت عليه وبلغ الغلام
ادرك والابلاغ والتبليغ الايصال والاسم البلاغ وهو ايضا الكفاية
وبالغ جيد وبلغ في الجودة مبلغا وامر الله بلغ بالفتح بالغ واللهم
سمعا لا بلغا بفتح السين والباء وكسرهما وبالنصب ايضا اى نسمع
به ولا يتم ويقال ايضا في الجزبكره واحمق بلغ بالكسر يبلغ ما يريد
مع حماقته ويقال بلغ وملغ والبشر الانسان ويقع على الواحد
والجمع وقال الجوهري الخلق والخلق هنا المخلوق ويقال الخلق الله
وخليقة الله وهو في الاصل مصدر وتقدم واى جمع آية وهي العلامة
وتقدمت واتى جاء والاتيان المجيء واتيته اتيا واتوته اتوة لغة
ووعد ماتيا اما اتيا نحو حجابا مستورا اى ساترا او ماتويا لان ما اتاك
من امر الله فقد اتيته ثم اعل واتيت الامر من ماتاه اى ماتاه وهو وجهه
الذي يوتى منه كما احسن معناه هنا اى معناه والرسل جمع رسول
والكرام جمع كريم وقد تقدما واتصلت مطاوع وصل تقول وصلت
الشيء بالشيء فاتصل به كذا قيل ويحتمل ان يكون من وصلت الشيء
وصلا وصلة ووصل اليه وصولا اى بلغ واوصله غيره واصل اتصلت
اوتصلت فابدلت من الواو تا وادغمت في مثلها وانظر ما معنى افتعل هنا
والنور الضياء والجمع انوار وقيل شعاع الضياء عزا للمحكم وانظر الفرق
بين القولين والظاهر ان مقابلته للظلمة من تقابل الضدين لقوله تعالى

وجعل

بلغ

وصل

النور

وجعل الظلمات والنور واختلف فيه فقيل جوهر وقيل عرض وانار الشيء واستنار
اضاء والتنوير الانارة والاسفار وازهار الشجرة وتجوز بالنور هنا فاستعمله
في ظهور اياته صلى الله عليه وسلم بانها حيث لا يلتبس ولا يخفى على احد
الفضل والفضيلة ضد النقص وخصت العرب استعماله في المدح غالبا
وتقدم والكواكب النجوم جمع كوكب ويقال كوكبة كعجوز وعجوزة وبياض
وبياضة وكواكب الروضة نورها وكوكب الحديد بريقه ولنوفقنم وتقسيم
الكواكب الى الثابتة والسيارة وسبب تسميتها بذلك وتعيين محالها من
الافلاك واعدادها في فلك منها على ما ذكره اهل الهيئة وتبيين حركاتها
لا يليق ذكره بهذا المحل وزعموا ان اصغرها فيما يرى بمقدار الارض
ثمان مرات واكبرها بمقدارها عشرين مرة وكل ذلك يحتاج الى توقيف
اذا دلتهم في هذا الباب الحزر والتخمين وقد علمت اكثر خطاهم في القريب
فكيف بالبعيد وبعضهم يخطي بعضا خطا لا يمكن الجمع معه وفي معنى
قولهم قال الله تعالى ما اشهدتهم خلق السماوات والارض
الاية وما احسن قول الشاعر مخاطبا لهم علوم الاصل لم يصلوا اليها
فكيف بكم الى علم السما والناس اصله اناس فحذفت همزته
على غير قياس الـ عوضا من الهمزة والا لما اجتمعا في قوله ان المنايا
يطلعن على الاناس الآمنينا قال الجوهري وقد يكون من الانس
ومن الجن والظلم جمع ظلمة وتقدم القسم قوله اعيى الورى
البيت يقول ان الخلق اعياهم فهم معناه اى فهم تفضيل احواله السنية
وصفاته العلية هنا مراده بمعناه بدليل قوله فهو الذى تم معناه
ثم قال فليس يرى من الخلق المفكرين في ادراك تلك الاحوال الراعين
طلب الاحاطة بها سواء عند القرب منه او عند البعد غير منقطع عن
ادراك ذلك المرام ومصدود عن بلوغ ذلك المقام وهذا البيت ردي
لقوله فان فضل رسول الله البيت فاذا كانت فضايله لا ينتاهى
انواعها فكيف يطمع في الاحاطة بها اذ لا بد من الانقطاع دونها

ويحتمل ان يريد اعياهم فهم حقيقته ما يمدحونه به فقصرت عبارتهم
عن ذلك لان ما لا يفهم لا يعبر عنه فليس يرى منهم عند القرب منه او عند
البعد ممن لم يشاهده اما البعد المسافة وان عاصره في الزمان والبعد الزمان
وهذا انما يدرك ما ادركا من احواله بالوصف كحال ابي ذر مع اخيه
في اول الامر وفي حكمها من شاهده ولم تطل صحبته له اعني في بعد الاحاطة
بمعناه الا منفحم اي ساكت عجزا عن التعبير لعدم فهم ما قصد التعبير عنه
فعلى الوجه الاول يكون اخبر بقوله فان فضل البيت عن عجز اللسان عن التعبير
وفي هذا البيت عن عجز العقل عن الادراك فان ما لا يعبر عنه اللسان قد
يتصوره العقل لا يقال اخباره في البيت المتقدم عن عجز اللسان عن التعبير
انما كان لكون فضله لا نهاية له والعقل عاجز عن ادراك ذلك فالبيتان في
سواء لانا نقول لا يعجز العقل عن ادراك ما لا يتناهى احاده اذا عاين امثال
تلك الاحاد لمجاوزة الوقوع بلا اخر الا عن الاحاطة بعدد احاده واما
عن تصور امثال ما وقع منها فلا ومراده هنا بيان ان ذلك العجز
عن ادراك انواع صفات مدحه فانها لا تتناهى لان المراد انها نوع واحد
لا يتناهى احاده وعلى الوجه الثاني يستوي البيتان اذ عجز العقل انما
هو عن الاحاطة بعدد الاحاد كما ذكرنا وانما لم يقتصر على قوله غير منفحم
لئلا يتوهم تخصيص هذا العام بحالة البعد قيل ونظيره ويكلم الناس
في المهد وكهلا لم يقل في كل حال لئلا يتوهم تخصيصه بغير حالة المهد
وعند بعضهم ان لفظ الناظم في القرب والبعد منه فقال المراد
ان من الناس مقرب ومبعد في الاحاطة بمعناه ويعني بالمقرب العارف في
بطرق الاسناد لا ان لا انه يقرب من الاحاطة اي ليس من قرب منه عليه السلام
او بعد الا منفحما ويجوز ان يكون القرب والبعد من الفهم وعليه يعود المجرور
بمن او من معناه ويعود الضمير عليه وليس المراد القرب والبعد في المكان
بل في الادراك استعير القرب من فهم المعنى والبعد عنه من معنييهما باعتبار
المسافة ووجه الشبه ظاهر انتهى ملخصا وفي كلامه مفرق وتامل ننزله

على كلام الناظم والرواية للقرب وفيه لانه كما مر شبه الناظم عدم الاحاطة
بكنه معناه مع القرب او البعد بالشمس فانها تظهر كما قال للعينين من البعد
صغيرة وان كانت في نفس الامر اعظم من الارض بكثير على ما تقرر في علم
الهيئة وقام البرهان فيه على ذلك وهي من امم اي من قرب تكل الطرف
اي تعييه وهذا يحتمل وجهين اما ان يكون اعياؤها الطرف عن الاحاطة
بجملتها لعظم جرمها فانه اذا ثبت انها اعظم من الارض فكما لا يحيط الطرف بجملة
الارض فكذا لا يحيط بجملة ما هو اعظم منها لو قدر له الكشف عن ذلك
بل احرى واما ان يكون اعياؤها الطرف عن الاحاطة بها مع القرب من اجل
قوة شعاع نورها فانه يرد البصر خاسئا كليلا فاذا الشمس لا تخلو من الحالتين
اما في غاية البعد كحالها عند الطلوع او الغروب وهو حينئذ وان امكن ادراكها
لعله ما يظهر لنا من شعاعها مع البعد فلا يمنع رؤيتها لكنها لا تدرك
الا على خلاف حقيقتها فانها تدرك صغيرة وهي في نفسها كبيرة واما في غاية
القرب وهي حينئذ لا يكاد يدرك منها لبهر شعاعها الابصار من كثرة ما يظهر
لنا منه ويترجح الاول لمقابلة قوله صغيرة ولم يقل يدرك منها شيء لعلة
الشعاع ويترجح الثاني لانه اقوى في المدح من حيث ذكر سبب عدم الادراك
فهو كادعاء الشيء ببينة ووجه التشبيه على الامرين ان البعيد منه صلى الله
عليه وسلم لم يعلم بواحد من وجوه البعد انما يحصل له من احواله النزر اليسير بالوصف
فهو يقف عند ذلك القدر فقد ادركه على خلاف ما هو به كمدرك الشمس مع
البعد والقريب منه المشاهد لانواره واياته التي تبهر عينيه الباصرة والبصيرة
عن الاحاطة بجملة معناه لعظم قدره او عن ادراك شيء ما احواله على الحقيقة
لقوة نوره ومن هنا اضاكاد الوجه الاخير امدح وقوله وكيف البيت
يقول بعيد ان يدرك في الدنيا او لا يدرك فيها حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم
قوم موصوفون بانهم نيام تسلوا بالحلم اي بتوهم المفهوم ومن قوله نيام
عن النظر في حقيقته اي تركوها عن طيب نفس منهم لزهدهم في الارتقاء الى معارج
الكمال من الطرق الاخروية واخلادهم الى الشهوات الدنيوية فاني يحلي لهم الاقوم

وفي عزها ان دون المعاصي باختيارهم الفاني على الباقي في حقايق خصايص
ومعاني صفاته التي هي اخروية محضة فالضدان لا يجتمعان والمتقابلان
لا يتحدان فان قلت ان كان مراده بمولى القوم العصاة او الكفار فالتفسير
ممكن غير انه تصير دعواه عامة ودليله خاصا لان هذا البيت اتى به في
معرض الاستدلال على قوله اعيى الورى فان الظاهر ان المراد بالورى العموم
من تقدم منهم عن وجوده صلى الله عليه وسلم ممن علم صفته من الكتب والوحي
كالانبياء عليهم السلام وغيرهم ومن تاخر وهو بعد ما شبهه بالشمس تقريبا
لفهم عدم تصور حقيقته مع القرب والبعد اردف ذلك بذكر هذا الاستدلال
وكان الذي قبله من التشبيه خطابي وهذا استدلالي وان كان المراد بهؤلاء
القوم ما اريد بالورى حتى تطابق الدعوى الدليل فهو مشكل لان اطلاق القوم
في الانبياء عليهم السلام بل فيمن دونهم من الاولياء بانهم تسلوا عن النظر في
حقيقته صلى الله عليه وسلم بالحلم لا يليق قلت يحتمل ان يريد العصاة ويخصص
عموم الورى بهم لاسيما الكفار فانهم لم يدركوا حقيقة نبوته فلذا لم يتبعوه
خصوصا ان قلنا بعدم تصور الكفر عنادا وعلى هذا فالدعوى والدليل
متطابقان نعم يبعد هذا الوجه من قوله بعد فمبلغ العلم البيت فان الظاهر
عمومه باعتبار كل احد وايضا الكفار لا يسلمون انه خير خلق الله كلهم
فالظاهر ان المراد بقوم العموم وهو وان كان نكرة في سياق الثبوت صح
الا انه في سياق النفي تحقيقا لان المراد بالاستفهام النفي كما تقدم ومعناه
الاستبعاد اي لا يدرك حقيقته كل قوم صفتهم ما ذكر لا يقال يتخصص بعد
تسليم عمومه بقوله نيام لانا نقول هو وصف لازم لا مخصص قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الناس نيام اذا ماتوا استيقظوا وقال تعالى
لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد
والمعنى ان من الدنيا لا يدرك الحقائق المتمحضة للاخرة لان نفس الدنيا
حجاب بينه وبينها كما يحجب النائم النوم عن ادراك احوال اليقظة وكذا هو
حال جميع الورى لا يشاهدون حال تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم

على ساير الخلق معاينة وتفصيلا كما ادركوه بالخبر جملة الا يوم القيمة
حيث يبعثه الله المقام المحمود الذي يغبطه فيه الاولون والاخرون
وحيث يؤتى الوسيلة وهي الدرجة التي لا ينالها الا عبد من عباد الله
غيره فالمراد بكونهم نياما اي احياء في دار الدنيا وشبههم بالنيام لما قررنا
وقوله تسلوا عنه بالحلم شبه عجزهم عن ادراك حقيقته بسبب الحلم الذي
هو نفس كونهم في الدنيا بترك الشيء عن طيب نفس لانه مما لا يكون من المقدور
لا يتاسف الانسان على فقده بل تطيب نفسه بذلك هذا هو التحقيق في
هذا المقام فعليك به يغنيك عما وقع فيه من تخليط الشراح وقوله
فمبلغ العلم البيت اي منتهى علم الورى فيه انه بشر خصه الله
بالرسالة اي الى خلقه وانه خير خلق الله كلهم هذا منتهى علمهم فيه
على الجملة وقوله خلق الله اي مخلوقاته لان هذا المصدر المراد به المفعول
نحو قولهم درهم ضرب الامير وثوب نسج اليمن اي مضروبه ومنسوجه ولا
يصح ان يكون المراد بالخلق هنا النسبة على القول بذلك فيه لقوله كلهم
فاعاد الضمير على معنى المخلوق وايضا النسبة لا احاد لها حتى تؤكد بكل
وكون الخلق المخلوق هو المعروف من مذهب الشيخ ابي الحسن الاشعري
وزعم شهاب الدين القرافي ان ذلك مذهبه باعتبار الخارج عن الذهن
واما باعتبار الذهن فهو نسبة ومن قوله كلهم يفهم انه اراد بالمخلوقات
العقلاء لانه ضمير ويدخل فيه الملئكة والانس والجن كما هو مذهب اكثر
السنيين في تفضيل الانبياء عليهم السلام على الملئكة وقد تقدم بما فيه
فان قلت ظاهر قوله ان نهاية العلم فيه لا تزيد على ما ذكر فمن اين علم انه
رسول قلت هو من حذف الصفة للعلم بها فالتقدير بشر رسول فانه
اثبت له الرسالة فيما قبل بقوله فان فضل رسول الله واما ان قوله خير خلق الله
يستلزم كونه رسولا ففيه نظر ولا يقال رتبة الرسالة مما دون نهاية
العلم فلا يخرج من كلامه لانا نقول رتبة البشرية دونها مع انه
جعلها نهاية العلم ولا يقال ان قوله وانه خير قيد في البشرية فليست هي

منتهى العلم بمجردها بل بقيدها لانا نقول الرواية بفتح ان ولا يكون قيدا الا لو
كانت مكسورة حتى تكون في موضع الحال وفي التنزيل قل سبحان ربي هل كنت
الا بشرا رسولا ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده
ونظير حذف الصفة للعلم بها الان جئت بالحق اى البين فلا نقيم لهم
يوم القيمة وزنا اى نافعا وانما اتى بقوله بشر زيادة في الاحتراس مما
حذر عنه في قوله دع ما ادعته النصارى اولئلا يتوهم انه من الملئكة
بناء على انه لا يكون خير الخلق الا منهم كقول النسوة ما هذا بشرا
ان هذا الا ملك كريم وقوله فليس لا كشيء ولكن كملاك تنزل من جو
السماء يصوب لان هذا اشلح في عرف الناس ان من فاق في المحاسن ينسب
للملئكة وقوله وكل آي البيت ان كل معجزة اتى بها كل واحد من الرسل الكرام
اى ظهرت على يديه لصدق دعوته فانما اتصلت باولئك الرسل اى بكل واحد
منهم من نور محمد صلى الله عليه وعليهم اجمعين وما احسن قوله اتصلت
بهم من نوره فانه يعطي ان نوره لم يزل قايما به ولم ينتقص منه شيء
ولو قال فانما هي من نوره لتوهم انه وزع عليهم وقد لا يبقى له منه شيء
والبحث فيه يقرب من الذي تقدم في قوله نقطة من العلم وعرفا من البحر
ويدل على صحة هذا المعنى قوله فانه شمس فضل البيت اى انما كانت ايات
كل واحد من نوره لانه شمس فضل هم كواكب تلك الشمس يظهرن اى تلك
الكواكب انوار تلك الشمس للناس في الظلم ولما كانت الكواكب على ما تقرر
في علم الهيئة اجراما غير مضيئة بذواتها لكنها صقيلة يقبل الضوء وكان
جرم الشمس اكبر من الارض فهي اذا كانت تحتها حال غيبوبتها يفيض نورها
عن جوانب الارض فيطلب الصعود لكونه نورانيا يطلب مركز العلو فيصادف
اجسام الكواكب الصقيلة القابلة له فيرتسم فيها فيضيء في الظلمة
وتظهر انوار الشمس للناس فيها من غير ان ينتقص من نور الشمس شيء ونظير
هذا المعنى ظهوره المحسوس في القمر فانه كلما قابل شيء منه جرم الشمس اضاء وان
انحرف عنه اسود فجميع انوار الكواكب انما هو من انوار الشمس شبه نور رسول الله

طريق انعكاس نور الشمس
الى الكواكب والقمر

صلى

صلى الله عليه وسلم بنور الشمس وما ظهر على ايدي الرسل عليهم السلام
سواه من الانوار فانما هو من نوره الفايض من غير ان ينتقص من نوره شيء
ولما كانت الرسل انما تأتي حال ظهور الكفر وعلوه وذلك هو الظلام
الحقيقي قال يظهرن اى تلك الكواكب التي هي كناية عن الرسل
انوار تلك الشمس التي هي كناية عنه صلى الله عليه وسلم في الظلم اى حال
غلبة عمى الجهل وظلمة الكفر وكان الشمس اذا بدت لم يبق اثر للكواكب
وانما يظهر اثرها حال غيبتها وحال الظلم فكذلك بانه صلى الله عليه وسلم
وشريعته لما بدت نسخت غيرها من ساير الشرايع ولذا شبهه صلى الله عليه وسلم
بالشمس الذي هو كوكب نهاري يعم ضوءه ساير الافق لعموم هدايته ودعوته
ساير الخلق ولما كانت دعوة غيره خاصة ببعض الخلق شبههم بالكواكب التي
لا يعم نورها بل يختص ببعض الجهات كاختصاص هداية غيره ودعوته ببعض
الناس ولما اخذ الله سبحانه الميثاق على ساير النبيين لئن بعث النبي
الامي صلى الله عليه وسلم وهم احياء ليؤمنن به ولينصرنه واخذ الميثاق
على قومهم بذلك كانت كل شريعة لا يتم امرها الا بالايمان به ان ادركوه قال الله
تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين الاية فصح تشبيههم بالنجوم في انه
لا يعم ضوؤها وفي ان كلها او بعضها مستمد من نور الشمس وان نورها
لا يبدو الا عند غروبها فان قلت هو صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين واخر الرسل
صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وانوار كل منهم متقدمة في الزمان ونوره
متأخر فكيف يكون انوارهم من نوره قلت نوره متقدم وان تأخر وجود ذاته
قال صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وادم بين الماء والطين فهو وان غاب
ذاته الكريمة فانواره حاضرة لا قبل وجوده ولا بعد مماته كما ان الشمس غايبة
تحت الارض وانوارها في الافق واعتبر بالاره اضاءت النبي متقدم وجود
الانبياء عليهم السلام اذا نابوجوده على اثرها وقد كان نوره صلى الله عليه وسلم
في جبهة ادم عليه السلام ثم كان ينتقل الى ان بلغ اباه على ما هو معلوم فان
قلت تقدم نوره كما تقدم انما هو باعتبار تعلق علم الله تعالى بايجاده وكذلك

انتساب الشرائع الى شريعة
محمد صلى الله عليه وسلم

في الورى ليعلم اولا من يوصف بالاعيا عن فهم معناه وال فيه للعموم كما تقدم
وتعريف معناه بالاضافة لافادة الاختصاص والاختصار والفاء الداخلة على
ليس يكون ما بعدها نتيجة ما قبلها وتقديم للقرب والبعد للاحاطة بعموم الانفخام
اولا وللقافية ايضا وتنكير منفخم للنوعية اى نوعا من الانفخام ولنوعه
لتوهم كل الانفخام وهو بينا في قوله فمبلغ العلم وال في الشمس لتعريف
الحقيقة وفي للظرفية وفي للعينين للجنس وتنكير بعد واحم للنوعية لانهما
اضافيان وكذا تنكير صغيرة وجملتا تظهر وتكل بيان لما وقع التشبيه فيه
فهما من الاستيناف البياني كانه بالشمس في حال كسوفها وهو غير مقصود ولا
بكيف للاستبعاد او للنفي وهذا اولى لما تقدم وقوله في الدنيا
احتراس ولذلك قدمه على حقيقة وتنكير قوم لافادة الجنس او للنوعية
او التحقير وقال بعضهم انما ذكر زيادة في التقبيح لان وصفهم بقوم يقتضي
عقلا فالاولى اتصافهم بضد ما هم عليه فتظهر ذلك مع التمكن زيادة
في القبح ولذا يقال في الذين احطوا الطرق الحسنى قوم جهلة ولا يقال ذلك
في البقر مثلا قلت وهو مبني على ان المراد الكفار والغافلين وقد تقدم ما فيه
ثم لا بد من ذكره اذ لا تمام الصفة هنا مقام موصوفها لعموم الصفة
وتقديم عنه على بالحلم لاتمام او للقافية وتنكير بشر للتعظيم وهو الاظهر
للنوعية او للجنس وقال بعضهم انه احتراس اما عن توهم كونه من الملائكة
لما وصفه بانه خير خلق الله اما عن توهم التخصيص في خلق الله في البشر
لانه قد يقال لخير خلق الله من البشر فلما ذكر انه بشر وانه خير خلق الله
علم افضليته على الملائكة وفي هذا الثاني تعسف وقوله وكل آي البيت جعله
بعضهم من عطف الخاص على العام لتفضيله صلى الله عليه وسلم في البيت قبله
على سائر الخلق وفي هذا على البيتين وفي البيتين الاطناب قال وايضا
لم يذكر في الاول سبب التفضيل وذكر في هذا بقوله فانما اتصلت فهو
من تقييد المطلق وليس بتام اذ تفضيله لا ينحصر في كون معجزاتهم ما اتصلت بهم
الا من نوره قلت وليس ما ذكر مقصود البيت لان ما ذكر مستفاد من قوله

نور غيره قلت نعم فهم حينئذ وبعد الايجاد انوارهم من نوره ثم المراد بتلك
الانوار ما ظهر على ايديهم من المعجزات والايات وقد قدمنا في حديث عمر ما يعلم
منه ان جميع ذلك اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم ان كلام
الناظم يوهم ان الارض كرية كما هو مذهب اهل الهند وهي عند جمهور اهل السنة
بسيطة والسماء مطبقة عليها وانما الزمه ذلك لجعله انوار الكواكب مستفادة
من نور الشمس وذلك لما ثبت انها اكبر من الارض بكثير فحال غيبتها تحتها
يفيض نورها من كل ناحية وكلما ارتفع قرب بعضه من بعض حتى تلتقي ابعاضه
وينقطع ظل الارض قبل لحوق النور الفلك المكوكب وهو الثامن ومن ثم
لا ينكسف بشيء من كواكبه فلما كان القمر في سماء الدنيا فيصله مخروط الظل
قبل انقطاعه ظهر فيه الكسوف حتى يحول جرم الارض بينه وبين نور الشمس
حال المقابلة التامة انتهى ولا يخفى عليك انما قاله الناظم لا يختص
بانها كرية ولا بسيطة بل جاز في الجميع على انه قصد التشبيه والتشبيه قد
يكون اعم من التخييلي كقوله وكان محمر الشقيق اذا تصوب او تصعد اعلام
ياقوت نشرن على رماح من زبرجد • ولزم من تشبيهه صلى الله عليه وسلم
بالشمس ان تكون اياته اعظم الايات وقد اشار صلى الله عليه وسلم الى هذا
المعنى بقوله ما من نبي من الانبياء الا واوتي مثل ما امن عليه البشر انما كان
الذي اوتيته وحيا فاني ارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة وقول الناظم
فانه شمس فضل ماخوذ من قول النابغة • الم تر ان الله اعطاك سورة
ترى كل ملك دونها يتذبذب • فانك شمس والملوك كواكب • اذا طلعت لم يبد
منهن كوكب • وقيل ان غير النابغة سبق الى هذا المعنى فقال
تكاد تميد الارض بالناس ان رأوا • لعمرو بن هند غضبة وهو غاضب •
هو الشمس وافت يوم سعد فافضلت • على كل ضوء والملوك كواكب •
قلت وقد استعمل هذا المعنى في مدح كتاب التسهيل في النحو لابن مالك • فقيل
الا ان تسهيل الكواكب في النحو • كتاب جليل كل نادرة حوى • هل الكتب الا
الانجم وهو شمسها • سنا من يحي ان يدرك النحو المعاني تعلم المعنوي

فان النبيين البيت وانما مقصد هذا البيت ان اياتهم من اياته وانه توطئة
لقوله فانه شمس فضل قال وقوله وكل اي كقولك كل رجال جاؤا فاكرمهم وكما
لا يقتضي المثال لزوم اكرام رجل ان جاء او رجلان فكذا لا يقتضي البيت
ان لو لم يكن الا رسول جاء باية او آيتين او رسولان جاء كل منهما باية واحد
ان غيره ما اتصلت المعجزة به الا من نوره فلو قال وكل معجزة من رسل ظهرت
او نحوه لشمل هذا الغرض وغيره واجاب بان هذا الغرض لم يكن والواقع انهم
رسل كثيرون اتوا بايات كثيرة وايضا لو قال كما ذكر السائل لفات مدح الرسل
بانهم كرام المستلزم مدحه صلى الله عليه وسلم بانه كريم على الله لان ما يستمد
منه الكرام احرى ان يكون كريما انتهى قلت وهو مبني على ان المراد بكل المجموعي
والظاهر ان المراد الافرادي والكل على الواقع كما ذكر ولانا في الرسل صفة
لآى وال في الرسل يحتمل الجنس والعهد وتنكير آي للتعظيم والمحصور بانما
في البيت هو من نوره اي ما اتصلت بهم الا من نوره والقاعدة ان المحصور بها من
المعمولات الواقعة بعدها هو المتاخر المرتقم قرينة فيعمل عليها كما هنا
فان بهم متعلق باتصلت فلا يفرد عن متعلقه بالحصر فهو في نية التقديم وانما اخر
للقافية والوزن والمؤخر ثانيا خبر انما هو من نوره على ان في معنى نمما واقتضائها
الحصر اضطرابا بين العلماء الا ان اهل علم المعاني متفقون على اقتضائها والعاطفة
فانما على اصلها من السببية اذ لا يدخل في خبر المبتدا في الحال التي تدخل فيها
معه الا لذلك لان المبتدا في معنى الشرط فقوله كل رجل ياتي فله درهم
الاتيان سبب الدرهم لا يقال الامر هنا بالعكس لان اتيانهم بالايات مسبب
عن اتصالها بهم من نوره والاتصال هو السبب اذ لم يأتوا بها الا بعده لانا نقول
هذا باعتبار الخارج لانا نقول هذا باعتبار الخارج واما باعتبار الزمن وهو المراد
هنا فهي على الاصل فانها لم تتصل بهم الا لياتوا بها ويظهروها فالاتيان متقدم
ذهنا متاخر خارجا وتنكير آي للنوعية والتوكيد بان والجملة الاسمية في قوله
فانه لان المقام طلبي وتنكير فضل للتعظيم واضافة شمس اليه لتخصيصها وتقديم
وتقديم المسند اليه في قوله هم كواكبها للافادة التقوي لان كواكبها في معنى المشتق

تجري

المحصور هو المتاخر بالقرينة

اي ميزات وليس تعريف المسندين للحصر لان الاولياء ايضا والعلماء كواكبها
وال في للناس الاظهر انها للعهد واما التي في الظلم فالاظهر جنسيتها البيان
اسناد الاعيا الى الفهم من المجاز العقلي اي اعياهم الله عن ادراكه والتشبيه في
قوله كالشمس من تشبيه المعقول وهو ادراك معناه وفهمه بالمحسوس وهي الشمس
لقوله وكالنار الحياة فمن دخان اوايلها وآخرها رماد فتشبيه الحيوة المعقولة
بالنار المحسوسة وهذا التشبيه ايضا من تشبيه الحالة الحاصلة من القرب
والبعد فيه بالحالة الحاصلة من القرب والبعد في الشمس باعتبار العين فهو من
تشبيه الجملة بالجملة ويحتمل ان يكون من غير ذلك فتامله والاظهر ان وجه
التشبيه مركب وقوله نيام استعارة للجاهلين بحقيقته او الجاهلين
الغافلين عن النظر في ذلك التفسير وقوله تسلوا عنه بالحلم ترشيح لتلك
الاستعارة والاسناد في قوله اتصلت ليس مجازا بانه مطاوع وصل كما تقرر
وقوله فانه شمس فضل من التشبيه البليغ ولذا هم كواكبها لحذف الاداة
والوجه وليس باستعارة على الاظهر لذكر الطرفين وهو عند العصام من الاستعارة
قال لان كل ما عادته التشبيه فهو استعارة قال ونظر في هذه الاستعارة
الى المستعار له لان الفضل من صفة الشمس فهو كقول كثير غمر الرداء البيت
قلت وهذا الذي ذكر اصطلاح لبعض اهل اصول الفقه وقد تقدم تحقيق القول
في ذلك عند البيانيين وكيفية جعله من الاستعارة عندهم تقدم لنظايره
البديع الجمع بين الاعيا والانتخام وبين الفهم والمعنى وبين القرب
والبعد كل ذلك من مراعاة النظير وفي القرب والبعد الطباق وفهم معناه
من التورية وهي من المرشحة لقوله ستخم وفي هذا البيت التوشيح وهو ان يؤتى
في الصدر بكلمة اذا عرف معناها عرفت القافية لكونه من جنس معنى القافية
او ملزوما له سمي بذلك لان دلالة ما في اول الكلام على اخره تنزل المعنى منزلة
الوشاح واول الكلام واخره بمنزلة العاتق نحو ان الله اصطفى آدم الى على
العالمين فذكر الاصطفاء اولا يشعر بذكر مصطفى عليه ومنه وان وزن الحصى
فوزنت قومي وجدت حصى ضريبتهم رزينا وهو قريب من التسهيم الا ان التسهيم

التوشيح

تعريفه

لا يشترط فيه ان يكون ما يدل على القافية اولاً في البيت اللقبان ما الترشيح
فلان لفظ الاعيا يدل على منعم واما التسهيم فاحتماله راجح ويحتمل ان يكون
من التخيير وفي قوله الوري ورى الجنيس التشبيه بالاشتقاق وقوله كالشمس
البيت ان قصد به الاستدلال على البيت قبله فمن المذهب الكلامي وان قصد
التمثيل والتقريب للفهم فمن ايضاح المعنى وقوله للعينين والطرف من التكرير لان
الاصل وتكلهما لكن اوقع الظاهر موقع المضمر ووحدهما بمعنى الجنس ولذلك
جاز جمعهما القصد التكرير وفايدته انهما مع البعد تظهر لجملتها ومع القرب تكل
حقيقة الطرف الباصر فما بالك بغيرهما منهما وقوله من بعد واتم من الطباق
وقوله صغيرة وتكل من الطباق الخفي لانا كالاوها الطرف لعدم الاعتبار لكنا
اي مراعاة النظير اما في لفظي الادراك والحقيقة فظاهر واما في جمعها مع تسلوا
بالحلم فلعوقهم لا ينال العلم براحة الجسم ومن هنا لا يبعد ان يقصد
الناظم بهذا البيت عقد قوله صلى الله عليه وسلم الناس نيام اذا ماتوا
استيقظوا والبيت من المذهب الكلامي او من حسن التعليل والفرق بينهما
اشتراط البرهان في الاول دون الثاني وقوله فمبلغ العلم البيت من
الكلام الجامع ويشبه ان يكون من حصر الكلي والحاقه ما يجري وقوله وكل
اي البيت منه التوشيح لان ايات الرسل تدل على اتصالها بهم وفيه التسهيم
والجمع بين الايات والرسل الكرام والنور من مراعاة النظير وكذا الاتيان
والاتصال وقوله فانه شمس فضل البيت من المذهب الكلامي ومن حسن التعليل
وفيه التوشيح لان من لوازم الشمس افادة الكوكب الانوار ومن لوازم كل كوكب
اظهارها الانوار في الظلم وفيه الارصاد ايضا وفي الانوار والظلم الطباق
وذكر الشمس والكواكب والانوار والظلم من مراعاة النظير والبيت ايضا
من حصر الكلي والحاقه بالجزي وتضمن كلامه في هذا البيت الحكم على جميع الرسل
صلوات الله وسلامه عليهم باتصافهم بالفضل وحكم على نبينا صلى الله عليه وسلم
بانه شمسه وعلى غيره عليهم السلام بانهم كواكبه فهذا من النوع المسمى بالتفريق   التفريق
وهو ايقاع مباين بين امرين من نوع واحد في المدح او غيره كقوله ما نوال

الغمام

الغمام وقت ربيع كنوال الامير يوم سخا فنوال الامير بدرة عين ونوال الغمام
نطرة ما وقوله من قاس جدواك بالغمام فما انصف في الحكم بين شكلين
انت اذا جدت ضاحك ابدا وهو اذا جاد دامع العين فلله در البوصيري
من ناظم تغمده الله برحمته **الاعراب** اعيى فعل ماض الورى مفعول
فهم فاعل معناه مضاف ومضاف اليه فليس عطف على اعيى واسمها
ضمير الشان ويرى مضارع مبني للمفعول وهو خبر ومنفحم مضاف اليه
وهو بصرية في الاظهر وللقرب وفيه متعلقان بيرى وضمير فيه اما له صلى الله
عليه وسلم او لمعناه او لفهم ولجاز القصاد تعلق فيه فيه بمنفحم قلت
وفيه تقديم معمول المضاف اليه على المضاف لكن قدمنا ان ذلك
مما يختص به غير المراد بها النفي وايضا سهله كونه مجرورا والكلام في للقرب
بمعنى عند او ذهب المراد الى ان من معاني اللام الالصاق ولا يبعد هنا
بالاعتبارين في المتعلق وجملة يرى الى اخره مفسرة ضمير الشان وهو
خبر ليس وقال بعضهم بعد كلام لم ينقله لانه على خلاف روايتنا
وقد اشرنا اليه في التفسير انه يجوز ان يكون اسم ليس غير منفحم وفي القرب
خبرها وقوله في القرب حاله في الرواية ايضا قال ويرى اعتراض افاد به
للاستبدال على خبره حتى كانه قال انت ترى ذلك كما قيل في قوله تعالى
بغير عمد ترونها ان الوقف على عمد وترونها معناه انتم ترونها كذلك والكلام
معه يستدعي جلب جملة كلام وذلك طول لا تحقيق معه وقال القصار   كالقصد
قول الناظم كقوله ليس خلق الله مثله واحد قول الفارسي ان
ليس حرف نفي وهو ظاهر في المثال قلت ويجري مثله هنا كالشمس الاظهر   ليس حرف نفي
انه خبر مبتداء محذوف وفاء هو او حاله وهذه الجملة مفسرة للجملة
اعيى ويبعد جعل الكاف حالا بالضمير معناه او جعل المجرور حالا لانه
يعطي بمفهومه تخصيص الاعياء عن فهم معناه بهذه الحال الا ان تجعل هذه حالا
له لازمة لكن لزوم الحال على خلاف الاصل ويجوز كون الكاف نعتا لمصدر
محذوف اي اعيا كاعيا ادراك الشمس وتظهر جملة مفسرة للتشبيه او حال

من الشمس وعلى الاول لا محل لها من الاعراب وللعينين ومن بعد يتعلقان
بتظهر وصغيرة حال من فاعل يظهر وجملة تكل عطف على يظهر فحكمها حكمها
والطرف مفعول تكل ومن ام متعلق بتكل ويجوز ان يكون حالا من الطرف او من
الشمس كما يجوز ان يكون حالا منها او من العينين ومن لابتداء الغاية وكيف
حال وظرف كانجم تقدم مرة والعامل فيها وفي الدنيا يدرك ويجوز كون في الدنيا
صفة لقوم في الاصل فلما قدم انتصب على الحال وحقيقته مفعول وقوم فاعله
وينام نعت قوم وعنه وبالحلم يتعلقان بتسلوا وحركة لام الحلم اتباع
لعين بعد واصل تسلوا تسلووا فقلبت الواو الفا لتحركها وفتح ما قبلها
ثم حذفت لالتقائها ساكنة مع ضمير الفاعل الذي هو واو ساكنة وجملة
تسلوا اما صفة لقوم او حال منهم لانه قد وصفه والجملة معطوفة على الجملة
التشبيهية فمبلغ العلم مبتداء ومضاف اليه والفاء للتعقيب لانه
لما نفى ان يدرك حقيقته احد من الناس عقبه بما هو غاية المتيقظ ونهاية
علمه فيه قلت كذا قاله الاستاذ القصار وهو مبني على بعض التفاسير
وانه بشر خبر مفرد وقيل هو على حذف مضاف اي بلوغ العلم فيه علم بشريته
وانه خير خلق الله معطوف على انه بشر اي واختاره هذا على ما هو الراجح
من فتح ان ويجوز كسرها في الموضعين ويكون الخبر جملة ولا يحتاج الى رابط
لانها نفس المبتداء اي بلوغ العلم فيه هذا المذكور ومبلغ مصدر وبه
يتعلق فيه وكلهم تاكيد للخلق وكسر ميمه اتباعا لكسرة الهاء وهو لغة
لا ضرورة لئلا يقع في الاقواء كما توهم بعضهم وكل آي مبتداء ومضاف اليه
وجملة اتى الرسل الكرام بها صفة لآي وما فى انما تقدم ذكرها
وانما ان وكافتها ولذا دخلت على الفعل وفاعل اتصلت ضمير الآي ومن نور
وبهم يتعلقان باتصلت ومن لابتداء الغاية والباء للالصاق وجملة وكل
يحتمل الاستيناف فلا محل لها ويحتمل العطف على خبر مبلغ فيكون في محل
رفع والرابط على هذا ضمير نوره هم كواكبها مبتداء وخبر ومضاف اليه
والجملة صفة شمس لا حال منها اذ لا عامل ويظهرن خبر ثان لهم والرابط الفاعل

المبلغ مصدر
والاتباع لغة لا ضرورة

نون جمع المؤنث
ضمير الفاعل

المؤنث

المؤنث وهو النون انما عاد عليهم وهو ضمير المذكرين لانه واقع على الكواكب
التي لفظها مؤنث والمبتداء المذكر اذا اخبر عنه بمؤنث يجوز ان يعاد عليه ضمير
المؤنث فيؤنث لتانيث خبره كقوله المريك عذرا اما فعلتم تسعل وقد
خاب من كانت سريرته الغدر * فانث الغدر بالحاق فعله علامة التانيث
لانه اخبر عنه بسريرة المؤنث وله نظاير ولا يصح جعل يظهرن صفة كواكب
لانه يتعرف بالاضافة اللهم الا عند من يرى ان المضاف الى ضمير النكرة لا
يتعرف فيصح ولا يصح ايضا جعله حالا منه اذ لا عامل الا على مذهب الاخفش
في ان الابتداء يعمل في الحال فيصح ذلك ولا يصح ايضا عليه ان يكون جملة
هم كواكبها حالا من شمس او من اسم ان ثم ضمير يظهرن انما هو باعتبار
الكواكب وهو خلاف الافصح والافصح تظهر لان فعلت ونحوه في جمع الكثرة
اولى من فعلن ونحوه وفي جمع القلة وجمع العاقلات مطلقا بالعكس قال
تعالى منها اربعة حرم لما اعيد على اثنى عشر فلا تظلموا فيهن
لما اعيد على اربعة وانوارها مفعول يظهرن وللناس وفي الظلم يتعلقان
بيظهرن ويجوز جعل في الظلم حالا من انوارها او من الناس واما جعل
يظهرن من الاستيناف البياني حتى لا يكون له محل من الاعراب ليسلم
من التكلفات المتقدمة فهو عين التكليف الاشارات من خصه الله سبحانه
وتعالى بالمعارف الالهية وبالتخلق بالصفات الربانية فهو بالنظر الى ذاته
وخلقته قريب من البشر وبالنظر الى اخلاقه وافعاله بعيد عن ادراك النظر
لانه بالنظر الى افعاله والارتقاء الى احواله خرج عن ظهورهم الموصوف
وارتفع عن تسفل منزلتهم المعروف وانما يحصل له ذلك بقطع العلايق
التي تشغله عن الله فليس له نظر الا اليه تبر فاذا بلغ هذه المنزلة تحير
الورى الراكنون الى غير الله من المخلوقين في امره فيقولون لما استولى
على قلوبهم من الغفلة ما لهذا المنقطع لا يسعى سعينا وباي شي اختص
عنا مع انه بشر من جنسنا وان نظروا الى بشريته وهي حالة بعده باعتبار علو
رآوه صغيرا وان تفكروا في خصايصه وهي حالة قربه باعتبار حاله ايضا

الضمير كمرجعه تعريفا
وتنكيرا
لا الابتداء يعمل في الحال

رجع طرفهم اليه خاسئا حسيرا وهذه صفة الواحد فى الانبيا والواحد
فى الاولياء فلا الناظر الى البشرية رام الطريقة ولا المتفكر فى الخصايص ادرك
الحقيقة فكلهم منقطع وجميعهم عن ذلك المقام مندفع وحينئذ يشبه
ذلك الواحد بالشمس فى الادراكين المذكورين فى استفاضة انواره
على من دونه ممن يشاركه فى مطلق المنزلة وهم كالكواكب المستمد نورها
من نور الشمس وهو كقطب الدايرة وهم كالمحيط فكلما يظهر على من دونه
ممن تعلق بمرتبته فهو من بركته فهذه الاشارات يضمنها البيت الاول والثانى
والخامس والسادس ثم قال وكيف يدرك فى الدنيا حقيقته اى ان
النيام المتسلين بالركون الى الدنيا المتطلعين الى الاسباب الغافلين عن
مسببها لا يدركون حقيقة الموصوف ولا لا تروايا هم على طرفى النقيض
وانى يجتمع النقيضان نعم اذا صاروا الى الاخرة وانكشف لهم الغطاء ادركوا
تلك الحقيقة وذلك حيث لا ينفعهم ذلك الادراك لان ثمرة التخلق منقضيا
وليس ذلك الوقت وان ذلك التخلق وحينئذ يقولون فارجعنا نعمل صالحا
الايه واما فى الدنيا فمبلغ علم المصدق الغافل عن التفكر فى حال الواحد
الموصوف انه بشر وانه خير خلق الله كلهم اما بالاطلاق كما فى حق نبينا
صلى الله عليه وسلم واما خلق الله الموجودين فى زمانه كما فى حق القطب
وقد علمت ان هذه الدرجة فى النبوة وفى غير النبوة لا تنال الا بتخصيص الله
تعالى مع التوفيق للعزلة عن الخلق خائضون فيه قل الله ثم ذرهم
فى خوضهم يلعبون وهذه العزلة حسية ومعنوية وفضل العزلة لا يخفى
فقد كان صلى الله عليه وسلم يتعبد بحراء حتى جاءه الحق وفى الصحيح من حديث
ابى هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ان من خير الناس رجل اخذ بعنان
فرسه كلما سمع هيعة طار اليها ورجل فى غنيمة له فى راس شعبة او بطن
واد يعبد ربه حتى ياتيه اليقين ليس من الناس الا فى خير ثم لا بد للمريد
منها فى ابتدائه عن ابناء جنسه وفى انتهائه لتحقق انسه ثم يعتقد فيها
سلامة الناس من شره لا سلامته من شرهم لان الاول استصغار والثانى

العزلة والخلطة

استكبار وقيل لراهب انت راهب فقال بل حارس كلب لئلا يعقر الناس
وهو نفسى والعزلة الحقيقة اعتزال الخصال المذمومة ولذا قيل العارف
كاين باين اى كاين مع الخلق باين عنهم فى السر وقال يحيى بن معاذ
ان كان انسك بالخلوة ذهب اذا خرجت منها وان كان انسك فيها بالله عز
استوت عندك الاماكن واوصى ابو بكر الوراق رجلا فقال وجدت
خير الدنيا والاخرة فى الخلوة والقلة وشرهما فى الكثرة والاختلاط
وقال ابن المبارك دواء القلوب قلة الملاقات ولله در القائل
لقاء الناس ليس يفيد شيئا سوى الهذيان من قيل وقال فاقلل من
لقاء الناس الا لاخذ العلم او لصلاح حال وقيل ان اراد الله نقل
عبد من ذل المعصية الى عز الطاعة آنسه بالوحدة واغناه بالقناعة
وبصره عيوب نفسه فمن اعطى ذلك اعطى خير الدنيا والاخرة بصرنا الله
عيوب انفسنا ورزقنا الانس به فى اجتماعنا وخلوتنا بمنه وكرمه اصل

اكرم بخلق نبى زانه خلق ... بالحسن مشتمل بالبشر متسم
كالزهر فى ترف والبدر فى شرف ... والبحر فى كرم والدهر فى همم
كانه وهو فرد فى جلالته ... فى عسكر حين تلقاه وفى حشم
كانما اللؤلؤ المكنون فى صدف ... من معدنى منطق منه ومبتسم
لا طيب يعدل تربا ضم اعظمه ... طوبى لمنتشق منه وملتثم

شرح الغريب اكرم بكذا اى ما اكرمه صيغته امر ومعناه التعجب زانه ودزينه
بمعنى من الزينة وهو ما يتزين به ويوم الزينة يوم العيد والزين نقيض الشين
وتزين وازدان بمعنى افتعل من الزينة وللين مخرج التاء لم توافق الزاى لشدة
مخرجها فابدلت دالا فقالوا ازدان ثم ادغموا فقالوا ازان وتصغير مزين
مزين فى مختار ومزين اذا عوضت وفى الجمع مزاين ومزايين وازينت الارض
بعشبها وازينت مثله واصله تزينت سكنت التاء وادغمت فاجتلبت همزة
الوصل مشتمل من اشتمل بثوبه اذا تلفف به اشتمالا هذا حقيقة اللفظ وهو
هنا مجاز شبه اتصافه بالحسن بثوب هو مشتمل به اى صار الحسن له

كوب يشتمل عليه وكذا مشتمل على اخلاق وحسنه والبشر طلاقة الوجه وبشر
فلان بوجه حسن اى لقينى وهو حسن البشر اى طلق الوجه ومتسم من اتسم
الرجل ومتسم اذا جعل لنفسه سمة تعرف بها واصل التاء واو لانه من وسمه
وسما وسمة اذا اثر فيه بسمة وكى والهاء عوض من الواو والوسمة بكسر السين
العظلم يختضب به وتسكينها لغة ولا تضم واوها والامر منه توسم والوسمى
مطر الربيع الاول لوسمه الارض بالنبات وقيل فيه غير هذا فهى موسومة
وموسم الحاج لانه معلم يجتمع اليه ووسم الناس اذا شهدوه كما يقال عيّد
عيدوا وهو موسوم بالخير وتوسمته فيه اى تفرسته والزهر جمع زهرة بلو
الها وهو نور النبات والزهرة بالتحريك كذلك وازهر النبت ظهر نوره وقيل
النور النبت الابيض والزهر الاصفر يكون ابيض ثم يصفر وزهرة الدنيا
بالتسكين غضارتها وحسنها شبه نعيمها بزهرة النبات فى ذلك وفى رعة
النغير آثرنا النغم وتقدم ما فيه فى حرف الادم والبدر القمر عند تمامه
سمى بذلك لمبادرته الشمس بالغروب كانه يعجلها المغيب وقيل لتمامه وامتلائه
وكل شئ تم فهو بدر وسميت البدرة وهى عشرة الاف درهم لتمام عددها
وللعتر ابيما كثيرة ولا يسمى قمرا الا بعد ثلث وهو قبلها هلال وليلة البدر
ليلة اربعة عشر وابدرنا فنحن مبدرون طلع لنا البدر والشرف علو المنزلة
وتقدم الدهر الزمان قال ان دهرا يلف شملى بجمل • لزمان يهم بالاحسان
وجمعه دهور والدهر الابد ودهر داهر كقولهم ابد ابيد ودهر دهار
بوزن شديد كليلة ليلاء ونهار انهر ويوم ايوم وساعة سوعاء قال وبينا
المرء فى الاحياء مغتبط • اذ صار فى الرمس تعفوه الاعاصير • حتى كان لم يكن
الا تذكره والدهر ايما حال • دهارير ولا اتيك الدهر الداهرين اى ابدا
وفى الحديث لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله كانوا يضيفون الحوادث اليه
فيسبونه فقيل له فاعل ذلك هو الله اى الذى يؤثر انما هو الله والدهم
بالضم المسن وبالفتح المحد والهمم جمع همة يقال هو بعيد الهمة بكسرها
وفتحها وهى الارادة من هممت بالشئ اهم هما وهمة اردته ويقال

الدهر والزمان

لا همة لى بالفتح ولا همام كقطام اى لا اهم ولا افعله والهمام الملك العظيم
الهمة وقيل الدهر الابد والممدود وقد تفتح هاؤه وقيل مدة الاشيا
الساكنة والزمان المدة المتحركة وقيل الزمان مدة الليل والنهار والدهر فيه
ازمنة كثيرة الفرد الوتر والجمع افراد وفرادى شاذ كانه جمع فردان وثور
فرد وفارد وفرد وفرد وفريد اى منفرد وظبية فارد انقطعت عن القطيع
وكذا السدرة المنفردة والفريد الدر اذا نظم وفصل بغيره وفرايد الدر
كبارها وفروع المادة كثيرة والجلالة العظمة وجلال الله عظمته والجليل
العظيم وكذا الجلال بالضم والجلالة الناقة العظيمة ويقال جل فلان
يجل بالكسر جلالة اى عظم قدره فهو جليل والله الاجل اى الاعظم والعسكر
الجيش الكثير من كل شئ وعسكر الرجل فهو معسكر والموضع معسكر بفتح
الكاف وقيل اقل العسكر الجريدة ثم السرية من خمسين الى اربعمائة ثم الكتيبة
من مائة الى الف ثم الجيش من الف الى اربعة الاف ثم الخميس من اربعة الاف الى
اثنى عشر الفا والعسكر يجمعها والحشم خدمة الرجل ومن تغضب له سميت بذلك
لانهم يغضبون له وتقدمت المادة واللؤلؤ واللآلى جمع لؤلؤة وهى الدرة
قال الفراء سمعت العرب تقول لصاحب اللؤلؤ لأّال والقياس لأّاء وقيل
ولا يصح فى القياس ما انكر ولا ما اثبت لان اللؤلؤ رباعى وفعال ثلاثى وقيل
اللؤلؤ الاحجار النفيسة المستخرجة من البحرين وهو ظاهر قوله تعالى يخرج
منهما اللؤلؤ وقيل انما يستخرج الدر من المالح وقيل اللؤلؤ كبار الحب والمرجان
صغاره قيل وسمى لؤلؤا لاضاءته والمكنون المصون كننت الشئ فهو مكنون
اى صنته وسترته والكن السترة والجمع اكنان والاكنة الاغطية واحدها
كنان واكننته فى نفسى اسررته ابو زيد كننته واكننته بمعنى فى الكن
وفى النفس تقول كننت العلم واكننته فهو مكنون ومكن وكننت الجارية
واكننتها فهى مكنونة ومكنة والكنة بالضم سقيفة تشرع فوق باب الدار
والجمع كنات والكنانة ما يجعل فيه السهم واكتن واستكن استتر وصدف
الدرة غشاؤها الواحدة صدفة والمعدن بكسر الدال من عدن بالبلد

لاهمة

توطنته وعدنت الابل بمكان كذا لزمته وجنات عدن اى اقامة وسمي المعدن
لاقامة الناس فيه الصيف والشتاء ومركز كل شئ معدنه والعادن الناقة
المقيمة في المرعى والمنطق الكلام ونطق نطقا وانطقه غيره وناطقه
واستنطقه اى كلمه والمنطيق البليغ والمبتسم بالفتح موضع الابتسام
قال الجوهري والتبسم دون الضحك يقال بسم بالفتح يبسم بسما
فهو باسم وابتسم وتبسم والمبسم الثغر كالمجلس ورجل مبسام وبسام
كثير التبسم والطيب قال الجوهري يستطيب به وبالجملة ماله رايحة
طيبة ويعدل اى يماثل قال الاخفش العدل بالكسر المثل وبالفتح اصله
مصدر عدلت به عدلا حسنا تجعله اسما للمثل لتفرق بينه وبين عدل
المتاع وقال الفراء بالفتح ما عدل من غير الجنس كالقيمة وبالكسر
المثل وربما كسر الاول بعض العرب وكانه غلط واجمعوا على كسر واحد
الاعدال والعادل من يعادلك في الوزن والقدر وتعادل امره
ويقسمه اى يميل بين امرين ايهما ياتى والترب التراب ويقال ايضا توراب
وتورب وتيرب وتربة وترباء وتيراب وترباء وتريب واتريب وجمع
التراب اتربة وتربان والترباء الارض نفسها وترب الشئ بالكسر
اصابه التراب ومنه ترب اى افتقر كانه لصق بالتراب وتربت يداه اى
لا اصاب خيرا وترب الشئ فتترب تلطخ بالتراب واتربه جعلته
عليه وفي الحديث اتربوا الكتاب فانه انجح للحاجة واترب الرجل
استغنى اى صار ماله بقدر التراب ومسكين ذو متربة لاصق بالتراب
وريح تربة جاءت بالتراب وضم جمع وضممته اليه فانضم وضامه
وتضاموا انضم بعضهم الى بعض واصطمت عليه الضلوع اشتملت
والاضمامة الجماعة والجمع الاضاميم والضمام بالكسر ما تضم به
شيئا الى شئ واسد ضماضم يضم كل شئ واعظمه جمع عظم وجمعه
الكثرة عظام وطوبى قيل يحتمل ان يكون مصدر طاب يطيب كالبشرى
والزلفى وقال الجوهري طوبى فعلى من الطيب قلبوا الياء واوا للضمة قبلها

ويقال

ويقال طوبى لك وطوباك بالاضافة قال يعقوب ولا يقل طوبيك
بالياء وقيل هي شجرة في الجنة وقيل ارض الجنة وقيل اسم الجنة بالحبشية
وقيل بالهندية وقيل البستان بلغة اليمن وقيل فرح تقر به العين وقيل
شجرة مسيرة مائة عام يخرج من اكمامها ثياب اهل الجنة وقيل هي في
جنة عدن واصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وليس في الجنة موضع
الا وفيه غصن منها وفيها من كل لون وزهرة خلق الله سبحانه الا السواد
وفيها من كل فاكهة خلقت ينبع من اصلها عينان الكافور والسلسبيل
وسال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم افي الجنة فاكهة قال فيها شجرة تدعى طوبى
فقال اى شجر ارضنا يشبه قال انما تشبه شجرة بالشام تدعى الجوز
على ساق واحد وينتشر اعلاها قال ما اعظم اصلها قال لو ارتحلت جذعة
من ابل اهلك ما احاطت باصلها حتى تنكسر ترقوتاها هرما وقال
الفراء هي من الطيب طوبى اى اصبت خيرا وقيل دوام الخير وجاءت الواو لضم
الطاء ويقال فيها ايضا طيبى وقيل معناها غبطة وقيل نعم ما لهم وقيل
كرامة من الله وقيل العيش الطيب وقيل خير وقيل فيها غير ذلك ومنتشق
اسم فاعل مستفعل من استنشق هكذا عند شيخنا ابى العباس القصار
رحمه الله وعند كثير منتشق مفتعل من نشق فالاول من قولهم
استنشقت الريح شممتها واستنشق الماء وغيره ادخله في الانف والثاني
يشبه ان يكون من نشقت منه ريحا طيبة بالكسر اى شممت وريح مكروهة
النشق اى الشم والنشوق سعوط يجعل في المنخرين وقد انشقته انشاقا
فالمستنشق او المستنشق الشام والمشم والملتثم اسم فاعل من التثم قيل
المقبل وقال شيخنا ابى العباس القصار هو من التثم يلتثم اذا شد اللثام
اللثام وهو النقاب والمعنى طوبى لمن عفر وجهه بتربه فصار له مثل اللثام
بجوزنبه في هذا المعنى قال ولا يصح ان يكون من التقبيل لانه لا يقال في معناه
التثم بل لثم بالكسر والفتح قال فلثمت فاها آخذا بقرونها شرب النزيف
ببرد ماء الحشرج انتهى قلت وهذا لا يتم الا اذا نصوا على انه لا يستعمل منه

بمعنى قبل اقبل ولثم البعير الحجارة بخفه يلثمها كسرها وخف ملثم يصك الحجارة
ولثمت الحجارة خفه بالكسر اصابته وادمته وخف ملثوم كالمرثوم واللثم بالضم
جمع لا ثمة قال الفراء اللثام ما كان على الفم من النقاب واللفام ما كان على
الارنبة ولثمت المراة تلثم لثما والتثمت وتلثمت شدت اللثام وهي حسنة اللثمة
واللثم قبلة التفسير لما ذكر قبل ان الورى اعياهم فهم معناه
على التمام والكمال وان مبلغ علمهم فيه انه بشر وانه خير خلق الله كلهم
اخذ يذكر بعض ما اتصف به مما اوجب لهم الحكم بانه خير خلق الله على ان
اعتقاد ذلك الحكم انما هو باخباره صلى الله عليه وسلم بذلك وجزم
صدق لدلالة المعجزة الا ان العلم باشتماله على الاوصاف المذكورة
مما يزداد به الايمان بصدقه وجزمه ولذا قال الائمة من اهل علم الكلام
رضي الله عنهم البرهان على صحة النبوة يكون لما وانا ويعنون باللمي الذي
يسئل فيه بلم فيقال لم كان نبيا فيقال لان المعجزة ظهرت على يديه وكانه
استدلال بالعلة على المعلول والسبب على المسبب ويعنون بالاني الذي
يقال فيه انما كان نبيا لان من خلقه كذا ومن اخلاقه كذا وتلك صفة
الانبياء وكانه عكس الذي قبله لان فيه الاستدلال بالنتيجة على الدليل
والمعلول على العلة والمسبب على السبب ومنه قول الناظم بعد كفاك بالعلم
البيت وهذا الذي اخذ نقرره هنا منه وذكره هنا ايضا لئلا يتوهم انما
اخبر عنه بمبلغ العلم انما يعتقد اعتقادا جملنا كليا ولا يحاط بشئ
من تفاصيله وجزئياته فمعنى اكرم بخلق البيت اي انه لما اخبر عنه لانه
شمس فضل كما تقدم استحق ان يتعجب من كرامة خلقه فيقال ما اكرم خلق نبي
اي صورة نبي موصوفة بانها شمس فضل وبلا شك انه عهد تشبيه الصور
الفايقة في الجمال بالشمس فما بالك بجمال ما يشبه شمس الفضل ثم مع ذلك
الجمال الصوري وان ذلك النبي المشبه بها ازان ذلك الخلق لان المراد به
المخلوق فهو خلق او اخلاق وقوله بالحسن مشتمل من صفة نبي او خلق
اي نبي مشتمل بالحسن متسم بالبشر او خلق كذلك اذا الغرض انه بمعنى المخلوق

ويحتمل ان يكون مشتمل ومتسم من نوعين صفة للخلق وهذا وجه حسن
لولا ما فيه من الاقوا اي خفض متسم المرفوع ووجه حسن هذا الوجه قربه
من التجريد كانه بلغ من غاية حسن اخلاقه ان جرد منه شئ تسمى الخلق
مشتمل بالحسن اي صار الحسن له كالثوب فهو مشتمل به ومتسم بالبشر
اي معلم بطلاقة الوجه ويروى بالبراي معلم بالصدق اذ به وبغيره
من سائر الاعمال البر وهذا امدح لعمومه ويحتمل ان يكون مشتملا
مرفوعا صفة للخلق ومتسم مخفوضا صفة لنبي او لخلق وجملة زانه
خلق مشتمل بالحسن اعتراضية بين الصفة والموصوف وقال بعضهم
اقتضى لفظه التعجب من خلقته وحقيقته غير مراده فان الكرم ليس من اوصاف
الخلقة فمراده من جمال خلقته لقوله بالحسن مشتمل ولو قال احسن
بخلق نبي لانزاح السؤال انتهى قلت انبنى هذا الكلام على ان الخلق
التاثير فلا يوصف بالكرم فيقول حينئذ انه خلاف ما قرر في قوله وانه
خير خلق الله فانه قال هذا المصدر مخالف لساير المصادر فان
كلها معناها التاثير القايم بالفاعل المغاير له وللمفعول واما الخلق
فنفس المفعول فينبغي له هنا الجري على ذلك السنن ولا يرد السؤال
ثم ولئن سلم ان الخلق التاثير فلا يسلم امتناع وصفه بالكرم باعتبار
متعلقه ثم ما الزم يلزمه ايضا على تقديره فان قوله جمال خلقته هو
من اضافة الصفة الى الموصوف اي الخلقة الجميلة فان امتنع وصفها
بالكرم امتنع بالجمال وان صح الجمال فيها باعتبار انها المخلوق قلنا الكرم
وقوله ولو قال احسن لانزاح السؤال ان كان مبنى البحث ما قلناه فلا فرق بين
العبارتين من تلك الحيثية وان بنى كلامه على الفرق بين مادة كرم وحسن
او على معنى آخر فلم افهمه فتامله ويحتمل ان يكون قوله بالحسن مشتمل
راجع الى الخلق وبالبشر متسم راجع الى الخلق ويؤيد هذا قوله في البيت
بعد كالزهر اي خلقه الذي هو ذاته كالزهر ويحتمل ان يريد جميع ما يسمى
زهرا من النور العطر الرائحة الغض النبات ويحتمل ان يريد بعض ذلك

مما غلب عليه ذلك الاسم عندنا بالمغرب حتى صار علما فيه وهو نور شجر النارنج
وشبهه كالاترج وغيره مما اشبه وقوله في ترفاي في تنعم من نضارة جسم
وطيب رايحة وهذه صفة الازهار غضنه للجسم وطيبه طيبة الرايحة
ويزيد نور النارنج ببياض اللون الذي ليس هو بالامهق كما هو بياض
نبينا صلى الله عليه وسلم وبذلك وصفه بعض الصحابة رضي الله عنهم
فقال رايت ساقه في غرز الركاب كانه جمارة يعني في بياض اللون
والطراوة قوله والبدر اي وتلك الذات الموصوفة بانها كالزهر فيما ذكر
هي ايضا في الشرف وحسن البهجة كالبدر وقد قدمنا انه لا يسمى كذلك
الا ليلة اربع عشرة وذلك اتم احواله واشرفها وهذان الوصفان
اعني كالزهر والبدر مما يرجعان الى الصورة والخلق المشتمل على الحسن
وقوله والبحر اي وهو باعتبار اخلاقه المتسمة بالبشر والطلاقة كالبحر فيما
يرجع الى الكرم منها وكرم البحر لاخفا به فان الله تعالى يقول وهو الذي سخر
البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك
مواخر فيه الاية فما هذا من كرم البحر فما بالك بكرم من البحر نقطة من نحو
فان من جودك الدنيا وضرتها البيت صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم
وقوله والدهر اي وهو كالدهر فيما يرجع من الاخلاق الى الهمم اي ارادته التي
يريدها من اعطاء ومنع وضر ونفع وهذا باعتبار ما جرت به عادة الادباء
من تشبيه الهمم بالدهر حتى قال قايلهم له همم لا منتهى لكبارها وهمته
الصغرى اجل من الدهر ووجه هذا التشبيه ان هذه الحادثات الدقيقة
والجلية انما يقع في الدهر فنسبوها اليه فالدهري الجاهل يعتقد اسناد الفعل
اليه والموحد المؤمن يعتقد ان المؤثر في جميع الكاينات هو الله تعالى فاذا
اسند الى الدهر فعلا فعلى سبيل المجاز لانه واقع فيه كقولهم نهاره صايم
وليله قايم اسند الصوم الى النهار والقيام الى الليل مجازا لوقوعهما فيهما
والدهر في الحقيقة لا وجود له في الخارج عند المتكلمين لانه عندهم عبارة
عن مقارنة حادث لحادث والمقارنة امر اعتباري عدمي وكذا ينبغي في التحقيق

ان يكون عند من جرع من الحكما بمقدار حركة الفلك واما من عرفه منهم فانه
حركة الفلك فانه وان كان وجوديا الا انه يصلح للتاثير ومن نسبة الهمة
الى الدهر قول معاوية رضي الله عنه • نحن الزمان من رفعناه ارتفع ومن وضعناه
اتضع وكان الدهر باعتبار ما يقع فيه من الحوادث لا يرضى الا بالغاية من ذلك
الحادث فاذا رفع بلغ الغاية واذا وضع وصل النهاية ومن قول الناس
اذا استقامت قادتها شعره واذا ولت قطعت السلاسل ومنه قوله
اذا جادت الدنيا عليك فجد بها • على الناس طرا قبل ان تتفلت •
فلا الجود يفنيها اذا هي اقبلت • ولا البخل يبقيها اذا هي ولت
وهذه كلها صفات ذي الهمة العالية اذا اعطى اعطى كثيرا
وان منع حرم خطيرا اذ لا يتعاظم عنه اعطاء ولا منع فتبين ان وصفي
البحر والدهر راجعان الى الخلق فسبك البيتين على هذا الكرم بخلق نبي مشتمل
بالحسن كالزهر في ترف والبدر في شرف وقد زانه خلق متسم بالبشر
كالبحر في كرم والدهر في همم واما تصحيح ما اشار اليه الناظم من حسن
صورته صلى الله عليه وسلم من الاحاديث فتقدم ذلك من حديث ابي
هريرة وغيره جملة وتفصيلا ما يكفي في الاشارة اليه اذ لا سبيل الى
الاحاطة وكذا تقدم في الحديث المذكور بعض اخلاقه واما ما اشار اليه
من قوله بالبشر متسم على ان يكون المراد طلاقة الوجه فمن ذلك قول
عبد الله بن الحارث ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي صحيح البخاري عن جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم
منذ اسلمت ولا راني الا تبسم وقد يحتمل ان يكون قوله بالبشر متسم راجعا
الى وصفه بالكرم فيقابله والبحر ولا شك استبشار المسؤول عن سؤال
الحاجات من شيم الكرماء وضده من شيم البخلاء ومن سلمهم فلان نبسام
العشيات وقال اكاسر ضيفي قبل انزال رحله فيخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للاضياف ان يكثر القرى • ولكنما وجه الجنيب رحيب
فقال بقيت وفري وانحرفت عن العلى • ولقيت اضيافي بوجه عبوس

ان لم اشن على ابن هند غارة ٭ لم تخل يوما من ذهاب نفوس ٭ وقال
انا اذا جدت ضاحكا ابدا ٭ وهو اذا جاد هامل العين ٭ وقد قدمنا
بعض ما ورد من كرمه صلى الله عليه وسلم كاعطائه غنما بين جبلين لرجل
وما اعطى للعباس رضي الله عنه وقول الرجل ان محمدا يعطي عطاء
من لا يخاف الفقر وقد يكون قوله بالبشر متسم كناية عن حسن اخلاقه
كلها وناهيك في سماحة اخلاقه ما في الصحيح من قول انس خدمته
صلى الله عليه وسلم عشر سنين وفي رواية تسعا فما قال لي اف قط
وما قال لي لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وفي مسلم
عن عائشة ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده قط ولا امرأة ولا
خادما الا ان يجاهد في سبيل الله وما نيل منه صلى الله عليه وسلم
الا ان ينتهك شيء من محارم الله فينتقم الله وتامل ما وقع في الصحيحين من قصة
الذي قال له حين قسم المال اعدل والذي قال انها القسمة ما اريد بها
وجه الله وجبذ الاعرابي له ببردة حتى اثرت حاشيته في عنقه وما في
البخاري من انه صلى الله عليه وسلم ما خير بين امرين الا اختار ايسرهما
وعفوه عن لبيد بن الاعصم الذي سحره وعن اليهود الذي سموا له
الشاة واما اليهودية فاختلفت الروايات في قتلها لكن من اجل موت صاحبه
بذلك السم فهو ان ثبت قصاص وخرج مالك ومسلم عن ابي هريرة انه صلى الله
عليه وسلم اراف الناس بالناس وخير الناس للناس وانفع الناس للناس
وفي مسلم عن انس ما رايت احدا ارحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفيه عنه ايضا انه صلى الله عليه وسلم كان يسمع بكاء الصبي وهو في الصلوة
فيقرأ بالسورة القصيرة من اجل امه وفيه عن جابر استقبله صلى الله عليه وسلم
ولدان فمسح بخديهم واحدا واحدا ومسح بخدي فوجدت بيده بردا
او ريحا كانما اخرجها من جونة عطار وفيه حديث حمل امامة بنت ابي العاص
بنت زينب ابنته انه صلى الله عليه وسلم كان يخطب فجاء الحسن والحسين
رضي الله عنهما فقطع الخطبة ورفعهما واعاد الحديث وفيه عن عبد الله بن شداد

عن ابيه

عن ابيه انه صلى الله عليه وسلم خرج في احدى صلاتي العشاء وقد حمل احدهما
فوضعه ثم صلى واطال بين ظهراني صلوته سجدة قال فرفعت راسي
فاذا الصبي على ظهره فرجعت الى السجود فلما فرغ قيل يا رسول الله صلى الله عليك وسلم انك
اطلت سجدة وظننا انه يوحى اليك فقال لم يكن ذلك ولكن ابني ارتحلني فكرهت
ان اعجله حتى يقضي حاجته وقالت عائشة ما دعاه احد من اصحابه او اهل
بيته الا قال لبيك وكان صلى الله عليه وسلم يعود المساكين ويسال
عنهم ويجالس الفقراء ويركب الحمار ويردف خلفه ويأكل مع الخادم ويجلس
مختلطا باصحابه وحيث انتهى به المجلس ويقول لا تطروني كما اطرت عيسى
ولا تفضلوني على يونس ولا تخيروني على موسى ونحن احق بالشك
من ابرهيم ولو لبثت في السجن لبث يوسف لاجبت الداعي وقولوا عبد الله و
رسوله وخرج ابو بكر ابن ابي شيبة عن انس ما كان شخص احب اليهم من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا راوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته
لذلك وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب وفي البخاري عن ابي
هريرة ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه اكله والا تركه
ومن صفته صلى الله عليه وسلم حسن المعاشرة وكرم الصنيعة ولين الجانب
وبذل المعروف واطعام الطعام والعفو والاصلاح والجود والكرم
والسماحة والبدء بالسلام وكظم الغيظ والوفاء بالعهد وحفظ الجار
ورحمته لليتيم واذا سئل ان يدعو على احد مسلم او كافر دعا له وما عاب
مضطجعا قط وان افرش له اضطجع والا اضطجع على الارض ويوثر الداخل
بالوسادة فان لم يقبل عزم عليه حتى يقعد ويكني اصحابه ويدعوهم باحب الاسماء
اليهم اكراما لهم ويكني النساء والولدان ومن لم تكن له كنية ولا غاية لهذا الحد
كما لا جزر لهذا المد وما على رواية بالبر سواء اريد به الصدق او برودة في ساير
الطاعات فلا يحتاج الى استشهاد ومن صدقه قصته مع الذي تابعه وقال
له لا تبرح هنا او اتيك ببقية الثمن فانتظر في مكانه ذلك ثلثا وهي في كتب
الشعراء وفي حديث هرقل هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال لا

وقال ابو جهل حين ساله الاخنس بن شريق وقال له ليس هنا غيري وغيرك
اصادق محمدا او كاذب فقال والله انه لصادق وما كذب محمد قط وقوله
كالزهر في ترف تقدم في الاحاديث ما يدل على نضارة جسمه ولينه وصفا لونه
كالزهر وان من صفاته ازهر وفي الترمذي عن ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم
دقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف غضبه ورضاه في وجهه وقوله
ما مسست حريرة ولا ديباجة الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعطارة ريحه لقوله وما شممت مسكا ولا عنبرا اطيب من ريح رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما تقدم في عرقه وقوله والبدر في شرف اشارة الى ما اعطي من الهيبة
والجلال في حديث قيلة فلما رايته صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء ارعدت
من العرق هيبة له وتعظيما ومثله ايضا في رجل وقف بين يديه وقال له هون
عليك لست بملك انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد وحديث الذي استنصر
قريشا على ابي جهل لعنه الله لما مطله بثمن ابل ابتاعها منه فاحالوه على النبي صلى الله
عليه وسلم هزوا منهم فمضى معه صلى الله عليه وسلم وضرب بابه فخرج اليه
دهشا ورحب به وامره بالقضا فقضى في الحين فلما ليم قال رايت والله
على راسه فحلا عظيما فاغرا فاه لو ابيت لالتقمني ومثل ذلك لما اقسم ليضعن
عليه صخرة ان سجد فلما هم بذلك رجع ناكصا القهقرى واخبرهم براى وكان صلى الله
اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير ويضحكون عند تبسمه توقيرا له
واذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء وكان مجلسه لا ترفع فيه الاصوات
وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
وقال تعالى فتعزروه وتوقروه وقال البراء كنت اريد ان اسال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الامر سنين من هيبته وكان اصحابه يقرعون بابه بالاظافر وكان
عمر لا يكلمه الا كاخي السرار حتى لقد كان يستفهمه الحديث وما كانوا يحدون
اليه النظر تعظيما له وواجب على كل مؤمن متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويسكن
ويجل حتى كانه بين يديه وكان مالك اذا ذكر صلى الله عليه وسلم يتغير ويحني
حتى يشق على جلسائه فقيل له فقال لو رايتم كان سيد القرا ابن المنكدر

لا نكاد نساله عن حديث الا بكى وكان ابن جعفر كثير الدعابة فاذا ذكر عنده النبي
صلى الله عليه وسلم اصفر وكان وجه ابن القاسم ينزف منه الدم عند ذكره
صلى الله عليه وسلم ويجف لسانه في فيه ولذلك كان عبد الله بن مسعود وغيره
والصحابة رضي الله عنهم وقوله في كرم تقدم ما ورد ليله وقوله والدهر في همم
لا همة ارفع من همة من فضله الله على ساير المخلوقات على اختلاف انواعها
فهو العالي الهمة في الدنيا والاخرة اما همته في الدنيا فرغبته عنها
وقولها اليك عني امرنت وشممه حين راودته جبال الذهب وخير
بين الملك والعبودية فاختار العبودية وتقدم ذلك كله في قوله وكيف
تدعو الى الدنيا البيت وكيف لا ومولاه يقول له ولا تمدن عينيك الى
ورزق ربك خير وابقى وكان صلى الله عليه وسلم اذا اعطى لم يعد في اعطائه
حتى قال لامته ليس لنا مثل السوء العايد في صدقته كالكلب يعود في قيئه
وقال لعمر في الفرس الذي تصدق به لا تشتره وان اعطاكه بدرهم وقال
حين راودوه على ترك القتال يوم احد ما كان لنبي ان ينزع لامته بعد ان لبسها
حتى يقاتل ولم تحل الصدقة له ولا لال بيته واما الاخرة فناهيك
ما في حديث الشفاعة من قول كل من خيرة المرسلين نفسي نفسي ونحو هم
ذلك لهول المقام الذي لا رجاء لنا في الاخلاص من شدته بعد رحمة الله تعالى
الا بجاهه وقوله صلى الله عليه وسلم حينئذ امتي امتي وفي صحيح البخاري عنه
انه صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة مستجابة فاستعجل كل نبي دعوته
وادخرت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة جعلنا الله من اهلها بفضله
فالايثار دابه حتى في ذلك المقام الذي لا بعده كما كان ذلك دابه في اقل
الاشياء اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيبين من سواك احدهما
معوج فالاخر المستقيم فامسك المعوج ودفع المستقيم الى من كان معه
من اصحابه ولم يزل صلى الله عليه وسلم يتلقى المهالك بنفسه ايثارا لامته
والايثار على النفس خصوصا بالنفس من ثمرات علو الهمة كما ان الشجاعة
من ثمراتها فانه لا يتصف بها الا من لا يرضى بالعيشة الذليلة وقد كان له

صلى الله عليه وسلم سنها ما لم يكن لمخلوق ورويناه في صحيح البخاري وغيره
سال رجل البرا افررتم يوم حنين قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يفر لقد رأيته على بغلته البيضاء وابو سفيان اخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم
يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب فما رأى يومئذ احد اشد منه
فانظر ثبوته وحده والجيش يزيد على عشرة الاف وقال علي رضي الله عنه
كنا اذا احمي الباس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم
وما احد اقرب الى العدو منه ولقد رايتنا يوم بدر نلوذ به وهو اقربنا
من العدو وهو من اشد الناس يومئذ باسا والشجاع منا من يقرب منه
صلى الله عليه وسلم لقربه من العدو وقال عمران بن الحصين ما لقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب فيها وكان قوي البطش
وفي البخاري عن انس كان صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس
واشجع الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم
النبي صلى الله عليه وسلم راجعا وقد سبقهم الى الصوت واستبرا الخبر على فرس
لابي طلحة عري وهو يقول لن تراعوا لن تراعوا والى هذا المقام من الهيبة
والشجاعة والجلالة اشار الناظم بقوله كانه وهو فرد البيت يعني انه صلى الله
عليه وسلم من اجل جلالته التي قامت به اذا لقيه احد لان الخطاب في قوله
حين تلقاه لا يخص واحدا دون آخر فهو من الخطاب العام النبي صلى الله عليه وسلم
فرد اي وحده لا احد معه يدخل قلب لاقيه من المهابة والدهش ما يدخله
لو لقيه وهو صلى الله عليه وسلم في عسكر اي في جيش عظيم وفي حشم اي
خدمه الخاصين به لان الجيش يشتمل على الخدمة الخاصين بالملك وعلى
وعلى غيرهم واذا كانت هذه حاله صلى الله عليه وسلم من الجلالة والتعظيم
ان يقوم مقام العسكر وهو فرد لزم تضاعف تلك الجلالة اذا كان في عسكر
وهذا ظاهر ولولا انه وحده كالعسكر ما قاوم العسكر بانفراده صلى الله عليه
وفي وصف علي رضي الله عنه اياه صلى الله عليه وسلم من راه بديهة هابه
ومن خالطه معرفة احبه ويروى في جلالته نفي الظرفية فاما على رواية

فالمعنى على التعليل وعاملها العامل في خبر كان وهو في عسكر والتشبيه
وقوله وهو فرد على هذا جملة حالية واما على رواية في فان جعلتها
سببية نحو لمسكم فيما افضتم فالمعنى بمعنى من سواء وان جعلتها للظرفية
وعلقتها بالتشبيه على ان يكون القصد بذكرها وجه التشبيه فالمعنى
ايضا متحد وان علقتها بفرد او جعلتها صفة له فالمعنى انه منفرد بالجلالة
وقوله وهو فرد في جلالته بكماله جملة اعتراض افادت ذلك المعنى وقوله
كانما اللؤلؤ المكنون البيت الراجح الظاهر في تفسير هذا البيت هو ما اشرنا اليه
في كتاب الاستيعاب انه قصد تشبيه الفاظه صلى الله عليه وسلم التي ينطق
بها في فصاحتها وحلاوتها وحسنها واحتوائها على المعاني النفيسة لكونها الفاظ
من اوتي جوامع الكلم وثغره وهو ما يبدو من ثناياه واسنانه عند
التبسم في حسنه وتناسبه وصفا ما به وبياضه وهو تلالؤه وسلامته
من كل شيء باللؤلؤ وهذا الدر المسمى عندنا بالجوهر المصون في صدفه وهو
المحارة التي يتولد فيها وعاء له يحفظه من التغير حتى ينشق عنه كما ان القلب
وعاء الكلام النفسي حتى يبرزه اللسان وكما ان انضمام الشفتين على الثغر
كالوعاء له وعند التبسم يبرز واشار الى التشبيه الاول بقوله منطق والمراد
اما مكان النطق لكن باعتبار ما يخرج منه من الكلمات والمصدر الذي بمعنى المفعول
او المنطوق به فيكون المراد اولا الكلمات نفسها واشار الى التشبيه الثاني بقوله
ومبتسم والمراد مكان التبسم وهو الثغر ومعنى البيت كان اللؤلؤ الذي كان
مصونا في صدفه يخرج من معدنين من معادنه صلى الله عليه وسلم
احدهما معدن كلماته او موضعها والثاني موضع ابتسامه اي مكانه اما فصاحة
كلماته صلى الله عليه وسلم فغاية لا يدرك هديها ومنزلة لا يدانى في منتهاها
وكيف لا وهو صلى الله عليه وسلم يقول انا افصح من نطق بالضاد بيد اني من قريش
واسترضعت في بني سعد وتامل فصاحة هذا الحديث الكريم مع قلة الفاظه
فان قوله من نطق بالضاد كناية عن قوله العرب فانه من لوازم كلامهم لا يوجد
في كلام غيرهم لصعوبة مخرجه ولذا خصه من بين ساير الحروف الاصلية المخرج

او الملحمة التي لا توجد الا في كلام العرب فينتقل من ذلك للارتقا الى ملزومه
المراد ومنزله فصاحة الكلام وترجيحها على الصريح معرّف في علم البيان
وقوله بيد كلمة معناها غير فهو لاستثناء شيء من الحكم الاول واستدراك
اخراجه فعند سماعه تتشوق النفس الى ان ما بعدها ليس من الفصاحة فلما كان
ذلك قوله اني من قريش لم يجئ الا ما يزيدها تاكيدا وقوة فان قريشا افصح
العرب ثم استتبع ذلك ايضا بما يزيد ايضاحا وهو قوله واسترضعت في بني
سعد فانهم مشهورون بسلاسة الالفاظ في حلاوة ورشاقة واذا كان
الرضاع يغير الطباع فما بالك برضاع يزيد في الطباع وهذا النوع يسمى في علم
البديع تاكيد المدح بما يشبه الذم نحو قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتايب ويكفيك هذه الاشارة فيما تضمن هذا البيت
من الفصاحة ولولا السامة لاطلنا فيه النفس وروينا في نوادر ابي علي البغدادي
بسنده عن موسى بن محمد بن ابرهيم عن ابيه عن جده قال بينما رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالسا كذا وقعت الرواية بالنصب والقوي الرفع
مع اصحابه اذ نشأت سحابة فقالوا يا رسول الله هذه سحابة فقال كيف ترون
قواعدها قالوا ما احسنها واشد تمكنها قال فكيف ترون رحاها
قالوا ما احسنها واشد استقامتها قالوا كيف ترون بروقها اوميضا ام خفيا
ام يشق شقا قالوا بل يشق شقا قال فكيف ترون جونها قالوا ما احسنه واشد
سواده فقال عليه الصلوة والسلام الحيا فقالوا يا رسول الله ما راينا الذي
هو افصح منك قال وما يمنعني وانما انزل القرآن بلساني بلسان عربي مبين
انتهى وهذا الحديث اول شيء استفتح به ابن الاعرابي نوادره الا انه لم يرو
كيف ترون برقها وجوله ورويا افصح وبالجملة لا تحتاج العلم بفصاحته
الى شاهد ولا ينكرها موافق ولا معاند وتامل هذا الفصل من كتاب الشفا
لعياض رحمه الله فغنيه المقنع وقال محمد صلى الله عليه وسلم اوتيت جوامع
الكلم منها ما روينا في صحيح البخاري عن المغيرة بن شعبة انه صلى الله عليه وسلم
قال ان الله حرم عليكم عقوق الامهات ومنعا وهات ووأد البنات وكره لكم

قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال وفيه ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم
قال المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه بحسب المسلم من الشر ان يحقر
اخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وروينا
في صحيح مسلم عن النواس بن سمعان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس وفيه
عن ابي موسى الاشعري قيل يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال المرء
مع من احب وفيهما عن عبد الله بن عمر وقال قال صلى الله عليه وسلم
الظلم ظلمات وروينا في سنن النسائي وغيرها من قوله صلى الله عليه وسلم
المسلمون تتكافى دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وروينا
في سنن الترمذي عن ابي هريرة قال قال صلى الله عليه وسلم احبب حبيبك هونا ما
عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك
يوما ما ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره وفيه ان عبد الله
ابن سلام قال لما نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم
عرفت ان وجهه ليس بكذاب فكان اول شيء تكلم به يا ايها الناس افشوا السلام
واطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا والناس نيام تدخلون الجنة بسلام
ولو قصد التبرك بكلامه ما جلبنا هذا الاثر لا نهاية له لكن العجز عن الادراك
ادراك ومن تشبيه كلماته باللؤلؤ الذي قصد الناظم ما في حديث ام معبد
كان صلى الله عليه وسلم حلو المنطق فصلا لا نزرا ولا هذرا كان منطقه
خرزات نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة وانظر قولها منطقه فانه
بمعنى المنطوق به كما فسرنا به كلام الناظم واما تشبيه مبسمه باللؤلؤ فمن ذلك
قول بعض ناعتيه كان صلى الله عليه وسلم اذا ضحك فتر عن مثل سنا البرق يعني
بذلك بياض ثغره وصفاء لونه وعن مثل حب الغمام يعني في تناسبه وحسن نظمه
وصفاء لونه وقال آخر اذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه صلى الله
عليه وسلم وجابر انه صلى الله عليه وسلم اذا ضحك تلالأ في الجدر وهذه كلها
صفات اللؤلؤ وقابلة قول الناظم مبتسم دون ان يقول ضحك موافقة

الفافية والاشارة الى ان من جلاله صلى الله عليه وسلم او وقاره انه كان في
غالب امره لا يضحك الا تبسما وهذه كانت صفة ضحكه صلى الله عليه وسلم
فان استغرب ضحكه قيل ضحك حتى بدت نواجذه ورويناه في صحيح البخاري
ومسلم عن عايشة قالت ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط
ضاحكا حتى ارى منه لهواته انما يتبسم وفي البخاري في قصة المجامع في رمضان
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت انيابه ثم قال فاطعمه اهلك
وفيه عن جرير ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت ولا
راني الا تبسم وفي الترمذي عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال ما رايت احدا
اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان ضحك رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا تبسما قوله لا طيب البيت لما مدح خلقه صلى الله عليه وسلم
خلقه بما يليق بهما حال الحياة اخذ بمدحه صلى الله عليه وسلم بما له من الصفات
بعد موته ولما كان ما هو فيه صلى الله عليه وسلم عن الخبر العظيم مغيبا
عن مشاهدتنا وطريق ما نشاهده الا تربة مكان دفنه ولا يليق عن وصفها
باعتبار ما يحتاج اليه في المدح الا طيب الرايحة قال لا طيب في الوجود عادل
طيب تربا ضم اي جمع ذلك التراب عظامه بل ذلك التراب افضل وارفع
من كل طيب لكونه اشتمل على جسم خير الخلق عند الله وقوله طوبى لمنتشق
الى آخره ان كان طوبى فعلى من الطيب فهو اخبار بمجرد لان تربة لما كان الطيب
الطيب حصلت الطوبى اي الطيب للمستنشق منه والملتثم وكانه اشارة
الى النوعين المستعملين في الطيب لانه اما ان يستعمل بالشم واليه اشار بالمنتشق
واما بالتضمخ واليه اشار بالملتثم وان اريد بطوبى الجنة او شجرة فيها او نحو
ذلك مما مر فيحتمل ان يكون اراد بذلك الدعاء لمن استنشق من تلك التربة
العظيمة ويحتمل ان يريد الاخبار والاحتمال الاول في طوبى مبني على ان المراد
بان تربته افضل انواع الطيب باعتبار الحقيقة الحسيه وذلك اما لانه كذلك
في نفس الامر ادركه ام لا واما باعتبار اعتقاد المومن في ذلك فان المومن
لا يعدل بشم رايحة تربته صلى الله عليه وسلم شيئا من الطيب والاحتمال الثاني

في تفسيره مبني على ان المراد انها افضل انواع الطيب حكما فان قلت لو كان المراد
الحقيقة الحسية لادرك ذلك كل احد لان المسك مثلا يدرك طيب ريحه
كل احد قلت لا يلزم من قيام المعنى بمحل ادراكه لكل احد بل حتى توجد الشرايط
وتنتفي الموانع وعدم الادراك لا يدل على عدم المدرك اذ انتفى
الدليل لا يدل على انتفاء المدلول فالمزكوم لا يدرك رايحة المسك مع
ان الرايحة قايمة بالمسك لم تنتف ولما كانت احوال القبر من الامور الاخروية
لا جرم لا يدركها من الاحياء الا من يكشف له الغطا من الاولياء المقربين لان
متاع الاخرة باق ومن في الدنيا فان والفاني لا يتمتع بالباقي للتضاد ولذا
قال صلى الله عليه وسلم لما سئل عن تقدمه ثم تاخره وهو في صلوة الخسوف
رايت الجنة فاردت ان اتناول منها عنقودا ولو اخذته لاكلتم منه
ما بقيت الدنيا وقد قال صلى الله عليه وسلم القبر اول منزل من منازل
الاخرة فاما روض من رياض الجنة او حفرة من حفر النار ولا ارتياب
عند من له ادنى تعلق بشريعة الاسلام ان قبره صلى الله عليه وسلم
روضة من رياض الجنة بل افضلها ولما ذكر العلماء رضي الله عنهم في
افضلية المدينة على مكة او العكس استثنى بعض المحققين مكان دفنه
صلى الله عليه وسلم وقال انه افضل البقاع بالاجماع وقد قال صلى الله عليه وسلم
ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة وما اكتنف بين من المبدا
والمنتهى قد يدخل في حكمه اما القبر فللخبر العام الذي قبل هذا وهو في
قبره صلى الله عليه وسلم احرى واما المنبر فلقوله في اخر هذا الحديث
ومنبري على حوضي والحوض من الجنة وفي رواية على ترعة من ترع الجنة
والاستدلال بهذا بين واذا تقرر كون هذا المكان الشريف من الجنة
لم يبق عند العاقل المصدق بالشريعة امتراء في انه لا طيب من الدنيا يعدله
وتامل ما ورد في الحور العين لو اطلعت على اهل الدنيا وما ورد
ان تراب الجنة المسك الاذفر وغير ذلك مما يطول ذكره فان قلت هذا مبني
على ان قوله من رياض الجنة حقيقة وذلك متعذر لان الجنة في السما

لقوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون قال المفسرون الجنة ولقوله
صلى الله عليه وسلم ان سقفها عرش الرحمن وهو فوق سبع سموات
وكيف يكون ما هو في السماء في الارض وهما متقابلان قلت يحتمل
الحديثان الحقيقة والمجاز اما الحقيقة فان يكون ما اخبر عنه بانه من الجنة
ان يكون مقتطعا منها كما ورد ان الحجر الاسود منها وكما ورد ان الطائف من الشام
والممتنع ان يكون السماء ارضا لا يوخذ شي من السماء ويجعل في الارض
او بالعكس كما ان الانسان ارضي وهو يسكن السماء واما المجاز في القبر فان
يكون من مجاز التشبيه بان يشبه القبر بسعيه وطيب ريحه وسلامته من
الافات بمكان من الجنة وهذا شايع في اللسان ان يوصف المكان الحسن
من الجنة وضده في الاوصاف لانه من النار واما فيما بين القبر والمنبر فبان
يكون من اطلاق الاسم المسبب على السبب فان ملازمة ذلك المكان
للصلوة والعبادة سبب في نيل الجنة بفضل الله والحقيقة في وصف القبر
بذلك ارجح والمجاز في وصف ما بين القبر والمنبر بذلك ارجح فان قلت ما الجزء
في تفسيرك الثاني لطوني من ان هذا اخبار من الناظم هل له في ذلك متمسك
فان مثله توقيفي وكذا لوصف تربته فانها طيبة ان كان المراد كونها كذلك
في الامر وان كان لا يدرك قلت نعم اما التربة فتقدم الاستدلال فيها بحدث
القبر وهو استدلال ظاهر وايضا فلانها حوت جسمه صلى الله عليه وسلم
الذي هو اطيب الطيب ومجاور الطيب يتكيف بتكيفه وقد تقدم دليل
طيب ريحه صلى الله عليه وسلم حيا وهو كذلك ميتا فان الانبياء احياء
كالشهداء ولا تاكل الارض اجسامهم وخرج ابو بكر ابن ابي شيبة عن ابن المسيب
قال التمس علي رضي الله عنه من النبي صلى الله عليه وسلم ما يلتمس
من الميت فلم يجد فقال بابي وامي طبت حيا وميتا وزاد في الشفاء
لعياض باثر هذا الحديث وسطعت منه ريح لم يوجد مثلها يعني من الطيب
وقد قال ذلك ابو بكر ايضا رضي الله عنه ولله در الفقيه الزاهد الفاضل
ابي العباس احمد بن محمد بن العريف المري رحمه الله حيث يقول في قصيد

اولها اذا ما حدى الحادي باجمال يثرب فليت المطايا فوق حدي تعنق ثم لي
ابيات فما عبق الريحان الا وقبرهما اجل من الريحان طيبا واعبق
وله ايضا راحت ركابهم تندى روايحها طيبا فيا طيب ذاك الوفد
اسباحا نسيم قبر النبي المصطفى لهم روض اذا نشروا من ذكره فاحا
وله ايضا يا ليت لي كحلة من تربه فعسى يجل القذى عن مقل الرايح الغاد
ولبعضهم فاح الصعيد بجسمه فكانه روض يتم بعرفه المتارج ما جسمه
مما يغيره الثرى والروح منه كالصباح الابلج ولبعضهم حيث الثرى
دونه في الطيب دارين ثم النبي رسول الله مدفون عز التراب لكون الهاشمي
به كانه لؤلؤ في الترب مكنون ولابي عبد الله بن الضال بطيبة اثار
النبي محمد ثم قال ومهبط جبريل بوحي وحكمة بينها للعالمين محمد
ومظهر ايات كان رسومها على ما محى منها البلى يتجدد وفي مسجد التقوى
تارج روضة عليها من الفردوس ظل ممدد يفاوحها طيب الجنان
وتربة تبواها من جنة الخلد احمد ولفاطمة بنت محمد صلى الله عليه
وعليها ورضي عنها تربته صلى الله عليه وسلم ماذا على من شم تربة احمد
الا يشم مدا الزمان غواليا صبت علي مصايب لو انها صبت على الايام
عدن لياليا واما مستنده في الاخبار فهو ما جاء في فضل زيارة قبره
صلى الله عليه وسلم اذ لا يتاتى الاستنشاق والالتثام الا لزائر قبره صلى الله
عليه وسلم واقل ذلك بتعفير جبهته وانفه بتربته حال السجود في مسجده
صلى الله عليه وسلم والذي جاء في ذلك ما اخرجه البزاري والدارقطني عن
ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من زار قبري وجبت له شفاعتي
وعن انس قال صلى الله عليه وسلم من زار قبري محتسبا كان في جواري
وكنت له شفيعا يوم القيمة وفي حديث اخر من زارني بعد موتي فكانما زارني
في حياتي صلى الله عليه وسلم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون
فان قلت ليس في كلام الناظم الا في ان يكون الطيب معادلا لترب ضم اعظمه
وهذا لا يدل على ان تربه من الطيب ولئن سلم انه يدل على ذلك فهو انما نفي

ان يعادله غيره من الطيب لكن ليس فيه بيتين ان لا افضلية له لاحتمال كونها
في غيره قلت اما انه من الطيب فمقصد المدح يدل عليه ولقوله طوبى لكذا فانه
فعلى من الطيب فهو منبه على انه منه وايضا المعادلة التامة انما يكون
بين متماثلين من جنس واحد هكذا في النعوت فينبغي ان يكون فيها بينهما
ليتوارد النفي والاثبات على موضع واحد ولولا ذلك لما كان لذكر الطيب هنا
دون غيره مما ليس معادلا للتربة مزية وقد افتى مالك فيمن قال تربة المدينة
ردية ان يضرب ثلاثين بالدرة وامر بسجنه وقال ما احوجه الى ضرب عنقه
تربة اشتملت على جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها ردية
لقد ضرب بكونها من الطيب شرعا وطبعا ومما يدل على صحة ما اعتبرناه من كونها
من الطيب اما بالمجاز او بالحقيقة ما ذكره ابن بطال في اخر كتاب الحج من شرحه
للبخاري في باب المدينة تنفي الخبث ونصه وقوله ينصع طيبها هو مثل ضربه
للمؤمن المخلص الساكن فيها على الصابر على لاوائها وشدتها مع فراق الاهل
والمال والتزامه هذا الامر بان صدقه ونصع ايمانه وقوى لا غتباطه بسكنى
المدينة وتقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينصع ريح الطيب فيها ويزيد
عبقا على ساير البلاد خصوصه خص الله بها بلدة رسوله التي اختار تربتها
لمباشرة جسده الطيب المطهر عليه السلام وقد جاء في الحديث ان المؤمن يقبر
في التربة التي يخلق منها فكانت بهذا تربة المدينة افضل التراب كما هو عليه السلام
افضل البشر ولهذا والله اعلم يتضاعف ريح الطيب فيها على ساير البلاد
انتهى واما انه ارفع الطيب فلقوله طوبى فانه اذا كان نوعان من جنس وصنفا
من نوع ثم قيل في احدهما طوبى لمن تلبس بهذا دل على ارجحية الممدوح
ذلك فيه ولو تساويا لم يكن لتخصيصه بالذكر فايدة ولا يقال ان هذا من مفهوم
اللقب لان مفهوم اللقب ما يستفاد من اسناد الحكم الى اسم بمجرده من غير قرينة
توجب التخصيص وهذا ليس كذلك فان قلت هل لا قال ضم جسمه
ليفيد ان جسده صلى الله عليه وسلم لا يبلى اذ ذلك حكم اجساد الانبياء
عليهم السلام وقوله اعظمه يوهم خلاف ذلك قلت بل قوله اعظمه هو الذي

[illegible]

يدل على ما قال السائل لان العظم دعامة الجسم واذا كانت الدعامة مضمومة
اى مجموعة محفوظة لان الضم يصلح للمعنيين دل على ان الجسم لا يزال
لان اصله باق ولو قال ضم جسمه لما دل على دوام بقائه على حاله وانما
قال اعظمه بجمع القلة لتاتي الوزن ولانه بعد اضافته تعم فيساوي جمع
الكثرة وقال بعضهم انما اشار الى تربيع الاراب السبعة وانظر ما مناسبة
هذا المعنى في هذا المقام وكثير من معاني هذه الابيات تضمنها قصيد للبحتري
يمدح الفتح بن خاقان منها في معنى قوله والبدر في شرف • فاضيت من قرب
الى ذي مهابة • اقابل بدر التم حين اقابله • وفي معنى قوله زانه خلق بالحسن
بدا لي محمود السجية شمرت • سرابيله عنه وطالت حمايله • وفي
معنى اكرم بخلق الا ان الناظم شبه ذلك بالدهر وشبه البحتري بالرمح
لقصد الاعتدال فقال كما انتصب الرمح الرديني ثقفت انابيبه واهتز للطعن عامله
ثم شبه بالبدر ثانيا لقصد الشرف والهيبة كما فعل الناظم فقال • وكالبدر
وافته لتم سعوده • فتم سناه واستقلت منازله • فسلمت واعتاقت جنانى
هيبة • تنازعني القول الذي انا قائله • ثم قال متصلا بهذا وهو في
معنى بالبشر متسم • فلما تاملت الطلاقة وانثنى • الي ببشر انستني مخايله
دنوت فقبلت الندى من يد امرئ • كريم محياه سباط انامله • وفي
في معنى قوله كالبحر في كرم وتمثيل الشعراء الكريم بالبحر زاخر كقوله
هو البحر من اى النواحي اتيته • فلجته المعروف والبر ساحله •
كما ان تمثيلهم ذا الهمة العالية بالدهر مستدل حتى ان من يقصد المبالغة
يجعل الدهر دونه في ذلك قول بكر بن النطاح في ابي دلف وجمع بين البحر
والدهر والشجاعة له همم لا منتهى لكبارها • وهمته الصغرى اجل من الدهر
له راحة لو ان معشار جودها • على البر صار البر اندى من البحر • ولو ان
خلق الله في مسك فارس • فبارزه كان الخلي من العمر • وفي معنى الدهر
يقول علي بن جبلة في ابي دلف • انما الدنيا ابو دلف • بين مبداه ومحتضره
فاذا ولى ابو دلف • ولت الدنيا على اثره • ومدح اعرابي مالك بن طوق

وانا به بعشرة الاف درهم فقال • ومازالت اخشى الدهر حتى تعلقت • يداي بمن لا يتقى الدهر صاحبه • فلما رأني الدهر تحت جناحه • رأى مرتقى صعبا منيعا دوايبه • رأني بحيث النجم في رأس باذخ • تظل الورى اكنافه وجوانبه • فتى كسماء الغيث والناس حوله • اذا احدبوا جادت عليهم سحايبه • وبتبع هذه المعاني يوجب السامة والالفاظ تشبه بالدر وبالنور وبالسحر وبالوشي وجمع بذلك ابو منصور الثعالبي فقال في الامير ابي الفضل لك في المحاسن معجزات جمة • ابدا لغيرك في الورى لم تجمع • بحران بحر في البلاغة شابه • شعر الوليد وحسن لفظ الاصمعي • كالنور او كالسحر او كالدر او كالوشي في برد عليه موشع • كما ان الثغر يشبه بالدر وبالبرد وبالاقحوان قال كانما يبسم عن لؤلؤ منضد او برد او اقاح تنبيه هذه التشبيهات التي اتى بالناظم في صفات نبينا صلى الله عليه وسلم انما ذلك منه على عادة الشعر في ذلك والا فلا شيء من هذه المحدثات تعادل صفاته صلى الله عليه وسلم الخلقية والخلقية وقد احترز هو عن هذا بقوله قبل واحكم بما شئت وبقوله فان فضل رسول الله ليس حد ونحوهما من الابيات الدالة على هذا المعنى فان قلت فما باله جعل الزهر والبدر والبحر والدهر اصولا وشبه بها وذلك هو الاصل وجعل المنطق والمبتسم اصلا واللؤلؤ هو الفرع المشبه فعكس التشبيه وهو ابلغ من الاصل ولم يشبه الترب بالطيب لا مستقيما ولا معكوسا بل نفى عنه المشابهة بالكلية وهولا يجري على نسق واحد في الجميع وهل يلتمس لما فعل وجه قلت يحتمل ان يكون هذا من تفننه واستداد باعه حتى لا يفوته شيء من هذه الاستعمالات اذ كلها مستعملة للادباء ويحتمل ان يكون قصد الترقي في ذلك فشبه اولا على الاصل ثم عكس ثانيا وهو ابلغ ثم نفى التشبيه ثالثا وهو ابلغ فان قلت فما وجه تخصيصه ابلغية المدح ببعض تلك الصفات قلت لما كان قوله كالزهر البيت تشبيها لخلقه وخلقه وذلك باعتبار وجوده الدنيوي فيما قصد الناظم وان كان في ذلك السبب الاخروي وكان حاله صلى الله عليه وسلم فيما يرجع الى الدنيا التبلغ بما وجد اكتفى الناظم بمطلق

التشبيه اتباعا للسنة في ذلك ولما كان الاخبار عن التربة اخرويا محضا لانه بعد موته نفى المشابهة فيه اذ لا يشبه متاع الدنيا لباقي الاخرة الا في الاسم خاصة لا في الحقيقة وقد بينا ان تربته من الجنة لان القبر اول منزل من منازل الاخرة ولما كان القصد بقوله كانما اللؤلؤ تشبيه كلماته وثغره لكن المقصد الاعظم الكلمات والثغر تبع لملازمته اياها وكلماته حق كما قال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو حين قال له اكتب ما اسمع منك في الرضى والغضب قال نعم لاني لا اقول الا حقا وقال تعالى وما ينطق عن الهوى الاية فصار غالب المقصد من هذا البيت الاخروي جعل له من المدح مرتبة اعلى من مرتبة الدنيوي المحض او الغالب وادنى من الاخروي المحض وذلك بعكسه التشبيه وما احق هذا البحث ان يجعل في ترجمة الاشارات وله نظاير يطول تتبعها المعاني التعجب بصيغة افعل ابلغ منه بما افعله فان هذه تقصر التعجب على المتكلم بها والاولى كان كل من يصلح منه ان يخاطب مامورا بان يتعجب من ذلك ملزما لان صيغة الامر يقتضي ذلك حتى المتكلم فانه داخل في عموم متعلق خطابه على الصحيح واضافة خلق للاختصاص والتشريف وتنكيره في للتعظيم والنوعية وكذا تنكير خلق وال في الجنس لتمام الحقيقة لقوله نجوم الحسن وكذا التي في البشر وتنكير مشتمل ومتسم للنوعية وتقديم بالحسن وبالبشر للاختصاص باعتبار نفي مقابليهما وللقافية في الثاني وفي قوله كالزهر ايضاح لما ابهم في البيت قبله كما ان في كل من قوله في ترف وفي شرف وفي كرم وفي همم ايضاحا لما قبلها وتنكير هذه الالفاظ للنوعية وال في الزهر وما عطف عليه للجنس وتنكير فرد للتقليل باعتبار العدد او للتوحيد وهو الاظهر واضافة جلاله للاختصاص والتعظيم وقوله من جلالته احتراس او تكميل وهو الاظهر وتنكير عسكر للتكثير والتنويع وكذا حشم وجعل بعضهم قوله حين تلقاه من الحشو لتمام الوزن والظاهر انه اراد به ما اراد علي رضي الله عنه في قوله من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه فقوله حين تلقاه كقوله بديهة فيكون على هذا شبه الاحتراس

وتقدم ان تلقاه من الخطاب العام وال في اللؤلؤ والعهد وهو الموصوف بما ذكر والمكنون في صدف احتراس كما تقدم ويحتمل ان يكون قوله في صدف تتميما للمكنون وفي قوله معدني منطق ومبتسم نوع من التوشيع وتنكيرهما للنوعية وتنكيرها للتنويعية واضافة اعظم للعهد اي التي كانت في الحياة لم تزل على حالها او لازم ذلك بقاؤه جسمه على حاله وفصل جملة طوبى عما قبلها لاختلافهما انشاء وخبرا **البيان** قوله بالحسن مشتمل بالبشر متسم من الاستعارة بالكناية بان يشبه الحسن بثوب لم يذكر وذكر من لوازمه الاشتمال ويشبه استبشاره اللازم بشيء مما يجعل سمة وعلامة كالاوسام وغيره واثبت من لوازمه الاتسام واسناد زانه الى خلق مجاز وكذا الاسناد في مشتمل ومتسم والتشبيه في قوله كالزهر البيت بسيط وهو ادنى مراتب التشبيه لذكر الطرفين اي المشبه والمشبه به اذا التقدير هو كالزهر والاداة وهي الكاف ووجه التشبيه وهو قوله في كذا وكل مرتبة من مراتب التشبيه الثمانية اعلى من هذه بل الاقوى هذه المرتبة فان قلت ليس تقدير المشبه وهو المرتبة الثانية وهي المذكورة هنا كذكره وهي الاولى التي حملت عليها كلام الناظم قلت ان سلم ذلك فهما معا لا قوة لهما نص عليه الجلال في الايضاح في الخاتمة التي جعلها اخر باب التشبيه وهو داخل في قوله في التلخيص ولا قوة لغيرها قال بعضهم ولو اتى الناظم بكاف التشبيه مع البدر وما بعده وترك واو العطف لكان ادخل في الاطناب فان الفصل ابلغ من الوصل والعطف يقرب المتعدد او يصيره كجملة واحدة انتهى قلت بل الوصل هنا اولى لايذانه بالمغايرة فانها تشبيهات باعتبار تعدد المشبه ولو فصل لتوهم اما كمال الاتصال بين الجمل فيكون الثانية تفسيرا للاولى او بدلا منها او كمال الانقطاع فيكون اضرب عن الاولى مثلا وليس المقصود كل واحد من الامرين بل هذا من عطف المفردات والعامل في كل منها العامل في المعطوف عليه وهو ادلة التشبيه المصرح بها وقوله العطف يصير المتعدد كالمفرد ذلك في المفردات ولا ادري ما معنى قوله يقرب وهذا البحث اشبه بفصل المعاني

والتشبيه

والتشبيه في قوله كانه وهو فرد البيت الظاهر انه من تشبيه مقيد بمرد فانه شبه صلى الله عليه وسلم بقيد كونه مفردا به اذا كان في عسكر وحشم نحو قوله المرآة في كف الاشل كالشمس ويحتمل ان يكون من تشبيه المفرد بالمركب نحو محمر الشقيق اذا تصوب وتصعد • اعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد ويحتمل ان يكون من العكس نحو • ياصاحبي تقصيا نظريكما • تريا وجوه الارض كيف تصور تريا نهارا مشمسا قد شابه زهر الربا فكانما هو مقمر وعليك بالتنزيل على هذه الاوجه وقوله كانما اللؤلؤ من نوع التشبيه الذي قبله لتقييد اللؤلؤ بالمكنون في الصدف الا انه من عكس التشبيه اذ المعهود تشبيه الكلمات والثغر باللؤلؤ فشبه هو اللؤلؤ بهما لانه جعله ماخوذا من معدنيهما وهذا ابلغ من المستقيم لانه يدعى معه ان الفرع لقوة المعنى فيه صار اصلا وصار الاصل لضعفه فيه فرعا ومنه بدا الصباح كان غرته • وجه الخليفة حين يمتدح • فانه قصد ان وجه الخليفة اتم من الصباح في الوضوح والضيا وقصد الناظم بالاصالة تشبيه المنطق والمبسم باللؤلؤ فهو باعتبار الاصل من تشبيه التسوية وحقيقته الذي تعدد طرفه الاول اعني المشبه واتحد طرفه الثاني اي المشبه به كقوله صدغ الحبيب وحالي كلاهما كالليالي وثغره في صفاء وادمعي كاللآلي وهو باعتبار العكس فمن تشبيه الجمع كقوله كانما يبسم عن لؤلؤ منضد او برد او اقاح • ويحتمل ان يجعل قوله من معدني الى آخره من الاستعارة المكنى عنها بان يشبه المنطق والمبتسم بذهب او فضة او غيرهما ولم يذكرا لكن اثبت من لوازمهما المعدن وقوله تربا من مجاز الحذف اي طيب ترب **البديع** وقوله خلق وخلق من التجنيس الشبيه بالاشتقاق ولا يبعد ان يكون من تجنيس الاشتقاق وهو ايضا من التجنيس المحرف لاختلاف الحركات ولا يكون من تجنيس التصحيف لانه خاص بالحروف المختلفة اصلها نحو يحسبون انهم يحسنون وقوله بالحسن مشتمل مع قوله بالبشر متسم من الموازنة وتقدمت الاشارة في التفسير الى اشتمال البيت على التجريد قال بعضهم وان عاد ضمير زانه على خلق وضمير اشتمل ومتسم

على نبي كان في البيت الاستخدام اذ هنا معنيان خلقته عليه السلام
وآله واعاد الضمير على هذا مرة وعلى ذاك اخرى على ان الاستخدام انما
يتمكن في اللفظ المشترك نحو اذا نزل السماء بارض قوم رعيناه وان كانوا
غضابا فاستعمل السماء في بعض مجازيه وهو المطر وضميره في مجاز آخر وهو
النبات وهذا المعنى في البيت قريب منه انتهى قلت قد تقدم ان الاستخدام
ان يراد بلفظ له معنيان احدهما ثم بضميره الاخر ومنه اذا نزل البيت
او باحد ضميريه احدهما وبالاخر الاخر نحو فسقى الغضى والساكنيه وان هم
بين جوانح وضلوع اراد بضمير الغضى المتصل بالساكنيه مكانه وبالمتصل
بشبوه سجره ومعلوم ان بيت الناظم ليس من نوعه الاول وانما يتخيل
ان يكون من الثاني وليس به لان ما هنا ضميران عاد احدهما على اسم والاخر
على غيره لانهما ضميران لاسم واحد اختلف المراد بهما وقوله انما يتمكن في المشترك
مع قوله فاستعمل السماء في بعض مجازاته تدافع لان المشترك حقيقة في مدلوله
وحدهم الاستخدام يشمل المشترك والحقيقة والمجاز فرانه جزم اولا بان
الاستخدام في البيت وثانيا بانه فيه قريب منه واضافة الاستعمال للحسن والاتان
للبشر من التقسيم وفي الحسن والبشر مراعاة النظير وهما من اللف والنشر ايضا
ان رجع الحسن للخلق والبشر للخلق وفي البيت الثاني اللف والنشر لرجوع الزهر
والبدر للخلق والبحر والدهر للخلق وفيه ايضا الايضاح وهو ان يوتى في
كلام يوهم لبسا لكونه موجها او خفي الحكم بما يوضحه فمن ايضاح الموجه بذكر
سد الخير والشر كله وقيل الحي والعلم والحلم والجهل فالفال عن مكر ومهلمتا
والفال في محبوبها ولذلك لفصل ومن ايضاح الحكم الخفي قوله ومعرطق يعني
النديم بوجهه • عن كاسه الملأى وعن ابريقه • فعل المدام ولونها ومذاقها
في مقلتيه ووجنتيه وريقه • وهو هنا في ذكر وجه الشبه مع البدر وما
عطف عليه فانه جعله احتراسا كما مر كان من القسم الاول والا فهو من الثاني
وفي البيتين ايضا الجمع مع التقسيم لجمع الخلق ثم تقسيمه الى الزهر والبدر وجمع
الخلق ثم تقسيمه الى البحر والدهر وفي الثاني ايضا من التقسيم اضافة الاوصاف

الى ما يليق بها في اضافة الزهر الى الزهر وكذا الى آخره وفيه ايضا الموازنة لان
كلمات الشطر الاول توازن كلمات الشطر الثاني كل لفظ لمقابلها وهي بين ترف
وشرف مماثلة وفيه ايضا التسجيع لتوافق فاترف مع سرف وميم كرم مع همم
واكثر ما يكون في النثر نحو ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم اطوارا
وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم انى ادرأك في نحورهم واعوذ بك من
شرورهم ويسمى هذا النوع من التسجيع خصوصا التشطير بان يكون كل من شطري
البيت مسجعين مخالفين لاختيهما ومنه قول ابي تمام تدبير معتصم بالله منتقم
لله مرتقب في الله مرتغب وتلاوم هذه الجمل وذكره هذه التشبيهات واحدا
عقب آخر وشبهه مما يسرد من التفويف ويكون الجمل متساوية المقادير
ومتقاربتها كقول من يصف سحابا • تسربل وشيا من خزوز تطرزت مطارفها
طرزا من البرق كالتبر فوشي بلا رقم ورقم بلا يد ودمع بلا عين وضحك بلا ثغر
ومنه احتمل واحتكم اصبر وعز اهن وذل اخضع وقل اسمع ومن اطع وهنا
اللقب يرجع بعضه الى مراعاة النظير وبعضه الى المطابقة وجمعه بين الفرد
والعسكر من الطباق والعسكر والجيش من مراعاة النظير وقوله من جلالته
من حسن التعليل او من المذهب الكلامي لانه لما كان تشبيه المفرد بالكائن مع
العسكر بعيد عادة فاستدل بقوله من جلالته اي لا يكون ذلك الا لجلالة عنده
جل وعز فهو كقول المتنبي في كون التشبيه لبيان امكان ما ادعي في المشبه
فان تفق الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال وهو ايضا تشبيه مضمر
الكلى والحاقه فالحري نحو وليس لله بمستنكر البيت ومن هنا كان البيت مشتملا
على اللقب المسمى بالتبليغ وهو احد انواع المبالغة المقبولة كما تقدمت الاشارة
اليه وذكرنا اقسامها وحققتها في كتاب الاستيعاب فراجعه فيه لان الظاهر
ان كون الفرد كالعسكر وصف ممكن عادة لكنه بعيد وهو هنا واقع والنظم
اللؤلؤ والمكنون والصدف والمعدن من مراعاة النظير وكذا المنطق والمبتسم
وتقدم ان قوله من معدني كذا من التوشيع وفي هذا البيت التبليغ ايضا
لان جعل اللؤلؤ المكنون فرعا للمنطق والمبتسم ممكن عادة وفيه تعسف

قاعدة
الامر بغير اللام لا يكون
فاعله الا ظاهرا

وقوله لاطيب وطوبى من تجنيس الاشتقاق في وجه ومن التشبيه به في وجه ولفظ
منتشق وملتثم من مراعات النظير كما ان تربا واعظما من ذلك وفي البيت التفريق
لحكمه على الترب وغيره من الطيب بانهما من الطين ثم حكمه على الترب بانه لا يعادله
غيره فاذن جعل التراب افضل وغيره مفضولا وليس البيت من التوجيه لما بينا
من الادلة الكثيرة على مقصوده فلا ابهام فيه الاعراب اكرم فعل امر معناه
التعجب كما تقدم وخلق بني فاعله ومضاف اليه والباء زايدة فيه لزوما اصلاحا
للفظ لتصير العمدة بلفظ الفضلة لان الامر بغير لام لا يكون فاعله ظاهرا وسهل
ظهوره هنا كونه تعجبا في المعنى لا امرا هذا مذهب البصريين في مثل هذا اللفظ
وقيل افعل في مثله امر باستدعاء التعجب من المخاطب مسندا الى ضميره وقيل الى
ضمير الاكرام اي باكرام دم به والباء على هذين المذهبين زايدة في المفعول
وهمزة افعل للتعدية وقيل الباء هي التي للتعدية والهمزة للصيرورة وهو امر للشيب
او الشخص وانه فعل ماض ومفعول وفاعله خلق والجملة في موضع خفض صفة
لخلق على انه ليس باجنبي او لبني ومشتمل ومبتسم ان جعلتهما صفتين لبني ترجح
كون جملة زانه صفة له ايضا لئلا يفصل بين المضاف اليه وصفته
بصفة المضاف فان جعلت صفة لخلق على انه ليس باجنبي وان جعلتهما صفتين
لخلق ترجح ايضا ان تكون صفة لخلق وهو على كل حال راجحة من الوصفين
بالجملة قبل المفرد والغالب عكسه وفاعل مشتمل ومبتسم ومفعول زانه
راجعان الى خلق او الى بني وبقية الوجوه تقدمت في التفسير وبالحسن متعلق
بمشتمل وبالبشر بمبتسم وكالزهر صفة او حال اما لخلق واما لبني وفي ترف
حال من الزهر والعامل فيه التشبيه او العامل في كالزهر ويجوز ان يكون حالا
من ضميره ويجوز ان يكون كالزهر خبر مبتدأ محذوف اي هو او حاله والعامل في ترف
على هذا التشبيه وقوله والبدر الى آخره معطوفا على الزهر فحكمها وحكم ما يلي كل
منها حكمه كانه كان واسمها في عسكر خبرها والعامل في حين اما العامل في
الخبر او التشبيه وجملة تلقاه في موضع خفض باضافة حين لها وفي حشم
عطف على في عسكر وجملة وهو فرد في موضع نصب على الحال من اسم كان

والعامل

والعامل فيها التشبيه وتقدم فيها وجه آخر في التفسير ومن جلاله متعلق
بما يتعلق به حين والاظهر تعلقه بالتشبيه ومن للتعليل وجعل القصار من
جلاله صفة وذوا جاز ايضا ان يكون ضميرا كان ضمير الشان للتفخيم
والخبر في البيت الثاني وجملة وهو فرد اعتراض وفي عسكر صفة فرد قال
وكرر كان لما طال الكلام تطرية للسامع كقوله تعالى ولما جاءهم كتاب
ثم قال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا وكقوله تعالى ايعدكم انكم ثم قال
انكم مخرجون قال واللؤلؤ مبتداء المكنون صفته في صدف متعلق
بالصفة من بعد خبر المبتداء ومن لابتداء الغاية والجملة خبر ضمير الشان
ومفسرة له ومنه صفة منطق قال والاعراب الاول يقتضي تشبيهه
اولا بالعسكر وثانيا الفاظه وثناياه باللؤلؤ والثاني يقتضي انه في
العسكر يشبه الفاظه وثناياه اللؤلؤ والثاني يقتضي انه في العسكر يشبه
الفاظه وثناياه اللؤلؤ انتهى بالمعنى قلت والاعراب الثاني في غاية التكلف
مع قلة فايدته وايهامه تخصيص التشبيه باللؤلؤ بكونه في العسكر ونظيره
بالابيض يقتضي ان الرواية عنده كانه اللؤلؤ وكانما يجوز تعلق في صدف بالمكنون
يجوز جعله حالا من ضميره والعامل هو او من اللؤلؤ والعامل التشبيه لا نفي
اسمها مبني على الفتح لانه مفرد يعدل خبرها وتربا مفعوله والجملة في موضع رفع
وفاعل ضمير يعود على الترب واعظمه مفعوله ومضاف اليه وجملة ضم
في موضع نصب صفة لتربا ولا يصح جعل يعدل صفة طيب والخبر مقدر
اي في الوجود كما اجازه غير واحد وهي غفلة لانه كان يلزم تنوين طيب
لانه شبيه بالمضاف حينئذ واسم لا المضاف والشبيه به ينصب
اللهم الا ان يدعو حذف التنوين ضرورة لكنه على خلاف الاصل في
لا يحوج لذلك ثم الفرق بين الاعرابين لو صح الثاني ان الاول ينفي عن
جنس الطيب المعادلة للترب وجد ذلك الجنس في الخارج ام لا فهو ينفي
ان المعادلة لا تصح والثاني انما ينفي الوجود عن الطيب المعادل وليس فيه
تعرض لنفي صحة المعادلة فتامله وطوبى مبتدأ خبره لمنتشق ومنه متعلق

ينشق ومن للابتداء او للتبعيض وسوغ الابتداء بالنكرة اما كونه بمعنى
الدعاء او ما فيها من الوصف باعتبار الاصل او الحال على امر ولا محل لجملتها
اما لاستينافها او لكونها انشائية لانها دعاء ويجوز نصب طوبى بفعل
مضمر اى اصاب خيرا او طيبا ولام منتشق على هذا للبيان نحو سقيا لك
الاشارات زانه خلق صفة لخلق فلا عبرة بمجرد حسن الصورة وجمالها
ان لم تصحبها الخلوق الجميلة كما لا يضر قبح الصورة مع الفعل الجميل ان الله
لا ينظر الى صوركم ولا الى اجسامكم انما ينظر الى قلوبكم واعمالكم وتقدم
من الاشارات الى حسن الاخلاق جملة وتفصيلا ما فيه كفاية وقوله منتسم
اشارة الى انه مجبول عليها لانه مطاوع وسمه كما نسم وقال صلى الله عليه وسلم
لاشج عبد القيس ان فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة
فقال يا رسول الله انا اتخلق بهما ام الله جبلني عليهما فقال بل الله جبلك
عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خصلتين يحبهما الله ورسوله
ومن علامات التوفيق استعمال العبد للاخلاق الحميدة حتى يسميه الله بها
ان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا الحديث واعلم ان الاخلاق
الحسنة على الجملة هو ما يقربك من الله وضدها ضدها ان اكرمكم عند الله
اتقيكم والناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا
والفقه الفهم وليس فقيها الا العامل بطاعة الله لانه الذي ينفع نفسه
والعاصي مطموس البصيرة لا عقل عنده فكيف يكون متصفا بالفهم
وقوله كالزهر في ترف ينبغي للمؤمن ان يشبه الزهر في نظافة جسمه وثيابه
وطيب رايحته وصفا باطنه وسهولة تناوله في النفس والحال على من يريده
من اخوانه المؤمنين كما ان الزهر لا يمتنع على قاطفه ولا مقتطفه الايحه
والبدر في ترفاى ويمتنع ويرتفع عن ان تناله عدوه من اهل المعاصي والكفار
وبذلك وصف الله احباءه فقال تعالى فسوف ياتي الله بقوم يحبهم
ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وقال تعالى اشداء
على الكفار رحماء بينهم حليم اذا من الحلم زين اهله مع الحلم في عين العدو مهيب

وفي

وفي آخره ولا خير في حلم اذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه ان يكدرا والبحر في كرم
اى ولا يدخر شيئا في قربته بل ينبذ العلاقات الدنيوية ويفرغ خزاينه منها
كالبحر فانه لا يرتاح حتى يلقي بامواجه جميع ما في بطنه الى ساحله ولا يكون
الكرم الا في بذل الحلال واما التفضل من الحرام فتلك طهارة من الاخباث وهي
داخلة في طهارة الزهد وهي سابقة على هذا المقام لانها تخلية ومن تخلية
والتخلي يسبق التحلي وتامل لفظة لي من قوله صلى الله عليه وسلم ما احب
ان لي احدا ذهبا يبيت عندي منه شيء الا دينار ارصده لدين وقوله والدهر
في همم لما كان الدهر لا يرضى ممن جاد به الا باحسن المنازل ولا لمن سالمه
الا باشرفها ولذا المؤمن لمن عاداه ولا عدو له الا من عاداه لا يرضى ممن
لم يقلع عن المعاصي كفرا او غيره الا بالقتل والاذلال ولا لمن اطاع الله
بالتشريف والاجلال ويقال لما كان الدهر وهو الليل والنهار دائبا في
طاعة ربه منقادا لما سخر اليه وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد
ان يذكر او اراد شكورا فهمته الدوب على طاعة مولاه فكذا ينبغي للمؤمن
ان يكون حتى يوافق الليل والنهار عملهما وحينئذ يتشبه بالملائكة الذين
يسبحون الليل والنهار لا يفترون فان حصلت له هذه المنزلة كان ممن خاف
الله ومن خاف الله اخاف الله منه كل شيء فهو حينئذ وان كان فردا من اجل
ما يلقي الله عليه من الجلال كانه في عسكر وحشم ومن داوم على الطاعة و
اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة على لسانه فيشبه
حينئذ بما هو اعز عند الناس وابهج من اللؤلؤ المكنون في الصدف بالفاظ
تلك الحكم التي ظهرت على لسان ملقيها على ما فيه ومخرجها من صدره الذي
كان كنا بالها كالصدف ولما كان الخير الكبير مما هو في تلك الحكم يؤتي الحكمة
من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا كانت اصلا يشبه بها الخير
القليل الذي هو اللؤلؤ المكنون في الصدف وكان قليلا وكان قليلا لانه
من متاع الدنيا قل متاع الدنيا قليل والخير الكثير عزيز الوجود وانما يشبه
اذا بولغ في المدح بالعزيز الوجود لا بالمتبذل فالى هذا هو الاشارة بعكس

التشبيه وخص المنطق بكونه منه لعظم الكلمات واطلق المبتسم لانه من حسن
الصورة وهي الى الدنيا اقرب فلذا لم يصفه بكونه منه كقوله صلى الله عليه وسلم
لعايشة رضي الله عنها ما لي وللدنيا او يكون حذف من الاواخر لدلالة
الاوايل فيلحق بترجمة المعاني والاشارة فيه الى ان اخر هذه الامة يجب عليه
ان يقتدي باولها ويتقيد بما تقيدت به فاذا تقررت هذه الصفات للعبد
حال حيوته طاب مثواه وكانت الجنة بفضل الله ماواه ويقال له حينئذ لا
طيب من انواع طيب الدنيا يعدل طيب ترب ضم اعظمه لان القبر على مثل هذا
روض من رياض الجنة فلمثل هذا الطيب يعمل العاملون فانه الثمرة المقصودة
ويتطيب حينئذ ثناه كما طاب ثراه انتم شهداء الله في ارضه فمن اثنيتم عليه
خيرا فهو عند الله كذلك واياك ان تكون من الكثرتين بطيب الدنيا مع التفريط
في طيب الاخرة فتقبح رايحتك في حيوتك وبعد موتك ومن اثنيتم عليه شرا
فهو عند الله كذلك ورحم الله بن دريد القايل وانما المرء حديث بعده
فكن حديثا حسنا لمن وعا وقوله طوبى الى آخره انما يستنشق الطيب وليمه
من يحبه ومن يحبه يسعى في تحصيله فهو تحريض على تحصيل هذا الطيب
اللهم اسعدنا بلقائك وطيبنا للموت واجعل فيه راحتنا بمنك وفضلك اصل

ابان مولده في طيب عنصره * يا طيب مبتداء منه ومختتم
يوم تفرس فيه الفرس انهم * قد انذروا بحلول البؤس والنقم
وبات ايوان كسرى وهو منصدع * كشمل اصحاب كسرى وهو ملتئم
والنار خامدة الانفاس من اسف * عليه والنهر ساهي العين من سدم
وساء ساوة ان غاضت بحيرتها * ورد واردها بالغيظ حين ظمي
كان بالنار ما بالماء من بلل * حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم
والجن تهتف والانوار ساطعة * والحق يظهر من معنى ومن كلم

شرح الغريب ابان ظهر واوضح والبيان ما تبين به الشي من الدلالة
وغيرها وبان الشي بيانا اتضح فهو بين والجمع ابيناء وكذلك ابان فهو مبين
اي اتضح وابنته انا اوضحته واستبان ظهر واستبنته انا عرفته وتبين ظهر

وتبينه

وتبينته انا يتعدى هذه الثلثة ولا يتعدى والتبيين ايضاح والوضوح
ايضا وبين الصبح لذي العينين اي بين ولا ياتا ما ابينها اي اتبينها والتبيان
مصدر ولم يجي منها مكسور التا الا هذا التلقا ومولد الظاهر احتماله
للثلاثة اي المصدر او الزمان او المكان لان لغة غير طي فيما صحت لامه
من الثلاثي وفاوه واو صوغ مفعل للثلاثة بكسر العين حكاه في التسهيل
الاماشذ من موحل وموزن وغيرهما والمعنى ابانا ايات ولادته
او ايات زمان ولادته او ايات مكانها وهذا ادنى الاحتمالات معنى واقوم
لغة ولم يذكر الجوهري غيره وقال ميلاد الرجل اسم للوقت الذي ولد فيه عنصر
العنصر بضم العين والصاد الاصل والحسب يقال هم عناصر ينمى بها الخاتم
ووزنه فعلل عند الزبيدي وفعلل عند ابن السكيت وسميت العناصر الاربعة
عناصر لانها اصول المركبات منها والمبتدأ مبتدأ امره اي اوله سومه
من ابتدأت بالشي اذا فعلته اول ومختتم اي منتهى امره من اختتمت الشي
نقيض افتتحته وخاتمة الشي آخره ومنه خاتم النبيين صلى الله عليه وعليهم اجمعين وخاتمة مسك آخره لان آخر ما يجدونه رايحة المسك وتفرس
تثبت ونظر وتفرست فيه خيرا وهو يتفرس اي يتثبت وينظر تقول منه رجل
فارس ايضا وفي الحديث اتقوا فراسة المؤمن فاما الفراهة بالفتح فمن فاره
الخيل وقيل التفرس ظن توجيه علامة والفرس بالضم ويقال فارس ايضا
وفي الحديث وحد منهم فارس والروم وبلاد الفرس ايضا وهم امة عظيمة
كان مسكنها في شمال العراق واختلف في نسبهم فقيل هم من ولد هدرام ابن
ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وانه ولد له بضعة عشر رجلا
كلهم فارس شجاع فسموا الفرس لذلك وقيل هم من ذرية فارس وفارس من
ذرية سام بن نوح ليس من صلبه وقيل غير ذلك مما يطول ذكره من غير فايدة
وكذا التعرض لذكر ملوكهم واسمائهم ووقايعهم خارج عما نحن بصدده و
انذروا اي اعلموا والانذار الاعلام بالشي المخوف وقال الجوهري لا انذار الا بلاغ
ولا يكون الا في التخويف والاسم النذر ومنه عذابي ونذر اي انذاري

والنذير المنذر والانذار ايضا والنذير العريان قال ابن السكيت هو رجل من خثعم
حمل عليه يوم ذي الخلصة عوف بن عامر فقطع يده ويد امرأته وتنادوا خوف
بعضهم بعضا ونذر القوم بالعدو بكسر الدال علموا والحلول الظاهر انه من حل
العذاب يحل بالكسر اذا وجبا وبالضم اذا نزل وقرئ بهما فيحل عليكم غضبي
واما او تحل قريبا فبالضم اي تنزل واحلله انزله او حل بالمكان حلة
وحلولا ومحلا والمحل ايضا مكان الحلول وحلت القوم وحلت بهم بمعنى
والمحلان القدر والرحى والمحلات هما والدلو والشفرة والفاس والقداحة
والقربة اي من ملكها حل حيث شاء والا فلا بد من مجاورة الناس ليستعيرها
منهم البؤس والباساء الشدة وليس لفعلاء هذه افعل لانها اسم كما ان افعل
الاسم لا فعلاء له كاحمد والبوسى خلاف النعمى والباس الشدة في الحرب
بوس بالضم يبوس بوسا اذا كان شديد الباس والباس العذاب والابؤس
جمع بوس ويوم بؤس ضد يوم نعم وفروعه كثيرة والنقم جمع نقمة بوزن
كلمة والجمع نقمات ونقم كلمات وكلم وان شئت سكنت القاف ونقلت حركتها
الى النون فقلت نقمة والجمع نقم كنعمة ونعم وهذا هو ضبط النظم والاوان
والايوان بقصر ومد قال الجوهري الصفة العظيمة كالازج ومنه ايوان
كسري وقال غيره هو فارسي وهو بيت مؤزج غير مسدود الوجه والمؤزج
بالهمز والزاي والجيم بيت يبنى طولا وقيل الايوان البناء العالي وقيل بيت
كبير مستطيل وشرافات وقيل مجلس الملك المعد لجلوسه مع ارباب دولته
لتدبير امر الملك ويسمى الان في المغرب بالمشور وجمع الاوان اونة وخوان واخونة
وجمع الايوان ايوانات واواوين كديوان ودواوين واصله دوان ابدل
من احدى واويه ياء وكسرى لقب ملوك الفرس بفتح الكاف وكسرها وهو معرب
خسرو ونقل ان المبرد اختار الفتح وابو حاتم الكسر والنسب اليه كسروي وكسرى
وحكى عن ابي عمرو وجمعه اكاسرة على غير قياس وقياسه كسرون كعيسون وموسون
بفتح السين قالوا وكل من ملك الفرس يسمى كسرى والروم قيصر والترك خاقان
واليمن تبعا والحبشة النجاشي والقبط فرعون ومصر العزيز والبربر جالوت

ومن ملك العرب من قبل العجم النعمان في نظاير كثيرة بهذه منصدع منشق
والصدع الشق وزاد بعضهم البين وصدعته فانصدع انشق فهو مصدوع
والصديع الصبح والتصديق التفريق وتصدعوا تفرقوا وشمل القوم مجتمع عددهم
من شملهم الامر يشملهم اذا عمهم وفتح الماضي وضم المستقبل لغة ولم يعرفها الاصمعي
وامرها مل وجمع الله شملهم اي ما تشتت من امرهم وفرق الله شمله اي ما اجتمع من امره
وملتئم اي مجتمع لامة الجرح والصدع صدرة فالتام وبينهم ملتئم مجتمع ولاءم
بينهم ملاءمة اي اصلحت وجمعت والتاما اتفقا وطعام لا يلائمني ولا تقل لا يلاومني فانه
من اللوم وفي الحديث ليلوح الرجل امته اي شكله ومثله والهاء عوض من ذهاب
همزة الوسط واللئم بالكسر الصلح والاتفاق والنار مؤنثة واوية تصغيرها نويرة
والجمع نور وانوار ونيران قلبت الواو ياء لكسر ما قبلها ونار الناقة سمتها وفي المثل
نجارها نارها وتنورت النار من بعيد ابصرتها وخمدت النار تخمد خمودا اسكن
لهبها ولم يطفأ جمرها وهمدت اذا طفئ جمرها فهي خامدة واخمدتها انا والخمود بوزن
التنور موضع تدفن فيه النار لتخمد والانفاس جمع نفس بفتح الفاء وهو دفع البخار
الحار عن القلب وجلب النسيم البارد اليه وهو خاص بكل ذي رئة وكل ذي رئة
متنفس ودواب الماء لا رئة لها وتنفس الصعداء وقد يتجوز به فيقال تنفس الصبح
اي تبلج والنار زاد والموج نضح الماء وتنفست القوس ان صدعت والناء
اي اشتد حرها وكان يحتاج ان ينقص من امتلائها ومنه والله اعلم اشتكت
النار الى ربها فقالت يا رب اكل بعضي بعضا فاذن لها بنفسين الحديث
الاسف اشد الحزن واسف على ما فات واسف تلهف واسف عليه اسفا
غضب واسفه اغضبه والاسيف والاسوف السريع الحزن الرقيق القلب
وقد يكون الاسيف الغضبان مع الحزن والنهر بسكون الهاء وفتحها واحد
الانهار وعني به هنا وادي السماوة والسماوة مفازة بين الكوفة والشام
وقد يكون النهر بمعنى الانهار ومنه في جنات ونهر ونهرت النهر حفرته
ونهرت الماء جرى في الارض وجعل لنفسه نهرا وكل كبير جرى فقد نهر
واستنهر وانهرت الدم اسلته والطعنة وسعتها واستنهر الشيء اتسع

وساهي العين اي ساكبها ويحتمل ان يريد بالعين ينبوع الماء الذي هو اصل
جرية النهر واذا اسكنت سكن النهر ويحتمل ان يكون بسكون العين مجازا
لعدم جرية الماء لان الماء الجاري لا يسكن بل يخلف بعضه بعضا كالعين لا ينقطع
فانها طرف المرة بعد المرة وضدها النائمة والسهو السكون واللين وجمع
سهوا كدلو ودلاء قال تناوحت الرياح لفقد عمرو وكان قبل مهلكه
سهاء اي ساكنة لينة والمساهاة في العشرة ترك الاستقصاء والسهو الصدر
من الليل وفي المثل ان الموصين بنو سهوان اي لا يحتاج الى التوصية الا الناسي
والسهوة الغفلة وسهى يسهى عن الشيء فهو ساه ويحتمل ما في النظم
ان يكون من الغفلة مجازا والسدم بالتحريك الندم والحزن وسدم بالكسر
ورجل سادم اي نادم وندمان سدمان اتباع وماله هم ولا سدم الا ذلك وركية
سدم وسدم مكسر وعسر اذا ادفنت وقال غير الجوهري سدم الماء
بالكسر تغير لطول عهده وطحلب وتراب وقع فيه حتى اندفن وعاب وماء سدم
وسدم ومنه رجل سادم نادم اي متغير من الحزن والغم انتهى قلت والتفسير الاول
اولى وبي حزن ساه يسوه ضد يسؤه وساه قلب ساه يقال ساوية بمعنى
سوية وساوه مدينة بينها وبين الري اثنان وعشرون فرسخا وقال بعضهم
موضع بالشام وغاضت بحيرتها نقصت وجفت قيل وبالصاد المهملة غادت
يقال غاض الماء يغيض غيضا قل ونضب والغاض مثله وغيض الماء
فعل به ذلك وغاضه الله تعالى يتعدى ولا يتعدى واغاضه الله تعالى ايضا
واغاض عن السلعة نقص وغضته انا وما تغيض الارحام اي تنقص وغيضت
الدمع نقصته وحبسه وغاض الكرام وفاض اللئام وغيض من فيض
اي قليل من كثير والبحيرة بركة ما وكانها تصغير بحرة وكانت هذه البحيرة على
ما قيل عظيمة طولها ستة اميال وعرضها مثل ذلك والوارد هنا الذي
ياتي الماء للسقي والورد خلاف الصدر والوراد ايضا وهم الذين يردون
الماء وورد واوردا حضروا ورده غيره واستورده احضره والغيظ غضب
كامن للعاجز غاظه فهو مغيظ ولا يقال اغاظه وغايظه فاغتاظ وتغيظ

وتغيظ

ويغيظ بمعنى ظمأ يظمأ ظمأ فهو ظمآن اي عطش والمظمى من الزرع ما يسقيه
السماء والمسقوي ما يسقى بالسيح والحزن ضد السرور وحزن بالكسر فهو
حزن وحزين واحزنه غيره وحزنه كاسلكه وعليه جاء محزون وقال
اليزيدي حزنه لغة قريش واحزنه لغة تميم وقرئ بهما واحتزن وتحزن بمعنى
والحزانة بالضم والتخفيف عيال الرجل الذي يتحزن بامرهم والضرم ضرمت
النار بالكسر تضرم بالفتح ضرما اي التهبت ومثله تضرمت واضطرمت
واضرمتها انا وضرمتها شدد للمبالغة والضرام بالكسر اشتعال النار
في الحلفاء ونحوها وايضا دقاق الحطب السريع اشتعالها فيه والضرمة
السعفة والشيحة في طرفها نار يقال ما بها نافخ ضرمة اي احد والجمع ضرم
والضرم الحريق وضرم بالكسر اشتد حره والرجل جوعه والضرم الجائع
وفرخ العقاب وفرس شديد العدو والجن خلاف الانس والواحد
جني والجنة بكسر الجيم الجن والجان ابو الجن وسميت بذلك لانها تتقي ولا
ترى وهو من الاجتنان بمعنى الاستتار لانها تستتر عن اعين الانس
وجن الرجل جنونا واجنه الله فهو مجنون ولا تقل مجن وقولهم ما اجنه
شاذ لانه من فعل المفعول وتهتف تصوت هتف يهتف هتفا وهتافا
صوت وقيل الهتاف صوت خفي وكل متكلم خفي عن الابصار حين كلامه
هاتف والهتف الصوت هتف الحمامة تهتف هتفا وهتف به هتفا اي صاح به
وفرس هتافة وهتفى ذات صوت وقيل الهتف صوت بغناء وقيل حين
خلق الجان من نار السموم خلقت منه زوجته كما خلقت حواء من آدم
فغشيها فحملت باحد وثلثين بيضة فوضعت وخرج من كل بيضة نوع
من الجن والانوار جمع نور وهو الضياء والمراد هنا حقيقته والايات الظاهرة
عند ولادته صلى الله عليه وسلم او كلاهما وساطعة اي مرتفعة
وسطع يسطع سطوعا فهو ساطع ظهر وارتفع ومنه سطع
الغبار والرائحة والصبح والسطيع الصبح والسطع بالتحريك طول العنق
وتمامه سطعا والسطاع سمة في عنق البعير بالطول يقال بعير مسطع

والسطاع ايضا عمود البيت والحق خارف الباطل لجلج اويرتفع ويعلو
كقوله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل وقوله من معنى يحتمل ان
يريد معنى الكلام اى مقابل اللفظ وقد تقدم الكلام فيه ويحتمل ان يريد
حقيقة الشئ كقوله تم معناه ومن كلم اى من الالفاظ المقابلة للمعنى على
التفسير الاول للمعنى واما الدلالة على حقيقة الشئ والكلم جمع كلمة ولا
يكون اقل من ثلث ولهذا قال سيبويه هذا باب علم من كلم من العربية
ولم يقل الكلام لانه اراد الاسم وصاحبيه مجاءبما لا يكون الا جمعا
وترك ما يقع والجماعة وتميم تكسر الكاف في كلمة وتسكن لامها وزاد الفراء
لغتين فتح الكاف مع سكون اللام وكسرها واللغات الثلث في لبد وورق
والكلمة ايضا الكلام وفروع المادة كثيرة التفسير لما ذكرانه
لاطيب يعدل تربا البيت وتقرر ذلك بما ذكرناه هنا على ان ذلك
الطيب في تلك التربة الكريمة كان قد دل عليه وابانه ايات مولده اى الايات
التى ظهرت زمان ولادته على ما يرى بعضها ان شاء الله تعالى دلت وابانت
ان تلك التربة التى دفن فيها وهى طينته التى خلق منها طيبه لانه ورد
ان الانسان عند ما يريد الله تعالى تخليقه من النطفة يامر الملك فياتى
بتراب من المكان الذى يدفن فيه فيعجنه بتلك النطفة فالتربة التى خلق منها
فيها يكون مدفنه منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى وقوله
عنصره على هنا يريد به التراب الذى خلق منها فان قلت انه صلى الله عليه وسلم
جسم مركب فهو كغيره من مركباتها فلا يكون الا من العناصر الاربع التى هى
الماء والنار والتراب والهواء فالتراب احدها فلاى شئ قصرت العنصر بالتراب
وخصصته به قلت التراب كالاصل لغيره ولذا قال الله تعالى الله الذى خلقكم
من تراب الاية ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ومن حماء مسنون
فكان اكثرها بذكر التراب وقوله ياطيب مبتدأ ومختتم المراد بهذا النداء التعجب
والمتعجب منه على ما ذكرنا شئ واحد وهو طيب التربة التى ابتدئ منها وانتهى اليها
صلى الله عليه وسلم فمنه عايدا الى الترب وهو النايب عن الفاعل كانه قال

ياطيب الشئ الذى كانت البداءة منه والختم به والمرفوع بمختتم عايد على التربة
ايضا وانما دعانا الى هذا التفسير مناسبة هذا البيت للذى قبله والا فالظاهر
بادى الرأى انه منقطع عما قبله ومعناه الاخبار بان الايات التى ظهرت عند
ولادته صلى الله عليه وسلم اظهرت طيب عنصره اى اصله وحسبه لان تلك
الايات لا تظهر الا لكريم الاصل ولا كرم الا التقوى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
وقد كان بين طيب مختتمه قبل فاتح ذلك ان تعجب من طيب مبدائه الذى دل
على طيب عنصره ومن طيب مختتمه كما دل الوجود عليه وضمير منه على هذا عايد
عليه صلى الله عليه وسلم وحذف مثله من مختتم اى منه ويحتمل ان يريد
بالمولد وهو التحقيق المكان كما ذكر الجوهري وليس المراد المكان الذى هو
مسقط رأسه فان ذلك لا اية فيه من حيث هو وانما يريد اباه الذين تناسل
منهم اى ابانت احوالهم وما شوهد فيهم من نوره المنتقل من واحد الى اخر منهم
الى ابيه وغير ذلك مما ظهر عليهم من ايانة عن طيب اصله وحسبه وقوله
ياطيب مبتداء منه اى مبتداء من اصله ومختتم منه ففيه اشارة الى قول على
رضى الله عنه ليس فينا سفاح كلنا نكاح من ادم الينا او مبتدأ من احواله
ومختتم منها كالوجوه المتقدمة وهذا الوجه يستدعى ذكر بعض ما قيل في انتقال
نوره صلى الله عليه وسلم والحمل به ومولده قالوا اول من تعلم بالقلم من اجداده
الانبياء عليهم السلام أد بن هميسع وولده عدنان ثم لعدنان معد
ولم يزل نوره ينتقل من خير الى خير الى ان في اكرم بطن الى هاشم فكان يسطع
في وجهه فلا يمر به شئ الا خضع له فارى في المنام ان يتزوج اسما بنت زيد
بن عمرو بن لبيد بن حراش بن عدى بن النجار فتزوجها فولدت عبد المطلب
واسمه شيبة الحمد فادرك فنام يوما في الحجر فانتبه مكحولا مدهونا قد كسى
حلة البها والجمال فتحير ولم يدر من فعل ذلك فاخبر ابوه كهنة قريش فقالوا ان
اله السماء لا اله الا هو اذن لهذا الغلام في التزويج فزوجه قيله بنت عمرو
بن عامر فولدت له الحارث ثم مات فزوجه هند بنت عمرو وحضرت هاشما الوفاة
فدعا عبد المطلب فامره باحضار بنى النضير على اختلاف انواعها وعبد المطلب يومئذ

ابن خمس وعشرين سنة اطول قريش باعا واشدهم قوة يفوح منه المسك
ونور رسول الله صلى الله عليه وسلم يسطع في داره وجهه فاجتمعوا فقالوا يا معشر
قريش انتم نحن ولد اسمعيل اختاركم الله واسكنكم حرمه وانا سيدكم وقد اسلمت
لوا نزار وقوس اسماعيل وسقاية الحاج ومفاتيح الاصنام لعبد المطلب فاطيعوه
فرضوا ذلك وكانت قريش اذا قحطت خرجوا بعبد المطلب الى ثبير فيتوسلون به
الى الله فيسقيهم ببركة نور محمد صلى الله عليه وسلم وتزوج عبد المطلب هاله
بنت الحارث فولدت ابا لهب واسمه عبد العزى ثم ماتت فتزوج حميدة فولدت
حمزة وحجلا وعاتكة ثم تزوج فاطمه بنت عمرو وامهرها مائة ناقة حمراء ومائة
رطل من الذهب الاحمر فولدت ابا طالب وامنه وبين ثم عبد الله وهو اصغر ولده
من فاطمة فاخذ عبد المطلب بيد ابنه عبد الله يوما فمر بقتيلة بنت نوفل عند الكعبة
فقالت لعبد الله وقد رأت نور رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه فقع علي
الان ولك مائة من الابل فقال انا مع ابي لا استطيع فراقه وقيل انشدها
اما الحرام فالممات دونه   والحل لا حل فاستبينه   فكيف بالامر الذي
تنوينه فخرج به ابوه حتى اتى وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة
بن كعب بن لوي بن غالب وهو يومئذ سيد بني زهرة فزوجه ابنته امنة
افضل امرأة في قريش يومئذ نسبا وموضعا قالوا فوقع عليها حين املكها
فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بقتيلة من الغد فقال ما لك لا تعرضين
علي ما عرضت علي بالامس فقالت فارقك النور الذي معك بالامس لا حاجة
لي بك وكانت تسمع من اخيها انه كائن في هذه الامة نبي وقيل ان عبد الله
كان يعمل في طين فدعا امراة من نسائه كانت تعرضه لامنه لنفسه وبه
اثره فابطأت لما رأت من اثر الطين فغسل ما به فدعته فاتى فوقع على امنه
فحملت فدعا امرأته الاولى فقالت لا مررت بي وبين عينيك غرة فذهبت
بها امنه فهو صلى الله عليه وسلم اوسط قومه نسبا واعظمهم شرفا من ابيه
وامه صلى الله عليه وسلم وقال لامه في المنام انك حملت بسيد هذه الامة
فاذا وقع الى الارض فقولي اعيذه بالواحد من شر كل حاسد وسميه محمدا

ورانه

وران حين حملت به انه خرج منها نور رأت منه قصور بصرى من ارض الشام
ولما استقر في بطنها اصبحت اصنام الدنيا كلها منكوسة وكذا ابليس
والملك يتغطس في لجج البحار اربعين يوما وكان الناس في جدب عظيم فاخصبوا
فسميت تلك السنة سنة الابتهاج ولم يبق كاهن الا حجب ولا سرير لملك
من ملوك الدنيا الا اصبح منكوسا والملك مخرسا لا ينطق يومه وذكر الحافظ
ابو القاسم السهيلي قال في تفسير بقي بن مخلد ان ابليس رن اربع مرات
رنة حين لعن ورنة حين اهبط ورنة حين ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورنة حين انزل فاتحة الكتاب وعبد المطلب يومئذ حاكم قريش وسائر
العرب فبقي صلى الله عليه وسلم في بطن امه تسعة اشهر لا يشكوا وجعا
ولا مغصا مما تعرض للحوامل وهلك ابوه بمكة وهو في بطن امه وقيل بعد
وضعه بشهرين وقيل بثمانية وعشرين شهرا وقيل توفي بالمدينة وقد اقبل
من الشام في عير لقريش ودفن في دار النابغة وعمره ست وعشرون سنة
قالت امه لقد اخذني الطلق واني لوحيدة في منزلي وعبد المطلب
في طوافه يوم الاثنين فسمعت وجبة هالتني ورأيت كان جناح طير ابيض
مسح فؤادي فذهب رعبي وكل وجع وكنت عطشانة فاذا بشربة بيضاء
ظننتها لبن فشربتها فاصابني نور عال واذا بنسوة كالنخل طولا كانهن من بنات
عبد مناف فاحدقن بي فعجبت وقلت يا غوثاه من اين علمن بي واسمع الوجبة
في كل ساعة اعظم فاذا بديباج ابيض مد بين السماء والارض وقائل يقول
خذوه من اعين الناس ورجال في الهواء بايديهم اباريق من فضة
وعرقي كالجمان واقول ليت عبد المطلب عندي واقبلت قطعة من الطير
من حيث لا اشعر كان مناقيرها الزمرد واجنحتها اليواقيت فكشف عن بصري
ورأيت مشارق الارض ومغاربها ورأيت ثلثة علامات علما بالمشرق وعلما
بالمغرب وعلما على البيت فاشتد بي المخاض وكانت مستندة الى النساء
فكثرن علي فولدت محمدا صلى الله عليه وسلم من ساعتي فنظرت اليه فاذا
هو ساجد لله عز وجل ثم رفع رأسه الى السماء كالمتضرع المبتهل وذكر الطبري

انه وقع الى الارض مقبوضة اصابع يدين مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وروى
ان الشفا ام عبد الرحمن بن عوف قالت لما سقط رسول الله صلى الله عليه وسلم
على يدى واستهل سمعت قائلا يقول رحمك الله واضاء لى ما بين المشرق والمغرب
حتى نظرت الى قصور الروم وولد عليه السلام مختونا مسرورا اى مقطوع السرة
يقال بنجم الغفر كما يقال انه النجم الذى يولد مع طلوعه الانبياء عليهم السلام
وهذا يرد قول من قال ولد لعشرين يوما من ابريل وهو شهر نيسان او الثامن
والعشرين منه فان الغفر يسقط لسبع عشرة ليلة تخلوا منه فى المغرب ويطلع
السرطان من المشرق وينزل الشمس بالزبانا ذلك الوقت وقيل لثمانية عشر منه
وهذا يقرب بان قيل ان معنى قولهم لنجم كذا اى سقوطه وقيل ولد عليه السلام
يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الاول ويقال لعشر خلون
منه وقيل لثمان وقيل يوم الاثنين الذى بعث فيه على اصحاب الفيل طيرا
ابابيل وقيل بعد ربيع الفيل بخمس وستين ليلة وقيل فى شهر رمضان
وقيل لليلتين خلتا من ربيع الاول عام الفيل وهو اليوم الثامن من ديماة
سنة الف وثمانمائة وتسع عشرة سنة من بدء ملك بخت نصر وذلك
يوم العشرين من شباط سنة ثمانمائة واثنين وثمانين للاسكندر وهو
ذو القرنين ابن فيلقوس وهو يونانى وسنة تسع ثلثين من ملك انوشروان
خسرو ان قباد بن فيروز ملك فارس وبعد قدوم اصحاب الفيل مكة بخمسين يوما
وقيل بستة وستين يوما وذلك عشرين لنيسان وقدم اصحاب الفيل مكة يوم
الثلث الخمس خلون من المحرم من السنة المذكورة واول ذلك المحرم الجمعة والجمهور
من اهل العلم بالسير انه ولد يوم الاثنين لاثنتى عشرة خلت من ربيع الاول
عام الفيل وكان مولده عليه السلام فى شعب بنى هاشم وقال الزبير بن بكار
حملت به امه ايام التشريق فى شعب ابى طالب عند الجمرة الوسطى وولد فى الدار
التى كانت تدعى لمحمد بن يوسف اخى الحجاج بمكة والاختلاف فى ذكرها قلناه كثير
وملك الروم حين ولد عليه السلام قرطيوس وملك تسعا وعشرين سنة
ولما وضعته امه اعلمت عبد المطلب بما رأت وبابنه فدخل به عبد المطلب الكعبة

يدعو الله ويشكره ثم دفعه الى امه وخرج الترمذى عن المطلب بن عبد الله بن قيس
بن مخرمة عن ابيه عن جده قال ولدت انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
عام الفيل وسال عثمان بن عفان قباث بن اشيم اخا بنى يعمر بن ليث
انت اكبر ام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكبر منى وانا اقدم فى الميلاد ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل
ووقفت بى امى على موضع الفيل قال ورأيت خرء الفيل اخضر محيلا وروى
عن عثمان بن ابى العاص عن امه ام عثمان الثقفيه واسمها فاطمه بنت عبد الله
قالت حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايت البيت حين وقع
قد امتلاء نورا ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت انها ستقع على وذكر ابن دريد
ان امه القت عليه جفنة لئلا يراه الناس قبل حين فسئل ما سميته قال محمد
فقيل له انه اسم ليس لك ولا لاحد من قومك فقال رجوت ان يحمده اهل الارض
كلهم لرؤيا كان رآها عبد المطلب ذكرها ابو الحسن على القيروانى العابر فى كتاب
البستان قال رأى كان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف
فى السماء وطرف فى الارض وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب ثم عادت كانها شجرة
على كل ورقة منها نور واذا اهل المشرق والمغرب كانهم يتعلقون بها فقصها
فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه اهل المشرق والمغرب ويحمده اهل السماء
فلذلك سماه محمدا وحدث ابن اسحاق عن حسان بن ثابت فقال والله انى
لغلام يفعة ابن سبع سنين اذ سمعت يهوديا يصرخ على اطمه يثرب يا معشر
يهود فاجتمعوا وقالوا ويلك ما لك قال طلع الليلة نجم احمد الذى
ولد به فقال ابن اسحق فقلت لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن كم كان
حسان مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن ستين سنة وقدمها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وخمسين سنة فسمع حسان
ما سمع وهو ابن سبع سنين واما اظآره رسول الله صلى الله عليه وسلم
فثلاث او اربع ثويبة المكية جارية لابى لهب وحليمة السعدية وام ايمن حاضنته
صلى الله عليه وسلم فاما ثويبة فجارية لابى لهب واعتقها لارضاعها

رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيل بعد موته في اليوم ما لقيت فقال لم الق
بعدكم خيرا غير اني سقيت في هذه يعني بعتق ثويبة ويروى انه اشار الى نقرة
ابهامه وقال سقي ثويبة قيل ارضعته سبعة ايام وقيل مع عبد الله ابن جحش
وايهما مشروح وفي الصحيحين ايضا في درة بنت ابي سلمة انه صلى الله عليه وسلم
قال ارضعتني واياها ثويبة الحديث ثم جاءت حليمة السعدية في نسوة
من بني سعد يلتمس الرضعا في سنة شهبا لم تبق للناس شيئا قال فخرجت على اتان
لي ومعنا شارف لنا والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلنا اجمع من بكاء
صبينا من الجوع ما في ثديي ما يغنيه ولا في شارفنا ما يغديه لكنا نرجو الفرج
وشق على الركب حالا باني لا الحق من ضعفها فقدمنا مكة فلم يبق منا امراة
الا عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتاباه لانا انما نرجو المعروف
ممن له اب ونقول يتيم ما عسى ان تصنع امه وجده فلما اجمعنا الرجوع ولم
يبق امراة الا واخذت رضيعا غيري فقلت لصاحبي اكره الرجوع من بين
صواحبي بلا رضيع فلاخذن ذلك اليتيم فقال افعلي لعل فيه بركة
قالت فذهبت فاذا مدرج في ثوب صوف ابيض من اللبن يفوح منه المسك
وتحته حريرة خضراء راقد على قفاه يغط فاشفقت ان اوقظه من نومه لحسنه
وجماله فدنوت منه رويدا فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه
ينظر الي فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السما وانا انظر فبادرت بتقبيله
وجهه بردائي لئلا يرى امه ذلك وقبلت بين عينيه واعطيته ثديي الايمن
فاقبل عليه بما شاء من لبن فحولته الى الايسر فابى وكانت تلك حاله بعد قال
اهل العلم اعلمه الله ان له شريكا فالهمه العدل فروى وروي اخوه
ضمرة وناما وما كنا ننام قبل وقام زوجي الى شارفنا فاذا انها لحافل فحلبنا وروينا
منه وشبعنا فبتنا بخير ليلة بات بها احد فقال زوجي لقد اخذنا نسمة
مباركة فبات عندي ثلث ليال فانتبهت في الثالثة فاذا رجل عليه ثياب خضر
يتلألأ نورا قاعد عند راسه يقبل بين عينيه فانبهت صاحبي رويدا
فنظر وقال اكتمي شانك فخرجنا وحملته معي على اتاني فوالله لقطعت

بالركب ما يقدر على شيء من حمرهم ويقول صواحبي يا بنت ابي ذؤيب اربعي علينا
اليست هذه اتانك فاقول بلى انها هي والله فيقولون والله ان لها لشانا فقدمنا
منازل بني سعد وما اعلم ارضا اجدب منها فتروح غنمنا شباعا فنحلب ونشرب
وما يحلب غيرنا قطرة ويقولون لرعاتهم ويلكم اسرحوا مع راعي بنت ابي ذؤيب
فيفعلون والحال كما هي ونحن نتعرف من الله زيادة الخير حتى مضت سنتاه
وفصلته وهو غلام جفر لانه كان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فقدمنا به
على امه ونود ان لا يفارقنا لبركته فقلت لامه لو تركته عندي حتى
يغلظ فاني اخشى عليه وبا مكة فردته الينا فانه مع اخيه في بهم لنا
خلف بيوتنا اذ اتى اخوه يشتد فقال اخي القرشي اخذه رجلان عليهما
ثياب بيض فشقا بطنه فهما يسوطانه قالت فخرجنا نحوه فوجدناه قائما
منتقعا وجهه فالتزمناه وقلنا مالك يا بني قال رجلان عليهما ثياب بيض
اضجعاني وشقا بطني فالتمسا فيه شيئا لا ادري ما هو ثم غسلا قلبي فانقياه
ثم رداه كما كان ثم قال احدهما زنه بعشرة من امته فوزنني بعشرة
فوزنتهم ثم قال بمائة فوزنتهم ثم قال بالف فوزنتهم فقال دعه فلو وزنته
بامته اجمعين لوزنهم فرجعنا به الى خبائنا وكان ينزل عليه رجلان فيغيبان
في ثيابه ولا يظهران فقال ابوه لقد خشيت ان يكون اصيب فالحقيه باهله
وسابه الاحد الفلان لما يريدون من بركته اليسر كان لنا عشر اعنز
عجاف فغنمنا اليوم ثلاثمائة فاقدمناه على امه وهو ابن خمس سنين وشهر
فقالت امه لم وقد كنت حريصة عليه فقلت تخوفت عليه الاحداث فاديته
كما تحبين فقالت اصدقيني فاخبرتها فقالت اتخوفت عليه الشيطان فقلت نعم
ثم قالت دعيه كلا والله ما له عليه سبيل فاخبرتها بما رات حين حملت
به فلما بلغ صلى الله عليه وسلم ست سنين توفيت امه آمنة بالابواء بين
مكة والمدينة وكانت قدمت به على اخواله من بني عدي بن النجار فماتت في
رجوعها به الى مكة فكان مع عبد المطلب وقالت ام ايمن اتاني يهوديان
يوما انتصف النهار بالمدينة فقالا لي اخرجي لنا احمد فاخرجته فنظرا اليه مليا

حتى اتى الى بيته فقال احدهما هذا نبي هذه الامة وهذه دار هجرته وسيكون
بهذه البلدة من القتل والسبا امر عظيم فاحترزت حتى خرجنا من المدينة
خوفا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمان سنين هلك عبد المطلب
بعد الفيل بثمان وسنه مائة سنة وعشر وقيل اثنان وثمانون وكان النبي
صلى الله عليه وسلم خلف جنازته يبكي فوليه ابو طالب واسمه عبد مناف
وقيل اسمه كنيته **فايدة** اخوته صلى الله عليه وسلم من رضاعة ثويبة
وعمه حمزة رضي الله عنه وابو سلمة بن عبد الاسد وعبد الله بن جحش
ومسروح بن ثويبة واختلف هل كان له اخ من ابيه وامه فقيل لم يكن لعبد الله
ولا لامنة ولد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت لهما بنت تسمى
فاطمة ماتت صغيرة ومن قال ان ام ايمن ارضعته صلى الله عليه وسلم
جعل اسامة بن زيد اخاه من الرضاعة واخوته من لبن السعدية عبد الله وانيسة
وابو سفيان بنو الحارث وهي الشيما غلب عليها فلا يعرف الا به وكانت تحضنه
مع امه اذا كانت عندهم وكانت ترقصه وتقول هذا اخ لي لم تلده امي وليس من
نسل ابي وعمي فديته من مخول معم فانمه اللهم فيما تنمي ومن اخوانه صلى الله عليه وسلم
رضاعا سعد بن ابي وقاص وايمن وضمرة بن حليمة ولما اخا صلى الله عليه وسلم
بين اصحابه اخا بين نفسه وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه وخرج النسائي وغيره
انه صلى الله عليه وسلم قال لعلي انت اخونا ومولانا قلت وفي الصحيح انه
صلى الله عليه وسلم قال في ابي بكر ولكن اخوة الاسلام ومودته الحديث وقال
لزيد حين تخاصموا في ابنة حمزة انت اخونا ومولانا هذا بعض الكلام فيما يتعلق
بقوله ابان مولده عن طيب عنصره وهو مبين للسبب الذي اوجب التعجب
بقوله يا طيب مبتدأ واما قوله ومختتم اي ويا طيب مختتم منه وهو تعجب ايضا
من الايات التي ظهرت عند وفاته اذ مراده بمختتم حال وفاته وهو الظاهر
وهو مستلزم التعجب من طيب ما بينهما وبعضهم حمله على مدة حياته وهو خلاف
الظاهر لايفاد العموم فايدة لان اللغة لا يثبت بما فيهما من الفايدة وايضا فلم
الناظم لم يذكر حال مدة حياته وما ظهر على يديه من الايات ولم يذكر وفاته صلى الله

الاهنا

الا هنا فيحمل عليه ولابد من ذكر بعض الايات التي ظهرت عند وفاته صلى الله
عليه وسلم حتى يعلم السبب الموجب للتعجب وكانت وفاته صلى الله عليه وسلم
بالمدينة يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول وقيل لليلة وقيل غير ذلك
والصحيح عندهم انه مات يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول
سنة احدى عشرة وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح ذكره البخاري
من غير طريق عن ابن عباس وفي الموطا عن انس انه توفي وهو ابن ستين سنة
وقال دغفل بن حنظلة النسابة توفي وهو ابن خمس وستين سنة
ورواه عمار بن ابي عمار عن ابن عباس قال البخاري ولا يتابع عليه عن ابن
عباس ولم يختلف عن عائشة انه توفي وهو ابن ثلث وستين سنة وهو قول
الباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وجرير بن عبد الله وعمرو ابي عبد الله
ابي اسحق السبيعي ومحمد بن ابي اسحق وفي صحيح البخاري ان عائشة رضي الله عنها
قال مات رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وبيومي وبين سحري ونحري
وفي رواية بين حاقنتي وذاقنتي وجمع الله بين ريقه وريقي عند موته
يعني من اجل السواك الذي اتى به اخوها عبد الرحمن ولينته لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ورفع راسه الى السماء وقال في الرفيق الاعلى فعلمنا انه
خير فلم يخترنا وكان يحدثنا انه لا يموت نبي حتى يخير في اللحاق بالله وفي البقاء
بين يديه ركوه او علبه يجعل يدخل يديه في الماء ويمسح بهما وجهه ويقول
لا اله الا الله ان للموت لسكرات فتوفي صلى الله عليه وسلم ومن مسند ابن
ابي شيبه كان فيمن غسله علي قال فالتمست منه ما يكون من الميت
فلم اجده فقلت طبت حيا وميتا وتقدم هذا بتمامه واختلفوا في نزع قميصه
للغسل فسمعوا صوتا لا تنزعوا عنه قميصه وعزى اهل بيته رضي الله عنهم
الخضر عليه السلام واستاذن عليه ملك الموت ولم يستاذن على احد قبله
ومن اياته شهود جبريل وميكائيل وخازن الدنيا وخازن الجنة وميكائيل
كذا موته ومعهم الاف من الملائكة سمعوا خفيف اجنحتهم وكثرة استرجاعهم ولا
يرون احدا وسطعت رايحة طيبة لم يجدوا مثلها قط ومن اياته بعد موته

خرّ بحماره عليه حتى تردى فى بئر وكذا ناقة فانها لم تاكل ولم تشرب حتى ماتت
وظهور ما اخبر به انه كاين بعد موته وما لا نهاية له ولا عد يحصنه مما ظهر من
بركته على اصحابه وعلماء امته ونصرته على الكفار وحفظ منزلته وشرفه
حتى ان جهجاها الغفاري اخذ قضيبه صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضى الله عنه
وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته الاكله فى ركبته فقطعها
ومات قبل الحول ذكره القاضى فى الشفاء وما اتفق فى العهد القريب فى حكاية
مشهورة سمعها فيما يغلب على ظنى الان من شيخنا الامام المحدث ابى الحسن على النويري
امام مقام المالكية بحرم الله الشريف رحمه الله ومن غيره ان يهوديا
جاور بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم واظهر التنسك الفايق حتى سكن رباط
بقرب من مسجده صلى الله عليه وسلم فى بيت منه بعض زواياه يلى رأسه الشريف
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصد الحفر الى الارض حتى يصل الى جسده الطاهر
صلى الله عليه وسلم فكان يحفر قليلا قليلا ويحمل التراب فيلقيه خارج المدينة
ولا يفطن له حتى بقى لوصوله فيما يقدر من قريب اظن انى سمعت نحو ثلثة ايام
فراى ملك مصر يومئذ وهو المعروف بالملك الناصر رحمه الله النبى صلى الله عليه وسلم
فى النوم فاخبره بالقصة وبصفة اليهودى وقال له ادركنى فركب مع من خف
من اصحابه نجبا وحمل معه مالا جزيلا فبلغ المدينة فى تلك المدة القريبة فلم يرع اهلها
الا قدومه فامر ان يحضر كل من سكن المدينة لياخذ العطا فعمهم بالعطاء وهو لا يرى
الصفة فقال هل بقى احد فقالوا الا رجل من كبار الزهاد المتعبدين لا يحضر
فقال لا بد من حضوره فاحضر فاذا هو بصفته فاخذ فاقر واراهم
المكان وعلم بقصده فقتل شر قتله وصار الى لعنة الله وغضبه فاحاطوا
حينئذ وحفروا من جوانب الروضة الكريمة الشريفة الى بعد ما امكنهم ورضفوا
بالبناء المرصوص المحكم بحيث لا ينال مثل تلك الفعلة ورفعوا البناء
من جميع الجوانب فلا يظهر القبر الكريم اليوم لاحد ومن حينئذ لا يمكن
من سكنى ذلك البيت الا من يعرف نسبه ويوثق بدينه وامانته قلت وفى
ترل ذلك البيت شيخنا العلامة محب الدين العلامة جمال الدين بن هشام

وكنت

وكنت انا معه رحمه الله سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة من الله علينا بالعود
الى حرمه وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم والممات باحدهما بجاه
سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم وولى غسله صلى الله
عليه وسلم على والعباس وابناه الفضل وقثم واسامة وشقران موليا
رسول الله صلى الله عليه وسلم واوس بن خولى الانصارى بدرى
اسنده على الى صدره والعباس وابناه يقلبونه معه ومولياه يصبان
الماء على يغسله وعليه قميصه يدلكه به ولا يباشر جسده وكفن صلى الله
عليه وسلم فى ثلثة اثواب بيض سحولية من كرسف ليس فيها قميص ولا
عمامة كذا فى الصحيح ودفن صلى الله عليه وسلم ليلة الاربعاء فى حجرة عايشة
لرواية الصديق رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما دفن
نبى الا حيث قبض فحفر له تحت فراشه وصلى الناس عليه ارسالا الرجال حتى
اذا فرغوا دخل النساء حتى اذا فرغن دخل الصبيان ولم يؤم الناس احد ودفنه
على والعباس وابناه وعبد الرحمن بن عوف وقيل حضرهم اسامة واوس بن خولى
وآخرهم خروجا من القبر قثم فهو آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه
وقبض صلى الله عليه وسلم عن ثمانية الف واربعة عشر الفا من الصحابة ممن
رواه وسمع منهم رضى الله عنهم صح ذلك عن الامام ابى زرعة الرازى رحمه الله
قوله يوم تفرس البيتان كان المراد بقوله مولد الزمان فيوم بدل منه
وان كان المراد المكان على المعنى الذى قررنا فهو مبتدأ والخبر محذوف والتقدير
ومن اياته يوم او وفيما يذكر من اياته يوم نحو قوله تعالى مثل الجنة اى فيما
يتلى عليكم مثل الجنة وقوله تفرس فيه اى ظهر لهم فى ذلك اليوم من الامارات
التى اخبرهم بها علماؤهم وكهانهم فى ظهور امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه كاين وانما انذرهم كهانهم من خراب ملكهم وتشتت امرهم وتقريب ما يلهم
على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى يد اصحابه القائمين بشريعته
ان ذلك حال بهم وهو ما اراد الناظم بقوله البؤس والنقم والمراد بيوم الزمان
الذى كانت فيه الفراسة لا الذى هو مقابل الليلة نحو اليوم اكملت لكم دينكم

وسبك كلامه اظهر زمان مولده وهو يوم كذا او من اياته زمن تفرس الفرس فيه
اى في ذلك الزمان اى ظنوا بما راوا من الايات انهم قد علموا بحلول البؤس والنقم
لهم وذلك البؤس وتلك النقم هو تمزيقهم كل ممزق لما دعا عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعود ضميره فيه الى يوم اظهر من عوده على النبي صلى الله
عليه وسلم لاحتياج هذا الى تقدير مضاف اى في اياته ويحتاج ايضا الى
تقدير عايد على يوم لان الجملة بعده صفة له وقوله بات ايوان كسرى معطوف
على تفرس اى يوم وقع فيه التفرس وصيرورة ايوان كسرى منصدعا اى منشقا
مكسورا كما صار شمل اصحاب كسرى متفرقا غير ملتئم شبه انصداع الايوان بعد
التيامه بانصداع شمل اصحاب كسرى وتفرقهم بعد التيامهم واجتماعهم وقوله
والنار خامدة البيت معطوف على ايوان اى وصارت النار في ذلك اليوم اى
انفاسها التي هي كناية عن اضطرامها من اسف عليه ان كان المراد بالاسف الحزن
فضمير عليه يعود على انصداع الايوان ولا يعود على الايوان ولا على شمل ولا على
عدم التيامه ولا على جميع ذلك كما جوز ذلك كله بعضهم اما الاول
فظاهر اذ لو حزنت على نفس الايوان لخمدت قبل انصداعه واما الثاني فلانه
ليس مقصودا بالاخبار وانما اتى به على سبيل التشبيه فلا يعود الا على الاول
نص على ذلك المحققون واما الثالث فان كانت لفظة غير مخفوضة نعتا لشمل
او منصوبة حالا منه فحكمه كالذي قبله وان كانت منصوبة خبرا ثانيا لبات
او حالا من ايوان فحكمه كالاول لان عوده على المسند اليه اولى واما الرابع
فلانه يبطل عوده على كل مفرد ابطل عوده على الجميع ولا يصح ايضا ان يعود
على كسرى وهو ظاهر وان كان المراد بالاسف الغضب فالضمير عايد على النبي صلى الله
عليه وسلم لان ولادته صلى الله عليه وسلم سبب في ترك عبادتها ويصح عوده
على صدع الايوان وتكون على سببية وقوله والنهر ساهي العين اى وصار
النهر ساكن العين اى سكنت جرية عينه التي هي ماؤه من الندم وهو الحزن
على ما حزنت عليه النار او صار لسكون جريته كصاحب العين الناظرة
التي سكنت عينه عن الاطراف لكونه ورد عليه خبر تحير فبقي باهتا شاخص

[illegible]

البصر متحيرا في امره متفكرا لا يدري ما يصنع وقوله وساء البيت معطوف على
تفرس ايضا او على بات اى ويوم احزن للمدينة المدعوة ساوة غيض بحيرتها
اى انتقاص ماء بحيرتها بحيث لم يبق فيها شيء كذا قيل حتى ان لهيب النار يصعد من
قعرها كما تماطخ ارضها خرفا وكذا احزنها ايضا ان رد واردها وهو الذي
ياتي البحيرة ليستقي من مائها بالغيظ اى مع الغضب حين ظمي اى عطش فاتاها ولم
يجد شيئا فرجع غضبان وغيض مما كان من ولادته صلى الله عليه وسلم
وهو الذي احزن ساوة على حذف مضاف اى اهلها وسمى اهلها باسمها لانهم
الذين حزنوا من اجل فقدها لانهم الذي كان به قوام عيشهم ولم يعهدوه ولا اباؤهم
اتفق له مثل ذلك قبل هذا الوقت قلت ويلزمه ان يقدر مثل ذلك في قوله
والنار اى واهلها لان اللازم واحد والظاهر انه اسند ذلك الى نفس النار
والماء مجازا او تنزيلا لهما منزلة العاقل لقوله بعد كان بالنار البيت اى
فصارت نار فارس التي خمدت كان بها من الاوصاف التي من جملتها البلل مثلا
ما بحيرة ساوة قبل غيضه اى صارت مبتلة باردة كبلل ما بحيرة ساوة وانتقل
الى كل منهما اوصاف الاخر من الحزن على تغير حال الكفر وخص الناظم من اوصاف
الماء البلل دون البرودة مثلا ومن اوصاف النار الاضطرام دون الحرارة
مثلا لان النار لا تبقى حقيقتها مع الاتصاف بالبلل فانها في غاية اليبوسة
فلذا تفرق الاجزاء والبلل يصل الاجزاء المتفرقة كما يفعل الماء بالتراب
ووصفها بالبرد لا يخرجها عن حقيقتها قال تعالى قلنا يا نار كوني بردا
وسلاما على ابراهيم فخاطب النار والماء ايضا اذا اتصف بالاضطرام
الذي هو غاية اليبس خرج عن حقيقته لحدوث التفرق فيه بعد الاتصال
ووصفه بالحرارة لا يخرجه عن حقيقته لانه يقال ماء حار ولا يقال ماء نار
وفيه نظر بعد وقوله الجن البيت معطوف على ايوان او على والنار اى وصار
الجن عند ولادته صلى الله عليه وسلم تهتف اى تصوت على الجبال او في بطون
الاودية وترفع اصواتها بالاعلام بما اظل الناس من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
كما سترى بعض اخبار ذلك ويحتمل ان يكون معنى تهتف اى تقول قولا

عن غير تحقيق وذلك انها قبل ولادته صلى الله عليه وسلم كانت غير ممنوعة
من استراق السمع ولذلك كثر اصابة الكهان في ذلك الوقت لانهم يسمعون
من الملئكة ما يكون من الحادثات في الارض على التحقيق فلما منعوا بعد ولادته
صلى الله عليه وسلم من استراق السمع بالشهب الا من خطف الخطفة جعلوا
يتكلمون من غير تحقيق ولذلك ولقوله صلى الله عليه وسلم تلك الكلمة من الحق
يخطفها الجني فيضيف اليها الكاهن مائة كذبة كثر كذب الكهان بعد ولادته
صلى الله عليه وسلم والمعنى وصارت الجن يومئذ تهتف اي تقول قولا
غير محقق شبه كلامها الذي لا محصول له بسماع صوت من غير تحقيق شخص ويحتمل
ان يريد وهو الاوفق لما قبله انها تحيرت ما لانها ابهم عليها الامر لما رجمت
بالشهب ولذلك قالت اضربوا مشارق الارض ومغاربها لتعلموا
ما هذا الذي حدث واما حزنا لما فاتها من مساعدة الناس اياها على الكفر
بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فادركها من اخذ الامر من حال بحيث لا
يدري ما تقول فلم يبق لها الا الهتف بالصوت وكثر في عرفنا اليوم استعمال الهتاف
فيمن يأمل ما لا يدرك ويسعى في غير تحقيق ويتكلم فيما لا يعقل وقوله والانوار
ساطعة يحتمل ان يريد الانوار المحسوسة التي ظهرت عند ولادته صلى الله
عليه وسلم لامه وغيرها كما قدمنا ويحتمل ان يريد الايات المذكورة وغيرها
سماها انوارا لانها تهدي سبيل الحق كما يهدي المنور سبيل الحس وقوله
ساطعة اشارة الى ارتفاع شانها وعلو مرتبتها على الدوام لا انها يقتصر على [illegible]
بسطح الارض وتصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السما وقوله والحق
يظهر معطوف على ما تقدم ايضا فيحتمل ان يريد الحق في اخباراته عليه السلام من
معناها ومن لفظها الان لفظها طابق معناها ويحتمل ان يريد بالحق حقيقة
امره صلى الله عليه وسلم والحاصل تحقق نبوته صلى الله عليه وسلم بعد ولادته
تظهر من معناه اي من خلقه وخلقه ومن كلم اي من الفاظه التي لا مثلها
فانها لا تقول الا حقا حتى كمل برهانه الوحي المتلو وهو القران ويحتمل ان يريد
بالحق العام اي ضد الباطل فيندرج فيه امره صلى الله عليه وسلم والمعنى

انهذا

ان هذا الذي تواترت اياته وتظافرت معنى ولفظا وهي كل يوم في زيادة
لا ينقص الاخر فاما الاول فحق لا شك فيه لان الحق يظهر من معنى ومن كلم ويحتمل
ان يكون من للبيان جنس الحق اي الحق الذي هو المعنى والكلم تظهر ويظهر اما
بمعنى تتبين او بمعنى يعلو بحق ههنا سؤال وهو ان يقال لما حزن الجن لمبعثه
صلى الله عليه وسلم فظاهر لان اكثرهم عصاة واما انصداع ايوان كسرى
فاهانة له وذل وصغار كسائر الملوك فيما اصابهم حينئذ واما خمد النار
واضطرام مكان الماء بعد غيضه فانما يحسن ذلك ان كان لاهانتهم كانصداع
الايوان لكن الناظم انما قال كان ذلك فيهما من حزنهما وذلك
لا يصح فان الجمادات وكل ما لا يعقل لا يوصف بالكفر ومشاقة الله ورسوله
بل كلها منقادة خاضعة لامر الله وان من شيء الا يسبح بحمده ولله يسجد
ما في السموات وما في الارض فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا
اتينا طائعين انا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال الاية
ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء
وادلة ذلك كثيرة فاللائق بالناظم ان يقول من فرح وفرحا قلنا ان كان المراد
اهل النار واهل ساوة فلا اشكال وان كان المراد انهما فيكون حزن النار
على نفسها من اجل انها لا توقد والماء من اجل انه لا يجري وان كانا فرحين بولادة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وايضا فان الناظم انما قال كان فهو شبه
حالها بحال الحزين لا يقال التشبيه انما هو لما انقلب من صفتيهما الا الحزن
لانا نقول نجعل التشبيه مسلطا على الجميع لكن هذا الجواب لا يمشي لنا في قوله
من اسف عليه ويحتمل ان يقال قوله حزنا اي باعتبار اعتقاد الكفار
ذلك وان كان في الحقيقة وان كان في نفس الامر فرحا برسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا بد من ذكر بعض ما اشار اليه الناظم من خبر الايوان والنار والبحيرة
وهتف الجن وغير ذلك مما انذر به الفرس وذلك انه لما ولد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارتجس اي ارتعد تلك الليلة ايوان كسرى انوشروان بن قباد
بن فيروز وسقطت من قصره اربع عشرة شرافة وكتب اليه صاحب اليمن بحيرة

بانّ بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة وكتب اليه صاحب فارس يخبره بان بيوت
النيران قد خمدت تلك الليلة ولم تكن خمدت قبل ذلك بالف سنة وكتب اليه
صاحب الشام يخبره بان وادي السماوة انقطع جريه تلك الليلة ثم اخبر الموبذان
ومعناه القاضي والمفتي بلغتهم انه رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا فانتشرت في
بلادهم فارسل كسرى عبد المسيح ابن عمرو بن حيان الغساني الى سطيح الكاهن
وكان من اخواله يستخبره علم ذلك ويستعبره رؤيا الموبذان فقدم عليه
وقد اشفى على الموت فسلم عليه فلم يحر اليه سطيح جوابا فانشا عبد المسيح يقول
• اصم ام يسمع غطريف اليمن • ام فاد فازلم به شاو العنن • يا فاصل
الخطة اعيت من ومن • اتاك شيخ الحي من آل سنن • وامه من آل ذئب بن
حجن • ابيض فضفاض الرداء والبدن • رسول قيل العجم يسري في الوسن
لا يرهب الوعد ولا ريب الزمن • تجوب في الارض علنداة شزن • ترفعني
وجن وتهوي بي وجن • حتى اتى عاري الجآجي والقطن • تلفه في الريح
بوغاء الدمن • الغطريف السيد الشريف وفاد يفود مات واذا لم يمض او
فيكون مقصورا على الثاني من ازلم وشاو العنن الموت وما عرض منه الفضفاض
الواسع القيل الملك واصله التشديد كسيد وهود والقول النافذ والعلنداة
الناقة الشديدة شزن غليظ والوجن جمع وجين سكنت جيمه تخفيفا وهو
متين الارض والحجارة الصغار والجآجي جمع جؤجؤ اي الصدر يجعل كل موضع منه
جؤجؤا مجازا كالمفارق نوعا التراب الهابي والدمن جمع دمنة وهي ما قرب من
الدار يبول فيه المواشي ويبعر فلما سمع سطيح شعره رفع راسه وقال عبد المسيح
على جمل مشيح اي مسرع جاء الى سطيح وقد اوفى على الضريح بعثك ملك بني ساسان
لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود
خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها عبد المسيح اذا كثرت
التلاوة وظهر صاحب الهراوة وخمدت نار فارس وغاضت بحيرة ساوة
وغاض وادي السماوة فليست الشام لسطيح شاما يملك منهم ملوك وملكات
على عدد الشرفات وكل ما هو آت • ثم قضى سطيح مكانه قالوا وكان انقضى

ملكهم

ملكهم عشرة من الرجال واربع نسوان فنقص عن عدد الشرفات اثنان ولعله
خطاء في النقل وكان سطيح جسدا ملقى لا جوارح له ووجهه في صدره
لم يكن له رأس ولا عنق لا يقدر على الجلوس الا اذا غضب انتفخ فجلس وذكر
عن وهب بن منبه انه قيل له انى لك هذا العلم فقال لي صاحب من الجن
استمع القرآن من السماء من طور سيناء حين كلم الله موسى فهو يودي الي
من ذلك ما يوديه والله اعلم ثم رجع عبد المسيح الى كسرى فاخبره بذلك
فاغتم وهاله ما سمع ثم تعزى وقال ان تعين منا اربعة عشر ملكا يدور
الزمان ثم هلك وملك بعده ابنه هرمز ثم دخل بينهم الاختلاف وتشتت
امرهم كل التشتت ثم اجتمعوا على يزدجرد وهو آخر ملوكهم وقد غلبهم الملوك
على اطراف ارضهم ثم كانت حروب القادسية معهم الى ان قهرهم الاسلام
وفتحت بلادهم على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه والحمد لله وذلك بدعائه
صلى الله عليه وسلم ان يمزقوا كل ممزق لما مزقوا كتابه وصدق وخبره صلى الله
عليه وسلم حين قال لسراقة كيف بك اذا لبست سواري كسرى وكان
كذلك فانه حين قدم بهما على عمر رضي الله عنه دعا سراقة فالبسه
اياهما لانه سمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم او بلغه عنه
ولم يكن للفرس ملك بعد والى هذا التشبيب اشار الناظم بقوله كشمل اصحاب
كسرى غير ملتئم • ولما اعز النصارى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذي كتب اليهم بقي لهم عزهم الدنيوي وقال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
النصارى ذات قرون الى يوم القيامة ومن هتف الجن الذي اشار اليه الناظم
ما ذكر في بعض الطرق عن عثمان بن ابي العاصي ان امه فاطمة قالت شهدت
امنة لما ولدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ضربها المخاض رأيت
النجوم تتدلى حتى لقد خشيت ان تقع علي فلما ولدته خرج منها نور اضاء له البيت
الذي نحن فيه فما شيء انظر اليه الا النور ثم سمعوا هاتفا يهتف على الحجون
فاقسم ما انثى من الناس واحدة كما ولدت زهرية ذات مفخر مجتنبة لوم
القبائل ماجدة وهتف آخر على ابي قبيس فقال يا ساكني البطحاء لا تغلطوا وميزوا

الامر يعقل مضى اخت بنى زهرة من سركم فى غابر الدهر وعند البدى واحدة
منكم فهاتوا لنا فيما مضى للناس او ما بقى واحدة من خيركم مثلها جنينها
مثل النبى التقى ومن ذلك ما فى البخارى حين تفرس عمر فى رجل راه الكهانة
وقال ما اخطاطنى قط الا فى هذا الحديث ومن ذلك ان سواد بن
قارب الدوسى وله صحبه كان يتكهن وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحسن اسلامه واخبره ان ربية انشد ابيات ثلث ليال فقال سواد بن قارب
اتانى رئيى بعد هدء ورقدة ولم يك فيما قد بلوت بكاذب ثلث ليال
قوله كل ليلة اتاك نبى من لوى بن غالب فرفعت اذيال الازار وشمرت
بى العرمس الوجنا هجول السباسب فاشهد ان الله لا شئ غيره وانك مأمون
على كل غايب وانك ادنى المرسلين وسيلة الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما ياتيك من وحى ربنا وان كان فيما جئت شيب الذوايب وكن لى
شفيعا يوم لا ذو شفاعة بمغن فتيلا عن سواد بن قارب وكان ربيه قد قال
له اول ليلة عجبت للجن وتطلابها وشدها العيس باقتابها تهوى الى مكة
تبغى الهدى ما صادق الجن ككذابها فارحل الى الصفوة من هاشم
ليس قدامها كاذنابها وما هذا المعنى بالذى يطمع فى استقصائه فحظنا
الاشارة اليه ومما يوافق بعض المعانى التى حملنا عليها قوله مولد اى
كرم اباه صلى الله عليه وسلم قول البحترى واذا ابو الفضل استعاد سجية
للمكرمات فمن ابى يعقوب شرف تتابع كابرا عن كابر كالرمح انبوبا على انبوب
كالرمح انبوبا على انبوب وقول مهيار مولى العلويين وانك من قوم ترى
الملك فيهم فلم يتو من بعد الحلول ترحلا اصولهم موصولة بفروعهم
اذا قام منهم آخر كان اولا فما يتهدون الحبا الا اذا علت ولا يشترون
الحمد الا اذا على هذا باعتبار طيب الاصابة والا فالحقيقة ما قال الاخر
قال ابو الصقر من شيبان محتد فقلت كلا ولكن منه شيبان وكم
اب قد علا بابن ذرى حسب كما علت برسول الله عدنان بل كما علت
الدنيا والاخرة ومن معنى قوله والحق يظهر من معنى ومن كلم قول قيس

الخطيم الاوسى الظفرى من ابيات متى ما تقد بالباطل الحق يأبه وان قدت
بالحق الرواسى تنقد متى ما اتيت الامر من غير بابه ضللت وان تدخل من
الباب تهتدى فى المعانى فى البيت الاول معنى الذى قبله حذف التقابل
لانه ذكر فى الاول ان لا طيب يعدل تربا ضم اعظمه وهو مستلزم الاخبار
عن طيب المبتدا فحذف من الاول طيب مبتدا الدلالة ذكره فى الثانى ومن
الثانى طيب المختتم لدلالة ذكره فى الاول واضافة مولد وعنصر للتشريف
والاختصاص وتنكير مبتدأ ومختتم للتعظيم والنوعية والندأ فى قوله يا طيب
المراد به التعجب لا نه نداء ذى حقيقة الا العاقل والمنزل منزلته والعرب اذا
استعظمت شيئا نادته على سبيل التعجب وقال بعضهم ان التقدير يا متعجبا تامل
مبتدأ وهذا لا باس به ويساعده النقل قال او يكون بالتنبيه السامع
لما يرد عليه قلت وهذا يحتاج الى نقل فانهم لم يعدوا هذا من محال كونها
للتنبيه وليس هذا المبنى من باب يا جبال اوبى ويا نار كونى لاحتمال ان يخلق الله
تعالى لهما الادراك وفى قوله ومختتم ايجاز الحذف اذ التقدير منه فهو من
الحذف من الاواخر لدلالة الاوايل نحو الذاكرين الله والذاكرات اى كثيرا ومن
حذف منه من مختتم مع دلالة المتقدم عليه تاتى العاقبة وايهام ان طيب
المبتدأ مقصور عليه لا يشاركه فيه وطيب المختتم مطلق ليشارك فيه امته
الجارون على سنته صلى الله عليه وسلم وقوله يوم البيت الى قوله ساطعة
من الايضاح بعد الابهام الكاين فى مولد فهو من الاطناب واتى بالفعل
فى قوله ليفيد التجدد دلالة هذا شان المبشرات يكر النظيرة بعد اخرى كقوله
بعثوا الى عريفهم يتوسم وال فى الفرس للعهد اى الذين كان عندهم علمه صلى الله
عليه وسلم من الكتب وقوله انهم البيت من الايضاح بعد الابهام الكاين فى
تفرس ومفعول تفرس انهم اى تفرسوا انذارهم ويصح ان يكون التقدير لانهم
ومفعول تفرس محذوف اى هلاكهم ففيه على هذا ايجاز الحذف وال فى البوس
والنعم للجنس واجاز بعضهم نصب والزم لذلك ان يكون فيه حشو اقل
والحشو للتاكيد جائز لا سيما فى الشعر لحفظه الاوزان والقوافى المستدعاة

قلت الرواية بالرفع ولو سلم صحة النصب فالجملة بعد يوم صفة والرابط
الضمير المجرور بفي فليس بحشو وعبر بلفظ بات دون صار اشارة الى افول
شمسهم وغروب ملكهم وايذانا بانقراض صبا نهارهم وايضا مصيبة الليل
اشق على النفوس من مصيبة النهار وبهذا يندفع قول بعضهم انما قال
بات لانه بات سليما واصبح متضعضعا ولو قال انصدع لتم فصل لكن
التجاء للوزن ولو قال صار لتم الوزن ولما احتاج لتكلف الاخبار بانه بات
كذلك ولعله ما انصدع الا بعد من المبيت انتهى وهو كلام متدافع فانه
قال اتى ببات ليفيد انه بات سليما ثم قال انصدع يعني بعضوه وانما بات
للوزن ثم رجع الى ما قال اولا ثم قال وتقديرنا في البيت كشمل اصحاب كسرى
صار غير ولفظ غير منصوب خبر صار ولا يقدر بات لان المقصود الاخبار عما
يجمعهم من سوء الحال وتفرق شملهم بالليل لا يدل على سوء الحال لان الليل ليس
من اوقات التام الشمل بل من اوقات تفرقته وانفراد كل تنبيه قلت وهذا
كلام ساقط فانه حمل التام الشمل على الاجتماع الحسي وما علم ان انفراد كل
ببيته في الليل هو حال التام الشمل فانه دليل الامان والطمانينة وان التام
شملهم بالليل لمصيبة تنزل بهم هو عين تفريق الشمل فالاولى في توجيه
ايثار بات ما ذكرناه وانما قال كشمل اصحاب كسرى فاوقع الظاهر موقع
المضمر ومقتضى الظاهر كشملهم لزيادة التلذذ بذكره مخبرا عنه بما
اصابه من البلايا وليتوصل بذكره الى التورية الذي يذكر ان شاء الله تعالى
في علم البديع حتى يكون التعبير عنه باللقب كناية عن كسره كما قالوا في تبت يدي
ابي لهب اي جهنمي وقال منصدع دون انصدع تنبيها على ان
الانصداع لا يفارقه بعد لايذان الاسم بالثبوت وكان كذلك فانهم فرقوا
الى يوم القيمة واما حكمة التعبير بملتئم دون لا يلتئم مع ان نفي الفعل الذي
هو المطلق يستلزم نفي الاسم الذي هو المقيد فحفظ القافية واضافة اصحاب
للحصر او للتعظيم على سبيل التهكم نحو ذق انك انت العزيز الكريم وتنكير ملتئم
للتقليل وال في كانوا والتئام الماء للعهد عيني في الانفاس والعبير فانهم الضمير

والتعبير

والتعبير بالجمع في خادمة وساهي مثله في منصدع وتنكير اسف وسلم وبال ضرم
للتعظيم او النوعية اذ التقدير سلم عليه وضرم حزنا فهو اذ اخر به الحذف
من الاخر لدلالة الاول وقوله من بال وضرم من الايضاح بعد الابهام الكائن
في ما وتنكير حزنا كتنكير بال وبني الفعل للمفعول في رد واردد ها تنبيها على انه كالمضطر
فيه لا مستنبطا مع قوله حين ظن كالدليل على ما قصد من القهر وتطير ما قرر
الزمخشري وغيره في قوله تعالى وجاء فوجهه يرعون اليه وفي قوله خامد الانفاس
وغاضت اجال فس بقوله من بال وعن ضرم وليس من ضرم براجع الى ساهي حيث
لانهم انما حلوا الحظ لم من مكان بحيرة ساوة ولا بعده جوعه الى نهر السماوة
ايضا على تشبيه انقطاع جريته بانقلاب الحضرة والتخالج للجنس او للعهد في مشتخ
السمع وقال تنفس دون تاتفت لان همتها تتجدد وتتنوع وليس لها من حالة واحدة
وايضا فلان همتها صوت كلامها او الكلام من الاعراض السيالة كالحركة والزمان
فهو يتجدد فناسب الفعل بخلاف منصدع وخامد وساهي في جميع الانوار اعلاما
بكثرة الويلات وقال ساطعة لانها تسطع بها الى يوم القيمة وجملة قوله والحق
يظهر معنى ومن كلم من التذييل الخارج مخرج المثل نحو وهل يجازى الا الكفور
في وجه وعبر بالفعل في يظهر لانه يتجدد ويزداد ويزيد الذين اهتدوا
هدى وهذا النوع من التذييل يحسن ان يعد من حيث كونه تذييلا من علم المعاني
ويعد من علم البيان فان فيه تشبيها لان المعنى علام نبوته صلى الله عليه وسلم
ودليل رسالته حق وكذا كانت ظاهرة من معناها ومن الفاظها كما ان الحق
يظهر معنا. وعن كلما تداى الفاظه وهذا كقوله فان المسك بعض دم الغزال
ومن علم البديع فانه من المذهب الكلامي اذ يقال ما الدليل على صحة ما ادعيتموه
من حقيقة نبوته فيقال لان الحق يظهر من معنى ومن كلم وهو ايضا من هذا النوع
يشبه الاستيناف البياني كقوله لو اختصرتم من الاحسان زرتكم والعذب يهجر
للافراط في الخصر انه يحسن ان يقال كيف تمنع كثرة الاحسان من الزيارة فيقال
العذب الى آخره البيان اسناد ابان الى مولده من المجاز العقلي والنداء
في يا طيب من مجاز التشبيه لتشبيه ما يعجب منه لعظمته عنادا يسمع كانه قيل

له هذا اوانك فاحمر ويشبه ان يكون ابان من مجاز التضمين وهو راجع
الى التشبيه اى اضحى ولذا عدي بعن وانظر هل يكون قوله بحلول البؤس
والنعم من التشبيه وتشبيه ايوان كسرى بشمل اصحابه من تشبيه محسوس بمحسوس
واما قوله خامدة الانفاس وساهي العين فمن الاستعارة بالكناية لتشبيه النار
بشخص كظم غيظه ولم يكد يتنفس لما به من الكمد ولم يذكر الشخص وذكر لازمه
من الانفاس والماء بشخص لهت وتحير لما ورد عليه من الخبر المحزن فلم يذكره وذكر
لازمه وهو سهو العين او بميت لا يبصر بعينه ولا ينبعث شعاعها السببية
بالماء الجاري والجامع ان بعض اجزاء الماء والشعاع يخلف بعضا واسناد
ساوة الى ان غاضت من المجاز العقلي او يكون شبه ساوة بمن يحزن واسناد
ساوة الى ان غاضت لازمة وان كان التقدير باهل النار وصاحب النهر واهل
ساوة فيكون ذلك من مجاز الحذف واما قوله كان بالماء البيت فهذا من النوع
الذي هو اخص باسم المشابهة منه من التشبيه وذلك ان المراد بالتشبيه
الحاق الناقص في وجه التشبيه حقيقة او ادعاء بالزائد فاذا اريد مجرد الجمع
بين شيئين في امر فالاحسن ترك التشبيه الى الحكم بالتشابه ليكون كل من
الطرفين مشبها ومشبها به لئلا يرجح احد المتساويين على الاخر كقول الصابي
تشابه دمعي اذ جرى ومدامتي • فمن مثل ما في الكاس عيني تسكب • فوالله
ما ادري ابالخمر اسبلت • جفوني ام من عبرتي كنت اشرب • ورق الزجاج
ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر • فكانه خمر ولا قدح وكانه قدح ولا
خمر • الا ان جهة التشبيه عند الصابي متحدة وهي عند الناظم على التعاكس
ويجوز في هذا النوع التشبيه ايضا فتشبه غرة الفرس بالصبح وبالعكس
متى اريد ظهور منير في مظلم وقيل ان قوله حزنا استعارة لتشبيه
جمودها بالحزن وهو مجاز افرادي في ضمنه مجاز تركيبي وهي نسبة
الحزن الى النار لان فاعل المصدر ضمير النار ومثل هذا في نسبة
الصبر الى الماء والتقدير فيه ايضا حزنا واستعارة الانوار للايات
من استعارة محسوس لمحسوس او لمعقول او لهما جميعا والجامع الدلالة

وارتفاع حجزة الظلام بالنور كارتفاع حجزة الجهل بعلم النبوة والحق
البديع في البيت الاول الجمع لجمع المبتدأ والمختتم وقوله مختتم
راجع للبيت الذي قبله ومبتدأ المولد فهو من اللف والنشر المعكوس
ولا يبعد ان يقال ان تكرير لفظ طيب في البيت من التجنيس التام والفاظ
الطيب والعنصر والمبتدأ والمختتم من مراعات النظير كما ان المبتدأ والمختتم
من الطباق وهما ايضا من الموازنة وبين الفرس من التجنيس الشبيه
بالاشتقاق ولفظ انذروا والحلول والبؤس والنعم من مراعات النظير
وفي قوله وبات ايوان وما بعده من الابيات التمليح وهو بتقديم اللام
على الميم من لمحه اذا ابصره وكثر اليه نظيرا ما يغلط فيه فيقال
بتقديم الميم على اللام وحقيقته ان يشار الى قصة او شعر من غير ذكره
كقول ابن المعتز اترى الجيرة الذين تداعوا • عند سير الحبيب وقت الزوال • علموا
انني مقيم وقلبي راحل • فيهم امام الجمال مثل صاع العزيز • في رحال القوم
ولا يعلمون ما في الرحال وقول ابي تمام لحقنا باخريهم وقد حوم الهوى
قلوبا عهدنا طيرها وهي وقع • فردت علينا الشمس والليل راغم • بشمس لهم
من جانب الخدر تطلع • فضو ضوؤها صبغ الدجنة وانطوى • لبهجتها ثوب السما
المجزع • فوالله ما ادري احلام نائم • المت بنا ام كان في الركب يوشع اشار في
الاول الى امر يوسف عليه السلام بجعل صاع العزيز في رحل اخيه والثاني
الى قصة يوشع ابن نون وقتاله الجبابرين واستيقافه حتى يفرغ من قتالهم
وهو هنا الاشارة الى الايات الكائنة عند ولادته صلى الله عليه وسلم مما تقدم
ذكره وهو في هذا البيت خصوصا الاشارة الى هزيمة اصحاب كسرى ومن هنا
يمكن ان يكون ورد بكسرى عن الكسر كما تقدمت الاشارة اليه وذكره مرتين من
التكرير وفي منصدع وملتئم موازنة وطباق ولفظ الاصحاب والشمل والالتئام
من مراعاة النظير وكذا الايوان وكسرى وقوله ملتئم من التخيير اذ يصح ان
يقول بدله منتظم واما اختياره لانه الاوفق بمنصدع ولو قال وهو منسدد
لكان الملائم منتظم ولولا ذلك لكان في الانتظام اولى لانه اعم من الالتئام

اذ قد ينتظمون ولا التام بين قلوبهم وفي قوله الانفاس واسف قلب البعض ومنه
وقالوا اى شئ منه احلى فقلت المقلتان المقلتان وهما ايضا من التجنيس الشبيه
بالاشتقاق وخامدة والانفاس وساهي العين من المناسبة والنار والنهر
من الطباق الخفي لان النهر مكان الماء وساهي العين يحتمل ان يكون من التورية
المرشحة لان العين المقترنة بالنهر معناها القريب الجارية والمراد بها هنا
البعيد وهي الباصرة المضافة للمستعار منه وخامدة وساهي من المناسبة
واسف وسدم من الموازنة كما ان والنار الى اسف والماء الى سدم يقرب بينهما
وساه وساوة من التجنيس الشبيه بالاشتقاق وكذا غاضت والغيض وهذا
ايضا من الشبيه بالمضارع وهو الارجح فيه وكذا رد والوارد وغاضت
وتجريتها وواردها وطما من مراعات النظير وكذا رد والغيظ والفاظ
الماء والنار والبلل والضرم من الطباق ومن الموازنة وفي قوله
كان البيت نوع من القلب يسمى العكس والتبديل ويقع على وجوه بين احد
طرفي جملة نحو عادات السادات سادات العادات وكلام الملوك ملوك الكلام
وقول المتنبي • فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله • ولا مال في الدنيا لمن قل مجده •
وبين طرفي جملتين تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي ومن هذا قول
الناظم بالنار ما بالماء وبالماء ما بالنار وشطر البيت يقربان من الموازنة
وفيه التقسيم لاضافته للنار ما وصفها به وللماء ما وصفه به ومن ضرم
من التسهيم والانوار وساطعة والحق والظهور والمعنى والكلم من مراعات
النظير واضافة الهتف الى الجن والسطوع الى الانوار والظهور الى الحق
من التقسيم كما ان في قوله وبات الى آخره الابيات فانه اضاف الى الايوان
والاصحاب والنار والنهر وخامدة وساهي وساوة وغيرهما الى كل
ما يليق به وهو ظاهر وفي البيت الاخير الجمع لجمع المعنى والكلم في ظهور
الحق منهما ولا يبعد ان يكون فيه التسهيم ويمكن ان يكون من تشابه الاطراف
لانه افتتح بهتف الجن وختم بالكلم ومنه قوله تعالى ان تعذبهم فانهم
عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ان يكون من العكس والتبديل

لان الهتف الفاظ وقد قدمها والانوار ساطعة معان وقد اخرها
ثم قدم ما اخر واخر ما قدم في قوله من معنى ومن كلم الاعراب
لا محل لجملة ابان الى عنصره لاستينافها عن طيب متعلق بابان وغرثى الملة
في غالب امرها نحو اطعمته عن جوع واسقيته عن العيمة اى جعلت الجوع
زايلا عنه بعيدا منه كما ان المعنى في البيت جعل مولده طيب عنصره بعيدا
من كل ريب وسلب بالبيان والظهور لمن كان لا يعلمه واكثر عبارتهم
عن هذا بالمجاورة ويا حرف ينادى به البعيد منادى مضاف منصوب ومنه
صفة لمبتدا وقدمنا في التفسير صحة كونه مفعولا لم يسم فاعله والمراد منه
النداء التعجب كما تقدم ويجوز ان يكون المنادى محذوفا اى يا قوم وطيب
مفعول لمضمر اى انظر واطيب ابتدائه واختتامه والمعنى على التعجب وقال
سيبويه في قول الصلتان العبدى • ايا شاعرا لا شاعر اليوم مثله
جرير ولكن في كليب تواضع انه منصوب بمضمر على معنى التعجب والاصل
والمنادى محذوف وقيل المنادى الطيب اى تعال اشهد يوم بدل
من مولد بدل شئ من شئ او خبر مبتدا محذوف اى ذلك يوم واجاز
بعضهم نصبه على الظرفية في كلام لا تحقيق له اشرنا الى بعضه في المعاني
وجملة تفرس الى آخر البيت صفة ليوم وان اسمها وخبرها بتاويل مصدر
مفعول لتفرس اى تفرسوا انذارهم او مفعوله محذوف وان على حذف حرف الجر
اى تفرسوا هلاكهم بانهم فيحتمل ان النصب والجر على القولين ويحلول
متعلق بانذر واو باؤه للتعدية وبات من اخوات كان وهي بمعنى صار والايوان
اسمها وكسرى صاحب كسرى خبرها وجملة وهو منصدع اعتراضية بين اسم
بات وخبرها ويجوز كونها حالية عند من اجاز عمل كان واخواتها في الحال
واعترضه بعضهم بانه يعطى بمفهومه ان ايوان كسرى انما يشبه شمل اصحاب
اذا كان منصدعا وهذا يعطى ان الايوان كان قبله حالتان حالة
انصداع وحالة نفيه وهذا لا يصح ويجوز ان يكون في موضع خبر بات
لان الجملة المخبر بها في باب كان قد تشبه بالحالية فلى الواو ونص عليه

في التسهيل ومنه وكانوا اناسا ينفحون فاصبحوا واكثر ما يعطونك
النظر الشزر او كشمل على هذا خبر ثان او حال من ضمير منصدع وقوله غير
الاولى نصبه على الحال من بمثل عامله المجرور الذي هو خبر واعتراضه بعضهم
بما اعترض جعل وهو منصدع حالا وقال شيخنا ابو العباس القصاب
يصح خفضه نعتا لشمل وهو من اضافته الى معرفة معناه على التنكير ولان
كسري الاول معرفة لانه انوشروان والثاني غير معين كانه قال كشمل
اصحاب ملك الفرس لان الشتات الواقع بينهم انما هو بعد انوشروان
وتقدم ان والنار معطوف على ايوان كسري وخامدة عطف على كشمل
ويضعف ان يكونا اسم صار وخبرها وهي مضمرة كما يضعف جعل النار مبتدا
وخامدة خبر لانه يعطي ان ذلك كان شانها دايما وانما صارت كذلك لاجل
الحزن على ما ذكر وهذه الوجوه بعينها في قوله والنهر ساهي العين واضافة
خامد وساهي من اضافة الصفة المشبهة الى مرفوعها اي خامدة انفاسها وساه
عينه ومن في من اسف ومن سدم للتعليل وتعلق الاولى بخامدة والثانية بساهي
وعليه يتعلق باسف وان قدرت ساهي منصوبا ففتحته منوية ضرورة
وال في الانفاس وفي العين نايبة عن الضمير او هو محذوف على الراجحين
وتقدم ان ساه معطوف على بات هذا ابح وفيه غير هذا ذكرناه في الاستيعاب
وساوة مفعول وان وصلتها فاعله اي غيض بحيرتها وردّ فعل ماض
مبني للمفعول الاصل رددت ثم ادغم والمفعول النايب واردها وبالغيظ
وحين متعلقان برد والباء للمصاحبة واجاز القصار في مجرورها ان يكون
حالا من الوارد كما اجاز ان يكون عامل حين الغيظ وظمي فعل ماض اصله
الهمز ثم تسهل بابداله ياء لكسر ما قبله وهي مبني على الفتح لكنه سكن ضرورة
وهو من الضماير المستحسنة وفاعل ظمي ضمير الوارد والجملة في موضع خفض
باضافة حين اليها اي ظمانه وما فيها بالماء اسم كان وهي موصولة صلتها
بالماء ومن بلل يتعلق بما يتعلق به بالماء ومن لبيان وبالنار خبر كان
معدما وحزنا حال من النار المذكورة اولا اي ثبت بالنار حال كونها

ذات

ذات حزن والعامل فيه هو العامل في الخبر ولا يصح جعله مفعولا له عند
من يشترط اتحاد الفاعل لان عامله ثبت ونابت العامل في الخبر وفاعله ضمير
يعود على البلل الكاين بالنار وفاعل الحزن النار وقوله وبالماء الى اخر
كل كله معطوفة على مقابلها وليس من العطف على معمولي عاملين وان كان
في هذه العبارة بحث لان هذه الواو عطفت بالماء على بالنار وما بالنار
من ضرم على ما بالماء من بلل وتلك القاعدة على راي من اجازها هي
كقولهم في الدار زيد والحجرة عمرو وقالوا لو عطفت الحجرة عمرو على الدار زيد
ولم يعد الجار بعد الواو ولو اعيد لخرج عن القاعدة كما هنا والجزء تنف
مبتدأ وخبر وكذا الانوار ساطعة وكذا الحق يظهر وهذه الجملة والجمل
قبلها كل معطوفة على التي تليها الى وبات اوهي كلها معطوفة على جملة باذ
وقد تقدم واعترض بجملة التشبيه بين المتعاطفات ومن معني متعلق
بيظهر وتقدم غير هذا الوجه ومن كلم عطف عليه ومن فيهما لابتدا الغاية
او لبيان الجنس كما تقدم الاشارات في قوله ابان البيت اشارة
الى ان السعيد من سعد في بطن امه والشقي من شقي فيه كما اتى في الصحيح
من الاخبار وانه لا يستحق احد على الله شيئا يخص من يشاء بما يشاء ان
السعادة اصلها التخصيص قال صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم
بين الماء والطين وفيه اشارة الى ان المبداء اذا كان حسنا قوي الرجاء
بالتمادي عليه غالبا وان الختام بفضل الله يكون مسكا ان الهلال
اذا رأيت نموه ايقنت ان سيصير بدرا كاملا فمن سبقت له من الله السعادة
فما طيب مبتدا ومنه ومختتم ومن ظهر عليه في ابتدائه الانقطاع الى الله
والركون الى عبادة مولاه فعسى ان يطيب ختامه ومنتهاه وجدير
ان يتفرس فيه اعداء الدين من شياطين الانس والجن انه يحل بهم
بسببه البؤس والنقم فانه لا اشد على الشياطين والعصاة ممن يراقب الله
فانه يغضب لغضبه ويخشاه ولا سيما ان كان عالما انما يخشى الله من عباده
العلماء وليس على الشياطين اشد منهم فانهم يعلمون الناس مكايدهم

وعداوتهم وما يريدون منهم وهذا كان ابليس يوم ولادته صلى الله عليه وسلم
وهو ابو شياطين الجن وكانت من الفريقين في ذلك وهم رؤساء الكفار
في زمانهم فيحملون على شياطين الانس واذا كانت هذه فراسة الكافر فكيف
بفراسة المؤمن كفراسة ورقة بن نوفل فيه صلى الله عليه وسلم وكذا
خديجة رضي الله عنها ومن حديث ابي سعيد انه صلى الله عليه وسلم
قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله • وقد اشتهر عن عمر رضي الله عنه
في ذلك ما لا يخفى وقوتها على حسب قوة الايمان فمن كان اقوى ايمانا
كان اقوى فراسة قال الكتاني الفراسة مكاشفة اليقين ومعاينة
الغيب وهو من مقامات الايمان وقال شاه الكرماني وكان لا يخطئ
فراسته من غض بصره عن المحارم وامسك نفسه عن الشهوات وعمر
باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وتعود اكل الحلال لم يخطئ
فراسته وسئل النوري عن تولد الفراسة فقال من قوله تعالى ونفخت فيه
من روحي فمن كان حظه من ذلك النور اتم كان حكمه بالفراسة اصدق
الا ترى كيف وجب السجود لمن نفخ فيه من هذا الروح لقوله فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فقعوا الاية وكان الخواص مع جماعة فمر بهم شاب
حسن الوجه والهيئة طيب الرائحة فقال الخواص لاصحابه يقع لي
ان الشاب يهودي فكرهوا مقالته فقال لهم الشاب اي شيء قال الشيخ
في فاحتشموا فالح فاخبروه فجاء واكب على رأسه واسلم فسئل عن السبب
فقال نجد في كتبنا ان الصديق لا يخطئ فراسته فامتحنت المسلمين
وقلت ان كان فيهم صديق ففي هؤلاء لانهم يقولون حديثه سبحانه ويقرؤون
كتابه فلبست عليكم فلما اطلع الشيخ علمت انه صديق وصار الشاب
من كبار الصوفية وقوله وبالبيت اذا جاء نصر الله بطل نهي معقل •
فاذا اظلت جنود الله واولياؤه تشتت شمل الكافرين واهتز اعداؤه
يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم والذين كفروا
فتعسا لهم واضل اعمالهم وقل جاء الحق الى قوله زهوقا بل نقذف بالحق

على الباطل

على الباطل الى قوله زاهق وكذا اذا وردت الاخلاق الحميدة التي هي جند الله
تعالى على ضدها التي هي جند ابليس فانها تصير ايوان ابليس منصدعا كما تصير
شمل اعوانه من الشياطين الذين يحرضون على الاخلاق الذميمة الموقعة
في العصيان غير ملتئم واول مبدأ تلك الاخلاق التوبة والاقلاع عن المعاصي
كما ان ظهوره صلى الله عليه وسلم اول الايمان في ذلك الزمان فبالتوبة ينكسر
ايوان ابليس ويتبدد شمل اصحابه ويتطهر ارض صاحبها وهي قلبه من الخباثة
كما تطهرت الارض من الكفر بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له فالحمد لله
الذي جعل التوبة يطهر من ادران المعاصي كما تطهر النبوة ادران الكفر
تاب الله علينا توبة صادقة كما يحب ربنا ويرضى بمنه وقوله والنار
البيت اذا صحب التوبة واستقامت خمدت انفاس نار النفس الامارة وسهت
عين نهرها من الشهوات التي كانت متوالية عليها كتوالي النهر فلا يرى
لنار غضبها الذي كان اضطرام ولا لماء نهرها الذي الفت شربه انسجام
حزنا منها على اهمالها فتعود النفس مرتاضة ذلولا ساكنة مطمئنة
بعد ان كان ركوبها لا يستطاع لجماحها بتلاطم امواج بحرها وبفيضان بحرها
الفياض من الشهوات بقلعها عن مرادها كرها ويسوءها ذلك حين تأتي طامية
الى ما الفت من شهواتها لترد منها كما اعتادت فترد بالغيظ لقهرها بالمنع من تمتعها
وبجيء اسباب المعاصي عن حضرتها وذلك غيض ماء بحيرتها كما ساوة ماذكر
والاشارة بساوة المشبهة ما اشتق من السوء الى النفس الامارة بالسوء فقبح
النفس بعد التوبة كان بنار غضبها حزنا منها بما تشتهيها وبما تشتهيها من
الضرر ما كان بنار غضبها حزنا منها على تبديل حالهما وشياطين الجن يهتف
بعضهم ببعض اخبارا عن التائب الان هذا قد حرم مرافقته والاستكبان
ثم اصبحت انوار الله التي كسبها بسبب طاعته تسطع عليه ولهي تظهر من معناه
ومن كلامه لان توبته صادقة ولو كان نهر انيا لما ظهر عليه شيء من ذلك بل كان
لم يزل متخبطا في ظلام عصيانه يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين

اللهم تب علينا توبة صادقة تسطع علينا انوارها وتذهب عنا بها الكروب
اعيارها المسك وجودك انك سميع الدعاء اصل

عموا وصموا فاعلان البشائر لم … تسمع وبارقة الانذار لم تشم
من بعدما اخبر الاقوام كاهنهم … بان دينهم المعوج لم يقم
وبعدما عاينوا في الافق من شهب … منقضة وفق ما في الارض من صنم
حتى غدا عن طريق الوحي منهزم … من الشياطين يقفوا اثر منهزم
كانهم هربا ابطال ابرهة … او عسكر بالحصى من راحتيه رمي
نبذا به بعد تسبيح ببطنهما … نبذ المسبح من احشاء ملتقم

شرح الغريب العمى ذهاب البصر وعمى يعمى عمى ذهب بصره وعموا للجماعة اصله عميوا استثقلت ضمة الياء فحذفت ثم حذفت لالتقائها ساكنة مع الواو وكانت اولى بالحذف لان الواو ضمير الفاعل وحركت الميم بالضم لتصح الواو ورجل اعمى ورجال اعمى واعماه وتعامى ارى ذلك من نفسه وليس به وعمى عليه الامر التبس وجهل الصواب قيل وهو المراد هنا وهو محتمل الا ان الظاهر انه من ذي البصر مجازا ورجل عم القلب اي جاهل وامرأة عمية عن الصواب وعميه القلب على فعله وقيهم عيهم اي جهلهم والنسبة الى اعموي والى عم عموي والاعميان السيل والجمل الهائج وعميت المعنى تعميه ومنه المعمى من الشعر وقرئ فعميت بالتشديد وما اعماه اي ما اعمى قلبه للكبير الضلال لا لمن لا يبصر عينه لان ما لا يتزيد لا يتعجب منه وصم الرجل صمما اذا لم يسمع ويجوز به فيمن لم ينتفع بسمعه ومنه قوله تعالى صم بكم واصل صموا اصمموا كفرحوا ثم ادغم لاجتماع المثلين ورجل اصم بين الصمم ورجب الاصم لانه لا يسمع فيه صوت مستغيث ولا حركة قتال ولا قعقعة سلاح لانه شهر حرام وصمام صمام تصامموا في السكوت واصمه الله فصم واصم ايضا بمعنى صم وقول الكمية تسايل ما اصم عن السؤال اي شيئا قد اصم عنه واصممته وجدته اصم وتصام ارى من نفسه الصمم وليس به وصمت حصاه بدم اي كثر بالدما فلا يسمع لحصاه فيها

وقع لانما لا تقع على الارض وهذا اراد امرؤ القيس بقوله صم ابنة الجبل وقيل اراد الصدا فعموا وصموا بفتح العين والصاد وقرأهما الاعمش وابن وثاب والمحنى بالضم الاعلان الاظهار اعلنت الامر اعلانا اظهرته والعلانية خلاف السر وعلن الامر يعلن علونا وعلين بالكسر يعلن علنا حكاه ابن السكيت والعلان المعالنة ورجل علنه يبوح بسره وعلوان الكتاب عنوانه وعلونته اي عنونته والبشائر جمع بشارة بالكسر والضم وهي الاسم وبشرت الرجل ابشره بالضم بشرا وبشورا من البشرى وكذا الابشار والتبشير ثلث لغات وبشرته بمولد فابشر ابشارا اي سر وابشر بحز بقطع الالف ومنه وابشروا بالجنة وبشرت بكذا بالكسر ابشر اي استبشرت وبشرت به بشرت والف بشرى للتانيث وبشراي كعصاي وفي التثنية بشريي والبشارة المطلقة للخبر ولا تكون بالشر الا بتقييد نحو فبشرهم بعذاب اليم وتباشروا بشر بعضهم بعضا والتباشر البشرى وتباشير الصبح اوائله وكذا اوائل كل شيء ولا يكون منه فعل والبشير المبشر والمبشرات الرياح المبشرة بالغيث وتسمع من السمع ويكون واحدا وجمعا ومنه وعلى سمعهم لانه في الاصل مصدر وسمعت الشيء سمعا وسماعا وقد يجمع على اسماع ثم اسماع على اساميع وسمعك لي اي اسمع مني وسماع اي اسمع ورياء وسمعة ليرى الناس ويسمعوه واستمعت له واسمعت بالادغام وتسمعت اي اصغيت اليه وتسمعت وسمعت له بمعنى وتسامع به الناس واسمعه الحديث واسمعه شتمه واسمع غير مسمع اي لا سمعت قاله الاخفش واسمع به اي ما اسمعه والمسمعة المغنية والسمع بالكسر الذكر الجميل وفروع المادة كثيرة برقت السماء فهي بارقة وابرقت ايضا ونشأت سحاب بارقة جاءت ببرق ويجوز به للسيف فيقال بيض بارقة والجنة تحت البارقة اي تحت السيوف ومنه بارقة الانذار وبرق السيف وغيره يبرق بروقا تلألأ والاسم البرق وبرقت السماء برقانا لمعت وابرق الرجل لمع بسيفه واما رعد الرجل وبرق فمعناه تهدد ورعدت المرأة وبرقت تزينت ومما يقرب من المادة البريقة للبن

نصب عليه اهاله او سمن قليل والجمع البرايق وابرقوا الماء بزيت اي صبوا
عليه زيتا قليلا وبرقوا طعاما بزيت او سمن برقا وهي البيارق وهو شيء
قليل لم يسعنغوه اى لم يكثر وادهنه وشمت البرق بوزن بعت اذا نظرت
الى سحابة اى يمطر وشميت السيف اغمدته وهذا هو المراد هنا اى بارقة
الانذار المشبهة بالسيوف البارقة لم تغمد ولم توضع عن رؤسهم بعد
وقيل لم يشم اى لم يلتفت اليها ولا نظر وحكى عن ابى منصور النظر عام
والشيم للبرق خاصة وشمت السيف ايضا سللته فهو من الاضداد وشمت
مخايل الشيء تطلعت نحوها منتظرا له والتشام الرجل اذا صار منظورا
اليه والخبر بالتحريك واحد الاخبار واخبرته به وخبرته بمعنى والاستخبار
التخبر السؤال عن الخبر ومن اين خبرت هذا اى علمت والاسم الخبر بالضم وهو
العلم بالشيء والخبير العالم ولاخبرن خبرك اى لاعلمن علمك وخبرته اخبره
خبرا بالضم وخبرة بالكسر اى اختبرته يقال صدق الخبر والكاهن الذي
يدعى علم الغيب وقيل الذى له صاحب من الجن يخبره ببعض الكاينات وقال
الجوهري الكاهن معروف والجمع الكهان والكهنة وكهن يكهن كهانة
ككتب يكتب كتابة اذا تكهن فان اردت صار كاهنا قلت كهن بالضم
كهانة بالفتح والكاهنان حيان والدين الملة والطاعة والجمع الاديان
وقيل الدين الطريقة الملتزمة من عقد وقول وعمل ودان بكذا
ديانة وتدين به فهو دين ومتدين ودينت الرجل تدينا اذا وكلته
الى دينه وقوله لاه ابن عمك لا افضلت في حسب عني ولا انت دياني
فتخزوني قال ابن السكيت اى لا انت مالكي فتسوسني ودان له اي
اطاعه ويحتمل ان يكون الدين من دانه دينا اى اذله واستعبده يقال
دنته فدان وفي الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
اعوج الشيء فهو معوج اصله معوج اى صار ذا عوج والعوج بكسر العين
في المعاني وبالفتح في غيرها وقال الجوهري العوج بالتحريك مصدر عوج بالكسر
فهو اعوج والاسم العوج بكسر العين قال ابن السكيت ما انتصب كالحائط

والعود

والعود قيل فيه عوج بالفتح وبالكسر ما كان في ارض او دين او معاش
يقال في دينه عوج واعوج الشيء اعوجاجا يقال عصى تعوجه ولا
تكسر الميم وعوجت الشيء فتعوج ولم يقم قيل انه من قام الامر اى دام وقيل اقامه
ادامه ومنه قوله تعالى ويقيمون الصلوة ومنه اقام بالمكان
اقامة والهاء عوض من عين الفعل لان اصله اقوام وقد تقدم ومقام
بالفتح والضم اما المكان او المصدر وقرئ لا مقام لكم بالفتح للموضع وبالضم
بالضم للمصدر ومستقرا ومقاما اى موضعا قلت ويحتمل ان يكون من قام
الرجل قياما وهو انتصاب القامة تجوز به هنا للاعتدال لان المعوج
ضد المستقيم وقيل معنى لم يقم لم يثبت وقامة الدابة وقفت ومن قامت
السوق اذا انفقت والاستقامة الاعتدال يقال استقام له الامر
فاستقيموا اليه اى في التوجه اليه دون غيره وقومت الشيء فهو قويم اى
مستقيم وما اقومه شاذ ودين القيمة اى بمعنى الملة والقوام العدل
ومنه بين ذلك قواما وقوام الرجل وقومته قامته وحسن طوله وقوام
الامر بالكسر نظامه وعماده وملاكه الذى يقوم به يقال فلان قوام
اهل بيته وقيامهم للذى يقيم شانهم ومنه التى جعل الله لكم قياما والقروع
كثيرة وعاينت الشيء عيانا اذا رايته بعينك ولقيته عين عنه اذا رايته
عيانا وهو لك عبد عين اى كالعبد لك ما دمت تراه فان غبت فلا وقروع
المادة متسعة الافق الناحية بسكون الفاء وضمها ومنه افق السماء
وهو المراد هنا وجمعه افاق ورجل افقي بفتح الهمزة والفاء اي
من افاق الارض ويقال بضمهما وهو القياس والشهب جمع شهاب وهي
شعلة نار ساطعة والمراد هنا النجوم الذى تقذف الشياطين عند
استراق السمع من الملائكة من قوله تعالى فاتبعه شهاب ثاقب وفلان شهاب
حرب للماضي فيها ويجمع ايضا شهبان كحساب وحسبان منقضة اصله
منقضضة اسم فاعل من انقض الطاير اى هوى في طيرانه ومنه انقضاض الكوكب
قال بشر بن ابى حازم والعير يرهقها الغبار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وقال اوس بن حجر وهو جاهلي فانقض كالدري يتبعه نقع يثور تخاله طنبا
ولم يستعملوا منه تفعل الا مبدلا قالوا انقضى فاستثقلوا ثلاث ضادات
فابدلوا من احديهن ياء كما قالوا لوانظني من الظن قال العجاج تقضي البازي
اذا البازي كسر وقضضنا عليهم الخيل فانقضت عليهم وانقض الحايط سقط
والوفق من الموافقة اي انقضت الشهب موافقة جهة ما في الارض من صنم
اي انقضت نحو الصنم وقيل معناه وافق حال انقضاض الشهب حال انتكاس
الاصنام وقيل وفق الشيء مثله ومعنى وفقها اي موافقتها انتهى والوفق
من الموافقة بين الشيئين كالتحام يقال حلوبته وفق عياله اي لها
لبن قدر كفايتهم لا فضل فيهم واتيتك لوفق الامر وتوفاق الامر وقال الاحمر
كان ذلك لميفاق الهلال وتيفاقه وتوفاقه اي حين اهل الهلال الصنم
ما كان مصورا والوثن ما كان غير مصور وقيل الصنم ما كان من حجر وغيره
والوثن ما كان من غير حجر كالنحاس وقيل هما بمعنى واحد وقال الجوهري
هو واحد الاصنام يقال انه معرب شمن وهو الوثن غدا الى كذا اي صار
غدوة وغدا عن كذا بمعنى ذهب وغدا يغدو غدوا نقيض الرواح وقوله
تعالى بالغدو اي بالغدوات فعبر بالفعل عن الوقت كما قيل طلوع الشمس
اي وقته وعاداه غدا عليه والغادية سحابة تنشا صباحا والاغتداء
الغدو واصل الغد غدو حذفت واوه بلا عوض قال لبيد وما الناس
الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع والنسب اليه
غدي وغدوي والغدوة ما بين صلوة الغداة وطلوع الشمس والجمع
غدا واتيتك غداة غد وبالغدايا والعشايا للازدواج الكلام ولولا هذا
المثل الغداوي والطريق السبيل يذكر ويونث الطريق الاعظم والطريق
العظمى والجمع اطرقة وطرق ويحتمل ان يكون من طريقة الرجل اي مذهبه
يقال ما زال فلان على طريقة واحدة اي على حالة واحدة والوحي الكلام الخفي
والكتاب وجمعه وحي كحلي وحلي والاشارة ايضا والكتابة والرسالة
والالهام وكلما القيته الى غيرك ولذا فسر بعضهم الوحي بالالقاء في خفاء كذلك

وحي اليه

وحيت اليه الكلام واوحيت وهو ان تكلمه بكلام تخفيه ووحى الله
الى انبيائه واوحى اشار ووحيت بخبر كذا اشرت والوحي والوحاة الصوت
سمعت وحاة الرعد لصوته الممدود الخفي والرعد يحي وحاة منهزم من انهزم
العدو اي ذهب لوجهه وتفرق وهزمت الجيش هزما وهزيمة فانهزموا
والهزمة النقرة في الصدر وفي التفاحة اذا غمزتها بيدك ونحو ذلك
وهزم الصريع ما تكسر منه والتهزم والتكسر وتهزم السقا اذا يبس فتكسر
واهتزام الفرس صوت جريه وتهزم البناء تهدم وقيل منهزم مولى اي موي
بهما وهي الشهاب يقفو من قفوت اثره اقفوه قفوا وقفوا اتبعته
وقفيت على اثره بفلان اتبعته اياه ومنه وقفينا على اثارهم ومنه الكلام
المقفى وقوافي الشعر لان بعضها يتبع اثر البعض والاثر بكسر الهمزة وسكون
الثاء وبفتحهما ما بقي من رسم الشيء وضربه السيف تقول خرجت في اثره
واثره وسنن النبي صلى الله عليه وسلم اثاره وبكسر الهمزة والسكون
خلاصة السمن وبضم الهمزة وتسكين الثاء اثر الجرح وقد يثقل كعسر
وعسر وبفتح الهمزة وسكون الثاء مصدر اثرت الحديث اثره اذا ذكرته
عن غيرك ومنه حديث ماثور ينقله خلف عن سلف وقول عمر رضي الله عنه
في الحلف بالاباء ما حلفت به ذاكرا اي من تلقاء نفسي لا من ضد النسيان
ولا اثرا اي حاكيا عن غيري واثارة من علم واثره ما تحريك بقية منه
وسمنت الابل على اثارة اي بقية شحم كان قبل ذلك والتاثير ابقاء الاثر في الشيء
والهرب الفرار وقال غير الجوهري الفرار سريعا وقيل المراد به هنا جمع هارب
وهرب وهرب به غيره تهريبا واهرب الرجل جد في الذهاب مذعورا وماله هارب
ولا قارب اي صادر عن الماء ولا وارد اي ليس له شيء والابطال جمع بطل
وهو الشجاع والمراة بطلة وبطل الرجل بالضم يبطل بطولة وبطالة صار
شجاعا وبطل الاجير بالفتح بطالة تعطل فهو بطال ابرهة هو صاحب الفيل
الذي جاء يهدم الكعبة ومعنى ابرهة بالحبشة ابيض الوجه ويقال له
الاشرم وابو يكسوم وقال الجوهري وابرهة من ملوك اليمن وهو ابرهة

ابن الحارث الرايش الذي يقال له ذو المنار وابرهة بن الصباح ايضا
من ملوك اليمن وهو ابو يكسوم صاحب الفيل وقال منعت من ابرهة
الحطيما وكنت فيما ساء ربعيا العسكر تقدم الحصى جمع حصاة وهي حجارة
صغار صلبة ويجمع حصيات اي ذو عقل ولب وارض محصاة اي ذات
حصى وراحتيه تثنية راحة وهي الكف وجمعها راحات وراح وقيل
الراحتان بطون الكفين والذي نص عليه اهل اللغة ان الراحة الكف
فانظر هل بينهما فرق وانظره مع قول الناظم بعد ببطنهما فانه فيه
تكرارا على هذا التفسير لانه من ايقاع الظاهر موقع المضمر قال
وسمي بطن الكف راحة لانبساطها والراح ايضا الخمر والارتياح ورميت
الشيء القيته فارتمى ورميت بالسهم رماية ورميا وراميته مراماة وارتمينا
وترامينا وكانت بينهم رميا ثم صاروا الى حجيزى ورميت عن القوس وعليها
ولا تقل بها وخرجنا نترمى اي على الاغراض وفي اصول الشجر وارتمى اذا رمى
القنص وتقول المرأة وجاعتها ترمين وارميت الحجر من يدي القيته ونبذ
الشيء انبذه نبذا اذا القيته من يدك ونبذته شدد للكثرة والمنبوذ الصبي
تلقيه امه في الطريق قيل والنبذ الرمي من اليد واللفظ من الفم والنفث
من الصدر التسبيح كقولك سبحان الله اي براءته وتنزيهه من كل نقص
والتسبيح التنزيه وسبحان الله قال الجوهري معناه التنزيه لله نصب
على المصدر كانه قال ابرئ الله من السوء براءة والعرب تقول سبحان من
كذا اذا تعجبت منه قال الاعشى اقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة
الفاخر وسبحان وجه ربنا بضم السين والباء جلاله ولذو سبوح من صفات الله
تعالى قال ثعلب كل اسم على فعول فهو مفتوح الاول الا السبوح والقدوس
فضمهما اكثر وكذلك الذروح قال الجوهري وقال سيبويه ليس في الكلام
فعول بواحد والبطن خلاف الظهر وهو مذكر وحكى ابو حاتم عن ابي عبيدة
ان تأنيثه لغة وجمعه بطنان وهو ايضا جمع البطن اي الغامض من
الارض وبطنان الجنة وسطها وبطنته ضربت بطنه وقيل بطنه وبطنه

وشكوله

وشكوله وبطن الرجل مبني للمفعول اشتكى بطنه وبطن بالكسر يبطن بطنا
عظم بطنه من الشبع وابطنت الناقة عشرة ابطن اي نتجتها عشرة مرات
والبطنة الكظة اي يمتلي من الطعام امتلاء شديدا يقال ليس للبطنة خير
من خمصة تتبعها والبطين الذي لا يهمه الا بطنه والمبطون العليل البطن
والمبطان الذي لا يزال عظيم البطن من كثرة الاكل والمبطن الضامر البطن
والمرأة مبطنة والبطين العظيم البطن والمسبح هنا هو يونس عليه السلام
لقوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين والاحشاء جمع حشى وهو ما انضمت
عليه الضلوع وحشوة البطن بالضم والكسر امعاؤه ومن هذا حشوت الوسادة
وغيرها حشوا والحايض تحتشي بالكرسف لتحبس الدم والملتقم الحوت الذي التقم
يونس عليه السلام لقوله فالتقمه الحوت فالتقمه اللقمة اي ابتلعها ولقمتها بالكسر
لقما وتلقمتها اذا ابتلعتها في مهلة لقمت غيري تلقيما والقمته حجرا ورجل تلقام
اي كثير اللقم يقول لان الكفار الذين لم يؤمنوا به صلى الله عليه وسلم
من بعد ما رأوا من ايات مولده صلى الله عليه وسلم ومبعثه القاطعة وما
شاهدوا من انوارهما الساطعة وهم اما الفرس وقريش وهو الاظهر او اليهود
او كل من تحقق جحوده من الكفار ولم يؤمن به عموا اي هم كالعمي في كونهم لم ينتفعوا
بما شاهدوا من معجزاته لان ثمرة الابصار الجري على شاكلة المبصر وصموا
اي هم كالصم في كونهم لم ينتفعوا بما تواتر عندهم من اياته والتواتر يقوم
مقام المعاينة في افادة العلم لان العلم الحاصل به من الضروريات وكانه
قسمهم الى من حضر وشاهد الا انه لم يعتبر يقتضي بما راى وهؤلاء هم الذين
اخبر عنهم بانهم عموا والى من لم يحضر لكن تواترت عنده الاخبار فلم يصدق
وهؤلاء هم الذين اخبر عنهم انهم صموا فكان الحاضرين لم يروا والغايبين
لم يسمعوا ويحتمل ان يكون الوصفان لمن حضر وحده او لمن غاب خاصة وهو
ابلغ اي انه نزل منزلة الاعمى والاصم الذي لا يتوصل اليه العلم لا من طريق
البصر ولا من طريق السمع كقوله تعالى صم بكم ومثل الفريقين الاية وقوله
فاعلان البشاير الى اخره اي يلزم من صممهم انما ثبت من اعلان البشاير اي

اى اظهار الاخبار بالامور التى بشرت بصحة رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم
واشاعتها كسطوع الانوار واخبار الكهان وهتف الجان وما ذكر معهما
كان الغايب لم يسمع تلك الاخبار كما لزم من عماهم ان ما ظهر من بارق الانذار
اى ما لاح لهم مما انذرهم بانقضاء دولة الكفر واذلال اهله الذى هو شبيه
باشهار السيف لضرب من لم يدخل فى الطاعة بها او كالبرق المنذر بنزول
الصواعق وانقضاض الشهب المنذر بامر عظيم كخراب الدنيا او غيره وذلك
كصدع الايوان وخمود النيران وغيض الانهار كان حاضر ذلك لم يره
وهو معنى لم يشم اى لم ينظر اليها او كان كلا من الحاضر والغايب لم يرد ذلك
ولم يسمع به وحمل البشاير والانذار على ما ذكر هو الاوفق لما قبل البيت
ولما بعده من المعانى وقال بعضهم المعنى ان الكفار الذين اخبرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعد الله من الخير لمن امن وصدق ولمن كفر
ودل على صدقه فيما اخبر معجزات من اقوال وافعال كانوا يعرضون عن تلك
المعجزات ولا يعملون بمقتضاها كانهم لم يسمعوا ما اعلن به عليه السلام
من تلك البشاير والانذارات انتهى وهذا التفسير وان احتمله اللفظ
الا انه لا يلايم ما قبله ولا ما بعده من ابتداء وحال النبوة وفيه نقض بجعله
البشاير والانذارات من المسموعات كما ترى والناظم قسمها لمراى ومسموع
ثم قال واعلام ان قرئ بالفتح بجمع علم ويكون تسمع بالتاء من فوق
وان قرئ بالكسر فمفرد ويسمع بالياء من تحت قوله من بعد ما اخبر البيت
ان كان عماهم عما شاهدوا من الايات وصممهم عما سمعوا منها من بعد
ما اخبر اولئك الاقوام الصم العمى كاهنهم اى كهان زمانهم لان المراد بالكاهن
الجنس وهم علماؤهم الذين كانوا يخبرونهم بالغيب حسبما يخبرهم بذلك اصحابهم
من الجن الذين يسترقون السمع وفى اخبارهم ان امر محمد صلى الله عليه وسلم
قد اظل وقرب مبعثه بالحنيفية البيضا والدين القويم بان بيعته يذهب دينهم
الاسود المعوج وانه لم يقم اى لم يثبت دينا عند الله او لم يستقم فى حكمه
وفى هذا الاخبار عنهم بان هذا التعامى والتصامم كان منهم بعد ما حصل عندهم

من العلم من كهانهم بصحة نبوته صلى الله عليه وسلم غاية التقبيح عليهم فانهم كفروا
بما علموا حقيقته من علمائهم الذين كانوا يصدقونهم ويقلدونهم فى اخبارهم
وينخرط فى سلك هؤلاء علماء اليهود والنصارى ومن قلدهم ممن لم يؤمن به
صلى الله عليه وسلم فانهم يجدونه عندهم فى التورية والانجيل وكانوا يستفتحون
على الذين كفروا قبل مبعثه فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين
قال بعضهم وقول الناظم فى وصف دينهم المعوج ليس من كلام الكاهن
فانه انما اخبر بان دين محمد صلى الله عليه وسلم يعلو دينهم ويظهر عليه ليس
غير لكن الناظم اعتمد فى وصفه بذلك على ثابت فى نفس الامر قال وايضا
فى اخبار الكاهن بان دين الكفر لم يستقم فيما مضى لان لم يعطى ذلك اشكال
لان دين الكفر لا يدرك استقامته او اعوجاجه بالكهانة لان استقامة
الايمان وبطلان الكفر منه ما يعلم بالبرهان العقلى ومنه ما يعلم بالمعجزة
والكاهن وغيره فى ذلك سواء انتهى قلت اما وصف الكاهن دين الكفر بالاعوجاج
فسترى ان شاء الله ذلك قريبا وانما بنى هذا السؤال على ان المراد كاهن بعينه
وهو بنى بان روى الفاظا نقلت عنه ولم يجد فيها وصف دينهم بالاعوجاج
صريحا وقد قدمنا ان المراد بالكاهن الجنس واما قوله الكاهن لا يعلم عدم
استقامة دين الكفر فضعيف فان الجن يسمعون ذلك من الملأ الاعلى
فيلقونه الى اصحابهم من الكهان ثم ذم ملة الكفر ووصفها بالاعوجاج امر
مشهور من لدن بعث الله ادم الى ذريته الى هلم لا يخفى عن احد الا عن معاند
وتامل حديث زيد عمرو بن نفيل مع احبار الذين تواموا على اجتنابه على
اهل عصرهم من الكفر وطلبهم ملة ابراهيم وقوله وبعد ما عاينوا البيت
اى عموا وصموا بعد ما شاهدوا ايضا بابصارهم فى افق السماء اى ناحيتها
من الشهب المنقضة اى الساقطة جهة ما فى الارض من الاصنام كان فى
انقضاضها الى تلك الجهة اشارة الى هلاكها وانا لقذفها انما كان لاضمحلال
امرها وذلك ان الشيطان انما اغوى الانس حتى عبدوا الاصنام فهى الفتنة
التى فتنوا بها الناس فخذير بالشياطين ان لا يفارقوا الاصنام لانها حبالهم

التي يصطادون بها الانس اعاذنا الله منهم بمنه ولاجرم كانت الاصنام
جهتهم التي يقصدونها ويفرون اليها لانها اعز الجهات عليهم فيتعلق قلوبهم
لاسيما عند اشعارهم هلاكها فيسرعون اليها كالمودعين لها الخائفين عليها
والشهب انما تقصد الشياطين حيث توجهوا فلذلك انقضاض الشهب جهة
الاصنام هذا ولما ظهر لي في تفسير وفق وتقدم في القرب تفسير بعضهم فيه
ويحتمل ان يكون وفق من الاتفاق اي اتفقت الشهب وتظافرت على رجم الشياطين
وقوله حتى غدا البيت اي لم تزل الشهب تنقض جهة الاصنام وهي جهة الشياطين
او تنقض عليها حتى غدا اي سار وانحرف عن طريق الوحي الذي يأتي به الملك
الى النبي صلى الله عليه وسلم منهزم من الشياطين يتبع اثر منهزم مثله منهم
فلا يقعد بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم احد منهم على طريق الوحي يسمع
منه ما يتكلم به الملائكة عندما يقضي الله الامر كانه سلسلة على صفوان
كما ورد في الصحيح وقد كانوا يقعدون على ذلك الطريق قبل ذلك يستمعون
الوحي قال الله تعالى حكاية عنهم وانا كنا نقعد منها الى قوله تعالى
فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا ويضعف ان يكون غاية لعاينوا
فانهم اعني اكثر الكفار لا يعاينون الشياطين حتى يفر من الشهب وان كان
بعض الكهان يدرك ذلك وقوله منهزم اثر منهزم يريد جنس المنهزم
والمقصود بالافراد التكثير والترتيب شيئا بعد شيء اي فلم يزل دابهم على تعاقب
الاوقات فرارا والانهزام ودأب الشهب لانقضاض خلفهم والازدحام ثم
شبههم في هربهم وتبدد شملهم واتباعهم بالشهب وتفريقها عليهم
بابطال ابرهة وهم الشجعان من فرسانه حين جاء بهم لهدم الكعبة فارسل
عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فهربا بطالهم يطلبون النجاة
في ساير الجهات ولات حين مهرب بل تعرفت عليهم الحجارة وترادفت
فلا يخطئ احدا منهم واذا كان حال ابطالهم في الهرب هذا فما بالك
بجبانهم وشبههم ايضا في هربهم بالعسكر ان رفع عطفا على ابطال
او ابطاله ان خفض عطفا على ابرهة الذين جاهدهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم بكفا من حصى ورمى به في وجوه ذلك الجمع العظيم
فلم يبق احد منهم الا اصاب منهم في عينيه وولوا هاربين والى هذا
كله الاشارة بقوله كانهم هربا البيت اي كان الشياطين حالة كونهم هاربين
من انقضاض الشهب خلفهم ابطال ابرهة حين ولوا هاربين من انقضاض الحجارة
عليهم او كانهم عسكر او ابطال عسكر على التقديرين حين ولوا هاربين
من رميهم بالحصى من راحتيه صلى الله عليه وسلم فالضمير في راحتيه
عايد الى ما عاد عليه ضمير مولده وهو النبي صلى الله عليه وسلم فاباح
الناظم ان يشبه الجن في هروبهم واتباعهم بالحجارة او بجيش الكفار
يوم حنين في هروبهم واصابة الحصى المرمي به من راحتيه صلى الله عليه وسلم
اياهم قال بعضهم ورفع عسكر اولى لان خفضه بتقدير ابطال ووصفهم
بذلك ينافي ما قصد الناظم من سرعة الفرار لان الشجاع يتثبط في فراره الا
بقدر الضرورة فلو ابدل الابطال الاحماة يؤذن بالجبن او بقول اتباع او فرسان
لكان ادخل في البلاغة قلت هذا الكلام لا يخلو من قلق فان ظاهره اولا
ان هذا الاعتراض لازم عن تقدير ابطال مع عسكر وهو لازم على التصريح
به مع ابرهة فكان حقه ان يقصره عليه لكن قوله لو ابدل يدل انه
راعى المصرح به ثم الجواب ان الابلغ ما فعل الناظم لان البطل اذا حل به
ما لا طاقة له به يعود احسن الناس لاسيما الامور الالهية اعاذنا الله
من عذابه برحمته فالناظم قصد الى الاخرى فاذا كان البطل حاله في الفرار
سريعا ما ذكر فكيف بالجبان وهو في غاية البيان وقوله نبذا به البيت
اي رمى ذلك العسكر بالحصى من راحتيه صلى الله عليه وسلم فيما عاد نبذا به
اي رمى رميا بذلك الحصى بطنهما اي في بطن الراحتين وذلك من معجزاته
صلى الله عليه وسلم وذلك النبذ الحاصل في الحصى بعد تسبيحه في بطون
الكفين القابضتين عليه يشبه نبذ المسبح الذي هو يونس عليه السلام
من احشاء ملتقم له الذي هو الحوت وانما قال الناظم رمى بالبناء للمفعول
تنبيها على ان ذلك الرمي وان باشره كفاه الله صلى الله عليه وسلم

فالرامي بالحقيقة هو الله سبحانه وتعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
وكذا شبه تسبيح ايضا بنبذ المسيح من احشاء ملتقما اذ في هذا التشبيه
جواب عن استبعاد الجاهل ان يكون القبضة من الرجل الواحد والقبضتان
من الحصى يصيب عيني كل واحد من عدد الجيش العظيم الذي لا يكاد يحصر فاجاب
الناظم بتنظيره بما ذكر بان فاعل ذلك النبذ هو القادر على كل شيء وهذا
النبذ المستبعد من الجاهل نظيره وهو نبذ يونس من احشاء الحوت من قعر البحر
سالما لم تضره حرارة معدة الحوت بعد اقامته في احشائه من يطبخ فيها
ما حصل في ذلك المكان مما هو اكثف فكل ذلك دليل على القدرة العامة البالغة
فسبحان من عمت قدرته كل شيء وناسب التشبيه ايضا بنبذ الذي هو سبب
في السلامة والخلاص من العذاب مع تسبيح الله تعالى الصادر من المنبوذ
فانه لولا رمي ذلك الحصى لحصل تعذيب الكفار للمؤمنين فان الطائفة من
اولى كانت لهم قال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم الاية
ثم بعد رمي الحصى سلم المؤمنون منه ونصروا عليهم فكان العذاب على الكافرين
وكذا يونس فان نبذه سبب في سلامته ونجاته من العذاب الاخروي في بطن
الحوت او لم ينبذ وهذا كله بركة ذكر الله تعالى قال معاذ رضي الله عنه
ما عمل ادمي عملا انجى له من عذاب الله من ذكر الله وكان هذا الذكر التسبيح
الذي هو تنزيه الله تعالى من غير الكمال ردا على ما يتوهمه الجاهل من مستبعد
جر اليه الكلام في قصة يونس عليه السلام وسئلت عنها
ايام كتبي لهذا المحل وذلك انه جرى ايام كتبي لهذا المحل في بعض المجالس
العلمية شرفها الله تعالى المعدة لاقراء تفسير كتاب الله تعالى العزيز بلدنا تلمسان
صانها الله من الاغيار وضاعفها ما اناله من الانوار سؤال عن الجمع
بين قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون
وقوله تعالى لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم
فان الاية الاولى تقتضي انه لولا التسبيح للبث فاللبث منتف لوجود التسبيح
والثانية تقتضي انه لولا تداركه النعمة لنبذ وهو مذموم فهو يقتضي

انتفاء

انتفاء اللبث وكون اللبث مثبتا منفيا محال ويقال الاولى تقتضي ثبوت
النبذ والثانية انتفاؤه فاجاب بعض العلماء المحققين بان قال الاولى في قوة
لو انتفى التسبيح لثبت اللبث والثانية في قوة لو انتفت النعمة لنبذ ولما كان
الواقع من مراد الله ان التسبيح ثابت كان انتفاؤه محالا والواقع ايضا
ان النعمة ثابتة فانتفاؤها محال ولما كان ملزوم الشرطيتين محالا لا جرم
ترتب عليه المحال ونظيره قوله تعالى ولو انزلنا ملكا لقضي الامر اي
لاستوصلوا وقال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا
وهذه تقتضي عدم الهلاك وان انزال الملك ولما كان جعل الملك على الحق
الذي طلبوه رسولا محالا لما سبق في علم الله تعالى لا جرم ترتب عليه المحال
قلت وهذا اصح الا ان فيه تكلفا وهو عند التحقيق مغالطة من تفصيل
المركب لان المحال على الوجه الذي قررنا انما هو من الجمع بين القضيتين لا باعتبار
كل على انفرادها والحق الواضح الذي لا تكلف فيه ان الاية الثانية انما
نفت النبذ مقيدا بكونه مذموما ونفي المقيد لا يستلزم نفي المطلق فلا يلزم
نفي النبذ على وجه الالزام وبه ينتفي اللبث الذي نفته الاية الاولى
ومن شرط التناقض اتحاد الموضوع وهذا هو الجواب عن اية الانعام فان
الاهلاك الذي بني عليه بقضاء الامر انما رتب على انزال الملائكة على صورتهم
لا على صورة الرجل واللبس عليهم الذي يستلزم بقاؤهم هو انزاله على صفة
الرجل ويقال ليس عليهم الامر ثم يملكون ونقل الغزنوي ان معنى بالعراء اي
بفضاء الاخرة وهو يوم يبعثون الذي هو غاية اللبث كما دلت عليه الاية
الاولى وهذا القدر كاف اذ هذا هنا عارض ولنا على السؤال كلام
اطول من هذا ولا بد من الاشارة الى بعض ما اشار اليه الناظم من اخبار الكهان
فمن ذلك ما روي عن فاطمة بنت النعمان النجارية وكانت بالمدينة انه كان لها
تابع من الجن وكان اذا جاءها اقتحم عليها في بيتها فلما كان في اول البعث اتاها
فقعد على حائط الدار ولم يدخل فقالت لم لا تدخل فقال بعث نبي يحرم
الزنا فذاك اول ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ومنه ما روي

ابو جعفر العقيلي في كتاب الصحابة عن رجل من بني لهب قبيلة من العرب اسمه لهيب قال حضرت عند النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت عنده الكهانة فقلت بابي وامي نحن اول من عرف حراسة السما وزجر الشياطين ومنعهم من استراق السمع عند قذفهم بالنجوم ولما رأينا ذلك اجتمعنا الى كاهن لنا يقال له خطر بن مالك وكان شيخا كبيرا قد اتت عليه مايتا سنة وثمانون سنة قلت وفي تفسير سورة الجن من الثعالبي ثلثمائة وستون سنة وكان من اعلم كهاننا فقلنا يا خطر هل عندك علم من هذه النجوم التي ترمى بها فانا قد فزعنا وخشينا سوء عاقبتنا فقال عودوا واغدوا الى في السحر ائتوني بسحر اخبركم الخبر الخبر الم ضرر ام لامن ام حذر قال فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من غد في وجه السحر اتيناه فاذا هو قايم على قدميه شاخص الى السما بعينيه فناديناه فاوما الينا ان امسكوا فانقض نجم عظيم من السما وصرخ الكاهن باعلى صوته اصابه اصابه خامره عقابه عاجله عذابه احرقه شهابه زايله جوابه يا ويله ما حاله بلبله بلباله عاوده خباله تقطعت حباله تغيرت احواله ثم امسك طويلا وطفق يقول يا معشر بني قحطان وروى يا معشر قحطان اخبركم بالحق والبيان اقسمت بالكعبة والاركان والبلد المؤتمن السدان لقد منع السمع عتاة الجان بثاقب بكف ذي سلطان من اجل مبعوث عظيم الشان يبعث بالتنزيل والقران وبالهدى وفاصل الفرقان يبطل به عبادة الاوثان قال فقلنا يا خطر انك لتذكر امرا عظيما فماذا ترى لقومك فقال ارى لقومي ما ارى لنفسي ان يتبعوا خير نبي الانس برهانه مثل شعاع الشمس يبعث من مكة دار الحمس بمحكم التنزيل غير اللبس فقلنا له وممن هو يا خطر فقال والحياة والعيش انه لمن قريش ما في حلمه طيش ولا في خلقه هيش يكون في جيش واي جيش من ال قحطان وال ايبش والبيش الاخلاط من كل قوم فقلنا له من اي البطون فقال [illegible] فقلنا له بين لنا من اي قريش هو فقال والبيت ذي الدعائم والركن والاحائم انه لمن نجل هاشم

من معشر

يا معشر اكارم يبعث بالملاحم • وقتل كل ظالم • ثم قال هذا هو البيان اخبرني به رئيس الجان ثم قال الله اكبر الله اكبر جاء الحق فظهر وانقطع عن الانس الخبر ويروى عن الجن ثم قال هذا بياني وسكت فاغمي عليه فما افاق الا بعد ثلاثة ايام فلما افاق قال لا اله الا الله محمد رسول الله ثم مات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله سبحان الله لقد نطق بمثل نبوة وانه ليحشر او يبعث يوم القيمة امة وحده ومن ذلك خبر يونان الكاهن وحاصله ان القوم سالوه عندما اكثر القذف بالشهب عن سبب ذلك فاخبرهم بان سببه يريد مولود بمكة يرتفع شانه ويكسر الاصنام ويخمد النيران ويمحو عبادة الاوثان فقالوا قد علمنا بهذا المولود فاستشاروه في قتله وطلبوه ان يرشدهم الى حيلة توصل الى ذلك فابى ونهاهم عن التعرض بذلك واخبرهم ان ما قدر الله كاين ومن اخبار الكهان بامره صلى الله عليه وسلم ما في اول سيرة ابن اسحاق حين رأى ربيعة بن نصر ملك اليمن الرؤيا التي هالته ففسرها له سطيح وشق فكان من اخر كلام سطيح حين قال له ربيعة ينقطع امر ذي يزن قال ومن يقطعه قال نبي زكي ياتيه الوحي من قبل العلي قال وممن هذا النبي رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك في قومه الى اخر الدهر قال وهل للدهر من اخر قال نعم يوم يجمع فيه الاولون والاخرون يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون قال احق ما تخبرني قال نعم والشفق والغسق والفلق اذا اتسق ان ما انبأتك لحق وكان من اخر كلام شق بل ينقطع برسول مرسل ياتي بالحق والعدل بين اهل الدين والفضل يكون الملك في قومه الى يوم الفصل قال وما يوم الفصل قال يوم يجزى فيه الولاة يدعى فيه من السماء بدعوات يسمع منها الاحياء والاموات ويجمع فيه الناس للميقات يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات قال احق ما يقول قال اي ورب السماء والارض وما بينهما من رفع وخفض ان ما انبأتك لحق ما فيه امض وكلام الكهان في هذا المعنى كثير وانت ترى جميعهم يخبر عن دين الاسلام بانه حق ودين الكفر بانه باطل خلاف قول

المعرض المتقدم واما ما ورد في هذا المعنى من اخبار اهل القافة واهل العلم الذين
قرؤا الكتب فمن ذلك ما ذكره محمد بن عمر الواقدي في حديث اسنده خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوما يلعب مع الغلمان حتى بلغ الردم فرآه قوم من بني مدلج
فدعوه فنظروا الى قدميه والى اثره ثم خرجوا في اثره فصادفوا عبد المطلب وقد
اعتنقه فقالوا لعبد المطلب ما هذا منك قال ابني قالوا احتفظ به فانا لم نر
قدما اشبه من قدمه التي في المقام من قدمه فقال عبد المطلب لابي طالب اسمع ما يقولون
وقالوا بينا عبد المطلب يوما جالس في الحجر وعنده اسقف نجران وكان صديقا له وهو
يحادثه ويقول انا نجد صفة نبي بقي من ولد اسمعيل هذا مولده ومن صفته كذا
وكذا واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية الحديث فنظر اليه الاسقف
والى عينيه والى ظهره والى قدميه فقال هو هذا ما هذا منك قال ابني قال الاسقف
لا نجد اباه حيا قال عبد المطلب هو ابن ابني قد مات ابوه وامه حبلى به
قال صدقت قال عبد المطلب لبنيه تحفظوا بابن اخيكم الا
تسمعون ما يقال فيه وروى عبد بن كعب بن مالك عن ابيه قال حدثنا
شيوخ من قومي انهم خرجوا تجارا وعبد المطلب يومئذ بمكة ومعهم رجل
من يهود بينما صحبهم للتجارة يريد مكة او اليمن فنظر الى عبد المطلب فقال انا
نجد في كتابنا الذي لم يبدل انه يخرج من ضئضئ هذا نبي يقتلنا وقومه قتل
عاد وخرج الترمذي عن ابي بكر بن ابي موسى عن ابيه قال خرج ابو طالب
ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في اشياخ من قريش فلما اشرفوا
على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم فخرج اليهم الراهب وقبل ذلك يمرون
به فلا يخرج اليهم ولا يلتفت قال فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم
الراهب حتى جاء فاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيد
العالمين هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له
اشياخ قريش ما علمك قال انكم حين اشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا
حجر الا خر ساجدا ولا يسجدان الا لنبي واني اعرفه بخاتم النبوة اسفل
من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم رجع وصنع لهم طعاما فلما اتاهم به

وكان في رعية الابل قالوا ارسلوا اليه فاقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم
وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه قال فبينما هو
قائم عليهم يناشدهم الا يذهبوا به الى الروم فان الروم ان رأوه عرفوه
بالصفة فيقتلونه فالتفت فاذا بسبعة من الروم قد اقبلوا فاستقبلهم
الراهب فقال ما جاء بكم قالوا جئنا ان هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق
طريق الا بعث اليه باناس وانا قد اخبرنا خبره بعثنا الى طريقك هذه قال
افرأيتم امرا اراد الله ان يقضيه هل يستطيع احد من الناس رده قالوا لا
قال فبايعوه واقاموا معه قال انشدكم الله ايكم وليه قالوا ابو طالب
فلم يزل يناشده حتى رده ابو طالب وبعث معه ابو بكر بلالا وزوده الراهب
من الكعك والزيت صلى الله عليه وسلم ومثل هذه الاخبار تضيق عن الحصر
وخرج ذكر هذا الحديث ابو عيسى الترمذي عن ابي موسى الاشعري قلت وقال
بعث بلالا معه فانه يقتضي ملك ابي بكر له في ذلك الوقت والثابت في السير
انه انما فداه من امية بن خلف حين كان يعذبه على الاسلام الا ان يكون باعه
بعد هذه القصة واما بعض اخبار الشهب التي اشار اليها الناظم فمن ذلك
ما رواه ابن عباس عن نفر من الانصار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لهم ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى به قالوا يا نبي الله كنا
نقول حين رأيناها يرمى بها مات ملك تملك ملك ولد مولود مات مولود
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك كذلك ولكن الله تبارك
وتعالى كان اذا قضى امرا في خلقه سمعه حملة العرش فسبحوا فسبح
من تحتهم بتسبيحهم فسبح من تحت ذلك فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهي الى
السماء الدنيا فيسبحوا فيقول بعضهم لبعض لم سبحتم فيقولون سبح من فوقنا
فسبحنا لتسبيحهم فيقولون الا تسألون من فوقكم مم سبحوا فيقولون
مثل ذلك الامر الذي كان يهبط به الخبر من سماء الى سماء حتى ينتهي الى السماء الدنيا
فيتحدثوا به فيسترقه الشياطين بالسمع على توهم واختلاف ثم ياتون به
الكهان من الارض فيحدثونهم به فيخطئون ويصيبون فيحدث به الكهان

فيصيبون بعضا ويخطئون بعضا ثم ان الله تعالى حجب الشياطين بهذه النجوم
التي يقذفون بها فانقطعت الكهانة اليوم فلا كهانة واختلف متى كان هذا
الرمي بالنجوم فقيل انما حدث بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم لئلا تلتبس الكهانة
بالوحي ولان ذلك اظهر للحجة واقطع للشبهة ويدل على هذا كون العرب استغربت
ذلك اذ لم يكن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم حتى فزعوا لذلك وصاروا يفزعون
الى عمرو بن امية الثقفي كان من دهاة العرب فقالوا يا عمرو الا ترى ما حدث في
السماء من القذف بالنجوم فقال بلى فانظروا فان كانت النجوم التي يهتدى بها
في البر والبحر ويعرف بها الانواء من الصيف والشتاء بما يصلح الناس في معايشهم
هي التي يرمى بها فهو والله طي الدنيا وهلاك الخلق الذي فيها وان كانت
نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا الامر اراد الله به هذا الخلق ولو كانوا
يعرفونه قبل ذلك ما انكروه وايضا انكار الجن مما يدل على حدوثها
قال تعالى حكاية عنهم وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الاية وقيل بل
كان قديما وذكره قوم من قدماء الجاهلية في اشعارهم فوصفوا الرمي بالنجوم
قال عمر بن الجزع وهو جاهلي يصف فرسا ترد عليها العرهن دون الفه
او الثور كالدري يتبعه الدم وذكره اوس بن حجر وبشر وانما انكروا كثرة
ذلك والتغليظ فيه والتشديد ولم يكن قبل ذلك قيل ويدل عليه قوله
صلى الله عليه وسلم للانصار ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى به فدل
انه كان متقدما قلت ولا دليل في هذا لان اولئك الذين سال ادركوا
زمانه ولا دته صلى الله عليه وسلم وهو من حسن وقوله ما كنتم تقولون يعني
قبل الاسلام والله اعلم ويدل عليه ايضا قوله تعالى ملئت حرسا شديدا وشهبا
فدل انه كان قبل ذلك شيء ثم كثر واشتد عند مبعثه صلى الله عليه وسلم
ليحسم امر الشياطين وتخليطهم واما سقوط الاصنام فما روى الموحدون
انه لما ولد صلى الله عليه وسلم اصبحت اصنام الدنيا كلها ذلك اليوم منكوسة
واصبح عرش ابليس ساقطا فلما راى ذلك صرخ صرخة اجتمعت اليه الشياطين
فقالوا يا سيدهم ما الذي دهاك فقال لهم محمد بن عبد الله مبعوث بالسيف

القاطع

القاطع يبطل عبادة الاصنام ويدعو الى الرحمن الذي لا نأتي موضعا من المواضع
الا وجدنا ذكره فيه ومما يناسب قوله حتى غدا ما حكى الثعالبي في تفسير سورة
الحجر ان ابن عباس قال يصعد الشياطين افواجا تسترق السمع فينفرد المارد منها
فيرمى بالشهاب فيصيب جبهته او ما شاء الله منه فيأتي اصحابه وهو يلتهب
فيقول كان من الامر كذا فيذهبون الى اخوانهم من الكهنة فيزيدون
عليها تسعا فيحدث بها اهل الارض الكلمة حق والتسع باطل فاذا راوا شيئا
مما قالوا صدقوهم بما جاؤا به من كذبهم فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من
ثلاث سنين فلما ولد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات اجمع فما منهم
من احد يريد استراق السمع الا رمي بشهاب فلما منعوا من تلك المقاعد
ذكروا ذلك لابليس فقال لقد حدث في الارض حدث فبعثهم فوجدوا
النبي صلى الله عليه وسلم يقرا القران فقالوا هذا والله الذي حدث
وانهم ليرمون فاذا توارى النجم منكم فقد ادركه لا يخطئ احدا ولكن لا يقتله
يحرق وجهه جنبه يده ومنهم من يخبله فيصير غولا تضل الناس في البوادي
واما ابرهة فكان من خبره انه كان صاحب اليمن من قبل النجاشي ملك الحبشة
فبنى كنيسة بصنعاء يقال لها القليس بالتشديد بمنزلة القبيط كذا ضبطه
الجوهري لم ير مثلها في زمانها قال الجوهري وهدمتها حمير انتهى وكان
ابرهة قد استذل في بنيانها اهل اليمن بانواع من السخر وكان ينقل اليها الرخام
المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام
وكان تحكمه في العامل ان طلعت الشمس ولم يشرع في العمل قطع يده ونصب فيها
صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والابنوس وانما سميت القليس
لارتفاع بنائها وعلوها ومنه القلانس لجعلها فوق الرؤس فلما كمل مراده من
بنيانها كتب الى النجاشي اني قد بنيت لك ايها الملك كنيسة لم ير مثلها الملك قبلك
ولست بمنته حتى اصرف حج العرب اليها فلما تحدثت العرب بكتاب ابرهة الى النجاشي
غضب رجل من النساة من بني فقيم بن عدي بن كنانة والنساة جمع ناسي وهم
الذين ينسئون الشهور على العرب الجاهلية فيحلون شهرا من اشهر الحرم ويحرمون

مطلب ابرهة

مكانه شهرا من اشهر الحل فخرج الكنانى حتى اتى القليس فاحدث فيها فاخبر بذلك
ابرهة فقال من صنعه قيل له رجل من اهل هذا البيت الذى يحجه العرب
لما سمع قولك اصرف اليها حاج العرب فغضب عند ذلك ابرهه وحلف ليسيرن
الى البيت حتى يهدمه فتجهزت الحبشة وخرجوا بالفيل فاعظمت ذلك
العرب وراوا جهاده حقا عليهم فخرج اليه من اشراف اليمن ذو نفر مع قومه
ومن اجابه من العرب فقاتله فانهزم ذو نفر واخذ اسيرا فلما هم بقتله
قال له ايها الملك عسى ان يكون بقاى خيرا لك من قتلى فتركه فلما بلغ ارض
خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمى ومن تابعه من العرب فانهزموا واسر
نفيل فلما هم بقتله قال لا تقتلنى ايها الملك فانى دليلك بارض العرب
فتركه وكان دليله حتى اتى الطائف فخرج مسعود بن معتب بن مالك الثقفى
مع رجال من قومه فقالوا له ايها الملك نحن عبيدك ليس عندنا لك خلاف
وليس بيتنا هو الذى تريد يعنون اللات انما تريد بيت مكة ونحن نبعث
معك من يدلك عليه فخرج معه ابو رغال دليلا فلما انزله المغمس مات
ابو رغال هنالك فرجمت العرب قبره فبقى رجمه سنة عندهم ثم بعث ابرهة
خيلا الى مكة فاتوا باموال منها مائتا بعير لعبد المطلب بن هاشم سيد
قريش فهمت العرب من قريش وكنانة وهذيل بقتاله ثم علموا انهم لا طاقة
لهم به فتركوه فبعث ابرهة رجلا من رجاله الى مكة وقال له قل لسيدها
انى انما اتيت لهدم هذا البيت فان لم يعرضوا الى بحرب فلا حاجة لى بدمكم
فان لم يرد حربى فاتنى به فاتى الرجل عبد المطلب وبلغه الرسالة فقال
عبد المطلب لا نريد حربه ولا نطيقه هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم
عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمته وان يخل بينه وبينه فوالله ما
عندنا دفع فقال له فانطلق معى اليه فانطلق عبد المطلب حتى اتى العسكر
فاستاذن عليه فاذن له وكان عبد المطلب اجمل الناس فلما رآه ابرهة اجله
واكرمه عن ان يجلسه تحته وكره ان تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه
فنزل واجلسه على بساطه الى جنبه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك

فقال

فسأله الترجمان فقال ان يرد على الملك مائتى بعير اصابها لى فاخبره الترجمان
فقال له قل له قد كنت قد اعجبتنى ثم زهدت فيك تكلمنى فى الابعرة وتترك
بيتا هو دينك ودين ابائك لا تكلمنى فيه فقال عبد المطلب انا رب
الابل وان للبيت ربا سيمنعه قال ابرهة ما كان ليمتنع منى قال له انت
وذاك فرد عليه الابل واتى قريشا فاخبرهم وامرهم بالخروج من مكة والتحرز
فى شعب الجبال خوفا من معرة الجيش فاخذ عبد المطلب بحلقة الكعبه وقام
معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على ابرهة فقال عبد المطلب
لاهم ان العبد يمنع رحله فامنع حلالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم
عدوا محالك ثم انطلق عبد المطلب وقومه الى شعب مكة فتحرزوا فيها فلما
اصبح ابرهة تهيا للدخول وكان اسم الفيل محمودا فلما وجهوا الفيل الى مكة
اقبل نفيل بن حبيب حتى قام الى جنب الفيل فاخذ باذنه فقال ابرك محمودا
وارجع راشدا من حيث جئت فانك فى بلد الله الحرام ثم ارسل اذنه فبرك
الفيل وضربوه ليقوم فابى فضربوه بالطبرزين فى رأسه فابى فوجهوه راجعا
الى اليمن فقام يهرول ولى الشام كذلك والى المشرق كذلك
والى مكة فبرك وارسل الله عليهم طيرا من البحر امثال الخطاطيف مع كل
طير حجر فى منقاره وحجران فى رجليه امثال الحمص والعدس لا يصيب احدا
منهم الا هلك وليس كلهم اصابت وخرجوا يبتدرون الطريق ويسألون عن نفيل
بن حبيب ليدلهم على الطريق فقال نفيل حين راى ما نزل بهم من نقمة
الله اين المفر والاله الطالب والاشرم المغلوب ليس الغالب فخرجوا يتساقطون
فى الطريق واصيب ابرهة فى جسده وخرجوا به معهم يسقط انملة انملة
كلما سقطت انملة اتبعتها منه مدة قيح ودم حتى قدموا به صنعا وهو مثل فرخ
الطاير فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه قيل واول ما رأيت الحصبة
والجدرى بارض العرب ذلك العام واول ما راى بها مرار الشجر كالحرمل والحنظل
والعشر ذلك العام وهذا اختصار قصته واما رميه صلى الله عليه وسلم
بالحصى فى وجه العسكر فانه كان فى غزوة بدر وفى حنين لانه لما دنا

بعض الناس من بعض بيد رامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه الا يحملوا
حتى يأمرهم وقال الان اكتبكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل ثم عدل رسول الله
صلى الله عليه وسلم صفوف اصحابه ودجع الى قريش ومعه منه ابو بكر رضي الله عنه
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه وما يعده من النصر ويقول
اللهم ان يهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد وابو بكر يقول يا نبي الله بعض
مناشدتك فان الله منجز لك ما وعدك ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
حفنة من حصبا فاستقبل بها قريشا ثم قال شاهت الوجوه ثم نفخهم بها
وقال لاصحابه شدوا فكانت الهزيمة وجعل الله سبحانه شان تلك الحصبا
عظيما لم تترك رجلا من المشركين الا ملأت عينيه واستولى عليهم المسلمون
ومعهم نصر الله وملائكته يقتلونهم ويأسرونهم ويجدون النفر كل واحد
منهم منكب على وجهه لا يدري اين يتوجه يعالج التراب ينزعه من عينيه
فقتل الله من قتل من صناديد قريش واسر من اشرافهم من اسر وفي مسلم
قال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه شهدت حنينا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلزمت انا وابو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب
رسول الله صلى الله عليه وسلم والح فارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم
على بغلة بيضاء فلما التقى الجمعان ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله
صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار قال عباس وانا اخذ بلجام
بغلته صلى الله عليه وسلم اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان اخذ بركابه صلى الله
عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم اي عباس ناد اصحاب السمرة فنادى
العباس وكان رجلا صيتا اين اصحاب السمرة فوالله لكان عطفتهم على
حين سمعوا صوتي عطفة البقر على اولادها فقالوا يا لبيك يا لبيك
فاقتتل القوم والدعوة في الانصار يا معشر الانصار ثم قصرت الدعوة
على بني الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته
كالمتطاول اليهم فقال صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي الوطيس ثم
اخذ صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بها وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب

محمد فذهبت انظر فاذا القتال على هيئته فيما ارى فوالله ما هو الا ان رماهم
بحصياته فما زلت ارى حدهم كليلا وامرهم مدبرا واما تسبيح الحصا فما روي
عن انس قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن في يده
حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن ومثله
عن ابي ذر وذكر انهن سبحن في كف عمر وعثمان ومثل هذا المعنى قول
ابن مسعود لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي لفظ كنا نأكل معه
صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وعن جعفر بن محمد عن ابيه
مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق فيه
رمان وعنب فاكل منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح فان قلت ظاهر النظم
ان الحصى التي رمى بها الكفار هي التي سبحت وان الرمي بها كان بعد تسبيحها
باطن كفيه وما روي عن انس انما يدل على ان الحصى سبح في كفه على الجملة
قلت ولعل الناظم اطلع على انها سبحت في هذا الموطن فان كان هذا فلا
اشكال والا كان قوله بعد لترتيب الاخبار كما قال النحاة في ثم في نحو قوله
ان من ساد ثم ساد ابوه والمعنى عند الناظم انه قصد الاخبار بخرق العادة
في كون حصى الكفين اصاب الجمع العظيم حتى لم تغادر منهم احدا ثم كان ترقي
وهذا الاخبار الغريب كان بعد اخبار آخر غريب وقع له في الحصى خارق للعادة
وهو كونه سبح في كفه او يكون هذا من التسبيح العام للاشياء الثابت في
قوله تعالى وان من شيء الآية واتى بها تنبيها على ان الحصى وغيره منقاد
لله تعالى مطيع لامره يسير حيث امره فلا يستبعد شموله اعين الكفار هذا
ان كان التقدير بعد تسبيح من الحصى على ان كلامه ليس بصريح فيه لاحتمال
ان يكون التسبيح من النبي صلى الله عليه وسلم اقتداء منه صلى الله عليه وسلم
بيونس طلبا منه للفرج ببركة التسبيح كما كان ذلك ليونس عليه السلام
وقد امره الله تعالى ان يقتدي بهم فقال اولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده او يكون تسبيحه في هذا المقام لغيره فاين مما يطول ذكره الا ان هذا
الوجه يبعده قوله ببطنهما ورأيت في بعض الشروح ان المعنى تبدأ بالحصى

من اكفا الاطيار بعد تسبيح ببطن اكفهما او نبذا بر من بطون الكفار بعد تسبيح
ببطنها ببطن الفارس انتهى ولا يخفى عليك ما في هذا الشرح من التخليط و
الكلام المختلف واما شرح حديث يونس عليه السلام في التقام الحوت
اياه ومدة اقامته في بطنه وسبب انصرافه عن قومه وركوبه السفينة
وطرحه في البحر بالقرعة وكيف نبذ واين وما نبت عليه من الشجر واسم الحوت
الذي التقمه وما خص به وغير ذلك من اخباره ففي كتب التفسير وغيرها
فلا نطيل **المعاني** اسناد العمي والصمم اليهم وان كان الله هو الذي
اعماهم واصمهم من التأدب نحو قوله تعالى حكاية عن ابرهيم واذا مرضت
وفي الحديث الخير بيديك والشر ليس اليك وان قرئنا بالبناء للمفعول
فعلى الاصل واتى بالفاء في فاعلان ايذانا بمسببية ما بعدها عما قبلها و
الاعلان والبارقة للاختصاص وال في البشاير والانذار للعهد وتقديم
المسند في فاعلان وبارقة لتقوى الحكم لان الخبر فعل وبنا سمع وشيم
للمفعول تنبيه على تمكن العمى والصمم منهم حتى كان لم يكن منهم في الوجود
من يتصف بضدهما ولذا اتى في البيتين بعده بقوله من بعد ما اخبروا بعد
ما عاينوا زيادة في تقبيح كفرهم وانه عن بصيرة وتقديم المفعول وهو الاقوام
على كاهنهم وهو الفاعل واجب لاتصال الفاعل بضمير يعود على المفعول
المقصودون بالاخبار عنهم واتى فيهم بجمع القلة تنبيها على حقارتهم وجهلهم
وعدم الالتفات اليهم وان كثروا ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما
غيرهم قل وان كثروا واضافة الكاهن اليهم للتحقير والتبري منه وكذا
اضافة دين ويوكن ووصفه بالمعوج لانها صفة ذم ونفي استقامته او
ثبوته بلم تنبيها على ان ذلك ثابت له على قدم الزمان وما الموصولة في قوله
ما عاينوا للاستعظام ما راوا من اخر الكواكب الذي عاينوه من ذلك شيء عظيم
وان كانت نكرة موصوفة فالتنكير للتعظيم اي بعد شيء عظيم وكل ذلك زيادة
تقبيح عليهم فان قلت اخر الكواكب لا تقبيح عليهم فيه لم يعلموا بسببه لكن قلت
قد اخبرهم كاهنهم به وعلى هذا فتنكير شهب للتكثير والتعظيم والنوعية وما في

ما في الارض لضد ما ثبت لما في عاينوا او تكون للتعظيم على حسب التهكم بالكفار
لاعتقادهم تعظيمها وعلى هذه التاويلات تنكير صنم وال في الافق والارض
اظهر انها للحقيقة وقوله من شهب ومن طنبه للاطناب لان فيه ايضاحا بعد ابهام
وفائدة التعبير بغدا دون غيره من الافعال المراد قرينة من لفظ الغدوة
الذي هو اول النهار ففيه تنبيه على حرصهم على الفرار والمبادرة لشدة امر ما
يلقون من رجم الشهب ومن هذا المعنى قوله اذا انكرتني بلدة او نكرتها خرجت
مع البازي على سواد اي من الليل كنى بذلك عن تبكيره بالخروج لان البازي
على ما ذكروا اسرع الطيور بكورا وظهر ان ليس الحامل على غدا اقامة الوزن كما ظن
واضافة طريق للتعريف والتشريف وقدم عن طريق على منهزم لافادة العزو
اولا ولشرفه وتنكير منهزم للتكثير والترهيب ولتعظيم امره في التمرد وللنوعية
فوصفه بمع الشياطين وفيه ابهام وفي قوله من الشياطين تفسير فهذا من
الاطناب وفي منهزم الاخير اختصار من الحذف لدلالة ما تقدم اي منهم فاشتمل
البيت على اطناب وايجاز ليكون فيه نوع تعادل وفي قوله كانهم هربا ابهام
وتفسير وكذا عسكر وما بعده واضافة ابطال للتعريف وتنكير عسكر للتكثير
والنوعيه ولم يصف عسكر الى حد من العظمة كما في ابطال اما التعظيم شان العسكر
وتعظيم ما ظهر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزيمتهم بخلاف ابطال
ابرهة فان الله اهلكهم من غير واسطة البشر فلا عجب في ذلك لانه القادر على
ما يشاء او لان العسكر كانوا قبايل متفرقين لكل قبيلة راس كما في بدر ولا في
حنين وال في الحصى للعهد على الاظهر ولولا ذلك لذكره وتقدمت فايدة بناء
رمي للمفعول وتنكير نبذا وتسبيح للنوعية واضافة نبذا الثاني للبيان والتشريف
وتنكير ملتقم لتعظيم امره واذ لا فايدة في تعريفه وانما قال ملتقم ولم يقل حوت
للقافية ولان العجب في اخراجه من بطن ملتقمه الحريص على استقراره في بطنه
ليتغذى به واطلاق الوصف حقيقة يقتضي اتصافه بملتقم حين النبذ و
انما اخرج منه كرها ولو قيل حوت لاحتمل ان يكون ميتا فلا غرابة في خروجه
من بطنه سالما وان كان فيه غرابة من غير هذا الوجه ولم يكن التعبير

باحشاء فانما محل اضيق من البطن ولما لم يكن ذلك المقصود بالحصى قد
فيه ببطنهما وايضا فانما احشاء الكف وفايدة التعبير بالمسح دون نحو
الاشعار بسبب الاخراج تفضيلا من الله تعالى لان ترتيب الحكم على الوصف
مشعر بالعلية وجعل بعضهم قوله نبذا بر من الحشو للوزن اذ تكفيه رمي
بعد تسبيح قلت ويمكن ان ينبه به على ان تلك المعجزة كانت على يده صلى الله
عليه وسلم ولو اقتصر على رمي لتوهم انه بغير اختياره البيان قوله عموا وصموا
مجازا اما من باب التشبيه فيكون استعار العمى والصمم لمن لم ينتفع بحاستهما فالجامع
عدم الانتفاع او يكون مرسلا من باب تسمية المسبب باسم سببه فان العمى
سبب في عدم الانتفاع بما يدرك بحاسته وكذا الصمم قال بعضهم وفيهما
مجاز افرادي وهو ما قررنا من الوجه الثاني وتركيبي وهو اسنادهما الى
من ليس كذلك قال وقد مثله البيانيون في نحو يذبح ابناءهم
فجعلوا اطلاق الذبح على الامر به افراديا واسناده اليه لكون الامر به
تركيبيا واعترض عليه بانه ان كان يذبح بمعنى يامر فالاسناد حقيقي فلا
مجاز تركيبي وانما يكون الاسناد مجازيا اذا بقي يذبح على حقيقته تاول
قولهم فيه مجازان افرادي وتركيبي بان ذلك على البدل قلت ولا
اعلم من نص على هذا منهم غير انهم اختلفوا في المجاز الاسنادي فمنهم من نقله
كالامام ابي عمرو ابن الحاجب وتاول كلام عبد القاهر بنفي انهم من المجاز
الافرادي ثم منهم من جعل المجاز في المسند وهو قول ابن الحاجب ومنهم
من جعله في المسند اليه ويجعله من الاستعارة بالكناية عما يصح الاسناد اليه
حقيقة والمسند هو قرينة الاستعارة وهو قول السكاكي والذين اثبتوه
منهم من لم يجعل فيه مجازا بحسب الوضع بل بحسب العقل حيث اسند الفعل
الى ما يقتضي العقل عدم اسناده اليه فهذا قول الشيخ عبد القاهر والامام
الرازي وجميع علماء البيان ومنهم من قال لا مجاز في شيء من المفردات بل شبه
التلبس بالفاعل فيكون استعارة تمثيلية هو تحقيق القول في هذه المسئلة
وقل من حرره هذا التحرير ولعل هذا القائل رأى بعض هذه الاقوال في موضع

وبعضها في اخر فاعتقد ان ذلك متفق عليه عند البيانيين فلذلك استشكل
واحتاج الى هذا التاويل وقوله اعلان البشاير يحتمل ان يكون من الاستعارة
بالكناية بان تشبه البشاير بمتكلم لم يذكر واضيف اليها من صفاته الاعلان
المنفي عنه السماع وكذا بارقة الانذار بان يشبه الانذار بشجاع ضارب
لم يذكر وذكر من ملابسه البارقة التي هي من صفات السيف المنفي عنها
انها لم تشم اي لم تعهد او يشبه الانذار بصاعقة وذكر من لوازمها البارقة
اي البرق المنفي عنه انه لم يشم اي لم ينظر اليه او يشبه الانذار بالامر العظيم
الذي يحدث انقضاض الشهب من لوازمه وكل ذلك تقدمت الاشارة اليه
في التفسير وان جعلت اعلان البشاير وبارقة الانذار من اضافة الصفة الى
الموصوف والاعلان بمعنى المعلن فليس من هذا والاصل البشاير المعلنات
والانذارات البارقة ووصف الدين بالاستقامة او الاعوجاج الاظهر انه
من مجاز التشبيه بان يشبه الامور الحقة من المعنويات بالامور المستقيمة التي
لا اعوجاج فيها من الاجسام المحسوسة والجامع السداد وعدم الميل وضدها
من الامور الباطلة بضدها وقوله كانهم هربا البيت هو من عكس التشبيه
لان اسراع الشياطين لا سيما حال فرارهم اقوى من فرار من شبههم بهم ويحتمل
ان يكون التشبيه باعتبار كثرة الهاربين فلا يكون معكوسا وهذا ان كان
هربا هو من عكس التشبيه لان الشياطين لا سيما مصدرا في موضع الحال
من اسم كان او جمع هارب وهو الاظهر واما ان جعل تمييزا لما دلت عليه الاداة
من التشبيه المحتمل فلا بد من ادعاء العكس في التشبيه لتنصيصه بالتمييز على
وجه الشبه اي كانهم في الهرب وقوله نبذ المسبح هو على التشبيه وحذفت
الاداة اي مثل نبذ ووجه التشبيه مركب من امور كون الحصى كان مقبوضا عليه
بالكف كانها سجن وكون نبذ بعد ذلك بفضا واسع بحيث اصاب عيون العدد
الكثير وكون ذلك النبذ بعد تسبيح الحصا وهو معجزة وتسبيح النبي صلى الله
عليه وسلم على ما ذكر في التفسير وكون ذلك النبذ كان عنه نصر من الله وايمان
الجمع الكثير لا سيما ان كان هو في هوازن فانهم تابوا ورجعوا الى الاسلام

وكذا يونس عليه السلام اخرج من احشاء ملتقمه الذي انضمت عليه فهو فيها
كالمسجون ثم نبذ بالعراء وهو الفضاء الواسع بعد تسبيحه ثم كانا يمان الجمع
العظيم الذي بعث اليهم فكان نبذه سببا في نصر دين الله قال تعالى فنبذناه
بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف
او يزيدون فآمنوا ومثال هذا التشبيه المركب وهو في الهيئات قول
بشار كان مثار النقع فوق رؤوسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه وتقدم في
المعاني فائدة الكناية بالمسبح وبملتقم **البديع** في اضافة الاعلان
الى البشائر والبارقة الى الانذار ونفي السمع من اعلان البشائر والشيم عن
الانذار نوع من التقسيم وهو قرن الشيء بما يلائمه ثم هذه الالفاظ ولفظا
عموا وصموا من مراعاة النظير ورجوع نفي الشيم الى العمى ونفي السماع الى الصم
من اللف والنشر المعكوس وقرب البيت من المذهب الكلامي قال بعضهم وقوله
من بعدما اخبر البيت من الاستطراد لان قصد البيت الاخبار عن الكاهن بما
اخبرهم لكن توصل به الى زيادة التقبيح عليهم قال وكذا قوله وبعدما عاينوا
البيت قلت ما جعله مستطردا هو المقصود بالذات نعم الاستطراد في قوله
المعوج ان لم يكن من كلام الكاهن وبعدان بيانا لان في يلائمه الابيات
بعد الاول تمليحا لقصة الكهان والنجوم الراجمة والشياطين المنهزمين
بها لان هذا اخبار صريح يعم التمليح في البيتين الاخيرين الى قصة ابرهة
وكفار بدر او حنين وقصة الحصى وقصة يونس وجمع الحبر الكاهن بل
والدين من مراعاة النظير وفي المعوج ولم يقم طباق وكذا في الافق والارض
وقوله افق وفوق من التجنيس الناقص المضارع ويسميه بعضهم اللاحق
وقدم وقوله من بعد البيت راجع لاعلان البشائر التي لم يسمع وقوله وبعد
البيت راجع لبارقة الانذار التي لم يشم وذلك من اللف والنشر المعكوس
وقوله في الافق من شهب موازن لقوله في الارض من صنم وقوله منهزم
اثر منهزم من التكرير وجعله بعضهم من التجنيس ولفظ غدا وطريق ومنهزم
ويقفوا اثر من مراعاة النظير وكذا لفظ الابطال والعسكر والحصى والاثر

والراجمين

والراجمين وفي قوله او عسكر بالحصى وقوله تنبذ به بعد تسبيح ببطنهما الاشباغ
وستأتي حقيقته والادماج وهو قريب منه وحقيقته ان يضمن كلام سيق
لمعنى معنى آخر كقول المتنبي يصف ليلا بالطول ثم ادمج فيه الشكاية من الدهر
اقلب فيه اجفاني كأني اعد بها على الدهر الذنوبا ومن احسنه قول ابن نباتة
ولا بد لي من جهلة في وصاله فمن لي بخل اودع الحلم عنده فانه ضمن الغزل
الفخر بكونه حليما وضمن الفخر بذلك تغير الاخوان اذ ليس فيهم من يصلح لايداع
الحلم وفيه انه لم يعزم على ترك الحلم جملة الا اذا وجد من يرد اليه اذا اودعه
اياه وهو في كلام الناظم ان قصد تشبيه الشياطين عند رجمهم بالشهب بمن
بابطال ابرهة او الكفار المنهزمين بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم ضمن ذلك معجزا من معجزاته صلى الله عليه وسلم في رميه بالحصى ثم اتبع
هذه المعجزة باخرى وهي تسبيح الحصى بكفه ومن هنا كان في قوله تنبذ
استتباع وهو المدح بشيء على وجه يستتبع المدح باخر كقول المتنبي
نهبت من الاعمار ما لو حويته لهنئت الدنيا بانك خالد ضمن وصف المدح
بالشجاعة ووصفه بالعدل اذ لا تهنى الدنيا بخلوده الا معه اذ بالعدل
صلاحها وبالجور فسادها ولفظ الاحشاء ملتقم من مراعاة النظير وقوله
من صنم من قلب الكل اذ يقرأ من آخره كما يقرأ من اوله نحو كل في فلك وارى
وفيه بموافقة انتكاس الاصنام لانقضاض الكواكب كان في البيت التفريع
الذي هو اثبات الحكم لامر بعد اثباته لآخر وقد تقدم فانه اثبت للاصنام
السقوط بعد ثبوته للكواكب وقوله تنبذ به تنبذ من التكرير وقوله تسبيح
والمسبح من تجنيس الاشتقاق والفاظ البطن والاحشاء والملتقم من
مراعاة النظير **الاعراب** كل من عموا وصموا فعل وفاعل وفعل مفعول
ان بنيا للمفعول والفاء تقدم معناها اعلان البشائر مبتدأ ومضاف اليه
وبارقة الانذار مثله ولم يسمع خبر اعلان ولم يشم خبر بارقة وانث تشم
وان كان ضميره يعود على اعلان لحصول الربط للاضافة الى مونث وتقدم
في التفسير كلام بعضهم فيه ومن بعد يحتمل ان يتعلق اما بواحد من عموا وصموا

اوبو احد من لم يسمع ولم يشم ويحتمل ان يكون خبر مبتداء محذوف اى وذلك
من بعد والاشارة الى كل ما تضمنه البيت قبله وما مخفوضة باضافة
بعد اليها موصولة او نكرة موصوفة واخبر صلة او صفة وعليهما الحذف
العايد قليل اذ تقديره به فلم يكمل شرط الحذف على تقدير الموصولية وقلته
مع الصفة بالاصالة وللسان بجعلهما نعتا لمصدر محذوف والعايد منصوب
فيكون من الكثير والتقدير من بعد الخبر الذى اخبره واظهر من هذا كله ان
تكون مصدرية اذ لا يحتاج الى ضمير على الصحيح والاقوام مفعول كما هو
فاعل ومضافا اليه وبان دينهم ان جعلت ما مصدرية يتعلق باخبر وان جعلتها
اسمية على الوجهين فهو بدل من الضمير العايد المجرور المقدر حذفه وهذا
الضمير يجوز مراعاته بعد الحذف فيبدل منه ويعطف عليه والمعوج نعت
لدين ولم تقم خبر ان وهي ومعمولها في موضع خفض بالبا مفعولا ثانيا
لاخبر لا ثالثا اذا لم يضمن اعلم تعدى الى مفعولين الثاني بحرف الجر فان ضمن معنى
اعلم تعدى الى ثلثة ويجوز ان يكون يقم مبنيا للفاعل من قام الثلاثي
واصله يقوم حذفت الواو لالتقاء الساكنين بسكون الميم جزما وحركة
عارضة او للمفعول من اقام الرباعي واصله يقام حذفت الالف لذلك
وبعد يجوز خفضه عطفا على لفظ بعد الاول ونصبه عطفا على محله
وانشد سيبويه فان لم تجد من دون عدنان والدا فلم علك لعواذل
بنصب دون وخفضه وما مثل المقدمة الا ان عايدها هنا على تقدير الاسمية
منصوب اى عاينوه والواو ضمير الاقوام وفي الافق ومن شهب يتعلقان بعاينوا
ومن للبيان والمبين العايد على ما او للتبعيض او زايدة على مذهب الاخفش
ومنقضة نعت لشهب ووفق اسم مصدر اى موافقة والعامل فعل من معناه
اى يوافق وفقا او منقضة لانه في معناه وفيه تكلف ويحتمل ان يكون من
نيابة المصدر عن ظرف المكان وعامله منقضة واجاز بعضهم ان يكون
نعتا لشهبا وحالا منه ويكون الاضافة غير محضة في نية الانفصال اى موافقة
لها وظرفا في موضع الحال جاز الا ان الاسماء لا تكون ظروفا الا مجازا لتقد

في وفق اى في مثلها وصفتها في الانقضاض شبهها بالظرف لاشتمال الصفة
على الموصوف كاشتمال الظرف على المظروف حكى ابو الحسن الاخفش عن العرب
هم هم بني فلان اى في حسبهم جعل الحسب ظرفا لاشتمالها على ذي الجثة
وهذا النوع قليل وفي كلام بعضهم ما يقتضي انه نعت لمنقضة وهو قلق
وما خفض بوفق وهي موصولة صلتها في الارض ومن صنم متعلق بمتعلق
الصلة ومن للبيان والمبين فاعل ثبت قيل او للتبعيض وجزم بعضهم
بان ما في قوله من بعد ما مصدرية لا تصلح لغيره والتي في قوله بعدنا عاينوا
بمعنى الذي ليس الا قال لان من في شهب لبيان الجنس والجنس المبين الا ما
ولو جعلت مصدرية لما كانت من الا زايدة ولا اخلاف في قول الجمهور قلت
ويصح جعلها للتبعيض مع المصدرية والاوجه المذكورة في الاولى متمكنة
هنا وقال بعضهم ان جعل منقضة نعتا لشهب لم يكن فيه دليل على انهم
راوا انقضاضها بل على انها موصوفة بالانقضاض فيحتمل انما اتصفت به
قبل معاينتهم فيكون بمعنى المضي وستتصف فيكون للاستقبال وفي الحال
قال وان جعل حالا كان نصا في انهم عاينوها وهي تنقض لانه حال من النكرة
وهذا قصد الناظم قلت والنعت ايضا ظاهر في الاتصاف بالانقضاض حال
الروية ان لم يكن نصا لان اسم الفاعل اذا اطلق فهو حقيقة في الحال اتفاقا
حتى حرف بما انه بمعنى الى متعلق بمنقضة وهو الاظهر او بعاينوا وفيه نظر
عن طريق متعلق بغدا وعن للمجاوزة واجاز بعضهم في حتى ان تكون بمعنى الفا
عاطفة فعلا على اسم في معنى الفعل وهو منقضة من نحو فاعل غدا ومن
الشياطين صفة له ويقفوا صفة اخرى او حال وانتم منهم ظرف وخفض به
وعامله يقفوا وكانهم في موضع الحال من الشياطين او من منهم وجمع ضميره
لان المراد به الجنس وهربا ان كان جمع هارب فحال من اسم كان والعامل السبه
وان كان مصدرا فهو في موضع الحال اى هاربين او ذوي هرب او هم نفس
الهرب على التاويلات في مثله وعامله ان قلنا المصدر هو الحال بنفسه
هو التشبيه وان قلنا الحال العامل المصدر المحذوف اى يهربون هربا فبين

وتقدم في البنيان احتمال كونه تمييزا وقدمه على خبر كان والاصل تأخيره نحو كان ابو يوسف ابو حنيفة فقها ابطال خبر كان وابرهة مضاف اليه وصرفه ضرورة والاصل عدم صرفه للعجمة والعلمية او عسكر عطف على ابطال وقيل على ابرهة وترمي فعل ماض مبني للمفعول وهو ضمير العسكر وسكون يائه ضرورة وبالحصى من راحتيه متعلقان بترمي وهو وما تعلق به في موضع الصفة لعسكر وباء بالحصى للتعدية ومن لابتداء الغاية وبنذا مصدر منصوب برمي نحو جلست قعودا ونجد وفاى نبذ نبذا وهو بدل من اللفظ بفعله لكنه في غير الخبر وبه يتعلق بنبذا لانه في معنى رميا وان كان نبذا بدلا من اللفظ بفعله فيختلف في عامل به فعلى قول هو المصدر الذي هو بدل وعلى قول هو المبدل منه الذي هو الفعل ولا يعمل فيه ترمي لانه عمل في بالحصى ولا يتعلق حرفا جر لمعنى واحد بعامل واحد الا ان يجعله بدلا منه فيجوز لكن فيه تعسف ومنع بعضهم ان يعمل نبذا في به وعين لذلك الفعل المحذوف قال لان المصدر عامل والمصدر المؤكد لا يعمل لكون فعله حاضرا وفي مثله يقول الزمخشري اذا جاء نصر الله بطل نهر معقل قلت قرر ذلك في قوله تعالى ثم اذا دعاكم دعوة من الارض فعلق من الارض بدعا لا بدعوة وبعد تسبيح ظرف زمان وخفض به عامله نبذا ويجوز ان يكون صفة له وقيل انه على حذف مضاف اي بعد زمن تسبيح وببطنها يتعلق بتسبيح وباؤه للظرفية ونبذ المسبح مصدر مشبه به اي مثل نبذ فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعامله نبذا الاول وهذا المصدر مضاف للمفعول لان المسبح منبوذ ومن احشاء متعلق بنبذ المسبح ومن لابتداء الغاية وقوله بطنها الافصح بطونهما لانه من باب فقد صغت قلوبكما وحذف الموصوف واقيم صفته وهو المسبح مقامه وان لم تكن الصفة خاصة لقرينة قوله من احشاء ملتقم الاشارات ما حال من مجد النبوة والرسالة اوعا نذر الحق وكفر فما استمع الى اعلان البشاير ولا الى بارقة الانذار الواضحة فقد نظر بالعجب من حال من زعم انه بهما مصدق وبما اخبر الله به على لسان رسوله من النعيم والجحيم

موثوق ثم مع ذلك لا يعمل على شاكلة المطيعين من اهل الايمان بل يداب ليله ونهاره على المخالفة والعصيان وهو مع ذلك كله مدع لله ورسوله الحب ويطمع ان ينال في الآخرة عظيم المنزلة والقرب هذا هو التناقض الظاهر والحمق البليغ

تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري في القياس بديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع

فحال هؤلاء والعياذ بالله شبيه بحال المنافقين من الكفار الذين قال الله تعالى فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار فلا اشد عمى ولا اكثر صمما ممن تيقن ما اعد الله للمطيعين من الثواب وما جهز للعصاة من العقاب ثم لا يسعى في تحصيل مقتضى ما يقرع سمعه من اعلان البشاير والترغيبات ولا يفر من مقتضى ما رأت عينه من بارقة الانذار بالمعاطب والهلكات فالمواعظ كل يوم تقرع اسماعنا لا اشتياق ولا نعتبر ببوارق الانذار من الشيب وموت الاقران كل حين نحل بنا ثم لا ننظر اليها ولا الى عاقبتها نتفكر فما منا الا من ناله مرض في كثير من الاوقات وكثير ممن مات ابوه وابناؤه فهو متوسط بين الاموات فاني يخطئه ما احاط به من فوق ومن تحت فما عذرك يا من احاط به الآفات وقربه وضوح الشيب ومرور الليالي والايام من الممات فبادر قبل ان تسمع اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير وقوله من بعد ما البينات اذ كان الكفار يستوجبون التقبيح والمذمة بمخالفتهم قول من اعتقدوا صدقه وان كان في نفس الامر كاذبا وهو الكاهن فكيف لا يستوجب ذلك المؤمن بمخالفته قول من دل العقل والنقل على صدقه وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قد اخبرنا ان طريق المعاصي معوج غير قويم وقد امره ربه جل وعلا ان ينذر اخص الناس به واقربهم اليه فقال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين فامتثل صلى الله عليه وسلم وانذر غاية الانذار فنادى في بطون قريش بطنا بطنا قابلا بجميعها يا بني فلان لا اغني عنكم من الله شيئا اشتروا انفسكم من الله حتى قال يا فاطمة بنت محمد لا اغني عنك من الله شيئا وقال للجميع اني انا العريان النذير وانا نذير لكم بين يدي عذاب شديد

وقال الا لا يجيئن احدكم يوم القيمة بعير له رغاء يحمله يقول يا محمد اغثني
فاقول لا املك لك من الله شيئا قد بلغتك الحديث وقال في حجة الوداع
الا قد بلغت بقولها ثلثا ثم قال اللهم اشهد وقال ما تركت شيئا يقربكم
من الجنة الا وقد اعلمتكم به ولا شيئا يبعدكم من النار الا وقد اعلمتكم به وقال
تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقال
تعالى مثل هذا كلما القي فيها فوج الاية روى ابن المبارك باسناده عن محمد بن
كعب القرظي انه بلغه ان اهل النار استغاثوا بالخزنة قال تعالى وقال الذين في
النار لخزنة جهنم الاية فسالوا التخفيف عنهم يوما واحدا فرد عليهم اولم تك
تاتيهم رسلهم بالبينات فقالت الخزنة فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال
فلما يئسوا من الخزنة نادوا مالكا وله مجلس وسطها وجسور تمر عليها ملائكة
العذاب يرى اقصاها كما يرى ادناها فقالوا يا مالك ليقض علينا ربك سالوا
فسكت لا يجيبهم ثمانين سنة اليوم من السنة الواحدة منها كالف سنة مما تعدون
ثم قال بعد الثمانين انكم ماكثون فايسوا منه فقالوا نصبر لعله ينفعنا كما ينفع
اهل الدنيا الصبر على طاعة الله فطال صبرهم وجزعوا فنادوا سواء علينا اجزعنا
ام صبرنا ما لنا من محيص اي من ملجأ فقال ابليس عند ذلك ان الله وعدكم
وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم الى اخر ما حكى الله سبحانه وتعالى عنه فلما سمعوا
مقالته مقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله الى خروج من سبيل فرد عليهم ذلكم
بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير
فنادوا الثانية ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون
فرد عليهم ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها الى قوله بما كنتم تعملون فنادوا
الثالثة ربنا اخرنا الى اجل قريب الاية فرد عليهم اولم تكونوا اقسمتم
من قبل ما لكم من زوال الى قوله الجبال فنادوا الرابعة ربنا اخرجنا نعمل
صالحا غير الذي كنا نعمل الى قوله من نصير ثم سكت عنهم ما شاء الله ثم
ناداهم الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون فلما سمعوه قالوا الان يرحمنا
ربنا ربنا غلبت علينا شقوتنا الى قوله فانا ظالمون فقال عند ذلك

اخسئوا فيها ولا تكلمون فانقطع رجاؤهم واقبل بعضهم ينبح في بعض واطبقت
عليهم فقال محمد بن ابي الازهر عن ابي الازهر انه ذكر له ان ذلك قوله هذا
يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون وروي ايضا ان فتى من الانصار
حبسه بكاؤه من خشية النار في بيته فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فاتاه فلما دخل عليه اعتنقه فخر ميتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
جهزوا صاحبكم فان الفرق من النار فلذ كبده وروي ايضا عن هرم بن حيان
قال ما رأيت كالنار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها اللهم يا ذا الرحمة
الواسعة اجرنا من النار وادخلنا الجنة بمنك وفضلك وقوله وبعد
ما عاينوا البيت يحتمل ان يكون اشارة الى قوله تعالى او لم ينظروا في ملكوت
السموات والارض وما خلق الله من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم
فباي حديث بعده يؤمنون واليك تامل ما تضمنته الاية الكريمة من النظر
في افاق الارض والسما ولعل الاجل قريب فلا يبعد ان يشير بالشهب الى
الادلة الدالة على تحقيق ما بشر به صلى الله عليه وسلم وانذر واولي الة
كما ان الشهب على ما هي عليه من السرعة التي هي اشد من سرعة الشياطين
حالت بينهما وبين ما ارادته من استراق السمع فلذلك هي حوادث الدهر
والاحكام الالهية السماوية اسرع نفوذا في الحيلولة بين الانسان وبين
ما يامل ادراكه من الشهوات الدنيوية التي هي كالاصنام فان ملاحظة
الانسان شهوته وعبادته اياها قد ترى على عبادة الصنم وقوله حتى غدا
البيتاى لم يزل تنهب الحوادث بعض نحو اصنام الشهوات حتى انصرف عن طريق
الحق وهو الوحي لم يبصره وصد سلوكه واثر الباقي وهو طريق الاخرة على الفاني
وهو طريق الدنيا منهزما من الشياطين المترصدين له على ذلك الطريق وقصد
الصرفة عنه فلما رأى العاقل صرف الحوادث عما يدعو اليه الشياطين وسرعة
زواله لم يلتفت الى غوايتهم فانهزموا عنه بعقوا منهزمين اثر منهزم ثم شبه
الشياطين الجن في انهزامهم عنه والملا عكس التشبيه لان غائلة شياطين
الانس اعظم لانهم يداخلون بالموافقة النوعية ما لا يداخل شياطين الجن

وجميعهم فتنة قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا الاية وقال
ويوم يعض الظالم على يديه الاية والفريقان من عذاب الله لانهم يسعون
في ايقاع العبد فيه فلذا كان ذكر الله من اقوى العدد في رد كيدهم ودفع
عداوتهم الا بذكر الله تطمئن القلوب وما عمل ادمي عملا انجى له من عذاب الله
من ذكر الله وجاء ان الشيطان جاثم على قلب ابن ادم كالضفدع واذا ذكر الله
خنس وكان التسبيح سببا في هزيمتهم لان عذاب الله يدرك العبد بسبب ذنوبه
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم لاسيما في قراءتهم فبما وهي قراءة ما عدا
نافعا وابن عامر والتسبيح له خاصية في محو الذنوب روينا في الصحيح انه
صلى الله عليه وسلم قال من قال كل يوم سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت
ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر فاذا غفرت ذنوب العبد رضي الله عنه وكشف
العذاب ونجاه من الغم فلذا اقترن التسبيح بنيل المنى في هذا المقام لكشف
عذاب الله عن المؤمنين حين ضاقت عليهم الارض بما رحبت وبثت وكشف الله
نبيه صلى الله عليه وسلم كما كشف عن يونس عليه السلام ما هو فيه من ضيق
احشاء الحوت ونجي من غمه بسبب التسبيح قال تعالى فنادى في الظلمات
ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه
من الغم وهذا ليس خاصا به لقوله تعالى وكذلك ننجي المؤمنين نجانا الله
من عذابه واجارنا من اليم عقابه وانالنا كريم ثوابه وجعلنا من الذاكرين الله
كثيرا ومن الذين اتخذوا تلاوة كتابه وتفهم اياته محادثنا وسميرا بمنه وكرمه اصل

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة — تمشي اليه على ساق بلا قدم
كانما سطرت سطرا لما كتبت — فروعها من بديع الخط في اللقم
مثل الغمامة انى سار سائرة — تقيه حر وطيس للهجير حمي

شرح الغريب المجيء الاتيان يقال جاء يجيء جيئة والاسم الجياءة بكسر الجيم
ومجيئا حسنا وهو شاذ والقياس في مصدر مثله بفتح العين ومثله في
الشذوذ محيص ومكيل ومصير واجابه اي جئت به وجاء في فجئته اجيئه
اي غالبني في المجيء فغلبته والحمد لله الذي جاء بك اي اذ جئت ولا يقال الحمد لله

الذي

الذي جئت واجاءه الى كذا الجاءه اصله من جئت قال الفراء في مثل شر ما يجيئك
الى مخة عرقوب اي العرقوب لا مخ فيه فانما يحوج اليه من لا يقدر على شيء
واصل جاء جيأ ابدلت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها الاشجار كانه
والله اعلم جمع شجر والشجر والشجرة ماله ساق من النبات وارض شجيرة وشجراء
كثيرة الاشجار وواد شجير ولا يقال اشجر وواحد الشجر شجرة ولم يجمع على
مثال الاقصبة وطرفة وحلقة وكان الاصمعي يكسره لانها مخالفة لاخواتها
وقال سيبويه في هذا الوزن انه واحد وجمع والمشجر الموضع وارض
مشجرة وهي اشجر من هذه اي اكثر شجرا منه والشجر جمع شجرة وجمع الشجر اشجار
وسمي شجرا اما لارتفاعه او لتداخل اغصانه ومنه التشاجر للاختلاف وساجدة
خاضعة ومنه سجود الصلاة والاسم السجدة بالكسر وسورة السجدة بالفتح
وسجد طأطأ راسه وانحنى والسجادة الخمرة واثر السجود في الجبهة وقوله و
وافي بها الدراهم الاسجاد هي دراهم كانت عليها صورة يسجدون لها والمسجد بفتح
الجيم وكسرها واحد المساجد وقال الفراء الفعل من نحو دخل يدخل مفتوح
المصدر والمكان الا الفاظا شذت بالكسر والفتح المسجد والمسجدان في
قول لادح بني امية لكم مسجد الله المزوران والحصى لكم قبضه من بين اثرى
واقترا مسجد مكة والمدينة والقبض بكسر القاف العدد الكثير ومن بين
اثرى اي رجل ثري اي كثير المال ورجل فقر اي معدم والمسجد بالفتح
الجبهة تصيبها ترب السجود والاراب السبعة مساجد ومشى يمشي مشيا
وتمشية ومشاة وامشاه بمعنى الساق ساق القدم وهو لكل دابة
والجمع سوق وسياق واسوق وامراة سوقا حسنة الساق ورجل اسوق بين
السوق والاسوق ايضا طويل الساقين وساق الشجرة جذعها القدم
طرف الرجل وتقدم السطر الصف من الشيء يقال بنى سطرا وغرس سطرا
والسطر الخط والسطر بالتحريك مثله والجمع اسطار ثم يجمع على اساطير والكتابة
هو في الاصل مصدر سمي به المسطور وجمع السطر اسطر وسطور وسطر يسطر
كتب واستطر مثله والمسيطر والمصيطر المسلط على الشيء ليشرف عليه وتعهد

احواله ويكتب عمله واصله من السطر لان الكتاب مسطر وفاعله مسطر ومسيطر
يقال سطرت علينا ومنه لست عليهم بمسيطر وكتب كتبا وكتابا وكتابة
والكتاب معروف وجمعه كتب وكتب وهو من الجمع والكتاب الكتبة والكتاب
ايضا والمكتب واحد والجمع الكتاتيب واكتبني هذه القصيدة املها على واكتبت
الكتاب كتبته ومنه اكتتبها واكتتب ايضا كتب نفسه في الديوان والمكتب
معلم الكتابة واستكتبه الشي ساله ان يكتبه له والمكاتبة والتكاتب بمعنى
فرع الشي اعلاه وجمعه فروع وفرع القوم شريفهم وانزل فرعه من فرع الجبل
وهو ما كان مرتفعه وفرعت راسه بالعصى علوته وبالقاف ايضا وفرعت فوق
علوتهم بشرفا وجمال وجبل فارع اطول مما يليه وفارعته اعلاه ويقال انزل
بقارعة الوادي واحذر اسفله وتلاع فوارع مشرفات المسائل وفرعت الجبل
صعدته وافرعت فيه انحدرت قال بعض العرب لقيته فارعا مفرعا اى احد
مصعد والاخر منحدر وفرعت في الجبل تفريعا انحدرت وفرعت الجبل صعدت
من الاضداد وتفرعت اغصان الشجر اى كثرت وابدعته اخترعته لا على مثال
وبديع بمعنى مبدع الفاعل ومنه بديع السموات والارض وقال الجوهري
اى مبدعها والبديع ايضا مبدع اسم مفعول وهذا المقصود هنا وابدع الشاعر
جاء بالبديع وشي بدع بالكسر مبتدع وفلان بدع في هذا الامر اى بديع
وقوم ابداع ومنه قل ما كنت بدعا والبدعة الحدث في الدين بعد الاكمال
واستبدعه عده بديعا والخط واحد الخطوط والخط خط الزاجر يخط
باصبعه في الرمل ويزجر وخط بالقلم كتب وكسا مخطط فيه خطوط
واختط الغلام نبت عذاره والمخط بالكسر عود يخط به والمخطاط عود يسوى
به الخطوط واللقم بفتح اللام والقاف محجة الطريق ووسطه وبالتسكين مصدر
لقمت الطريق وغيره اللقمة بالضم اذا سددت فمه الغمامة واحد الغمام وهي
السحاب وتداعمت السماء اى تغيرت وانى بمعنى كيف ومتى واين وهو اقرب معانيه
هنا وسار يسير سيرا ومسيرا وتسيارا فهو ساير وسايرة اى مشى وبارك
الله لك في مسيرك اى سيرك وهو شاذ لان قياسه مفعل بالفتح وسارت

وسارت الدابة وسارها صاحبها يتعدي ولا يتعدى وقولهم سر عنك اى تغافل
واحتمل واصله سر ودع عنك المراد الشك والسيرة الطريقة وسايره جاراه
فتسايرا وبينهما مسيرة يوم وسيره من بلده اجلاه ووقاه الله كل سوء تقية
ووقاية بالكسر اى حفظه منه والوقاية ايضا التي للنساء وفتح واوها لغة
والوقا والوقاء ما وقيت به شيئا ومن المادة في المعنى التقوي والتقى الواو بدل
من يا والتقاه التقية واتقى بعنبة وتقاه والتقي المتقي والاصل اوتقى فابدلت
الواو تاء وادغم ولكثرة استعمال الافتعال منه توهموا اصالة التا فقالوا
تقى يتقي كقضى يقضي وما اتقاه لله وسرج واق اى لا يعقر وفرس واق يهاب
المشي على حافره وقد وقى يقي والشجاع موقا اى موقى جدا وتوقى واتقى
بمعنى الحصد البرد والحرارة ضد البرودة والحرة ارض ذات حجارة سود نخرة
كانها احرقت بالنار والحرة بالكسر العطش واشد العطش حرة على قرة اذا عطش
في يوم بارد وكسر واحرة اتباعا والحران العطشان والانثى حرى والحرار العطاش
الوطيس حفرة تختبز فيها ويشوى وهو التنور وقد يتجوز به فيقال حمي الوطيس لشدة
الحرب ولشدة الحرب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في هوازن الان حمي الوطيس
وقال الاصمعي الوطيس الضرب الشديد بالخف وقال ابو الغوث
بالخف وغيره الهجير والهاجرة وحم اصله حمي سكنت ياؤه يقال حمي النهار
والتنور بالكسر حميا اذا اشتد حرهما وحكى الكسائي اشتد حمي الشمس
وحموتها بمعنى **التفسير** كان الناظم رحمه الله يتكلم في واضحات ادلة
نبوته صلى الله عليه وسلم حين ولادته المنبية بما ياتي بعدها ثم فتح
على الكهان كفرهم بها مع مشاهدتهم ما شاهدوا منها وذكر منها الشهب التي
رمت الشياطين ثم شبههم بما خرج بسببه مما هو فيه الى مدحه صلى الله
عليه وسلم بما ظهر على يديه من الايات الباهرة والمعجزات القاهرة احسن خروج
والطف فذكر اصحاب الفيل وهو من ارهاصات نبوته صلى الله عليه وسلم
وتمهيدا لامره باعتنا رقته بما ظهر عليهم من الاعتناء حتى دانت لهم العرب
واعتقدت شرفهم وفضلهم على ساير الناس بحماية الله عنهم ودفعه عنهم

مكر ابرهة الذى لم يكن لساير العرب بقتاله يدان وذلك سببا لتألف
قومه حسبما تضمن ذلك كله سورتا الم تر ولايلاف ثم عقب هذه الكرامة
بمثلها وهى رميه بالحصى كانه اتى بالاولى دليلا على الثانية حتى كانه يقول
قد دفع الله سبحانه وتعالى عن قومه كيد حبش الحبشة برمى الطير اياهم
بالحجارة اكراما له قبل وجوده فكيف لا يدفع عنهم جيش الكفار المقابلين
له برميه بيده المباركة ثم عقب هذه باخرى يؤكدها اى لا يستبعد تسخير
الجمادات له من الحصى وغيره فقد جاءت الاشجار لدعوته اى بدعوته اى بداية
اياها ان تأتيه لحاجته بها او دعائه اياها الى الايمان به والاول اظهر
ساجدة اى خاضعة متذللة حين دعاها او امر من يدعوها ولم يقتصر على
السجود فى مكانها حتى تقلعت وقصدت بمشيها الى مكانه صلى الله عليه وسلم
على ساقها اى قائمة معتدلة لم تمل كما هو شأن الشجر اذا اقلع وتلك الساق
لا قدم لها يعينها على المشى ويوجب اعتدالها كقدم الانسان مثلا بل ذلك
كله خرق للعادة ودليل على التأييد الالهى وان ذلك لا يكون الا لمثله
صلى الله عليه وسلم ثم اكد اعتدالها فى مشيها القويم وسلوكها سننها المستقيم
لم ينحرف يمينا ولا شمالا حتى اعتدلت اثارها فروعها الحادثة بمشيها فى الارض
او بسجودها عليها احسن اعتدال بان يشبه تلك الاشجار حين جاءت خاضعة
متذللة سطرا الذى كتبه اى لاثارها فى الارض التى هى شبيهة بالكتابة
من بديع اى مما كتبه الذى هو بديع الخط اى الخط المبتدع اما لحسنه تتميما
للاستعارة واما لانه خط لم يعهد مثله من مثلها وكتبته فى اللقم اى فى وسط
الطريق لم ينحرف يراعه اصلا وقوله مثل الغمامة البيت متفرع للابيات التى قبلها
بما يناسبها خصوصا وبما يناسب التى قبلها عموما اعنى فى تسخير الجمادات وفى
وقاية المكروه فان الغمامة هى حر الشمس وترى الحصا تقى حر الحرب فيما ارى قدس
ناظم رحمه الله والمعنى ان الاشجار فى سلوكها قصد النبى صلى الله عليه وسلم
واتيانها اياه حين كان امرها بذلك مثل الغمامة فى سيرها اى سار
النبى صلى الله عليه وسلم مظللة له واقية له من حر الهجير وهى نصف النهار

الذى يشبه فى حميه وحرارته حر الوطيس الذى هو التنور او القدر بحر تنور
ثابت للهجير حال كونه حميا او يكون اللام للوقت اى حر وطيس حمى عند الهجير
اى فى وقته ثم لا يخلو الفاظ البيت من تعقيد ولست على يقين من ثبوت
هذا البيت فى الرواية وقال بعضهم مثل فى البيت زايدة كالتى فى قوله
تعالى ليس كمثله شيء بدليل عنها بسايره ولو كانت معتمدة لقال سايرة لا
يقال انث لتأنيث المضاف اليه نحو كما شرقت صدر القناة من الدم
وذهب بعض اصحابه لانا نقول قال فى الكتاب انما جاز هذا المثال
لان المضاف فيها جزء من المضاف اليه انتهى قلت انما هذا من تأنيث المضاف
لتأنيث المضاف اليه ولحض النحاة شرط جواز ذلك بان يصح الاستغناء بالمضاف
اليه عن المضاف وبان يكون المضاف جزءه او كجزئه وهو هنا كجزئه وليس فى
بعض الكتاب حصر انه لا يجوز الا فيما كان بعضا بل انما ذكر احد المحلين الجائز ذلك
فيهما ولفظه مثل هنا كالبعض مما اضيفت اليه تنبيه انما فسرنا السجود
بالخضوع لا بالانحناء لنحرز لنا استقامة الاشجار كما قررناه وقد يقال
الاستقامة انما تطلب فى الساق خاصة ولا يقال كبت الفروع على مثل الاسطر
لا يكون مع الانحناء لانه اذا كان على نسبة واحدة يتأتى التشبيه ايضا
نعم يكون المراد بالسجود الركوع فانه الذى يتأتى مع المشى واما الذى بمعنى
وضع الجبهة على الارض فلا يتأتى معه المشى الا بتكلف فالاظهر ان المراد
الخضوع كما قلنا وقال بعضهم المثلية فى قوله فى مطلق الاعجاز وان
اختلف وجه الاعجاز فسير الشجر معجز وحده وسير الغمام انما كان معجزا لسيره
حيث سار قلت وعلى الوجه الذى قررته اولا فى شرح كلامه هما سواء انما
اخبار اجابته دعائه صلى الله عليه وسلم الاشجار فمما روينا باسانيدنا عن القاضى
ابى الفضل عياض رحمه الله فى كتاب الشفاء بسنده عن ابن عمر رضى الله عنه
قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فدنا منه اعرابى فقال يا اعرابى
اين تريد قال اهلى قال هل لك الى خير قال وما هو قال ان تشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله قال ومن يشهد لك

علي ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الواد فادعها فانها تجيبك
قال فدعوتها فاقبلت تخد الارض حتى قامت فاستشهدها ثلاثا فشهدت
انه كان قال ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة سأل اعرابي النبي صلى الله
عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال فمالت الشجرة
عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض
تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت
فدلت عروقها في ذلك فاستوت فقال الاعرابي ائذن لي اسجد لك قال
لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها قال فائذن لي اقبل
يديك ورجليك فاذن له وفي الصحيح من حديث جابر الطويل ذهب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا بشجرتين بشاطئ الوادي
فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احديهما فاخذ بغصن من اغصانها
فقال انقادي علي باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده
وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي
باذن الله فالتأما وفي رواية فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فجلست
احدث نفسي فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل والشجرتان قد افترقتا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم برأسه هكذا يمينا وشمالا وروى
اسامة ابن زيد انه صلى الله عليه وسلم سأله مكانا للحاجة فقال اما في الوادي
موضع بالناس فقال اهل من نخل او حجارة قال ارى جميع ذلك قال قل لهن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركن ان تاتين لمخرجه فاجتمعت النخلات وتزاحمت
الحجارة خلفهن فلما قضى حاجته قال قل لهن يفترقن فعاد كل الى مكانه وفي
حديث ابن مسعود رضي الله عنه اذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة
استمعوا له شجرة وعنه ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه تعالي يا شجرة
فجاءت تجر عروقها فقاقع وعن انس ان جبريل قال صلى الله عليه وسلم

وعليه ورآه حزينا اتحب ان اريك آية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت
بين يديه قال مرها فلترجع فعادت الى مكانها ومن هذا المعنى حنين
الجذع الذي كان يخطب اليه صلى الله عليه وسلم حين فارقه فقام على
المنبر الذي صنع له اخرجه اهل الصحيح ومن هذا المعنى ما في مسلم عن جابر
بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة
كان يسلم علي قبل ان ابعث يقول السلام عليك يا رسول الله اني لاعرفه
الان وهذا المعنى يكاد يبلغ التواتر او بلغه واما خبر اظلال الغمامة فقد
بعض ذلك مما اخرجه الترمذي وغيره عند قوله من بعد ما اخبر البيت
وذكر ابن اسحاق قال خرج ابو طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم
في ركب تجار الى الشام فلما نزل الركب بصرى من الشام وبها راهب
يقال له بحيراء وكانوا كثيرا ما يمرون به فلا يعرض بهم ولا يكلمهم فلما
نزلوا قريبا منه صنع لهم طعاما وذلك انه رأى وهو في صومعته غمامة
تظله صلى الله عليه وسلم من بين القوم حين اقبلوا ثم نزلوا في ظل
شجرة قريبا منه فنظر الى الغمامة حتى اظلت الشجرة وتهصرت اغصان الشجرة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم المعاني انما فصل جملة جاءت لانها
مستانفة في المعنى اذ هي تعليل للتي قبلها كما قلنا وانما قال دعوته ولم
يقل دعاتهما على انها تأول دعوة واحدة تبادر الى الامتثال ورواية
لدعوته باللام اظهر من رواية الباء لان الباء اظهر معانيها التعليل فهي
تجيء لاجل دعوته سواء دعاها بنفسه او امر من يدعوها والباء وان كان
معانيها السببية فيفيد هذا المعنى الا ان اظهر معانيها الالصاق فيوهم
قصر الاجابة على دعائه بنفسه والاول ابلغ في الاعجاز وال في الاشجار للجنس
لمجيء ذلك في الاشجار مختلفة النوع وانما عبر في السجود بالاسم وفي المشي
بالفعل لان الخضوع وصف لازم لها والمشي حادث وهو ايضا يتجدد شيئا فشيئا
وقطع جملة تمشي لانها بدل من جاءت وقوله على ساق بلا قدم من الاحرف

اذ لو لم يكن يذكره لتوهم ان يكون انخرقت فيها العادة فخلقت لها قدمات
فذكر ذلك لانها اقوى اعجازا بقوله على ساق اى واحدة تقوية لذلك المعنى
وقوله بلا قدم تقوية على تقوية والاظهر ان تنكير ساجدة وساق وقدم
للنوعية او للوحدة فى الاخيرين او للتقليل فى الاخير واضافة دعوة للتخصيص
والتشريف وتقديم اليه على ما بعده لانه صلى الله عليه وسلم هو مقصود منها
والتعبير بالفعل فى سطرت لافادة حدوث ذلك منها وقصدها اياه و
فيما كتبت للتعظيم تلك الاثار المشبهة بالكتابة يدل عليه تمييزه بقوله من
بديع ومن هنا كان من الاطناب لانه من الايضاح بعد الاجمال وقوله
فى اللقم تتميم وتقدم وجهه وقطع جملة كانما اما لانها وما دخلت عليه
حال وصفة او لانها كالتفسير لتمشى مثل ان كان منصوبا فلا اشكال وان
كان مرفوعا فوجه قطع جملته كقطع جملة جاءت وال فى الغمامة الاظهر
انها للعهد الا ان يثبت ان ذلك فى مواطن فتكون جنسية وليس ببعيد وانى
بانى المرادفة للكلمات الثلث لتقيد بمعانيها اما على مذهب من يعم اللفظ
المشترك عند اطلاقه خاليا من القراين كالشافعى واما حذرا من الترجيح
بلا مرجح وهذه اللفظة تقوى جنسية ال فى الغمامة وانى بسايرة تنبيها
على انها اعدت لذلك فهى ثابتة على ذلك مرتقبة لسيره وقطع جملة تقيه
لاستينافها الا انها فى الاظهر جواب سؤال مقدر كانه قيل لم تسير معه ومثل هذا
عند الاصوليين من مسالك العلل نحو قوله تعالى فاجتنبوه ثم قال انما يريد الشيطان
ويحتمل ان يكون لكونها بدلا من جملة سار وتمام الابحاث فى البيت لا يخفى عليك
البيان الاسناد فى جاءت ويمشى حقيقى واطلاق السجود على الخضوع
فيه خلاف قيل حقيقة لانه مشترك وقيل مجاز فيكون من الاستعارة لان الكلام
تشبيهية والتشبيه فى قوله كانما يحتمل ان يكون من الهيئات التركيبية ويحتمل
ان يكون مفردا ان كان القصد الى الاثار على نسبة معلومة وقال بعضهم انه
لما شبه الاثار بالكتابة اضاف الى ذلك استعارتين بديعتين تسمية تلك الاثار
خطا وتسمية الفروع اقلاما لان عنده ان النظم للخط بالقلم قال فقضى البيت

اربع تشبيهات انتهى وتامل هذه التشبيهات التى ذكر وتامل ما المضاف اليه
الاستعارتان وعلى اى اصطلاح هذه الاستعارة ثم ان الرواية انما هى فى اللقم
وبالقلم تصحيف وقوله وحر وطيس لا يظهر انه من المجاز فى مثل حر وطيس
ويحتمل غير هذا البديع قوله ساجدة وتمشى من الطباق والفاظ المجئ والمشى
والساق والقدم من التناسب وكذا المجئ والدعوة والفاظ السطر والكتابة
والخط كذلك ويضاف اليها القلم على ما عند بعضهم ولفظ الساق والفروع
من الطباق وسطرت سطرا من تجنيس الاشتقاق ومن التكرير ومثله فى اللقم
سار سايرة والغمامة والحر من الطباق والحنى والفاظ حر والوطيس والهجير وحمى
من التناسب وكذا الغمامة والسير الاعراب ساجدة حال من الاشجار
وتمشى كذلك ولم تقترن بواو لتصديرها بالمضارع المثبت ومن يمنع تعدد الحال
يجعله صفة لساجدة او حالا من ضميره وعلى ساق وبلا قدم يتعلقان بتمشى
او يكون بلا قدم صفة لساق وباؤه للمصاحبة وكانما حال اخرى او صفة
او جملة تفسيرية لا محل لها كما تقدم وما كافة وسطرا مفعول به لسطرت ان كان
بمعنى المسطور والا فمصدر مؤكد له وهو المفعول المطلق ولما يتعلق بسطرت
اذ الفعل اولى بالعمل ويجوز ان يكون صفة لسطرا ان كان مفعولا به وما موصول
اسمى صلتها كتبت وعايدها محذوف اى كتبته وكتبت يتعلق بمن وفى ويحتمل
كونها مصدرية كما اجاز بعضهم ومن على الاول للبيان وعلى الثانى للتبعيض
وفروعها فاعل كتبت ومضاف اليه ومثل ما منصوب حال من فاعل تمشى وكانما
البيت اعتراض فى بعض الوجوه او مرفوع خبر مبتداء مضمر اى امرها مثل والاصح
مثل واى ظرف زمان ان ضربت بمعنى ومكان ان ضربت باين او حال او ظرف
على الرايين ان ضربت بكيف وعلى كل حال فهى اسم شرط والعامل فيهما جوابها
على المختار وهو محذوف لدلالة المعنى عليه اى سارت وسايرة على هذا
خبر مبتداء مضمر اى وهى سايرة معه او منصوب على الحال من ضمير سارت المقدر
او من الغمامة والعامل فى مثل من التشبيه وعلى هذا فالشرط وجوابه المقدر
اعتراض بين الحال وصاحبها وسار فى موضع جزم بالشرط ويحتمل ان يكون

حذف فجواب الشرط مع مبتداء وسايرة خبره اى فهى سايرة معه نحو قوله
بنى تعل لا تنكحوا العانس بها بنى تعل من ينكح العنس ظالم اى فهو ظالم وتقيه
فعل مضارع فاعله ضمير يعود على الغمامة والهامفعوله وهى عايد عليه
صلى الله عليه وسلم والجملة صفة لسايرة او حال من الضمير المستكن فيه
او من الغمامة حر وطيس مفعول ثان لتقى ومضاف اليه وحمى فعل ماض وفاعله
ضمير الوطيس الجملة صفة له للهجير يتعلق بحمى ولامه للتعليل او للظرفية
وهو صفة لوطيس ويحتمل ان يكون حمى فى موضع الحال من الهجير اى
وقد حمى ويحتمل ان يكون حمى اسم فاعل فيكون نعتا للهجير الاشارة
اذا كانت الاشجار التى هى من جملة الجمادات ولم تحمل من الامانة شيئا
كما حملت الارض والسموات تبادر لامتثال امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وان دعاها بدعوة واحدة فلا تتوانى فى الامتثال حتى تخرج جذرها
فما اشد غفلة المكلف العاقل مع تحمله الامانة الذى دل عليه انه ظلوم
جاهل بتمادى على عدم الامتثال ولا يلازم السجود لربه ولو فى ليلة
من الليالى مع انه يدعى اليه فى اليوم خمس مرات ويسمع قوله تعالى واذا
قيل لهم اركعوا لا يركعون وتأمل قول الاعرابى ائذن لى ان اسجد لك
لما رأى من سجود الشجرة فرأى انه احرى بذلك حتى اعلمه صلى الله عليه وسلم
ان ذلك لا يكون الا لله ولو كان ينبغى لمن له على الآخر حق الانعام وهو
واسطه لكان للرجل على امرأته لكثرة ماله عليها من الحقوق ومكان
السجود من الدين عظيم فانه تعفير اعز اعضاء الانسان واشرفها وهو
وجهه واعزه فى اذل الاشياء واحقرها وهو التراب ولشرف منزلته
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للذى ساله ان يكون رفيقه
فى الجنة اعنى على نفسك بكثرة السجود وقد سبق ما كان من تورم قدميه
صلى الله عليه وسلم مع كثرة القيام فينبغى للخايف من عذاب ربه ان يبادر
لامتثال ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيلازم السجود
ويقوم على ساق العبودية وان لم يكن له قدم كما قامت الشجرة على ذلك

بل يقال ان تلك الشجرة جاءت ساجدة تمشى على فروعها فكذا الانسان
يجيب دعوة ربه ماشيا ولو على رأسه ووجهه ويسعى فى زيارة قبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولو على وجهه من الله علينا بالوصول الى ذلك المقام
بمنه وفضله ولقد ردد تميم الدارى رضى الله عنه قايما ليلة باية يرددها
حتى اصبح وكاد وبركع ويسجد ويبكى وهى ام حسب الذين اجترحوا
السيئات ان نجعلهم الاية وقالت امرأة مسروق عنه كان لا يوجد الا
وساقاه قد انتفختا من طول الصلوة وان كنت لابكى رحمة له وقال
يحيى بن كثير واها للنواحين على انفسهم قبل يوم القيمة وقال ابو الاحوص
ما بال هؤلاء يامنون ما كان اولئك يخافون وقوله كانما سطرت البيت
اشارة الى ان المطلوب من المكلف الاستقامة وان لا يميل عن الحق يمينا
وشمالا بل يسير معه لمن يكتب على السطر ولصعوبة هذا الامر لم تتحمل الجمادات
الامانة ولما لم تستطع الشجرة المخالفة حين دعيت على سبيل التكليف ولم
يكن عرضا كما عرضت الامانة على السموات والارض استعملت الاستقامة
فيما امرت به حتى كانما كانت تسير على طريق مسطور فاذا كان هذا حال الشجرة
فيما كلفت به من الاتيان قصد النبى صلى الله عليه وسلم فكيف بمن دخل
تحت عهدة الامانة والاستقامة درجة بها كمال الامور وتمامها وبوجودها
حصول الخيرات ونظامها قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم
استقاموا قال الصديق رضى الله عنه اى لم يشركوا وقال الفاروق رضى الله عنه
اى لم يروغوا روغان الثعالب وفى الصحيح ان رجلا قال يا رسول الله دلنى
على عمل يدخلنى الجنة فقال صلى الله عليه وسلم قل امنت بالله ثم استقم
وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه صلى الله عليه وسلم
قال استقيموا ولن تحصوا واعلموا ان خير اعمالكم الصلوة ولن يحافظ على الوضوء
الا مومن ومن امارة استقامة اهل البداية ان لا يشوب معاملتهم فترة و
المتوسطين ان لا تصحب منازلهم وقفة والمنتهين ان لا تدخل مواصلتهم
حجبة وقال الدقاق الاستقامة مدارج التقويم وهو من حيث تاديب النفوس

ثم الاقامة من حيث تهذيب القلوب ثم الاستقامة من حيث تقريب الاسرار
وقال ابو علي الجوزجاني كن صاحب الاستقامة لا طالب الكرامة فان نفسك
متحركة في طلب الكرامة وربك يطالبك بالاستقامة وقال ابو علي الشتري
رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله روي عنك
انك قلت شيبتني سورة هود فما الذي شيبك فيها اقصص الانبياء وهلاك
الامم فقال لا ولكن قوله تعالى فاستقم كما امرت وقال الواسطي الخصلة التي
بها كملت المحاسن وبفقدها قبحت هي الاستقامة وقيل لا يطلبها الا الاكابر
لانها الخروج عن المعهودات والقيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق
وكذا قال صلى الله عليه وسلم ولن تحصوا والاستقامة توجب دوام الكرامة
لقوله تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا ولم يقل
سقيناهم دون اسقيناه جعل له سقيا فهو اشارة على الدوام وقوله مثل النعام
البيت اشارة الى ان الاستقامة انما يكون باتباع اثار رسول الله صلى الله
عليه وسلم والتزام سنته كاتباع الغمامة اياه في سيرها حيث سار ثم فعل
ذلك فقد وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حرارة ما يجد من الحزن على امته
ان عصوا كما تقيه الغمامة من حر الهجير فان اعمالهم تعرض عليه بعد موته فان راى
حسنا حمد الله وان راى قبيحا استغفر لهم وورد معناه في الحديث
ولا يبعد ان يكون هذا مما يحتمل معنى قوله صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم
ومماتي خير لكم اللهم انلنا الكرامة بتوفيقنا الى الاستقامة واهدنا
الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين امين

اقسمت بالقمر المنشق ان له … من قلبه نسبة مبرورة القسم
وما حوى الغار من خير ومن كرم … وكل طرف من الكفار عنه عمي
فالصدق في الغار والصديق لم يرما … وهم يقولون ما بالغار من ارم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على … خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله اغنت عن مضاعفة … من الدروع وعن عال من الاطم
ما سامني الدهر ضيما واستجرت به … الا ونلت جوارا منه لم يضم

ولا التمست غنى الدارين من يده … الا استلمت الندى من خير مستلم

شرح الغريب اقسمت حلفت من القسامة وهي الايمان يقسم على الاولياء في
الدم والقسم بالتحريك اليمين وكذا المقسم وهو المصدر كالمخرج وهو ايضا زمن
موضع القسم والقمر يسمى بذلك بعد ثلاث ليال الى اخر الشهر لبياضه والامتنا
ولانه يقمر الاعين اي كغلبها بنوره ونقل الجوهري تصغيره ولا ينبغي وتقمر به
اتيته في القمر وتقمر الاسد طلب الصيد في القمر والاقمر الابيض يقال
حمارا وسحاب اقمر وليلة قمراء مضيئة واقمرت ليلتنا اضاءت واقمرنا طلع
علينا القمر والمنشق اسم مفعول من شققته فانشق اذا قسمته وهذا
شقيق هذا اذا انشق الشيء بنصفين فكل منهما شقيق الاخر ومنه الاخ الشقيق
والشقيقة الفرجة بين الجبلين من جبال الرمل تنبت العشب والجمع شقائق
وشقائق النعمان معروف واحده وجمعه سواء فاضيف الى النعمان لانه حما
ارضا كثرت فيها ذلك وشق العصا فارق الجماعة وانشقت العصا تفرق
الامر وشق بصر الميت نظر الى شيء لا يرتد اليه طرفه قال ابن السكيت
ولا يقال شق الميت بصره وهو الذي حضرته الوفاة والاشتقاق اخذ
شق الشيء وهو نصفه وشققت الحطب وغيره فتشقق النسبة القرب
والمشاكلة وقد يضم نونه وتقدم بر في يمينه امضاها على الصدق ويمين
مبرور فيها وتقدم والمعنى مصدوق في القسم بها او بارة اليمين اي صادقة
لحجاب مستور اي ساتر حوى جمع يقال حواه يحويه حيا اي يجمعه واحتواه
مثله واحتوى على الشيء اي الما عليه ويحوى اجتمع واستدار ومنه تحوى
الحية والغار كالكهف في الجبل والجمع الغيران والمغار والمغارة مثله وربما
سموا مكانس الظبا مغارا وتصغير الغار غوير وفي المثل عسى الغوير ابؤسا
قال الاصمعي اصله غار انهار على الناس او قتلوا فيه فصار مثلا لكل شيء
يخاف ان ياتي منه شر وقال ابن الكلبي الغوير ما كلب معروف وهذا المثل
تكلمت به الزبا لما تنكب قصير اللخمي بالاجمال الطريق المنهج واخذ على
الغوير والغاران البطن والفرج والغار هنا هو الذي اختفى فيه رسول الله

صلى الله عليه وسلم من المشركين حين هاجر من مكة الى المدينة وهو جبل
يسمى ثورا بالثاء المثلثة وهو باسفل مكة والخير بكسر الخاء قال الجوهري
الكرم فلتين ويشبه من يفسره بكرم النفس وعلى كل تقدير ففيه تكرار مع قوله
ومن كولا الا ان يفسر كرم النفس بالاخلاق الحميدة والكرم بالجود فيتغايران
على التفسير الثاني تغاير الاعم والاخص وهو عند شيخنا ابي العباس القصار
والخير بفتح الخاء الذي هو ضد الشر والكرم تقدم الطرف العين وتفسيره
بالبصر قلق لان البصر المعنى ولا يوصف بالعمى ولا يجمع الطرف لانه في الاصل
مصدر فيكون واحدا وجماعة قال تعالى لا يرتد اليهم طرفهم والكفار
جمع كافر اسم فاعل من الكفر ضد الايمان ويجمع ايضا كفرة وكفار كتاجر وتجار
وجمع الكافرة كوافر والكفر ايضا جحود النعمة ضد الشكر وقد كفره
كفورا وكفرانا وقوله تعالى فابى الظالمون الا كفورا قال الاخفش
جمع كفر كبرد وبرود والكفر بالفتح التغطية وقد كفرت الشيء اكفره بالكسر اي
سترته ورماد مكفور غطته الريح بالتراب والمادة طويلة متشعبة
فليقتصر على هذا عمي يعمى فهو اعمى اذا لم يبصر وتقدم فالصديق وهو النبي
صلى الله عليه وسلم اي ذو الصدق لحذف المضاف والصادق ضد الكاذب
وصدق في الحديث وصدقه الحديث وصدقوهم القتال وتصادقوا الحديث
وفي المودة والمصدق الذي يصدقك في حديثك والصديق مثل الفسيق الدائم
التصديق ويكون الذي يصدق قوله بالعمل والمراد به هنا ابو بكر رضي الله عنه
وقد جمع بين التفسيرين واسمه عبد الله بن ابي قحافة وكان اسمه في الجاهلية
عبد الكعبة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله واسم ابي قحافة
عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة واسمها سلمى وقال
ابن دأب هي ام الخير عند اسمها ولم يختلف في شهوده بدرا ولم يفارق رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخذ من اصحابه في هجرته غيره وكان مونسه في الغار
الى ان خرجا مهاجرين وهو اول من اسلم من الرجال واول من صلى مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في قول طائفة ولقب عتيقا قيل لجماله وعتاقة وجهه

والعتيق

والعتيق الحسن وقيل لانه نسبه لا شيء فيه يعاب به وقيل لقوله صلى الله
عليه وسلم من سره ان ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى هذا وسئل ابن عباس
اي الناس كان اسبق اسلاما فقال اما سمعت قول حسان * اذا تذكرت
شجوا من اخي ثقة * فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا * خير البرية اتقاها
واعدلها * بعد النبي واوفاها بما حملا * والثاني التالي المحمود مشهده
واول الناس منهم صدق الرسلا * ويروى انه صلى الله عليه وسلم
قال لحسان هل قلت في ابي بكر شيئا قال نعم وانشده الابيات ورابعا
وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به اذ اصعد الجبلا فسر صلى الله
عليه وسلم وقال احسنت ويروى فيها وكان حب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد علموا خير البرية لم يعدل به رجلا ولقبه صديقا وهو من ابنية المبالغة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخبره من الاسرار ويصف له بيت المقدس وابو بكر يقول صدقت اشهد انك رسول الله
حتى انتهى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت يا ابا بكر الصديق وقيل
لمبادرته الى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به وكان في الجاهلية
من رؤساء قريش واليه كانت الاشناق وهي الديات وان حمل شيئا قالت قريش
صدقوه وامضوا حمالته وحمالة من قام معه وان احتملها غيره خذلوه
ولم يصدقوه واسلم على يديه الزبير وعثمان وطلحة وابن عوف رضي الله عنهم اجمعين
وانفق في سبيل الله وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين الفا وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نفعني مال ابي بكر واعتق سبعة عذبوا في الله
منهم بلال وعامر بن فهيرة وفي حديث التخيير قال علي فكان صلى الله عليه وسلم
هو المخير وكان ابو بكر اعلمنا به وقال صلى الله عليه وسلم فيه دعوا لي صاحبي
فانكم كذبتموني وصدقني وقال في كلام الذئب والبقرة امنت به انا وابو بكر
وعمر وما هما ثم علما بما كانا عليه من اليقين وقال لعمرو بن العاص حين
سأله من احب الناس علي في صحبته وماله ابو بكر ولو كنت متخذا خليلا
لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لا يبقين في المسجد خوخة الا خوخة

ابي بكر وقال للنبي صلى الله عليه وسلم وهما بالغار لو ان احدهم
نظر الى قدميه لابصرنا فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقال
بعضهم في مجلس القاسم بن محمد بن ابي بكر رضي الله عنه والله ما كان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم في موطن الا وعلي معه فيه فقال القاسم يا اخي لا تحلف
قال هلم قال بلى ما لا ترده قوله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار
واستخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على امته بعده بما ظهر من
الدلايل على محبته وبالتعريض القايم مقام التصريح وانما لم يصرح لانه
لم يؤمر فيه بشي وقال صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي ابو بكر
وعمر واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد ابن ام عبد وقال علي خير هذه
الامة بعد نبينا ابو بكر وعمر رضي الله عنهم اجمعين وعنه يرحم الله
ابا بكر كان اول من جمع ما بين اللوحين وقال مسروق حب ابي بكر
وعمر ومعرفة فضلهما من السنة وكان ابو بكر رضي الله عنه نحيفا ابيض
خفيف العارضين اجنى لا يستمسك ازاره يسترخي عن حقويه معروق
الوجه غاير العينين ناتي الجبهة عاري الاشاجع بهذا وصفته ابنته عايشة
رضي الله عنها بويع له يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم في سقيفة
بني ساعدة ثم بيعة العامة يوم الثلثا من ذلك اليوم وتخلف عن بيعته
جماعة ثم بايعوا الا سعد بن عبادة معاذ فقال وعلي لا يفضلني احد على ابي بكر
وعمر الا جلدته حد المفتري وسمع ابو قحافة صيحة بمكة فسأل فقيل قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال امر جليل فمن ولي بعده قالوا ابنك
قال ورضيت بنو عبد مناف وبنو المغيرة قالوا نعم قال لا مانع لما اعطى الله
ولا معطي لما منع الله ومكث في خلافته سنتين وثلثة اشهر الا خمس ليال
وقيل وثلثة اشهر واثنى عشرة ليلة من متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل وعشرة ايام وقيل وعشرين يوما فاظهر الله به دينه وقيل على يديه
وبركته كل من ارتد عن دين الله حتى ظهر امر الله وهم كارهون وسبب موته
قيل اغتسل في يوم بارد فحم ومرض خمسة عشر يوما وقيل كان به طرف

من السل

من السل وقيل سم وسمعت من يقول مات من لدغ الحية التي لدغته في الغار
وقال ابن اسحاق توفي يوم الجمعة لتسع بقين من جمادى الاخرة سنة
ثلاث عشرة وقال غيره عشي يوم الاثنين وقيل ليلة الثلثا وقيل عشي
يوم الثلثا لثمان بقين من جمادى الاخرة وهو قول اكثرهم وغسلته زوجته
اسما بنت عميس بوصيته وصلى عليه عمر ونزل في قبره هو وعثمان وطلحة وعبد الرحمن
بن ابي بكر رضي الله عنهم اجمعين ودفن ليلا في بيت عايشة مع النبي صلى الله
عليه وسلم وسنه ثلث وستون وغير هذا لا يصح ونقش خاتمه نعم القادر
الله الزبير ابن بكار وقال غيره عبد ذليل لرب جليل قلت كذا ذكر الحافظ
ابو عمر بن عبد البر والذي في صحيح البخاري ان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذي كان نقشه محمد رسول الله في ثلثة اسطر هو كان خاتم ابي بكر ثم عمر
ثم لعثمان حتى سقط منه في بير اريس لا ان يكون اتخذ معه غيره وقال
عبد الملك بن مروان للزهري رأيت هذه الابيات التي عن ابي بكر فقال
لم يقلها لان عروة حدثني عن عايشة ان ابا بكر لم يقل بيت شعر في الاسلام
حتى مات وانه كان قد حرم الخمر في الجاهلية هو وعثمان رضي الله عنهما
ومما قيل في ابي بكر رضي الله عنه قول ابي الهيثم بن التيهان واني لارجو
ان يقوم بامرنا ويحفظه الصديق والمرء من عدي اولاك خيار الحي
فهو ابن مالك وانصار هذا الدين من كل معتد وقال فيه ابو محجن
الثقفي وسميت صديقا وكل مهاجر سواك يسمى باسمه غير منكر
سبقت الى الاسلام والله شاهد وكنت جليسا بالعريش المشهر
وبالغار اذ سميت بالغار صاحبا وكنت رفيقا للنبي المطهر
لم يرم اي لم يبرح فقال لا اريم من مكاني اي لا ابرح وارم بفتح الهمزة
وكسر الراء ولا يا وبين الراء والميم بمعنى احد وبالياء ايضا ابو زيد يقال ما
اريم وما بها ارم اي ما بها احد قال لا دار للاسماء بالغمرين ماثلة كالوحي
ليس بها من اهلها ارم وهو من الالفاظ التي لا تستعمل الا في النفي كاحد
ودياد وغريب في الفاظ كثيرة ظنوا من الظن وهو الذكر النفسي الذي يحتمل

متعلقه النقيض احتمالا مرجوحا فالطرف الراجح هو الظن والمرجوح الوهم وقد يرد بمعنى العلم والتظني اعمال الظن واصله التظنن ابدل من احدى النونات ياء ومظنة الشيء بالكسر موضعه الذي يظن كونه فيه والجمع المظان والدين المظنون لا يدرى انقضاؤه وهو الظنون السي الظن الحمام بفتح الحاء عند العرب ذوات الاطواق من نحو الفواخت والقماري وساق حر والقطا والوراشين واشباه ذلك يقع على الذكر والانثى لان الهاء انما دخلته على انه واحد من جنس لا للتانيث وعند العامة ايضا الدواجن فقط الواحد حمامة ومن ابيات الكتاب قواطنا مكة من ورق الحمى يريد ورق واصله الحمام فحذف الميم وابدل الالف ياء وقيل حذف الالف كما يحذف الممدود فاجتمع الميمات فلزمه التضعيف فقلب احدهما ياء كما قالوا تظنيت وجمع الحمامة حمام وحمامات وحمايم وربما قالوا حمام للواحد واما اليمام فهو الحمام الوحشي وهو ضرب من طير الصحرا قاله الاصمعي وقال الكسائي الحمام هو البري واليمام هو الذي تالف البيوت والعرب عندنا اليوم بالمغرب على ما قال الاصمعي والعنكبوت الناسجة والبرية الخلق واصوله عكب تذكر وتونث والغالب عليها التانيث والجمع العناكب العنكبا العنكبوت والبرية الخلق وتقدم وهو اما من برا الله الخلق فتكون لامها همزة فقلبها ياء وادغم واما من البرء وهو التراب فيكون لامها ياء وقال نسجت العنكبوت نسجها وانسجته ونسج الثوب ينسجه وينسجه نسجا والصنعة نساجة والموضع منسج بكسر السين وفتحها والمنسج بكسر الميم الاداة التي يمد عليها الثوب لينسج ونسجت الريح الربع تعاورته ريحان طولا وعرضا كالناسج يعترض النسجة قيلهم ما طال من السدى وضربت الريح الماء فانتسجت له تلك الطرايق ونسج وحده لا نظير له واصله الثوب الرفيع لا ينسج على منواله غيره واصل يحم يحوم فحذفت الواو لالتقايهما ساكنة مع الميم الساكنة للجزم وهو مضارع حام الطاير وغيره حول الشيء يحوم حوما وحوما نا اي دار والوقاية الحفظ وتقدم اغنت قيل من اغنيتك عن هذا الامر اي اجزاتك عنه وقال

الجوهري اغنيت عنك مغنى فلان ومعناه بفتح الميم فيهما وضمها اي اجزات عنك مجزاه ومجزاه وما يغني عنك اي ما يجزي عنك وما ينفعك وغني به عنه غنية وغنيت المراة بزوجها غنيانا استغنت به فهي غانية وهن غوان والغنى مقصور اليسار غني فهو غني وتغنى استغنى واغناه الله وتغانوا استغنى بعضهم عن بعض والغناء بالفتح والمد النفع والمضاعفة الدرع التي نسجت حلقتين حلقتين والدروع جمع كثرة واحدها درع الحديد وجمع في القلة ادرع وادراع وهي موثنة وتصغيرها دريع وهذا شاذ وقياسه بالهاء وحكى فيها ابو عبيدة معمر ابن المثنى التذكير والتانيث ودرع المراة قميصها مذكر والجمع ادراع وادرعت فتعلت منه ودرعتها تدريعا البستها اياه وقولهم شمر ذيلا وادرع ليلا اي استعمل الحزم واتخذ الليل جملا والمدرع والمدرعة واحد والدراعة واحد الدراريع وادرع لبس الدرع وتدرع لبسه او المدرعة ومدرع لبس المدرعة وهي لغة ضعيفة ورجل دراع عليه اي ذو درع كلابن والعالي المرتفع من علا يعلو وفروع المادة كثيرة ولامه واو ولا يوجد في الاسماء ما آخره واو وقبلها ضمة فان ادى اليه قياس رفض فقلب الواو ياء والضمة كسرة فلذا صار عال واصله عالي فاستثقلوا الضمة او الكسرة على الياء فحذفوا الحركة فحذفوا الياء لالتقائها ساكنة مع التنوين والاطم بضم الهمزة والطا وقد يسكن الطا الحصن والجمع اطام وقال الجوهري وهو حصون لاهل المدينة قال بثا لجود لهم في الارض تقتلهم ما بين بصرا الى اطام نجرانا والواحدة اطمه كاكمه وباليمن حصن يعرف باطم الاضبط وتاطم السيل ارتفعت في وجهه كالامواج ثم يكسر بعضها على بعض سامني ضنيما اي ولاني ذو ايراد عليه يقال سمته خسفا اي وليته اياه واردته عليه قال اذا سمته وصل القرابة سامني قطيعتها تلك السفاهة والظلم الضيم الظلم ضامه يضيمه واستضامه فهو مضيم ومستضام اي مظلوم وقد ضمت اي ظلمت على ما لم يسم فاعله وضيم بالكسر وبالضم وبالاشمام استجرت اعتصمت وقد

ان تجيرني ويحتمل ان يكون المطلوب هو الله جل جلاله اي استجرت بالله من
ذلك الضيم به اي بسبب النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون الباء
زايدة في المفعول اي استجرت النبي صلى الله عليه وسلم اي طلبته ان يجيرني
والاول هو الحقيقة والثاني مدح والجار من اجرته من ان يظلمه
ظالم واستجاره من فلان فاجاره منه واجاره الله من العذاب انقذه
ونلت منه خيرا اي اصبته ونال ينال نيلا اصاب واصله نيل ينيل كتعب
يتعب واناله غيره والامر منه نل بفتح النون فاذا اخبرت عن نفسك كسرت
والجوار بكسر الجيم وهو الافصح وبضمها المجاورة وهو القرب وتقدم ولم
يضم اي لم يظلم والتمست طلبت والالتماس الطلب والتلمس التطلب مرة
بعد اخرى والملامسة بالضم الحاجة المقاربة والغنى بكسر الغين مقصود
واليسار ضد الفقر وتقدم الان والدارانا الدنيا والاخرة واستلمت الحجر
لمسته اما باليد او بالفم وقد يحوز بر فيقال استلمت معروفه اي تناولته
باليد ولا يهمز لانه ماخوذ من السلام وهو الحجر كما سنوق الحمل وبعضهم
يهمز الندا والجود والكرم قيل منقول من الندى الذي هو القطر ورجل ندي
جواد وفلان اندى من فلان اي اكثر خيرا منه ويتندى على اصحابه يتسخى
ولا تقل ينْدى عليهم وتندوت حدث وسن للناس الندا فندوا وفلان ندي
الكف اذا كان سخيا وخير مستلم اي من خير مطلوب منه الالتفتين ما تضمنه
هذه الابيات من المدح مناسب لما كان فيه قبل اما البيت الاول فمناسبته
من وجهين الاول لما تضمن من الاخبار عن انشقاق القمر له صلى الله عليه وسلم
اي وكما سخرت له الجمادات الارضية السفلية فكذلك الجمادات السماوية
العلوية فالقمر انشق له كما تضمن ذلك القران العظيم والاثار الكريمة والشمس
اوقفت له كما ورد في الحديث الثاني انه كان يخبر عن علامات نبوته قبل الولادة
وانما ذكر الاشجار وغيرها بالعرض كما قدمنا فتضمن هذا البيت الاخبار عن
بعض العلامات بعد الولادة وفي زمن الصغر وهو شق قلبه صلى الله عليه وسلم
واخراج حظ الشياطين منه كما تقدم ان ذلك كان وهو في بني سعد

واما مناسبة ما بعد البيت الاول فلانه اخبار عن تسخير بعض الحيوانات وذلك
الحمام والعنكبوت وكانهما من الاشياء التي بين السماء والارض لان الطير
من الحمام وغيره مسخر في جو السما ويلحق به العنكبوت فان غالب سكناه السقف
وما اشبهها من المرتفع عن الارض بل ربما بقي متعلقا في الهوى ببعض
خيوطه التي تنسج بها بيته فهو شبيه بالطاير ومعنى الابيات انه اخبر
عن نفسه انه انشاء الحلف بالقمر الذي انشق لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حين دعا قريشا الى ان يريهم تلك الاية وهو اما قسم بالقمر على عادة الادباء
واما على تقدير مضاف اي برب القمر وجواب القسم اعني ما حلف عليه الاظهر
ان يكون قوله بعد سامني الى اخر البيتين وما بينهما جمل اعتراضية
ويحتمل ان يكون الجواب قوله ان له والمعنى اقسمت بالقمر المنشق لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ان للقمر من قلب المومن صلى الله عليه وسلم نسبة فان
شق قلب النبي صلى الله عليه وسلم اكرام له فهذه هي النسبة التي هي للقمر من قلب
النبي صلى الله عليه وسلم وايضا فان القلب انما شق وغسل ليتمكن فيه
معارف النبوة وصفاتها ثم يظهر ذلك للناس بعد فكذا القمر انما شق
ليظهر النبوة وتقرر للمكلفين وايضا فان القمر نوره يتلألأ وقلبه
صلى الله عليه وسلم انور منه واصفى ولذا قال صلى الله عليه وسلم
اريكم من خلفي كما اريكم من امامي ولاجل انه انور من القمر جعل النسبة
للقمر من قلبه ولم يجعل النسبة لقلبه من القمر فهذه وجوه من المناسبة
وايضا ورد ان القمر انشق مرتين وقلبه صلى الله عليه وسلم كذلك على ما ننبه
عليه ان شاء الله تعالى عند قوله لا تنكر الوحي وليست المناسبة بينهما
الجمال والشرف كما ظن من خفي عليه ما اراد الناظم بالنسبة بينهما حتى اعترض
بان قال ان هذه النسبة بين جماله والقمر لا بينه وبين القلب فكان
اللايق ان يقول من حسبه وقوله مبرورة القسم قالوا انه نعت للنسبة
اي هذه النسبة مبرورة قلت ولا يخفى ما فيه من التكلف لكن دعت اليه
حاجة تصحيح الكلام ولو رفع مبرورة على انه خبر مبتدا محذوف

اى يمنى مبرورة القسم لكان اقرب وقوله ان له ان لم يجعل جواب القسم فهو
تعليل للقسم بالقمر المنشق اى انما اقسمت به لما حصل له من الشرف بسبب
النسبة التى بينه وبين قلب النبى صلى الله عليه وسلم كما ذكروا الظاهر ان
قوله اقسمت انشاء لا خبر قوله وما حوى البيت ما مخفوضة عطف
على القمر اى واقسمت على جميع الغار الذى اختفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر رضى الله عنه حين هاجرا من مكه الى المدينة من خير ومن كرم
اى من كرم نفس ومن كرم جود او من خير عام ومن كرم عام والمراد ما حوى من
صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفات ابى بكر رضى الله عنه فما
واقعه على صفات من يعقل وهو احد مواضعها نحو قوله تعالى فانكحوا ما طاب
اى طيب ويجوز ان يراد بها ذاتيهما لانهما قد يقع على العالم ومنه قول العرب
سبحان من سخركن لنا وهو ظاهر كلام سيبويه فانه حين ذكر ان من تكون
للاناسى قال وما مثلها الا انها مبهمة تقع على كل شئ ويحتمل ان يكون
كل من الخير والكرم كناية عن كل من اوصاف النبى صلى الله عليه وسلم ومن اوصاف
ابى بكر رضى الله عنه ويحتمل ان يكون الاول للنبى صلى الله عليه وسلم
لان الخير الذى هو كرم النفس يعم جميع الصفات الحميدة وكذلك الخير الذى
هو ضد الشر والثانى لابى بكر رضى الله عنه لانه خصصه بالكرم وهو
اظهر فى الجود وانما وصفه بالكرم لانه آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بنفسه وماله وبماله كما تقدم بعض ذلك ومن ذلك انهما لما اتيا الى الغار
تقدم ابو بكر فى الدخول مخافة ان يكون فيه ما يوذى النبى صلى الله عليه وسلم
فيتلقاه بنفسه ومنه سد الكوى بثيابه حتى بقيت التى سدها برجله ان
لا يخرج منها ما يوذيه صلى الله عليه وسلم وهذا امر لا يجهل وقوله وكل الطرف
انه مرفوع اى الذى حواه الغار والحال ان كل طرف من الكفار عن ذلك المحوى
عم اى لا يبصر ما فيه مع قربهم منه وهى معجزة له صلى الله عليه وسلم وفى كلام بعضهم
ما يقتضى ان لفظة كل مخفوضة قال واقسم بهما وان كان نظر الكفار احسن
من ذلك لما تضمن من المعجزة وقوله فالصدق اى النبى صلى الله عليه وسلم

وهو اما على حذف مضاف اى ذو الصدق الذى لم ينطق قط من عمره الا بالصدق
وبذلك كان مشهورا قبل النبوة صلى الله عليه وسلم وبالامانة فلم يكونوا يسمونه
الا الامين فكيف بعدها ويحتمل ان يريد انه نفس الصدق مبالغة وتاييد الله
اياه بمثل هذه المعجزات التى لا نهاية لها دليل صدقه وقوله فى الغار اى هو
فى الغار المتقدم الذكر والصديق ابو بكر رضى الله عنه معه فيه لم يرما اى لم
يبرحا منه لئلا يقال انما عمى عما فى الغار كل طرف من الكفار بعد خروجهما منه
بل ذلك كان وهما فى الغار المذكور لم يبرحا منه بعد وهم يقولون ذلك
اى وحال الكفار حين نظرهم اليه وهما فيه قولهم ما بالغار من ارم اى من احد
ولما اعمى الله من ابصارهم ولما راوا على باب الغار من الامارات التى تبعد كونهما
فيه فان الله جلت قدرته اذن لشجرة فنبتت على فم الغار وحمامة فعششت هناك
والعنكبوت فنسجت على فم الغار نسجا كثيرا متراكما لا يكون مثله الا مع طول
الزمان حتى قال قائلهم ان نسج هذا العنكبوت لاقدم من ميلاد محمد
والى هذا اشار الناظم بقوله ظنوا اى انما عموا عما فى الغار مع خلق الله ذلك
فيهم لانهم ظنوا ان الحمام لا يحوم اى لا تدور حول خير البرية وهو محمد صلى الله عليه وسلم
كما ظنوا ان العنكبوت لا تنسج عليه لما جرت العادة ان هذين الحيوانين متوحشان
لا يألفان معمورا فهما احسا بالانسان فرا منه وما علموا ان الله تعالى يسخر من
ما يشاء من خلقه لمن يشاء من عباده وان وقايته عبده بما يشاء اى بحفظه
اياه بمثل ما القى من الظن فى قلوب الكفار وبما اعمى من ابصارهم تغنى عبده عن
التحصين بمضاعفه من الدروع وهى التى نسجت حلقتين كما تقدم وعن
التحصن بالكاملة من الاطم اى الحصون بل لا انقاس وقاية الله بالتحصن بما ذكر فان
العدو وقد يستعمل التحصن بالدرع المذكورة من الالات ما يفتحها او ما يرض
صاحبها معها وكذلك يجد للحصون العالية ما ينكلها من المنجنيق ونحوه
او الحفر او غير ذلك من الحيل وليس لاحد فى وقاية الله حيلة وفسر بعضهم
المضاعفة من الدروع بان يلبس درعا فوق اخرى وليس هذا معناها لغة
كما رأيت وانما ما ذكر هو التظاهر بين درعين وقوله ما سامنى اى اقسمت

بما ذكر ما ارادني الدهر بضيم اي بظلم او ذل واستجرت بالنبي صلى الله عليه وسلم
من ذلك الضيم الذي اراد في به الدهر الا ونلت من النبي صلى الله عليه وسلم جوارا
لم يضيم ذلك الجوار قط فيما مضى او من نال ذلك الجوار وقوله ولا التمست
عطفا على ما هو مما حلف عليه اي ولا طلبت غنى الدارين الدنيا والاخرة من
يد النبي صلى الله عليه وسلم الا صافحت الكرم من خير مصافح ومن صافح
نفس الكرم من خير مصافح لا ينقلب الا بما يرضيه من خير الدنيا والاخرة وفي
قوله ما سامني الدهر ضيما اشكال فان ما ينسب للدهر انما فاعله هو الله تعالى
فكيف يصح نسبة الظلم اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وما ربك بظلام للعبيد
فان الظلم وضع الشيء في غير محله وفعل ما ليس للفاعل ان يفعله والعالم
كله ملك الله تعالى فهو سبحانه وتعالى متصرف في ملكه لا يسئل عما يفعل وهم
يسئلون فلا بد من تاويل كلام الناظم فاما ان يكون على حذف مضاف
اي ما سامني اهل الدهر الذين يصح منهم الظلم او يقال انه جرى على عادة
اهل الادب وصنيع كلام العرب واستعمل الناظم الالتماس هنا في الطلب الذي
هو بمعنى السؤال ويلازمه الخضوع والمنطقيون انما يطلقون الالتماس
على طلب الالتماس من مساوي ويسمون الطلب مع الخضوع سؤالا فان قلت
اخباره عن نيل ما التمس من النبي صلى الله عليه وسلم من غنى الدنيا بين مشاهد
بالحس فكيف يصح اخباره عن نيل غنى الاخرة قلت ذلك ايضا مشاهد
بقوة يقين الايمان بمنزلته صلى الله عليه وسلم عند ربه ومن قوة يقين
الناظم انه لم يقتصر على الاخبار بنيل مطلق الاكرام بل اخبر عن غايته وهو غنى
الدنيا والاخرة وقوله من يد اي منه واطلق اليد واراد جملة الذات
الكريمة لان باليد يكون تناول ما يعطي فكان جملته يد يعطي وهو تسمية الشيء
عينا ذكر بعض الاخبار التي اشار اليها الناظم في هذه الابيات من انشقاق
القمر فيكفيك من صحة اخبار الله سبحانه وتعالى عنه في كتابه العزيز بقوله تع
اقتربت الساعة وانشق القمر ووردت به الاخبار الصحيحة منها ما روي
عن انس وابن عباس رضي الله عنهما وغيرهما ان اهل مكة سالوا رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم اية فاراهم انشقاق القمر مرتين وعن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى اذا انشق
القمر فرقتين وكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي بعض الروايات فقال كفار قريش هذا سحر
فابعثوا الى اهل الافاق حتى تنظروا اراوا مثل هذا ام لا فاخبر اهل الافاق
انهم راوه منشقا فقال كفار قريش هذا سحر مستمر وفي رواية قالوا
ان كان محمد سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها فاسئلوا من ياتيكم
من بلد اخر فاتوا فسالوهم فاخبروهم انهم راوا مثل ذلك فعند ذلك قالوا
هذا سحر مستمر فانزل الله عز وجل اقتربت الساعة وانشق القمر الاية
واما خبر شق قلبه صلى الله عليه وسلم فتقدم في شرحنا قوله ابان مولده وروى
ابن اسحق عن ثور بن زيد عن بعض اهل العلم ان نفرا من الصحابة رضوان الله
عليهم قالوا اخبرنا عن نفسك قال نعم انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى
ورات امي حين حملت بي انه خرج منها نور اضاءت له قصور الشام واسترضعت
في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما اذ اتاني رجلان
عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجا فاخذاني فشقا بطني ثم استخرجا قلبي
فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج
حتى انقياه ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني بهم فوزنتهم
فقال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها صلى الله عليه وسلم كلما ذكره الذاكرون
وغفل عن ذكره الغافلون ويحتمل ان يشير الى شق قلبه ليلة الاسراء على ما في صحيح
البخاري كما سياتي ان شاء الله تعالى عند قوله لا تنكروا الوحي وهذا هو الاظهر
واما خبر الغار فاخرج البخاري وغيره من اهل الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها
في حديث الهجرة بطوله واللفظ لغير البخاري قالت كان لا يخطي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ياتي بيت ابي بكر طرفي النهار اما بكرة او عشية حتى كان اليوم
الذي اذن الله سبحانه فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة والخروج
من مكة اتانا بالهاجرة في ساعة لم يات فيها قالت فلما راه ابو بكر قال ما جاء

رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من حدث فلما دخل تأخر له ابو بكر عن
سريره فجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عند ابي بكر الا انا
واختي اسماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج عني من عندك
فقال يا نبي الله انما هما ابنتاي وما ذاك فداك ابي وامي فقال ان الله
اذن لي بالخروج والهجرة فقال ابو بكر الصحبة يا رسول الله قال الصحبة قالت
فوالله ما شعرت قط قبل ذلك ان احدا يبكي من الفرح حتى رايت ابا بكر
يبكي يومئذ ثم قال يا نبي الله ان هاتين الراحلتين قد كنت اعددتهما
لهذا وكان ابو بكر رجلا ذا مال فكان حين استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الهجرة فقال له لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا فطمع بان رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما يعني نفسه فابتاع راحلتين فحبسهما في داره يعلفهما
اعدادا لذلك اليوم واستاجر عبد الله بن ارقط يدلهما على الطريق ودفع
اليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما فلما اجمع صلى الله عليه وسلم
الخروج اتى ابا بكر فخرجا من خوخة لابي بكر في ظهر بيته ليلا الى الغار
فدخل ابو بكر قبله فلمس الغار افيه سبع ام حية يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بنفسه ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة اعلاها
واسفلها وبعثوا القافة اثره في كل وجه فوجد الذي قبل ثور اثره هنالك
فلم يزل يتبعه حتى انقطع له لما انتهى الى ثور وشق على قريش خروجه وجزعوا
لذلك وطفقوا يطلبونه بانفسهم فلما قرب وارسلوا من يطلبه فيما بعد
وجعلوا مائة ناقة لمن رده عليهم ولما كان ليلة بات النبي صلى الله عليه وسلم
الغار امر الله سبحانه بشجرة فنبتت في وجه الغار وامر حمامتين وحشيتين
فوقفتا على وجه الغار واتى المشركون من كل بطن حتى اذا كانوا من النبي
صلى الله عليه وسلم على قدر اربعين ذراعا معهم قسيهم وعصيهم تقدم
رجل منهم فنظر فراى حمامتين على فم الغار فقال لاصحابه ليس في الغار
شيء رايت حمامتين على فم الغار فعرفت ان ليس فيه احد وقال رجل اخر
ادخلوا الغار فقال امية بن خلف وما اربكم الى الغار ان فيه لعنكبوتا

اقدم

اقدم من ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم وعن انس ان ابا بكر قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لو ان احدا نظر الى قدمه لرآنا فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما واختلف في مكث النبي صلى الله عليه وسلم
مع ابي بكر في الغار فروي عن مجاهد ثلثا وهو الصحيح قاله ابو عمر بن عبد البر
قلت وكذا هو في صحيح البخاري من حديث عايشة في حديث الهجرة الطويل
انهما مكثا فيه ثلثا واتاهما عامر بن فهيرة براحلتيهما صبح ثالثة قال
الحافظ ابو عمر وفي حديث مرسل انه صلى الله عليه وسلم قال مكثت مع صاحبي
في الغار بضعة عشر يوما ما لنا طعام الا ثمر البرير يعني الاراك وهو
غير صحيح عند اهل العلم والاكثر على ما قاله مجاهد المعاني انما انشاء
القسم بلفظ الماضي لا المضارع اشارة الى تحقيق وقوع هذا الامر وان تمام
اعتقاده منطوي عليه منذ عقل وايضا الاكثر في الفاظ الخبر المنقول لله
هي صيغ الماضي وال في القسم للعهد باعتبار حاله التي وصفها وجملة
ان له ان لم يجعل جواب قسم فهي استئنافية لانها جواب سؤال عن سبب
الحكم الخاص كانه قيل لما استحق القسم المنشئ ان يقسم به وقدم من قبله
على نسبته للاهتمام به وايضا فانه للتشريف وتنكير نسبته للنوعية
او للتعظيم ويحتمل جملة ان له ان تكون تذييلا من الضرب الذي لم يخرج
مخرج المثل لعدم استقلالهما بافادة المراد وتوقفهما على ما قبلهما نحو
وهل نجازي الا الكفور ان قلنا وهل نجازي ذلك الجزاء والتعبير بالموصول
في قوله وما حوى للتفخيم والتعظيم لما وقعت عليه من الصفتين او الذاتين
وللتوصل الى ان يشتمل البيت على الايضاح وهو من خير ومن كرم بعد الابهام
بما وال في الغار للعهد اي الذي بجبل ثور وكذا هي في الكفار اي الذين طلبوه
صلى الله عليه وسلم وتنكير خير وكرم للتكثير والتعظيم وقدم عنه على عم
للحصر اي لم يعم طرفهم الا عن رؤيته صلى الله عليه وسلم لان ذلك معجزة له
والا فهم اصحاب النظر ولو قدم عم لتوهم اولا قبل ورود عنه ان
ذلك شانهم فلا يعلم من اول الامر انه معجزة والمراد بكل هنا الافرادي

اى كل واحد واحد ولما قصد وصفه صلى الله عليه وسلم ووصف ابو بكر
رضى الله عنه بصفة الصدق جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم نفس الصدق
فكانه كالاصل والمنبع واسند لابى بكر الصفة التى تقتضى انه احد من لك
الجنس لحظا الاوفر لانه فعيل للمبالغة كما تقدم وفى الكلام ايجاز اى والصديق
فيه حذف من الاخر لدلالة الاول وانما خص اضافة الكينونة فى الغار
بالصريح اليه صلى الله عليه وسلم لانه مطلوبا للكفار بالذات فاخبر بما هو
اغيظ لهم لو مثلوا سامعين لهذا الاخبار وانما خصه بوصف الصدق
فى هذا المقام لانهم نسبوه للكذب فكانه يقول لو كان كما اعتقدتم
لسلطتم عليه ثم هذا البيت بكماله احتراس لانه لولا هو لتوهم ان عماهم
عن الغار قبل دخولهما فيه او بعد خروجهما منه فرفع ذلك بقوله فالصدق
البيت كما ان قوله لم يرما احتراس للجملة التى قبله لاحتمال ان يتوهم
فالصدق والصديق قد اختفيا فيه وذلك لا يشعر بانهما لم يبرحا بعد ويحتمل
كاينان فيه فيما مضى او فيما يستقبل فليس السطر الاول او قوله لم يربا حشوا
كما ظن وقدم المسند اليه فى قوله وهم يقولون افاد لتقوى الحكم عليهم بتلك
المقالة وكذا اتيانهم بارم الذى لا يستعمل الا فى النفى لعموم من يعقل مع زيادة
من التى هى لتوكيد العموم فى هذا المقام قصدا بذلك كله لتحقق الخبر عندهم
بان ما بالغار من احد حتى ان اعتقادهم تحقيق ذلك لم يحتاجوا معه الى دخوله
صرفا من الله اياهم عنهم وجعل بعضهم السطر الاول من قوله فالصدق
البيت من التذييل والثانى من التتميم فتامله وانما وقع الظاهر موقع المضمر
فى قوله فى الغار وبالغار قصدا لما قصد من تاكيد الخبر بهذا المعجز
ورفعا للابهام فلو قال اوله فالصدق فيه لتوهم ان يريد فالصدق فى
اخباره او نحو هذا ولو قال ثانيا ما فيه لتوهم ما هذا المكان والقصد
انما هو الغار وال فى الحمام والعنكبوت يحتمل الجنس والعهد الا ان قوله
لم تنسج ولم تحم تقوى العهد ولو اراد الجنس لاتى بلا النافية فيها الا انه
لم يتوصل بها الجزم القافية واما الظن فالاظهر انه هنا على بابه ويحتمل اليقين

وجمله

وجملة ظنوا استينافية لانها تعليل لمقالتهم وقوله على خير البرية فيه نوع من التتميم
لانه اتى به فى اضعاف كلامه لتنبيههم على خطائهم فى تبعيد ما ظنوه اى ان من
هو عندها خير الخلق لا يستبعد فى حقه تسخير الله المخلوقات له ولذا كرر
وظنوا تنبيها على ان كل نوع منها مسخر بما يليق به فليس بحشو كما ظن وفايدة
ايقاع الظاهر موقع المضمر فى قوله خير البرية المدح بهذا الوصف
اولا والاشارة الى ما ذكرناه ثانيا وايضا لو قال عليه لتوهم عوده الى الغار
وهم لم يظنوا ذلك او عوده على الصديق وهذا كله مع تاتى الوزن بالظاهر
وقوله ولم تحم اى عليه فهو من ايجاز الحذف من الاخر لدلالة الاول واضافة
وقاية للاختصاص والتعظيم وحذف معمول اغنت من الايجاز اى اغنته
صلى الله عليه وسلم وابا بكر رضى الله عنه ويحتمل ان يكون حذفه لايهام
العموم اى اغنت كل من نالها وتنكير مضاعفة وعال للنوعية ومن الدروع
ايضاح لابهام مضاعفة وكذا من الاطم لعال وال فى الدهر اما للجنس او للعهد
اى دهره وتنكير حصينا الاظهر فيه التعظيم ويحتمل التقليل وفى البيت مجاز
الحذف اى اهل الدهر واستجرت بربيبه فى كل حال وتنكير جوار للنوعية
وال فى الدارين للعهد وفى النداء للجنس والذى هو الذى اراد بقوله
غنى الدارين فهو من ايقاع الظاهر موقع المضمر اى الا وقد يليه وقاية نظم
ما نالته حتى انه نفس الكرم والجود والقصران فى هذا البيت اما قصر افراد
او قلب لم يحتمل البيان فى البيتين الاولين مجاز الحذف اى من
القمر فى وجه ومن ذوى خير وكرم او يكون جعل الذاتين نفس الصدق فيكون
من باب تسمية الشئ باسم ما يلازمه ومنه جرى المراد واسنادهم الى ضمير
الطرف مجاز اذ العمى حقيقة صاحبه ثم اطلاق العم عليه من مجاز التشبيه
اذ الاصل كعم لانه لا يدرك كانه اعمى مثل لكم عمى فهو من التشبيه البليغ
لا الاستعارة والمجاز فى قوله فالصدق فى مثله فى قوله خير وقوله
على خير البرية من مجاز الحذف اى غار خير او مكان خير لانهما لم يتباشر بذلك
او يكون على السببية فيكون المنسوخ عليه هو الغار وقوله وقاية الله

يحتمل ان يكون اطلق الوقاية واراد بها اسبابها كحوم الحمام ونسج العنكبوت فيكون من اطلاق السبب على المسبب وقوله ماسامني يحتمل الاستعارة بالكناية بان شبه الدهر بسبب ما اصابه فيه بظالم ثم يذكره وذكر من لوازمه السوم الضيم ونفى الضيم على الجوار من مجاز الحذف اى لم يضيم صاحب الجوار وسمه الذات يدا من باب تسمية الشيء باسم بعضه قيل واطلق الاستلام وهي في الاصل تقبيل اليد والتضرع على الظفر بالجود لانه سبب عن الاستلام فهو من باب اطلاق السبب وارادة المسبب البديع في البيت الاول القسم وهو ان يحلف بما فيه مدح او فخر او تعظيم او تغزل او زهد او غير ذلك والذى هنا من المدح لانه اقسم بما فيه مدح له صلى الله عليه وسلم ومنه انا رجودك في القلوب يؤثر

وجميل بشرك بالنجاح يبشر ان كان لي امل سواك اعده

فكفرت نعمتك التى لا تكفر فضمن القسم ما يريد الممدوح مدحا

ومن المعجز قوله عز وجل فورب السما والارض انه لحق ومنه قول الاشتر النخعى بقيت وفري وانحرفت عن العلى ولقيت اضيافي بوجه

عبوس ان لم اشن على ابن هند غارة لم تخل يوما من ذهاب نفوس

ويروى نهاب ومن احسنه قول ابى على البصير يعرض بعلى بن الجهم

كذبت احسن ما يظن مؤملي وهدمت ما شادته لي اسلافي وعدمت عاداتي

التى عودتها قدما من الاخلاق والالاف وغضضت من نارى

ليخفى ضوءها وقريت كذبا كاذبا اضيافي ان لم اشق على على حلة يبقى

قذى في اعين الاشراف ولفظ القمر والمنشق بالقلب والنسبة من مراعاة النظير وفيه التلميح الى قصة انشقاق القمر وعليه صلى الله عليه وسلم وقوله ان له الى اخره من حسن التعليل في وجه او المذهب الكلامي وفيه رد الصدر على الاعجاز في اقسمت والقسم وهما ايضا من تجنيس الاشتقاق وجعلهما بعضهم من التكرير وفيه الارصاد وفيه الاستطراد وهو ان يذكر معنى لا لذاته بل ليتوصل به الى وصفه لذكر القمر كذا قيل وفيه نظر وتقدم حد الاستطراد

ومثل

ومثل هذا الاستطراد في البيت الثانى في ذكر الغار وفي ذكر كل طرف على راى بعضهم انه مخصوص وفي الثانى وما بعده الى قوله من الاطم استطراد والتلميح الى قصة الغار واعمى اعين الكفار ومراعاة النظير في الخير والكرم والطرف والعمى وفيه التشهير لفهم من الطرف وقرب الموازنة في من خير ومن كرم وشبه الطباق في وجودهما وحقايقهما قيل وفي البيتين ادماج لما تضمنا من ذكر المعجزتين وليستا بمقصودتى الذكر وفيه نظر وفي الثالث تجنيس الاشتقاق في الصدق والصديق والتشبيه به في يرما وارم قيل والجمع الصدق والصديق في كونهما في الغار وفيه تكرير لفظ الغار لما تقدم من الغاية في المعانى وفي التقسيم لاضافة الكينونة لهما والقول للكفار وفيه اللف والنشر المرتب كما تقدمت الاشارة اليه في التفسير لاحتمال رجوع الصدق الى خير والصديق الى كرم وفيه اما الارصاد واما التخيير وهو الاظهر لصحة وقوع علم موقع ارم ويترجح ذكر ارم لانه مطلوبهم ويترجح ذكر علم لانه اذا انتفى علم الكينونة انتفت فهى من باب اخرى وانظر هل يكون البيت الرابع من التلميح او هو من التصريح وفيه لف ونشر معكوس لرجوع ينسج الى العنكبوت ويحم الى الحمام ويحتمل رجوع كل من الوصفين معا الى كل من الحيوانين معا بان يجعل النسج في حق الحمام عبارة عن بنا عشه واما الحوم في حق العنكبوت نظام وفيه قرب الموازنة في لم تنسج ولم تحم وفي الخامس مراعاة النظير في لفظ الوقاية والمضاعفة والدروع والاطم والغار وفي السادس تجنيس الاشتقاق في ضيم ويضم وفي استجرت وجوارا ومراعات النظير في الفاظ الدهر والضيم والاستجارة والجوار وفي لفظى اسام قلب الكل قيل وفيه العكس والتذييل لانه قدم ذكر الضيم على الاستجارة في الشطر الاول وعكس في الثانى بتقديمه لفظ الجوار على الضيم قلت ومما تقرر في حد اللقب تعلم ان هذا ليس منه وفي السابع قلب البعض في التمست والا استلمت ولا يبعد ان يكونا من التجنيس الشبيه بالاشتقاق بل اقرب لقرب معنى الكلمتين وتجنيس الاشتقاق في استلمت ومستلم وهما من رد الصدور على الاعجاز لان ما بعد الا في حكم

المصدر فكان استملت وقع اول المصراع الثاني فهو في الحكم كقول الحماسي
وان لم يكن الا معرج ساعة قليلا فاني نافع لي قليلها وما في البيتين
براعة المطلب استخرجه عز الدين الزنجاني في كتاب المعيار وهو ان يلوح بالطلب
بالفاظ عذبة خالية من الالحاح مقترنة بتعظيم الممدوح تشعر بما في
النفس دون كشفه وقيود هذا الحد كلها موجودة في بيتي الناظم الاخيرين
وكانه اشار الى ما قصد في هذا القصيد من التوسل بها الى النبي صلى الله
عليه وسلم في ان يشفع فيه لربنا جل وعلا علوا كبيرا حتى تشفيه من مرضه
المزمن الذي اعيا الاطبا فادرك ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم
امله وانجح الله تعالى لعمله بصدق قصده قالوا ومن امثلة هذا اللقب
قول المتنبي وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها
قلت وفيه نظر فانه الى التصريح والالحاح اقرب بخلاف بيتي الناظم
الاعراب جملة اقسمت انشائية هي نفس اليمين وبالقمر يتعلق بفعلها
وكثيرا ما يحذف فعل القسم مع المحلوف به ونسبة ان وله خبرها ومن قلبه
يتعلق بمتعلق الخبر ومبرورة القسم تقدم انهم جعلوه صفة للنسبة ولا
اكراب بامنا فيها لانها لا تعرف وتقدم جواز رفعها على انها خبر مبتدأ محذوف
اي يميني والظهر الوجه جعلها صفة لموصوف محذوف وعامله اقسمت اي
يمينا مبرورة وحذف الموصوف للعلم به لان صفته مختصة به ويحتمل ان يكون
من قلبه حالا لتقدمه وتقدم الكلام في جملة ان له وما حوى تقدم ان
ما مخفوضة عطف على القمر وهي موصولة صلتها حوى وعايدها محذوف
اي حواه وهذا على ان الجواب ما سامني وعلى ان الجواب ان له فتكون ما مبتدأ
استفهامية والمراد بالاستفهام التعظيم وحوى خبره ومن خير ومن كرم على
الوجهين يتعلقان بحوى ومن للبيان والمبين ما او العايد عليها واجاز بعضهم
كون من للتبعيض وكل مبتدأ ومن الكفار نعت لظرف وعم خبره وسكنت الياء
ضرورة وعنه متعلق به وضمير عنه عايد على ما وجملة كل حال من عايدها
على الاظهر او من ما ان كانت مخفوضة والعايد وان حذف في حكم الموجود

فالصدق مبتداء خبرها في الغار والصديق مبتداء خبره محذوف اي في الغار
او كذلك ومعه او نحو ذلك وقال شيخنا ابو العباس والصديق معطوف
على المبتدأ وفي الغار خبرهما معا قلت ليتامل ولم يريا ان صح ان في الغار خبر المبتدين
فهي جملة في موضع الحال من الضمير المستكن في الخبر اي كاينان فيه فهي حال
مؤكدة لانها مفهومة من الخبر والعامل في الحال متعلق الخبر واما ان كان
لكل خبر متعلق جعلها حالا من ضميرهما لانها من جملتين فيتعدد العامل
اللهم الا ان يكون حالا من ضمير احدهما وحذف مثله للاخر واقرب منه
في المعنى جعل لم يريا خبرا عن المبتدأين وفي الغار متعلق بيريا الا ان تقديمه
على لم ضعيف واقوى من هذه الوجوه ان يكون لم يريا خبر مبتدأ محذوف
تقديره وهما لم يريا فيه وهي مستانفة وهم مبتداء عايد على الكفار وخبره
يقولون وما نافية ومن في ارم زايدة لتاكيد وجملة ما بالغار العموم لان
ارما من الالفاظ المختصة بالنفي كما تقدم وهو مبتداء وبالغار خبره والباء
زايدة لتاكيد النفي وجملة ما بالغار من ارم في موضع مفعول يقولون وجملة
وهم الكبرى الظاهر انها مستانفة وقيل حال من فاعل يريا وهو الاظهر
وجملة لم تنسج في موضع المفعول الثاني لظنوا العنكبوت ولم تحم مفعول ثان
لظنوا الحمام وعلى خير البرية متعلق بتنسج ومتعلق تحم محذوف اي حوله وجملة
ظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج معترضة بين المفعول الاول وهو
الحمام وبين الثاني ولم تحم ولك ان تجعل ظنوا الثاني تاكيدا والعنكبوت
معطوفا على الحمام والجملتان في محل المفعول الثاني وترجع كل منهما
الحكل منهما الى ما يناسبها الا ان فيه الفصل بين حرف العطف والمعطوف
وهو العنكبوت يظنوا وهو قليل ووقاية الله مبتداء خبره اغنت وبه يتعلق
عن مضاعفة ومفعول اغنت تقدم ذكره في المعاني واجاز بعضهم ان
تكون وقاية خبر مبتداء مضمر اي هذا الامر وانظر ما محل جملة اغنت
على هذا الاعراب ومن الدروع صفة لمضاعفة وعن عال عطف على عن
مضاعفة ومن الاطم نعت لعال ومن للبيان فيهما وقيل وللتبعيض

ما نافية سامني فعل ماض وياء المتكلم مفعول الاول والثاني ضيما والله فاعل والجملة اما جواب اقسمت كما تقدم واما استينافية اخبار بمعناها او جملة استجرت به عطف على سامني والباء سببية ومفعول استجرت محذوف اي الله ويحتمل ان يكون الباء زايدة في المفعول اي استجرته ويصح جعل جملة واستجرت حالا من مفعول سامني الاول وقد مضمرة عند من يشترط ذلك ولا ايجاب بعد النفي ونلت جوارا منه جملة حالية من ياء المتكلم ايضا ومن المجرور بالبا وقد مضمرة ايضا والاستثناء مفرغ من عموم الاحوال والتقدير ما سامني واستجرت به على حال من الاحوال الا والحالة اني قد نلت وجوار مفعول نلت ومنه متعلق به ولم يضم في موضع الصفة لجوار وان جعلت منه صفة لجوار جاز ان يكون لم يضم حالا من جوار ويضم مبني للمفعول وهو ضمير الجوار ومن ناله كما تقدم واصله يضام فحذفت الالف لالتقاء الساكنين وجملة ولا التمست معطوفة على جملة ما سامني وقيل على سامني ولا زايدة لتاكيد النفي وغنى الدارين مفعول التمست ومضاف اليه ومن يده متعلق بالتمست ولا استلمت الندا اعرابه كاعراب الا ونلت وهذا الاستثناء يرجح كون لا معطوفة على ما ويضعف كونها زايدة واستلمت عطف على سامني الا ان يقدر ما اجري اي ما التمست غنى الدارين الا في حال استلامي الندا ومن خير متعلق باستلمت ويجوز ان يكون حالا من الندي ومن في يده ومن خير لابتداء الغاية وقيل ان نلت واستلمت حالان مقدران لان الاجابة بعد الطلب والمسبب بعد السبب

الاشارات تقدم ان شق القلب انما كان لاستخراج حظ الشيطان منه حتى لا يبقى في القلب الا الله كما ان شق القمر انما كان لاقامة الحجة على الخلق فرفضوا عبادة الاصنام حتى لا يعبد الا الله فقلب المومن مرة الذي يرى به فان فانه شقه لاستخراج حظ الشيطان منه لكون ذلك لا يكون الا للنبي كما ان انشقاق القمر مع دعوى الرسالة لا يكون الا للنبي فلا يفوته صقله وجلاوه بالتزام الطاعات وترك الشهوات

والصبر

والصبر على الجوع وساير المشاق مستعينا على ذلك بالله قم على استسهاله بتذكر هجوم الممات وطول القيام يوم القيمة في شدايد العرصات فمن فعل ذلك فجزاوه ينصقل قلبه حتى يتجلى له الحقايق وينكشف كما تدرك بنور القمر ولما كان ما يدرك بهذا القلب من الحقايق والمعارف ليس هو من عالم الشهادة وما يدرك بنور القمر هو من عالم الحس وهو اخفض رتبة لا جرم كان القلب اصلا للقمر حتى يقال للقمر بنسبة من القلب وانما كانت المشاكلة في هذا القلب بينه وبين القمر لا بينه وبين الشمس لان ما يدركه العبد في الدنيا من المعارف بالبنية الفانية ليس هو كالحقيقة بل مبادي الامور ناسب القمر الذي تشوبه ظلمة الليل لانه كوكب زمن النوم وهو الليل كظلمة ليل الدنيا فلا يدرك المحسوسات به على كمالها والناس نيام فاذا ماتوا استيقظوا فحينئذ يشاهدون الاشيا على حقيقتها كما يشاهدون الاشياء على حقايقها بنور الشمس الذي هو كوكب زمان اليقظة وهو النهار وقوله وما حوى البيت من خاف على دينه من الفتن فالنجاء الى بعض الغيران فيختفي فيها ويعبد ربه حتى يجعل الله له من امره مخرجا ويوشك ان يحل مخلصا من قلبه فارا بدينه الحريه ان لا يطلع الله عليه احدا يوذيه ويعمى عن ادراكه اعين المضلين ولذا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة ماذا يفعل ان ادركه زمن فتنة فقال اعتزل تلك الفرق كلها ولو بان تعض على اصل شجرة حتى يدركك الموت وقال لمن ساله فيم النجاة امسك عليك لسانك والزم بيتك وابك على خطيئتك ويحتمل ان يكون الاشارة بالغار الى صدر المومن الذي حوى مثل ذلك القلب المطهر وهو خليق ان يقسم بمثله وقوله وكل طرف اي الكفار الجاحدون ان يكون للقلوب مثل هذا الانوار كل طرف اي بصيرة منهم عم عن ذلك المعنى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ويحتمل ان يشير بالغار الى قبر صاحب هذا القلب من المومنين فانه بعد موته يتجلى له الحقايق في قبره لان القلب اذا لم يكن له تعلق الا بالله كانت حيوته الدنيوية مانعة له من الوصال وكشف الحقيقة فاذا مات زال المانع فاتصل فعلى مثله يكون القبر روضا من رياض الجنة

فحزان يبتسم بما حوى ذلك للغار الذى هو القبر من خير ومن كرم او ان يستفهم
عنه على سبيل التعظيم اذ كانت ما استفهامية وهذا الخير والكرم لا يدرك
فى الحيوة الدنيا الا ببصيرة الايمان المحقق فانى يدركه بصاير الكفار المكذبين
بالحيوة الاخرة فكل طرف منهم عنه عم وعلى هذا قوله فالصدق فى الغار
اى بما اخبر الشارع صلوات الله عليه من هذا الثواب الذى هو الخبر
الصدق كاين فى القبر والصديق اى صاحب العمل الذى استوجب به هذا
الجزاء الذى كان كثير التصديق به فى القبر مقترن لانه لا قرين للمكلف
فى قبره الا عمله كما قال صلى الله عليه وسلم لقيس بن عاصم انه لا يدفن
الا معك ولا يحشر الا معه فالعامل وعمله لم يبرحا والكفار يقولون ليس
بالقبر احد يعقل وانما هناك رمم بالية وعظام نخرة لانهم لا يؤمنون بالاخرة
فبصايرهم محجوبة عن ادراك ما هناك واما ان كان المراد غار المعتزل فلان سلك
ان صدق النجاة فيه وهو الصديق مجرها والمفتونون السالكون سبيل
الكفار فى الغفلة عن الاخرة والخوض فى امور الدنيا والاستكبار وبذلك
وصف الله الكفار فقال يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض يقولون
للذى اعتزل عنهم فى غارة ما بالغار احد اى يعتد به لان الذى يعتد به
عندهم هو من سلك سبيلهم وخاض غمرات نحو رهم وينسبون سالك
طريق الاخرة المباين لطريقتهم الى الجنون وقوله طوق الحمام البيت لما كانت
الحمام والعنكبوت لا يدلان على عمارة ظن المشركون بجعلهم خلاء الغار
كذلك الكفار لما لم يشهد واما يكون فى القبر من النعيم والعذاب ظنوا
نفيها عنه وما علموا ان خلاف الادراك هو الله فان لم يخلقه الله لم يكن
ولو حضر المدرك ولذا يظن الخائضون فى الفتن ان المنعزل عنهم فى غارة
انما منعه من الدخول معهم عدم القدرة ولو كان عندنا ما انعزل
او يظنون به انه بانفراده معترض للهلاك لانه لا يحصل له شئ من الدنيا
فيهلكه الفقر وما علم جميع الجهال العمران وقاية لهذا المنفرد وحفظ اياه

يعني

يعني عن مثل المضاعفة من الدروع والعالى من الاطم الذى يتحصن به النازل
فى الفتنة بتعلقه بالاسباب الدنيوية التى هى عند اقوى الحصون وهو فى الوهن
كبيت العنكبوت كما ان حجب الله تعالى اعين عباده عن مشاهدة ما فى
الغار لحكمة ارادها سبحانه وتعالى هو وقاية ايضا ومن ناله ضر فليلجا
الى الله وليتخلى لعبادته والفكرة فى امره فان الله يكشف ما به وحينئذ
فليقسم برب القمر المنشق ويقول فى جواب قسمه ما سامنى البيت امن
يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء واقوى الاسباب الذى ترجى بها
النجاة من المهالك وينال بها الفوز فى الدارين التوسل الى الله جل جلاله
بمحمد صلى الله عليه وسلم تسليما فانه الوسيلة التى لا ترد فى الدنيا والاخرة
كما نبه هذا الناظم فى طلبه لما توسل به اللهم ان وسيلتنا
اليك فى ان تجعلنا من اوليائك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فى
الدنيا والاخرة مولانا محمد نبيك وعبدك ورسولك صلى الله
عليه وسلم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون اصل

وتنكر الوحي من رؤياه ان له ... قلبا اذا نامت العينان لم ينم
فذاك حين بلوغ من نبوته ... فليس ينكر فيه حال محتلم
تبارك الله ما وحي بمكتسب ... ولا نبي على غيب بمتهم

الغريب لا يسكر لا يجحد والانكار الجحود والتناكر التجاهل وطريق نكورا
اى على غير قصد ونكرت الرجل بالكسر نكرا ونكورا وانكرته واستنكرته
كله بمعنى والانكار ايضا تغيير المنكر والوحى تقدم وهو هنا وفيما تقدم
ما يوحيه الله الى النبى من الكلام اما بلا واسطة او بواسطة الملك قال الله
تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الايه وحقيقته من الله
تعالى ما يخلقه فى قلب النبى صلى الله عليه وسلم او الملك من ادراك معنى
كلامه القايم بذاته ومن الملك الى النبى تلقى ذلك المعنى المدرك اليه الرؤيا
مصدر راى فى النوم رؤيا على فعلى بلا تنوين وجمعها رؤى بالتنوين واما الرؤية
فمصدر رأيت فى اليقظة رؤية والنوم معروف ونام ينام فهو نايم وهو نيام

ونوم على الاصل ونيم على الاصل واصل نمت نومت بكسر الواو فلما سكنت لالاد[...]نا
سقطت لاجتماع الساكنين ونقلت حركتها لما قبلها وكان حق النون الضم
لتدل على الواو وكلت لكن كسروا فرقا بين المضموم والمفتوح وتقدم
تصريف ما يشبه هذا والامر نم بفتح النون ويا نومان للكثير النوم مختص
بالنداء وانمته ونومته بمعنى والنوام بالضم ما يعترى من النوم وتناوم
ارى من نفسه ذلك ونمته بالضم غلبته بالنوم ونومه ونوم كثير النوم
وهو حسن النيمه بالكسر والمنامة القطيفة ينام فيها وليل نايم ينام فيه
ولم يتم اصله ينام فحذف الالف لالتقاء الساكنين والبلوغ الوصول
بلغت المكان بلوغا وصلت اليه او شارفت عليه ومنه فاذا بلغن اجلهن
اى قاربنه وبلغ الغلام ادرك والابلاغ والتبليغ الايصال والاسم البلاغ
وتقدمت المادة والحال حال الانسان واحواله اى صفاته وهيئاته وواحد
الحال حالة ومحتلم اسم فاعل من احتلم وحلم بفتح اللام حلما بضم الحاء اى
راى فى نومه واحتلم بمعناه وتقدم وتبارك تفاعل من البركة على معنى التمجيد
اى تعالى وتعظم وقال الجوهري تبارك الله اى بارك مثل قاتل وتقاتل
الا ان فاعل يتعدى وتفاعل لا يتعدى والبركة النماء والزيادة والتبريك
الدعاء بالبركة وطعام بريك كانه مبارك وبارك الله لك وفيك وعليك
وقال بورك من فى النار ومن حولها وتبركت به تيمنت بمكتسب اى
بمطلوب وكسب واكتسب قيل بمعنى واحد اى حصل وقيل كسب لتحصيل
الشيء واكتسب للتصرف والاجتهاد فى تحصيل الشيء فقوله بمكتسب اسم مفعول
من اكتسب المحتمل للمعنيين قال الجوهري الكسب طلب الرزق واصله
الجمع تقول منه كسبت شيئا واكتسبه بمعنى وفلان طيب الكسب والكسبة
كالمغفرة والكسبة بالكسر وكسبت اهلى خيرا وكسبته مالا فكسبه
وهو مما جاء عليه فعلته ففعل والكواسب الجوارح وتكسب تكلف الكسب
والغيب ما غاب عنك وما غاب غيبة وغيابا وغيابة [...] وجمع الغايب غيب وغياب
وغيب وصححت ياؤه تشبيها بصيد وان كان هذا مصدر قولك بعير اصيد

لانه يجوز ان ينوي به المصدر وغيبته انا وغيابة الجب والوادى قعره وقعو
فى غيبته وغابه اى هبطه من الارض وغيبة غيابة دفن فى قبره وهم
يشهدون احيانا ويتغايبون احيانا وغابت الشمس غربت والمغايبة ضد
المخاطبة واغابت المراة غاب زوجها فهى مغيبة بالهاء ومشهد بلا هاء
وتغيب عنى وجاء فى الشعر تغيبنى ومتهم اى مستراب وتقدم التفسير
لما ذكر الناظم حال مولده صلى الله عليه وسلم وما ظهر فيه من الايات
وذكر من المعجزات ما يوافقها بحسب الاستطراد كما نبها عليه واشار
الى بعض احواله صلى الله عليه وسلم حال الصغر وهو شق قلبه ومن كونه
مسترضعا فى بنى سعد كما تقدم اخذ الان يذكر مبدا الوحى اليه صلى الله عليه وسلم
وان شئت قلت لما اشار الى شق قلبه صلى الله عليه وسلم عقبه بهذه
الابيات تنبيها على انه انما اراد بذلك الشق ما فى الصحيح البخارى من ان
ذلك كان ليلة اسرى صلى الله عليه وسلم كما تراه بعون الله وهذا
اولى الوجهين الاول لتعقيبه بيد الوحى وقوله فذاك حين بلوغ وحى انه
انه اصح وان جمعت بين الحديثين قلت ان قلبه صلى الله عليه وسلم شق
مرتين مرة فى زمن الصبا وكان ذلك لاستخراج حظ الشيطان منه وهو
العلقة السوداء او غسله من اثرها حتى يكون تربيته طاهر القلب من نزغ
الشيطان والثانى عند الاسراء بر للوحى ولذلك قال فى هذا فاتيت
بطست من ذهب مملو حكمة وايمانا فحشى به قلبى ولم يذكر فى الاول الا مجرد
الغسل خاصة وهو نائم او بروحه وجسده وهو يقظان اختلافا كثيرا وفى
طرق احاديث الاسراء على اختلافها يرجح ما ذهب اليه كل فريق ورجح
كثير من العلماء الراسخين والفضلاء المحققين كالقاضى حجة الاسلام
ابى الفضل عياض رحمه الله فى كتاب الشفاء وغيره ان ذلك فى اليقظة
واستدل على ذلك بما يوقف عليه فى الكتاب المذكور فكان الناظم يقول
ان كان الاسراء حال اليقظة فلا ينبغى ان ينكر لانه خرق العادة اساس
اثبات النبوات فان كان حال النوم فلا منكر اى لا يجحد ولا يستبعد

ايها الجاهل المنكر ما لم يحط به علمك بثبوت الوحي من رؤياه اى ان يوحي الله
تعالى حال نومه فان له قلبا اذا نامت عيناه لا ينام هو فانه قد شق
وطهر من التعلق لغير الله وملئ حكمة وايمانا واليقظة الدايمة صفته
فيحسن منه ان يخاطب ويتلقى الوحي لا كالقلوب التى تنام حين تنام
اعينها ولما كان كلامه قد يتوهم سامعه ان الوحي اليه صلى الله عليه وسلم
دايما انما كان فى النوم رفع ذلك الايهام بقوله فذاك اى الوحي الثابت
من رؤياه كان او ثبت حين وصول من بنوته اليه او حين وصلته النبوة
واما قوله فليس تنكر فيحتمل وجوها من التفسير الاول ان يكون نتيجة
قوله له قلبا كذا اى اذا كان قلبه لا ينام ان نامت عيناه فليس الامر
والشان ينكر فى الوحي اى فى ثبوته حالا اى صفة المحتلم الذى تنام
عينه ولا ينام قلبه يعنى ان صفة المحتلم انما ينافى ثبوت الوحي معها ممن تنام
عيناه وقلبه لا ممن تنام عيناه دون قلبه وعلى هذا التفسير فحال
مفعول لم يسم فاعله وضمير فيه عايد الى الوحي والثانى ان تكون
نتيجة قوله فذاك حين بلوغ وذلك انه لما كان الوحي فى اليقظة ارفع
درجة منه فى النوم فقد تنكر ان يوحي اليه صلى الله عليه وسلم فى النوم
لعلو درجته وبعد منزلته فقال انما كان ذلك فى حال وصول من النبوة
اليه فليس الامر والشان ينكر الوحي فيه اى فى حقه صلى الله عليه وسلم
حال احتلام محتلم اى نوم النايم فان ذلك انما كان فى بداية النبوة
ليتانس بها وبملاقاة الملك فانه لو فجاة ابتداء لامكن ان لا يطيق ملاقاته
ومايشهد لهذا من السنن كثير وكذلك كان فيما يقوى حاله وتانس
اتاه الوحي فى اليقظة فمعول تنكر النايب عن الفاعل على هذا التفسير
ضمير يعود على الوحي وضمير فيه عايد على النبى صلى الله عليه وسلم وحال
نصب على الظرفية ومحتلم على حذف مضاف اى حال احتلام محتلم ولو فتحت
لام محتلم حتى يكون مصدرا لما احتجنا الى هذا المضاف لنا الثالث انه
لما قال لا انكر الوحي من رؤياه وعلله بما ذكر وهى صفة ثابتة له والصفة

الثابتة لا يتبدل فهو يتوهم ان ذلك كان دابه من اول امره فينكر فيه
فى كل وقت حال المحتلم الذى تنام عينه وقلبه رفع ذلك بقوله
فذلك حين لما تخصصت تلك الصفة بوقت من الاوقات نتج ذلك التخصيص
ان لا يثبت له الوحي من الرؤية فى غير ذلك الوقت فليس الامر والشان
ينكر فى النبى صلى الله عليه وسلم حال النايم الذى لا يوحى اليه
قبل وصول النبوة اليه وهذا التفسير اقل تكليفا باعتبار اللفظ وابعد
باعتبار المعنى والاولان بالعكس الرابع لبعضهم ان فيه متعلق بينكر وضميره
عايد على الوحي وحال مفعول لم يسم فاعله والمعنى فليس حاله حال المحتلم
فينكر فنفى الانكار لانتفاء حال المحتلم كقول امرئ القيس على لاحب
لا يهتدى بمناره اى لا منار له فيهتدى به واللاحب الطريق ومن كلامهم
هذا يوم لا ينادى وليده اى لا وليد فيه فينادى انتهى واليك تامل
معنى هذا التفسير الخامس وهو لبعضهم ايضا ان كلام الناظم لما اوهم
ان جميع مراييه صلى الله عليه وسلم من الوحي لزم ان جميعها لا يجرى الا على
ظاهرها اذا الوحي انما يكون كذلك لكنه صلى الله عليه وسلم قد تجرى رؤياه
على غير ظاهرها بقوله رايت بقرا تذبح ولم تجر على ظاهرها بل كانت البقر
يوم احد فلما راى الناظم ان كثيرا من مراييه لا يجرى على نهج الوحي فى حملها
على الظاهر وان كانت على نتيجة فى قصدها قال فليس اى كون تعبيرها
لتعبير مراى المحتلم لا يمنع كونها وحيا فهذا احتراس عما وهمه البيت
قبله من ان مراييه على ظاهرها كما هو الوحي انتهى قلت الجارى على ما قال
الا ياتى بالفاء فى قوله فليس الدالة على ان ما بعدها سبب عما قبلها بل
الجارى على قصد الاحتراس الواو ثم لا نسلم ان رؤيا الوحي انما يجرى على
ظاهرها بل اللازم فى رؤيا الوحي ما جريها على ظاهرها او صدق تاويلها
الا ترى رؤيا يوسف عليه السلام الشمس والقمر والكواكب وكذا كثير
من مراييه صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم لم يبق بعدى
من النبوة الا المبشرات وهى الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح او ترى له

وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزؤا من النبوة فجعل رؤيا غيره من النبوة مع انه معلوم ان اكثر المرائي الصادقة انما هي بالتاويل وانما كانت جزؤا من ستة واربعين جزؤا من لانه صلى الله عليه وسلم على ما ذكر كان ياتيه الوحي في النوم ستة اشهر ثم كان ياتيه يقظة وكانت نبوته صلى الله عليه وسلم بعد اربعين سنه وعاش ثلثا وستين سنة على الصحيح فزمن النبوة ثلاث وعشرون سنة فاذا جزيت ستة اشهر كانت ستة واربعين جزؤا من النبوة وذلك الجزء وهي الستة الاشهر التي كان الوحي فيها في النوم فان قلت ظهر من كلام الناظم ان كل رؤيا راها النبي صلى الله عليه وسلم بعد النبوة فهي من الوحي والوحي لا يتخلف فما وجه قوله صلى الله عليه وسلم اريت دار هجرتكم ذات نخل ولم ير احد البلدتين في النوم وانما ذلك ذهاب من وهله صلى الله عليه وسلم الى التاويل لم يجزم به فانه قال ذهب وهلي والبيان التام لم يقع له في النوم فهو من تاخير البيان الى وقت الحاجة كما قد يسبق الذهن في اليقظة الى حمل اللفظ على بعض محتملاته والتكليف قد يكون بخلافه قوله تبارك الله البيت تضمن هذا البيت الاستدلال على صحة الوحي في النوم وعلى صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يخبر به عن الغيب والمعنى تعاظم الله وتعالى عما يقوله من خرج عن شريعة الاسلام من ان الوحي يكون باكتساب العبد وسعيه في تحصيله برياضة النفس حتى تتجلى له الحقايق ويطلع على ما في اللوح المحفوظ بسبب تصفية باطنه فيخبر عن الغيوب وهؤلاء هم الذين يستبعدون بل ينكرون كون الوحي في النوم فان النوم حال تعطله لا حال تجاهد بل الحق الذي لا شك فيه انه ما وحي وان قل وما حقيقته وحي يكتسب لا حد لسعيه فيه بل هو باختصاص الله به من يشاء من عباده فلا ينكر كونه في نوم كما لا ينكر كونه في يقظة فان فعل الفاعل المختار لا يتخصص بحالة دون اخرى على سبيل الوجوب وقوله ولا يتمارى وتعاظم الله تعالى عن اتهام الانبيا بالكذب فيما اخبروا به من الغيب عن الله تعالى بل الحق اليقين

انه لا ينبني على اخبار غيب اتهم على ذلك الاخبار ويكذب فيه هذا شرح لفظه ثم لا بد من الاشارة الى بعض الاحاديث الدالة على ابتداء الوحي واتصاله بالرؤيا وانه تنام عيناه ولا ينام قلبه والى تقرير بعض ما قاله من قال بصحة اكتساب النبوة وابطاله والى بعض ما قيل في عصمة الانبيا من الكذب وغيره من المعاصي فان هذه الابيات تضمنت هذه الفصول روينا في الصحيحين عن عروة بن الزبير عن عايشة رضي الله عنها قالت اول ما بدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلا وكان يخلو بغار حرا يتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع الى اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجه فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقراء فقال ما انا بقاري قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقراء قلت ما انا بقاري فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق الى قوله تعالى ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجه بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجه واخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت له خديجه كلا ابشر فوالله ما يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوايب الحق فانطلقت به خديجه حتى اتت به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى ابن عم خديجه وكان امرا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجه يا ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال له ورقة يا ابن اخي ما ذا ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما راى فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعا يا ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

او مخرجهم قال نعم لم يأت قط احد بمثل ما جئت به الا عودي فان يدركني يومك انصرك نصرا موزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من روس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة جبل لكي يلقي بنفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك لرسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة جبل تبدا له جبريل فقال له مثل ذلك وخرج البخاري عن عايشة قالت قلت يا رسول الله اتنام قبل ان توتر قال يا عايشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي انتهى ثم كان ياتيه الوحي بعد في اليقظة وربما اتاه بحضرة اصحابه ومشاهدتهم خرج البخاري والنساي ان الحارث بن هشام قال يا رسول الله كيف ياتيك الوحي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا ياتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول وقالت عايشة ولقد رايته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم وان جبينه ليتفصد عرقا وخرج النساي عن عمر رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه الوحي يسمع عنده دوي كدوي النحل فكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا ولا تحرمنا واثرنا ولا توثر علينا وارضنا وارض عنا ثم قال لقد انزلت علي عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المومنون الايات واما ما اشرنا اليه من ان شق قلبه صلى الله عليه وسلم كان ليلة الاسراء فهو تخريج البخاري ومسلم والنساي وعن انس بن مالك ولعل ذكره موضعا هو اليق به من هذا نذكره فيه ان شا الله تعالى حيث يقول سريت من حرم البيت ونذكر بعضه هنا من لفظ البخاري لتضمنه معنى قولنا اذا نامت العينان لم ينم قال فيه عن انس عن ليلة اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه ثلثة نفر قبل ان يوحى اليه وهو نايم في المسجد الحرام فقال اولهم ايهم هو فقال اوسطهم هو خيرهم فقال

اخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى اتوه ليلة اخرى فيما يرى قلبه وينام عينه ولا ينام قلبه وكذا الانبيا تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه جبريل فشق جبريل ما بين نحره الى لبته حتى فرغ من جوفه وصدره فغسله بماء زمزم بيده حتى انقى جوفه ثم اتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشوا ايمانا وحكمة فحشى صدره ولغاديده يعني عروق حلقه ثم اطبقه ثم عرج به الى السماء الدنيا الحديث بطوله فان قلت ليس فيه ذكر القلب بل الصدر قال الاولى ان يكون الناظم اشار الى حديث ابن اسحق فان فيه شق القلب قلت الصدر محل القلب قال تعالى القلوب التي في الصدور فالمقصود بشق الصدر انما هو القلب والله اعلم واما تقرير مذهب من قال باكتساب النبوة فهو كفر صراح فزعموا ان ادراك حقايق الاشيا بنور الهي يظهر في القلب عند تطهيره من الصفات المذمومة لا بالسماع المجرد قالوا وكيفية الوصول الى ذلك بالمجاهدة بتطهير القلب عن جميع الصفات المذمومة والاقبال على الله بكنه الهمة واستغراق القلب بذكره حتى يفنى عن ادراك الحواس عن شعوره بنفسه فاذا تخلص عن حجاب البدن وكان مستغرقا بذكر الرب تعالى اشرق عليه نور العقل وهو عندهم عبارة عن موجود نسبته الى المعقولات والقوة العاقلة نسبة الشمس الى المبصرات والقوة الباصرة فعند اشراق انواره عليه حالة الاستغراق بذكر الله تعالى وانقطاع شغل الحواس عنه يتصل باللوح المحفوظ وينطبع فيه ما نقش فيه من الحقايق فان الله تعالى كتب فيه نسخة العالم باسره وقضاياه فيه الى يوم القيامة وعلى قدر قوة الشخص واستعداده وهمته وقبوله تكون شدة اتصاله وبذلك يعلم ما يكون من الغيب قالوا هذا النوع من الاتصال موجود بالقوة في جوهر البشر والنبي من جملة البشر فاذا حصل لشخص كوشف بحقايق الاشياء واشتغل باصلاح الخلق ودعوتهم الى الله فيسمى باعتبار دعوته رسولا ويسمى ما ينكشف له شريعة ويسمى حالة معجزة فان لم يشتغل بدعوة الخلق سمي وليا وحالة كرامة ولا يجب عليه الدعوة

اما الان الشريعة قايمة العين اولان شرايط لا توجد في هذا الولي وهذه الرحمة
وهي ارسال العلوم الى القلوب بالاطلاع على ملكوت السموات والارض مبذولة
بحكم الجود والكرم من الله للمتعرضين لها من غير منع من جهته تعالى فلما تعرض
لها المؤمن بتطهير القلب وتزكيته ادرك هذه الرحمة بحسب استعداده انتهى
هذا المذهب الخسيس ولولا تعرض الناظم لنفيه ما اشرنا الى هذه النبذة منه
وكان اللايق تطهير القلم منه لكن من لم يعرف الشر يقع فيه ومن لا يميز
ما يحصل من صورة الباطل كيف بنفيه ولا يخفى عليك انما قالوه مبني على
اصل الفلاسفة من ان العلة توجب معلولها ان وجد الشرط وزال
المانع وفيه ابطال قاعدة الفاعل المختار اذ لا واسطة بينهما والقول به
يفضي الى القول بقدم العالم ونفي المعاد مع ما فيه من المصادمة لنص
قوله تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين ومذهبهم كفر صراح والذي
عليه اهل الحق ان النبوة كرامة من الله تعالى لمن يشاء من عباده ونعمة
منه على من اصطفاه من خلقه ليس لاحد فيها اختيار بل هو فضل الله يؤتيه
من يشاء اهم يقسمون رحمة ربك الله اعلم حيث يجعل رسالته
ولولا الاطالة والخروج لابطلنا تلك القواعد وهذا الذي منعنا
من نقل الاقوال في النبوات على اختلاف اعتقاد الناس فيها وقد
تقدم لنا الفرق بين النبي والرسول واما عصمة الانبياء صلوات الله
عليهم فاجمعت الامة على عصمتهم بعد الرسالة من تعمد الكذب في الاحكام
والتبليغ عن الله تعالى لان ما ظهر على ايديهم من المعجزة دل على صدقهم
فلا يجوز عليهم الكذب والا ناقض مدلول المعجزة والى هذا اشار بقوله
ولا بني على غيب بمتهم واما غيره من المعاصي فالاجماع ايضا على عصمتهم من الكباير
والصغاير الخسيسة واختلف في عصمتهم من الصغاير غيرها فالذي عليه المحققون
عصمتهم منها ايضا لانا مامورون باتباعهم في كل ما يصدر عنهم من قول
او فعل فلو صدرت عنهم صغيرة لكنا مامورين بفعلها وذلك باطل لانها
فحشاء وقال تعالى قل ان الله لا يامر بالفحشاء فتلخص انهم معصومون من الصغاير

والكباير

والكباير صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وبقي في هاتين المسئلتين
ابحاث محلها علم الكلام واصول الفقه المعاني ان كانت للنهي
وهي الرواية فقوله تنكر من الخطاب العام لان كل مخاطب منه ما ان تامل
او تدع عن الانكار وان كانت للنفي والفعل بعدها مسند للغايب كان
المعنى لا يصح وجود حقيقة هذا الانكار لظهور دليل نقيضه وهذا ابلغ
وال في الوحي اما للجنس وهو الظاهر او هو للعهد ان اريد قضية الاسراء
واضافة رؤيا للتخصيص والتشريف وانما قال من رؤياه ولم يقع في مع انه
مقتضى الظاهر ليفيد التبعيض وانه ليس جميع مراتبه من الوحي وقال بعضهم
انما زايدة على مذهب من يرى ذلك وللضرورة واتيانه بالجملة الاسمية
موكدة بان اما لان المقام انكاري لان الخطاب مع المنكر او مع من لاح
عليه امارة الانكار كالقائلين باكتساب النبوة لاداء مذهبهم الى انكار
الوحي حال النوم كما تقدم واما لان المقام لانه بصدد ان يقال وكيف لا ينكر
الوحي في النوم او كيف يمكن في النوم وهو حال ذهاب العقل لتغطية القلب
فقال انه وهذا نحو قوله ان ذلك النجاح في التنكير وعلى كلها
فالجملة مستانفة وظاهر ان تنكير قلبا للنوعية وال في العينان للعهد
لنيابتها عن الضمير عند الكوفي اي عيناه وحذفه عند البصري اي منه وعلى الثاني
فهو من ايجاز الحذف وقال بعضهم في قوله اذا نامت الى اخره هي
شرطية اتفاقية لا لزومية اذا الشرط لا يستلزم الجزاء كما في قوله تعالى
لو كان فيهما الاية فان تعدد يستلزم الفساد بل هذه ينافر الشرط فيهما
الجزاء كقوله تعالى قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين الاية لان الحال
في الوهم ان من نام عينه نام قلبه وكون المسند اسم اشارة في قوله اما
للتعظيم اي الامر العظيم الخارق للعادة وهو كون الوحي في النوم او يقظة
القلب فان نامت العين فخرق من خرق العادة وهو النبوة واما لكشف حاله
وبيانه حتى كان مشاهد وذلك لمطابقة ما اخبر به ما هو في الوجود
من الاخبار عن بيت المقدس والعير وغير وتنكير وبلوغ للنوعية فاضافة

نبوة كاضافة ذوى واتى باسم ليس ضمير الشان لتتاهب النفوس وتتشوق
الى تحصيل الخبر المنفى بها وليكون فى البيت اطناب لاجل التفسير بعد الابهام
وتنكير وحى وبنى للعموم لانهما فى سياق النفى وزيدت الباء مكتسب
لتاكيد النفى وتنكيره وتنكير غيب ومتهم للتقليل قال بعضهم قوله
بمكتسب يحتمل ان يكون المعنى نفى ان الوحى لا يكتسب وهذا صرح فى الاهمات
وهو الذى عنى الناظم ويحتمل ان يكون المعنى ان الوحى لا يلحى ولا يتصل
احد وهذا كفر وعين الاحتمال الاول للورادة ان نفى الاكتساب لا يلزم
منه نفيا لوقوع بوجه آخر غير الاكتساب ثم لو احتمل اللفظه الامرين
لعين الاول السياق انتهى قلت قال اهل المعانى اذا قيل ما انا قمت
فالقيام ثابت وانما المنفى اسناده الى المتكلم فكذا هنا الوحى ثابت وانما
المنفى كونه مكتسبا وهذا مقرر فى علم المعانى لا يحتاج الى برهان فالسؤال
غير وارد البيان الظاهر ان اسناد النوم الى العينين والى القلب من
المجاز العقلى وكذا اسناد البلوغ الى النبوة لان من نبوته صفة بلوغ اى
كاين هو منها ويحتمل ان يكون من مجاز الحذف اى من زمن نبوته وان كان
التقدير بلوغه من النبوة مسافتها المعلومة فيكون استعار المسافة
للمنزلة الحكمية البديع فى الابيات الثلثة المذهب الكلامى ولا يخفى
عليك تقريره وفى البيت الاول مراعات النظير فى الوحى والنوم وفى القلب
والعينين وقوله نامت ولم ينم من الطباق السلبى الا ان الفاعل مختلف
وقوله ان له من المذهب الكلامى قال بعضهم وهو ايضا من انواع المبالغة
الاغراق فان يقظة القلب مع نوم العين محال عادة قلت ويلزم على طرده
ان كل اخبار عن معجزة تكون من هذا النوع وهذا باطل فان ذلك القلب يكون مع
نوع من المجاز والمعجزات لا مجاز فيها بل هى حقايق وان كانت خارقة للعادة وفى
ثبوت النوم للعينين وفى نفيه عن القلب التفريق وفى الثانى التجنيس الشبيه
بالاشتقاق فى حال ومحتلم وقيل ان قوله لا ينكر مع قوله فليس ينكر من التكرير
ويقدم انه العود على الكلام بما يوهم مناقضة لان البيت الاول يعطى

ان من رؤياه ما هو كالاحلام وقوله فليس يعطى ان من رؤياه ما هو كالاحلام
قلت وهذا مبنى على التفسير الخامس لهذا اللفظ وقد تقدم وفى الثانى مراعاة
النظير فى الوحى والنبى والغيب وفيه من التقسيم اضافة الشئ الى ما يليق به
فى نفى الاكتساب عن الوحى والتهمة على الغيب عن النبى والبيت كله من المذهب
الكلامى للبيتين قبله خاصة وتشاركت الثلثة فى ذلك باعتبار ابيلها
كما قدمنا الاعراب لا ناهية وتنكر مجزوم بها وكسر لالتقاء الساكنين
وان كانت نافية فهو مرفوع وفى بعض النسخ لا تنكروا بالخطاب للجماعة والنون
مفعول ومن رؤياه متعلق بتنكر وتقدم معنى من ويحتمل ان يكون لابتداء
الغاية اى لا تنكر ابتداء الوحى من رؤياه وقيل هى للبيان او بمعنى فى ويحتمل
ان يكون من رؤياه حالا من الوحى وقلبا اسم ان وله خبرها واذا ظرف يقتضى
الاستقبال وفيه معنى الشرط واذا انطلب جوابا ولكنه لا يجزم الا فى نادر الشعر
ولا يليه عند سيبويه الا الفعل ظاهرا او مقدرا و تمام احكامه وفروعه فى علم
النحو وجملة نامت العينان فى موضع خفض باضافة اذا اليها وجملة لم ينم
فى موضع جوابها وهى العاملة فى اذا على الصحيح ونامت ماض لفظا مستقبل
معنى لاضافة الظرف المستقبل اليه وكذا لم ينم مستقبل معنى لعمله فى الظرف
المستقبل وان كانت لم تقلب المضارع الى المضى ففى ينم تحويلان تحويل الى
المضى بلم ثم تحويل الى الاستقبال لعمله فى المستقبل وانما قدمت اذا على عاملها
لان اسم الشرط له صدر الكلام وجملة اذا بشرطها وجوابها فى موضع الصفة
لقلبا اى قلبا غير نايم اذا نامت عيناه فذلك الفاء عاطفة جملة خبرية على
انشائية وذلك مبتداء والاشارة الى كون الوحى فى رؤياه وقيل الى مضمون جملة
ان له حين بلوغ ظرف زمان وخفض به فى موضع الخبر ومن نبوته فى موضع الصفة
لبلوغ وقيل متعلق ببلوغ ويحتمل تعلقه بعامل الخبر فليس الفاء عاطفة وتقدم
معناها واسم ليس ضمير الشان مستتر معها وجملة ينكر الى آخر هى الخبر وتقدم
فى التفسير اعراب مفردات آخرها وقيل يحتمل اسم ليس ان يكون ضميرا عايدا على النبى
صلى الله عليه وسلم او يكون اسمها حال محتلم وضمير ينكر يعود عليه

قلت وفي هذا الاخير عود الضمير من الخبر على الاسم المتأخر تبارك فعل ماض لا يتصرف فلا يستعمل مضارعه ولا اسم فاعله ولا مصدره ولا غيرها ما يحتمل ان تكون حجازية ووحي اسمها والمجرور خبرها واصله النصب والباء زايدة لتأكيد النفي ويحتمل ان تكون تميمية ووحي مبتداء والمجرور خبر والباء زايدة فيه وهو على راي غير الفارسي والزمخشري في جواز زيادتها في خبر التميمية ولا اما عاملة عمل ليس عند من يراه وبحا اسمها وبمتهم خبرها واصله النصب والباء زايدة ومن لا يراه فبحي مبتدأ سوغ الابتداء به النفي خبره بمتهم والباء زايدة ايضا وعلى غيب متعلق بمتهم الاشارات يحتمل ان يكون اشار بقوله لا تنكر البيت الى ان من رآه صلى الله عليه وسلم في النوم فقد راى الوحي اي ذا الوحي والحق وسماه وحيا لان الوحي لا شك فيه وهذا لقوله صلى الله عليه وسلم من راني في النوم فقد راني حقا والشيطان لا يتمثل بي وفي رواية فقد راى الحق فراى على هذا مصدر مضاف للمفعول ومن هذا الوحي رؤية الذي راى هذه القصيدة تنشد بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل كما يتمايل القضيب فاصبح اي الناظم وطلبها منه ولم يكن الناظم اعلم بها احدا بعد وقوله ان لي الى اخره اي ان لرؤية النبي صلى الله عليه وسلم في النوم قلبا لا ينام اي نامت عيناه اي ليس يراه في النوم الا من كان معلق القلب بالله ورسوله وشان هذا يقظة القلب في نومه فجدير ان يرى الحق حتى ان بعض الصالحين كان يمتنع من المعصية في نومه وقال بعضهم لم احتلم قط الايام ولدي فلانة وذلك لكثرة مراقبتهم ومثل هذا هو الذي تكون رؤياه جزء من النبوة فيكاشف في النوم وتصدق رؤياه وتكون له هذا حين ترتقي الى درجة الصالحين لقوله صلى الله عليه وسلم يراها الرجل الصالح او يرى له والى هذا الاشارة بقوله فذاك حين بلوغ اي فرؤيا المؤمن التي هي من الوحي حين بلوغ من درجة نبوة اي القدر الذي ينال من درجة النبوة وهذا صدق الرؤيا فلذا اضاف النبوة اليه والا فحقيقة النبوة على التمام لا مطمع فيها لاحد من خلق الله تعالى بعد محمد صلى الله عليه وسلم فانه خاتم الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين

فليس

فليس ينكر فيمن ادرك درجة الصلاح ادراك ما هو من الوحي حال احتلامه ليقظة قلبه ولما كان هذا القدر هو الذي تصل اليه من ليس بنبي من صدق الرؤيا نزه الناظم الله تعالى عما يتوهمه الجاهل من اكتساب الوحي فلا يظن لهذا ذلك كاين بعد النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وهو الصادق اذ لا نبي على غيب بمتهم اماتنا الله مسلمين والحقنا بعبادة الصالحين اصل

كم ابرأت وصبا باللمس راحته   واطلقت اربا من ربقة اللمم

واحيت السنة الشهباء دعوته   حتى حكت غرة في الاعصر الدهم

بعارض جاد او خلت البطاح بها   سيبا من اليم او سيلا من العرم

الغريب كم قال الجوهري اسم ناقص مبهم مبني على السكون قلت وتقدم في قوله كم حسنت برئت من المرض بكسر الراء وفتحها وابراني الله وقال الجوهري برئت منك ومن الديون والعيوب براءة وبرئت من المرض برءا بالضم واهل الحجاز يقولون برأت من المرض برءا بالفتح واصبح فلان بارئا من مرضه الله وابراه الله من المرض والوصب المرض وقد وصب يوصب فهو وصب واوصبه الله فهو موصب والموصب بالتشديد الكثير الاوجاع اللمس باليد وقد لمسه يلمسه والراحة الكف وتقدمت الارب بضم الهمزة وفتح الراء العقد جمع اربة بضم الهمزة وسكون الراء وهي العقدة ومثلها ركبة وركب والارب ايضا صغار البهم ويضبط ايضا ارب بفتح الهمزة والراء وهي الحاجة اي اذا ارب ويقال في الحاجة ايضا ارب بكسر الهمزة وسكون الراء واربة بالهاء ومأربة بفتح الراء وضمها وفي المثل مأربة لا حفاوة والحفاوة بالفتح المبالغة في السؤال عن الرجل والعناية في امره ويقول منه ارب الرجل بالكسر يأرب اربا وقوله تعالى غير اولي الاربة من الرجال قال سعيد بن جبير هو المعتوه وتأريب العقد احكامها يقال ارب عقدتك وهي التي لا تنحل حتى تحل حلا والتأرب التشدد في الشيء وتأربت في حاجتي وتأرب فلان على ان تأبى الربقة بالكسر حبل ذو عرى يشد بها البهم يجعل في اعناقها الواحدة من العرى ربقة وفي الحديث خلع ربقة الاسلام من عنقه والجمع ربق وارباق ورباق وفي الحديث

لكم العهد ما لم تاكلوا الرباق والربق بالفتح مصدر ربقت الجدي اربقه واربقه
اذا جعلت راسه في الربقة فارتبق وارتبق الظبي في حبالتي علق والربيقة
البهيمة المربوقة في الربق وقولهم رمدت الضأن فربق ربق اي هيئ الارباق
فانها تلد عن قرب لانها لا تضع الا على راس الولد بخلاف المعزى وكذا قالوا
فيها رنق رنق بالنون وام الربيق الداهية واللمم بالفتح الجنون وقال الجوهري
ضرب من الجنون ورجل ملموم اي به لمم واصابته من الجن لمة وهي المس والشيء
القليل قيل واستعمل الناظم هذه الالفاظ هنا مجازا فاراد بالارب المضموم
الهمزة صغار الادميين ثم استعار الربقة للجنون ترشيحا للمجاز قلت هكذا
وقع هذا الكلام في النسخة التي نقلت منها ولعل قوله صغار الادميين على
حذف مضاف اي ذوا صغار الادميين او يكون من باب تسمية الشيء باسم
ما يجاوره فسمى اليهم اربا ثم استعاره للصغار كما ذكر وفيه من التكلف ما لا يخفى
ويحتمل ان يريد اللمم التي هي صغار الذنوب ثم استعارها لكبارها مع ان
مرتكب المعصية صغيرة او كبيرة مربوط في ربقة الاثم ويقال منه الم الرجل
قال ان تغفر اللهم تغفر جما واي عبد لك لا الما ويقال اللمم ايضا مقاربة المعصية
من غير مواقعة وقال الاخفش المقارب من الذنوب السنة واحد السنين
ولامه واو وقيل ها واصلها سنهة كجبهة من سنهت النخلة وتسنهت اتى
عليها السنون وهي سنتها قيل يحمل سنة دون اخرى وقيل اصابتها السنة
المجدبة كارض سنة اي مجدبة وسنيت عنده وتسنهت واستاجرته مساناة
ومسانهة وسنيهة وسنية واذا جمعت بالواو والنون كسرت السين وبعضهم
يضم ومن قال سنين برفع النون ضئيل نغلين كغسلين وهو جمع شاذ كما
شذ عدى في الجموع وقيل فعيل وجا عليه الجمع ككليب وعبيد والنون في هذا
القول بدل من اليا وقوله تعالى ثلثماية سنين وقال الاخفش
ان قرا ثلثماية تجر وان قرا ثلث فنصب على ان لامه واو ويقال اسنى القوم يسنون
اسنا لبثوا في موضع سنة واسنتوا اصابهم جدب قلبوا الواو تاء للفرق بينهما
قال المازني ولا يقاس عليه والسنة الشهباء التي لا مطر فيها ولا نبات

وسنة

وسنه بيضاء وحمراء وغبراء وظلماء بمعنى واحد والشهبة بياض على سواد
وشهب بالكسر شهبا واشهب الراس وفرس اشهب واشهب اشهيبابا مثله وغرة
شهباء فيها شعر يخالف البياض واشهاب الزرع هاج وفي خلاله شي اخضر
واليوم ذو الريح الباردة والصقيع اشهب والليلة شهباء وكتيبة شهباء
لبياض الحديد والنصل الاشهب برد فذهب سواده والدعوة المرة الواحدة من
والدعاء واحد الادعية واصل همزه واو ودعوت الله له وعليه دعاء
ويقال للمراة انت تدعين وتدعوين بالاشمام وللجماعة الرجال والنساء
تدعون وحكت اي شابهت وحكيت فعله وحاكيته فعلت مثل فعله والمحاكاة
المشابهة وفلان يحكي الشمس حسنا ويحاكيها بمعنى غرة القوم بضم العين
وشد الراء سيدهم والجمع غرر وغرة المال الخيل والعبيد اي افضله واحسنه
وغرة كل شي افضله وغرة الفرس بياض في جبهته وبه قصد الناظم تشبيه
السنة التي احييت بدعائه صلى الله عليه وسلم بين السنين وقال الجوهري
الغرة بياض في جبهة الفرس فوق الدرهم وفرس اغر والاغر الابيض وقوم
غران ورجل اغر شريف والغرر ثلث ليال من اول الشهر وغرة عبد وامة كانه
عبر عن الجسم كله بالغرة العصر الدهر وهو كوزن ويقال بضم العين ايضا
وبضمها مع ضم الصاد ويجمع في القلة اعصر واعصار وفي الكثرة عصور
والعصران الغداة والعشي ومنه سميت صلاة العصر وهما ايضا الليل
والنهار قال حميد بن ثور ولن يلبث العصران يوم وليلة اذا طلبا
ان يدركا ما تيمما الدهم بضم الدال وسكون الها ويجوز ضمها اتباعا
جمع ادهم وهو الاسود قيل ويروى البهم جمع البهيم وفرس بهيم للذكر
والانثى اي مصمت لا يخالط لونه شي فهو ذو اللون الواحد وجمعه بهم
كرغيف ورغف والاول اظهر وقال الاصمعي اثر ادهم حديد واثر
اغبر قديم وقال عنترة اثر ادهم قديم دارس قال وفي كل روض
جنتها انت واجد بها اثرا منها جديدا وادهما فهو على هذا من الاضداد
وقال الجوهري الدهمة السواد فرس وبعير ادهم وناقة دهماء اشتد

رزقة حتى ذهب البياض الذى فيه فان زاد واشتد السواد فجون وادهم
الفرس ادهما ما صار ادهم وادهام الشئ ادهماما اى اسود ومنه مدهامتان
اى سوداء وان من شدة الخضرة من الرى والعرب تقول لكل اخضر اسود وسميت
قرى العراق سوداء لكثرة خضرتها والعارض السحاب يعترض فى الافق ومنه
عارض ممطرنا والمادة عريضة وجاد كثر مطره ومنه اصابتها سماء جود
والجود المطر الغزير وجاد المطر جودا فهو جايد والجمع جود كصاحب وصحب
وهاجت لنا سماء جود ومطرنا مطرين جودين وجيدت الارض فهى مجودة
وخلت ظننت خيلا وخيلة ومخيلة وخيلولة وفى المثل من يسمع يخل اى يظن
والمضارع اخال بكسر الهمزة وهو الافصح وبفتحها بنو اسد وهو القياس
واخال الشئ اشبه وامر لا يخيل وخيلت للناقة واخيلت وضعت قرب
ولدها خيالا لئلا يقربه الذئب وفلان يمضى على المخيل اى ما خيلت اى شبهت
يعنى على غرر لا تقين وخيل اليه مبنى للمفعول من التخييل والوهم واخلت فيه
خالا من الخير وتخولته فيه تفرسته فيه وتخيل لى انه كذا اى تشبه وتخايل
وتخيلته فتخيل تحققته فتحقق والابطح مسيل واسع فيه دقاق الحصى والجمع
الاباطح والبطاح ايضا على غير قياس وبطاح بطح كاعوام عوم والبطيحة
والبطحاء مثل الابطح ومنه بطحاء مكة وبطايح النبط بين العراقين وتبطح
السيل اتسع فى البطحاء الشيب مصدر ساب الماء يسيب اى جرى والسيب
بالكسر مجرى الماء وانساب فلان نحوكم اى رجع وانسابت الحية جرت اليم
البحر ويم الرجل فهو ميموم طرح فى البحر والسيل واحد السيول وسال الماء وغيره
سيلا وسيلانا واساله غيره وسيله ايضا ومسيل الماء موضع سيله
والجمع مسايل ويجمع ايضا على مسل وامسله ومسلان على غير قياس لان مفعلا
لا يجمع على ذلك لكن شبهوه بفعيل كرغيف ورغف وارغفة ورغفان ويقال
للمسيل ايضا مسيل بالتحريك وقيل فى قوله تعالى سيل العرم ان العرم حجارة
مركومة عقد وها لحبس الماء وقيل العرم اسم الوادى وقيل المطر الشديد
وقيل الجرد الذى نقب عليهم السد والعرم بلسان اليمن المسناة لا واحد لها

من لفظها ويقال واحدتها عرمة المقتبس لما كان قوله لا ينبى على غيب
بمتهم يتضمن صدقه صلى الله عليه وسلم فى كل ما اخبر به عقب ذلك بذكر
بعض ما ظهر على يديه من المعجزات الدالة على صدقه فقال كثيرا ما ابرأت المرض
راحته اى كفه بمجرد اللمس الصادر منه بها المرض المذكور وقوله واطلقت
اى كثيرا ما اطلقت راحته اربا اى حلت عقدا كاينة تلك العقد من ربقة اللمم
من عقد حبل الجنون التى يربطون بها الادميين وهذا على سبيل الاستعارة
والتشبيه لان الجان لما كان يخنق الادمى ومحل الخنق العنق فشبه فعله
ذلك بالادميين بالحبل الذى فيه عرى يدخل فى تلك العرى اعناق الخرفان
لئلا تذهب فمن شفاه الله من الجنون ببركة لمس النبى صلى الله عليه وسلم اياه
براحته فقد اطلقت عنه عقد الجان واشبه من حل عقد الحبل عن عنق
الخروف فذهب عنه ذلك ويحتمل ان يكون المعنى واطلقت ذا عقد من ربقة
الجنون عقد فيها وتقدم فى الغريب ما شرح به بعضهم هذا اللفظ وان فسر اللمم
بالذنوب والمعاصى فالمعنى كثيرا ما اطلقت راحته عقدا من ربقة حبل الكفر
او ذا عقد من ربقة حبل الكفر عقد فيها ثم اصبح منها محلولا ببركة مسه بكفه
صلى الله عليه وسلم وتكون الاشارة بذلك الى مثل قصة الذى نوى قتله
صلى الله عليه وسلم فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ضميره فقال الرسول الله
صلى الله عليه وسلم ما كنت تحدث به نفسك يا فلان فانكر فدعا ووضع
يده على صدره فاذهب الله ما تحدو واسلم او الى مثل الاعرابى الذى اعطاه فقال
له احسنت اليك فقال ولا اجملت فهم به الصحابة رضى الله عنهم فزجرهم النبى
صلى الله عليه وسلم ثم دعاه خاليا وزاده فى العطا حتى شكر واثنى خيرا وقال له
انك قلت قبل ما قلت وبقى فى قلوب اصحابى من ذلك شئ فاتمم وقيل بحضرتهم ما قلت
الان ففعل ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلى ومثل هذا كرجل
شردت عنه راحلته فصاح به الناس فنفرت فقال صاحبها دعونى وايها
فانا اعرف بها فاخذ بها من قمام الارض واتاها من قبل وجهها فامسكها
فكذا لو تركتم لهذا الاعرابى لهلك فقد اطلقت راحته صلى الله عليه وسلم

هذا والذي قبله من رقة الكف الا ان الاول بمجرد اللمس بالراحة والثاني
بالاعطاء بها والاول اقرب للفظه على انه لم يصرح باللمس الا في الجملة الاولى
وشواهد المعنى الثاني لا تحصى كثيرة فانه سر النبوة ويحتمل ان يكون اربا على
وزن فرح اي ذي حاجة وهو اعم من ان يكون للاعطاء او للاشفاء او للتخلص
من اثم والمحتاج الى الشيء قبل اتصاله بحاجته كانه مجنون فاذا اتصل بها كانت
اطلق ويكون اللمم على هذا اسما للمراد به الا انسان من حاجة فان صح كونه
كذلك لغة والا فهو على المجاز والتشبيه وقوله واحييت البيتا اي وكم آية حييت
السنة التي اصابها الجدب حتى صار لون نباتها اليبسه من قلة الماء وقلة الخضرة
اشهب او حتى صار لون وجه الارض في زمانها لقلة النبات فيه من اجل القحط
كانه اشهب ويحتمل سبب تسميتها شهباء وجها آخر وقال بعضهم سماها بذلك
لدوام ظهور الشمس فيها فيما قبل الاستسقاء قلت لو كان لذلك لسماها بيضاء
دعوته اي دعاؤه وتضرعه الى الله تعالى في ان يحيي الله تلك السنة بالمطر لانها
من قلته يشبه الميت فاستجاب الله دعاءه فنزل المطر وحييت السنة بما اشتملت
عليه من الخصب الى سائر الاعصر الدهم اي الى ازمنة الخصب دهما لشدة خضرة النبات
فيها والى هذا اشار بقوله حتى حكت اي جيئت بالخصب حتى شابهت الافضل
في الاعصر الدهم او يكون المعنى فاشتهرت هذه السنة بالحيا والخصب فكانت
شهرتها في الاعصر الدهم وهي سنو الخصب شهرة غرة الفرس الادهم فيه فيعقد
لفظه على هذا حتى شابهت في الاعصر الدهم لشهرتها فيها غرة الفرس الادهم
لشهرتها فيه ويحتمل على بعد تعلق حتى بالشهباء اي اشتهابت من الجدب حتى شابهت
الغرة في الاعصر الدهم وهي سنو الجدب وسميت دهما لانه يقال في السنة الشين
سنة ظلما وتفسير الغرة في هذا الوجه كالذي قبله ويحتمل ثالثا وهو ان المعنى
صارت لخصبها وكثرة بركتها غرة في الاعصر السود المجدبة فهي غرة الداهية
المتقادمة اي يضرب بها المثل في السنين المتطاولة قلت وفي هذا التفسير
تكلف لانه يتعذر منه تفسير الغرة بالاحرين اما بالافضل من الشيء فلان
هذه السنة ليست من سنخ الجدب حتى يجعل الفضلى فيها واما باعتبار جدبة

ولا

ولاخصبة فان قلت ان اريد غرة الفرس فلفظ حكت متمكن وان اريد بها احسن
الشيء فكيف يقول حكت مع انها نفس الافضل والشيء لا يشابه نفسه
لان المشابهة نسبة قلت لما كان اول هذه السنة مجدبا فاتت منها بعض
المنافع فلم تكن افضل السنين المخصبة بالاطلاق بل بعد نزول المطر فصح
ان يقال حكت ولا يبعد ان يوجه بمثل هذا شرح الشيخ لاشتمال
هذه السنة على جدب وخصب وقوله بعارض البيت اي احييتها بعارض
ارسله الله فيها جاد كثر مطره او خلت او بمعنى الواو اي وظننت البطاح وهي
مسايل الماء الواسعة مما تغذ فيها من كثرة ذلك المطر جريانا من البحر
لان البطاح لكونها فيها دقاق الحصى الغالب عليها ان تكون رملة والارض
الرملة كما هي ارض البحر غالبا لا يستنقع فيها الماء الا ان عرض كالجرار الا
الكبيرة كسد العرم وهو سد اهل اليمن الذي بنته بلقيس على ما ذكر اهل التفسير
والتاريخ من عظمته وكيفيته واحكام صنعه منعا من نقل ذلك الخروج فان
مثل ذلك السد اذا انخرق ينفذ منه الماء في مثل البطاح والاقلاد لكونها
تسع القليل فلذا قال خلت البطاح من اجل ذلك المطر بها جري من البحر
او سيل من العرم وانما خص ماء البحر بالجري وماء العرم بالسيل لان البحر لعمومه
فيضه يجري في الارض المنبطحة والى اسفل والى فوق والعرم غالبا انما يصنع
في اعلا الارض ليسقي به اماكن متعددة فلا يجري الا سائلا ولهوا فقد الاية
في هذا ايضا **ذكر** ما تضمنت هذه الابيات من الاخبار اما ابراء المرض الذي
مسته بكفه صلى الله عليه وسلم فمن ذلك ان شرحبيل الجعفي كانت بكفه
سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم
فلما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها اثر واصيب يوم احد عين قتادة
بن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها صلى الله عليه وسلم فكانت احسن
عينيه وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت رواه ابن وهب ومن رواته
ايضا ان خبيب بن يساف اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه
حتى صح وانكفات القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا
له وتفل فيه فبرئ لحينه ومما شفي ببركة مس يده صلى الله عليه وسلم ما روي
ان ابن ملاعب الاسنة اصابه استسقاء فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم
فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا
يرى ان قد هزي به فاتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله ومن لطائف
راحته الارب من ربقة اللمم الذي هو الجنون ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة اي قاء فخرج من جوفه
مثل الجرو الاسود ومما يناسبه من بركة يده في ازالة هذا المرض ما روي
ان امرأة من خثعم اتته ومعها صبي به بلاء لا يتكلم فاتي بماء فمضمض فاه
وغسل يديه ثم اعطاها اياه وامرها بسقيه ومسه به فبرئ الغلام وعقل
عقلا يفضل عقول الناس ومما يناسبه لتاثيرها في ابراء الاوصاب الا انه ليس ب
الكف ما روي عن حبيب بن فديك او فويك ان اباه ابيضت عيناه فكان
لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فابصر
فرأيته يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين سنة ورمي كلثوم بن الحصين يوم
احد في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرأ وتفل على شجة عبد الله
بن انيس فلم تمد ومثله في اثر سهم كان في وجه ابي قتادة وتفل في عيني
علي يوم خيبر وكان رمدا فاصبح بارئا وعلى ضربة بساق سلمة ابن الاكوع
يوم خيبر فبرئت وفي رجل زيد بن معاذ حين اصابها السيف الى الكعب حين
قتل ابن الاشرف فبرئت وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق اذ انكسرت فبرئ مكانه
وما نزل عن فرسه واشتكى علي فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم اشفه او عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وهذا باب
لا يحاط به خصوصا في انقلاب الاعيان فيما لمسه ببركة لمسه وقد عقد
لذلك القاضي ابو الفضل عياض رحمه الله فصلا اتى فيه من ذلك بالعجائب
وان كان بعض البعض مما ورد واما احياء السنة الشهباء بدعائه فقد كثر

ما يحصى

ما لا يحصى كثرة من ذلك حديث انس المشهور المذكور في الصحيحين وغيرهما حتى
لقد رواه البخاري عن انس من نحو ثمانية طرق منها عن ابن اسحق بن عبد الله بن
ابي طلحة الانصاري عن انس بن مالك قال اصابت الناس سنة على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر
يوم الجمعة فقام اعرابي فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم هلك المال وجاع
العيال فادعو الله لنا ان يسقينا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وما
في السماء قزعة قال فثار سحاب امثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت
المطر يتحادر على لحيته قال فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد والذي
يليه الى الجمعة الاخرى فقام ذلك الاعرابي او رجل غيره فقال يا رسول الله تهدم
البناء وغرق المال فادعو الله لنا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا قال فما جعل يشير بيده الى ناحية
من السماء الا تفرجت حتى صارت المدينة في مثل الجوبة حتى سال الوادي قناة
شهرا قال فلم يجئ احد من ناحية الا حدث بالجود وخرج البخاري ايضا من حديث
الزهري عن عباد بن تميم ان عمه وكان من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اخبره
ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج بالناس يستسقي لهم فقام فدعا الله قائما
ثم توجه الى القبلة وحول رداءه فاسقوا وخرج البخاري ايضا عن محمد بن كثير
عن سفيان قال حدثنا منصور والاعمش عن ابي الضحى عن مسروق اتيت
ابن مسعود فقال ان قريشا ابطؤوا عن الاسلام فدعا عليهم النبي صلى الله
عليه وسلم فاخذتهم سنة حتى هلكوا فيها واكلوا الميتة والعظام فجاءه
ابو سفيان فقال يا محمد جئت تامر بصلة الرحم وان قومك هلكوا فادع الله فقرأ
فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين ثم عادوا الى كفرهم فذلك قوله يوم
نبطش البطشة الكبرى يوم بدر وزاد اسباط عن منصور فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث فاطبقت عليهم سبعا وشكى الناس كثرة
المطر فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة عن راسه فسقوا الناس
حولهم ووجدت في نسخة من كتاب رزين واحاديثه انما هي من الموطا والصحيح

وسنن ابي داود والترمذي وسنن الكبرى للنسائي في من احاديث الاستسقاء
ما نصه واتفق حديث محمد بن مسلم وحديث عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما حول رداءه بعد ان استقبل القبلة دعا الله تعالى ثم اقبل على الناس بوجهه
واتم باقي خطبته ثم نزل وصلى ركعتين فانشا الله سحابة فرعدت وابرقت
ثم امطرت باذن الله فلم يأت مسجده حتى سالت السيول فاسرعوا الى الكن فلما رأى
سرعتهم ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال اشهد ان الله على كل شيء قدير
واني عبد الله ورسوله وفي حديث عمر رضي الله عنه في جيش العسرة وذكر ما اصابهم
من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب ابو بكر
الى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعا فرفع يديه فلم ترجعا حتى قالت السحاب فانسكبت
فملؤا ما معهم من انيه ولم تجاوز العسكر ذكره القاضي في الشفاء وروي ان اهل مكة
تتابعت عليهم سنو جدب فاستسقى بهم عبد المطلب فقام فاعتضد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام قد ايفع ثم قال اللهم
ساد الخلة وكاشف الكربة انت عالم غير معلم ومسؤول غير مبخل وهذه عبداؤك
واماؤك بعذرات حرمك يشكون اليك سنتهم فاسمعن اللهم وامطرن
علينا غيثا سريعا مغدقا فما راموا حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادي
بثجيجه ولقد عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم يمن الكرامة قديما وحديثا
حتى ان عمه ابا طالب قال فيه وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال
اليتامى عصمة للارامل وقال صلى الله عليه وسلم حين استسقى على المنبر
فاجيبت دعوته لو ادرك ابو طالب هذا اليوم لسره فقال بعض الصحابة كانك
يا رسول الله اردت قوله وابيض البيت قال اجل ومما يدل على ان ذلك
امر معروف منه صلى الله عليه وسلم ما في البخاري عن انس ان عمر رضي الله عنه
كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال اللهم
انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا
فيسقون فقوله كنا يقتضي الدوام ومثله ايضا ما في البخاري عن ابن عمر
ربما ذكرت قول الشاعر وانا انظر الى وجه النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي

فما ينزل حتى يجيش لك ميزاب وابيض البيت فقوله هذا يقتضي التكرار وانما
اطنبنا في هذا بعض الاطناب لان بعضهم قال قوله احييت معطوف على
كم ولا يصح عطفه على ابرأت لانه يرده اللفظ والمعنى اما اللفظ فللزوم كون
السنة تمييزا ولا يصح لانه معرفة واما المعنى فلان احيا السنة بدعوته انما
اتفق مرة واحدة وعطفه على ابرأت يؤذن بالتكثير انتهى قلت اما قوله
يلزم ان تكون السنة تمييزا فليس كذلك بل هو مفعول واما قوله يلزم
في المعنى ان يكون ذلك كثيرا وانما وقع مرة فدعوى هذا الحصر جسارة عظيمة
وانت ترى ما نقلنا من ذلك من كتاب البخاري وحده فكيف بما تضمنته مسانيد
الائمة مما لا يحصى عدد تلك المسانيد فضلا عما تضمنته من احاديث اجابة
دعائه صلى الله عليه وسلم في الاستسقاءات ولولا قصد الايجاز ورجاء
الاتمام من هذا التأليف ان شاء الله بفضله والايجاز لاريناك
من ذلك ما تقر به العين وتنزاح بسببه الريب والمين هذا ان وقفنا
مع احيا السنة الشهباء بدعوته وان قلنا المراد الاشارة الى استجابة دعائه
وظهور معجزته في ايجاد الماء عند الحاجة اليه فاحاديث نبع الماء بين اصابعه
متواترة المعنى ان لم تكن متواترة المعنى ان لم تكن متواترة اللفظ مع ذلك
ومن اراد تصحيح ذلك وتتبع احاديث البخاري في ذلك وما تضمنه ذلك الفصل
من كتاب الشفاء والعلم لا ينال براحة الجسم وذكر في الشفاء عن عمرو بن شعيب
ان ابا طالب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت
وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال
اشرب صلى الله عليه وسلم المعاني الاتيان بكم للدلالة على كثرة وقوع تلك
المعجزات منه وتنكير وصبا وربا للتعظيم وال في الكس واللم للحقيقة واضافة
راحة للاختصاص وتقديم وصبا عليه للاهتمام بشأنه وفيه له من ربقة لتفخيم
الابهام ربا فهو من الاطناب وال في السنة الاولى كونها جنسية واضافة دعوة
وتأخيرها عن السنة كراحة والاولى عطف اطلقت واحييت على ابرأت ليدخل في
التكثير لا على كم وتنكير غرة للنوعية وال في الاعصر الدهم للجنس والعموم والاطلاق

ليفيد ان خضب هذه السنة لم يعهد مثله في جميع سني الخضب في تلك البلاد او مطلقا
ولو قال في اعصرهم بالتنكير لفات هذا المعنى فزعم بعضهم ان التنكير حسن
في هذا المقام وتنكير عارض للتعظيم او النوعية واتا باو وان كانت بمعنى الواو اما لاقامة
الوزن او ليوهم ان الناظر تشكك لكثرة الماء الكائن على سطح الارض في اعتقاد
انه من العارض او من البحر او من السد واذا كانت على حقيقتها ففي الكلام ترتيب
العادة لانه انما يستنقع في الارض غالبا من ماء المطر اقل من الذي يصعد فيها من البحر
وهذا الصاعد من البحر اقل من الذي يسيح فيها عند انفجار الاسداد كما في جسور
النيل اذا كسرت لان الصاعد من البحر ليس على وفق طبيعة الماء لانه يطلب مركز السفل
بطبعه فلا يخرج عند الاقسر والسائل من السد يجري بحسب طبعه لانه من اعلى فيكون
عمومه واستقراره اكثر لانه استقر في مركزه فهو على العكس والخطاب في قوله حلت من
الخطاب العام وال في البطاح للعهد ويحتمل الجنس وتنكير سيبا وسيلا للنوعية
وكل منهما مع ما فسره من المجرور عن الابهام ثم الايضاح وال في اليم للجنس وفخامة
له او للعهد **البيان** اسناد الابراء والاطلاق الى راحته من المجاز العقلي ويجوز
ان يكون مع ذلك من مجاز الحذف اي بركة مس راحته فهو مجاز في مجاز واسناد
البرء الى الوصب والاطلاق الى الارب اما حقيقة او من مجاز الحذف اي ذا الوصب
او ذا الارب او من تسمية صاحب الوصب باسمه وصاحب الارب باسمها او يكون من
الاستعارة بالكناية بان يشبه فالارب ان كان الكلام على حذف مضاف على تقدير
اختلاف التفاسير في الارب بجروف لم يذكر وذكر من لوازمه الربقة الا انها تجريد
لانها قرنت بما يلائم المستعار له وهو اللمم على اختلاف التفاسير فيه ايضا والجامع
في هذه الاستعارة ان كان المراد اللمم الجنون كون المجنون يشبه صوته وغطيطه
عند الخنق صوت المخروق او المراد الصبيان الصغار كما اشار اليه بعضهم وان كان
المراد ذو الحاجة فالجامع كون صاحب الحاجة يريد التفلت منها ولا يجد كارادة
المخروق التفلت من الربقة كرضاع او دعي ولا يقدر فاذا اطلق تخلصا ووثاق الامام
المانعة من الخيرات اشد من هذا كله ان كان المراد الغاء واسناد الاحياء الى الدعوة
مجاز عقلي وكذا الى السنة لانه من الاسناد الى السبب وكذا الاسناد الى الراحة

وتسمية السنة شهباء اما حقيقة باعتبار ان الجو يعتريها واما على التشبيه
وكذا وصف الاعصر بالدهم واما اطلاق الغرة عليها فمن التشبيه لا الكناية
لان لفظه حكت بمعنى شابهت والاستعارة مبناها على تناسي التشبيه كما قدمنا
غير مرة وتامل كلام بعضهم في هذا البيت فانه مع التثبت لا يثبت واسناد جاد
الى ضمير العارض الظاهر انه مجاز سواء كان بمعنى الامطار كما تقدم في تفسيره
لغة او بمعنى التكرم وفي كلام بعضهم اي كانه اعطاها ماء غدقا قلت معنى السيب
لغة الجريان كما تقدم وما قاله ان صح يكون هيهنا بمعنى ما اعطيته الارض من النبات
فسمي عطاء مجازا في المعنى وفي اللفظ لان المصدر بمعنى المفعول **البديع**
في ابرات ووصبا مراعاة النظير وكذا في اللمس وراحته وكذا في اطلقت واربا
وربقة وكذا ابرات واطلقت وكذا وصبا ولمما وفي هذين الموازنة وقوله
ابرات وصبا موازن لاطلقت اربا وفي البيت الجمع لجمعه بين الوصب واللمم في
ان كفه صلى الله عليه وسلم وجمع الاحياء والسنة والدعوة من مراعاة النظير
وكذا السنة والاعصر وكذا الشهباء والغرة والدهم وفي الشهباء والدهم مراعاة
التطابق وكذا الجمع بين السنة الشهباء والاحياء وبينهما ايضا وبين الاعصر الدهم
ان كان المراد بها سني الخصب وفي البيت الثاني التوشيح وهو ان تذكر في معنى المدح
او غيره الوان لقصد الكناية او التورية فمن تدبيج الكناية قول ابي تمام تردى
ثياب الموت حمرا فما اتى لها الليل الا وهي من سندس خضر وقوله ان ترد علم حالهم
عن يقين فالقهم يوم نائل او نزال تلق بيض الوجوه سود مثار النقع خضر
الاكناف حمر النصال ومن تدبيج التورية لفظ الاصفر في قول الحريري
فمذ ازور المحبوب الاصفر واغبر العيش الاخضر اسود يومي الابيض وابيض
فودي الاسود حتى رثى لي العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر وهو في كلام
الناظم من الاول اذ الشهباء كناية عن السنة المجدبة والدهم كناية عن سني
الخصب على الاصح وفي قوله جاد نوع احتراس لان العارض قد يكون مهلكا وقد
يكون الاحتراس في قوله احيت ولفظ عارض وجاد من مراعاة النظير وكذا بها
والبطاح والسيب والسيل واليم والعرم وبالجملة تناسب الفاظ البيت الثالث

كلها من ذلك وقد يقال ان عارضا والبطاح من الطباق للتضاد بينهما وفي سيل وسيب التجنيس اللاحق وهو الناقص منه لانه اختلاف في الكلمتين في حرف متقارب ومقابلة المضارع كما تقدم وهذا الحرف قد يكون في الاول او الوسط والاخر كالذي هنا فان الباء لا تقارب الباء اللام في المخرج ومنه واذا جاءهم امر من الامن وقوله هل لما فات من تلاق وقوله وام لنا الك من الصبابة شاف واظهر هذا ما تقدم لنا وقوله سيب من اليم موازن لقوله سيل من العرم **الاعراب** كم خبرية للتكثير في محل نصب على الظرف لان تميزها ظرف حذف للعلم به اي كم مرة والخبرية يشبه رب في الافتخار والمباهات فلذلك بنيت وتميزها مخصوص بالاضافة ولها صدر الكلام عند الجمهور فلا يعمل فيها الا ما بعدها وهو هنا ابرأت وهو ماض وعلامة تانيث الفاعل ووصبا مفعوله ويحتمل ان يكون وصبا تميزا لكم وانما نصب لفصله منها وحملا على الاستفهامية والافصح الجر باضافتها اليه كما قلنا او بمن محذوف على الرايين ومفعول ابرأت على هذا ضمير عايد على التميز وحذف وفيه نظر فالوجه الاول اولى باللمس متعلق بابرأت وباؤه للسببية وراحته فاعله واطلقت عطف على ابرأت وفاعله ضمير الراحة وقال بعضهم يصح عطفه على كم ولا يكون فيه دليل على كثرة اطلاق واربا مفعول اطلقت ومن ربقة متعلق به ومن لابتداء الغاية او يكون المجرور صفة لاربا واحيت عطف على ابرأت او على اطلقت والسنة مفعول والشهباء نعته ودعوته فاعل ومضاف اليه وحتى حرف غاية متعلق باحيت وحكت ماض وعلامة وفاعله ضمير يعود على السنة وغرة مفعوله وفي الاعصر متعلق بها او صفة لغرة والدهم نعت للاعصر وبعارض يتعلق باحيت وبحكت والباء سببية ويجوز ان يكون حالا من دعوته والباء للمصاحبة وهو حسن لان نزول المطر استصحب دعاءه ولذا قال الراوي فرايت المطر يتحادر على لحيته صلى الله عليه وسلم وقال ابن عمر بما ينزل عن المنبر حتى يجيش لك ميزاب وجاد صفة عارض وفاعله ضمير او تقدم ان او بمعنى الواو ولا يطرد ذلك فيها وقال ابن جني ان هذا من ترجيح

اللغة اذ يشبه شيء شيئا فيمضي حكمه على الاول ثم يتعدى منه الى غيره نحو جالس الحسن او ابن سيرين فلو جالسهما اطاع وان كانت او في الوضع لاحد الشيئين لكن القرينة وهي ان الترغيب في مجالسة الحسن لفضله وهو موجود لابن سيرين فكانه قال جالس هذا الضرب ثم يدرجوا فاجروها مجرى الواو في غير هذا المعنى انتهى ويحتمل ان تكون بل للاضراب نحو الى مائة الف او يزيدون في قول اضرب عن الاخبار بان ذلك كان مع عارض ونسبه الى الاخبار بانه بلغ من كثرة الماء ما خال الناظران بالبطاح من اجله حربا من اليم او سيلا من العرم ويحتمل الشك اي يشك الناظر اهو من العارض ام من احد المذكورين او التخيير اي ان شئت قلت كذا وكذا ويحتمل غير ذلك وخلت عطف على جاد او على بعارض والبطاح مفعول اول لخلت وسيب مبتدأ خبره بها وتقدمه هو المسوغ للابتداء بالنكرة وكذا وصفه بقوله من اليم والناظر فيه وسيل معطوف على سيب ومن العرم صفة لسيل والجملة من المتعاطفين في موضع المفعول الثاني لخلت واو في او سيلا لاحد الشيئين ومن في الموضعين لابتداء الغاية ويوجد في بعض النسخ سيبا وسيلا منصوبين ولا وجه له مع قوله بها ولولاه لكان له وجه بان يجعل البطاح نفسها سيبا او سيلا ويحتمل ان يتعلق من اليم بسيب ومن العرم بسيل **الاشارات** كما ان راحته صلى الله عليه وسلم يشفي الله بها الامراض ويطلق بها من ربقة الجنون اذا مس ذلك بها فكذا مبايعته صلى الله عليه وسلم على الاسلام يشفي الله بها من اوصاب الاخرة التي هي والعياذ بالله مرض لازب وعذاب واصب ويطلق ايضا بها من اغلال النار كما اطلق في الدنيا من اغلال الجان الذي هو مخلوق من مارج من نار وليست مبايعته بمقصودة على من لمس كفه لان المقصود من مبايعته الوفاء بما جاء به لا لمس كفه ولذا كان لا يبايع النساء الا باجابتهن الى التزام الميثاق فلا جرم لا تنقطع مبايعته الى ان يرث الله الارض ومن عليها قال تعالى ان الذين يبايعونك الى قوله اجرا عظيما فمن اراد ان يشفى من امراض الاخرة من خروج روحه الى دخول الجنة وان يطلق من اغلال النار فليلمس راحته بان يفي بما بايع عليه صلى الله عليه وسلم امته وكما ان دعوته

يحيى الله به السنة الشهباء حتى تصير لخصبها غرة في سني الخصب فكذا من اجاب
دعوته والتزم سنته يحيى الله به ارض قلبه الميتة وينيله الله بسبب اقامته
سنة نبيه صلى الله عليه وسلم حتى يرقى عاليها من الرتب السمية والمنازل الشريفة
ما يصير به كالغرة في سني السنة قال لقمان لابنه يا بني جالس العلماء وزاحمهم
بركبتيك فان الله يحيي القلوب الميتة بالحكمة كما يحيي الارض بوابل المطر
ويقدر ما ازداد رتبته في ذلك يشتد بياض غرته ان امتي غرا محجلون من اثر
الوضوء هذا والوضوء بالنسبة الى سائر العبادات كالمبدأ للشيء لانه المقصود
الدخول في العبادة فما بالك بغرة جميع العبادات ومن صلى بالليل ضاء وجهه بالنهار
فمن صلى في ليل الدنيا وظلامها وكانت ليلا لان الناس فيها نيام ضاء وجهه
في نهار الاخرة وضوءها وكانت نهارا لان الناس فيها يستيقظون ومن
يقتضي لسركفه واجابه دعوته صلى الله عليه وسلم ظهرت عليه اثار ذلك حتى
لاجل ما يستفاد منه من الحكم بالعارض الذي جاد في ارضنا وبالبطاح التي
بها سيب من اليم او سيل من العرم قال عليه السلام مثلي ومثل ما بعثني الله به الحديث

لما سكنت وقعتا البطحاء قال لها … على الربا والهضاب بانهل وانسجم
والبست حلة من سندس ولها … عمائما بروس الهضب والاكم
فادت الارض من رزق امانتها … باذن خالقها للناس والنعم
فالنخل باسقة تجلو قلائدها … مثل الجهاد على الحزن والعنم
وفارق الناس داء القحط وانبعثت … الى المكارم نفس النكر والكرم
اذ انبعث ايات لبني فقد … الحقت منتقما منها بمنتقم
قل للمحاول شاوي في مدايحه … هي المواهب لم اشدد لها زيم
ولا تقل لي بماذا انت جيئت … فما يقال لفضل الله ذا بكم
لولا العناية كان الامر فيه على … حد السوا فمن نطق كذي بكم

هذه الابيات التسعة تقع في بعض نسخ البردة التي بالمغرب في هذا
المحل وليست بثابتة في روايتنا وذكر بعض الثقات من اصحابنا ان الذي رأوها
في القصيدة الامام الفاضل ابو علي بن الجياب الاندلسي الاغرناطي من شيوخ الامام

القاضي

القاضي العالم الشهير ابي العباس الشريف الاغرناطي شارح مقصورة حازم الشرح
البديع وشارح قصيدة الخزرجي في العروض وله على تسهيل ابن مالك شرح سماه تقييد
السبيل في شرح التسهيل جنح فيه الى الاختصار وكنت سمعت ايضا ان الابيات
لبعض الفاسيين فالله اعلم ولولا اشتهارها في الناس منسوبة الى هذه القصيدة
المباركة ما تصدينا لشرحها انه لم يثبت في روايتنا كما فعلنا في الاستيعاب واثار
المباينة بينها وبين الناظم ظاهر فلذا ترى كلامنا عليها في الفصول خفيفا وبعضهم
اضاف اليها قوله كفاك بالعلم البيت وليس كذلك بل هذا البيت ثابت الرواية
بعد قوله فيما ياتي انشاء الله تعالى كم جدلت كلمات الله البيت الغريب
شكت تقدم وكذا البطحاء ووقعه اي نزوله ووقع الشيء وقوعا سقط وواقعه
عيره ويقال وقع ربيع بالارض ولا يقال سقط ومواقع الغيث مساقطه
والربا جمع ربوة وهي ما ارتفع من الارض ويقال فيها ايضا ربوة بتثليث رائها
وربا الشيء يربو ربوا زاد والرابية الربو وهو ما ارتفع من الارض ايضا
والهضاب ويروى والبطاح والاول احسن لان البطاح ما تقدم ومن
اجل كون الماء عليها طلبوا الاستصحاء في الا يأمن الماء بالنزول عليها وهم قد طلبوا
اقلاعه عنها وايضا استقرار الماء في البطاح يمنع من الانتفاع بها معه اللهم
الا ان يراد بها مكان الخصب كما تقدم فنعم اذ لا تزرع والموافق لما ورد في الحديث
الهضاب لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم على الاكام وهي من معناها وهي جمع هضبة
وهي الجبل المنبسط على وجه الارض ويجمع ايضا هضب وهضب وانهل فعل ماض
المعارض من انهل المطر انهلالا سال بشدة واستهل الرجل وتهللت دموعه سالت
وانهلت السماء صبت واما تهلل السحاب ببرقه فمعناه تلالا وانسجم ايضا
ايضا اي صب من فوق لهم ارض مسجومة اي ممطورة وانسجمت صبت وتقدم معناه
فادت اي اعطت واخرجت نباتها وادى الامانة ردها الى مالكها وادى دينه
قضاه والاسم الاداء وهو ادى للامانة منك بالمد وتادى اليه الخبر اي انتهى
واستاداها مالا اذا صادره واستخرج منه الارض اسم جنس مؤنث والواحد
ارضه ولم يرد والجمع اراض وقالوا ارضون والمؤنث لا يجمع بالواو والنون

الا ان يكون منقوصا كثبه لكن جعلوا ذلك عوضا من الالف والتاء وتركوا
فتح الراء على حالها وقد تسكن وقد يجمع على اروض وزعم ابو الخطاب انهم قالوا
ارض واراض كاهل واهال والاراضي ايضا شاذ كانه جمع ارض وكل ما سفل
فهو ارض وارض اريضة اى زكية وقيل معجبة للعين بينة الاراضة وقد
ارضت بالضم اى زكت ولا ارض لك نحو لا ام لك والرزق العطاء مصدر
ورزقه الله والرزقة بالفتح المرة والجمع الرزقات وهي اطماع الجند
وارتزقوا اخذوها وفي السماء رزقكم المطر مجاز كما يقال التمر في قعر القليب
اى سقي النخل ومرزوق اى مجدود والامانة الوديعة وامنته على كذا
وايتمنته بمعنى وقرئ تأمنا بين الادغام والاظهار قال الاخفش
والادغام احسن واوتمن مبني للمفعول فان ابتدأت بصيرت الهمزة
الثانية واوا واستامن اليه دخل في امانه والبلد الامين المامون والامام
بضم الهمزة وتشديد الميم الامين والامون الناقة التي امنت ان تكون
ضعيفة والاذن يفسر بالامر وقد يفسر بالعلم وقال ابن عطية في تفسيره
هو التمكين من الشيء مع العلم بما مكن منه والناس قد يكون من الانس
والجن واصله اناس فخفف وليست العوض من الهمزة والالف اجتمعا
في قوله ان المنايا يطلعن على الاناس الامينا والنعم قيل اسم جنس جمعي قيل
الابل والبقر والغنم وقيل الابل فقط وقيل والشاة وقال الجوهري النعم واحد
الانعام وهي المال الراعية واكثر ما يقع على الابل قال الفراء يذكر ولا يؤنث يقال
هذا نعم وارد وجمعه نعمان كحمل وحملان والانعام تذكر وتؤنث وجمع الجمع اناعيم
يراد به الكثير فقط وجمع الجمع اما للتكثير او للضروب المختلفة والحلل برود اليمن
جمع حله والحلة ازار ورداء لا تسمى حلة حتى تكون ثوبين والسندس
البزيون قال يصف فرسا ودا وبها حتى شتت حبشية كان عليها سندسا
وسدوسا وقيل ان السندس ضرب من البرد وهو رقيق الديباج وقيل نوع من الديباج
رفيع والاستبرق غليظ الديباج ضد السندس ولوت يعني جعلت طاقة فوق
اخرى من قولهم لويت الحبل فتلته وعمائم جمع عمامه البسته العمامه وعمم سود

لان

لان العمائم تيجان العرب كما قيل في العجم توج واعتم بعمامة وتعمم بها بمعنى وحسن العمة
اى الاعتمام واعتم النبت اكتهل والشاب اذا طال ورؤس جمع راس في الكثرة وفي
القلة ارؤس ويقال للقوم اذا كثروا وعزوا راس ورأس القوم يراسهم بالفتح رئاسة
فهو رئيسهم ورئيس كقيم وراسته عليهم ترييسا وتراس وارتاس وراسته
فهو مروس ورئس اصيب رأسه ومنه شاة رئس في غنم راسي وبائع الرؤس
رأاس ورئس كعم وراسته والعمامة يقول رواس وبهجة واساء سوداء
الرأس والوجه وسائرها ابيض والارس والراسي الرجل العظيم الراس وشاة
اراس ولا يقال رواسي والاكم واحدها اكمه قال الجوهري هي معروفه
وقيل الاكم اسم جنس للجبل الكبير كما ان الهضب اسم جنس للصغير وجمع ايضا اكمات
ثم جمع اكم على اكام كجبل وجبال واكام على اكم ككتاب وكتب واكم على اكام
كعنق واعناق والماكمة العجيزة والجمع ماكم والنخيل والنخل بمعنى الواحد نخله
وقول الشاعر رايته بها قضيبا فوق دعص عليه النخل ابنع والكروم اراد
بالنخل ضربا من الحلي وبالكروم القلائد وهذا يقرب من مقصد الناظم وباسقة
اى طويلة بسق النخل بسوقا طال وبسق فلان على اصحابه علاهم وتجلوا اى تكشف
وتوضح من جلوت الامر وجلوت للعروس جلاء وجلوة واجتليتها بمعنى اذا نظرت
اليها مجلوة وجلاها زوجها وصيفا اعطاها يقال ما جلوتها بالكسر فيقال كذا
وما جلاء فلان اى باى شيء يعظم من الالقاب واجتليت العمامة رفعتها مع طيها
عن جبينك قلائد جمع قلادة العنق وقلدت المرأة فتقلدت ومنه التقليد
في الدين وتقليد الولاة الاعمال وتقليد البدن وتقلد السيف ومقلد الرجل
موضع نجاد السيف على منكبيه والمقلد من الخيل السابق يقلد شيئا ليعرف انه
سبق والبهار قال الجوهري العرار الذي يقال له عين البقر وهو بهار البر
وهو نبت جعد له فقاحة صفراء تنبت ايام الربيع يقال له العرارة قلت
ولعل هذا الذي وصف الجوهري هو الذي اراد الشاعر بقوله تمتع من شميم عرار
نجد فما بعد العشية من عرار وظهر لي من كلام الجوهري وكلام غيره ان هذه
الصفة هي صفة النور الذي يقال له ببلاد المغرب الزجين وقال الامام

الاديب الحافظ ابو الحافظ احمد بن موسى القيسى الشريشى شارح مقامات الحريري
عند قوله فامطرت لؤلؤا من نرجس والنرجس الذى يشبه به شعراء المشرق العيون
نبات له قضبان خضر فى رؤسها اقماع يخرج نورا ينبسط منها على الاقماع ورق ابيض
فى وسط البياض داير قائمة من ورق اصفر فى ذاس دورة مركبة فى قايم من زبرجد كانه
بها الدر عند نظامها بغير فريد قد اطاف بعسجد وقال ابن المعتز كان عيون النرجس
الغض بيننا مداهن در بينهن عقيق اذا بلهن القطر خلت دموعها بكاء عيون
كحلهن خلوق واكثر من الاستشهاد بشعر المشارقة على هذا المعنى ثم قال وهذه
الصفة التى اثبتها اهل المشرق للنرجس هى الصفة التى يصف بها اهل المغرب البهار
قال القسطلى بهار يروق بمسك ركى وصنع بديع وخلق عجب غصون الزبرجد
قد اورقت فاضة نورت بالذهب والذى يسميه اهل المغرب نرجسا يسميه
اهل المشرق بهارا ولذا قال الحريري فى العاشرة وردتك بالبهار وعاقبها على
الغلام بالحجى وان ينعكس حمرة خده صفرة هذا محصول كلام الشريشى رحمه الله وفيه
طول وظرف قلت وما وصف به اهل المشرق النرجس موافق الان لعرف بلدنا
تلمسان وفاس واظن ساير المغرب من اهل بر غير الاندلس كذلك عرفهم ولا ادرى الان
ما عرف اهل الاندلس فيه والذى يسمى بالبهار عندنا اليوم نبات له اصول كاصول
القصب تفترق عنه ورق كورق القصب يصعد فى وسط تلك الاوراق قضيب اخضر
فى رقة القلم وطول الشبر او اكثر وفى راس القضيب كمام الطلع قبل تفتحه
الا انه مستدير مستطيل ثم يتفتح على ثلثة اوراق فى وسط كل ورقة زغب ثم منه
ما هذه الاوراق منه صفراء ومنه ما هى منه زرق ومن اجل هذا النوع الاصفر
منه والله اعلم جاء الاشتباه بينه وبين النرجس لسامع وصفه لا لمن عاينه فان
المباينة بينهما فى العيان بينة والحذ فى الوجه وهما الخدان والخدة بالكسر
لانها توضع تحت الخد والعنم قال الجوهرى شجرة لين الاغصان يشبه به بنان الجوارى
وقال ابو عبيدة هو اطراف الخروب الشامى قال فلم اسمع برضعة اما التتهامة الطفل
بالعنم المسؤل وينشد قول النابغة عنم على اغصانه لم يعقد فهذا يدل انه نبت
لا دود وبنان معتم اى مخضوبا ثم قوله مخضوب يقوى من فسر العنم بانه نبات

احمر واستشهد عليه بقوله النشر مسك والوجوه دنانير واطراف الاكف عنم
ولا دليل فيه عندى لاحتمال ان يكون قصد حمرة الاصابع او اطرافها بالحنا
بل قصد لين الاصابع ورخصها ولذا قال اطراف الاكف ولم يقل اطراف الاصابع
وانما الحمرة فى قوله وعضت على العناب بالبرد وفارق الناس من المفارقة اى تنحا
عنهم والدا المرض والجمع ادواء وقد داء الرجل يداء داء قاهر ومتعد وبه داء
داء مرض فهو داو ودويت يا رجل وادئت ايضا فهو مدوى واداته انا اصبته بداء الظبى
اى لا دابر كالظبى وقيل يقال امرأة داة والقحط الجدب وقحط المطر يقحط قحوطا احتبس
وقحط القطر وقيل قحط بالفتح فى المطر وبالكسر فى المكان وحكى الفراء قحط المطر
بالكسر يقحط والقحط القوم اصابهم قحط وقحطوا مبنى للمفعول قحطا وانبعث اسرع
انبعث فى السير اسرع وبعثه وابتعثه فانبعث ارسله والبعث الجيش وجمعه
بعوث وبعثت الناقة اثرتها وبعثت النايم اهبه والموتى نشرهم ليوم البعث و
تبعث منه الشعر انبعث كنرسال والمكارم جمع مكرمة وارض مكرمة للنبات جيدة له
قال الكسائى المكرم والمكرمة ولم يجئ مفعل بذكرا الا مكرم ومعون وقال
الفراء هو جمع مكرمة ومعونة وليس مفعل من ابنية الكلام والنكس قال الجوهرى الرجل
الضعيف والسهم المنكس وفوقه فيجعل اعلاه اسفله وقيل النكس المقصر عن الرجال
والجمع انكاس والبرم الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر وجمعه ابرام وهو بخيل عند
الجاهلية الاولى وفى المثل ابرما قرونا اى برما واكل تمرتين تمرتين وبرم به بالكسر
برما وتبرم به سئمه وابرمه امله واضجره وتبعت الشئ تبعا تطلبته متبعا له
وكذلك تبعته تتبيعا لحقه ولحق به لحاقا بالفتح ادركه والحقه به غيره والحقه
ايضا لحقه ومنه بالكافرين ملحق بالكسر اى لاحق والفتح صواب ولحق يلحق لحوقا
ضمر والملحق الملصق الدعى واستلحقه ادعاه وتلاحقت المطايا لحق بعضها بعضا
واللحق بالتحريك شئ يلحق بالاول ومن التمر اللاحق بعد الاول والمنفخ العظيم المرتفع
وفخم الرجل فخامة ضخم ورجل فخم عظيم القدر والتفخيم التعظيم وتفخيم الحرف
ضد الامالة ومنطق فخم جزل والمحاول المريد الطالب وحاولت الشئ اردته والاسم
الحويل ويقرب من المادة الحيلة وفروع هذه المادة كثيرة والشا فى الغاية

والامد وعدا شا واى طلقا والشاء والسبق بوزيد شاوت القوم شاوا سبقتهم وشاءه سابقه وشاه ايضا مثل شاه على القوم اى سبقه واشتاءى قال ابو عمرو واستمع وقال المفضل سبق تشاءى القوم تفرقوا وتشاي ما بينهما تباعد المدايح جمع مديح والمدح والمدحة والمديح والامدوحة الثناء الحسن ومدحه وامتدحه وتمدح تكلفا ان يمدح وممدح اى ممدوح جدا والمواهب جمع موهبة او موهب الاسم بكسر الهاء فيهما ووهبت له شيئا وهبا ووهبا بالتحريك وهبة والاتهاب قبول الهبة والاستيهاب سؤالها وتواهبوا وهب بعضهم بعضا ووهاب ووهابة كثرة الهبة الهاء للمبالغة الاصمعي اللحم الرثم المتفرق ليس يجتمع فى مكان فيبين وزيم اسم فرس لا ينصرف للمعرفة والتانيث وقيل اسم ناقة وقال بعضهم الزيم اكتناز اللحم واشتداده وتجويده اى حسنه والجيد من الاشياء الحسن المتقن وسنخ جيد على فيعل واصله جويد وتقدم كيفية العمل فى نظيره والجمع جياد وجيايد بالهمز على غير قياس والفضل والفضيلة خلاف النقص والنقيصة وتقدم وقيل هو الاعطاء بغير عوض والظاهر انه هنا بمعنى الافضال وهو الاحسان العناية بالشيء الاعتناء به اى الاهتمام به والتنزيل له المنزلة الرفيعة من قولهم عنيت بحاجتك بضم اوله اعنى عناية وانا بها معنى على مفعول والامر به لتعن بحاجتى ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه اى لا يهمه وقيل العناية اراد به الاختصاص كان الامر اى الشان على حد السواء اى على طريق الاستواء يستوى فيهما الناطق والابكم والسواء العدل ومنه فانبذ اليهم على سواء وسواء الشيء وسطه ومنه فى سواء الجحيم قال الاخفش سوى اذا كان بمعنى غير وبمعنى العدل فيه ثلاث لغات ان ضممت السين او كسرت قصرت فيهما جميعا وان فتحت مددت تقول مكان سُوى وسِوى وسواء اى عدل ووسط فيما بين الفريقين وهما فى هذا الامر سواء وان شئت سواءان وهم سواء واسواء وسواسية كثمانية على غير قياس قال الاخفش وزنه فعافلة حذف ثالثة وهو ياء والمادة طويلة ونطق مصدر نطق ونعدم وبكم اظنه بفتح البا والكاف مصدر بكم

بكسرها او يكون بضم البا وسكون الكاف ثم ضم الكاف اتباعا وماضيه بفتح العين وهذا اولى لقولهم فى الوصف منه ابكم وبكيم اى اخرس بين الخرس

التفسير قوله لما شكت البيت يعنى ان النبى صلى الله عليه وسلم حين استسقى للناس على المنبر اذ طلب ذلك منه قدام القطر من الجمعة الى الجمعة كما تقدم قنط الناس من دوامه فطلبوا منه صلى الله عليه وسلم ان يستصحى فاستصحى لهم فاقلع المطر فقوله لما شكت اى حين سكت البطحاء وهى التى قال فيها او خلت البطاح بها سيب البيت فانه لما دام استقرار الماء فيها الذى حل اليها سيب من اليم او سيل من العرم اضر ذلك بها فشكت وضح ماء ذلك العارض بها امطاره عليها وهو على حذف مضاف اى شكا اهل البطحاء قال اى البنى صلى الله عليه وسلم لذلك العارض انهمل اى سل بسن والسيم اى صب مطرك على الربى اى على الكدى الصغار عند من فسرها بذلك والهضاب اى الجبال الكبار ولا يمطر علينا بل بحيث لا يضر الامطار ففى الكلام حذف اى فامتثل العارض امره وجعل يمطر حوالى المدينة ولا يمطر المدينة وهذه ايضا معجزة فى استجابة دعائه صلى الله عليه وسلم فى الاستصحاء كما استجيبت فى الاستسقاء والحديث المتضمن بهذه القضية تقدم نصه بتخريج البخاري ونصه فى مسلم لقصد الناظم لا سيما فى الاستصحاء قال عن ابن عباس ان رجلا دخل المسجد يوم جمعة من باب كان نحو القضاء ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما ثم قال يا رسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه قال اللهم اغثنا اللهم اغثنا قال انس ولا والله ما نرى فى السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار قال فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم امطرت فلا والله ما رأينا الشمس سبتا قال ثم دخل رجل من ذلك الباب فى الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فاستقبله قائما فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه

ثم قال حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الاودية
ومنابت الشجر قال فانقلعت وخرجنا نمشي في الشمس قال شريك فسالت
انسا اهو الرجل الاول قال لا ادري وفي طريق اخر لمسلم اذ قام اعرابي
فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال وساق الحديث بمعناه وفيه قال
اللهم حوالينا ولا علينا قال فما يشير بيده الى ناحية الا تفرجت حتى رايت
المدينة في مثل الجوبة وسال وادي قناة شهرا ولم يجي احد الا اخبر بجود وفي
رواية كان صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقام اليه الناس فصاحوا
وقالوا يا نبي الله قحط المطر واحمر الشجر وهلكت البهايم وساق الحديث وفيه
من رواية عبد الاعلى فتقشعت عن المدينة فجعلت تمطر حواليها وما تمطر بالمدينة
قطرة فنظرت الى المدينة وانها لفي مثل الاكليل وقوله فادت حين احدث الارض
حاجتها من الماء واقلع عنها فاستقام الصحو ادت الارض اي اعطت واوصلت
بامر خالقها وعلمه للناس والنعم من الرزق امانتها اي الشي الذي امن فيها من
ذلك الرزق وهذا كقوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها اخرج منها ماءها
ومرعيها والجبال ارسيها متاعا لكم ولانعامكم وقوله انا صببنا الماء صبا
ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدايق
غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم وهو في القران كثير وقوله البيت
اي البست الارض اي خرج فيها من النبات الكثير الشديد الخضرة لكثرة ما نزل فيها
من الماء المتقارب حتى يوهم انه سطح واحد ما اشبهت بذلك حالها حال من
البسها خلا خضرا من سندس وتيك روس هضابها واكامها من النور الابيض
المتراكم لكثرة المناسب في تدويره وما اشبه حالها بذلك حال من لوى اي
لف على روس تلك الهضاب والاكام العمايم فاشبهت الارض بعد ذلك بجملتها
بطاح وهضاب لابسا حله خضر ومعتم بعمامة بيضا وباعتبار كل بطحا منها
وهضبة لابسين لحلل خضر ومتعممين بعمايم بيض وقوله فالنخل البيت بعض
تفصيل لما اجمل في قوله فادت الارض من رزق وذلك رزق النخل وهو من
ارزاق الناس والتقدير فمن ذلك الرزق الذي او من عند الارض وادته

النخل اي ثمرها حالة كونها باسقة اي طويلة حالية قلايدها وهي عناقيد الثمر
التي حليت بها شبهها لصفرة الثمر الذي فيها اذا كان بسرا وحمرته اذا كان ثمرا
بقلايد الذهب الاصفر ذهب العمل والاحمر الابريز وقوله مثل البهار الاولى ان يكون
مثل مرفوعا خبر مبتدا اي وتلك القلايد التي هي العناقيد مثل البهار
في صفرة كون ثمرها وطول حبه وهذا يؤيد انه اراد احد نوعي البهار في عرفنا
اليوم بالمغرب وهو الاصفر كما تقدم من وصفنا له وقد يريد الازرق ويشبه
العناقيد ايضا في لين قضبانها العنم وقيد مشابهتها البهار بحالة كون البهار على
الخدين وذلك ان مما جرى من عادة النسا ان ياخذن انواع النور كالبهار وغيره
فيجعلنه تحت الخمر ويسلنه على حد وجههن مكان السوالف والجامع والله اعلم
في هذا التشبيه انه شبه النخلة في طولها واعتدال قامتها بامراة كذلك وان
محل الثمر الاصفر والازرق المجتنى من اعاليها ومنزلته هو محل البهار الذي
يجعله المراة سالفة وهو الخد وليس محل الثمر راس النخلة الذي هو بمثابة
المراة المرتفع فوق راسها الا ان العنقود يتدلى من راس النخلة فياتي على ما هو من
اعاليها كالخد من المراة كما يتدلى النور المجعول تحت الخمار الى الخد وايضا
فانما تجتنى من اعالي المراة بالتقبيل بالفم الذي هو بمثابة الاكل بالفم للبسر العالي
من النخلة هو الخد ويحتمل ان يريد بالعنم البنان المخضوب قال الجوهري
بنان معنم اي مخضوب فيكون المعنى بحلو قلايد ثمرها الذي يشبه الاصفر منه
البهار على الخدين والاحمر منه العنم اي البنان المخضوب في استطالته وحمرته ولينه
ولا يعني ايضا حالة كونه على الخدين لدلالة ما قبله عليه اذ لا حاجة اليه
ولم يعهد جعل البنان هناك نعم ان قلنا انه اشار بالعنم الى اللون الاحمر
صح اراده على الخدين على معنى ان الاصفر منه يشبه البهار على الخدين
والاحمر منه يشبه ما هو كالعنم من الوان الحمرة كالصبغ المجعول في خدود النساء
المسمى بالعكر الا ان الجاري مع اللغة في العنم انما هو الوجه الاول وهو الاشارة
الى لين قضبان العناقيد وذكر لي ان بعضهم قال البهار نور ابيض فيكون
التشبيه راجعا الى حالة انشقاق الكفرى عن الطلع لانه ابيض حين يخرج منه

وهو في لينه كلين العنم قلت وهو بعيد الا انه ان كان المراد بهارنا فانه يحسن
تشبيه كفرى الطلع به لانه قبل ان ينفتح نوره يشبه كم الطلع ورايت في بعض نسخ
البردة مثل البهار على الابصار وهذه الرواية ان ثبتت تكون على فيها بمعنى في
ويقرب حال التشبيه اى تلك القلائد في مراى الابصار مثل البهار الاصفر في كونه
او في شبهه قبل انفتاح نوره بكفرى الطلع ومثل العنم اما في لينه او في حمرته ان
صح انه احمر وعلى هذه الرواية يحسن التشبيه بالنرجس قبل بعض تلك الانوار البيض
عن النور الاصفر الذي في وسطها او بما هو المحقق عندهم في تشبيه العيون
بالنرجس وذلك في بدو من النور الاصفر فانه يشبه بدو سواد العين والانوار
البيض المتفرقة التي دارت به بالاسنان او الاجفان او الاهداب ويشبه به
ايضا العيون في الفتور والانكسار ولخفا هذا المعنى على وجه تشبيه العيون
بالنرجس على كثير من الادبا انكروا تشبيهها به انما هو اللون ولا حسن في صفرة
العين وسمعت من يقول العنم الخيوط الحمر التي في بياض العين وعليك باقي التامل
في هذا التشبيه فانه لم يتضح ذلك الاتضاح ويحتمل ان يكون معنى البيت
فمن الارزاق التي بدت بسبب ذلك المطر النازل النخل باسقة تعلو اقلادها
وهي في الدلالة على الانعام بالرزق القوى مثل الدلالة عليه بظهور التكيات
التي يتنعم بها بشم الرائحة الطيبة منها والتنعيم بالمنظر الحسن الكائن ذلك
في الانوار والازهار كلون البهار وغيره على الحذين او على الابصار والمعنى ظهر
في الارض الاصوات والانوار قيل وروى مثل البهار على الاحبار والعم والعم
غيره شديدة تعلو النبات وهو ايضا يعلو التمر وقوله وفارق الناس البيت
بعد ان فتح الله على الناس بهذه الارزاق وذهاب الجدب عنهم فارقهم داء
القحط وما الزمهم من الامراض ومن جملة الادواء التي يورث القحط في الناس
البخل وامساك ما بايديهم من المال والطعام ايثارا لنفوسهم على غيرهم وتقاعدهم
عن النهوض الى فعل المكرمات فاذا فارقهم ذلك الداء بانار دواء الخصب اطلقوا
ايديهم بالعطاء لمن سالهم وانبعثت اى اسرعت الى تحصيل المكارم وهي الاعمال
الحميدة الحاصلة عن بذل ما في الايدي نفس المنكسر اى الرجل الضعيف الذي

كان في الجدب لا يقدر ان يجود بشيء بقلة ما بيده او الرجل المقصر عن الرجال في
درجات الكمال حال الجدب فانه صار بعد هذا الخصب لكثرة ما بيده ان يذهب فاذا
كثر ما بيده وظن انه ما يفنيه الاعطاء بدل منه وتامل ما شرح به بعضهم هذا
البيت وانما لم اذكره لانه لا محصول له وقوله اذا تتبعت البيت كانه يقول
ما من اية من اياته صلى الله عليه وسلم على كثرتها وعدم احصائها الا هي
عظيمة المقدار موجبة الاكثار فاذا اتبعتها بتطلبك حصول ما يحصل منها
وحصلت على شيء من ذلك واجزت به عنه كما اجزت بما حصل لك قبله
فقد الحقت العظيم منها بالعظيم ثم قال قل للمحاول البيت اى قل يا من يسمع للذي
تراه يروم الوصول الى المنزلة التي حصلت لي من السبق في مدح النبي صلى الله عليه
وسلم لا تتعب نفسك فاني لم ادرك تلك المنزلة بمحاولتي كما لمت انت فان تلك
الفضيلة لا تنال بالمحاولة وانما هي مواهب يهبها الله لمن يشاء فحصولها لي موهوب
من الله لم اتسبب فيها بان شددت لها ازري اى حقوي المتفرق وانما قلت ذلك
لان اللحم المتفرق يكون في صاحبه ارتخاء وضعف عن العمل والمكتنز اللحم بخلافه
ولذا يحزم الناس عند ارادة العمل من الجري وغيره فانه يقول ان هذه المنزلة
ما سبقت غيري اليها بان شددت نقني بل وهبت لي ويحتمل ان يريد بنقني
فرسي وذلك ايضا ان المسابق على الخيل يشد نفسه وفرسه فهو يقول وهبت لي
منزلة السبق من دون ان اشد لها فرسي قوله ولا تقل لي البيت لما نهاه اولا
عن تطلب منزلته لكونها لا تدرك بالطلب اذ قوة الكلام لا يطلبها فهي مواهب
نهاه ثانيا ان يقول له وباى سبب خصصت انت بهذه الموهبة التي هي جيد
المديح في رسول الله صلى الله عليه وسلم امر باي مقدار من الثمن عاوضت بها حتى
حصلت لك فان هذه الموهبة لا عن عوض بل محض فضل من الله تعالى وما يقال
لفضل الله بكم هذا وانما احتاج الى هذا النهي الثاني لان قوله هي المواهب
قد يخطر ببال السامع ان يقول هي مع كونها مواهب ولعلها توهب بسبب من
الاسباب يتصف به الموهوب له يسعى فيه حتى يحصله فدفع هذا التوهم باعلام
ان فضل الله لا ينال بالعوض حتى يسام فيقال بكم هو فان العوض والمعوض عنه

فلا ينال احد شيئا من فضل الله الا بفضل الله ثم قال لولا العناية البيت
اي ومع كون المنزلة التي حصني الله بها من مدحه صلى الله عليه وسلم لا اسابق
اليها لانه يخص من يشاء بما يشاء هي منزلة لم ادرك بها مما يستحقه صلى الله عليه وسلم
من المدح ولا اقل القليل مما يتصور ان يكون له نسبة الى تمام مدحه فان فضل
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما انه عليه قيل ليس له حد فيعرب عنه ناطق
بفم ولولا ان قصد الناظم في مدحه اظهار الاعتناء بذكره النبي صلى الله عليه وسلم
بلسانه والتبرك بذلك لكان الناطق بالمدح والابكم الذي لا ينطق اصلا مستويين
على حد واحد في ذلك فان الناطق بالمدح لم يحصل من مدحه اياه على طائل
فيما يرجع الى استيفاء مدحه لا فيما قصد من العناية والتبرك واذا كان الناطق
بالمدح لا يحصل له من تمام مدح نسبة اصلا فذو النطق في مدحه وذو البكم
على حد سواء لكن لما كان مدحه صلى الله عليه وسلم يدل على ان مادحه معتن به
محب له لم يستو ذو النطق في مدحه وذو البكم وليس في هذه الابيات التسع
ابلغ من هذا البيت فهو روحها وهو من معنى قوله فان فضل البيت وقوله فما
تطاول آمال المدح البيت وانما قال كذي بكم ولم يقل كذي سكوت لانه تنبيه
بالاحرى لان الناطق بالمدح بالاعتبار المذكور اذا ساوى الابكم الذي لا يقدر
على النطق اصلا فلان يساوي الساكت القادر على النطق احرى وقال بعضهم
ضمير فيه يعود على ماجد وتلك الهاء عائدة على المدح المفهوم من لفظ مادح
قال ومعنى هذا البيت انه اتى به ليحقق ان الله تعالى يخص بعض العنايات
بعض عباده لان بعض النظم يرتفع حتى يكون نسبه ناظمه الى الناظم دون تركيبه
الناطق الى الابكم فلولا تخصيص الله بعناية بعضا دون بعض لكان الامر في
النظم على حد السواء فيكون ذو النطق فيه كذي النطق قال وهذا لا يحسن ردا
على محاول مساواة في النظم لان قصد المحاول ان يكون نظمه كنظم الناظم او
لا ان يكون كنظم الناظم وكيكا كنظم المحاول واذا كان كذلك فحق تشبيهه
ان يجري على العكس فيقول لولا العناية كان نظمك كنظمي واما قوله لولا العناية
كان نظمي كنظمك فان المحاول يقول ليس قصدي اتضاع نظمك بل ارتفاع نظمي

فيصير

فيصير التشبيه معكوسا انتهى فانت ترى ما في هذا الشرح من التخبيط والنبو عن المقصود
وما كان اللائق ذكر مثل هذا الشرح المعالي اتى بقوله لما شكت قال
تنبيها على اسراعه صلى الله عليه وسلم في الاجابة الى ما يدعى اليه من مصالح الامة
واعانة الملهوفين وال في البطحاء يحتمل الجنس ويحتمل العهد وانها اشارة الى
البطاح المتقدمة الذكر ان جنسية فجنسية وان عهدية فعهدية وال في الربى
والهضاب يحتمل الامرين ايضا والفاء في قوله فادت هي الفصيحة لان تقدير الكلام
ما تقدم في التفسير فهي مثل التي في قوله تعالى فتصبح الارض مخضرة وال في الارض
يحتمل الوجهين ايضا وتنكير رزقا اما للتعظيم او للنوعية او للتكثير واضافة الامة
للاختصاص ويحتمل ان يكون فادت الارض مسببا عن قوله واجنبت البطاح عن
قوله قال له ويحتمل ان يكون مسببا عن مجموع الامرين وهو الاظهر لان السبب التام
لانزال المطر سبب في اداء الارض الرزق وكذا اقلاعه عنها اذ لو دام لما انبتت
فمجموعها انما هو السبب التام الا انه ان كان مسببا عنه حيث يكون قوله لما شكت
اعتراضا بين المتعاطفين واما قوله يعارض فليس باعتراض لتعلقه بما حيث قال لجنهم
ولو قال حتى شكت وقعة البطحاء فقال له بعض البطحاء للضرورة وزيادة فامع
قال لما كان هذا البيت فضلا ايضا لتعلقه بما حيث كالذي قبله وال
في الناس والنعم للعهد او للجنس وليس ذكر الارض من ايقاع الظاهر موقع المضمر
كما ظن بعضهم قائلا ان ذكرها تقدم في قوله البطحاء وهي الارض فلو اضمر هنا لاستقام
لكن اظهر للوزن وكذا خالف بين لفظي البطحاء والارض انتهى والصواب ان هذا
الارض يشمل البطحاء وغيرها مما انبت كما ان ذلك المطر لم يخص البطحاء وسواء قلنا
ان المراد جنس الارض او اراضي المدينة فانها اوسع من البطاح وتنكير حلا وعيابا
للنوعية وسندسا للجنسية وال في الهضب والاكم نائبة عن الضمير اي هضبها واكمها
او التقدير فيهما منها ويحتمل ال الامرين والاتيان بالفاء في قوله فالخل تقدم التفسير
انما تفصيل ذلك الرزق وال في الناس يحتمل الوجهين ايضا واضافة داء للا
وال في المكارم وفي النكس والبرم للجنسية وانما قال نفس ولم ابعث النكس
اما بقصد التاكيد لبعد ان ينبعث النكس والبرم للمكارم فكانه قال النكس نفسه

ولاسلا ان النفس هي محل الاخلاق الذميمة من البخل وغيره فاذا اضاف اليها الانبعاث
الى المكارم افاد قلع تلك الاخلاق بالكلية لانها صارت تنبعث في ضدها تطلبه تطلبا
والوجهان يدلان على بركة دعائه صلى الله عليه وسلم وانما اعلت الاشياء ولو
الطبيعية الى اضـــدادها ومن هذا المعنى ما ذكر القاضي في الشفاء ومن حديث
الجارية التي كانت قليلة الحياء فسالته صلى الله عليه وسلم طعاما وهو ياكل قديدا
بين يديه فقالت انما اريد من الذي في فيك فناولها ما فيه ولم يكن صلى الله عليه وسلم
يسل شيا فيمنعه فلما استقر في جوفها القي عليها من الحياء ما لم تكن امراة بالمدينة
اشد حياء منها فليس لفظ النفس بهذا الاعتبار حشوا وانما اتى به وبتاء التانيث في
انبعثت لحفظ الوزن وحفظ القافية كما ظن بعضهم واضافة ايات للتعظيم
وال في النبي الظاهر انها للعهد اي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واجاز بعضهم
كونها للحقيقة والعموم قال وكان قائلا قال انحصر هذه الايات لايات رسول الله
صلى الله عليه وسلم المعدودة قبل فاجابه بان ايات الانبيا عليهم السلام لا يرى
منها الا منتحما بعد منتحم اي عظم النبوة اقتضى ذلك فيكون ترتيب هذا
الحكم على وصف النبي صلى الله عليه وسلم يشعر بعليته فيكون هذا الكلام حجة لصدق
الاخبارات السابقة فهو من المذهب الكلامي انتهى وهو كلام حسن الا ان الظاهر
العهد وتنكير منتحم للتعظيم وكرر لفظه ولم يقل بمثله تعظيما وانما اتى
بالفاء في جواب اذا ليفيد شدة اتصال اللحاق المنتحم من الايات بمثله بمجرد
التطلب واكد ذلك بقد الحقيقة وعبر بالاسم في قوله المحاول ليفيد انه لا يدرك
شاوه بمحاولته ولو كانت تلك الصفة ثابتة له فاجرها لا يدرك اذ اكان يحاول
مرة دون اخرى وانظر قوله في مدايحه هل فيه نوع من التعقيد فان الظاهر كما يظهر
من التفسير ان الضمير المخفوض بمدايح عايد على النبي صلى الله عليه وسلم وفاعل
المدايح هو الناظم وضمير هي هنا للمدايح اي مدايح الناظم لكنه يحتمل مع ذلك
ان يريد مدايح المحاول وعليه يعود ضمير هي وهذا ضد المعنى الذي قصد
وان كان قوله لم استرد لها ذي يبعد هذا الاحتمال لكنه قد يقال لعله يريد
فاذا كانت مدايحك مواهب فانا لم استرد لها ذيم فيما مضى لعلي انها الا تنال البلد

قال

فان قلت كان المناسب لا اشد قلت ان سلم ان استعمال لم هنا يبعد الاحتمال
فلا اقل من ان يثبت في اللفظ تعقيدا معنويا ويحتمل على بعد ان يكون هي ضمير الشان
وما بعده تفسير فيكون في البيت اطناب لان فيه ايضاحا بعد ابهام وال في هذا
الوجه الاظهر كونها جنسية وفي الذي قبله الاظهر كونها عهدية واضافة
ذيم للاختصاص وجعل بعضهم للمدايح عاما المدايح الناظم والمحاول وضمير هي
خاص بمدايح الناظم ونظره بقوله تعالى والمطلقات يتربصن فانه عام في الرجعية
والباين ثم قال تعالى وبعولتهن فالضمير خاص بالرجعيات قال ويحتمل ان يكونا
من الاستخدام غير ان الاستخدام انما يمكن في اللفظين المتباينين معنى قال
وليس نظير قوله تعالى واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن فان
ضمير طلقتم للازواج وفاعل تعضلوهن للاولياء لانا يمنع كون الضمير ثانيا
للاولياء لان الشرط والجزاء لا يختلف المخاطب فيهما اذ لا يتم الفايدة الا بهما فلو
اختلف المخاطب فيهما لكان خطاب كل من الفريقين غير تام وانما الضمير ثانيا
للازواج ويدخل الاولياء في حكمهم بالقياس عليهم انتهى فتامله ثم قال وتعريفه
المسندين في هي المواهب على تقدير كون هي ضمير المدايح بعد الحصر اي لا مواهب
الا هي وليس كذلك ولا يقال انه للمبالغة فانه لا قرينة تدل على ذلك
فلو نكر لكان اولى قلت وقد تقدم وجه التعريف فهو اذا مقتضى المقام والنهي
في قوله لا يقل للارشاد والجملة من الاطناب لان لي رفع ما في نفس من ابهام المقول لعله
يحوم باشرح لي صدري فليس حشوا كما زعم بعضهم وقوله بماذا الظاهر انه مبو
بما وذا اسم استفهام ولا يتعين فيما وقع فيه لبعضهم من التطويل فانه خال عن
التحقيق واما قوله ذا بكم فالاشارة فيه للتحقير وهو منهي عنه اي لا يحتقر فضل الله
فيشير اليه باذا فيقول ذا بكم ومثله اهذا الذي بعث الله رسولا قيل
وقوله فيما يقال الى اخره من التذييل لان هذا الشطر بين صواب النهي
في الشطر الاول وال في قوله العناية جنسية وفي الامر عهدية وكذا هي في السو
وقوله قد نطق قيل بعد يره فكان ذو نطق لانها جملة معطوفة على جواب
لولا وهو لا يكون معناه الا بالفعل والمعطوف على الجواب في حكمه وعلى هـــذا

فهو من ايجاز الحذف وتنكير نطق وبكم للتعظيم والتكثير البيات اسناد
سكنت الى البطحاء اما من مجاز الحذف كما تقدم والاحسن المجاز العقلى وقد يكون
اسنادها الى المشكو منه الذى هو العارض من المجاز ايضا وكنا خطاب العارض
يقول قال له وانهل وانسجم ويحتمل ان يكون كل ذلك حقيقة بخلق الادراك
للبطحاء والعارض لان حال النبوة لا سيما فى هذا المقام خرق العادات واسناد
ادت الى الارض من المجاز العقلى واما قوله اماناتها فمن الاستعارة بان يشبه
ما اودع الله فيها من بروز النبات بامانة طرحت عند امين واخراجها النبات
باداء الامين الامانة وهذه الاستعارة ترشيحية لان الرزق يلائم الوديعة
ويحتمل التجريد لملائمته الارض ايضا وخرج من هذا التشبيه الارض بامين
وقرن بما يلائمه وهو قوله باذن وربما كان قوله والبست ترشيحا ايضا وقوله
حللا وعمايما والبست ولوت تقدم وجه التشبيه فيه والظاهر ان كلها
من الاستعارات الترشيحية اعنى الارض اللابسة والرؤس المعممة وما قرن بها
من الحلل السندسية والعمايم هو الترشيح واسناد اجلوا الى النخل
من المجاز العقلى واما تشبيه النخل بامرأة ذات قلايد فمن الاستعارة بالكناية
وما معها ترشيح وتقدم وجه التشبيه فى قوله مثل الانهار واضافة الدا
الى الخط الظاهر انه حقيقة وكذا اسناد الاينعات الى النفس وقوله شاوى
من التشبيه شبه الغاية والمنزلة من القدرة على المدح بغاية المسافة البديع
جمع البطحاء والربا والهضاب من مراعاة النظير وكذا جمع وهمه وانهل وانسجم
و فى هذا البيت التسهيم وفيه الطباق لان البطحاء ضد الربى والهضاب ويقويه
كون لفظ البطحاء ممدودا ولفظهما مقصورا وجمع الاداء والامانة والاذن
من مراعاة النظير وجمع الارض والناس والنعم منه ايضا وكذا لفظا الرزق والخالق
وكل منهما يناسب كل جملة على انفرادها والظاهر ان قافية هذا البيت من الاختيار
فى البيت الجمع لجمع الناس والنعم فى اداء الامانة لهما وقوله والبست البيت لا يخفى
ما فى الفاظه من مراعاة النظير وقافيته من الاختيار ايضا والنخل باسقة من المنا
و لذا علو قلائدها وكذا الانهار والغيم وكذا الانهار والخذان وفى فارق وانبعثت

مناسبة وطباق والخط والنكس والبرم من مراعاة النظير فى داء الخط والمكارم
طباق وكذا لفظ المكارم مع النكس والبرم وهو ايضا من المقابلة عند من يرى
بعد الطباق بلا شرط مقابلة وبفس ونكس من مراعاة النظير وهما ايضا
من التجنيس الناقص قيل وفى هذه الابيات الاستطراد لانه مدح حسن
الارض بما حصل فيها من الارزاق والانوار والمقصود التوصل بذلك الى مدحه
صلى الله عليه وسلم باجابة دعوته وقوله منتجا بمنجح من التكرير وفايدته ما مر
وقوله اذا تتبعت البيت من المذهب الكلامى ومن الكلام الجامع وجمع الهبات
والبنى من مراعاة النظير والمحاول والمواهب من الطباق والشاو والشد
والزم من مراعاة النظير وقوله فما يقال الى آخره قل وفى البيت بعن ولا يقل
طباق السلب نحو ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا وتلت وجيد فضل
وبكم من مراعاة النظير وقوله فما يقال الى آخره من المذهب الكلامى على ما قررناه
وجمع النطق والبكم من النطق الاعراب لما هذه التى تقع بعدها فعل ماض
اللفظ والمعنى اختلف فيها فقيل حرف يقتضى فيما مضى وجوبا بالوجوب وبعزى لسيبويه
وقيل ظرف بمعنى اذ فيه معنى الشرط وجوابها فعل ماض لفظا ومعنى او جملة اسمية
مع اذا الفجائية او الفاء وربما كان ماضيا مقرونا بالفاء وقد يكون مضارعا
سكت ماض وعلامة وقعة مفعوله ومضاف البطحاء فاعله قال له جواب لما على الذى
يتعلق بواحد من انهل وانسجم ويعمل الاخر فى ضميره وليس من التنازع لان من شرطه
تاخير المعمول عن العاملين وهما فعلا امر وضبط لام انهل اما بالفتح او الكسر
وحرك لالتقا لسكون الادغام والوقف وهو على لغة تميم فى استصحابهم
فى الفعل المضعف الجزم فى المضارع والوقف فى الامر واما الحجاز فانهم يفكون
كل ذلك الادغام فيقولون انهلل قوله فادت بعده القول فيه على ما عطف وهو ما
تسبب عنه من قوله قال له اواحيت الارض فاعل اماناتها مفعول ومضاف اليه
باذن يتعلق والباء اما للسببية وهو الاظهر واما للمصاحبة وللناس يتعلق
بادت او خالق دليله متاعا لكم ولانعامكم اى الارض وما فيها واكسيت ماض
مبنى للمفعول وهو ضمير الارض والتاء علامة التانيث وهو معطوف اما على ادت

وهو الظاهر او على اجيت وهو بعيد وحللا مفعول ثان لالبست ومن سندس متعلق
بالبست او نعت لحللا ولو عطف على البست وفاعله ضمير الارض وعابيها مفعول
وصرفه ضرورة وحقه المنع لانه جمع لا نظير له في الاحاد ويروى متعلق بلوت
او نعت لعمايم فالنخل تقدم في التفسير مما يقتضي انه مبتداء والخبر محذوف
اي من ذلك النخل وباسقة على هذا حال من الضمير في الخبر المحذوف
وكذا يحلو وقلايدها وامام رفوع مبتداء محذوف اي وحالها مثل البهار وعلى
الخدين حال من البهار وعاملها مثل لما فيه من التشبيه وصح وقوعها من المضاف
لان المضاف كالجزء مما اضيف اليه ويجوز ان يكون النخل مبتدء والخبر يحلو
وباسقة حال من فاعل يحلو ويكون باسقة خبرا ويحلو خبرا آخر وحال من
ضمير باسقة ويجوز رفع مثل على انه خبر النخل اذا كان باسقة ويحلوا خبرين
ولا يصح مع ذلك نصبهما على الحال من ضمير مثل ويكون هو العامل فيهما
لان العامل المعنوي لا يعمل في الحال متقدمة الا ما استثني وليس هذا منه وقال
بعضهم لا يصح رفع مثل خبرا ونصب ما قبله حالين والمعنى يرده لان مثل انما
هو نعت لمصدر محذوف اي يحلوا حلاء مثل حلاء النهار قلت وتقدم في التفسير
ان مما يحتمله الكلام الاخبار عن نعمة بعد نعمة قال واذا جعل الحد المذكور
خبرا فالاولى كونه يحلو لانه اتم فايدة وكذا اغنى بنعته لا باسقة اذ لا كبير
فايدة في الاخبار به عن النخل فالراجح نصبه حالا ويصح نصب باسقة او يحلو
على الحال من النخل عند من يرى صحة الحال من المبتدأ وحاء القحط فارق وان سن
مفعوله قدم عليه وانبعث عطف على فارق الى المكارم متعلق به ونفس فاعله
واذا ظرف للمستقبل وتقدم القول في عاملها وتبعث فعل ماض وفاعل
ايات مفعول فقد الفاء جواب اذا وقد حرف تحقيق الحقت فعل ماض وفاعل
منتحيا مفعوله ومنها متعلق بالحقت او نعت لمنتحيا وبمنتحم متعلق بالحقت قال اذ
امر للمحاول لتعلق به مساوي مفعول المحاول وكان حقه ان يظهر نصبه لكنه
قدر الفتحة في بابه ضرورة وفي مدايحه يتعلق بالمحاول او بساوى وان كان
ضمير المدايح فالواهب خبره وكذا ما بعده وان كان ضمير الشان فالمواهب مبتدأ

وجملة

وجملة لم اشد خبره والجملة الكبرى خبر ضمير الشان وله متعلق باسدد
وزيني مفعوله ومضاف اليه وهو ياء المتكلم ويحتمل على ضعف ان يكون
مفعول المحاول محذوفا اي مدايحا كمدايحي وساوى مبتداء وفي مدايحه متعلق
وما بعده الخبر وعلى هذا الوجه يصح ان يكون المحاول الجيم اي لم يحاول في
ميدان حروف المدايح ولا نهاية تفعل مضارع مجزوم بها اصله تقول حذفت
الواو للساكنين لي متعلق به واللام للبيان بما ذا الظاهر ان ما ذا كله اسم
استفهام والباء متعلقة بلت وتقدمت لجرها ما له صدر الكلام حين
مفعول بلت ومضاف اليه فما الفاء عاطفة جملة النفي على جملة النهي
وهي مسببة عنه وما نافية يقال مضارع مبني للمفعول ولفضل الله متعلق به
ولامه للبيان ايضا وذا مبتداء وبكم خبر مبتداء محذوف مقدر التاخير
اي بكم هو ولا يكون خبر ذا لوجوب تقدم هذا الخبر على مبتداه لانه صدر الكلام
والجملة خبر ذا ولا حرف امتناع لوجود الغاية مبتداء خبره محذوف وجوبا اي
موجود وتقدم اعرابها في قوله لولا الهوى كان جواب لولا الامر اما فاعل ان
كانت كان تامة وهو الاظهر او اسمها ان كانت ناقصة وعلى التمام فيه وفي
حين يتعلقان بها وعلى النقص فعلى حد خبرها وفيه حال من الضمير في الخبر ولا يصح
ان يتعلق بالسواء لان معمول المضاف اليه لا يتقدم على المضاف لا لان السواء
بمعنى مستو فتكون ال موصولة فلا تتقدم معمول صلتها لانه ليس بصفة
صريحة وان صح ذلك فيكون دليلا على عامل فيه ولا لانه مصدر فلا تتقدم
معموله لانه ليس بمعنى الحدوث فينحل الى ان والفعل وقوله قد وطي تقدم
اعرابه الا ان حذف كان في هذا المقام لا يراه البصري وكذا بكم خبرها وتعلق جعل
ذو نطق مبتداء خبره كذا بكم الاشارات لما كان في الابيات التي قبل
هذه اشارة الى ان الوفاء ببيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والجد في اتباع
مراسمه اشار في هذه الابيات الى ان ذلك لا ينبغي ان يكون على وجه الافراط كما
ينبغي ان لا يكون على وجه التفريط بل القصد مطلوب في كل شيء حتى في العبادات
ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولن يشاد الدين احد الا غلبه وان الله

لا يمل حتى يملوا وروحوا النفوس ساعة بعد ساعة فكما ان الارض يشكوا من دوام
وقع المطر عليها ولا ينتفع بما فيها الا بمقدار معلوم من الماء ومن الصحو فلذلك
ارض القلب وارض البدن ان توالت عليها الطاعة قد يشكو ولذلك تمنى
عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما حين كبر بالسن قبلت رخصة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا يواصل احد الصوم اقتداء به صلى الله عليه وسلم فانه نهى عنه
وقال انى لست كهيئتكم الحديث فاذا سكنت ارض جسد وقع الامطار
العبادات وانهتكه وجفاف لا ينتفع به كالتزام الصوم مثلا في حق النحيف
البدن قال الشيخ السالك فمن رأى ذلك فيه من تلامذته اقلع عن هذا
الى ان تقدر عليه وامر بذلك منهم من زاد يحتاج اليه كالعظيم العيالة الكثير
الجسم الذي فيه محمل للصوم كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم العارض ان
يقلع عن البطاح اذا لم يبق فيها محمل له وامره ان يمطر على الزبى والهضاب فان فيها
محلا لذلك ونحى الاجسام وهضابها هم اصحاب السمن وهم محتاجون الى الصوم
لنحف ابدانهم فينهضوا الى اداء الامانة التي يحملوها من الصلوة والقراءة و
غيرهما من انواع العبادات وساير ما عليهم من الحقوق للناس والاقوام
سيما انا لا ينهضون لكي يتخ منها الا ينكاسل كما ان الارض اذا كثر ماؤها لا تكاد
تؤدي شيئا مما امنت عليه من الارزاق وحينئذ يلبسون حللا من سندس
التقوي بما يظهر عليهم من آثار شحوب العبادة وعمايم برؤس هضابهم واكامهم
التي في ابدانهم بعد ان كانت احشادهم شيبا من محل المعاصي ولباس التقوي
هو اللباس الحقيقي قال الله تعالى ولباس التقوى ذلك خير وقال
الشاعر اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى تقلب عريانا ولو كان كاسيا ويحتمل
ان يشير الى الحلل والعمايم التي يلبسون في الجنة بفضل الله جزاء على الطاعة
ويشير برؤس الهضم والاكم الى المصير رؤسا هنالك بما ينالون من
العز والشرف ورفع المنازل حتى يكون نسبتهم كنسبة رؤس الهضب والاكم
وكذا يثبت لهم هذا الشرف في الدنيا وقوله فالنخل باسقة الى آخره اى التي
اعدت لهم في الجنان وكذا ما يتمتعون به من المنظورات الحسنة ذوات الروح

الطيبة من البهار الذي على الخدين والعنم او يكون النخل كناية عن ارتفاع درجتهم
في الآخرة كارتفاع النخل في الهواء او بعد صيتهم في الدنيا وارتفاع شانهم بحيث
لا ينالون والبهار على الخدين كناية عن طيب روايحهم بحسن الثناء عليهم او كناية
عن السيما التي تكون في خدودهم من البكاء وفي جباههم من السجود او عن حسن
وجوههم اذا نظر اليهم وفارق الناس داء القحط البيتا اذا كان في الناس
مثل هؤلاء فارقهم داء قحط المعاصي وارتفع عنهم ببركة هؤلاء ما كانوا
يستحقونه عليها من انزال العذاب لولا شيوخ ركع وصبيان رضع وبهايم
رتع لانزل البلاء صبا صبا وفي حديث اخرجه ابو نعيم في الحلية عن ابن
مسعود انه صلى الله عليه وسلم قال ان لله تعالى في الخلق ثلث مائة قلوبهم
على قلب آدم الحديث وهو طويل ولنا عليه تعليق سميناه بنور اليقين في
شرح حديث اولياء الله المتقين وذكر في آخره في صفة اولئك القوم فيهم
يحيي ويميت يعني الله سبحانه وتعالى وبهم ينبت ويمطر وبهم يرتفع البلاء
وقوله وابعث الى آخره اذا رأى النكس والبرم هؤلاء القوم وما هم عليه
زهد في الدنيا وجادبها وقد تقدم لنا في بعض فصول الاشارة بعض
فضايل الكرم ومنها يعلم مذمة البخل وكفى في مذمته قوله تعالى
ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه
وقوله صلى الله عليه وسلم واي داء ادوى من البخل وقوله اذا تبعت
سنته ليعمل بما صدق الحق المنجم منها بالمنجم وكذا كان بعض الاكابر لا يبلغه
من سنته صلى الله عليه وسلم الا عمل به ما امكن وبلا شك ان الهدى يزداد
بذلك والايمان وتقدم حكاية احمد بن حنبل رضي الله عنه حين امتنع من
الدخول في الماء حين دخل اصحابه وقال تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم
ايمانا وقوله قل للمحاول البيت اشارة الى ان هذه المنازل وان وقع التحريض
على السعي في تحصيلها والجد في اكتسابها فهي مع ذلك لا تنال الا بتخصيص يأتي
من الله فهي مواهبة من الله سبحانه تعالى التي لا ينال اصلها بشد الزيم اعملوا
فكل ميسر لما خلق له فاما من اعطى الآية اذا لم يكن عون من الله للفتى فاكثر

فاكثر ما يجئ عليه اجتهاده واذا كان اصل هذه المواهب من الله فهي لا ما العوض حتى يقال بماذا نالها هذا دون ذلك بل بمحض الفضل من الله وما يقال فضل الله بكم ذا فانه مما لا ييأس الا بالفتح ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم واذا علمت ان كل نعمة فمن الله فاياك ثم اياك ان ترى نفسك بطاعتك حظاء عند الله فتأمن مكره انه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون او تيأس لعصيانك من رحمته انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فربنا جل وعلا لا ينفعه طاعة ولا تضره معصية ولو ان في الطاعة اعتناء من العبد بامتثاله اوامر مولاه واجتنابه نواهيه فيحصل له هو بذلك عز وشرف بما قاله على مولاه وضد ذلك في ضده لكان الامر في طاعة الله وعصيانه على السواء اذ يستحيل ان يعود شئ منهما اليه تعالى فكان يكون ذو النطق بالتوحيد كذا البكم وقد قال اهل السنة رضي الله عنهم يجوز نسخ جميع التكاليف ونسخ تحريم الكفر وغيره عقلا وانما امتنع ذلك لاخبار الشارع بان ذلك لا ينسخ قال تعالى حكاية عن العبد الصالح عيسى عليه السلام في شان قوم اتخذوا مع الله الها ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اى الذى لا تغالب على ما تريد فعله والحكمة فيما تفعله اللهم يا من لا يغالب امره ولا يرد قضاؤه استعملنا في سنة نبيك صلى الله عليه وسلم كما يرضيك الى ان تتوفانا على الايمان والاسلام ثابتين ابين لا مبدلين ولا مغيرين واجعلنا من اوليائك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الدنيا والاخرة بمنك وفضلك وسعة جودك وكرمك اصل

دعني ووصفي ايات له ظهرت … ظهور نار القرى ليلا على علم

فالدر يزداد حسنا وهو منتظم … وليس ينقص قدرا غير منتظم

فما تطاول امال المديح الى … ما فيه من كرم الاخلاق والشيم

ايات حق من الرحمن محدثة … قديمة صفة الموصوف بالقدم

لم تقترن بزمان وهي تخبرنا … عن المعاد وعن عاد وعن ارم

دامت

دامت لدينا ففاقت كل معجزة … من النبيين اذ جاءت ولم تدم

محكمات فما يبقين من شبه … لذي شقاق ولا يبغين من حكم

ما حوربت قط الا عاد من حرب … اعدى الاعادي اليها ملقي السلم

الغريب دعني اتركني وقد تقدم الوصف التحلية او النعت وصفت الشئ وصفا وصفة الهاء عوض عن الواو وتواصفوا الشئ واتصف هو صار متواصفا وبيع المواصفة البيع بصفة لا برؤية واستوصفت الطبيب لداى سالته ان يصف لك ما يتعالج به والصفة المعنى كالعلم والسواد وعند النحويين ما يجئ كاسم الفاعل وما في حكمه وايات قيل المراد ايات القرآن العزيز ولعل قائل هذا يجعل قوله بعد ايات حق بدلا هذه وهذا محتمل ويحتمل العموم وظهرت تبينت ظهر الشئ بالفتح ظهورا تبين واظهرت الشئ بينته وظهرت عليه غلبته وظهرت البيت علوته واظهرت بفلان اعليت به واظهره الله على عدوه والقرى بكسر القاف قرى الضيف وتقدم علم اى جبل وتقدم والدر اللؤلؤ واحدته درة كما واحد اللؤلؤ لؤلؤة وجمع الدرة ايضا درات ودرر يزداد ينمو والزيادة والزوادة النمو وزاد الشئ يزيد زيدا وزيادة ازداد وزاده الله خيرا وزاد فيما عنده والمزيد والزيد والزيد الزيادة وافعله زيادة والعامة تقول زايدة واستزاده اى استقصره وزيد السعر غلاه والتزيد في الشئ فوق العنق وفي الحديث الكذب وزايدة الكبد هنية منها صغيرة الى جنبها متنحية عنها وجمعها زوايد وهو لقب سعيد بن عثمان لزعمهم ان له ثلث بيضات والاسد ذو زوايد اى اظفاره وانيابه وزئيره وصولته منتظم اى مجموع في السلك مرتب نظمت اللؤلؤ في السلك فانتظم اى جمعته ونظمت الكلام رتبته والتنظيم مثله ومنه نظمت الشعر ونظمته والنظام الخيط الذى ينظم به اللؤلؤ ونظم من لؤلؤ وهي في الاصل مصدر ونظم من جراد اى كثير ويقال للثلاثة كواكب من الجوزاء نظم والانتظام الاتساق وطعنه فانتظمه اى اخلله ونظاما الضب كشيتان منظومتان من جانبى كلسه طويلتان وانتظمت الدجاجة صار في بطنها بيض نقص الشئ ينقص نقصا ونقصانا ونقصته انا متعد ولازم

وانتقص اي نقص وانتقصته انا واستنقص المشتري الثمن استحط والمنقصة
النقص والنقيصة العيب وتنقصه يقع فيه وثلبه التطاول ان تمد عنقك
قايما النظر الى بعيد وطاولني فطلته يقال من الطول والطول جميعا والامل
الرجاء وجمعه امال وامل خيره يامل املا وكذا التاميل وما اطول املته
وهي هيئة كجلسة وتاملته نظرت اليه مستثبتا له المديح الثناء الحسن والخلق
جمع خلق وهو ما جبل عليه المرء من سجية وطبيعة وتقدما والشيم بكسر الشين
جمع شيمة وهي الخلق ايضا ويقال ليس بمعصوم عن شيمة مفطور
عليها في المشيمة الرحمن الرحيم اسمان من اسماء الله سبحانه وتعالى الحسنى
مشتقان من الرحمة ونظيرهما نديم وندمان قال الجوهري
وهما بمعنى ويجوز تكرير الاسمين اذا اختلف اشتقاقهما تاكيدا كجاد مجد الا ان
الرحمن لا يجوز ان يسمى به غير الله قال الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
فعادل به الاسم الذي لا يشركه فيه غيره ويقال لمسيلمة رحمان اليمامة وفي
هذا الاسم مبالغة اي كثير الرحمة لعباده والرحمة في حقه تعالى اما ارادة الانعام
على عباده فهي من صفات الذات ونفس الانعام فهي من صفات الافعال وفي حق
الخلق الرقة والتعطف والمرحمة مثله ورحمته وترحمت عليه وتراحموا رحم
بعضهم والرحموت من الرحمة يقال رهبوت خير من رحموت اي لان ترهب خير من
ان ترحم ورجل مرحوم ومرحم شدد للمبالغة والرحيم للراحم والمرحوم والرحم
بالضم الرحمة قال واقرب رحما وحركه زهير فقال ومن ضريبته التقوى
ويعصمه من سيئ العثرات الله والرحم كعسر وعسر وام رحم من اسماء مكة واقتصر
ما في هذا الاسم الكريم على بعض ما يليق به لغة واما استيفاء الكلام فيه
بحسب سائر الفنون المتعلقة به فلا يحتمله هذا المختصر محدثة اي لوجودها اول
وهذا معنى الحدوث بفتح الدال والقديم ضده والحديث نقيض القديم واحدث
ما قدم وما حدث لا يضم دال الحدث الا هنا لمكان دال قدم ازدواجا وجاء في
الخبر حديثا الحدوث والحدوث قال الجوهري كون الشيء لم يكن واحدثه
الله فحدث وحدث امر وقع والحدث والحدثى والحادثة والحدثان كله بمعنى

واستحدث

واستحدث خبرا وجد خبرا جديدا وحدث اي شاب وحديث السن ان ذكرت السن
وحدثان اي احداث وقديمة صفة محدثة من قدم الشيء بالضم قدما فهو قديم
والموصوف بالقدم هو الله سبحانه وتعالى الذي لا اول لوجوده واقترن الشيء
بغيره وقارنته قرانا صاحبته ومنه قران الكواكب والقران بين الحج والعمرة
وبين التمرين باكلهما قال الاصمعي القران النبل المستوية من عمل رجل
واحد ويقال للقوم اذا تناضلوا اذكروا القران اي والوابين سهمين سهمين
وقرنت البعيرين اقرنهما قرنا جمعتهما في حبل واحد ويسمى ذلك الحبل القران
والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره وجمعه ازمان وازمنة وازمن وذات
الزمين اي تراخي الوقت كلقيته ذات العويم اي بين الاعوام وزامنه من
الزمن كمشاهرة من الشهر والمعاد مصدر من عاد يعود عودا وهو الرجوع
الى الدار الاخرة وعاد اليه يعود عودة وعودا رجع وفي المثل العود احمد
وعاد له بعد اعراضه عنه والمعاد المصير والمرجع والاخرة معاد واستعدته
سألته ان يعيد والمعاودة الرجوع الى الامر الاول والمادة طويلة وعاد
قبيلة بعث اليها هود صلى الله عليه وسلم سميت باسم الاب وهو عاد بن
عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وكان عمره الف سنة
ومائتي سنة وراى من صلبه اربعة الاف وتزوج الف امراة وكانوا
يعبدون القمر وشيء عادي اي قديم كانه منسوب الى عاد ويقال ما ادري اي عادي
هو غير مصروف اي الناس هو وارم مدينة بناها شداد بن عاد وكان ولي
الملك بعد ابيه فسمع بذكر الجنة وما فيها فقال لابد لي ان ابني مثلها فبنى
ارم في ثلثمائة سنة وجعل قصورها من الذهب والفضة واساطينها
من الزبرجد والياقوت وجعل فيها انهارا مطردة واصنافا من الشجر وعند
كمالها رحل اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله
سبحانه وتعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا هذا خلاصة خبرها وقد
اطنبوا في وصف هذه المدينة ووصف بابها وقيل انها الاسكندرية وقيل
دمشق وقيل غير ذلك وقال الجوهري قوله تعالى ارم ذات العماد

فمن لم يصرف جعل ارم اسمه ولم يصرفه لانه جعل عاد اسم ابيهم وارم اسم
القبيلة وجعله بدلا منه ومن قرأه بالاضافة لم يصرف جعله اسم ابيهم وارم
بلدة انتهى فتأمله ولست على وثوق من صحة النسخة التي نقلت منها ودام
الشيء استمر حاله يدوم ويدام دوما ودواما وديمومة وادامه غيره
ودومت الشمس في كبد السماء اي كانها لا يمضي ودام الشيء سكن ومنه
لا يبولن احدكم في الماء الدائم ودومت القدر وادمتها سكنت غليانها
بشيء من الماء فقاقة اي علت بالشرف واصل المعجزة من العجز بالسكون
وهو الضعف عجزت عن كذا اعجز بالكسر عجزا ومعجزة ومعجزا بفتح الميم وكسر
الجيم فيهما وبفتح الجيم فيهما ايضا على القياس وفي الحديث لا تلثوا بدار معجزة
اي بلدة يعجزون فيها عن الاكتساب والتعيش اعجزت الرجل وجدته عاجزا
واعجز فلان ذهب فلم يوصل اليه والتعجيز التثبيط وكذا النسبة الى العجز
واما المعجزة فواحدة معجزات الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهي
اسم فاعل من اعجزتني هذه القضية فهي معجزة اي فاتتني ولم استطعها
والمعجزة الشيء فائدة وهي عند المتكلمين امر خارق للعادة يقع على وفق دعوى
الرسول الرسالة مقارنا للدعوى مع عدم المعارضة فقولنا خارق للعادة
لان المعتاد لا يدل على الصدق لعدم اختصاصه والخارق قسمان ما ليس
من قبيل مقدور البشر كقلب العصا حية وانشقاق القمر وتسبيح الحصا
وما هو من قبيل مقدورهم ولكن منعوا منه كمنع اليهود من تمني الموت
وقولنا على وفق الدعوى يخرج من يقول اية رسالتي ان ينطق الله يدي
بتصديقي فنطق بتكذيبه وفي كون ذلك في الميت اذا حيي وكذب به مبطلا
لدعوته خلاف والفرق ان الجماد لا غرض له في المخالفة بخلاف الانسان
وقد قال تعالى ولو ردوا لعادوا الاية وقولنا مقارنا للدعوى
يخرج من يقول اية رسالتي ما ظهر على يدي من تقدم قبلي واما ان قال ما سيظهر
في المستقبل فهو في الحال لا يحكم بنبوته واذا وقع ما ذكر هل يكون له بذلك حكم
النبوة فيما قبل وقوع ذلك الشيء حكى بعضهم فيه التردد وقولنا مع عدم

المعارضة احترازا من السحر والشعبذة فانهما يعارضان فاذا ظهرت المعجزة
المجتمع فيها القيود على يد المدعي للرسالة تنزلت حينئذ منزلة قول الله تعالى
صدق عبدي هو رسولي وهل وجه دلالتها على هذا المعنى عادي كما هو مذهب
اهل السنة او عقلي كمذهب المعتزلة فيه اضطراب ولنا في
تحقيق هذه المسئلة مجموع سميناه بالايات الواضحات في بيان وجه دلالة
المعجزات واعلم ان ما ظهر من المعجزات على يد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
لا يناله عد ولا يحصره حد وما من معجزة ظهرت على يد نبي من الانبياء عليهم السلام
الا وظهر على يد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نظيرها وزاد بما لا يحصى واكثر
معجزاته واعظمها القران العظيم وهي التي اراد الناظم هنا بقوله آيات
لدينا قوله محكمات اما بمعنى ذوات حكمة من قولهم رجل محكم بفتح الكاف
اي مجرب منسوب الى الحكمة وهو الذي في شعر طرفه اي الشيخ المجرب المنسوب
الى الحكمة واما بمعنى حاكمات من قولهم حكمت الرجل اذا جعلته حاكما ومنه
الذي في الحديث ان الجنة للمحكمين وهو قوم من اصحاب الاخدود حكموا
وخيروا بين القتل والكفر فاختاروا الثبات على الاسلام مع القتل فمعنى محكمات
على هذا اي منقادات للاحكام ويحتمل ان يكون بمعنى متقنات بتحكيم نظمها
وبلوغ بلاغتها الغاية القصوى من احكمت الشيء اي اتقنته والتعدية بالتضعيف
تعاقب التعدية بالهمزة قياسا عند بعضهم او بمعنى موضحات من احكمت الشيء
اي اوضحته ومنه قوله تعالى ايات محكمات او بمعنى ممنوعات من التبديل والتغيير
محفوظات لقوله تعالى وانا له لحافظون ومنه قولهم حكمت الرجل تحكيما
اذا منعته مما اراد وحكمت السفيه واحكمته اخذت على يديه فما يبقين اي ما
يتركن وبقي يبقى بقاء وبقي الرجل زمانا طويلا عاش وطي يقول بقا وبقت
بالفتح وكذا في شبهه من المعتل وابقاه الله وبقي منه بقية وقوله تعالى
فهل ترى لهم من باقية اي بقاء وابقيت عليه اذا رحمته وفي الحديث بقينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي انتظرناه وبقيته بالتشديد وابقيته وتبقيته
كله بمعنى واستبقيت من الشيء تركت بعضه واستبقاؤه استحياؤه الشبه

جمع شبهة وهي الالتباس وعند المتكلمين ما يخيل دليلا وليس به والمشتبهات
من الامور المشكلات والمتشابهات المتماثلات واشتبه على الشيء والشقاق
والمشاقة الخلاف والعداوة ومنه شق عصى المسلمين اى خالفهم ويبغون
اى يطلبون بغيت الشيء وابتغيته وتبغيته طلبته وبغيته من بغاية نحو اتيته
من اتاية تريد المأتي والمبغي وبغيتك الشيء طلبته لك وينبغي مطاوع بغيته
فانبغى وابغيتك الشيء جعلتك طالبا له والحكم بفتح الحاء والكاف الحاكم
وقد تقدم ويروى بما يلقين من حكم اى بما يفدن ويستفاد منهن من الحكم
جمع حكمة والعتبة طرحته كانما تطرح الحكم والوثبة من يدك والعتبة ايضا
والعتب اليه الموده وبالموده والعتب عليه العتبة كالعتبت عليه احجية حورت
قوتلت والحرب مؤنثة وتصغيرها حريب بلا هاء سماعا قال المازني لانه
في الاصل مصدر وقال المبرد قد تذكر وانا حرب لمن حاربني اى عدو ومحارب
واحتربوا وحاربوا بمعنى ورجل محرب بكسر الميم اى صاحب حروب وقوم محربة والحربة
واحدة الحراب قط بفتح القاف وشد الطاء مضمومة ظرف زمان ماض قال
ابو علي الفارسي هو اسم ينتظم اول الوقت الى آخر ما بلغت منه فهو عبارة عن
امد ومدة فوجب لذلك ان يكون مضافا الى الوقت كما اضيفت اليه
قبل وبعد فلما اقتطع عن الاضافة بني على الضم كقبل وبعد وقال ابن مالك
قط للوقت الماضي عموما ويقابله عوض وقال الجوهري معناها الزمان
قال الكسائي كانت قطط فلما سكن الاول للادغام جعل الاخر متحركا
الى اعرابه ومنهم من يضم القاف اتباعا مثل مد يا هذا ومنهم من يخففها ويجعله
اداة ويبنيه على آخره بضمة مشبعة ومنهم من يضم القاف مع المخففة ايضا
نحو مد يومان وهي قليلة هذا ان كانت للزمان وان كانت بمعنى حسب
وهو الاكتفاء فمفتوحة ساكنة الطاء وتضاف نحو قطك هذا اى حسبك وقطني
وقطي وقط عاداما بمعنى رجع واما بمعنى صار فقيل ويصح ان يكون بالذال
المعجمة من التعوذ اى مستجيرا بالله من حربهما اعدى الاعادي وحربت الرجل
حربا بفتح الراء سلبته والحرب ايضا مصدر حرب بالكسر اى اشتد غضبه

فهو حرب واشتد حرب وحربته اغضبته والتحريب التحريش ويقول من الاول
حربه يحربه حربا كطلبه يطلبه طلبا اذا اخذ ماله وتركه بلا شيء وقد حرب
ماله اى سلبه فهو محروب وحريب واحربته اى دللته على ما يغنمه من عدو
وقيل الحرب الويل واعدى ان كان من العداوة اى اشدهم عداوة فهو غير
مقيس سواء كان من العدو والذي هو اسم او من فعله الذي هو
عاداه يعاديه لان افعل التفضيل لا يصاغ من الاسم ولا من فعل زائد على
ثلاثة احرف وان كان من فعل العداء بالمد والفتح وهو تجاوز الحد والظلم
اى اشدهم عداء فهو مقيس لانه ثلاثي يقال عدا عليه عدوا وعدوا وعداء
ومنه عدوا بغير علم والاعادي جمع اعداء واعدا جمع عدو وهو ضد الولي
وهو وصف ولكنه ضارع الاسم يقال عدو بين العداوة والمعاداة ولا
عدوة قال ابن السكيت انما الانثى من فعول بمعنى فاعل بغير هاء
كصبور ونذر عداوة الله قال الفراء انما كان بالهاء تشبيها بصديقة
لان الشيء قد يبنى على ضده والعدى بكسر العين الاعداء لا واحد له
قال ابن السكيت ولم يأت فعل في النعوت الا قوم عدى اى غرباء
او اعداء ويقال في الاعداء عدا ايضا كسوى وسوى قال ثعلب يقال
اعدا وعدى بكسر العين فاذا دخلت الهاء فعداة بالضم والعادي العدو
سمع اشمت رب العالمين عاديك ملقى تقدم قريبا والسلم بفتح السين
واللام او مع سكون اللام وبكسر السين مع سكون اللام الصلح والسلم
ايضا بفتحهما الانقياد والسلم الصلح بفتح ويكسر ويذكر ويؤنث والسلم
المسالم يقولون انا سلم لمن سالمني التفسير اما مناسبة قوله دعني
لما قبله من كلامه الذي هو قبل قوله لما اشكت فانه لما قال احييت السنة
الشهباء دعوة وذلك يستلزم كون تلك الاية ظاهرة لجميع الناس فان عموم
القحط والخصب لا يختص به واحد دون اخرى وايضا فان منها ما كان وهو
على المنبر وتقرر في الاصول ان الاخبار عن مثل هذه الواقعة اذا لم ينكر يحصل العلم
بصدقه قطعا فكان قد ان العدو الكافر الجاحد المكذب بما يسمع من النظم

من الاخبار عن معجزاته صلى الله عليه وسلم يقول له لتكذيبه بها دع عنا
من الاخبار التي لا نسلمها فاجابه الناظم رحمه الله تقديرا بان قال
كيف يليق بك انكار مثل اية الاستسقاء بل اما من اية من اياته وشاهدها
من الجمع الكثير مثل من شاهد اية الاستسقاء وربما كان اكثر فيا ايها
الجاحد الحضوريات دع عني اي اتركني مع حالتي التي انا عليها من وصفي اي ذكري
ايات اي معجزات كاينات له اذ ظهرت له ظهورنا والقرى من اي الاضافة وهي
النيران التي كان الكرام من العرب يامرون بايقادها وتكثيرها وكذا قال
نار القرى ليلا على جبل من الجبال من المعالم المرتفعات التي يهتدى بها
وان لم يكن عليها نار كما ان النار في غير علم كافية في الاهتداء بها بالليل
وانما يفعلون ذلك ليهتدى الاضياف به الى منازلهم واذا كان كل من العلم
والنار ليلا كافيا في الاهتداء به فما ظنك باجتماعها فهو يقول انما اصف
من اياته صلى الله عليه وسلم لا يسمع انكاره لظهوره مثل ظهور نار القرى الكريم
ليلا على علم واما مناسبته لما قبله من الابيات المزبورة فلانه لما قال
لولا العناية البيت توهم ان قائلا يقول فلم تصفها فقال قصد العناية
ووصفها لا ينبغي كتمانه لظهوره ظهور النار المذكورة وقد عنى البيت فالخطاب
في قوله دع عني لهذا النوع المقدر ويحتمل ان يكون من الخطاب العام ويحتمل
ان يكون خطابا مع النفس ان قدرنا تقول يكفيك من هذه المدائح
فاجابها بالبيت معلما لها ان راحته في ذلك قال بعضهم قوله ظهرت
الى اخره ان جعل نعتا للايات اقتضى المعنى دع عني مع وصفي لهذا النوع من الايات
خاصة ويعطي بمفهومه ان له صلى الله عليه وسلم ايات اخرى لم تظهر هذا الظهور
وحاشى الناظم من هذا القصد وايضا فان السياق يدل على انه اراد بتلك
الايات الاخلاق الحسنة وهو قد قال بعد فما تطاول البيت فان كانت ما
نافية ضاد اخرا بما لم توصف فيبقى متهما بما التزم من وصفه للايات والذي
يخلص من الاشكالين جعل جملة ظهرت جواب سؤال مقدر كانه قيل ما الايات
التي طلبت تركك مع وصفها فقال ظهرت انتهى قلت ان سلم كونها نعتا

فهي

فهي من النعوت اللازمة التاكيدية وليست مخصصة لان الظهور لازم
لكل اية من اياته صلى الله عليه وسلم ولئن سلم كونه مخصصا لكن الكلام
مع الجاحد كما قدرنا اولا فهو يقول له انا لا اصف لك منها الا ما لا تنكره
مما ثبت تواترا واما ما ثبت بالاحاد فلا لانه يمكنك فيه الانكار ثم ليس
في هذا ما ينبغي ان يحاشى منه الناظم بل هو ابلغ في المدح اذ يقول
انا لا اتعرض الا لوصف ما هو من الايات بهذه المثابة فاذا لم اقدر على حصر
هذا النوع فما بالك بغيره ويدل على هذا قوله بعد فما تطاول لم ترق
امال المديح الى قصد ما فيه من كرم الاخلاق وهذا نوع من الايات ملازم
له لكونه من صفاته فما بالك بجميع انواعها ولهذا يعلم ان قوله فما تطاول
البيت غاية المدح لا اخبار عن نفيه كما توهم هذا المتاول حتى جعله
مما التزم من المدح لم يات به بعد وبهذا علم الجواب عن قوله ثانيا ان هذه
الايات هي الاخلاق الحسنة وهي نفى وصفها بقوله فما البيت فانه
ان سلم انها المراد فما نفى وصفها بل هذا البيت هو من ابدع ما مدح به
فما ظنه نفيا للمدح هو الغاية القصوى فيه فان العجز عن درك الادراك
ادراك وانما هذا البيت اعني فما تطاول من الابيات التي هي من هذا القصيد
غاية في المدح وهو من ابلغ ما افك به نفسه مما التزم ثم قوله فيما
تطاول وقع في شرح هذا القائل بعد قوله دع عني وانما هو ثالثه قوله فالذي
البيت جواب عن سؤال مقدر يرد على البيت الذي قبله وتقرير السؤال
ان يقال اذا كان ظهور اياته صلى الله عليه وسلم كظهور نار القرى ليلا
على علم فكل الناس يشاهدها فما فايدة التزامك وصفها وطلبك ان تترك
وذلك واجاب بان قال انها وان كانت مدركة وحسنها ظاهر الا ان
تعرضي لوصفها بالنظم يزيدها حسنا وان كان قدرها لا ينقص اذ لم تنظم
ثم انه افاد هذا المعنى فيها مستدلا عليه بمثال محسوس يدرك فيه هذا
المعنى وهو الدر فانه حسن في نفسه فان نظم ازداد حسنا لما يثبت له
من الترتيب والمنازل المتناسبة مع ان قدره اي شرفه ومنزلته الثابتة

له بحسب ذاته لا ينقص حاله كونه غير منتظم نعم حسنه الذي لم يظهر
للعين ان تظم ينقص ان لم ينظم وهذا بين لان ما يريد بوصف ينقص بسبب
ذلك الوصف فكذا ما يحصل من زيادة الالتذاذ بسماع الايات منظومة
لما صاحب لذة الاخبار بها من لذة الاوزان الشعرية والنغمات النظامية
ينقص مع الاخبار بها نثرا وقدرها من التعظيم الحاصل لها في ذاتها لا ينقص
فان قلت لم يقتصر على قوله يزداد حسنا فانه اذا اخبر انه انما يزداد بالنظم
حسنا علم ان اصل الحسن حاصل له قبل ذلك فما فايدة قوله وليس
البيت قلت هو كالاحتراس رفعا لما يتوهم من ان ازدياد الحسن بالنظم توجب
فوات نقص القدر ولما كان قوله فما تطاول البيت قيل هذا في نسخة بعضهم
قال ان الشطر الاول من هذا البيت جواب سؤال مقدر تقديره اذا كانت
امال المديح لا تنتطاول الى ما فيه من كرم الاخلاق فلم يثنا لمادح نفسه
فقال فالدر الى آخر الشطر ولما كان قوله يزداد يوهم ان قدر الاوصاف
كان ناقصا عما صار اليه بالنظم دفع ذلك الايهام الثاني فكلا شطري البيت
من التكميل وفسر القدر في الدر بالثمن فقال انه لا يزيد ثمنه منظوما على
ثمنه متفرقا ليسارة النظم انتهى وهو حسن قوله فما تطاول البيت يحتمل
ان ما يكون نافية وان يكون استفهامية فعلى النفي يكون المعنى ان وصف
الايات بالنظم وان كان يزيدها حسنا فلا يتوهم ان احدا اتى من ذلك
بماله نسبة الى ما يستحقه صلى الله عليه وسلم من المديح هيهات فان امال
المديح اي غاياتها امنته وتحرير التقدير فان امال صاحب المديح ما تطاولت
اي ما مدت عنقها تلك الامال لتنظر من بعيد الى بلوغ تمام ما فيه صلى الله
عليه وسلم من كرم الاخلاق وكرم الشيم التي هي الطباع وانما لم تمد اعناقها
الى ذلك لانه لا تنظر اليه ولا يدرك لا من قريب ولا من بعيد وانما تطاول
الاعناق لما يطمع في ادراكه ولو من البعد فاذا كانت اعناقها لا تتطاول
لادراك ذلك لاستحالته عليها فكيف يتصور اثباتها به ومعنى هذا البيت
قريب من معنى قوله لولا العناية البيت وعلى الاستفهام يكون المقصود به

الاستبعاد اي اي فايدة لتطاول اعناق المديح الى تمام ما فيه من كذا فانه شيء
لا يدرك فالتشوق لادراكه عناء والنفي امدح فانه نفي التطاول من اصله
لليأس من ادراك ما يتطاول اليه والاستفهام اثبته الا انه استبعد
وقوعه لعدم الفايدة فيه ويحتمل ان يشبه المديح بانسان واثبت له
مالا كما للانسان ثم شبه تلك الامال بذي عنق يتطاول بها الى ما يريد
ادراكه وقيل المعنى اذا كانت محاسنه ظاهرة مثل النار فوق العلم فما عسى
ان يبلغه المدح فتامله وقوله ايات حق البيت ان نصبت ايات فبدل من قوله
ايات له والمراد بهذه الايات القران العظيم ولا خفا بظهورها فانها الايات
التي قامت بها الدنيا على قدم وان رفعته فالتقدير تلك الايات ايات حق
فيرجع الى معنى النصب ويكون التقدير من تلك الايات التي ظهرت ايات حق
والمراد بالحق القران وبذلك وصفه الله تعالى فقال وهو الحق مصدقا
وانزلنا اليك الكتاب بالحق وهو كثير وقوله من الرحمن اي منزل من الرحمن
وخص هذا الاسم العظيم بالذكر في هذا المقام لان انزال الكتاب الى الخلق رحمة
لهم وكذلك بعث النبي صلى الله عليه وسلم رحمة لهم وقد وصف الله
تعالى القران بانه رحمة فقال تعالى الم تلك ايات الكتاب الحكيم
هدى ورحمة للمحسنين وقال في وصف محمد صلى الله عليه وسلم وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين ووصفه هذه الايات بانها محدثة قديمة وانها
صفة الموصوف بالقدم وهو الله تعالى وانها لم تقترن بزمان لا يريد انها تتصف
بهذه الاوصاف من جهة واحدة وباعتبار واحد ولا ادى الى اجتماع الضدين
وهو محال لان الشيء لا يكون قديما حادثا معا لان الحادث ما لوجوده اول
ومفتتح وذلك يستلزم كون عدمه قبل وجوده والقديم ما لا اول لوجوده
وهو يستلزم استحالة العدم عليه فكان فكيف يجتمعان فاذا الحدوث
راجع الى الايات التي هي حروف منتظمة وكلمات مسموعة وسوره لها ابتداء
وانتهاء ومقاطع واجزاء وهذا المنتظم المسموع هو معجزة رسول الله صلى الله
عليه وسلم التي تحدى بها والمعجزة كما قررنا قبل لا تكون الا فعلا لله تعالى

ولاشئ من الفعل بقديم والقدم راجع الى مدلول تلك الالفاظ المسموعة وهي
المسمى عند المتكلمين بكلام النفس وهو من صفات الله تعالى واياه عنى
بقوله صفة الموصوف بالقدم فان قلت فالمسمى في الشرع بكلام الله تعالى
هل هو النوع الاول والثاني قلت الاجماع على اطلاقه على النوعين وان
اختلف هل هو حقيقة فيهما فيكون مشتركا او حقيقة في الاول مجاز في الثاني
او بالعكس فان قلت وما المسمى منهما بالقرآن قلت يطلق القرآن ايضا على
منهما الا ان القرآن يطلق على القراءة وهو الحروف والاصوات التي يرتفع بها صوت
القاري وتنتفخ اوداجه وهو النوع الاول ومنه قوله ضحوا باشمط عنوان
السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرآنا اي قراءة ويطلق ايضا على المقروء
وهو القديم والفرق بين القراءة والمقروء كالفرق بين الذكر والمذكور والنظم
فضمن بالذات مدح النبي صلى الله عليه وسلم بما ظهر على يديه من المعجزات
ولما ذكر ان منها القرآن ادرج في ذلك مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم
القرآن واستتبعه على سبيل الاستطراد وهذا البيت اول مدحه الى قوله لطم
الماء من سقم الا ان لقائل ان يقول هذا البيت مشكل فان ظاهر قوله
محدثة قديمة صفة الموصوف بالقدم لم تقترن بزمان ان هذه كلها اخبار
عن مبتداء واحد وهو ايات حق وذلك لا يصح لانه ان اريد بايات
حق القرآن الذي هو المقروء اي المعنى القديم القائم بذاته سبحانه وتعالى كما قدمنا
فباطل من وجوه الاول ان القدم والحدوث ضدان لا يجتمعان في المحل الواحد
الثاني يلزم ان يكون الباري تعالى محلا للحوادث تعالى عن ذلك علوا كبيرا
الثالث الصفة القديمة لا تفارق الموصوف ولا اختصاص بها بمخلوق
فلا يكون اية لاحد وان اريد بها الحروف والاصوات فلا يصح ايضا لاجتماع
الضدين ثم هي حادثة فلا يخبر عنها بانها قديمة ولا بانها صفة الموصوف
بالقدم لان الموصوف بالقدم لا يتصف بما يدل على حدوثه ولا بانها لم تقترن
بزمان فان الحادث مقترن بالزمان والانفصال عن هذه الاشكال بما اشرنا
اليه اولا من انها موصوفة بالحدوث باعتبار وبالقدم باعتبار وبسطه

ان يقال اراد بايات حق الذي هو المبتداء الحروف والاصوات التي هي معجزة
صلى الله عليه وسلم لان كلا منه في ذلك ومحدثة خبر عنها اذ ذاك وصفها
واما قوله قديمة فخبر مبتداء محذوف يدل العقل عليه تقديره مدلولاتها
او معانيها قديمة اي معاني تلك الايات قديمة وصفة الموصوف خبر ثالث
عن هذا المقدر ولم تقترن خبر ثالث عنه ايضا والضمير المبتدأ في قوله
مخبرا وكذلك فاعل تخبر عايدان على ايات حق التي هي المعجزة فهذا تحرير
القول في شرح هذا البيت فان قلت في هذا الشرح اختلاف مرجع
الضمير قلت لانه امر واجب لا بد منه لما يؤدي اليه بقاء الكلام على ظاهره
من المحذورات العظيمة ووقع في شرح بعضهم ايات صدق من الرحمن
محكمة وقال ان هذه الاوصاف منها ما يرجع اليها باعتبار اللفظ
والمعنى فمن ذلك قوله صدق فان كان من الصدق ضد الكذب من معنى
قوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به فخاص باللفظ بل لما
كان منه خبرا فقط وان كان من معنى الكمال كقولهم رجل صدق اي
كامل فصالح لهما معا ومحكمة ان كان معناه متقنة المعنى من المحكم الذي
هو ضد المتشابه فراجع الى اللفظ لان المعنى قديم لا يحكم ولا يتاتى بفعل
فاعل عند اهل الحق وان كان معناه مانعة نفسها من المعارضة لان
الحكمة قد تكون بمعنى المنع فلهما وهذا اولى لعمومه وقوله قديمة
خاص بالمعاني ولا يرجع الى اللفظ معنى الا على راي الحنابلة في دعويهم ان ايات
القرآن قديمة وهو مردود عند اهل العلم كافة فمن الضماير ما يرجع الى الايات
باعتبار اللفظ ومنها ما يرجع اليها باعتبار المعنى وهذا من الاستخدام البديعي
وهو كلام حسن الا ان قوله صدق ان اراد ضد الكذب يخص اللفظ فيه
نظر فان الخبر النفساني منه الصادق والكاذب باعتبار مطابقته للواقع
في الخارج وعدمها ثم للصدق معنى ثالث وهو الحق فيرجع هذا الى الثاني
في الرواية اذا قدرت قديمة وما بعدها خبر بدلولها كما قلناه لم يكن
من الاستخدام ثم قال وقوله الموصوف بالقدم انما يعني بوصفه به

في اللفظ خاصة فيقال الله قديم لا في المعنى لان القدم ليست صفة وجودية لله
سبحانه الا في قول ضعيف مرغوب عنه قلت اختلف في القدم والحدوث والوجوب
والامكان هل هي حقايق ثابتة في نفسها او هي امور اعتبارية وذهب طائفة
كثيرة من المتكلمين الى ان القدم صفة نفسية للقديم لا كما قال انه
مرغوب عنه وقوله لم يقترن بزمان البيت تقدم ان فاعل يقترن ضمير عايد
على المبتدأ المقدر وهو مدلول ايات الذي هو القديم وانما لم يقترن بزمان
اي لم يصاحبه لان القديم لا اول لوجوده فليس بزماني اذ الزمان حادث
لوجوده اول وقوله وهو تخبرنا تقدم ايضا ان الضمير يعود على ايات
التي هي الفاظ دالة على مدلول قديم لانها الذي تخبرنا ونسمعه هي تلك
الالفاظ لا مدلولها وقوله عن المعاد اي تخبرنا بثبوت الرجوع اليه
في الدار الاخرة بعد موتنا في الدنيا الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم
تعملون ثم الينا مرجعكم ثم انكم يوم القيمة تبعثون وهو كثير والايمان
بالبعث الاخير من قواعد الايمان كما جاء في الصحيح من سؤال جبريل النبي
صلى الله عليه وسلم عن الايمان وقوله فيه ان تؤمن بالله الى قوله واليوم
الاخر وادعى كثير من العلماء الاجماع على تكفير من انكر البعث وقال
بقدم العالم وهم طائفة من الفلاسفة على تفصيل للناس طويل [illegible]
محل ذكره وذكر ادلة الفريقين والرد على المبطلين علم الكلام وناهيك
من ادلته العقلية النقلية ما وقع في القران العظيم من قوله تعالى
اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة الى اخر السورة وقوله تعالى
يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث الى قوله تعالى وان الله يبعث
من في القبور وقوله تعالى ايحسب الانسان ان يترك سدى الى اخر السورة
وهي ادلة كثيرة في غاية الوضوح والبيان ويحتمل ان يكون فاعل يقترن
ضمير الايات التي هي الالفاظ الا ان بزمان لا يكون للعموم كما في الوجه الاول
بل للخصوص اي لم يقترن بزمان ما اخبرت عنه لا من الماضي كما في الاخبار
عن عاد حسبما ورد ذلك في كثير من السور وعن ارم كما ورد في سورة الفجر

ولا من المستقبل كاخبارها عن المعاد وعن مثل قوله تعالى الم غلبت الروم الاية
وهذا من الدليل على كونها من عند الله فانما اخبرت عنه لم تقارنه اما
المستقبل الذي اخبرت عنه ثم ظهر بعضه موافقا للاخبار كغلب الروم فارس
فظاهر الدلالة واما ما مضى فالدلالة فيه كون الاتي بها اميا لا يقرا ولا
يكتب ولا كان له ارتحال الى البلاد ومع غيبته عن المعاندين بحيث
يحصل له من علوم الماضيين ما اخبر عنه مما لا يدرك بعض البعض منه
الا مع العلم الكثير بالتاريخ واما ما اتى به منه صلى الله عليه وسلم
على نحو ما اتى به فمحال ان يكون بغير الوحي قال تعالى وما كنت تتلو من قبله
من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو ايات بينات في صدور
الذين اوتوا العلم وما يجحد باياتنا الا الظالمون ويحتمل ايضا ان يكون ضمير
عايد على المعاني القديمة لان الالفاظ الدالة عليها اذا حصل الاخبار عنها
فقد حصل من مدلولها وقد يحمل على بعد ان يرجع قديمة الى الالفاظ ومعنى
وصفها بالقدم اي ان لها دائمة زمانا متطاولا وذلك منذ بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى زمان الناظم وذلك القرن السابع لان القديم
كما يطلق على ما لا اول له يطلق على ما تطاول زمانه ومنه قوله تعالى حتى عاد
كالعرجون القديم فيكون هذا المعنى من معنى قوله بعد دامت لدينا البيت اي
ان هذه الايات لها زمان طويل نشاهدها فيه وقوله دامت البيت فاعل دامت
ضمير يعود على ايات وهي الفاظ القران التي وقع بها الاعجاز ومعنى انها باقية
لدينا لم تنقرض فلذا زادت في الشرف والرتبة على كل معجزة ظهرت على يد كل من
تقدم من الانبياء عليهم السلام بل لم تظهر على ايديهم الاخرة واحدة في حين
وذلك حين وقع التحدي بها ثم لم تظهر بعد وهذا معنى قوله فاتت كل
معجزة من النبيين اذ جاءت ولم تدم والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم بقوله
ما من الانبياء الا وقد اوتي مثل ما امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا
فانا ارجوا ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة يعني ان معجزته صلى الله عليه وسلم لما كانت
وحيا يتلى وهو باق على الدوام امكن الايمان به في كل وقت فكان يرجوا ان يكون

اكثر الانبياء تابعا ومعجزة كل نبي لم يبق فلا يؤمن بها الا من شاهدها فان قلت
بل يؤمن بها كل من صدق بمعجزة القران وامن به لتضمن القران العظيم الاخبار
عن معجزات من تقدم فكل من امن بالقران امن بما فيه من معجزات الانبيا لا نفرق
بين احد من رسله فاين الاكثرية قلت انما قال صلى الله عليه وسلم اني اكون
اكثرهم تابعا ولم يقل اكثرهم ايمانا بي ومن امن بالقران انما يكون تبعيته لشريعة
محمد صلى الله عليه وسلم فهو من امته لا من امة غيره وان كان لا يتم ايمان
احد الا بالايمان لساير الانبيا عليهم السلام فمعجزة القران باقية لانه
باق ما اختلف العصران وكر الجديدان وقد تكفل الله تعالى بحفظه فقال
جل جلاله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال تعالى لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ووجه معرفة كونه
معجزا على الجملة انه صلى الله عليه وسلم لما بعث الى الاحمر والاسود وتحدى به
كله ثم بعشر سور منه ثم بسورة واقصرها ثلث ايات وكانت العرب حينئذ الغاية
القصوى في الفصاحة والملكة زمة البيان والبلاغة وكلهم قد عجزوا
عن معارضته فهو معجز قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القران
لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا الا ان يقال انما لم يعارضوه لانه
لم تكن لهم داعية الى ذلك لانا نقول بل دواعيهم الى المعارضة متوفرة
فانه صلى الله عليه وسلم عاب الهتهم وسفه احلامهم وكلفهم تبديل اديانهم
والنزول عن رياستهم الى اتباعه فيما جاء به واوجب عليهم تعبا في ابدانهم ونقصا
في اموالهم وطلبوا بعداوة اصدقائهم وصداقة اعدائهم بسبب الدين وواحدة
من هذه داعية كافية فكيف بجميعها لا سيما العرب فانهم اشد الامم حمية واكرمهم
انفة ولم يكونوا خائفين مقهورين بل هم القاهرون في الابتداء الى ان هاجر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وبعد الهجرة الى الفتح وذلك
نحو من عشرين سنة ولو وقعت معارضة ولو يوما لاشتهرت لتوفر الدواعي
الى اظهار ذلك من كثرة اعداء الدين والطاعنين في الملة من الملحدين فاذا لم
يأتوا بشيء منه مع توفر الدواعي وانتفاء الموانع دل ذلك على عجزهم عنه كل قطعا

وايضا

وايضا فانهم عدلوا عن المعارضة الى المحاربة التي تعرضوا بها الى قتل نفوسهم
وسبي اموالهم ودراريهم والجلاء عن اوطانهم وكل واحدة منها عظيمة
والمعارضة بسورة منها لو قدروا عليها اخف عليهم واسهل والعدول
عن الاخف مع حصول الغرض به الى غيره لا يكون الا عند تعذر الاخف
وهذا مما لا اخفاء به فان قلت ما فايدة قول الناظم من النبيين ولو اقتصر
على قوله كل معجزة لكفاه بل كان اولى ليدخل غير القران من معجزاته
صلى الله عليه وسلم قلت انما ذكره ليتضمن البيت مدحه صلى الله عليه وسلم
بانه افضل الانبياء لان دلالة النبوة هي المعجزة وكلما كانت الدلالة اشرف
كان الاتي بها اشرف فان قلت ولم قال اذ جاءت ولو قال اذ دنت لكفا
قلت فايدة قوله جاءت انه لو اقتصر على قوله ولم تدم لتوهم ان هذه القضية
سالبة وهي لا يستدعي وجود الموضوع من باب نفي الصفة والمراد نفي الموصوف
نحو قوله على لاحب لا يهتدي بمناره اي لا منار له فيهتدى به فيتوهم هنا
اي لم تجئ فلم تدم لان عدم دوامها اما لانها ما جاءت ولم تدم او لعدم مجيئها
بالكلية وعلى هذا التقدير الثاني لا يكون في كلامه مدح فرفع هذا التوهم
بقوله جاءت فليس قوله من النبيين وقوله جاءت من الحشو للوزن كما ظن
بعضهم وقوله محكمات البيت الظاهر ان هذا الوصف راجع الى الالفاظ
والظاهر في معناها من المعاني المتقدمة في الغريب ان تكون بمعنى متقنات النظم
في غاية البلاغة ونهاية الوصف مما لا يقدر البشر على الاتيان بمثله فدل
انها من عند الله قال تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا
بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين
ومن اجل ما فيها من الدلالة الواضحة على انها من عند الله قال الناظم
فما يبقين اي تلك الايات المحكمات من شبه اي من التباس لصاحب شقاق
وهو الكافر لان الشقاق للدين اذ هو في شق والاسلام في شق واذا كانت
لا تبقي شبهة لذي شقاق فاحرى بها ان لا تبقيها للمسالم فلا يشك في انها
من عند الله بل يعلم كونها منه قطعا فيسلم عند ذلك ان لم يعاند وان كان

قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة
وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله فان قلت قوله فما يبقين من شبه
لذي شقاق يرد تفسيره بالواضح لان ذا الشقاق قد اتبع المتشابه فيبقى له
الشبهة قلت ان كان المراد بذي الشقاق الكافر الذي يعتقد انه من عند غير الله
فهذا لا يتمسك منه بواضح ولا متشابه لاعتقاده بطلان جميعه لكن لو
نظر فيه حق النظر لم يبق له شبهة في انه من عند الله وان كان المراد بذي الشقاق
من له مشاقة بوجه ما فيشمل الكافر والمبتدع فالمبتدع ايضا لو تأمل حق
التامل لما بقيت له شبهة وان كان قاصرا عن التامل فحقه الرجوع الى
اولي العلم الذين يعلمون تأويله فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ولو
ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم
وقد لا يبقى لهذا الزائغ فيه شبهة بل يموه على خصمه بالايات المتشابهات
مع اعتقاده انها على خلاف ما موه به وبالجملة فالمبتدع لم يبق عنده شبهة
في كون القرآن من عند الله واما قوله ولا يبغين من حكم فان فسرنا محكمات
بحاكمات فالمعنى ان الحكم ما حكمن به ولا يطلبن حكما آخر غيرها يكون الفصل
وقيل لما كانت المعجزات كالشهود للنبي والدعوى يحتاج الى الحكم في قبول الشهادة
اشار الى ان شهادة هذه الايات بثبوت النبوة لا يحتاج الى حكم لقوة ظهور
صدقها كما لو شهد المدعي بصحة دعواه عدد التواتر لحصل القطع بصدقهم ولم
يحتج بينة الى حكم يقبلها ولذا لا يطلب الحاكم في مثل هذا العدد من الشهود
تزكية قلت انما يتم هذا لو كان بعض انواع الشهادة يثبت به الحكم من دون
نظر الحاكم وذلك لا يوجد اذ لا يتم الحكم بشهادة دون تنفيذ الحاكم
ويحتمل ان يكون يبغين من البغي الذي هو الجور ومن حكم تمييز اي ولا يجرن
حاكمات وان فسرنا محكمات بواحد من المعاني المتقدمة غير الحكم فالمعنى
ولا يطلبن في الدلالة على كونهن من عند الله حكما زايدا على ذاتهن كقوله
تعالى ويتلوه شاهد منه ان قيل ان الضمير للقرآن واما رواية مما يلقين
من حكم فجارية مع ساير التفاسير في محكمات فان قلت لاي شيء قال من شبه

معنى محكمات ذوات حكم فهن ايضا لا يبقين شبها لذي شقاق انهن من
عند الله لان تلك المعاني والفوايد التي تضمن لا يمكن ان تكون في كلام
البشر ولذا كان يسلم كثيرا من الكفار بمجرد سماع ما يتضمن المعاني الكثيرة
من بعض ايات القرآن في الفاظ قليلة كما كان يسلم الكثير ايضا لما يدرك
من فصاحة الالفاظ وهذا الوجه يرجع بالاحكام الى افادة المعاني والاول
يرجع به الى فصاحة الالفاظ واما ان قلنا ان محكمات بمعنى حاكمات لما فيهن
من الشواهد الدالة على انها من عند الله فسببه يرجع الى كل من الامرين المتقدمين
ويعني انها لما كانت كلام الله كان الحكم بما ورد فيها لان حكم الله وكذا ورد
في الحديث في وصف القرآن العظيم من حكم به عدل ومن ابتغى الهدى في غيره
اضله الله وقوله فما يبقين من شبه اي ما يبقين في حكمهن لظهور عدله
من شبه لمن يشاقق ويخالف وان قلنا ممنوعات من التبديل والتغيير لما ضمن الله
من حفظها فذلك ايضا اية دالة على انها من عنده اذ لو ادعى احد في حرف
من القرآن مما ثبت تواترا انه منه كونه ليس منه لرد عليه اهل المشارق والمغارب
وحكم بتكفيره وكذا ان ادعى فيما ليس منه كذلك انه منه ويمكن ان يكون محكمات
من المحكم الذي هو الواضح المعنى مقابل المتشابه اي الذي لم يتضح معناه اما لكون
اللفظ مشتركا او لكونه مجملا او لابهامه نسبها نحو والسماء بنيناها بايد فان
قلت لا يصح حمله على هذا المعنى لان ذلك من المنقول بالهمزة وهذا بالتضعيف
ولئن سلمنا تعاقبهما على بعض المذاهب كما اشير اليه في الغريب لكن ليس ايات
القرآن كلها واضح المعنى لقوله تعالى منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر
متشابهات قلت اختلف العلماء هل يعلم متشابه القرآن وهو المختار ويقفون
على قوله تعالى والراسخون في العلم او لا يعلم ويقفون على قوله الا الله والمختار
المحققين المذهب الاول ولعل الناظم منهم فايات الكتاب كلها واضحة المعنى
الا ان بعضه ليس واضحا لكل احد ولا يشترط الوضوح لكل احد والا
لكان المحكم غير محكم بالنسبة الى الاعمى فان قلت قد اخبر الله تعالى ان منه
المحكم والمتشابه قلت المتشابهين منه باعتبار الملحدين في ايات الله و لذا

ذكر

فنفي الجمع ولو قال من شبهة بنفي الواحد لكان اولى لما تقرر في اصول الفقه وفي
النحو وعلم البيان ان عموم المفرد اشمل فانه اذا نفي الواحد انتفى الجنس كله
جمعه وواحده بخلاف نفي الجمع فانه لا يستلزم نفي الواحد فحكمه بانه من
لا يبقين شبها لا ينفي ان يبقين شبهة واحدة قلت اتى بالجمع تنبيها على ان
طرق الباطل شتا شتا من انواع الشبه المعدودة وانها دافعة لجميعها على
اختلاف انواعها وما من احد تعرض له شبهة الا ويجد شفاءها منها في القران
فانه الشفاء من كل داء والنجاة عند تفرق الاهواء نفعنا الله بيمنه وقوله
ما حوربت البيت الاولى عندي في معنى هذا البيت انه صلى الله عليه وسلم
ما جاء به احد في وقت من الاوقات في معنى النبوة وخاصمه فيها مجادلا لها
ثم جاء به النبي صلى الله عليه وسلم بالقران الا كان الغلب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فعاد اعدى الاعادي اليه الذي قصد محاربته من اجل قيام الحجة عليه
بالقران ملقي السلم اي ملقي السلاح وسلم للنبي صلى الله عليه وسلم اما بدخوله
في الاسلام واما بترك المحاربة والتمادي على الكفر كما اتفق لنصارى نجران فانهم
لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحاجوه في امر عيسى عليه السلام
فحاجهم صلى الله عليه وسلم بمقتضى قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله الاية
انقطعوا عن الاحتجاج الا انهم تعسوا ولم يطيعوا التسليم فلما امر الله نبيه
صلى الله عليه وسلم بدعائهم ان لم يسلموا الى المباهلة كما قال فقل تعالوا
ندع ابناءنا وابناءكم الاية فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى ذلك فنكصوا وسلموا واذعنوا وكذا اليهود حين سالوه صلى الله عليه وسلم
على المسائل التي منها الروح ونزل في ذلك ما نزل من القران سلموا الا انهم
تركوا الجدال واستمروا على كفرهم ومن المحاجين من هداه الله فاسلم بعد التغلب
ولا يحصى عددهم ومنهم عبد الله بن سلام رضي الله عنه ومعنى من حرب
اي ان قيام الحجة عليه سلب نجدته التي هي كسلب آله بل اقوى
فان في المال القوة على الاعداء وذلك في الحجة اظهر فهو يخاف على نجدته ان تذهب
فيفتضح كما يخاف على ماله فهو اذا احس بالحرب القى السلم لئلا يفتضح فمن حرب

اي من خوفه وروي ان اعرابيا اتاه صلى الله عليه وسلم فقال له يا محمد هل انزل عليك
مثل ما قلت فقال وما قلت فانشد وحي ذوي الاضغان تحي نفوسهم
تحيتك الحسنى فقد يرقع النغل وان دهنوا بالقول فاعف تكرما وان خنسوا
عنك الكلام فلا تسل فان الذي يوذيك منه استماعه كان الذي
قالوا وراءك لم يقل فتلا عليه صلى الله عليه وسلم ولا تستوي الحسنة
ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي
حميم فتشهد الاعرابي واسلم وجاهدهم به جهادا كبيرا فقوله حوربت
على هذا المعنى اي حورب بالاي بها فاسند المحاربة الى ما به المحاربة مجازا ويحتمل
ان يكون المعنى ما عارض احد هذه الايات وقصد ان ياتي بمثلها في ظنه الا تم
من سلب قدرته على الكلام وان كان اعدى الاعادي اليها ملقي السلم
وقولنا من سلب قدرته على الكلام يتمشى على مذهب القائلين بالصرفة وذلك
ان العلماء اختلفوا في وجه عجز البشر عن الاتيان بمثل القران وان كان من حروف
من جنس الحروف التي ينطقون بها والى ذلك الاشارة عند المحققين بمثل الم
الر المص اي ان هذا القران مؤلف من مثل هذه الحروف التي تالف منها كلامكم
فاتوا بمثله والا فاعلموا انه من عند الله فقيل ان الاتيان به من جنس مقدورهم
الا ان الله تعالى صرفهم عن الاتيان بمثله معجزة لنبيه صلى الله عليه وسلم ويعبر
عن هذا المذهب بمذهب اهل الصرفة وقيل ان الاتيان بمثله ليس من جنس
مقدورهم ولا يدخل تحته لكن لما كان الاتي به بشرا مثلهم قامت الحجة
عليهم في دعوى الرسالة وانه من عند الله والقول الاول ادخل في الاعجاز لان
عجزهم عما هو من مقدورهم ادخل في قيام الحجة مما ليس من جنس مقدورهم فان
قلت لا يصح حمل البيت على هذا الاخير والا كان البيت بعده تكرارا قلت هو كذلك
الا ان يجعل قوله ردت بلاغتها تفسيرا لما تضمنه هذا البيت على هذا الوجه
من كون محاربها عاد مسلوبا ويحتمل ان يكون بمعنى من حرب اي ما عارض احد
ايات الله بالطعن فيها الا كفى الله مؤنته فرجع من غضب الله عليه وان كان
من اعدى الاعادي ملقي السلم تاركا للحرب اما مع الاسلام والتوبة عما فارق

لما راى من الانتقام واما مع الذل والصغار والاستسلام ومما يناسب المعنى
الاول ما جاء عن عتبة بن ربيعة انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء
من خلاف قومه فتلا عليه حم فصلت الى مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة
بيده على فم النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف وفي رواية فجعل النبي
صلى الله عليه وسلم يقرء وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى انتهى
الى السجدة فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري ما يراجعه
ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد
كلمني بكلام والله ما سمعت اذناي بمثله قط فما دريت ما اقول له ومنه
ايضا حكاية الوليد بن المغيرة حتى سمع القرآن فرق فانكر عليه ابو جهل فقال
والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا
وكذا ما ثبت عنه ايضا حين اجتمع راي قريش على وصف النبي صلى الله عليه وسلم
بشيء يتفقون عليه فقالوا يقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمة
ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا خنقه ولا وسوسته قالوا فنقول
شاعر قالوا ما هو بشاعر قد عرفت الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه
ومقبوضه ومبسوطه قالوا ساحر قالوا ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده
ثم قال اقرب ما انتم قائلون انه سحر لانه يفرق بين المرء وابنه واخيه وزوجه
فنزل في الوليد قوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا الآيات ومما يناسب المعنى
الثاني انه ايضا اعني الوليد اعتزل عن الناس ايا ما يحاول ان يصنع شيئا يعارض
به القرآن وكان من افصح اهل زمانه واعرفهم بالامور فلم يقض شيئا فرجع خاسئا
ملقى السلم وحكى ان ابن المقفع رام ذلك وشرع فيه فمر بصبي يقرء وقيل
يا ارض ابلعي ماءك فرجع ومحا ما عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض وما هو من كلام
البشر وكان افصح اهل وقته وحكي ان يحيى بن حكيم الغزال بليغ الاندلس في
زمانه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج
بزعمه على منوالها فاعترته خشية ورقة حملته على التوبة والانابة قال بعضهم
ان قيل الذي يليق بهذا المقام لكونه في مدح الآيات ان يقول عاد افصح الفصحاء

ملقى

ملقى السلم اما عجزا للاعداء فلا يستلزم مدحها لجواز ان لا يكون اولئك الاعداء
فصحاء فقيل الاعداء ان كانوا فصحاء فواضح والا فالعداوة تبعثهم على مشاركة الفصحاء
من الكفار والاستعانة بهم انتهى قلت بل قوله ما حوربت يقتضي ان عدوها
لا يكون الا فصيحا اذ لا يعاديها من ليس بفصيح وانما يعادي الآتي بها واياه يحارب
وهو لم يسند المحاربة والعداوة الا اليها وبهذا يندفع ايضا ما اورد من ان
هناك من لم يلق السلم حتى مات كما قرا في بدر وغيرها فان هذا انما عاند
الآتي ذكروا الدين واما الذي القى السلم من حاربها وتعرض للاتيان
بمثلها وهذا عام لا تخصيص فيه واجاب هو بان قال يحمل هذا على العموم
على الخصوص ويقرب ما اجاب به المعاني في قوله دعى للخطاب العام
واتيانه بالمفعول معه تنبيه على انه لا يريد ان يفارق تلك الحالة واضافة
الوصف للاختصاص وتنكير آيات للتكثير والتعظيم والنوعية واكد
قوله ظهرت بانواع من التاكيد باضافة ظهور الى نار وباضافة النار
الى القرى وبوصف هذه النار بكونها بالبلد وبكونها على علم اما الاول فلان
النار من اظهر الاشياء في حس الرؤية والاحساس واما اضافتها الى القرى
فلما تقدم ان شان الكرام تكثيرها ليهتدي الناس بها الى منازلهم وخفي
ذلك على بعضهم فقال لا وجه لاضافة النار الى القرى في افادة التنهي
الآن يريد ان الاضياف الذين اعدت لهم هذه النار لم يصلوا بعد الى
المنزل واظلم عليهم الليل فهم يهتدون بها فلا يبعد ان يكون ظهورها
لهم اقوى منهم لغيرهم لشدة صرفهم ابصارهم وقلوبهم اليها وان لم يرد
هذا فلا وجه له الا اقامة الوزن انتهى ولا يخفى ضعفه واما وصفها
بانها في ليل فذلك اظهر للنار لظلمة الليل واما كونها على علم
فلان رؤية المنزل المرتفع اعم من رؤية المنخفض وهو ظاهر ومن هنا
كان البيت مشتملا على نوع من الاطناب يسمى الايغال واختلف فيه
فقيل يختص بالشعر وهو ختم البيت بما يفيد نكتة يفيد المعنى بدونها
كزيادة المبالغة في قول الخنساء وان صخرا لتاتم الهداة به

كانه علم في رأسه نار فقولها علم كاف وما بعده زيادة مبالغة
وتحقيق التشبيه في قول امرئ القيس كان عيون الوحش حول خبائنا
وارحلنا الجزع الذي لم يثقب فقوله الجزع كاف وما بعده تحقيق
للتشبيه وقيل لا يختص بالنظم ومنه اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسئلكم
اجرا وهم مهتدون فهم مهتدون زيادة حث في اتباعهم والا
فمن لوازم الرسل الاهتداء وهو هنا من الثاني لان ظهور نار القرى كاف
في التشبيه فقوله على علم يفيد تحقيق التشبيه لزيادة الظهور ويحتمل
ان يكون من الاول واضافة كل من الظهور ونار للاختصاص وال في القرى
للعهد اى قرى الكرام او للجنس اذ لا يقرى الضيف الا الكرام وتنكير ليلا
وعلم للتعظيم او النوعية اى ليلا حالك الظلمة وعلم شامخ وال في الدر
للجنس وتنكير حسنا ومنتظم للنوعية وتقديم المسند اليه هو الدر
مع كونه الاصل للاهتمام بذكره وافادة تقوي الحكم بالاسناد اليه والى ضميره
وتنكير قدر للتقليل اي ولو قل وتقدم في التفسير ان كلا سطري هذا
البيت من التكميل اذ فيها احتراس على رأي بعضهم والسطر الثاني منه عند
الجميع وتقدم ان الاستفهام في قوله فما نطاول ان جعلت ما استفهامية
للاستبعاد ويحتمل ان يكون للتجهيل او التعجيز عن الجواب او الاستهزاء
وجمع امال المديح لاختلاف انواعه وتباين اغراض الناس وطرقهم فيه
كانت ال في المديح للجنس ووحد هو وان تعدد بتعدد انواعه تنبيها
على ان تلك الانواع وان كانت تفوت الحصر فجميع ما اتى الناس به
منها قايم مقام الواحد اذ لا نسبة لجميعها لما يستحق لولا العناية البيت
وليس افراده لاقامة الوزن كما ظن وعبر بالموصول في قوله ما فيه
من التعظيم وابهامه ثم تفسيره بقوله من كرم اطناب فان قلت كرم
الشيم هي كرم الاخلاق او اعم منها فلم ذكرها قلت قد يكون كرم الاخلاق
عن استعمال فرفع ذلك الايهام بقوله والشيم فهو شبه احتراس
اى ان كرم اخلاقه من كرم الطباع لا انها بالاستعمال ولم يستغن

بالثاني لان الطابع لا تظهر للوجود وانما يظهر اثارها واضافة ايات
الى الحق للتشريف او الاختصاص وتنكير حق ومحدثة وقديمة للنوعية
واضافة صفة للتعظيم وتنكير زمان لافادة عموم النفي وال في المعاد
للعهد وكرر عن معه وعن معاد ومع ارم لان الاول زمان والثالث
مكان والاوسط ذات فهي انواع مختلفة لا يحسن جمعها في عامل واحد
لان كلا ينفرد باخبار يخصه وجعل بعضهم تكرارها من الحشو للوزن
قال وحسنه ان مقام المدح يحسن فيه الاطناب وقطع جملة دامت
اما لانها خبر ايات او لئلا يوهم وصلها لانها عطف على تقترن فيكون منفية
ويقيدها اداة نفي واتى بالفاء في قوله ففاقت ليفيد كون ما دخلت عليه
مسببا عن دوامها وكما ان في البيت اشارة الى تفضيله صلى الله عليه وسلم
كما تقدم كذلك فيه اشارة الى تفضيل امته على ساير الامم بقوله
لدينا وتقدم فايدة قوله جاءت وتنكير محكمات للنوعية وتنكير
شبه كذلك او للتكثير او للتقليل اى وان قلت او للتعظيم اى وان عظمت
وكذا تنكير شقاق وحكم واتى بالفاء في فما يبقين تنبيها على السببية
ايضا كما ان ولا يبغين مسبب عن محكمات ايضا واما نسخة بما يلقين من
حكم فما يبغين مسبب عنه لاباءه للسببية وفي قوله ما حوربت مع
عادا اعدى الاعادي نحو تعادل فان بناء حوربت يقتضي الاختصار
لحذف الفاعل والتصريح به مع صار يقتضي الاطناب او المساواة ولان
في ذكر الفاعل ثانيا بعد الاياس منه اولا انواع لذة لانه كحصول نعمة غير
مترقبة وفايدة حذفه مع حارب تحقير شان المحارب وانه لا ينبغي ان يوجد
وانتفى ذلك ان صار ملقى السلم فصرح به ويمكن ان يكون فايدة
حذفه اولا العموم لصلاحيته لكل من يتصور منه المحاربة ويؤكد هذا
المعنى اتيانه بقط وهذا النوع من القصر قصر افراد لقطعه الشركة في الحالة
التي يصير اليها وتنكير حرب للتعظيم وتقديم من حرب على اعدى الاعادي
للعلم من اول الامر ان القاء السلم انما كان قهرا البيان التشبيه في قوله

ظهور نار الى آخره من تشبيه المفرد بالمفرد الا انه اشترط في المشبه به
ان يكون على صفات وقوله فالدر البيت هو ايضا من الاشارة الى التشبيه
وان لم يصرح به لكنه اتى به في معرض الدليل وبقرينة كما قدمنا في قوله قد
نفق الامام وانت منهم البيت وقررنا في هذا البيت في التفسير وقوله
اما الى المديح هو على بعض التفاسير من الاستعارة بالكناية بان
يشبه المديح بانسان له امال ولم يذكر هو وانما ذكرت الامال التي هي
من لوازمه واسناد التطاول اليها مجازي ولا يبعد تمشية ذلك
في كرم الاخلاق بان تشبه باشخاص بذات اشباحهم ولم يذكروا وذكر
من لوازمهم التطاول وان كان التقدير الى انا دما فيه فهو من مجاز
الحذف وقوله تخبرنا من الاسناد المجازي لان المخبر هو منزلها او تاليها وقوله
عن المعاد وما عطف عليه يحتمل الحقيقة والمجاز بحذف شيء ايضا في
كل من الانواع الثلثة يليق به وقوله محكمات مجاز على بعض الوجوه لكونها
بمعنى حاكمات وحقيقة على بعضها واما الاسناد في يبقين ويبغين فمجازي
والاسناد في حوربت مجازي البديع لفظ الوصف والايات والظهور
من مراعاة النظير وكذا لفظ النار والعلم ولفظها والعربي والليل وظهر
وظهور من تجنيس الاشتقاق وتقدير ان على علم من الايات ولفظ
الدر والحسن والنظم من مراعاة النظير وكذا لفظ النقص والعدد ويزداد
وينقص من الطباق وكذا منتظم وغير منتظم واما يزداد حسنا بكماله
مع ليس ينقص قدرا بتمامه فليسا من الطباق اذ ليسا بمتضادين بل متوافقان
فهما من مراعاة النظير وقوله حسنا وهو موازن لقوله قدرا غير وفي
البيت التسهيم وهو من الكلام الجامع ومن حسن التعليل ومن المذهب الكلامي
ولفظ ايات وحق والرحمن من مراعاة النظير بل الفاظ البيت كلها من
ذلك ومحدثة وقديمة من المطابقة ولا يبعد ان يكون في هذا البيت
والبيتين بعده الالغاز وهو لقب زاده بعضهم في القاب البديع
وهو في الاولين اشد منه في الثالث وفي قوله لم تقترن بزمان

البيت الطباق الخفي من وجهين الأول الاخبار عنها انها لم تقترن بزمان
مع انها تخبر عن امور زمانية فالاول نفي للزمان والثاني اثبات له
والوجه الثاني في قوله عن المعاد اذ المراد بها الآخرة مع قوله وعن عاد
اذ المراد حكايات القرون الاولى والاولى والاخرة ضدان ويقول
فيها اخبار الدنيا وهو المشار اليها بعاد والاخرة وهي المعاد وفي المعاد
وعاد التجنيس الشبيه بالاشتقاق وفي عاد وارم مراعاة النظير
وفي قوله دامت البيت رد الصدور على الاعجاز لان اوله دامت
وآخره لم تدم وهو ايضا من طباق السلب وقوله دامت ففي
البيت من المذهب الكلامي لذكر الدليل ونتيجته وفي البيت الطباق
الخفي لان غيرها من المعجزات مفوقة وغير دائمة وفيه التوشيح لدلالة
اوله على ما ختم به ومن ثمة كان مسهما وفي قوله محكمات البيت رد
الصدور على الاعجاز والتوشيح ومحكمات وحكم من تجنيس الاشتقاق
ولفظ محكمات والشبه من مراعاة النظير وكذا يبغين وحكم ان جعل
يبغين من البغي وان جعل محكمات من وضوح المعنى كان الجمع بينه
وبين الشبه من الطباق وقال بعضهم اتيانه بالفاء فما يبغين من
حسن التعليل المذكور في علم البديع وفي البيت الموازنة بين قوله فما
يبقين من شبه وقوله ولا يبغين من حكم ويقرب يبقين ويبغين من
تجنيس التصحيف وليس بالمباينة شكل الغين بشكل القاف وهما بالتحقيق
من التجنيس اللاحق نحو بما كنتم تفرحون وبما كنتم تمرحون والتجانس في
يبقين ويلقين على تلك الرواية وفي نفي الالقاء عن الشبه
والبغي عن الحكم نوع من التقسيم تقدم غيره ولا يبعد ان يكون البيت
من المذهب الكلامي وحوربت وحرب من التجنيس الشبيه بالاشتقاق
وكذا عادى واعدى وقوله اعدى الاعادي وملقى السلم من الطباق
ولا يبعد ان يكون السلم من التسهيم دعني فعل امر
ومفعول وفاعله ضمير المخاطب ووصفي معطوف على الياء او مفعول معه

وعامله على الوجهين دعني والياء المضاف اليها وصف هي فاعله واياد
مفعوله وله صفة لايات او متعلق بظهرت وظهورا مصدر مشبه به
والعامل فيه ظهرت والاصل ظهورا مثل ظهور فحذف الموصوف واقيم
صفته التي هي مثل مقامه ثم حذف واقيم المضاف اليه مقامه وليلا
ظرف زمان وعامله ظهور وعلى علم متعلق به ايضا لا بظهرت وما تعلق
بها صفة لايات او مستانفة كما تقدم والدر مبتدأ وخبره جملة يزداد
وحسنا مفعول به او تمييز منقول من الفاعل والاصل يزداد حسنه
فاتصل الضمير بالفعل فصار فاعلا وانتصب الحسن على التمييز لابهام المميز
وهو مبتداء منتظم خبره والجملة حال من فاعل يزداد واسم ليس
ضمير الدر وكذا فاعل ينقص الذي هو خبرها ويحتمل كون ليس شانية
وفاعل ينقص ضمير الدر الدر عاطفة بجملة الخبر على جملة الانشاء والفاء
الداخلة على وهذه الجملة هي المفسرة لضمير الشان وهو خبر ليس ايضا
وقدرا مفعول او تمييز منقول من الفاعل اي قدره وجملة ليس في موضع
رفع عطفا على يزداد وغير منتظم حال من فاعل ينقص والفاء الداخلة
على ما عاطفة خبرا على مثله ان كانت ما نافية او انشاء على خبر ان كانت
استفهامية وعلى النفي فطاول مصدر مرفوع خبر الاستفهامية
فانه مبتداء واما المخفوض بالاضافة ومحله الرفع على الفاعلية بتطاول
والى متعلق بتطاول وما موصولة صلتها فيه ومن كرم متعلق بالصلة
ومن للبيان او للتبعيض واياته حق اما بنصب ايات على البدل من ايات في
البيت الاول كما تقدم او برفعها اما على البدل ايضا على القطع عند من اجازه
اي هي ايات او مبتداء محذوف الخبر اي من تلك الايات او من اياته ايات حق
ومحدثة وقديمة بالنصب والرفع على التبعية لايات حق وان جعلته
مبتداء فمحدثة خبرها وتقدم ان قديمة خبر مبتداء محذوف اي مدلولها
وفي هذا الاعراب قلق اذ ليس المقصود الاخبار عنها انها من اياته صلى الله
عليه وسلم فالاولى واحد من الوجوه المتقدمة واما صفة الموصوف

فاما

فانما يكون خبرا كما تقدم قبل او بنصب او برفع بدل من ايات حق ولا يصح
فيه الصفة لكونه مضافا الى المعرفة وايات نكرة وبالقدم متعلق بالموصوف
وجملة لم تقترن تقدم انها خبر وقيل انها مستانفة ولا يصح كونها
نعتا لايات بعد البدل ولا الحال ايضا لذلك لان المبدل منه
مطروح في المعنى فتامله وبزمان يتعلق بتقترن والباء للالصاق او بمعنى
مع وهي تخبرنا مبتداء وخبر ويحتمل الحال من فاعل تقترن ويحتمل الاستيناف
واخبر اذا لم يكن بمعنى علم يتعدى الى مفعولين الثاني بحرف الجر وعن المعاد
وما عطف عليه يتعلق بتخبرنا وعن للمجاورة وجملة دامت اما خبر لايات
حق واما مستانفة ولدينا ظرف وخص به معمول لدامت فقدم
عطف على دامت وكل مفعول فاقت ومن النبيين صفة للمعجزة واذ جاءت
الظاهر في اذ هنا انها حرف تعليل كالتي في قوله تعالى ولن ينفعكم اليوم
اذ ظلمتم في قول وعليه فلا تحتاج الى عامل ولو كانت ظرفا لاحتاجت اليه
ولا يوجد الا تدامت وفاقت لا يصلح لذلك لفساد المعنى يظهر بالتامل نعم يصح
على تكلف تعلقه بمتعلق من النبيين وقيل انها ظرف وعامله جاءت معجزات
النبيين عليهم السلام وقد انقطعت وفاقت من صفة ما هو باق الى وقتنا
فلا يعمل الا بمنزلة اعمال فعل الحال في الظرف الماضي وهو محال واجاب
بانه ولم يتعذر برفع الحال لانه ان عطف على جاءت فالاضافة لهما معا
ولا شك ان من عدم دوامها موجود الان وان جعل حالا فلذلك لانه
قيد في مجيئها انتهى وظاهره ببادي الرأي تحقيق حسن وجملة جاءت
على حرفيه اذ لا محل لها وعلى اسميتها في محل خفض باضافتها اليها وجملة
لم تدم الظاهر انها حال من فاعل جاءت وفيه نظر اذ هي شبيهة بالحال
المستقبلة فان عدم دوامها لم يكن حال مجيئها بل بعد ذلك الا ان يقال هي
كذلك حكما اذ لا بد من انقضائها فان قلت لا معنى لدوام القرآن لانه
يبلى في الدار الاخرة قلت ومن يسلوه حال البرزخ ثم في كونه اية في
الدار الاخرة نظر واما ان عطف لم تدم على جاءت فيكون المعنى انها فاقتها

حين لم يتقدم او حين جاءت بقيد عدم الدوام وذلك لا يستلزم ان تكون
فايقة لها حالة الوجود على ان مثل هذا البحث يجري مع القول بالحرفية
والتعليل ومحكمات اما خبر آخر لايات حق واما المحذوف اي هي محكمات
وعلى الاول ان كانت جملة دامت مستانفة فهي اعتراضية وقد تعم
يتبرج الثاني اذ لا يصح جعله نعتا لايات حق كالكلمات قبله لان صفة
الموصوف معرفة فهو بين لامنه ويضعف نعت النكرة بالنكرة بعد ابدال
المعرفة من المنعوت فما الفاء عاطفة لافادة سببية ما قبلها فيما بعدها
وما نافية ويبقين فعل مضارع وفاعل هو النون الذي هو ضمير الايات
ومن شبه مفعول بيبقين ومن زايدة لاستغراق النون ولذى شقاق
يتعلق بيبقين او هو صفة لشبه ولا نافية ويبغين من حكم اعرابه كاعراب
يبقين من شبه وما نافية وحوربت فعل ماض مبني للمفعول وهو ضمير الايات
والتاء علامة تانيثه واصل حوربت حاربت فلما ضمت الحاء للبناء ابدلت
الالف واوا وقط ظرف زمان عامله حوربت لا ايجاب بعد النفي وجملة عادت
نصب على الحال لان الاستثناء مفرغ والتفريغ في الحال كقوله الاونك ومن
حرب متعلق بعاد واعدى فاعل عاد والاعادي مضاف اليه والباء متعلق
باعدى والجارة بعد افعل التفضيل وفعل التعجب داخلة على الفاعل كما
ان اللام بعدها جارة للمفعول وفي حروف الجر بعدها تفصيل طويل
محله علم النحو وملقى السلم خبر عاد لانها من اخوات كان وهذا اولى من
اعرابه حالا والاعتذار بان اضافته غير محضة لا تعرف لان الاصل في اسم
الفاعل تنوينه والنصب به ونزع تنوينه واضافته تخفيف وجملة ما تحوج
اما مستانفة او خبر آخر لايات حق الاعراب اذا كانت اياته صلى الله
عليه وسلم ظاهرة الظهور المذكور في الدلالة على نبوته فكذلك ايات الله
سبحانه وتعالى الدالة على الوهيته ووحدانيته في ذاته وافعاله وصفاته
سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق
فيا عجبا كيف يعصى الاله ام كيف يجحده الجاحد وفي كل شيء له اية تدل

علی

على انه واحد بل انما ايات رسول الله صلى الله عليه وسلم وايات جميع الانبياء
عليهم السلام من ايات الله تعالى وكما ان اياته صلى الله عليه وسلم لا ينقص
قدرها ان لم ينطق بها ناطق فكذلك دلالة ايات الله تعالى على كماله المطلق
ولولا ما يحصل للناظر في ذلك من امتثال الامر ولظهار العناية منه بعباده
خالقه لكان الامر في التفكر في ايات الله والنظر فيها وترك ذلك على حد السواء
فان الامر فيها ظاهر ولو نكب عن ذلك الجاحد ما ضر شمس الضحى والشمس طالعة
ان لا يكون رأى من ليس ذا بصر نعم بل لا محيص لكل حد جاحد او غيره
بالاقرار بالربوبية بل ومن الجماد وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن
لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا ولئن سالتهم من خلقهم
ليقولن الله ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم
بالغدو والاصال وبلا شك ان الاقرار بمقتضى ما دلت عليه الايات
اولى من جحده فالايات ذات تزيد حسنا بالتعرض لذكرها واشادة امرها ولا
تنقص قدرا ان لم تكن كذلك كحال الدر وكذا يحسن بكثير الفكر بايات الله
الدايم لذكر الاية ان قيل له ما فايدة تعرضك لذلك وايات الله
اظهر من نار القرى على علم ان يقول دعني ووصفي الى آخر البيتين
وان من حصل له رتبة الفكر والذكر جدير بان يمدح حتى يقال فيه
فما تطاول امال المديح البيت بالاعتبارين فيما وكان ذلك
لان عبادتي الفكر والذكر من اجل العبادات وقد حض الله سبحانه وتعالى
على التفكر في اياته في غيرما آية فقال اولم يتفكروا في ملكوت السموات
والارض ومدح المتفكرين الذاكرين فقال الذين يذكرون الله قياما وقعودا
وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض الايات والفكرة في
امر الله تعالى مفتاح العبادة وسئلت ام الدرداء اي عبادة ابي الدرداء
افضل قالت التفكر والاعتبار وقال محمد بن كعب القرظي لان اقرأ
في ليلتي باذا زلزلت حتى اصبح والقارعة لا ازيد عليهما اتردد فيهما و
اتفكر احب الي من ان اهذ القران هذا وقال سورة البقرة وعن ابن عباس

رضي الله عنهما ركعتان مقتصدتان في تفكر احب الي من قيام ليلة والقلب
ساه واما ذكر الله تعالى فهو من حمده وعن سعيد بن جبير اول من يدعى
الى الجنة الذين يحمدون الله في السراء والضراء او قال على كل حال
وتقدم بعض القول في فضل الذكر ومنه عن ثابت جاء رجل الى الحلقة
فقال الا تحدثوني عن شيء اسئلكم عنه اتيت على رجل اعتق اربعة
محررين فراه رجل فقال يا رب ليس عندي ما اعتق ولكن سبحان الله والحمد لله
والله اكبر فاي العاملين افضل مما ترون فما عملوا وما مثلوا ان قالوا الذي قال
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر افضل مما صنع ذلك
الرجل ذكره ابن المبارك في رقايقه في باب الاجتهاد في الخشوع والعمل
واما قوله ايات حق الى قوله وتنكر الفم طعم الماء من سقم من الابيات التي
لم تتقدم شرحها بعد فاشارة الى مرتبة فضيلة قران العظيم وان المعنى
وان من اجل ايات التي تتفكر فيها وينظر فيها بعين البصيرة ويداوم العبد
على ذكرها وتلاوتها ليله ونهاره ايات القران التي هي ايات حق من الرحمن
وخص الوصف العظيم لان في انزال القران على العباد الرحمة الكاملة
والنعمة الشاملة الم تلك ايات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين
وقد قدمنا ان ابليس لعنه الله تعالى رنّ عند نزول الفاتحة وكيف لا يرنّ
ورب العزة الكبير المتعال جل جلاله يقول في كتابه ثم اورثنا الكتاب
الذين اصطفينا من عبادنا الايات والضمير الفاعل في يدخلونها عايد على
الثلثة ان شاء الله تعالى بفضله وكرمه وقال تعالى واذا قرأت القران
جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا وقال
احمد بن حنبل رأيت ربي فقلت يا رب ما افضل ما يتقرب اليك به المتقربون
فقال سبحانه وتعالى يا احمد بكتابي قلت يا رب بفهم او بغير فهم فقال يا احمد
بفهم وبغير فهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما يمنع احدكم اذا رجع
من سوقه او من حاجته الى اهله ان يقرأ القران فيكون له بكل حرف عشر حسنات
وعن عبد الله رضي الله عنه اقرؤا القران فانكم توجرون عليه بكل حرف عشر حسنات

امان

اما اني لا اقول الم ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف وكان انس رضي الله عنه
اذا ختم القران جمع اهله وفضايل القران اكثر من ان تحصى وناهيك انه كلام
قديم صفة الموصوف بالقدم وفيه علم الاولين والاخرين فلم يعترض مدلوله
القديم زمان وهو يخبرهم من علم الاولين عن عاد وعن ارم وعن علم الاخرين
عن منتهاه وهو المعاد ومن ذلك اخباره عن دوامه لدينا محفوظا من التبديل
والتغيير وهو اعظم دلالة على انه من عند الله ولو كان من عند غير الله لوجد
الخلف في جزء فما اعظمها اية وابهرها معجزة في الدلالة على صحة
نبوة الاتي بها وصدقه صلى الله عليه وسلم واما احمها من اجل ذلك
ان تفوق كل معجزة جاءت ولم تدم فاخبارها عن هذه الغيوب من وجه
اعجازها وتحكيمها حتى لا يبقى شبهة لذي شقاق ولا يبتغي حكم من غيرها
ووجه آخر هو لها من ذاتها وعود محاربها مسلوبا بحجة ملقى السلم
وجه ثالث اللهم انفعنا بالايات البينات والذكر الحكيم وانفعنا بما
علمتنا منه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم
اللهم اجعله لنا حجة ولا تجعله حجة علينا واجعلنا من اقسام اهله
الثلثة من السابقين بالخيرات باذنك وانجح طلبتنا فانه
لا يتعاظمك شيء وانت الفعال لما تريد اصل

ردت بلاغتها دعوى معارضها ... رد الغيور يد الجاني عن الحرم
لها معان كموج البحر في مدد ... وفوق جوهره في الحسن والقيم
فما تعد ولا تحصى عجايبها ... ولا تسام على الاكثار بالسأم
قرت بها عين قاريها فقلت له ... لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم
ان تتلها خيفة من حر نار لظى ... اطفأت حر لظى من وردها الشبم
كانها الحوض تبيض الوجوه به ... من العصاة وقد جاؤه كالحمم
وكالصراط وكالميزان معدلة ... فالقسط من غيرها في الناس لم يقم
لا تعجبن لحسود راح ينكرها ... تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم
قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

الغريب وقد تقدم البلاغة مصدر قولك بلغ بالضم يبلغ وقال الجوهري
البلاغة الفصاحة وبلغ الرجل بالضم صار بليغا انتهى واما عند علماء المعاني
فالبلاغة اخص من الفصاحة قال بعض محققيهم والمراد ما يصلح
لتعريفهما لكن الفرق بينهما ان الفصاحة توصف بها المفرد والكلام والمتكلم
والبلاغة يوصف بها الاخيران فقط فيقال كلمة فصيحة ولا يقال بليغة
مفردا اما فصاحة المفرد فخلوصه من تنافر الحروف احترازا من نحو مستشزر
ات تقع لتنافر حروفه ومن الغرابة احترازا من كون الكلمة لا يعرف معناها
الا بعد البحث الكثير عليه في كتب اللغة ومن مخالفة القياس احترازا من نحو
الاجلل فان قياس اللغة الادغام وزاد بعضهم ان لا يكون الكلمة مستكره
في السمع نحو الجرشي اي النفس ولم يرتض بعضهم هذه الزيادة واما فصاحة
الكلام فخلوصه من ضعف التأليف احترازا من نحو ان يتصل بالفاعل ضمير يعود
على المفعول المتأخر وما كان مثله مما لا يجوز في العربية الا بتعسف
ومن التنافر بان يعسر النطق بكلماته لعسرها على اللسان ومن التعقيد بان
يكون غير ظاهر الدلالة على المراد منه وذلك اما التعقيد في اللفظ او المعنى
وزاد بعضهم خلوصه من كثرة التكرار وتتابع الاضافات ورده بعضهم
ايضا واما فصاحة المتكلم فملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح
فقيل ملكة ليدل على انه لا يكون فصيحا حتى تكون تلك الصفة راسخة
فيه وقيل يقتدر دون يعبر ليشمل حالتي النطق وعدمه وقيل بلفظ ليعم
المفرد والمركب واما بلاغة الكلام فمطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته
ومقتضى الحال ان يعبر بالتنكير في محله وبالتعريف في محله وما اشبه ذلك
وبالجملة ان يطابق الغرض المقصود وارتفاع الكلام انما يكون بهذه المطابقة
وانحطاطه انما يكون بعدمها واما بلاغة المتكلم فملكة يقتدر بها على
تأليف كلام بليغ فعلم بهذا ان كل بليغ كلاما كان او متكلما فصيح وليس
كل فصيح بليغا لان المفرد فصيح لا بليغ وتمام مباحث هذا البند في علم المعاني
ومعارضها اتيتم فاعل من عارضته بمثل ما قال او صنع اي اتيت اليه بمثل

ما اتى وعارضته في المسير اي سرت حياله وعارضت كتابي بكتابه قابلته
وعارضت اخذت في عروض وناحية والمادة عريضة كثيرة والغيور
للمذكر والمؤنث وفيه مبالغة من الغيرة بالفتح مصدر غار الرجل على اهله
يغار غيرا وغيرة وغارا ورجل غيور وغيران وجمع غيور غير بضم الغين
والياء وجمع غيران غيارى وغيارى ورجل مغيار وقوم مغايير وامرأة
غيور ونسوة غير وامرأة غيرى ونسوة غيارى اليد اصلها يدي
بسكون العين بجمعه على ايد ويدي كفلس وافلس وفلوس واما جمع الجمع
وحذف ياء المنقوص مع الالف واللام في نحو الايدي والمهتدي لغة
وتصغيرها على يدية بالتشديد لاجتماع اليائين وبعض العرب يقصر
اليد ويحتمل اليد هنا الجارحة القوة وايد اي قواه وما له بفلان
يدان اي طاقة والسماء بنيناها بايد وقوله تعالى عن يد وهم
صاغرون اي ذلة واستسلام ولليد معان كثيرة منعنا من استيفائها
ما شرطنا من ان لا نذكر من معنى الكلمة الا ما يناسب المحل وجنى عليه جناية
فهو الجاني فعل به مكروها والتجني مثل التجرم ان يدعي عليك ذنبا لم تفعله
وفي المثل اجناؤها ابناؤها اي الذين جنوا هذه الدار بالهدم هم الذين
كانوا بنوها حكاه ابو عبيد قال الجوهري وانما اظن اصل المثل
جناتها بناتها لان فاعلا لا يجمع على افعال واشهاد واصحاب جمع شهد
وصحب الا ان يكون هذا من شواذ الامثال وحرمة الرجل حرمه واهله وجمعها
حرم والحرمة ما لا يحل انتهاكه وكذلك المحرمة بفتح الراء وضمها وقد تحرم
بصحبته ماج البحر يموج موجا اضطربت امواجه وكذلك الناس يموجون
والمدد الزيادة وامددت الجيش بمدد والاستمداد طلب المدد ابو زيد
مددنا القوم صرنا مددا لهم وامددناهم بغيرنا وامددناهم بفاكهة
وامد الجرح صارت فيه مدة والعرفج جرى الماء في عوده والمادة الزيادة
المتصلة ومده الله في عمره ومده في غيه امهله وطول له ومد النهار ارتفع
ومد البصر مداه ومديد القامة طويلها واطراب ممدد ممدود بالاطناب

شدد مبالغة وتمدد الرجل تمطى وفروع المادة كثيرة فوق ظرف مكان
ضد تحت اى واعظم من جوهم وقال تعالى بعوضة فما فوقها
قال ابو عبيدة فما دونها كما اذا قيل فلان صغير فتقول وفوق ذلك
اى اصغر من ذلك وقال الفراء فما فوقها اى اعظم منها كالذباب والعنكبوت
الجوهر والحسن تقدما والقيم جمع قيمة الشئ اى ما يقاومه كثمن السلعة
واصله الواو لانه يقوم مقام الشئ فلما سكنت بعد الكسرة ابدلت ياء
فان صغرت قلت قويمة ويقال قومت السلعة واهل مكة يقولون
استقمت السلعة وهما بمعنى فما تعدا اى ما تحسب قال الجوهري عددت
الشئ عدا احصيته والاسم العدد والعديد فعلى هذا هو تكرار مع قوله
ولا يحصى وهم عديد الحصى والثرى اى كثيرون وعديد بنى فلان يعد
فيهم وعد فاعتد صار معدودا واعتد به والايام المعدودات ايام التشريق
والعد الكثرة وقيل هم ذو عدد وقيل يحصوا ان تحفظ واحصيته اى
اطقته وايضا عرفت عدده وقال الجوهري احصيت الشئ عددته
وهم اكثر حصا اى عددا عجايبها جمع عجيبة وهى الشئ الذى يتعجب منه
كالحسن والخارق والنادر الوقوع وقال الجوهري جمع عجيب كافيل
وافايل وتبيع وتبايع واعاجيب جمع اعجوبة كاحدوثة واحاديث وعجبت
وتعجبت واستعجبت بمعنى وعجبت غيرى تعجيبا واعجبنى الشئ لحسنه
واعجب فلان بنفسه فهو معجب بها وبرايه والاسم العجب بالضم وما اعجبه
برايه شاذ والعجيب والعجاب بالضم ما يتعجب منه والعجاب مشدد اكثر منه
وكذا الاعجوبة وعجب عاجب يؤكد به كليل لايل والتعاجيب العجايب لا
واحد لها من لفظها ولا تسام اى لا تطلب ان توصف بملل من السوم
للبيع يقول تساومت سواما واستام على وتساومت وسمتك بعيرك
سيمة حسنة وانه لغالى السيمة وقال بعضهم لا تسام اى لا تمل بملل فالسام
كالمصدر المؤكد واصله لا تسام بسكون السين وفتح الهمزة فخفف الهمزة
بنقل حركتها الى السين الساكنة ثم فى مثله بعد النقل احتمالان اما ابقاء الالف

كما فعل

كما فعل الناظم واما حذفها وهو الاشهر وانما خالفها الناظم للوزن فلت
ولا يخفى تكلف هذا الشرح وقوله على الاكثار يحتمل ان يريد على الاكثار
من ترداده ويحتمل ان يريد على اكثار ما جاءت به من المعانى او على اكثار
ما ورد فيها من التكرار لاسيما تكرار القصص والشان فيما اكثر
من الحديث غير القرآن ان يمل وبالجملة فهو من قولهم اكثر الرجل اى
كثر ماله وكاثرناهم فكثرناهم غلبناهم بالكثرة وهى نقيض القلة
وكسر الكاف فيها لغة رديئة وكثر فهو كثير وقوم كثير وكثيرون واستكثر
منه اى اكثر والكثر والقل بالضم والكثر ويتكثر بمال غيره وهو
مكثور عليه اذا نفد ما عنده وكثرت عليه الحقوق والكوثر من الرجال
السيد الكثير الخير ومن الغبار الكثير وهو ايضا نهر فى الجنة والكثار بالضم
الكثير والسأم بفتح الهمزة مصدر سئمت بكسرها اى مللت ابو زيد سئمت
اسام سأما وسأمة اذا مللته ورجل سؤوم قرت بردت سرورا لان دمعة
الفرح باردة او سكنت فلم تطمح الى غيرها او امتلأت بمحاسنها وقررت
عينا وقررت قرة وقرورا فيهما ورجل قرير العين وقد قرت عينه تقر وتقر
نقيض سخنت واقرها الله اعطاه حتى تقر فلا تطمح الى من فوقه ويقال
حتى تبرد ولا تسخن فدمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة والقارئ
بالهمز اسم فاعل من قرأت الكتاب والقرآن قراءة اى تبعت بعضه بعضا
وايضا جمعته اى تاليها فسكن الهمزة تخفيفا او يريد تابعها وقاصدها
من قروت اليه قصدت قروا وهو يقرى الارض ويقروها او يريد القايم
بها ليلا من قريت الضيف قرا وقرات الشئ قرآنا جمعته وضممت بعضه
الى بعض وما قرات هذه الناقة سلا قط وما قرات جنينا اى لم
تضم رحمها على ولد وقرات الكتاب قراءة وقرآنا وسمى القرآن لجمعه السور
وضمها وقوله تعالى فاتبع قرآنه قال ابن عباس فاذا بيناه لك
بالقراءة فاعمل بما بيناه لك وظفرت به اظفر بكسر الماضى وفتح المستقبل
اى قررت به والظفر بالفتح الفوز وظفر بعدوه وظفر به كلحق به

ولحقه فهو ظفر وظفرت عليه في معنى ظفرت به وما ظفرتك عيني منذ
زمان اي ما رايتك واظفره الله بعدوه وظفره به تظفيرا ورجل مظفر
صاحب دولة في الحرب والحبل الرسن ويطلق مجازا على العهد والامان
والوصال والقرآن وقد تقدم فاعتصم اي امتنع به اي بالله وبالكتاب
واعتصمت بالله اي امتنعت به من كل شيء وقال الجوهري اعتصمت
بلطفه من المعصية وتقدمت المادة ان تتلها اي تقرأها والتلاوة
القراءة من تلوت القرآن تلاوة اي ابعت بعضه بعضا وتلوت الرجل
اتلوه تلوا اذا تبعته وما زلت اتلوه حتى اتليته اي تقدمت وصار خلفي
وفلان يصلي ويتلي اي يتبع المكتوبة النافلة والمتالي براسل المغني
بصوت رفيع واتلت الناقة بلاهه ولدها وله دريت ولا تليت دعا
عليه ان لا يكون لابله اولاد وابلاه الله اطفالا اتبعه اولادا و
والخيفة الخوف وجمعها خيف واصلها الواو ففعل بها ما فعل بقيمة وخافه
يخافه خوفا وخيفة ومخفة فهو خائف اي حذره واتقاه وقوم خوف
على الاصل وخيف على اللفظ والامر خف بفتح الخاء وربما قيل رجل
صات لشديد الصوت وخاوقه فخافه يخوفه غلبه بالخوف اي خوفه
اسد والاخافة التخويف ووجع مخيف يخيف من رآه وطريق مخوف
لانه لا يخيف وانما يخيف فيه قاطعه وتخوفت عليه الشيء خفت الحر
ضد البرد لظى من اسماء جهنم اعاذنا الله منها بفضله ورحمته واللظى
النار وهو من اسماء النار معرفة لا ينصرف والتلظي التار التهابها
وتلظيها تلهبها اطفات اي امت من طفيت النار بالكسر تطفا طفوا
طفوا او انطفات واطفاتها انا ويقال ليوم من ايام العجوز مطفى
الجمر الورد مصدر ورد الماء ورودا قال ردي ردي وردقطا
صما الذرية اعجبها برد الماء وقيل الورد المصدر والورد وقته
والورد ايضا الوراد الذين يردون الماء ولذلك الابل وله معان اخر
الشيم بكسر الباء البارد شيم الماء بالكسر فهو شيم والشيم ايضا الذي

يجد البرد مع الجوع والشيم بفتح الباء البرد يقال غداة ذات شيم الحوض
والاحواض والحياض وحضت حوضا اتخذت حوضا واستحوض الماء
اجتمع والمحوض بالتشديد شيء كالحوض يجعل للنخلة يشرب منه
ومنه احوض حولك لك الامر اي در حوله كاحوط والعصاة
جمع عاص ضد المطيع وتقدمت المادة والحميم بضم الحاء
الفحم وكل ما احترق بالنار الواحدة حممة وحممت الجمرة تحم بالفتح صارت حممة
الصراط والسراط والزراط الطريق والصراط الجسر الذي يضرب بين ظهراني
جهنم يوم القيمة لجواز الخلق عليه فيه خطاطيف وكلاليب مثل شوك
السعدان فيمر عليه بعض كالبرق وبعض كالريح وكالطير وكاجاويد
الخيل والركاب فمنهم ناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس في نار جهنم
ويقال ان الصراط مشتق من السرط وهو الابتلاع يقال
سرطه بالكسر اسرطه سرطا بلعته واسترطته ابتلعته لان الطريق
تبتلع السائر فيه وفي المثل لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعقي من اعقيت
الشيء اذا ازلته من فيك لمرارته كاشكيته ازلته عما يشكوه وقالوا
الاخذ سريطى والقضاء ضريطى اي يسترط ما ياخذ من الدين فاذا تقاضاه
صاحبه اضرط به وحكي يعقوب سريط وضريط والميزان الذي توزن
به صحايف اعمال العباد يوم القيامة وهو ايضا الآلة المعروفة
واصله موزان فقلبت الواو يا لكسر ما قبلها وقام ميزان النهار انتصف
ووزنته وزنا وزنة ووزنته ووزنت له ويزن درهما ودرهم
وازن ووازنت بينهما موازنة ووزانا ويزنه ويوازنه ان كان على زنته
او محاذية ووزين الراي اي رزينه والمعدلة بكسر الدال وفتحها العدل
ضد الجور وهو من اهل المعدلة اي اهل العدل وتقدم والقسط
بكسر القاف العدل وبفتحها الجور تقول امر الله بالقسط ونهى عن القسط
وقسط يقسط قسوطا وقسطا جار ومنه واما القاسطون واقسط
فهو مقسط عدل ومنه ان الله يحب المقسطين والقسط ايضا كيال

معروف نصف صاع والفرق ستة اقساط والقسط ايضا النصيب والحصة
يقال قسطناه بيننا وهو بضم القاف من عقاقير البحر وبفتحه وفتح السين
انتصاب في رجل الدابة وهو عيب وقام العدل في الناظر وفنا
وقد تقدم والحسود فعول بمعنى فاعل من الحسد وهو تمنى زوال نعمة
المحسود اليك وقيل تمنى نعالها عن الغير وصلت اليه ام لا وحسده يحسده
وحسدته الشيء وحسدته عليه وتحاسدوا وهم حسدة كحامل وحملة
وراح تنكرها اى ولى منكرا لها واصل راح سار بالعشي ثم استعمل
في الذهاب والرواح نقيض الصباح وهو من الزوال الى الليل وقد يكون
مصدر راح يروح رواحا نقيض غدا يغدو غدوا وخرجوا برواح من
العشي ورياح بمعنى وسرحت الماشية بالغداة وراحت بالعشي اى رجعت
وافعله في سراح ورواح اى سهولة والمراح بالضم حيث تأوى اليه الابل
والغنم بالليل وبالفتح الموضع الذي يروح منه القوم او يروحون اليه كالمغدا
من الغداة وما ترك من ابيه مغدى ولا مراحا اذا اشبهه في كل احواله
والتجاهل ان يرى من نفسه الجهل وليس به والجهل ضد العلم وجهل
جهلا وجهالة واستجهله عده جاهلا واستخفه والتجهيل النسبة
الى الجهل والمجهلة ما يحمل على الجهل ومنه الولد مجهلة والمجهل المفازة
لا اعلام فيها يقال ركبتها على مجهولها والجاهلية الجهلاء اشتق
للاول من اسمه كيوم ايوم وعين اى ذات والحاذق اسم فاعل من حذق
الرجل عمله بالكسر حذقا وحذاقة اى احكمه والحاذق الماهر بنا اللجة
وحذق الصبي القران والعمل يحذق حذقا وحذقا وحذاقة وحذاقا
مهر فيه وحذق بالكسر لغة ويوم ختم القران يقال له يوم حذاقة
وفلان في صنعة حاذق باذق اتباع وحذقت الحبل احذقه حذقا
قطعته والحاذق القاطع وحذق الخل يحذق حذوقا حمض وحذق فاه
الخل وحره والحذيق المقطوع والحذاقي الفصيح اللسان البين اللهجة و
حذلق الرجل بزيادة اللام وتحذلق اذا اظهر الحذق وادعى اكثر مما عنده

والفهم

والفهم بكسر الهاء اسم فاعل من فهمت الشيء بالكسر افهم اى علمت فهما
وفهامية واستفهمني الشيء فافهمته وفهمته تفهيما وتفهم الكلام
فهمه شيئا بعد شيء والضوء الضياء وتقدم القول في حقيقته عند قوله
يظهر انوارها وكذلك الضوء بالضم تقول ضاءت النار تضوء ضوءا
وضوءا واضاءت مثله واضاءت النار ايضا يتعدى ولا يتعدى الرمد
داء يصيب العين ورمد الرجل بالكسر يرمد رمدا هاجت عينه فهو
رمد وارمد وارمد الله عينه فهي رمدة ورمدت العين ايضا والطعم
بالفتح ما يؤديه الذوق يقال طعمه مر وهو ايضا ما يشتهى منه يقال
ليس له طعم وما فلان بذي طعم اذا كان غثا وهو بالضم الطعام وطعم
وطعما فهو طاعم اذا اكل او ذاق ومنه اذا طعمتم ومن لم يطعمه وقل طعم فلان
اى اكله والطعمة المأكلة وبالكسر الهيئة والقروع كثرة السقم بفتح السين
والقاف وبضم السين وسكون القاف المرض وتقدم ردت
بلاغتها البيت يعني ان ايات القران المذكورة هي في الطرف الاعلى من البلاغة
لان البلاغة لها طرفان اعلى وهو حد الاعجاز واسفل وهو اذا غير عما
هو عليه الى ما دونه التحق عند البلغاء باصوات الحيوانات ولما كانت
ايات القران العظيم في الطرف الاعلى وعجز الخلائق عن معارضتها
وعن الاتيان بمثلها لا جرم ردت بلاغتها اى صرفت وابطلت دعوى
من ادعى معارضتها ردا عنيفا باقصى ما يكون من الطرد والابعاد مثل
رد الغيور على النساء يد الجاني عن حريمه هو خصوصا وقوله ردت
دعوى المعارض ابلغ مما لو قيل ردت دليل دعواه فان ابطال
المدلول الذي هو الدعوى ابطال لكل دليل يدل عليه واما ابطال الدليل
المخصوص فلا يلزم منه ابطال المدلول لكنه بعيد ومحال عادة وكان
هذا البيت فيه ترق عن البيت الذي قبله فان الذي قبله اثبت فيه ان لها
محاربا لكنه يعود بعد محاربتها ملقي السلم وهنا اجزم فيه انه ليس لها محاربا
ومعارضها الا بالدعوى وانما ترد تلك الدعوى البرح المخصص فهذا البيت

ابلغ وبهذا تعلم بطلان ما ظن من ان البيت السابق كالنقض التفصيلي
في صناعة الجدل وهذا كالاجمالي فانه يوجب كون هذا من التكلف وان الاول
ابلغ لان النقض التفصيلي ابلغ واقوى من الاجمالي واعلم ان وجوه اعجاز القرآن
لا تنحصر لكن قال بعض المحصلين ان تحصيلها من جهة ضبط انواعها
في اربعة وجوه الاول حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه
وبلاغته ولم يزل صلى الله عليه وسلم يخاطب فرسان البلغاء من العرب الذين
ملكوا قياد الكلام ويتلو عليهم قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا
على عبدنا الى قوله ولن تفعلوا وجميعهم سليقة الف من فصاحة الكلام
والتي بد الضراعة والاستسلام حتى قال افصحهم رعه بن المغيرة
حين سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ ان الله يامر بالعدل والاحسان
الاية والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان
اعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر وسمع اخر رجلا آخر يقرأ فاصدع بما
تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع آخر فلما استيأسوا منه خلصوا
نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على هذا الكلام وكان عمر نائما في المسجد
فاذا بقائم على رأسه يتشهد فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن
يحسن كلام العرب وانه سمع اسيرا يقرأ اية فتأملها فاذا فيها ما انزل
على عيسى من احوال الدنيا والاخرة وهو ومن يطع الله ورسوله ويخش الله
ويتقه فاولئك هم الفائزون وقال الاصمعي لجارية قاتلك الله ما افصحك
فقالت بعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى واوحينا الى ام موسى الاية جمع
في اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين الثاني صورة نظمه
العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب يوجد قبله ولا
بعده نظير له تحارت فيه عقولهم وتدلهت احلامهم ولم يهتدوا الى مثله
في جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر كما قدمنا في حكايتي الوليد
وعتبة الثالث ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع
فوجد كما ورد على الوجه الذي اخبر نحو لتدخلن المسجد الحرام وهم من بعد

عليهم سيغلبون ليظهره على الدين كله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم اذا جاء نصر الله وهو كثير الرابع ما اخبر عن القرون
الماضية والامم السالفة والشرائع الدائرة مما لم يعلم منه القصة
الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده
صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه وقد علموا انه صلى الله
عليه وسلم امي لا يقرأ ولا يكتب فهذه انواع وجوه الاعجاز واشخاصها
لا تنحصر بل تضاف الى هذه الانواع انواع كثيرة فكتاب الله العزيز
في فصاحته قد قرع العقول ببديع نظمه وفي بلاغته قد اصاب المعاني
بصائب سهمه فانه حجة الله الواضحة ومحجته اللائحة ودليله القاهر
وبرهانه الباهر ما رام معارضته شقي الا تهافت تهافت الفراش في الشهاب
وذل ذل النقد حول الليوث الغضاب وقوله لها معان البيت اي لتلك
الايات معان كثيرة لا نهاية لها كائنة في كثرتها وامداد بعضها بعضا
فانه ما من معنى يدرك من معاني القرآن الا ووراءه معنى آخر لا الى نهاية
فهي في ذلك من حيث الصورة كامداد موج البحر بعضه بعضا اذ ما من موج
الا ويأتي بعدها اخرى وان كان هذا في البحر ينتهي بتغيره يوم القيمة وهي
في معاني القرآن لا يبيد وتلك المعاني ايضا في حسنها البديع وفيما اي
ما لها من القدر والشرف فائقة في الاصل حسن جوهر البحر وهو الدر
المستخرج منه وفوق قيمة اي ما له من القيمة والقدر فان قلت جعله
قيمة معاني القرآن فوق قيمة الجوهر كيف يستقيم ومعانيه قديمة لا توصف
بان لها قيمة قلت قد قلنا ان معنى قيمتها ما لها من الشرف والقدر وعلو
المنزلة واطلق القيمة عليها مجازا لان القيمة في المقوم هي مقداره واذا
كان معناها علو القدر فلا نسلم امتناع وصف القديم بعلو القدر
قال تعالى وانه تعالى جد ربنا اي عظمته وايضا فانه قال فوق جوهره
فكذا فيكون الحسن والقيم للجوهر ويبقى الفوقية للشرف المطلق وهو
يقيد بغاية اذ ما من منزل من منازل الفوقية الا ويصلح لها لفظة

فلا حصر فيه ولئن سلم امتناع وصف القديم بالقيمة حقيقة او مجازا لكن يطلق
القران لفظ مشترك تطلق ويراد بها اجزائه والفاظه النفيسة التي دلت
عليها الاخبارات والانشاءات اللفظية وهذه النفيسة هي القديمة القائمة
بذاته تعالى وجل وهذه هي التي يقال فيها لا قيمة لها وتطلق المعاني ايضا
يراد بها متعلقات الاخبارات والانشاءات من الاشياء المخبر عنها والاعمال
التي هي التكاليف والفاعلين الذين هم المكلفون ونحو ذلك ويراد بالمعاني
ايضا ما يفهم من تراكيب الفاظه من هذه المتعلقات والفوائد المستنبطة من الفاظه
وهذه القسمان الاخيران يقال فيهما انهما قيمة وان لم يجر الوصف عن تلك
القيمة وهما اللذان عنى الناظم واجاب بعضهم بان قوله فوق خبر مبتداء
مضمر اي وهي مرتفعة فوق قال وهذا الضمير المبتداء عائد على الضمير المجرور
في قوله لها او على الخطوط التي يكتب بها الالفاظ من حيث هي الفاظ
كان يكون الصوت ليس بجنس والخط ليس بمستقيم وان كان اراد من حيث
انها الفاظ وخطوط دالة على القران فان كانت لها قيمة اذ القيمة انما
هي للالفاظ الحادثة كمن استاجر قارئا يقرء القران او للخطوط الحادثة
المرسومة واذا اعيد على الخطوط كان من الاستخدام ام لا لان الايات مشترك
بين الالفاظ وعليها يعود ضميرها وبين الخطوط وعليها يعود ضمير هي
المحذوف انتهى قلت قوله اولا عائد على الضمير المجرور فيه قلق بل الصواب
على ما عاد عليه الضمير المجرور ووصفه الالفاظ والخطوط بالحادثة وصف
تاكيدي وقوله القيمة للالفاظ والخطوط ان كان اراد من حيث كونهما
الفاظا وخطوطا لم يكن فيه مدح للايات بل للالفاظ والخطوط ثم قوله لا تكون
لها قيمة فانما هي من حيث مدلولها فيعود السؤال فالجواب ما ذكرناه ومما يناسب
هذا البيت من الاحاديث ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اعربوا القران
والتمسوا غرائبه وقال صلى الله عليه وسلم في وصفه ايضا لا يعوج فيقام
ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقضي عجائبه الحديث وسيأتي ان شاء الله تعالى
ومن الاثار قول ابن مسعود رضي الله عنه من اراد علم الاولين والاخرين

فليثور

فليثور القران وعن علي رضي الله عنه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير
فاتحة الكتاب وحكى ابو طالب المكي في قوت القلوب عن بعض العلماء
انه قال لكل اية ستون الف فهم وما بقي من فهمها اكثر وحكى ابو طالب
المذكور ايضا ان اقل ما قيل في العلم التي يحويها القران من ظواهر المعاني
المجموعة فيه اربعة وعشرون الف علم وثمانمائة علم وسبعين الف علم
ومائتين من العلوم اذ لكل كلمة علم وكل علم عن وصف فكل كلمة تقتضي
صفة وكل صفة موجبة افعالا حسنة وغيرها على معانيها فسبحان
الفتاح العليم قوله فما تعد ولا تحصى البيت اذا كانت معانيها كموج
البحر في مدد انتج ذلك ان عجائبها وغرائبها اي عجائب تلك المعاني وغرائبها
لا تعد ولا تقدر احد على احصائها كما لا تعد امواج البحر ولا يقدر على
احصائها ويحتمل ان يكون قوله فما تعد احتراسا وذلك انه لما شبه
معانيها بموج البحر في المدد ربما توهم انما يتناهى كما يتناهى موج البحر
فوق ذلك الايهام بقوله فما تعد الى اخره اي انها وان اشبهت موج البحر
في مداد بعضه بعضا الى ان هذه المعاني لا تعد ولا تحصى لعدم تناهيها
وقوله ولا تسام البيت اي ولا يحصل السام على ما هي عليه من حال
الكثرة بالملل فيجعل الملل سوما لها لكثرتها كما يجعل بعض الاثمان سوما
للسلعة لان شان ما كثرت احاده او كثر تردده ان يمل ضيق من الكلام
ولو بلغ الغاية فيما يليق به من الحسن والبلاغة يمل مع الترديد وتمادي عليها
اعيد وايات القران بخلاف ذلك كما ورد في الحديث ظاهره لا يمله وسامعه
لا يمجه الاكباب على تلاوته تزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال
غضا طريا تستلذ به في الخلوات ويونس به في الازمات وتقدم في الغريب
ان بعضهم جعل تسام مخففا من تسام ومعناه عنده ولا تمل على ملل قال وانما
ادخل الباء في المصدر المؤكد للوزن ولذا غرقه والاحق المصدر المؤكد
التكثير انتهى والضمير المضاف اليه عجائب والمرفوع بتسام يحتمل عودهما
على المعاني كما تقدم ويحتمل عودهما على ايات حق وهي الالفاظ قوله

قرت بها البيت اي سرت بهذه الايات عين قاريها اي بردت بدمعه
الفرح ولم تسخن بدمعه الحزن او سكنت حسبما تقدم من المعاني في قرت
وكذا ايضا تاليها ان كان قاريها من قرءوت فانه يحتمل ان يكون معناه
اما قاريها او متبع ما فيها كما تقدم والا انه كان المراد القاري ترجح عود
ما اضيف على الايات التي هي الالفاظ وان كان المراد المتبع ترجح عوده
على المعاني وقوله فقلت له الى اخره اي لما قرت عينه بقراءة الفاظها او
باتباع معانيها قلت له حينئذ لقد ظفرت ايها القاري بحبل الله اي بعهد
الذي بينه وبين خلقه فاعتصم به اي امتنع ببركة قراءته من عذاب الله
او امتنع باتباع اوامره واجتناب نواهيه من الوقوع في المخالفة الموجبة
الى عقاب الله تعالى نعوذ بالله من مخالفته وعقابه قال بعضهم ان
كانت التاء في فقلت مضمومة للمتكلم فهو يقتضي ان الناظم راى قاريا للقرآن
قرت عينه فقال له ذلك والا كان الكلام كذبا الا ان يقال لما كان
مادحا للايات كان في صورة المحرض على الاعتصام بها فصار كذلك
كانه قائل فيكون في الكلام مجاز وان كانت التاء مفتوحة للمخاطب فوجه
المجاز فيه ان يكون من الخبر المراد به الامر اي قل له ونحو والوالدات يرضعن
اي ليرضعن قلت والوجه هو جميع الكلام ومما يناسب معنى هذا البيت
والذي قبله من الاحاديث ما اخرجه ابو عيسى عن الحارث الاعور قال
مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون في الاحاديث فدخلت على علي رضي الله عنه
فقلت يا امير المؤمنين الا ترى ان الناس قد خاضوا في الاحاديث قال
وقد فعلوا قلت نعم قال اما اني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الا انها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله قال
كتاب الله فيه نبا ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل
ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الحكم او الهدى في غيره
اضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم
هو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا يشبع منه العلما

ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته
حتى قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد من قال به صدق ومن
عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعى اليه هدى الى صراط مستقيم
خذها يا اعور قوله ان تتلها البيت هذا خطاب منه للقاري الذي
خاطبه بقوله لقد ظفرت اي ان تتلها ايها القاري خوفا من حر نار لظى
فانك تطفي حر لظى من اجل ما اوردت من ورد ماء الايات البارد او من اجل
ما معك من ورد ماء الايات وقوله تتلها اما من التلاوة ايضا واما من
الاتباع ومما جاء في معنى هذا البيت ما روينا في صحيح مسلم من حديث ابي
امامة الباهلي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اقرؤوا القران فانه ياتي يوم القيمة شفيعا لاصحابه اقرؤوا الزهراوين
البقرة وسورة آل عمران فانهما ياتيان يوم القيمة كانهما غمامتان او كانهما
غيايتان او كانهما فرقان من طير صواف يحاجان عن اصحابهما اقرؤوا البقرة
فان اخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة قال معاوية
بلغني ان البطلة السحرة وكما انه نجاة من عذاب الاخرة كذلك هو نجاة
من عذاب الدنيا وفتنتها كما قال صلى الله عليه وسلم لحذيفة حين اخبره
بما يكون من الفتن وقال له يا رسول الله فما اصنع ان ادركت ذلك
فقال تعلم كتاب الله عز وجل واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك فقال
واعدت عليه فقال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو النجاة ثلثا وروينا
في صحيح مسلم ايضا من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال من نفس
عن مومن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيمة
ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والاخرة ومن ستر مسلما ستره الله
في الدنيا والاخرة والله في عون العبد ما دام العبد ما كان العبد في عون
اخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة
وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم
الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملكة وذكرهم الله فيمن عنده

ومن بطا به عمله لم يسرع به نسبه ذكره في كتاب العلم وانما اتينا به كله لما
تضمن من المواعظ العظيمة والحكم الجسيمة وروينا في صحيح البخاري قال
ابن عون ثلاث احبهن لنفسي ولاخواني هذه السنة ان يتعلموها ويسالوا
عنها والقران ان يتفهموه ويسالوا عنه ويدعوا الناس الا من خير ذكره
في اول كتاب الاعتصام وروينا في سنن ابن ماجه عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان سورة في القران ثلثون اية شفعت لصاحبها
حتى غفر له تبارك الذي بيده الملك وروينا ايضا في غيرها عن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القران
اذا دخل الجنة اقرا واصعد فيقرا ويصعد بكل اية درجة حتى يقرا اخر شيء
معه وفي الحديث من شفع له القران يوم القيمة نجا وهو شافع مشفع وفي
صحيح مسلم وغيره من حديث عايشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم
قال الماهر بالقران مع السفرة الكرام البررة والذي يقرا القران
ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم
قال يجي صاحب القران يوم القيمة فيقول يا رب حله فيلبس تاج الكرامة
ثم يقول يا رب ارض عنه فرضي عنه فيقال له اقرا وارق ويزداد بكل
اية حسنة وما جاء في فضايل تلاوة القران كثير جدا وقوله كانها الحوض
ايات القران تشبه بالحوض الذي ينغمس فيه العصاة الذين يخرجون من النار
بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وقد احترقوا حتى عادوا حمما فيغمرون
فيغتسلون فيه فيعودون بيضا كالقراطيس ثم يدخلون الجنة ووجه الشبه
ان ايات القران العزيز لما كانت يشفع في تاليها وقد جاء مسود الوجه من المعاصي
ويحشر المجرمين يومئذ زرقا فيبيض وجهه بشفاعته فيه فكانه الحوض
الذي يبيض الوجوه من العصاة بسببه والحال انهم متجاوزون كالحمم
واعاد بعضهم الضمير في كانها على التلاوة وليس ببعيد فان قلت الذي
اشتهر باسم الحوض هو حوض النبي صلى الله عليه وسلم الذي ترده امته ولا
يظما من شرب منه ابدا والذي يبيض وجوه العصاة به انما هو نهر الحيوة

الذي على باب الجنة وقصد الناظم ان يستتبع مدحه صلى الله عليه وسلم
بما ظهر على يديه من ايات القران بمدحه صلى الله عليه وسلم بما خص به
يوم القيمة من الحوض فلم يف لفظه بذلك اذ هذه الصفة لم تثبت لحوضه
صلى الله عليه وسلم وانما هي صفة نهر الحيوة قلت لا نسلم انه قصد
الاستتباع بما ذكرت بدليل انه شبه ايضا الايات بالصراط وبالميزان
وليسا من خصايصه صلى الله عليه وسلم فدل ان مراده بالحوض مسماه
اللغوي فيحمل على نهر الحيوة لان تلك صفته ولين سلمنا انه اراد
حوضه صلى الله عليه وسلم فلم لا يجوز ان يكون هو نهر الحياة
او نهر الحيوة او لجريته ومنتهاها الحوض كل ذلك جايز ممكن
فان قلت ان كل من يخرج من النار يغتسل في نهر الحيوة وليس خاصا بامته
صلى الله عليه وسلم حتى يكون من خصايصه قلت بل هو خاص بهم بدليل
انه انما ورد فيمن يخرج من النار بشفاعته صلى الله عليه وسلم وهم امته
بدليل قوله في اخر حديث الشفاعة يا رب ايذن لي فيمن قال لا اله الا الله
فيقول الله جل جلاله ليس ذلك اليك الحديث ولين سلم انه لا يختص
فتقديمهم في ذلك نوع من الاختصاص بل لو قيل ان الجنة والنار
والصراط والميزان والدنيا والاخرة باجمعها من خصايصه صلى الله عليه وسلم
لكان حقا ومما جاء في حوضه صلى الله عليه وسلم ما رويناه في صحيح البخاري
عن ابن عمرو قال قال النبي صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر ماؤه ابيض
من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السما من شرب منه
لا يظما ابدا وفيه عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال ان قدر حوضي
كما بين ايلة وصنعاء من اليمن وان فيه من الاباريق كعدد نجوم السماء
وفيه عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني فرطكم على الحوض من مر علي شرب ومن شرب لم يظما ابدا ليردن علي اقوام
اعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم فقال النعمان بن ابي عياش
وزاد فيها ابو سعيد الخدري فاقول انهم مني فيقال انك لا تدري ما احدثوا

بعدك فاقول سحقا سحقا لمن غير بعدي وقال ابن عباس سحقا بعدا سحيق
بعيد سحقه واسحقه ابعده وفيه ايضا عن انس عنه صلى الله عليه وسلم بينما
انا اسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت ما هذا يا جبريل قال
هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فاذا طيبه او طينه مسك اذفر شك هدبه
قلت ولعل من هذا النهر هو الحوض ونهر الحيوة والله تعالى اعلم واحاديث الحوض
كثيرة رزقنا الله الورود منه ولا جعلنا ممن يذاد عنه بمنه وفضله واما ما اشار
اليه بقوله بتبيض الوجوه به من العصاة وقد جاؤه كالحمم فهو ثابت في احاديث
الشفاعة من صحيح مسلم وغيرهما من ذلك عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يدخل الله اهل الجنة الجنة يدخل من يشاء برحمته
ويدخل اهل النار النار ثم يقول انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة
من خردل من ايمان فاخرجوه فيخرجون منها حمما قد امتحشوا فيلقون في
نهر الحيوة او الحيا فينبتون فيه كما تنبت الحبة الى جانب السيل الم تروها كيف
تخرج صفرا ملتوية وفي رواية عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اما اهل
النار الذين هم اهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس اصابتهم
النار بذنوبهم او قال بخطاياهم فاماتهم اماتة حتى اذا كانوا فحما اذن بالشفاعة
فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على انهار الجنة قيل يا اهل الجنة افيضوا عليهم فينبتون
نبات الحبة في حميل السيل فقال رجل من القوم كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد كان بالبادية وفي مسلم ايضا من حديث جابر في الجهنميين فيخرجون
كانهم القراطيس عيدان السماسم فيدخلون نهرا من انهار الجنة فيغتسلون فيه
فيخرجون كانهم القراطيس فان قلت قد قيل ان لكل نبي حوضا فلا يكون في
كلام الناظم استتباع لاحتمال كون ال في الحوض جنسية وقصد التشبيه في
مطلق الحوض المبيض ولئن سلمنا انه مخصوص به صلى الله عليه وسلم فالحوض
انما هو قبل الحساب والناظم اخبر انهم يجيئون مسودة وجوههم من المعاصي
وذلك انما يكون بعد الخروج من النار قلت ان صح تعدد الحوض فال
للعهد اي حوضه صلى الله عليه وسلم على ما تقدم من رجوعه بالتاويل الى نهر الحياة

او المراد

او المراد الحوض او الكل من خصايصه صلى الله عليه وسلم ومن بركة وجوده
كما تقدم او يجوز ان تسود وجوههم قبل دخول جهنم ونحشر المجرمين
الاية واما ان وروده قبل الحساب فهذا مما اضطرب فيه قال
ابو الفضل عياض رحمه الله ظاهره ان الشرب منه بعد الحساب والنجاة
من النار لقوله لا يظمأ ابدا وقيل لا يشرب منه الا من لم يقدر عليه بالنار
وقد يحتمل ان يشرب منه من هذه الامة ثم قدر عليه بالنار ان لا يعذب فيها
بالظمأ بل يعذب بغيره اذ ظاهر حديث الحوض انه يشرب منه الامة كلها الا
من ارتد على عقبيه وغير وبدل وعلى التاويل الاول يخرج قول الناظم
على ما فيه من الاشكال وقوله من العصاة هم المراد بقوله في الحديث ولكن ناس
اصابتهم بذنوبهم وهي الكباير والصغاير لمن لم يجتنب الكباير وقوله وكالصراط
البيت اي وتلك الايات ايضا كما تشبه الحوض في ابيضاض الوجوه بها مثله
كذلك تشبه الصراط والمراد به الصراط المستقيم المذكور في فاتحة الكتاب
وهو دين الحق الذي لا اعوجاج فيه وهما متلازمان فانه لا يسير
على متن الجسر سيرا مستقيما من غير ميل الا من كان على طريق الاستقامة في
الدنيا ويشبه ايضا الميزان اما الدنيوي والاخروي فانه يبين العدل من غيره
ووجه الشبه بين الايات وبين كل من الصراط والميزان ان الايات في احكامها
واخبارها كلها ذات عدل واستقامة كاستقامة الطريق والميزان فقوله
معدلة بيان لوجه التشبيه كما ان بتبيض الوجوه بيان لذلك في البيت قبله
فان قلت ليس التشبيه في البيتين بظاهر فانه ليس من لوازم الحوض ابيضاض
الوجوه المسودة به ولا من لوازم الصراط والميزان العدل قلت بل ذلك
من لوازمها ان كانت ال في الثلثة للعهد في الاشياء الاخروية او في الصراط
المستقيم او الميزان المستقيم الدنيويين وقوله فالقسط الى اخره اي اذا كانت
هذه الايات كالصراط والميزان في العدل انتج ذلك ان القسط اي العدل
لم يثبت في الناس من غير هذه الايات وروى الناس فان قلت لفظة مشكل من
وجوه الاول ان الفاء في قوله فالقسط ليس هذا محلها فانه لا ملازمة بين

بين شبهها للصراط والميزان وبين ان لا يكون في الناس عدل من غيرها الثاني
ان سلم ذلك لم يلزم ان يكون في الناس عدل منها فانه نفي ان يكون العدل
في الناس من غيرها ولا يلزم منه ان يكون في الناس عدل منها الثالث ان
لفظ الناس ان اخذ عاما لزمان لا يكون في اهل التورية واهل الانجيل وغيرهم
من اهل الكتب السماوية عدل لتقدمها على نزول القرآن وهو باطل وان اخذ
خاصا بهذه الامة لزم ان لا يكون الاخذ بغير القرآن من ادلة الاحكام الشرعية
كالسنة والاجماع والقياس والاستدلال عدلا وهو باطل قلت هذه اشكالات
ظاهرة ويمكن ان يجاب عن الاول بانه اتى بالفاء اعلاما بان تشبيهها بالصراط
والميزان تشبيه تام وكما انه لا يوجد عدل لا ومكان عدل في الناس الا من الطريق
او الميزان معنويين كانا او حسيين فكذا لا يوجد في الدين الا من آيات القرآن
تحقيقا للتشبيه وتتميما له قال تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا
ماكنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا
الاية وقال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء الاية
ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين وهو كثير وعن الثاني بان قوله العدل
الى اخره قضية موجبة معدولة وهو يستلزم وجود موضوعها الذي هو العدل
فلذا قدم المسند اليه مع كونه الاصل وايضا من المعلوم عقلا وقطعا وجود العدل
في الناس فلا بد له من اصل والعقل معزول عن ذلك عند اهل الحق فلم يبق
الا الشرع واصله القرآن وعن الثالث بان المراد بالناس المخصوص وهم
هذه الامة الى الكلام النفسي فوجه رجوع السنة الى القرآن كونه الامر باتباعها
واعتقاد حجيتها وذلك فيه كثير لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى من يطع الرسول
فقد اطاع الله وما آتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا لتبين للناس
ما نزل اليهم واما رجوع الاجماع اليه فلانه لا بد له من مستند فان كان القرآن
فذاك وان كان السنة فقد تبين لك رجوعها الى القرآن والراجع الى
الراجع الى الشيء اما بدرجة او درجات راجع بالاخرة الى ذلك الشيء واما
القياس فلانه معقول اصل من الكتاب والسنة والاستدلال نوع منه

ولو

ولو قال قائل المراد بالناس العموم ومعاني الكتب المتقدمة سيما اصول الايمان
منها في القرآن ويستدل بمثل قوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم
وموسى لما ابعد ومما ورد في صفة الصراط الذي هو جسر على متن جهنم
اعاننا الله على الجواز عليه وجعلنا ممن يقطع مفاوزه العظيمة الى ناحية
السلامة على كل وجه واسعده واحسنه نجاه محمد صلى الله عليه وسلم
واصحابه انه احد من السيف وارق من الشعر ثبت ذلك في الروايات المشهورة
ومما لا تحيله العقول يجوز وقوعه ويجب الايمان بما ثبت منه باخبار
الرسل صلوات الله عليهم اجمعين وروينا في صحيحي البخاري ومسلم عن ابي هريرة
ان ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة قال تضارون في الشمس
ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون في القمر ليلة البدر
ليس دونه سحاب قالوا لا قال فانكم ترونه يوم القيمة كذلك يجمع الله
الناس الحديث ذكره مسلم في كتاب الايمان والبخاري في كتاب الرقايق
وفيه من قوله صلى الله عليه وسلم ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فاكون
انا وامتي اول من يجيز ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ
اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هذا لفظ مسلم ولفظ
البخاري وبه كلاليب يعني بالصراط ثم لفظ مسلم هل رايتم شوك السعدان
قالوا نعم يا رسول قال فانها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم مقدار عظمها
الا الله تخطف الناس باعمالهم فمنهم الموبق بعمله ومنهم المجازى حتى ينجى
وفي البخاري المخردل ثم ينجو والحديث طويل ومرادنا منه ذكر الصراط وقد نقل
في صفة الصراط اقوال اخر ليست بالقوية فكذلك تركناها واما الميزان
الاخروي فهو ايضا مما يجب به الايمان كالحوض والصراط لان القرآن اخبر به
والانبياء صلوات الله عليهم كذلك وقد اختلف فيه هل هو معنوي او حسي
وعلى الثاني هل هو كموازين الدنيا او على صفة اخرى وما الذي يوزن فيه
هل الصحايف او صور الاعمال فان نفس الاعمال اعراض لا توزن وهل هو مثل
ميزان الدنيا في ثقل ما ثقل وخفة ما خف او على العكس اختلافا كثيرا والذي

يجب الايمان به بنوبة لقوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وعرفا انه والمشهور انه ذو كفتين ولسان يثقل فيه الاكثر قدرا ويخف الاقل والله تعالى اعلم بحقايق الامور وسيترد ويعلم وربك ما علم وقال بعضهم لو قال والقسط بالواو بدل الفاء لكان متمكنا من وجهين احدهما ان كون الايات كالصراط والميزان ليس بسبب في ان لا يقوم العدل في الناس من غيرها الثاني يكون مع الواو مدحا اخر للايات قلت وتقدم ان الفاء اولى لكونها ادل على تمام التشبيه ولان الكلام معها حصر في ان لا يصح عدل من غيرها كما قدمنا في التقريب وهو امدح لها والواو لا يعطي ان العدل في الناس لا يصح من غيرها بل يصح ولكن لم يوجد قوله لا تعجبن البيت هو جواب لسؤال تقريره اذا كانت هذه الايات بالمنزلة التي وصفت فكيف صح من كثير من الكفار انكار كونها من عند الله وانكار دلالتها على صحة نبوة الاتي بها فاجاب بقوله لا تعجبن اي تستبعد انكار الحسود لكون تلك الايات كلام الله او كونها دالة على صحة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فتتعجب من ذلك فانه انما انكر ذلك لكثرة حسد ولذا وصف المنكر بكونه حسودا اشعارا بغلبة الانكار واتى بحسود الذي هو من اوصاف المبالغة تنبيها على كثرة حسده وقوله راح ينكرها اي ينكر كونها من عند الله او دلالتها على النبوة كما تقدم ويروى ظل ينكرها وفائدة التعبير باحد الصيغتين التنبيه على ان انكارها وصحة حاسة البصر في ضحى النهار وهو اول مبدأ وقت الرواح او في النهار وهو الذي يقال فيه ظل وهذا مناسب لقوله تجاهلا اي ان انكاره لذلك ليس لجهل منه بحقيقة الامور فانها هي في الوضوح كالنهار لا يجهل بل ذلك منه تجاهل اي اظهار لصورة الجهل وليس به جهل بل هو اي تلك المنكر حقيقة الحاذق وعين ذا اي الماهر الذي مهر في الاشياء بحيث لا يخفى عليه تمييز الحق من الباطل الفاهم اي الذي ليس حذقه عن طول التجارب والتكرار لكونه كان بليد الطبع بل حذقه ومهارته مع كونه فاهما بالاصالة وبلا شك انه يجهل بالتجربة مع البلادة الاصلية فبان بهذا التقرير ان الفاهم ليس معناه الحاذق

كما زعم بعضهم فجعلهما كالمترادفين واما قوله عين الحاذق لتوهم انه على حذف مضاف اي تلميذ الحاذق او صاحبه او نحو ذلك فهو كقول القائل الحاذق عينه وبان ايضا بما قررناه فايدة الاتيان بلفظ راح او ظل وتخصيصها ونحو ذلك عن بعضهم حتى قال لفظه ظل يعطي ان انكاره بالنهار ولا يظهر للنهار خصوصية ولو قال صار ينكرها لتم حسن بل لو كان عن ظل فقال الحسود ينكرها لكفى لفظه ظل اصلحت الوزن انتهى وانما نهى ان يتعجب من هذا لان مثله معهود قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وهو ظاهر في تصور الكفر عنادا ويشبه ان يكون اشارة الناظم الى مثل اليهود فانهم انكروها حسدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق وقال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقد قال ابو جهل والله ان محمدا لصادق ولكن كنا وبنو هاشم يطعمون ونطعم وما فعلوا من خصلة الا وفعلنا مثلها حتى اذا كنا كفرسي رهان قالوا انه ياتيه الوحي من السماء فمن لنا بهذه لا نؤمن به ابدا ومثله من الحسد كثير وقوله قد تنكر العين البيت استدلال على ما نهى عنه من التعجب فانه مظنة ان يسال فيقال لم لا يتعجب من ذلك فقال مونسا بهذا التمثيل قد تنكر العين الى اخره اي ان اظهار هذا الحسد انكار حقيقة هذه الايات مع ظهور امرها لمانع الحسد ومع علمه بانها في نفس الامر حق انما انكاره نفور من الاقرار بالحق لكراهية الاتي به وذلك كانكار العين ضوء الشمس من اجل ما قام بها من مانع النظر اليه وهو مرض الرمد فذلك الانكار نفور من النظر الى الضوء مع العلم بوجوده وهو ايضا كانكار الفم طعم الماء لمانع المرض الذي قام بصاحب الفم وليس هو الا النفور من استعماله مع العلم بما هو عليه من حقيقة الطعم المخصوص في نفس الامر قال بعضهم قد اذا دخلت على المضارع للتقليل والحجة لا تقوم بالقليل النادر اذ للخصم ان يقول هذا المثال نادر فلا ينهض حجة على التعجب الا ان النادر لقلته قد لا يصدق على صورة النزاع بخلاف الاكثري فانه مظنة

لوقوعه عليها او يقرب من المظنة فلو اتى الناظم بكم الخبرية مكان قد لكان
اولى لدلالتها على التكثير انتهى قلت التقليل فيها ليس بلازم مع المضارع بل
قد تكون معه للتحقيق قال تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء قد يعلم
الله المعوقين منكم قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون وقال الشاعر
قد اترك القرن مصفرا انامله كان اثوابه مجت بفرصاد ولو كانت للتقليل
فى البيت ما يمدح الشاعر بمعناه وهذه معارضة والا فالجواب الحقيقى ان
يقال سلمنا انها للتقليل وليست لاله وهو مراد الناظم وانما يقوم الحجة به
لانه بقوله قد تنكر العين ما اتى التمثيل ولا بد ان يكون مطابقا للتمثل به
فهو لا يقول لا يعجب من المنكر الحاسد فانه قليل بالنسبة الى من سمع القرآن
وآمن به ممن يفهمه فان الذى ينكره هو ممن يفهم فالناظم يقول لا يعترض على
بذلك الحاسد فانه قليل وذلك متصور كما يتصور انكار العين
للضوء وانكار الفم للماء لمانع فيهما وان كان ذلك نادرا بالنسبة الى الاعين
والافواه الصحيحة ولم يرد الناظم نفى التعجب ممن لم يؤمن بالايات من الكفار
كان ممن يفهمها او لا فانه انما نهى عن التعجب من منكر خاص وهو الحسود المتجاهل
ولو اتى بكم الخبرية لكان التمثيل غير مطابق ولقامت الحجة عليه لا له فان يقال
له اذا كثر منكرها لم يكن فى الظهور بالمنزلة التى ذكرت ولئن سلمنا ما ذكره
المعترض جدلا لان الجواب الحقيقى ما ذكرنا يكون للتقليل من وجه آخر
وذلك ان المنهى عن التعجب قد يدعى استحالة انكار الظاهر فيكفى الناظم
بان امكان المدعى ولو فى صورة واحدة اذ يكفى النقض بجزئية لان نقيض
الكلية السالبة جزئية موجبة وظهر بما قررناه ان الناظم انما اراد
بالحسود المنكر الذى يعلم حقيقة الامر ويتجاهل اقتضاء الحق وقوله تجاهلا
وهو فى غاية الظهور وقد اطال بعضهم هنا فقال قد يوقع الحسد لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فى جحد اعجاز الايات مع العلم به فيظهر عدم دلالتها
تجاهلا وقد يكون الحسد حاجبا للفهم عن ادراك اعجازها والظاهر
من مراد الناظم الاول لكنه لا يوافق الاستدلال عليه بقوله قد تنكر

البيت لان انكار الرمد ضوء الشمس وذو السقم طعم الماء ليس من هذا لان
كل احد لا يسعه انكار وجود الامرين فى الوجود والجواب انهما يصلحان مثالا
للقسمين وان قوله تجاهلا معمول لفعل محذوف واى انكرها تجاهلا
لا حقيقة وقوله قد تنكر البيت جواب عن القسم الثانى ومراده بانكار الارمد
ضوء الشمس منع الرمد اياه من ابصار ضوئها حتى يعتقد انها لم تطلع فوق الافق
ومثله فى منكر طعم الماء لكن باسقاطه حرف العطف من قد تنكر يوهم انه
جواب للقسمين انتهى مختصرا ملخصا ولا يخفى ما فيه من التكلف والخروج عن الظاهر
اما القسم الثانى فليس فى كلامه ما يدل عليه البتة ويلزم على ما قال
فى تجاهلا تهيئة العامل الظاهر للعمل فيه وقطعه عنه وهو ممتنع وما اوقعه
فى هذا التكلف الا خفاء مطابقة التمثيل عليه ومن معنى نهى الناظم
عن التعجب عن انكار المنكر تجاهلا قول الشاعر ما ضر شمس
الضحى والشمس طالعة ان لا يكون راى من ليس ذا بصر وقول الفرزدق فى على
بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم اجمعين حين انى بالطارق فافسح
الناس له هيبة واجلالا وقد كان هشام بن عبد الملك حج تلك السنة
والتمس استلام الحجر فلم يقدر عليه من زحمة الناس وجلس حين طاف فقدم
على بن الحسين ففعل الناس به ما ذكر وهو ينظر فقال رجل من اهل الشام
من ذا الذى اكرمه الناس هذا الاكرام فقال هشام لا اعرفه لئلا يعظم فى صدور
اهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضرا هذا ابن خير عباد الله كلهم
القصيدة بطولها الى ان قال فيها وليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف
من انكرت والعجم ومما يقرب من هذا المعنى قول الشاعر وليس يصح فى الافهام
شىء اذا احتاج النهار الى دليل المعانى جميع المضافات الكائنة فى البيت
الاول اضافتها للاختصاص وال فى العيون والجانى والمحروم جنسية والتنكير
فى معان وفى مدد للنوعية واضافة موج وجوهر للاختصاص وال فى الحسن
والقيم اما للعهد او نائبة عن الضمير وقوله فى مدد وفى الحسن من البيان
بعد الاجمال ففى البيت اطناب وقوله على الاكثار من التتميم واضافة حبل

للتشريف والتعظيم كاضافة قاري و فاعتصم من عطف الانشائية على الخبرية
واوقع الظاهر موقع المضمر في اطفأت حر لظى للتعظيم والتهويل نحو لا ادرى
الموت يسبق الموت شئ وللوزن ايضا واضافات البيت للاختصاص والخطاب
في قوله ظفرت ومثلها من الخطاب العام وال في الحوض والعصاة للعهد
ويبيض الوجوه به من البيان بعد الاجمال وكذا من العصاة وال في الجحيم
وجملة وقد حالية تتميمية او تكميلية وال في الصراط والميزان والناس عهدية
وفي القسط جنسية او عهدية وتنكير حسود وتجاهل للنوعية وتجاهلا
وال في الحاذق الفهم جنسية وكذا هي في العين والشمس والغيم والماء
واضافة ضوء وطعم للاختصاص وتنكير رمد وسقم للنوعية للبيان
اسناد الرد الى البلاغة مجاز عقلي وتشبيه رد البلاغة دعوى المعارض
برد الغيور يد الجاني هو من تشبيه المعقول بالمحسوس وقد يقال انه من تشبيه
المحسوس بالمحسوس باعتبار انصراف مدعي المعارضة جبنا عن التوجه
اليها وانظر هل هو تشبيه مفرد بمثله او من تشبيه اشياء باشياء وتشبيه
معانيها بموج البحر من تشبيه المعقول بالمحسوس واما تشبيه حسنها ومعناها
بما يزيد على حسن الجوهر وقيمته فمن تشبيه المعقول اما بالمعقول واما بالمحسوس
وقوله في مدد وفي الحسن والقيم هو وجه التشبيه الا انه في الاول
واحد وفي الثاني اثنان وقوله قرت به عين قاريها كناية عن السرور
ان كان من القر لان دمعة الفرح باردة كما تقدم هنا لانه لازم للسرور فعبر
باللازم واراد الملزوم او عن بلوغ الامل ان كان من السكون والثبات فان
من منع شيئا يريد تحصيله يضطرب ولا يسكن حتى يناله وكذا لا تزال
عينه تطرف وتطمح اليه حتى يحصل فيستقر واما استعارة الحبل لايات الله
فقد يقال انها تجريدية لان الاعتصام يناسب المستعار له واما فقد استمسك
بالعروة الوثقى فاستعارة العروة للايمان ترشيحية لان الاستمساك يلائم
المستعار منه ووجه استعارة الحبل للعهد ان الحبل سبب يتوصل به الى الاجتماع
وكذا عهد الله يتوصل به الى ثوابه وقوله اطفأت حر لظى من وردها الشيم

قال

قال بعضهم اطفأت اي بحوت مجاز مرسل من اطلاق السبب على المسبب او اللازم
على الملزوم فان اطفاءها سبب للنجاة منها وملزوم لتلك النجاة فاستعارة
الورد للايات ترشيحية لان الشيم مما يلائم المستعار منه ووجه الشبه
ان الماء يطفي وروده حرارة العطش وورد الايات يطفي حرارة جهنم
اعاذنا الله منها بمنه وفضله ويحتمل ان يكون هذا من الاستعارة المكني
عنها بان يشبه الايات في الابعاد من النار بالماء البارد فحذف واثبت
من لوازمه الورد والشيم وهذا ان كان الورد المضاف الى ما ضد الصدر
وان جعلت الورد للحزب من القران فلازم المشبه به هو الشيم خاصة وتشبيهها
بالحوض من تشبيه المعقول بالمحسوس ووجه الشبه حسي وهو قوله تبيض
وهو مركب لقوله من العصاة الى آخر واما قوله كالنجم فمن تشبيه محسوس
بمحسوس وتشبيهها بالصراط والميزان ان اريد العنوان فمعقول بمعقول وان اريد
اللسان فمعقول بمحسوس ووجه الشبه وهو معدلة معنوي ان اريد
العدل والمشبه به ههنا متعدد والمشبه متحد وقوله لم يقم يحتمل
الحقيقة ان كان معناه يثبت ويحتمل المجاز بان يستعار للثبوت انتصاب القامة
والجامع الظهور والاستقامة وقوله وهو عين الحاذق يحتمل ان يكون مجازا
مرسلا من باب تسمية الجزء باسم الكل لان اشرف الاعضاء واقوى
الاسباب الموصلة الى العلم والتمييز العين ولا سيما ان كانت عين البصيرة
البديع الجمع بين الرد والبلاغة والدعوى والمعارض من مراعاة النظير
وكذا بين الغيور والحرم وبين الرد واليد والجاني وفي البيت التسهيم ورد الصدور
على الاعجاز وفيه الطباق الخفي فان بلاغة القرآن حق ودعوى المعارض باطلة
وكذا بين الغيور والجاني فان الغيور لا يحمي لان غيرته تحمله على الصيانة لانه يكره
من نفسه ما يكره من غيره وجمع البحر والموج والجوهر بل والبحر والمدد من مراعاة
النظير وكذا الجوهر والحسن والقيم وفي هذا البيت الثاني الجمع مع التفريق وهو
ان يدخل شيئان في معنى واحد ثم يفرق من جهتي الادخال كقوله وجهك كالنار
في ضوئها وقلبي كالنار في حرها شبه وجه الحبيب وقلب نفسه بالنار

وفرق بين جهتي الادخال فالوجه في صحوتها والقلب في جرها ومنه قوله
تعالى وجعلنا اليل والنهار ايتين فمحونا اية اليل وجعلنا اية النهار مبصرة
وهو في البيت تشبيه كثيرة معاني القران وحسنها وقدرها بالبحر وفرق
بين جهتي الشبه فاما الكثرة فمن جهة فتشبيه موجه في المدد والحسن
والقدر فيزيان على حسن جوهرة وقيمته وفيه طباق خفي فان الموج مما
يظهر على سطح ماء البحر والجوهر مما يرسب في قعره ومن وجه اخران الموج كثير
والجوهر قليل ووجه اخران الموج كمعاني الايات الظاهرة والجوهر كمعانيها الباطنة
ولما كان ادراك الظاهرة اسهل كثرت كالموج وكثر مدركوها ولما كان
ادراك الباطنة اصعب قلت وقل مستخرجوها بالغوص عليها وكذا حين شبه
في الكثرة باعتبار الظاهر سوى في التشبيه فقال كموج وحين شبه في الحسن
والقدر باعتبار الباطنة قال وفوق جوهره وعلى ما قدمنا من راى بعضهم ان
فوق خبر مبتداء مضمر يجوز عوده على الخط الدال على الايات يكون في البيت
استخدام لان ضميرها للالفاظ وهي الخطوط ثم قال فان قيل هل في البيت
تفريق لان موج البحر وجوهره شيئان من نوع واحد منسوبان الى البحر شبه بهما
معاني الايات والجوهر بنفيها قلت لا لان المعاني التي شبه غير التي لم يشبه
نعم يمكن ان يكون هذا من التقسيم الذي يضاف فيه الى كل من المتعدد ما يخصه
من غير الاشتراط نوع المتعدد ولا ايضا دالاحكام بل كيفما اتفق ومنه قوله
نرجا سلوا فحه سومر بينها الاغصان سكرى والحمام متيم هذا مختيل
اذا تنسمت الصبا والورق تذكر بنجوها فترنم انتهى قلت ومن التقسيم
قوله ولا يقيم على ضيم يراد به الا الاذلان غير الحي والوتد على هذا الخسف مربوط
برمته وذا يشج ولا يرثي له احد والظاهر ان ما هنا من الجمع والتفريق كما بينا
ونفي العد والاحصا وذكر العجايب معهما من مراعاة النظير وفي قوله ولا تسام
بالسام على تفسيرنا التجنيس الشبيه بالاشتقاق وعلى تفسير بعضهم تجنيس الاشتقاق
ولا يبعد ان يكون بالسام من الارصاد وفي قرت وقاربها التجنيس الشبيه
بالاشتقاق وفي قرت وعين وفاعتصم مراعاة النظير وكذا حبل الله فاعتصم

وكذا ذكر الظفر معهما والجمع بين الحر ولظى وبين النار والاطفاء من مراعاة النظير
وكذا بين الورد والشيم وبين اللفظين الاولين والاخرين الطباق وكذا بين نار
وشيم او بينهما وبين ورد الاانه على الاخير من الخفي لاستلزام الورد الماء انطر
يكنه وكذا لفظ لظى والطفات بينهما طباق خفي لما في لظى من معنى التسلطي
الذي هو الاتقاد وان اريد بالورد الحزب من القران فهو من التورية المرشحة قال
بعضهم وتعليله اطفا اللهب بتلاوة الايات من حسن التعليل انتهى قلت وذكره
النار في هذا البيت والحوض في الذي قبله من الطباق وكذا تبيض
مع الحم والحوض وتبيض والوجوه من مراعاة النظير وكذا الوجوه والعصاة
والحمم وفي البيت التمليح لاشارة الى ما ورد في الخبر من اغتسال الجهنميين في نهر
الحيوة كما تقدم وقال بعضهم قوله تبيض الوجوه مع قوله وقد جاوه كالحمم
هو من انواع المبالغة الاغراق لانه ممكن في نفسه مخالف للمعتاد وفيه نظير
قد عرنظيره والفاظ الصراط والميزان والمعدلة والقسط ولم يقم من مراعاة
النظير وكذا ذكر الناس معها وقوله لم يقم مع قوله معدلة او مع قوله القسط
من الطباق وجمع الحسود والانكار والتجاهل من مراعاة النظير وكذا الحاذق
والفهم وهما مع صورة التجاهل من الطباق وقوله ينكرها وتنكر وينكر
من التكرير وجمع العين والرمد والضوء والشمس من مراعات النظير الفم والطعم
والماء والسقم وكذا العين والفم وكذا الضوء والطعم لانهما من المدركات بالحواس
الظاهرة وتقدم في البيان ان قوله قد تنكر البيت من التمثيل وقال بعضهم من
رمد ومن سقم من حسن التعليل لانه من سببية قلت وليس منه لان ادعاء التعليل
لهذين الوصفين باعتبار حقيقي فهما متناقضان ولاجل ان التعليل حقيقي
كالبيتان الاخيرتان من المذهب الكلامي والاخبار عن العين بانكار الضوء وعن الفم
بانكار الطعم من التقسيم قال بعضهم وقوله ينكر الفم اي يكره واستعمال
الانكار في الاكراه استعمال للفظ المرجوح من معنيه فهو من التورية قلت ولعله
من الكناية لكان اقرب الاعراب بلاغتها فاعل ردت ومضاف اليه دعوى
مفعول به معارضها مضاف اليه بنحو ورد الغيور مصدر شبه به اي ردا مثل رد

وتقدم نظيره وعامله ردت الجاني مفعول بالمصدر ومضاف اليه وعن الجرم
متعلق بالمصدر ايضا وجملة ردت يحتمل ما يحتمل جملة ما حوربت وجزء بعضهم
باستينا فما لها خبر مقدم معان مبتداء ورفعه لضمة مقدرة في الياء المحذوف
اذ اصله معاني غير منصرف لانه جمع لا نظير له في الاحاد فاستثقلت فكنت
لخفاء التنوين فحذفت للساكنين هذا مذهب الزجاج وذهب سيبويه الى ان التنوين
عوض من الحرف فاعتبر سيبويه الحركة على حرف العلة مع ثقل الوزن قال
فحذفوا الحرف بحركته وعوضوا منه التنوين فالتنوين عنده عوض من الحرف
وعند ابي اسحق من الحركة وفيه مذهب اخر وكموج صفة لمعان في مدد
متعلق بالظرف او بما يتعلق به وان جعل بالصفة وفوقا خبر مبتدأ محذوف
كما تقدم او عطف على الصفة فهو صفة مثله وهو من ظروف المكان حقيقة
ثم قد يتجوز به الى المعاني فيكون الفوقية في الرتبة والشرف لهذا الموضع وفي الحد
متعلق بالظرف او بما يتعلق به وان جعل فوق خبر مبتدأ فجملته وجملة لها
معان يحتملان الاستيناف والخبرية وكذا جملة فما وما عطف عليها كعطفها
على جملة لها وعجايبها يطلبه تعد وتحصى والعامل فيه عند البصريين على
المختار عندهم في مثله يحصى وفي تعد ضمير يعود على عجايبها النايب عن
الفاعل وهذا من المواضع التي يكون فيها الاضمار قبل الذكر واختار الكوفيون
العكس وقال الفراء انه معمول لهما ورد بانه لا يتحد معمول عاملين كل
منهما مستقل ولا تسام عطف على لا تحصى ومفعوله النايب يعود على الايات
او على المعاني او على العجايب وعلى الاكثار وبالسام يتعلقان تسام وعلى الحفا
والباء للالصاق وجملة قرت كالجمل قبلها قيل وابدال الهمزة فاء بياء
لكسر ما قبلها على غير قياس كابدالها الفا بعد الفتحة وقياسهما التسهيل بين بين
لا ان ابدالهما كما قبلهما ضرورة يجوز في الشعر قلت عطف على قرت والفاء
سببية ولام لقد جواب قسم مقدر وقد مع الماضي تقربه من الحال ويجل
يتعلق بظفرت وبعد تعلقه باعتصم لاجل الفاء العاطفة على ظفرت والقسم
وجوابه مقول القول تليها فعل مضارع مجزوم بان وحذف لامه التي هي واو

علامة

علامة للجزم وها مفعول له وفاعله ضمير المخاطب وخيفة مفعول من اجله
او مصدر في موضع الحال اي خائفا ومن حر يتعلق بخيفة ولظى لا ينصرف للتانيث
والتعريف لانه علم لطبقة من طباق جهنم اعاذنا الله منها بمنه وفضله منقول من
اللظى بمعنى اللهب وجملة اطفأت وما يتعلق بها جواب الشرط وهو ماض لفظا مستقبل معنى
والاحسن في جواب الشرط المجزوم ان يكون مجزوما مثله وكونه مبنيا كما هنا ضعيف
عنه لان فيه تهيئة العامل الذي هو حرف الشرط للعمل وقطعه عنه ويغتفر في الشعر
لانه محل الضرورة قلت وهذا التعليل منتقض بما اذا كانا ماضيين ومثل ما هنا
في بعض روايات الحديث من يقم ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من
ذنبه وما تاخر ومن في من وردها للتعليل او للتبعيض والشيم نعت لورد والجملة
الشرطية الاظهر فيها الاستيناف فلا محل لها ويحتمل الخبرية وكذا جملة كانها
مع احتمالها ان يكون خبر مبتداء مضمر او حالا من ورد وفيه نظر وجملة تبيض
الوجوه به حال من الحوض والعامل في الحال كان بما فيها من معنى التشبيه
اي تشبهه الحوض في هذا الحال ومن العصاة حال من الوجوه وجملة وقد
جاؤه حال من العصاة او من الوجوه واسناد تبيض اليها مجاز على حذف
مضاف اي ذي الوجوه وعلى هذا المحذوف يعود فاعل جاؤه وكالحمم حال من فاعل
جاء اي مشبهين ومن في من العصاة للتبعيض واجاز الاسناد القضاعي تعلقه
بتبيض قال فلا محل له قلت مثل هذا يقع في عبارة بعضهم من ان المجرور
او الظرف اذا تعلق بالظاهر لم يكن له محل من الاعراب وليس بصحيح بل هو
في محل نصب على المفعولية وكالصراط وكالميزان معطوفان على كانها اي كالحوض
وكالميزان وقال بعضهم الاحسن ان يكون وكالصراط خبر مبتداء اي هو
اذ لو عطف على الحوض كان المعنى وكانها كالصراط فيصير تشبيها مركبا كقولك
كان زيدا العمرو فكان والكاف كلاهما للتشبيه فيصير بحق زيد كمثل عمرو وانتهى
قائله ومعدلة تمييز منهما معا او كالميزان خاصة ولذا اعاد العامل مع الميزان
وتمييز كالصراط محذوف لدلالة المعنى عليه اي استقامة والقسط مبتدأ وفي
يوم خبر وبه يتعلق المجرور ان قبله والجملة عطف على الجمل قبلها لا ناهية يجزم

فى محل جزم بلا وهو مبنى على الفتح لتوكيده بالنون الخفيفة والمحسود يتعلق
ولامه للتعليل وراح ماض وفاعل وبنكرها حال من هذا الفاعل ومن راها
من اخوات كان بجعل الضمير اسمها وبنكرها خبرها وجملة راح بنكرها
مجاهاة وجملة وهو عين الحاذق الفهم حال من فاعل ينكر ومن زمد
يتعلق بتنكر ومن للتعليل ونظيره من سقم ولا محل للجملة قد تنكر وما عطف
لانها تعليلية مهما مستانفتان الاشارات تقدم فى اشارات الابيات التى قبل هذه
انها وهذه اشارة الى فضيلة ايات القرآن وقوله ردت بلاغتها البيت كما رد
بلاغة ايات الكتاب العزيز دعوى معارضها الرد المذكور اذ ليس له
الا مجرد الدعوى كذلك ردت مخلوقات الله ومصنوعاته لما فيها من الحكم
والاتقان والدلالة على كمال العلم والقدرة والارادة وجميع اوصاف
الكمال دعوى الجاهل المطموس لبصيرة الربوبية وخلق شئ ولو لا افعال
هل من خالق غير الله هذا خلق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه ان الذين
تدعون من دونه لن يخلقوا ذبابا الاية فمن تحقق بلا اله الا الله ومصنوعاته
ان الله لا خالق غيره لشئ من الاشياء وان قل كيف يطمئن فى سمع من ظن
لغير الله ممن لا يملك مثقال ذرة من المخلوقين فينبغى ان يرد العاقل بدلائل
القرآن العظيم وغيرها مما يرد عليه فى خواطر نفسه من الركون الى غير الله
الذى هو كدعوى معارضة الربوبية فى الافعال والكلام ويغار وينفر
ان يخطر ذلك بباله ردا اكرة الغيور يد الجانى عن الحرم وكذا ايضا يرد
بايات الله القرآن اهتمامه بالمعاصى فان فى المعاصى مخالفة وهى نوع من دعوى
المعارضة ردا اكرة الغيور يد الجانى عن الحرم فان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه
ولذا كان عذاب القارئ العاصى اشد من عذاب غيره لانتفاء عذره لان من اعطى
القرآن والحكمة فقد اعطى خيرا كثيرا ومن اعطى الخير ولم يستعمله حقيق بتشديد العذاب
عليه ومن عدم قبوله ما اعطى وهى ان يعتقد فى غيره ممن اعطى المال ولم يعط
القرآن انه اعطى افضل مما اعطى وهى نهاية الغباوة والجهل فانه لو خير
بين ان لا يحفظ اقصر سورة وبين ان يعطى ملك الدنيا لما اختار الا حفظ

الصورة فكيف بمن اعطى من فهم معانيه التى هى كموج البحر فى مدد ما قدرله
فانه ما من معنى من تلك المعانى التى ادركت الا وهو خير من الدنيا وما فيها
وقدره فوق جوهر البحر فى مدد ما قرأه فانه ما من معنى حسنه وقيمته
واذا كانت فوقه فى ذلك فوقه غير محصورة فما تعجب منها من العجائب
لا يعد ولا يحصى لا كما يعجب من جوهر البحر فانه شئ واحد وهو نوع من
الزينة وهو معرض للسآمة منه والملك من تكرار النظر اليه وان قل
حتى لو وجد ما هو احسن منه لا يتدبه ومعانى القرآن لا تسام على الاكثار والدوام
بالسآم بل لا تزداد الا حلاوة اذ لا شئ فوقها فى معناها ارفع منها تطمح
العين اليه فلذ للشاذ احصلها قاربها تقر عينه ولا تطمح الى ورائها
لانها غاية السؤال والامل وحينئذ يهنئ ويقسم له فيقال والله لقد
ظفرت بهذا بحبل الله وهو ما امر خلقه ان يتمسكوا به فتحصل لهم العصمة
فلذا يقال للقارئ اعتصم واى تقر العين بجوهر البحر وهى تطمح الى ارفع
منه وهو الياقوت مثلا والذهب الذى هو غاية المقومات الرفيعة وشتان
بين ما يحاسب عليه الانسان ويخاف من الاستكثار منه العذاب
ولو لم يكن منه الا الحساب لكفى ومالك من اين اكتسبته وفيم انفقته
وبين ما تكون تلاوته سبب النجاة من عذاب النار فجوهر البحر يخاف العذاب
على كسبه وجواهر القرآن ومعانيها تطفئ تاليها بالاعتبار من ما يخافه من
نار لظى من اجل ما حصل له من ورد ماء بحرها الشيم فينجوا من لهبها ويغرف
عنها مبيض الوجه بتلاوة القرآن كانها الحوض الذى تبيض وجوه الصادقين
بسببه اوفيه والحال الاثم قد حاقه كالجسم من احراق النار وما اخفه
بذلك فان القرآن عدل لا ميل فيه ولا حيف فصاحبه ينبغى ان يكون على
الاستقامة لا يحيف ولا يميل والا لم يكن صاحبه على الحقيقة ولا ينتفع
بل يكون عليه وبالا ومن استعمل العدل فى شانه استقام على الصراط
وقام ميزانه بالعدل لان من ابتغى الهدى من غيره اضله الله فالعدل
لا يوجد من غيره فلا تعجبن لحسود راح ينكرها الى آخره بل فاعجبن

من حسود ادرك منزلتها وفضيلة القيام بها يسعى في اتلافه ذلك ليس
العجب ممن هلك كيف هلك بل العجب ممن نجا كيف نجا وقليل ما هم اذ لا
ينجو من بعث النار الا واحد من مائة الف ولا يرد حوض النبي عليه الصلوة
والسلام من امته لقلتهم في جنب من يرد عنه لكثرتهم الا مثل ما يتقلل
من نعم الراعي حيث يسوقها من الله علينا بالنجاة من فتن الدنيا المضلة
ومهالك الاخرة بمنه روينا في صحيح البخاري في ترجمة باب الحوض من حديث
ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما انا نايم
وفي رواية قايم اذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال
هلم فقلت اين قال الى النار والله قلت ما شانهم قال انهم ارتدوا
بعدك على ادبارهم القهقرى ثم اذا زمرة حتى عرفتهم خرج رجل من بيني
وبينهم فقال هلم فقلت اين قال الى النار والله قلت ما شانهم قال
انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى فلا اراه يخلص منهم الا مثل همل النعم
انتهى فمن اراد النجاة فليعتصم بحبل الله من الكتاب والسنة فحينئذ يطفي
حر لظى ويبيض وجهه تركت فيكم شيئين لن تضلوا ما مسكتم بهما كتاب الله
وسنتي فليسع العاقل في الاعتصام بهما فالتمسك باذيالهما والاجتهاد
في تتبعهما ويحسد من حصل له ذلك لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه الله
مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل اتاه الله الحكمة فهو يقضي بها
ويعلمها وهذا الحسد هو شدة الحرص والرغبة فهو في الحقيقة غبطة
وهو ان يتمنى ان يكون له من النعمة مثل ما لغيره من دون ان تزول عن الغير
ولو تمنى زوالها عن الغير مع ذلك لكان الحسد المذموم الذي ياكل الحسنات
كما تاكل النار الحطب اليابس كحسد منكر الايات تجاهلا نعوذ بالله منه
فان الله ختم به السورة التي جعلها عوذة فقال جل جلاله ومن شر حاسد
اذا حسد وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
قال ثلث هن اصل خطيئة فاتقوهن واحذروهن اياكم والكبر فان
ابليس حمله الكبر ان لا يسجد لادم عليه السلام واياكم والحرص فان ادم

حمله الحرص على ان اكل من الشجرة واياكم والحسد فان ابني ادم انما قتل
احدهما صاحبه حسدا وقد قيل الحاسد جاحد لانه لا يرضى بقضاء
الواحد والحسود لا يسود وقد قيل ان الذي بطن في قوله تعالى
انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن وقيل لاعرابي عاش مائة وعشرين
سنة ما طول عمرك قال تركت الحسد فبقيت وفي السماء الخامسة ملك
اذا مر به عمل عبد له ضوء كضوء الشمس يقول له قف وانا ملك الحسد
اضرب به وجه صاحبه فانه حاسد وقال عمر بن عبد العزيز ما رايت
ظالما اشبه بمظلوم من الحاسد غم دايم ونفس متتابع قيل الحسود اذا
تنفس صعدة يا ظالما وكانه مظلوم وقد لا يعود ضرر الحسد الا على صاحبه
قال اصبر على مضض الحسود فان صبرك قاتله فالنار تاكل نفسها
ان لم تجد ما تاكله كما انه قد لا ينفع الا المحسود قال شعر

واذا اراد الله نشر فضيلة ... طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عرف العود

وكثيرا ما يضر المحسود حتى قيل اذا اراد الله ان يسلط على عبد عدوا لا يرحمه
سلط عليه حاسدا كل العداوة قد ترجى ازالتها الا عداوة من عاداك
من حسد وناهيك من ظلمة الحسد ان منعت الاستضاءة بانوار ايات الله
حتى انكرها الحاسد تجاهلا منه وهو الكامل الحذق لكن مانع الحسد منعه
كما منع الرمد عين صاحبه من الاستضاءة بنور الشمس المحسوس حتى للخفافيش
فلذا يحتجب من وجوده ويحرج حين يفقد وما وسعه انكاره كما انكره صاحب
الرمد وما ذاك الا لبغضه صاحب الرمد فيه لما انه يوذيه وكذا انكار الفم
طعم الماء من سقم اعاذنا الله من حسد ليسد باب الانصاف ويصد عن
جميل الاوصاف والهمنا شكرا يقتضي توالي الالاء ويقضي بانقضاء الاواء
بمنه وفضله

وصل

يا خير من يمم العافون ساحته ... سعيا وفوق متون الاينق الرسم
ومن هو الاية الكبرى لمعتبر ... ومن هو النعمة العظمى لمغتنم

سريت من حرم ليلا الى حرم | كما سرى البدر في داج من الظلم
وبت ترقى الى ان نلت منزلة | من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم
وقدمتك جميع الانبياء بها | والرسل تقديم مخدوم على خدم
وانت تخترق السبع الطباق بهم | في موكب كنت فيه صاحب العلم
حتى اذا لم تدع شاوا لمستبق | من الدنو ولا مرقى لمستنم
خفضت كل مقام بالاضافة اذ | نوديت بالرفع مثل المفرد العلم
كيما تفوز بوصل اي مستتر | عن العيون وسر اي مكتتم
فحزت كل فخار غير مشترك | وجزت كل مقام غير مزدحم
وجل مقدار ما وليت من رتب | وعز ادراك ما اوليت من نعم
بشرى لنا معشر الاسلام ان لنا | من العناية ركنا غير منهدم
لما دعا الله داعينا لطاعته | باكرم الرسل كنا اكرم الامم

الغريب يممته وتيممته قصدته وتيممت الصعيد للصلوة واصله التعمد والتوخي من قولهم تيممتك وتاممتك ويمموا صعيدا طيبا اقصدوا والام ايضا بفتح الهمزة القصد امه وامه وتامه قصده والعافون جمع سلامة طلاب المعروف واحدهم عاف والعافي طالب المعروف وجمع تكسيره عفاة وقد عفا يعفو وعفوته واعتفيته اذا اتيته تطلب معروفه وفلان تعفوه الاضياف وتعتفيه الاضياف وهو كثير العفاة وكثير العافية وكثير العفى ولام العافي واو قلبت في المفرد لتطرفها وانفتاح ما قبلها فلما جمع صار العافيون فحذفت الضمة استثقالا ثم الياء للساكنين وابدلت كسرة الفاء ضمة لتصح الواو والساحة الناحية والفضاء وقال الجوهري ساحة الدار باحتها والجمع ساح وساحات وسوح كبدنة وبدن وقيل الدار لا تمنع منع بيوتها او من باح يبوح اذا ظهر والسعي المشي وقال الجوهري سعى الرجل سعيا عدا وكذا عمل وكسب وكل من ولي شيئا على قوم فهو ساع عليهم وساعاني فسعيته اسعيه اي غلبته في السعي والمتن الظهر وجمعه متون واصله ما اكتنف الصلب عن يمين

وشمال من عصب ولحم يذكر ويؤنث ومتنت الرجل متنا ضربت متنه ومتن السهم ما دون الريش منه الى وسطه ورجل متين من الرجال اي صلب والاينق جمع ناقة وهو مقلوب واصله انوق جمع قلة استثقلوا ضمة الواو فقدموها فقالوا اونق حكاها يعقوب عن بعض الطائيين ثم عوضوا من الواو ياء فقالوا اينق ثم جمعوها على ايانق وقد يجمع الناقة على نياق كثمرة وثمار وصارت الواو ياء لكسر ما قبلها وبعير منوق مذلل مروض وناقة منوقة والنواق من الرجال الذي يروض الامور ويصلحها وفي المثل استنوق الجمل اي صار ناقة يضرب لمن ياخذ في حديث وصفة ثم يخلطه بغيره واصله ان طرفة بن العبد كان عند بعض الملوك والمسيب بن علس ينشد شعرا في وصف جمل ثم حوله الى نعت ناقة فقال طرفة قد استنوق الجمل والرسم بضم الراء والسين جمع رسوم يقال ناقة رسوم يؤثر في الارض من شدة الوطء ورسمت ترسم رسيما ورسمت له كذا فارتسمه اذا امتثله والثوب المرسم بالتشديد المخطط ورسم علي كذا كتب والرسيم ضرب من سير الابل فوق الذميل رسم يرسم بالكسر رسيما ولا يقال ارسم والرسوم الذي يبقى على السير يوما وليلة والكبرى تانيث الاكبر وكبر يكبر كبيرا اسن وكبر يكبر بكسر الباء ومنه علاه الكبر والاسم الكبرة بالفتح علته كبرة وجمع الكبرى الكبر وجمع الاكبر الاكابر والاكبرون لا كبر لان هذه البنية للصفة خاصة كالاحمر ولا يقال رجل اكبر حتى يوصل بمن او ال والمكبور الكبار وتوارثوه كابرا عن كابر اي كبيرا عن كبير في العز والشرف واكبرت الشيء استعظمته والتكبير والتعظيم والتكبر والاستكبار التعظيم معتبر اسم فاعل من اعتبرت الشيء اذا صرفت فكرك اليه ومنه فاعتبروا يا اولي الابصار والاسم من الاعتبار العبرة ومنه ان في ذلك لعبرة النعمة واحد النعم وهو رغد العيش واليد والمنة والصنيعة وما انعم به عليك وكذلك النعمى وان فتحت النون مددت والنعيم مثله وفلان واسع النعمة اي المال وربما تمت الى الخط تثبت التاء في الوقف والنعم بالضم خلاف البؤس يوم نعم ويوم بؤس والجمع انعم وابؤس ونعم بالضم نعومة صار ناعما لينا وكذا نعم ينعم كفرح يفرح وفيه لغة

ثالثة مركبة بينهما نعم ينعم كفضل يفضل ورابعة بالكسر فيهما وهو شاذ والنعمة
بالفتح التنعيم نعمة الله ونا عمه فتنعم وامرأة منعمة ومناعمة بمعنى ورجل منعام
اى مفضال ونعمته ارض كذا وافقته وانعم الله عليك من النعمة وصبحك
من النعومة وبك عينا اى اقرالله عينك بمن تحبه وكذا نعم الله بك علينا
نعمة كنزهة ونعمك عينا مثله وانعم له قال نعم وفعل كذا وانعم اى زاد
ونعمة العين بالضم قرتها ونعم عين ونعامة عين ونعمة عين ونعمى عين
كله بمعنى اى افعل ذلك كرامة لك وانعاما بعينك ومادة النعمة كثيرة وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها العظمى تأنيث الاعظم وتقدمت المادة مغتنم
اسم فاعل من اغتنمت الشئ اى اتخذته غنيمة واغتنمته وتغنمه عده غنيمة
والمغنم والغنيمة بمعنى وغنم القوم غنما بالضم وغناما ك ان تفعل كذا
اى غانيك والذى تغتنمه وغنمته تغنيما نفلته سرى واسرى اذا سار ليلا
والجمهور انهما بمعنى وقال التسهيل سرى لازم واسرى متعد لكن كثر حذف مفعوله
فظن اهل اللغة انهما بمعنى وسبحان الذى اسرى بعبده اى اسرى البراق
بعبده فحذف المفعول استغناء عنه لان المقصود بالخبر ذكر محمد صلى الله عليه وسلم
او حذف لقلة الدلالة عليه قال واتفق الرواة على تسميته اسراء
ولم يقل احد منهم سرى قلت وقد تقدمت المادة فى قوله نعم سرى ولا يخفى
على ائمة اللغة ما ذكر ومن حرم اى من مكة فقيل من المسجد الحرام وهو الظاهر
وقيل من بيت ام هانى بنت ابى طالب قلت الا ان يكون بيتها حينئذ ملاصقا
للمسجد فيتفق القولان وقد قيل المراد بالمسجد الحرام فى الاية الحرم كله احاطة
بالمسجد الى حرم اى بيت المقدس وهو المسجد الاقصى ومكة حرم الله اولم
يروا انا جعلنا حرما امنا والحرمان مكة والمدينة والحرمى الرجل المنسوب
الى الحرم وتقدمت المادة لما درت الشمس بالطلوع كانه يجعلها الغيب وقيل
لتمامه وتقدم دجا الليل ويدجو دجوا فهو داج اى اظلم والدجى الظلمة
وليلة داجية ودجى الليل وادجى وتدجى ودياجيه حنادسه كانه جمع ديجاة
قال الاصمعى دجى الليل انما هو البس كل شئ وليس هو من الظلمة ومنه

قولهم دجى الاسلام اى قوى والبس كل شئ والظلم جمع ظلمة وتقدمت المادة
وبات يبيت ويبات بيتوتة يقول ابانك الله بخير وبات تفعل كذا
اذا فعله ليلا كما يقال ظل يفعله اذا فعله نهارا وبيت العدو اوقع بهم ليلا
والاسم البيات وبيت امر دبره ليلا وبيت الشئ قدره وماله بيت ليلة بكسر
الباء وبيته ليله اى قوت ليلة والبايت والبيوت الغاب يقال خبز بايت
والبيوت ايضا الامر بيت عليه صاحبه مهتما به ترقى تصعد ورقيت فى السلم
بالكسر رقيا ورقيا اذا صعدت وارتقيت مثله والمرقاة بالفتح الدرجة
ومن كسر شبهها بالالة التى يعمل بها ومن فتحها قال هذا موضع يفعل
فيه ورقى عليه كلاما ترقيه رفع وترقى فى العلم رقى فيه درجة درجة وارق
على ظلعك اى امش واصعد بقدر ما تطيق ولا تحمل على نفسك ما لا تطيقه
نلت تقدم والمنزلة قال الجوهرى المرتبة لا تجمع فتامله واستنزل حط عن
مرتبته والمرتبة هو المراد هنا والمنزلة ايضا المنزل المنهل والدار ابن الاعرابى
وجدت القوم على نزلاتهم اى منازلهم ومنزلا مباركا الانزال وبفتح الميم والزاى
النزول الحلول وقاب قوسين اى مقدار قوسين وقاب قوس قدر طولها
وقيل قدر الوتر منها قال الجوهرى ويقول بينهما قاب قوس وقيب قوس
وقاد قوس وقيد قوس اى قدر قوس والقاب ما بين المقبض والسية ولكل
قوس قابان وقيل فى قوله تعالى فكان قاب قوسين ان الاصل قابى
قوس فقلب لم تدرك اى لم يبلغها احد والادراك اللحوق ومشيت حتى ادركته
وعشت حتى ادركت زمانه وادرك الغلام والثمر بلغ وادركته ببصرى رأيته
والدراك الكثير الادراك وقلما يجئ فعال من افعل الا قولهم حساس دراك لغة
وازدواج ونعت فروع لا حاجة اليها ولم ترم اى لم تطلبها احد لا نتقاع
مكانها وبعد شاؤها ورمت الشئ اورومه طلبته ورموته ورومت جعلته
يطلب الشئ والمرام المطلب واصل ترم تروم نقلت حركة الواو التى هى
عين الكلمة الى الساكن الصحيح قبلها ثم قلبت الواو الفا لسكونها وانفتاح
ما قبلها وتحركها فى الاصل وانفتاح ما قبلها فى الحال ثم سكنت الميم للجزم فحذف

الالف لالتقاء الساكنين وقدمتك اى صيرتك مقدما بين يديها وقيل
التقديم هنا فى الرتبة والمكانة ولذا شبهه بتقديم المخدوم على خادمه
واقدمه وقدمه بمعنى وقدم بين يديه تقدم ومنه لاتقدموا بين يدى الله
ورسوله والمخدوم من له خادم تخدمه اسم مفعول من خدمه يخدمه والخادم
واحد الخدام غلاما كان او جارية واخدمه اعطاه خادما ومخدومون
اى مخدومون يراد به كثرة الخدم والحشم ورجل مخدوم له تابعة من الجن
والخدم قيل جمع تكسير لخادم وقيل اسم جمع لا جمع لان فعلا لم يطرد فى فاعل
وانما سمع منه الفاظ يسيرة منها غايب وغيب ورايح وروح ومخترق مصدر
واخترق الارض اذا مشى فيها عرضا على غير طريق وقال الجوهرى خرقت الارض
جبتها والخرق الارض الواسعة تخرق فيها الرياح وجمعها خروق والخريق
المطمئن من الارض وفيه نبات والجمع خرق والخريق الريح الباردة الشديدة
الهبوب واختراق الرياح مرورها ومنخرقها مهبها والمخترق الممر السبع
بغير هاء للمونث وبالهاء للمذكر وهذا الحكم فى ثلثة وعشرة وما بينهما والمراد
هنا السموات وهى مونثة فلذا اسقط الياء والسموات طباقا اى بعضها
فوق بعض وطباق الارض ما علاها وطباق الناس على مراتبهم قيل ومن المعنى
طابقت النعل اذا خصفتها بعضها فوق بعض بالخرز الموكب القوم الركوب
على الابل للزينة وكذلك جماعة الفرسان وقد اوكب البعير اذا لزم الموكب
واكبت القوم ركبت معهم او سابقتهم والموكب ايضا بانه من السير العلم
الراية وعلم الثوب ايضا ويقرب من المادة فى معنى الاشتهار علم الرجل يعلم علما
اى صار اعلم وهو المشقوق الشفة العليا والمرأة علماء الشاو الغاية والامد
وعدا شاوا اى طلقا وهو الشوط فى جرى الخيل والشاء والجد شاو تميم شاوا
سبقتهم وشاة على فاعله اى سابقة وشاة ايضا مثل شا على القلب اى سبقه
والشاو ايضا ما اخرج من تراب البير مثل الشاة وهو الزبيل يقال اخرج شاوا
وشاوين المسبوق المبتدر للشئ اسم فاعل من استبق ومعناه تسابق واستبقا
فى العدو اى تسابقا وقيل فى قوله تعالى ذهبنا نستبق اى ننتضل وسابقته

فسبقته

سبقا وله سابقة فى هذا الامر اى سبق الناس اليه والسبق بالتحريك الخطر الذى
يوضع بين اهل السباق والدنو القرب دنا يدنو وادنى غيره وسميت الدنيا
لدنوها والجمع دنا ككبر واصله دنو حذفت الواو للساكنين والنسبة اليها
دنياوى ودنيوى ودنيى وادنت الناقة دنا نتاجها وداينت بين امرين دانيت
قاربت قرابة وما تر دادمنا الا قربا ودناوة والدنى غير مهموز القريب ولقيته
ادنى دنى اول شئ واما المهموز فالدون ودنى فى الامور تدنية يتتبع صغيرها
وخسيسها وفى الحديث اذا اكلتم فدنوا اى كلوا مما يليكم وتدنى اى دنا
قليلا وتدانوا دنا بعضهم ببعض وابن عم دنى بتثليث الدال فان ضممت لم
تصرف وان كسرت فالوجهان فان اضيف العم الى معرفة لم يكن دنى بعد صفة
لان المعرفة لا توصف بالنكرة نحو هو ابن عمه دنى وتنبيه اى لحا والمرقى جمع مرقاة
اى الدرجة موضع الرقى الى الصعود كما تقدم فى هذا الفصل ومستنم اسم
فاعل من استنم اى علا والمعروف تسنم يقال تسنم الحائط اى علاه وتسنم البعير
الناقة ركبها وقوله تعالى ومزاجه من تسنيم قالوا هو ماء فى الجنة سمى بذلك
يجرى فوق الغرف والقصور وما سنم على وجه الارض وتسنيم القبر ضد تسطيحه
واسنم الدخان ارتفع وبعير سنم عظيم السنام وبنت سنم مرتفع خرجت سنمته
وهو ما يعلو رأسه كالسنبل والسنام واحد اسنمة الابل وسنام الارض وسطها
وسطها واسنمة بفتح الهمزة وضم النون اكمة معروفة بقرب طخفة الخفض
قيل ضد الرفع وهو الانحطاط وقال الجوهرى الخفض السير اللين ضد
الرفع يقال بينى وبينك ليلة خافضة اى هينة السير وخفض الصوت
غضه وخفض عليك القول والامر اى هون والخفض والجر عند النحاة
بمعنى وهما فى الاعراب كالكسر فى البناء والانخفاض الانحطاط والله يخفض
ويرفع اى يضع المقام بفتح الميم قد يكون موضع القيام فيتجوز به الى المنزلة
والرتبة فيقال مقام فلان اى منزلته وقد يكون مصدرا كان المضموم
الميم فى الزايد على الثلاثى كذلك ولا مقام لكم الموضع وقرئ بالفتح والضم
وحسنت مستقرا ومقاما الموضع بالاضافة اى صيرت كل مقام محطا

بالنسبة الى مقامك ونوديت من النداء بالمد وهو الصوت وقد يضم كالدعاء
ونادا دصاح به وتنادوا نادى بعضهم بعضا الرفع ضد الوضع ومرفوعها
ضد موضعها والرفع تقريبك الشئ وفرش مرفوعة قيل مقربة لهم ومنه
رفعته الى السلطان ومصدره الرفعان وقال الفراء بعضها فوق
بعض وقيل نساء مكرمات والله يرفع ويخفض وفى صوته رفاعة بفتح
الراء وضمها ورفع الرجل بالضم صار رفيع الصوت ورفيع اى شريف وقد
يقال منه رفع رفعة اذا ارتفع قدره اولا قولان مثل كلمة تسوية يقال
مثله ومثله كشبهه وشبهه وقولهم هو مثله وهو امثالهم يريدون
تحقير المشبه والمشبه به المفرد الذى لا يماثله احد فى جنسه كانهم افراد
لما بان عنهم بصفته اعلام القوم ساداتهم الواحد علم كى مخففة قال
الجوهرى جواب لقولهم لم فعلت كذا فيقول كى يكون كذا وهى للعاقبة
كاللام وينصب الفعل المستقبل وقال غيره معناها التعليل وتكون حرف جر
فى لغة من قال كيم فعلت فاذا وقفت على اسم الاستفهام قلت كيمه كما يقال لمه
وهؤلاء اجروها مجرى حروف الجر والفعل بعدها منصوب بان مقدرة وان
والفعل بتاويل مصدر مخفوض بها ويكون بها ويكون ناصبه فى لغة من قال
لكى اسير معك فادخل عليها حرف الجر نحو لان اسير فهو مصدر بتاويل
مع الفعل المصدر مخفوض باللام الفوز هنا النجاة والظفر بالخير وهو ايضا
الهلاك يقول منهما فاز يفوز وفوز اى مات وافازه الله تعالى بكذا فغاز
اى ذهب به فلا تحسبنهم بمفازة اى بمنجاة وهو ايضا واحد المفاوز سميت
بذلك لانها مهلكة من فوز اى هلك وقيل تفاولا بالسلامة والفوز
وفوز بالله ركبها المفازة والمفازة مظلة ممد بعمود اى صفة للنكرة
وحال من المعرفة مستتر اى مغط محجوب عن العين اسم فاعل من استتر
افتعل من الستر بالفتح مصدر سترت الشئ استره اذا اعطيته فاستتر هو
وتستر اى تغطى وجارية مسترة اى مخدرة وحجابا مستورا اى حجاب على حجاب
الاول مستور بالثانى يراد به كثافة الحجاب وقيل بمعنى ساتر ورجل مستور

وستير

وستير اى عفيف والجارية ستيرة والستور واحد الستور والاستار والسترة
ما يستر به كائنا ما كان وكذا الستارة والجمع الستائر الستر الذى يكتم
مكتتم مخفى وقد تقدم حاز الشئ يحوزه حوزا اى ضمه الى ملكه وقال الجوهرى
الحوز الملك وكل من ضم الى نفسه شيئا فقد حازه حوزا وحيازة واحتازه ايضا
الفخار بفتح الفاء مصدر فخر يفخر فخرا وفخارا وهو التمدح وبالكسر مصدر فاخره
مفاخرة وفخارا والفخر الافتخار كنهر ونهر وفخر وافتخر وتفاخر القوم والفخير
الذى يفاخر ومثاله الخصيم والفخير كثير الفخر كالسكير والتفخر التعظم
والتكبر ومتفخر متفحش وفاخرته ففخرته افخره فخرا كنت اكرم منه ابا واما
وافخرته على فلان فضلته عليه فى الفخر وكذا فخرته عليه تفخيرا والمفخرة
بفتح الخاء وضمها المأثرة وفرس فخور عظيم الجردان ونخلة فخور عظيمة الجذع
غليظة السعف وناقة فخور عظيمة الضرع ضيقة الاحاليل مشترك
يصح ان يضبط بكسر الراء صفة له صلى الله عليه وسلم اى غير مشترك فى ذلك
الفخار مع غيره وبفتحها صفة للفخار اى فخار غير مشترك فيه اى لا شركة لاحد
معك فيه اسم فاعل على الاول واسم مفعول على الثانى وكلاهما من شرك
الا انه لما لم يكن متعديا كان اسم المفعول منه مقدرا معه فى اى مشترك فيه
وشريك وشركا واشراك والمراة شريكة وجمعها شرائك وشاركته صرت شريكه
واشتركا وتشاركا فى كذا وشركته فى البيع والميراث اشركه شركة والاسم
الشرك ورايت فلانا مشتركا اى يحدث نفسه كالمهموم واشركه فى امرى
اجعله شريكى فيه وجزت الوادى جوازا واجازه بمعنى اى قطعته وقيل جزته
مشى فيه واجازه خلفه وقطعه قال الجوهرى جزت الموضع اجوزه
جوازا اسلكته وسرت فيه واجزته خلفته وقطعته قال امرؤ القيس
فلما اجزنا ساحة الحى وانتحى بنا بطن خبت ذى قفاف عقنقل واجزته
انفذته والاجتياز السلوك وجاوزت الشئ الى غيره وتجاوزته بمعنى
اى جزته وتجاوز الله عنا عفا وتجوز له ما صنع واجازه اى سوغ والمجاز
الطريق والمادة طويلة وازدحم القوم على كذا وتزاحموا عليه اى تضايقوا

والمزدحم بفتح الحاء مكان الازدحام ويقال تحمته وزاحمته والزحمة
الزحام وجل اى عظم يقال جل الرجل والشيء يجل بالكسر جلالا اى
عظم قدره فهو جليل واجللته في المرتبة واتيته فما اجلني ولا احساني
اى ما اعطاني جليله ولا حاشيته والجليلة التي تنجت بطنا واحدا والحواشي
صغار الابل ويقال ما اجلني ولا ادقني اى ما اعطاني كثيرا ولا قليلا وماله
جليلة ولا دقيقة اى ماله ناقة ولا شاة وماله دق ولا جل اى دقيق ولا جليل
مقدار الشيء مبلغه وكذا قدره وتقدم وولي الامر ولاية كالامارة ووليته
ووليته اياه جعلته واليا واوليته الشيء فوليه وتقدم والرتب
جمع رتبة وهي المنزلة وكذلك المرتبة قال الاصمعي المرتبة المرقبة
وهي اعلى الجبل قال الخليل المراتب في الجبل والصحاري الاعلام التي ترتب
فيها العيون والرقباء قلت ولعل استعماله في المناصب مستعار من هذا
وترتبت الشيء ترتيبا ورتب الشيء يرتب رتوبا ثبت ورتب رتوب الكعب
انتصب انتصابه وامر راتب وترتب بضم الفاء وفتح العين دائم ثابت والرتب
ما اشرف من الارض كالبرزخ يقال رتبة ورتب كدرجة ودرج وعز الشيء
يعز عزا وعزازة قل لا يكاد يوجد فهو عزيز وعز فلان يعز عزا وعزة وعزازة
صار عزيزا اى قوي بعد ذلة واعزه الله والعز ضد الذل ومطر عزاي
شديد وعززت عليه كرمت وقوله تعالى فعززنا بثالث يخفف ويشدد
اى قوينا وشددنا وتعزز صار عزيزا وهو يعتز بفلان وفي المثل اذا عز اخوك
فهن وجمع العزيز عزاز ككريم وكرام واعزة واعزاء ومن عزيز اى من غلب سلب
والاسم العزة وهي القوة والغلبة والادراك اللحوق وتقدم واوليت من اولى
الشيء والاحسان اى صنعته اليه والبشرى فعلى مصدر بشرته بالخبر بفتح العين
مخففة ومثله بشرته مشددا ولا يستعمل في غير الخير الا مقيدا وتقدمت الملة
والمعشر الجماعة وقال الجوهري المعاشر جماعات الواحد معشر والعشيرة
القبيلة وسعد العشيرة ابو قبيلة وهو سعد بن مذحج والاسلام اهل الاذ
وهو لغة الانقياد والاستسلام وفي الشرح ما فسره به رسول الله صلى الله عليه وسلم

حين سأله جبريل عليه السلام عنه حسبما ذلك في حديث عمر المشهور في صحيح مسلم وغيره
وهل هو مرادف للايمان او غيره او شرطه فيه كلام طويل محله اصول الفقه
واصول الدين والعناية مصدر عنيت بحاجتك بضم اوله اعنى بها عناية
مبني للمفعول فانما بها معنى اصله معنوي وانا امرؤ منه قلت لتعن بحاجتي
هذا هو الفصيح وتقدم وسمع فيه عنيت فانا عان مبني للفاعل قال
عان باخراها طويل الشغل له جفرتان واى نبل وركن الشيء جانبه الاقوى
وهو يأوي الى ركن شديد اى عز ومنعة قيل وهو مجاز منقول من ركن الحائط
اى جانبه الاقوى كما فسر وجبل ركين له اركان عالية والمركن من الضروع
العظيم كالمرد والاركان وناقة مركنة الضرع ورجل ركين اى وقور ووقور
بين الركانة وقد ركن بالضم وركانة بالضم رجل من اهل مكة وهو الذي
طلق امرأته البتة فحلفه النبي صلى الله عليه وسلم انه لم يرد الثلاث وهدمت
الشيء هدما فانهدم وهدم تهدموا بيوتهم شدد للكثرة وتهدم عليه من
الغضب اشتد غضبه والهدم بالتحريك ما تهدم من جوانب البئر فسقط فيها
دعا هنا قيل انها بمعنى سمى اى سمى الله داعينا باكرم الرسل ويجوز في مفعوله
الثاني ثبوت الباء وحذفها قال دعينا اخاها ام عمرو ولم اكن اخاها
ولم ارضع لها بلبان داعينا اى منادينا وهو النبي صلى الله عليه وسلم
والطاعة الانقياد وتقدمت المادتان وتقدم معنى اكرم ومعنى الرسل
والامم جمع امة وهي الجماعة ومنه وجد عليه امة من الناس قال الاخفش
هو في اللفظ واحد وفي المعنى جمع وكل جنس من الحيوان امة وفي الحديث
لولا ان الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها ويحتمل ما في البيت ان يكون
جمع امة بمعنى الدين اى اهل امة لان من معاني الامة الطريقة والدين
يقال فلان لا امة له اى لا دين له ولا نحلة قال وهل يستوي ذو امة
وكفور وكنتم خير امة اى خير اهل دين وقال النابغة حلفت فلم اترك
لنفسك ريبة وهل يأثمن ذو امة وهو طائع ذكر تفسير لما مدحه
صلى الله عليه وسلم بما مدحه به قبل مجازاته على سبيل الغيبة وختم تلك المدائح

باعلاها قدرا باعتبار ما ذكر منها وهو القرآن العظيم وكان المدح يرتوجب
للممدوح الرتبة الاعلى التى لم ينلها غيره كان الاوصاف انما تجب بحسب مقدور
المادح لا بحسب قدر الممدوح فان مدايحه لا تتناهى فى نفسها اقبل عليه
بالخطاب مستتبعا لخطابه ما يليق من الامداح التى يوجبها الممدوح لان
المقدمة بتقدير غيبته معرضا او مفصحا بعد ذلك بطلب حاجته منه فقال
يا خير البيت اى يا افضل كل مخلوق قصد النبو المعروف ساحة منزله حاله
كونهم ساعين سعيا اى مجدين فى المشى استبحا لا لتحقيق ما تعودوا منه
من الظفر بالمطلوب وامن الخيبة وحاله كونهم راكبين فوق ظهور النوق الشديد
الوطى لقوتها حتى انها ترسم فى الارض بمشيها آثارا ظاهرة كل ذلك
ليتيقن حصول الرغبة سريعا والرجوع بالحاجة فى اقرب وقت وايفاء بكثرة
العافين اذ هم كل المخلوق فلا يسع ذا الهمة والاستعداد والسرعة اليه لتحصيل
افضل المآرب وان كان بحر عطائه لا ينتقص غيران فى المسارعة مزيد اعتناء فسابقوا
وسارعوا وهذا يتناول من كان يهاجر اليه فى حياته صلى الله عليه وسلم لحوائج
الدنيا والاخرة ومن يقصد زيارته بعد مماته ومن يبادر الى اتباع سنته
وابتغاء مرضاته ومن يحج ومن يعتمر ومن يكثر من الصلوة والسلام عليه صلى الله
عليه وسلم كما يحب ربنا ويرضى وابتدأ بقوله سعيا لانه ادل على الاعتناء بظهور
الخدمة والاعتمال ولانه اقرب للسرعة بحيث لا يلوى على شىء ولا يحبسه
اشتغال بتحصيل آلة او نحوها ثم ثنى براكبى النوق التى ترسم آثارا فى الارض
لشدة وطئها فانها ايضا ارجى للوصول سريعا من التى يبطى حتى لربما فات المقصود
الاهم واقتدى بقوله تعالى وجل واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا
وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق او يكون السعى للقريب والركوب للقاصى
كما دلت عليه الاية وقوله ومن هو البيت الظاهر عطف من على خير اى ويا من
هو الاية التى هى اكبر الايات لمن يعتبر فتأمل وتفكر فانه مع توفيق الله
تعالى يعلم باول نظر انه خير خلق الله وان بعثه الى الخلايق المغمورين
فى الضلالة والجهالة وقد عم الكفر فلا ذاكر الله كالبدر الطالع على اقوام

قد تجرد

قد تجبروا فى الظلماء وارتكبوا كل عمياء فانه صلى الله عليه وسلم جاء بالاخراج
من الظلمات الى النور فدل على الله عرف بالله واتى بما لا ينال بتعليم واكتساب
الا بتخصيص من العزيز الوهاب سيما من يشاء بين اقوام بلغ من جهلهم
ان عبدوا الانصاب وجحدوا الهية رب الارباب فجاء صلى الله عليه وسلم
بالبيان الواضح والبرهان اللائح ورفض الحيوة الدنيا وايثار الاخرة
على الاولى وحق لمن بلغ فى الاية الى هذه المنزلة والدلالة على الله ان
يكون نعمة عظيمة لا اعظم منها عند العقلاء ذوى البصائر المغتنمين
ما يحصل لهم فى الزمان الاخر فلذلك قال ويا من هو النعمة العظمى لمغتنم
اى لمغتنم ما عند الله من السعادة الابدية وعلى هذا التقدير فليس قوله ومن
هو النعمة الى آخره كالتاكيد لقوله ومن هو الاية الى آخره كما ظن بعضهم واجاز
بعضهم ان يكون ومن هو فى الموضعين معطوفا على من فى خير من فان عطف
على خير كان هو الظاهر كانت من واقعة عليه صلى الله عليه وسلم واستفيد
هذا الحصر من تعريف المبتداء والخبر وان عطف على من فالتقدير ويا خير من هو
فيكون المراد بمن هو الاية جنس متعدد ويقتضى المعنى انه صلى الله عليه وسلم
خير ذلك الجنس ويشمل النبيين والملئكة صلوات الله
وسلامه عليهم وكون النبيين اية كبرى ظاهر لمشاهدة المكلفين ذلك
وكون الملئكة كذلك هو ايضا ظاهر لظهور ذلك للمرسلين فانهم يشاهدون
منهم العجايب ولحصول العلم بذلك للامم باخبار انبيائهم فيستفاد من كلام
الناظم تفضيله صلى الله عليه وسلم على الملئكة كما هو مذهب اهل السنة
فى تفضيل الانبياء ومما يوافق قول الناظم ومن هو الاية الكبرى اى ومن
اياتك الكبرى لمعتبر قوله بعد فكانك بالعلم البيت وقوله سريت البيت
كالتفسير لكونه الاية الكبرى اى ومن اياتك الكبرى انك سريت اى سرت
ليلا من حرم مكة الى حرم بيت المقدس سريا مثل سرى البدر التام النور
فى داج اى شديد من الظلم ووجه التشبيه انه صلى الله عليه وسلم نور
مبين كالبدر وانم واعظم منه وقد قطع مسافة عظيمة فى ليل مظلم

كما يسري البدر المسفر في ليل مظلم فان قلت اذا كان معنى سريت سرت ليلا كما
قرر ثم فما فايدة قوله ليلا قلت فايدة ذكره مثلها في الاية مع قصد الاقل
بها وفايدة ذكره في الاية افادة تقليل المدة التي قطع فيها تلك المسافة البعيدة
التي هي مسافة اربعين ليلة قطعها في بعض الليل حسبما يعطيه تنكير ليلا
فان التنكير فيه للتقليل اي وقع الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
في بعض الليل ولو لم يذكر لاحتمل ان يكون ذلك في الليل كله وليس كذلك بل كان
بقية الليل لترقيه الى فوق السبع السموات العلى ولما له من رب العزة جل وعلا
ما يلقى من التكاليف والاحكام وما اطلع عليه من احوال الجنة والنار
ومخاطبات الانبياء وما راى من العجايب كل ذلك في ليلة واحدة فسبحان القادر
على ما يشاء قال الزمخشري ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة
من الليل اي من بعضه وقال بعضهم الظاهر انه اراد بالحرم الثاني البيت المعمور
لما جاء انه يطوف به من الملائكة كل عام خلق كثير انتهى وهو فاسد من وجوه
الاول انه شرح مخالف لما صرح به في القرآن قال تعالى سبحان الذي
اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الثاني ان تفسيره
بالمسجد الاقصى يوجب كون الى مستعملة في حقيقتها من الغاية فان السرى
انما عهد استعماله المسير في الارض واما ما بعد ذلك من العروج الى السماء فيؤخذ
من قوله وبت ترقى البيت واما ان فسر بالبيت المعمور فالى ليست للغاية حقيقة
لانه لم ينته الى هناك بل في بعض طرق احاديث الاسراء ثم انتهيت الى البيت المعمور
فاذا ابرهيم مسند اليه ظهره ثم ظهرت الى مستوى اسمع فيه صريف الاقلام
فهذا يدل على انه لم ينته الى البيت المعمور بل جاوزه الثالث ان قوله وبت ترقى
يكون على هذا التفسير تكرارا لان هذا المفسر ذكر ان نسخه وانت تخرق
قال والجملة حالية اي سرت راقيا وهو يدل ان الحرم الذي سرى اليه ليس في
الارض وجعل نسخه وبت ترقى انص في هذا المعنى من قوله وانت ترقى
قلت والظاهر من القرآن والاحاديث الصحيحة والسير خلافه ولان التاسيس
اولى من التاكيد ولان الرواية وبت ولفظه لا يدل على ما ذكر وانما وانت

في قوله بعد وانت تخرق واما قوله جا في البيت المعمور انه يطوف به من الملائكة
كل عام خلق كثير فوهم بل الثابت في الصحيح انه يدخله كل يوم سبعون
الف ملك لا يعودون اليه آخر الدهر وقال بعضهم ان تشبيه في سراه
بالبدر انما هو في الجمال لا في قطع المسافة لان ما قطعه صلى الله عليه وسلم
من المسافة في ليلته مسيرة اربعة عشر الف سنة لان ما بين السما والارض
خمس مائة عام وكذا بين كل سماء وسما وكذا غلظ كل سماء وغاية ما
يقطع القمر من المسافة لا يبلغ مسيرة الف وسبعمائة عام بناء على القول
لكريه الارض واما على قول اهل السنة ببساطتها فاقل من ذلك باضعاف
كثيرة انتهى وهذا كله بناء منه على ان الى الحرم اي البيت المعمور والصواب
ما قدمناه وليس وجه التشبيه الا قطع ذات يلازمها النور مسافة في ليل
مظلم والى وجه التشبيه اشار بقوله كما سرى البدر في داج من الظلم وخرج
من هذا ايضا ان من فوايد قوله ليلا مع ما تقدم من ذكره افادة سرى النير
في المظلم وبخفاء هذا المعنى على بعضهم قال ان قوله ليلا وقوله في داج من الظلم
فقوله في داج من قافية مستدعاه وقد تقدم تفسيرها انتهى قوله وبت
ترقى البيت اي وبت ليلة اسرائك من مكة الى بيت المقدس بعد وصولك
الى المسجد الاقصى تصعد الى ان بلغت سماء الدنيا ثم في السموات سماء بعد سماء
الى ان نلت وبلغت منزلة شريفة نسبتها فيما يمكن وصول منازل البشر اليه
من المحل الذي لا يصلون اليه بمقتضى ارادة الله سبحانه وتعالى وما سبق
في ازل علمه كمقدار قاب قوسين او ادنى وهذا التنويع انما هو بحسب الحكم
من ادرك ذلك ويقصد ان يدركه من المخلوقين لا بالنسبة الى علم الله تعالى
وهذا باعتبار ما في الاية والا فكلام الناظم ليس فيه او ادنى وهذا التقدير
الذي ذكرته في الاية مما فتح الله به علي وستري بعض ما قال الناس في ذلك
ان شاء الله تعالى فالتقدير في كلام الناظم الى ان نلت منزلة محلها من المكان
الذي شرفه الله تعالى كالعرش مثلا او غيره مما لم يقصد سبحانه وتعالى ان ينالها
بشر بعد من نحو قاب قوسين حالة كون تلك المنزلة التي قال لم تدرك

ولم تطلب اذ لا يطلب الا ما يمكن ادراكه ويحتمل ان يكون قوله لم تدرك ولم
ترم من صفة ذلك المكان الذى لا يدركه احد الا ان التقدير الاول امدح
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فيه التنصيص على ان منزلته لم تدرك ولم
تطلب بادراك بخلاف التقدير الثانى فانه لا يدل الا على ان ذلك المكان
الذى قرب منه صلى الله عليه وسلم بمقدار قاب قوسين لم يدرك ولم يرم
واما منزلته التى وصل اليها فليس فى الكلام ما يدل على انها لم تدرك ولم ترم
وبسط كلامه على التقدير الثانى ان منزلته التى وصل اليها هى منزلة لم تدرك
ولم ترم قاب قوسين قال بعضهم الادراك منفى عن المستقبل نفيه عن الماضى
واما قوله لم ترم فلعله سكت عن المستقبل لانه لا يعلم نفى رجاء هذه المنزلة
الا بالوحى فلعل ممن ينكر دين الاسلام ويقر بالنبوة من يجوز ارفع من تلك
الرتبة فلذا لم يجزم بنفى الروم عن المستقبل انتهى قلت ولا وجه لتفرقته
بين لم تدرك ولم ترم فان لم انما ينفى الماضى فلم يتعرض الناظم لنفى المستقبل
فى واحد منها اكتفا بان هذا كلام فى تفضيله على من ثبتت نبوته ولانه
لما ثبت بالبرهان كونه نبيا لزم صدقه قطعا وقد اخبر انه لا نبى بعده
فلا يشتغل الناظم بالاخبار عن المستقبل لاستحالة تصور ذلك منه وقد
اختلف فى معنى قوله تعالى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فالاكثر
على ان الدنو والتدلى منقسم بين محمد صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام
او مختص باحدهما من الآخر او من السدرة المنتهى وعن ابن عباس هو محمد دنى
فتدلى من ربه وقيل دنى قرب وتدلى زاد قربا وهما بمعنى قرب وعن
ابن عباس قدم واخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس
عليه ثم رفع فدنى من ربه قال عليه السلام فارقنى جبريل وانقطعت
عنى الاصوات وسمعت كلام ربى وفى الصحيح عن انس دنى الجبار رب العزة
فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء وذكر حديث
الاسراء وعن محمد بن كعب دنا محمد من ربه فكان قاب قوسين وقال جعفر بن
محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود وانقطعت الكيفية عن الدنو

الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد الى ما اودع قلبه من المعرفة
والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب
وهذا الذى قاله جعفر بن محمد هو تاويل الدنو المضاف الى الله تعالى
فهو ليس بدنو مكان ولا قرب مدى تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وانما
هو دنو تشريف وتقريب منزلة ونحو ما اول به قوله صلى الله عليه وسلم
ينزل ربنا الى سماء الدنيا فى احد التاويلات ونحو ما اول به من تقرب منى
شبرا الحديث والمرضى ما ذكرناه اولا والله الموفق وقيل المراد بالقوسين
قوسا الحاجبين وقوله وقدمتك البيت يحتمل ان يريد تقديم الانبياء له
صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين ما ورد فى حديث الاسراء من انه صلى الله
عليه وسلم امهم فى الصلوة ولفظ الحديث صالح للعموم كما تراه ان شاء الله تع
ولا بعد فى هذا فان تلك الحال خارقة للعادة وضمير بها على هذا يحتمل
ان يعود على المنزلة ويحتمل ان يعود على الليلة المفهومة من ليلا او على لفظ
ليلا باعتبار انه ليلة او ساعة منه والباء على الوجهين للظرفية واما
والرسل فيحتمل الخفض عطفا على الانبياء اى وجميع الرسل والرفع عطفا
على جميع وعلى الاول فهو صريح فى العموم وعلى الثانى ظاهر فيه وبالجملة
ان القول بامامته بجميع الانبياء وجميع الرسل يتوقف على دليل ظاهر من
السنة لانه لم يصرح فى الاحاديث الصحيحة الا بلقاء انبياء مخصوصين لكن
فى السموات وصلاته بهم انما كانت فى الارض فلا بعد فى العموم ويحتمل ان
يريد بالتقديم تقديم الشرف والمنزلة فمعنى قدمتك اى وحكمك جميع
الانبياء والرسل بتقديمك اى تقديم منزلتك على منزلتهم وانها ارفع و
واشرف من منزلتهم وضمير بها على هذا عايد على المنزلة من قوله نلت منزلة
والباء للسببية اى قدموك بسبب انالتك تلك المنزلة التى لم تدرك ولم ترم
فان قلت ومتى حكموا بهذا التفضيل وقد ماتوا قبل لقائه قلت اما لانهم اطلعوا
على منزلته هذه بالوحى حال حيوتهم فحكموا بتفضيله عليهم واذ اخذ الله ميثاق
النبيين الآية او كان ذلك فى ليلة الاسراء بارواحهم خاصة او بها مع اجسامهم

كما يدل عليه ما جاء في حديث الاسراء من ان جماعة الانبياء صلوات الله
وسلامه عليهم اثنوا على الله عز وجل في تلك الليلة وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخرهم في ذلك فاثنى على مولاه سبحانه بما الحمد فقال الخليل
صلوات الله وسلامه عليه عند ذلك بهذا فضلكم محمد فهذا اعتراف
منهم بالتفضيل ويكون المعنى بحسب حكم الحاكم اي ويحكم المطلع على ما له
من المنزلة باستحقاق تقدمك جميع الانبيا في الشرف ويترجح ان المراد
التقديم بالشرف والمنزلة لا في الصلوة لقوله تقديم مخدوم وهو الرئيس
على خدامه على انه لا يبعد هذا التشبيه كل البعد في امامة الصلوة لان
حال الامام في تقديمه بالمكان على المأموم كحال المخدوم على الخادم ويحتمل
ان يكون اخباره عن تقديم جميع الانبياء له انما هو بالاستدلال وذلك ان الذين
قدموه وهم الذين في السموات المسمون في حديث الاسراء قد قدموه لما راوا
من فضايله عليهم وهم افضل من سواهم من الانبياء على ما تدل عليه ظواهر النصوص
فكان صلى الله عليه وسلم مقدما على الجميع لان الافضل من الافضل افضل من
المفضول من باب اخرى وهذا يناسب كون الباء للسببية والضمير للمنزلة وذكر
بعضهم ان التقديم اذا كان بمعنى الامامة يناسب التعدية بالباء في قوله بها
قال وان كان من تقديم الشرف فالباء بمعنى على انتهى قلت ولا وجه لهذه
التفرقة وقوة كلامه يعطي ان الضمير في بها يعود على الانبياء وهو بعيد
قوله وانت تخترق البيت اي بت ترقى او قدمتك والحال انك تخترق اي
تقطع السموات السبع الطباق اي التي بعضها فوق بعض طبقة بعد اخرى
حالة كونك مارا بهم اي بالانبياء الذين قدموك وهذا اوفق للتأويل الاخير
في قدمتك جميع لان الاختراق لا يكون في حالة الامامة في الصلوة فتامله
وقوله في موكب اي والحالة ايضا انك في موكب اي في جمع من الملئكة كجمع
ركاب الابل من القوم الاشراف وكنت انت يا محمد صلى الله عليك وسلم
في ذلك الموكب صاحب رايته قال ذلك على عادة العرب في اعطاء الراية
لزعيم القوم ورئيسهم الذي بثبوته يثبتون وبانهزامه ينهزمون واذا كان

صاحب

صاحب راية الملئكة فهو افضل منهم وضعفه بعضهم بان المقصود تفضيله
بصعوده لا بكونه في موكب فتامله ويحتمل ان يكون المعنى مارا بهم حالة
كونهم في موكب اي في جمع ركاب منتظرين لقدومك كما يفعل اهل العروف
من البروز والتهيئ لقدوم الرئيس وكنت صاحب راية ذلك الجمع
الممرور بهم اي رئيسهم وافضلهم ومع ذلك هو الصاعد خاصة يصعد
هو ويبقى الجمع في مكانهم ويحتمل معنى كونه صاحب الراية اي انها تابعة له
ومتحركة بحركته تميل معه حيث مال الا انه يمسكها بيده اذ هذه الحالة
اشرف وليس استعمال العرب لها بهذا المعنى في قولهم صاحب اللواء كما
ظن بعضهم مستدلا بانه لو كان معناه امساكها لشغله ذلك عن القتال
بل معناه تبعيتها له كما ذكر في هذا المقام لان الصحيح في استعمال العرب انما صاحبها
ممسكها ولا يمنعه ذلك من القتال بها بل يقاتل بها ممسكها اشد القتال ولذا
لا يليق بامساكها كل احد بل مثل علي رضي الله عنه لاعطين الراية غدا
رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وانت تعلم ثبات من له هذه
المنزلة من المحبة ولذا قال يفتح الله على يديه قال بعضهم ولعل
الباء في بهم بمعنى عن لانه كان يمر بهم متفرقين في السموات قال ويجوز ان
يكون في موكب خبر انت وتخترق حالا من المبتدا قال وهو مستقيم على قول
النحو ولا يكون في الكلام ما يدل على اهل الموكب يخترقون معه السموات
بل يصح مع هذا الاعراب ان يصعد هو وهم مقيمون كل في مكانه انتهى
قلت اما استقامته في العربية فليس كذلك على مذهب الجمهور لان الحال من المبتدا
ضعيف عندهم لان عامل المبتدا العامل المعنوي لضعفه لا يعمل رفعا ونصبا
واما قوله يصح معه ان يصعد وهم تخلف فالظاهر لانه ان سلم صحة الحال
من المبتدا فهو قيد فيه كساير الاحوال فانه قيد في ذي الحال وقد اخبر
في ذي الحال المقيد بكونه مخترقا انه في موكب والخبر لا يفارق المبتدا حالة الاخبار
عنه به فهو يقتضي ضد ما قال من ان اختراقه لا يكون الا في موكب لا يفارقه
قوله حتى اذا المرتدع الى قوله وبين مكنتم اي وانت تخترق السبع السموات صاعدا

من واحد منهما الى ما فوقها حتى اذا لم تدع في صعود غاية لمستبق اى لمجتهد
ليسبق غيره كاينة تلك الغاية من القرب الى المكان الذي لا يدركه بشر او مخلوق
ولم تدع ايضا مصعدا لمستنم اى طالب العلو في الامكنة وذلك كله بسبقك
الى تلك المنزلة فمن في من الدنو ليبان الشاو وبعضهم يراها سببية فان منعه
غيره من تلك المنزلة التي نالها اما بجعل حاجز بينها وبين غيره واما بسبقية
اليها واشتغالها بحيث لا يجد غيره اليها سبيلا فبين الناظم ان السبب في
ان لم ينلها غيره هو من اجل دنوه هو لا من اجل حاجز حجز الغير عنها قلت ومن
الحاجز بينهم وبينها اشتغاله اياها فهما بمعنى واحد لا يقال كيف يكون
شغله للمرتبة المذكورة وهو متاخر مانعا لحلول غيره فيها وهم متقدمون عليه
في الوجود لانا نقول منعوا منها بالحكم له بها فهو حاجز معنوي وفي شرح
بعضهم مكانا مستنم مستلم باللام قال والسين اصلية والتاء زايدة
مفتعل من الافتعال من السلم الذي هو المرقى وكان المعنى عنده ولم تدع مرقى
لطالب الصعود في السلم وقوله خفضت البيت اى فلما لم تدع مرقى لطالب علو
خفضت كل مقام اى صيرت كل مقام منخفضا بالنسبة الى مقامك وكان ذلك
الخفض منك للمقامات حين نوديت بالرفع اى ناداك الله فرفع منزلتك
على كل منزلـــ من الشرف وهو المراد بالمقام نداء مصاحبا لرفع حالك
كما صاحب الرفع نداء الاسم المفرد العلم فانه من حيث كان كونه منادى شارك
جميع الاقسام المنادى في ذلك فان المنادى المضاف والمنادى الشبيه به
والمنادى النكرة هذه النكرة منصوبة حالة النداء ولم يرفع حال ندائه الا المفرد
العلم فلما نودي صلى الله عليه وسلم نداء الرفع منزلته على ساير ابناء جنسه
من النبيين والمرسلين او من المخلوقين وانفرد عنهم برفع منزلته وخفض منازلهم
بالنسبة الى منزلته اشبه الاسم المنادى المفرد العلم في انفراده بحركة الرفع
ونصب غيره من اقسام المنادى فان قلت المفرد العلم ان نودي بني على الضم
وليس بمرفوع حتى يتم التشبيه قلت الضم الى المنزلة العليا رفع فهو رفع المعنى
او يقال الكلام على حذف مضاف اى نوديت بحركة الرفع اى مع حركة الرفع

وهي

وهي الارتقاء في المنازل او نوديت بان تحرك حركة الرفع ولا شك ان المفرد العلم
منادى بحركة الرفع وهو الضم وتقدير الكلام مثل حركة نداء المفرد العلم
فان قلت المنادى خمسة اقسام المفرد العلم يا زيد والنكرة المقصودة كقولك
مقبلا على رجل لا تعرف اسمه يا رجل لا تريد رجلا اى رجل كان بل الذي خاطبته
وهذان القسمان مبنيان على الضم والنكرة غير المقصودة كقول الاعمى يا رجلا
خذ بيدي لا يخاطب معينا والمنادى المضاف نحو يا عبد الله والمنادى الشبيه به
نحو يا طالعا جبلا وهذه الثلثة منصوبة فليس حركة الرفع مختصة بالمفرد العلم
كما ذكر لوجودها في النكرة المقصودة قلت مراده بالعلم المعرفة اطلاقا للخاص
وارادة العام مجازا وهذا القسم الذي هو النكرة المقصودة هو من اقسام
المعرفة عند المحققين وفي رتبة المشار اليه لانه تعرف بالقصد والاقبال
عليه كالمشار اليه فلم يقصد برجل في يا رجل الا واحد معين لا الشايع في
جنسه فان قلت التشبيه ايضا غير تام من وجه آخر لان مقامات غير النبي صلى
الله عليه وسلم مخفوضة بالنسبة الى مقامه ومقامات غير المفرد العلم انما هو في
النداء بالرفع خاصة لا في خفض مقامات غيره ولئن سلم ان التشبيه في الامرين
فالنصب ايضا خفض في المعنى كما كان الضم رفعا في المعنى وايضا فان حركة النصب
قد تكون للجر والجر والخفض اخوان وقوله كل مقام لا يدخل فيه مقامه صلى الله
عليه وسلم لانه تخصصه العقل ويخصصه ايضا قوله بالاضافة فان معناه
الى مقامك كما ان تلك المقامات فيها ايضا ما هو مرتفع بالنسبة الى باقيها لان
بعضها فوق بعض تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض لكن الرفع المطلق انما هو له
صلى الله عليه وسلم فانه لا مقام فوقه وقوله كيما تفوز البيت صلح تعلق كي
بخفضت وبنوديت اى ناديناك كي او بالرفع اى رفعناك كي تفوز وتظفر بوصل
منا وهو المقام الذي رفعناك اليه والمنزلة التي احللناكها وناديناك الى
الصعود اليها ثم ذلك الوصل مستتر عن العيون اى استتار وكي تفوز ايضا
بسر من اسرار الهك الذي اوحى اليك في ذلك المقام مكتتم عن الاذان او عن
الاسماع اى اكتتام اما استتار ذلك الوصل عن اعين من عاصره فلانه انما كان

صلى الله عليه وسلم بالليل وقد نامت العيون وهدات الاصوات واما السبقا
عن اعين ساير الانبياء والمرسلين والملئكة والمقربين فلانه مقام لا ينبغي
لغيره الوصول اليه ثم لا يخفى عليك اكتتام السر الذي يكون في ذلك المقام
الذي لا يبلغ عن الاذان فان قلت لا يلزم من كونه مقاما لا يبلغ ان لا يسمع
ما يكون فيه من الحديث لانه قد يسمع الصوت من مكان بعيد لا يقال انما يسمع
اذا كان الخطاب جهرا لانا نقول قد يكون من يسمع السر على البعد كالملك مثلا
قلت اذا كان يسمع ما يكون في تلك المنزلة من المحاورات فقد ادركت لا لان الادراك
اعم من ادراك السمع او غيره من ادراكات الحواس وهو قد نفى جميعها
بقوله لم تدرك ولم تر اي لم تدرك الشيء من انواع الادراكات فان قلت وصفه
هذا السر بانه مكتتم اي اكتتام لا خصوصية له لانه من انواع الوحي والوحي
كله كذلك هو مستتر الا عن من اوحي اليه اذ لا يطلع عليه غيره قلت الوحي
كما نص الله تعالى عليه على ثلثة بلا واسطة بل بخلق الله تعالى في قلب الموحى اليه
علما ضروريا بادراك ما شاء الله ادراكه من الكلام النفسي القديم القائم
بذاته سبحانه وتعالى وهذه حالة محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء على مذهب
طائفة او بواسطة خلق اصوات في بعض الاجسام كما لموسى صلى الله على نبينا
وعليه وسلم اذ نودي من شاطئ الوادي الايمن او بارسال الملك وما يذكره
الملك من النوع الاول وهذا غالب احوال الانبياء عليهم الصلوة والسلام
والى الاول الاشارة بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا
وحيا والى الثاني بقوله او من وراء حجاب والى الثالث بقوله او يرسل رسولا
والثاني قد يطلع عليه غير الموحى اليه ولذا قيل ان السبعين سمعوا الكلام
حين مضوا الى الميقات كما سمعه موسى عليه السلام والثالث يشارك فيه
الملك والاول يكتتم اي اكتتام قال بعضهم هذا السر الذي وقع لا بد
ان يخبر به صلى الله عليه وسلم الناس واما انه لم يطلع عليه حتى الان فلاحظه
ويبعد وقوع مثله وبتقدير وقوعه فلا كبير فايدة في الاخبار بوقوع سر
لم يعلم فان قدر انه اخبر به صلى الله عليه وسلم يوما فتقصار كغيره مما اوحي اليه

في ذلك المقام مما كان سرا ثم اعلمه الناس انتهى قلت بل هناك علوم لا تعد واسرار
لا تحصى لم يفشها رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحد من البشر الى ان مات بها
صلى الله عليه وسلم اذ لا يطيق حملها غيره وكيف لا وهو مدينة العلم واذا كان
باب العلم علي رضي الله عنه يقول لو شئت ان افسر فاتحة الكتاب لاوقرت
سبعين بعيرا وقد فسر ليلة لترجمان القرآن ابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنه
حروف كلمة الحمد من بعد العشاء الى انفجار الصبح ولم يفرغ منها وكان يضرب
صدره ويبين يقول ها هنا علم لو وجدت له حملة اترى مدينة العلم
التي لا نهاية لها كما ان المستمدين منها الذي هو العلم لذلك يحاط بكلها
وادراكها هيهات وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم علمني ربي ليلة الاسراء علوما شتى فعلم اخذ علي كتمانه وعلم
خيرني فيه وعلم امرني ان ابلغه وهو قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ
ما انزل اليك من ربك وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسر الى ابي بكر وعمر وعثمان
وعلي رضي الله عنهم عن جميعهم مما خيره فيه ربه كما كان يسر الى حذيفة رضي الله عنه
من علم الحدثان وعلم المنافقين وفي الصحيح من حديث ابي هريرة رضي الله عنه
حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين اما احدهما فبثثته واما
الاخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم واستري في اشارات هذا الفصل شيئا
من هذا ان شاء الله تعالى فان قلت كيف الجمع بين هذا وبين ما في الصحيح من
قول علي رضي الله عنه لما سئل اخصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بشيء قال ما خصنا بشيء لم يعلم به الناس الا ما في هذه الصحيفة او فهم
اعطيه رجل في كتاب الله وفي الصحيفة العقل وفكاك الاسير الحديث
فان هذا يدل انه صلى الله عليه وسلم لم يخص احدا بسر قلت لعله يعني مما
امره صلى الله عليه وسلم بتبليغه وهو العلم الثالث كما تقدم عن ابن عباس
ولهذا اخرج لهم الصحيفة وانما خصه بها التبليغ عنه خاصة كما خصه
بالتبليغ عنه حين اذن في الحج ان لا يحج بعد العام مشرك الحديث وقال
في ذلك بعد ان كان ولاه ابو بكر رضي الله عنه لا يبلغ عني الا رجل من اهل بيتي

ولوكان نحصه بالصحيفة لا ليبلغها لما اخرجها الى احد وسترى فى فصل اللحنا
ما يدل على ان لديه علوما لم يطلع عليها غيره واما قوله لا كبير فاين فى الاخبا
بان هناك سرا لم يعلم فلعله صدر من غيره تاملا والا فاى مدحه اعظم من ان
يقال فلان صاحب اسرار الملك ولديه من اسراره ما لا يعلمه غيرهما
وهل تعم الامر وتعظيمه فى الكناية عنه بما فى قوله تعالى فاوحى الى عبده ما
الا الافادة ان ذلك مما لا يعلم قدره الا من اطلع عليه عالم الغيب فلا يظهر
على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول وهذا البيت من التضمين لتعلق كل فيه
بما قبله ولما كانت هذه المراتب العظيمة له صلى الله عليه وسلم بلغت الاية
القصوى فى الجلال والنهاية العظمى فى الكمال اردفها الناظم بقوله مخاطبا له
صلى الله عليه وسلم فحزت البيت اى فبسبب ما نلت من تلك الرتب حزت كل فخار
وتعظيم يليق بالمخلوق اى حصل فى حوزك غير مشترك فيه بفتح الراء اى لا اشتراك
فيه معك او بكسرها اى غير مشترك فيه مع غيرك وجزت اى قطعت وتجاوزت
كل مقام غير مزدحم بفتح الحاء اى لا ازدحام فيه لانفرادك به او بكسرها
اى لا تزاحم فيه غيرك او لا يزاحمك فيه غيرك فمشترك ومزدحم يجوز كسرهما
وفتحهما وكسر احدهما وفتح الاخر وبالعكس فان قلت قوله كل فخار
وكل مقام يقتضى انه صلى الله عليه وسلم لم يشاركه فى كل فرد من افراد الفخر ولم
يزاحم فى كل مقام من مقامات الشرف وهذا يقتضى ان لا نبى غيره ولا ولى الا هو
وليس كذلك قلت الظاهر ان كل المراد بها الكل المجموعى نحو كل الناس
يحمل الصخرة العظيمة اى مجموعهم لا الافرادى نحو كل الناس يشبعه رغيف اى
كل فرد منهم والمعنى فى البيت ان مجموع الفخر لم يحزه بلا اشتراك الا انت ومجموع
المقامات الشريفة لم يحزها بلا ازدحام سؤال وان كنت شوركت فى افراد الفخر
وزوحمت فى احد المقامات لكن مجموع ذلك لم ينله الا انت وخص الحوز الذى
هو معنوى بالفخار الذى هو كذلك والجواز الذى هو حقيقة فى المشى بالاقدام
بالمقام الذى هو حسه فى الحسن وهو حسن وان كان يحسن ان يراد بالمقام
والجواز المعنوى ايضا الا ان هذه المعاملة باعتبار الاصل وقوله وحل البيت

قيل اصل جل جلل على فعل للتعجب اى ما اجل ما وليت من الرتب واعظمها وكذا
عز اصله عزز اى وما اعز ما اوليت من النعم واصله فعل كضرب ثم حول
الى فعل بضم العين لقصد التعجب الا انه خفى الوزن بالادغام فهو كقوله
حُبَّ بالزوراء الذى لا يرى منه الا المحة اولمام قلت ولا باس بهذا
الا ان ذلك انما يطرد فى فعل الحلقى العين كذا ذكر فى التسهيل وبوزع
فى ذلك ايضا قيل والمراد بالرتب الرياسات العقلية وبالنعم اللذات
الجسمانية وهذا البيت كالنتيجة عن الذى قبله فانه اذا حاز كل فخار
غير مشترك فقد جل مقدار ما ولى من الرتب واذا جاز كل مقام غير مزدحم
فقد عز ان يدركه اى يلحق ما اولاه الله من النعم وعلى هذا لا يتعين ان
يريد بالنعم اللذات الجسمانية بل هى راجعة الى المقامات وقد يكون
عز هنا بمعنى النفى اى ما ادرك احد ما اولى محمد صلى الله عليه وسلم
من النعم كما قالوا فى قل رجل يقول ذلك اى ما رجل يقوله وعز
مرادف لقل وانما قلنا هنا المافر ان منزلته لم تدرك فلو تركنا عز
على حقيقته وانه بمعنى قل لاعطى بمفهومه ان هناك من شاركه فى مثل
مقامه وان قل فان قلت اذا حملت النعم على اللذة الجسمانية لم يلزم
ذلك قلت الا ان هذه اللذات ان اريد انما كانت له فى الدنيا فهو
صلى الله عليه وسلم انما كان على الضد من ذلك لصرف همته عن لذات
الدنيا بالاشتغال باموز الاخرة كما تقول فى قوله وشد من سغب
وان اريد انما تكون له فى الاخرة فينبغى ايضا ان لا يشارك فيما اوتى
من مجموعها وايضا فهى ثمرة مقامه المختص به فى الدنيا واذا كان المقام
مختصا فثوابه مختص ولم يجعل بعضهم هذا البيت كالنتيجة عن الذى
قبله لكونه وقع فى نسخة مقدما والذى قبله مؤخرا وقال ان هذا
البيت يوجب الى استعظام ما ناله صلى الله عليه وسلم من غير تعرض
هل نال غيره مثل ذلك ام لا والذى قبله على العكس اى نص فيه على
حوزه كل فخر قلت لا شئ ابلغ فى الاستعظام والتعجب من الاخبار بحوز كل فخار

والاختصاص به ولما مدحه صلى الله عليه وسلم مواجهه بما يتضمن تفضيله
على ساير الانبياء فرع على ذلك ان امته صلى الله عليه وسلم افضل الامم
فقال مخبرا عن هذه الامة باختصاصها بالبشرى على وجه يتضمن
دخوله فيضم والاخبار عن نفسه بانه منهم بشرى لنا معشر الاسلام
اى اخص معشر اهل الاسلام وهم الذين امنوا بهذا النبى الكريم
محمد صلى الله عليه وسلم واتبعوه بالبشارة العظمى والخبر الكامل لان لنا
من العناية اى عناية الله بنا فى ان جعلنا من امة هذا النبى الشريف ركنا
قوى الاساس والبنيان لا ينهدم بفضل الله ومنه اذا انهدمت الاركان
امتنانا من الله على ملته بمنه وفضله وقيل ان هذا البيت مرتب على جميع ما مدحه
به صلى الله عليه وسلم من لدن قوله ظلمت سنة الى هنا قلت وليس ببعيد
ثم لما كان فى قوله من العناية ابهاما ما او دعوى من غير دليل فسر ذلك
او ذكر دليله بقوله لما دعا الله البيت اى لما سمى الله نبينا محمدا صلى الله
عليه وسلم وهو داعينا لطاعة الله تعالى او لطاعته داعينا اذ طاعته
طاعة الله من يطع الرسول فقد اطاع الله اكرم الرسل لزم من ذلك
ان نكون نحن الذين هم امته اكرم الامم لان الرسل لم يبعث الا الى اكرم الامم
لان ذلك مما يكون به اكرم الرسل على الله تعالى وهذه تتضمن
دعوى ان امة محمد صلى الله عليه وسلم اكرم الامم ودليله على ذلك اما الدعوى
ففى البيت الذى قبل هذا وهو قوله بشرى لنا وتقريرها انه لما خص هذه
الامة بالبشرى كما افاده الاختصاص فى قوله معشر الاسلام دل على انهم اكرم
الناس لان هذه البشرى من الله تعالى ولا يخص الله تعالى بالبشرى
الا اكرم الخلق عليه واما الدليل عليها فقوله ان لنا الى اخره فان ساقه
مساق التعليل فهو من انواع الاستيناف البيانى الجواب عن سؤال سببه الحكم
الخاص كانه قيل ما سبب هذه البشرى فقال لان لنا ومعلوم ان من له من
عناية الله تعالى ركنا لا ينهدم ولم يحصل ذلك لغيره فهو اكرم على الله من غيره
لكن فى قوله بشرى لنا ابهام اذ لم يدر ما تلك البشارة وكذا فى قوله ان لنا

من العناية ابهام لانه لم يدر ما تلك العناية ففسر ذلك كله بالبيت الثانى
فالبشرى هى النتيجة فى هذا البيت وهو قوله كنا اكرم الامم كانت ولا دعوى
مجملة قبل الاستدلال وهى الان نتيجة بعده والعناية هى كون الله تعالى
سمى الرسول الذى خصنا به اكرم الرسل وهو الدليل وعبر عنه لما اجمل فى
الدعوى اجمل فى الاستدلال وهو البيت الاول ولما فسر فى الدليل
فسر فيها لان الدعوى ان كانت مجملة يمكن الاستدلال عليها مجملا وان كان
الدليل مفسرا لم يكن اجمال الدعوى ومن هنا قدم الدعوى اولا واخر
الدليل كما هو الترتيب الطبيعى فى الجدل ولما لم يبق الا التفسير قدم ما يستلزم
تفسيره وهو الدليل تفسيرها وهى النتيجة المدلول عليها وقال بعضهم قوله
بشرى فيها اجمال تفسيره قوله ان لنا قال ومن هنا لا يكون بشرى دعاء
بل اخبار لانه فسره بالاخبار المحقق والدعاء لا يكون كذلك قال فلما
بان لنا لشوق النفس الى تفسير بشرى وهو الوجه فى القاء الخبر الى المتشوق
الى سماعه نحو واستغفروا الله ان الله غفور رحيم لما طلب منهم الاستغفار
تشوق الى انه هل يجاب استغفارهم فجاء الخبر مؤكدا ومنه هون عليك
فان الامور بكف الاله مقاديرها فانه مظنة لان يقال كيف يهون الصعب
فصار الجواب بالفاء وان انتهى قلت وما نظر به يدل على ما ارتضيناه من ان
قوله ان لنا جواب سؤال عن سبب الحكم الخاص لانه فى المثالين كذلك وقد
فى الاية الاولى لما امر بالاستغفار فقيل ان الله غفور رحيم وطلب الغفران
ممن هذه صفته باح وفى الثانى لاى شىء اهون الصعب قال فانزعك
وعدم صبرك لا يجدى نفعا فان الحكم ليس بيدك ولا احد من يغالب
بل بيد الفعال لما يريد وقال بعضهم لما دعا البيت تضمن دعوى وهو كنا
اكرم الامم ودليلا وهو لما دعا الى باكرم الرسل ووجه الاستدلال ان النبى
وسيلة الامة الى ربها فى نيلهم الرحمة ونجاتهم من العذاب ولما كانت الوسيلة
اكرم على المتوسل اليه من غيرها من الوسايل كان المتوسل بها اكرم عليه من غيرها
المتوسلين انتهى ملخصا وتسميته كنا اكرم الامم دعوى ليس كذلك لانها

مذكورة بعد الدليل فلا يسمى حينئذ الا نتيجة الا ان يكون سماها دعوى
مجازا باعتبار ما كانت عليه واما تقريره الاستدلال ففيه ضعف لان الوسيلة
مهما عظمت كان التوسل بها ارجى لقضاء الحاجة ولا مبالاة بالمتوسل
بل ربما كان ابغض الناس الى المتوسل اليه لكن تقضى حاجته من اجل الوسيلة
وفيه يظهر عظم الوسيلة ولو كان للمتوسل اعتبار لما كان قضاء الحاجة
للوسيلة وله الاية ان يقال ان هنا في الشاهد واما رب العزة جل وعلا
فلا يشفع احد عنده الا باذنه ولا يتكلم الا من اذن له ولا يشفعون الا لمن ارتضى
وذلك انما يكون مع الرضى عن المشفوع له فان قلت دليله يقتضي ان جميع
الامم الذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم هم اكرم الامم لا من امن به خاصة
لانه جعل الدليل على انا اكرم الامم كون داعينا سمي اكرم الرسل ودعوته
لم تخص المؤمنين فهو داعي الكل قلت اجاب بعضهم عن هذا السوال بان
المراد بداعينا هادينا قلت ولا يخلص فان تسميته صلى الله عليه وسلم هاديا
لكونه داعيا الى الهدى ومبينا طريقه والهادي حقيقة هو الله فيعود السوال
ويمكن ان يجاب بالتزام ان جميع من بعث اليهم صلى الله عليه وسلم خير الامم ومنهم
خير امم المؤمنين وكافرهم خير امم الكافرين وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
ولهذا ارتفع عنهم المسخ والخسف وغيرهما مما حل بالامم قبلهم فان قلت
قوله تعالى اكفاركم خير من اولئكم على سبيل الانكار يرد كون كفار هذه الامة
خيرا من كفار غيرها قلنا اما ان يقال المراد كفار قريش خاصة لزيادة
او يقال المراد انكار ان يكونوا خيرا منهم في القوة ولئن سلمنا ان الكفار لا يكونوا
خيرا من الكفار فنقول نعني المؤمنون لاضافة الداعي الى ضمير المتكلم الذي
معه غيره والمراد به ما اريد بالذي في قوله بشرى لنا معشر الاسلام
وهم المرادون بضماير المتكلم المذكورة في البيتين وهو ظاهر فان قلت واين
ثبت تسمية الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم اكرم الرسل وهل ثبت ايضا
بغير استدلاله كون هذه الامة اكرم الامم قلت ان ثبوت كونه صلى الله عليه وسلم
اكرم الرسل فمما لا يحتاج الى دليل وقد اجمعت الامة على ذلك وقال صلى الله عليه وسلم

انا سيد ولد ادم ولا فخر حسبما ثبت في الصحيح ومن ذلك ما تضمنت احاديث الاسراء
من رفيع منزلته صلى الله عليه وسلم ومنزلة امته كما تراه الان ان شاء الله تعالى
وذلك كثير واما الامة فقوله تعالى كنتم خير امة الاية وما ضرب لهم
صلى الله عليه وسلم من المثل حسبما في صحيحي البخاري ومسلم من قوله صلى الله
عليه وسلم مثلكم ومثل من قبلكم كمثل رجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي
من اول النهار الى اخره الحديث فان اليهود عملت الى الظهر واستحقت قيراطا
والنصارى منه الى العصر واستحقت قيراطا والمسلمون من العصر الى الليل
على قيراطين فهم اقل عملا واكثر اجرا فان قلت ما معنى وصفه الركن الذي
لنا بانه غير منهدم قلت لعله والله اعلم يشير الى قوله صلى الله عليه وسلم
لكل نبي دعوة مستجاب به فتعجل كل نبي دعوته واختبات دعوتي شفاعة لامتي
ويناسب هذا ايضا قول كل نبي صلوات الله عليهم في الموقف نفسي نفسي
وقوله صلى الله عليه وسلم امتي امتي حسبما تضمنه حديث الشفاعة ولا بد
من ذكر بعض احاديث الاسراء ليظهر ما تضمنته من فضله صلى الله عليه وسلم
وفضل امته وانما اخرناها الى هنا وان كان اللايق بذلك قوله سرى ليس
لارتباط هذه الابيات بعضها ببعض وقد تقدم بعض القول فيما يتعلق
بالاسراء ومن خصايصه صلى الله عليه وسلم قصة الاسراء قال تعالى
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الاية وقال تعالى والنجم اذا هوى الايات
ولا خلاف بين المسلمين في صحته للقران والاحاديث الصحيحة تذكر
كلها وسنشير الى زيادة من غيره خرج مسلم من طريق ثابت البناني
عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض
طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت
بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبياء عليهم السلام ثم دخلت المسجد
فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام ... اخترت الفطرة ثم عرج
بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل من معك قال محمد قيل
وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادم عليه السلام

فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت
قال جبريل قال ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد بعث اليه
قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا
صلى الله عليهما وسلم فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة
فذكر مثل الاولى ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله عليه وسلم واذا هو قد اعطى
شطر الحسن فرحب ودعا لي ثم عرج بنا الى الرابعة فاذا انا بادريس صلى الله عليه وسلم
فرحب ودعا لي بخير قال تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج الى السماء
الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهرون صلى الله عليه وسلم فرحب ودعا لي
بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى صلى الله
عليه وسلم فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا
انا بابرهيم صلى الله عليه وسلم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله
كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا
ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من الله تعالى
ما غشيها تغيرت فما احد من خلق الله تعالى يستطيع ان ينعتها من حسنها
فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلوة في كل يوم وليلة فنزلت الى
موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلوة قال ارجع
الى ربك فسله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل
وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا
فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا فقال ان امتك لا يطيقون ذلك
فارجع الى ربك فسله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي وبين موسى
حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلوة عشر
فتلك خمسون صلوة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها
كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة
واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فسله التخفيف
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه

ولم يجود

ولم يجود هذا الحديث احد عن انس مثل ما جود ثابت وروى شريك عنه ان شق
بطنه كان من الاسراء قيل والصواب ان ذلك كان وهو صبي وقد تقدم لنا
بعض ذلك ومن الزيادات في حديث الاسراء التي تناسب قوله وقد مثلت
في وجه ما في حديث ابي هريرة وقد رأيتني في جماعة من الانبياء فحانت الصلوة
فاممتهم ومن الزيادات في هذا الحديث قول كل نبي له عليهم السلام مرحبا
بالنبي الصالح والاخ الصالح الا آدم وابرهيم عليهما السلام قالا والابن
الصالح ومنها ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام ومنها
ثم ادخلت الجنة ومنها قيل هذه السدرة المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك
خلا على سبيلك ويخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن ومن لبن لم يتغير طعمه
ومن خمر لذة للشاربين ومن عسل مصفى ويسير الراكب في ظلها سبعين عاما
وورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها الملئكة وقوله تعالى
اذ يغشى السدرة ما يغشى وقال تبارك وتعالى له سل فقال انك
اتخذت ابرهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت
داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان
ملكا عظيما سخرت له الجن والانس والشياطين والرياح واعطيته ملكا
لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت موسى التورية وعيسى الانجيل وتبرئ الاكمه والابرص
واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربنا
قد اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التورية محمد حبيب الرحمن وارسلناك للناس
كافة وجعلت امتك هم الاولون وهم الآخرون ولا يجوز لهم خطبة حتى يشهدوا
انك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا واعطيتك سبعا
من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتم سورة البقرة من كنز تحت
عرشي لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما ومنها ان محمدا صلى الله
عليه وسلم قال للنبيين كلكم اثنى على ربي وانا اثني على ربي الحمد لله الذي
ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه
تبيان كل شيء وجعل امتي خير امة وجعل امتي امة وسطا وجعل امتي هم الاولون

والاخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا
وخاتما فقال ابرهيم عليه السلام بهذا فضلكم محمد صلى الله عليه وسلم
وشرف وكرم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون وفيه زيادات
كثيرة يطول تتبعها وهل كان الاسراء في النوم او اليقظة اربعة اقوال
الاول لعايشة رضي الله عنها وجماعة انه في النوم ولذا قالت لم يفقد
بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما عرج بروحه لقوله تعالى الرؤيا التي
اريناك لان الرؤيا مصدر للحلمية ولو كانت يقظة لقيل الرؤية ولقوله في
حديث انس ليس اسري به صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة جاءه نفر
ثلثة قبل ان يوحى اليه وهو نايم في المسجد فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه
عند بئر زمزم وفيه واستيقظ وهو في المسجد الحرام قالوا ولا شك
ان هذه رؤيا وهي حق وصدق الثاني مذهب الجمهور انه اسري بجسده في
اليقظة والرؤيا قد تكون بصرية كقول الراعي يصف صايدا فكبر للرؤيا وهش
فؤاده وبشر قلبا كان جما بلابله ولقوله تعالى الا فتنة للناس ولو كانت
حلمية لما افتتنوا وارتد كثير ممن اسلم ولما قالوا ابن عم محمد انه اتى بيت المقدس
ورجع الى مكة من ليلة والعير تطرد شهرا مقبلة وشهرا مدبرة ولو كان في
النوم ما استبعدوه لان النايم يرى نفسه في المشرق والمغرب وفي السموات
ولقوله صلى الله عليه وسلم اية ذلك اني مررت بعير بني فلان في وادي كذا
فانفرهم حس الدابة يعني البراق فند لهم بعير فدللتهم عليه وانا متوجه
الى الشام ثم اقبلت حتى اذا كنت بضجنان مررت بعير بني فلان فوجدت
القوم نياما ولهم اناء فيه ماء قد غطوه بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه
ثم غطيت عليه كما كان فلما قدموا سالوهم عن الاناء فاخبروهم انهم وضعوه
مملوا وغطوه ثم هبوا من نومهم فوجدوه مغطى وليس فيه ماء وسالوا
الاخرين فقالوا ند لنا بعير في الموضع الذي ذكر فدعانا رجل اليه فاخذناه
وهذا كله يدل على انه في اليقظة القول الثالث ان الاسراء كان مرتين في
النوم وفي اليقظة وان اسراء النوم تدريب لليقظة لان الاسراء عظيم امره

كما ابتديت نبوته بالرؤيا الصالحة في النوم ليسهل عليه حمل اعباء النبوة في
اليقظة فان امرها عظيم وهذا القول يجمع بين الاحاديث الواردة في هذا
الباب القول الرابع انه اسري بجسده الى بيت المقدس في اليقظة ثم عرج
بروحه الى فوق سبع سموات ولذا استبعد الكفار قوله انه اتى بيت المقدس
في ليلته هذه ولم يستبعدوا قوله فيما سوى ذلك قلت ولعلهم لم يستبعدوا
ما سوى ذلك لعدم علمهم بتلك المسافة اقريبة ام بعيدة بخلاف ما يعلمونه
او يقال اقتصروا على ابعاد ذلك فيعلم ان استبعادهم لغيره احرى ويتعلق بحديث
الاسراء كلام كثير تركناه خشية السامة المعاني يا خير استعمل يا التي هي
لنداء البعيد اشارة الى علو منصبه ورفع منزلته صلى الله عليه وسلم تعظيما له
نظيره ذلك الكتاب والتعبير بالموصول ممن للتعظيم وللتوصل الى ذكر الصلة
جملة فعلية ليفيد التجدد والحدوث وانه تقصده طائفة بعد اخرى ولبناء
الخبر على تلك الصلة لانه طالب ضمنا او صريحا ولهذا خص العافين بالذكر
وان كانت من نكرة موصوفة فتنكيرها للتعظيم وال في العافون للجنس واضافة
ساحة للاختصاص والتعظيم وتنكير سعيا للنوعية وفائدة ذكر متون التنصيص
على تنويع العافين الى الماشين والراكبين ولو حذفه لتوهم انه تقسيم في
الساعين وان منهم من يسعى مطلق السعي ومنهم من يسعى على واشد من النوق
الرسم وال في الاينق والرسم للعهد وجمع النوق جمع قلة للوزن ولافادة
قلة هذا النوع منها الناس كابل مائة لا يكاد يجد فيها راحلة وافاد كثرتها
في نفسها بتحليتها بال التي للعموم ولهذا يعرف كثرة العافين وجمع متونها
جمع كثرة ونعتها بجمع الكثرة وهما استلزمان كثرتها وفائدة التعبير
بمن في من هو الاية ومن هو النعمة مثلها ومن ثم وتعريف المبتدا والخبر في
هو الاية وهو النعمة للحصر وال في الاية الكبرى وفي النعمة والعظمى للعهد وهو
معتبر ومغتنم يحتمل تعظيم النوعين وتقليلهما وليس الشطر الثاني من البيت الثاني
كالتاكيد لشطره الاول كما ظن بعضهم وقد تقدم في التقسيم وتنكير حرم
في الموضعين للتعظيم او للنوعية او للتعظيم او التكثير ويدل عليه تفسيره

بالجمع فليس من الظلم للتاكيد العرفي لافادة هذا المعنى وال في البدر للعهد
وفي الظلم للجنس وتقدم في التفسير فساد جعل بعضهم ليلا وفي دياجي من الظلم
حشوا وليس الحرم من وقوع الظاهر موقع المضمر لان الثاني غير الاول
ولو اضمره وقال اليه لكان من باب عندي درهم ونصفه ويكون من الاخذ
وتقدم فايدة التعبير بقوله وبت وقال ترقى ولم يقل راقيا لافادة
تجدد المنازل شيئا فشيئا وتنكير منزلة للتعظيم وقوله من قاب قوسين
بيان لما اتهم في منزله ففي البيت اطناب وفيه ايجاز الحذف لان التقدير من
مقدار قاب وقوله لم تدرك تكميل افاد قصر تلك المنزلة عليه ولم ترم تكميل
التكميل وهو من الترقي نحو قوله خير البرية من بدو ومن حضر واكرم الخلق
من حاف ومنتعل فان الحضر ارفع من البدو والمنتعل ارفع من الحافي ولم ترم
ارفع في المدح من لم تدرك وقوله والرسل هو على المشهور في كون الرسول
اخص من النبي من عطف الخاص على العام ففي البيت اطناب وفايدة ذلك تشريف
الخاص كما تقرر والترقي في المدح ايضا وليس حشوا للوزن كما ظن وتنكير
مخدوم وخدم للنوعية وقوله في موكب ان اراد الانبياء فهو من ايقاع الظاهر
موقع المضمر وفايدته التعظيم وان اراد الملائكة فتنكيره للنوعية او التعظيم
وتنكير مشا او مسبق وعرقي ومستنم للعموم والتقليل اي وان قل واحد
من ذلك وقوله لمستبق ولمستنم ومن الدنو من الايضاح بعد الابهام وحذف
مثل من الدنو مع مرقى فهو من ذلك ايضا ومن الحذف من الاواخر لدلالة
الاوايل ففي البيت ايجاز الحذف ويحتمل ان يكون التقدير ولا مرقى من المنازل
وتنكير مقام للتعظيم وال في الاضافة والرفع والمفرد والعلم للعهد وتنكير
وصل ومستتر وسر ومكتتم للتعظيم او للنوعية وفي البيت ايجاز الحذف
لان اي مستتر واي مكتتم صفتان لموصوفين محذوفين واجاز بعضهم ان يكون
وسر نعتا ثانيا الوصل معطوفا على النعت الاول اي بوصل محذوف بانه مستتر
وبانه سر قلت وهو على هذا تاكيد لان استتار الوصل عن العيون هو معنى
كونه سرا مكتوما ولا يصح ان يكون المعنى لا يعلمه احد بعد ذلك لانه باطل

باخبار

باخبار الله به ويحتمل الكلام على معنيين اولى اذ الوصل الاتصال وهو لا يستلزم
المحادثة واجاز ايضا ان يكون الوصل هو الرفع اي رفعناك كي تظفر بتلك
الرفعة فهو من ايقاع الظاهر موقع المضمر الا انه بدل لفظ رفع بلفظ وصل
والاتصال تؤذن بالرفع كي تفوز بين ومنه ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
انا لا نضيع اجر من احسن عملا اي اجرهم وتنكير فخار ومقام للتعظيم
وتنكير مشترك ومزدحم للتقليل وتقدم القول في كل واجاز بعضهم
ان يكون وحزت كل مقام الشطر تاكيدا للشطر الاول لانه بمعناه قال وذلك
اذا اراد بالمقام الفخار ويكون من ايقاع الظاهر موقع المضمر قلت وتقدير
تغايرهما وفايدة التاسيس اولى والموصول في قوله ما وليت للتعظيم والتفخيم
واضافة مقدار اليه كذلك وتنكير رتب ونعم للتعظيم ومن رتب ومن نعم
للايضاح بعد الابهام وتنكير بشرى للتعظيم ومعشر الاسلام من الايضاح
بعد الابهام والضمير والتعبير بان لنا لان المقام طلبي ومن البيان بعد الابهام
في ركن والاصل تاخيره وتقديم ركن وتنكيره كذا للنوعية وال في الرسل
وفي العموم للعموم البيان الظاهر ان قوله ساحته من القسم الثاني من الكناية
وهي المطلوب بها صفة فان المراد بها هنا الكرم ولازم الكريم وسع ساحته
لتسع الواردين وهي من البعيدة لان الانتقال الى المقصود فيها بوسايط لانه
ينتقل من وسع الساحة الى كثرة من يعمرها ومنها الى كثرة الواردين العفاة ومن
ذلك الى نيل مطلوبهم من الممدوح ولولا ذلك ما الظوا بساحته ولو لم يكن
هو كريما ما بناها واسعة فهو نظير كثير رماد القدر وحد الكناية على الحالة
لفظ اريد به لازم معناه مع جواز ارادته معه وهي ثلثة اقسام ما المطلوب بها
نسبة ولا صفة نحو والضاعنين مجامع الاضغان كناية عن الصدور والقلوب
وما طلب بها صفة نحو طويل النجاد كناية عن طول القامة فان كان الانتقال
الى اللفظ اللازم قريبا لهذا المثال فقريبة واضحة لهذا المثال ايضا
وان كان بواسطة فبعيد كالتي هنا وما نظرت به وما طلب بها نسبة
نحو ان السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج

ونحو قولهم الحمد بين ثوبيه والكرم بين برديه وتقدم في التفسير وجه
التشبيه في قوله كما سرى البدر وهو من التشبيه المجمل لانه لم يذكر فيه وجه
التشبيه مع انه ذكر فيه وصف الطرفين ولا يبعد ان يكون لبيان امكان
حال المشبه والمجاز في قوله من قاب قوسين من باب التمثيل واما التشبيه
في قوله تقدبهم مخدوم على خدم مفصل وقوله في موكب يحتمل ان يكون
من التشبيه اي في جمع كجمع اصل الموكب وصاحب العلم كناية عن المقدم في
القوم وقوله خفضت كناية على استعاذة على كل مقام وحزت كل فخار يحتمل
الاستعارة بالكناية بان يشبه الفخار بملك يمكن ان يدعيه جماعة ثم لم
يذكر ذلك وذكر من لوازمه الحوز ونفي الاشتراك ولا ينافي هنا فحزت
كل مقام لان المشبه وذكره ينافي الاستعارة وقوله ركنا غير منهدم كناية
عن ثبوت شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم وانه لا يمكن من لا اذيه
ولا يضام فانه حصن حصين وعز منيع مكين **البديع** في البيت الاول
الجمع مع التقسيم لجمعه العافين ثم تقسيمهم الى الساعين اي الماشين والراكبين
متون الاينق وهذا ايضا من الطباق لان الماشي مقابل الراكب ومن فوق
البهيمة ضد من يمشي تحتها وهو الماشي على الارض وجمع الساعي والراكب
والاينق من مراعاة النظير وفي البيت الثاني من التقسيم اضافة الشيء الى
ما يناسبه لوصف الاية الكبرى وجعلها للمعتبر والنعمة بالعظمى وجعلها
للمغتنم وفيه ايضا الموازنة بين كلمات شطره الاول وكلمات الثاني وفيه التكرير
في من ومن وكررها لاختلاف المتعلق واقتران الاية بالكبرى والمعتبر
من مراعاة النظير كما ان اقتران النعمة بالعظمى والمغتنم كذلك وفي الثالث
التكرير في حرم وحرم ومراعاة النظير في لفظ السرى والليل والبدر والداجي
والظلم وفي لفظ من والى وهما من المطابقة وكذا ذكر البدر مع الداجي
والظلم وفي لفظ من والى وهما من المطابقة من الارصاد وليس في البيت
اقتباس اذ ليس فيه اية بكمالها نعم فيه التلميح الى قصة الاسراء وكذا
في الابيات الثلثة بعد وقال بعضهم ان في قوله سرى البيت اغراقا لان

قطع هذه المسافة في ليلة من خرق العوائد قلت وقد تقدم له نظير هذا ومثله
لا يقال في هذا المقام لان الاغراق الذي هو من المبالغة عند اهل البديع
انما يكون بحسب الادعاء لا بحسب الحقيقة ثم ان الناظم لم يبين مبتدا السرى
ومنتهاه حتى يقال هذا من خرق العوائد بل الامر فيه مجمل وانما احال على ما علم
وفي قوله وبت البيت التوشيح لان ترقى يدل على انها منزلة عظيمة وهي اوضحها
بقوله لم تدرك ولم ترم وهذا المعنى ايضا من مراعاة النظير وتسميه بعضهم تشابه
الاطراف لقوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف
الخبير يناسب الجملة الاولى والخبير يناسب الثانية وذكر المنزلة مع وقدمتك
تقديم مخدوم على خدم من مراعاة النظير وكذا في الانبياء والرسل وفي
قدمتك وتقديم رد الصدور على الاعجاز وهما من تجنيس الاشتقاق
وكذا مخدوم وخدم ايضا من الارصاد والجمع بين المخدوم والخدم
من الطباق لانهما بمعنى الاعلى والادنى والفاظ تخترق السبع الطباق من
التناسب كما ان لفظ الموكب والعلم من ذلك وفي قوله حتى اذا لم
تدع البيت من التقسيم اضافة الشيء الى ما يناسبه لاضافته الشاو من الدنو
الى المستبق والمرقى للمستنم وان قلت مرقى من الدنو كما مر كانت الموازنة
بين شا والمستبق من الدنو بين ما بقي من الالفاظ كل كلمة لنظيرها والا
فهي بين شاوا والمستبق وبين مرقى لمستنم والشاو والمستبق والدنو في
مراعاة النظير وكذا المرقى والمستنم وفي البيت الجمع لانه جمع الشاو والمرقى
في انهما لم يدعهما لاحد وفي قوله خفضت البيت مراعاة النظير في جميع الفاظه
لانها بالجملة من الالفاظ النحويين وخصوصا بين الخفض والاضافة فانهما من
باب واحد وبين النداء والرفع والمفرد والعلم فانها من باب واحد وفيه
الطباق لجمعه بين الخفض والرفع وفيه توريتان نحويتان الاولى في قوله
خفضت فانه اراد معناه البعيد وهو ان كل منزلة دون منزلتك واوهم
ارادة خفض اللفظ وهي ترشيحه لذكر الاضافة التي يناسب المعنى القريب
والثانية في قوله بالرفع اراد رفع المنزلة ووشحها ايضا بذكر النداء والمفرد العلم

وان شئت جعلتها كلها توريات ولا يخفى عليك تقريره وان شئت جعلت
الاضافة من التوريات الحكمية التي يستعملها الحكماء والمتكلمون وهي قولهم
الاضافة الا انها ليست بشخصية بل مطلقة وفيه التسهيم وابدع في
توريات هذا البيت برد الله ضريحه واسكنه من اعلى الجنان بحبوحة بمنه
وفضله وجوده وطوله وفي قوله كما البيت مراعاة النظير في جميع الفاظه
وبين قوله وصل اي مستتر وقوله سر اي مكتتم موازنة وفيه من التقسيم
اضافة الشيء الى ما يناسبه لاضافة الاستتار عن العيون الى الوصل
والاكتتام الى السر وفيه تجنيس الاشتقاق في مستتر وسر وفيه التكرير
في لفظ اي لاختلاف المتعلق ايضا وفيه التسهيم وفي قوله فحزت البيت مراعاة
النظير في الحوز والاشتراك والحواز والاشتراك والازدحام والفاظ الشطر
الاول موازنة لالفاظ الثاني وفيه التقسيم لاضافة نفي الاشتراك الى حوز
كل فخار ونفي الازدحام الى جواز كل مقام وفيه الارصاد وفيه تجنيس التصحيف
في حزت وجزت وفي قوله وجل البيت مراعات النظير ولا يخفى عليك والتقسيم
لاضافة الجلال الى مقدار ما وليت من الرتب والعز الى ما اوليت من النعم والفاظ
الشطر الاول موازنة لالفاظ الشطر الثاني وفيه الارصاد والتخيير قال
بعضهم وان جعل وعز بمعنى وجل ايضا كان من التفريع اي جعل مقدار كذا كما
جل ادراك قلت ولا يبعد مع ابقاء عز على حقيقتها في فاوليت واوليت التجنيس
اللاحق وهو اختلاف الكلمتين بحرفين غير متقاربين في المخرج نحو تفرحون وتمرحون
وتقدم قيل وفيه استتباع لان مدحه بذلك يستلزم علوه على من زاحمه
قلت وفيه بعد وفي قوله بشرى لنا البيت التكرير في لنا وفيه الاحتراس
في غير متهدم وهو اما من الارصاد او من التخيير وفيه المذهب الكلامي في
ان لنا الى اخره وفي قوله لما دعى البيت مراعاة النظير في جميع الفاظه وتجنيس
الاشتقاق بين دعا وداعينا وفيه التوشيح والتكرير في لفظ اكرم
قال بعضهم ويحتمل تكرير اكرم ان يكون من الجناس لان من البيانيين من يعد
التجنيس ولا يشترط في حق اختلاف معنى اللفظين قلت وعدم اشتراطه

ان اتفق لبعضهم فهو مسامحة وفيه الارصاد وهو ايضا من المذهب الكلامي
كما تقدم في التفسير ويمكن ان يكون فيه الاستتباع لمدحه صلى الله عليه وسلم
بمعنى على وجه يستتبع مدحه صلى الله عليه وسلم بمعنى اخر وهو كون امته اكرم
الامم فان في ذلك تبجيلا وتعظيما يشي بفأله او هو من الاستطراد الاعراب
يا حرف نداء خير منادى منصوب قيل بفعل لا يجوز اظهاره كما لا يظهر فعل القسم
اي انادي وهو من صيغ الانشاء لا من صيغ الخبر وهو مذهب الجمهور من البصريين
وقيل بحرف النداء اي بما فيه من معنى الفعل ولا اضمار لاستقلال الكلام
بالحرف مع الاسم وهو ظاهر الايضاح وتقدم احكام اقسام المنادى في الاعراب
والبناء في فصل التفسير ومن مضاف اليه اسم موصول او نكرة موصوفة وما بعده
صلة او صفة والعائد المضاف اليه ساحة وخير افعل تفضيل تقدم القول فيه
في قوله شر من النعم وسعيا مصدر في موضع الحال من العافون اي ساعين او على
يمم او يسعون المحذوف وهو الحال على المذهبين وفوق ظرف في موضع الحال
عطف على الحال الاولى والعامل فيه يمم او كون خاص يدل عليه السياق
اي وراكبين او مطلق اي كائنين ومثله في الاعراب يا توك رجالا وعلى كل
ضامر والرسم نعت للاينق ومن في الموضعين معطوفة على من يمم والجملة التي
بعد كل منهما صلة او صفة ويحتمل عطفها على المنادى وهو مبتداء والاية خبره
الكبرى نعت الاية كما ان العظمى نعت النعمة وهما تانيث الاكبر والاعظم
من ابنية المفاضلة والاصل اكبر من كذا فان حذفوا من لفظا عوضوا الالف واللام
ومؤنثه وجمعه كذلك نحو الكبرى لا يجوز حذفهما الا فيما ندر من اخر واخرى واخر
والمعتبر يتعلق بالكبري والمغتنم حال من ضمير العظمى ومن حرم يتعلق بسريت
وكذا الى ومن لابتداء الغاية كما ان الى لانتهائها وليلا ظرف زمان عامله سريت
وما بعد الى لا يدخل فيما قبله على الاشهر عكس ما بعد حتى وما مصدرية
صلتها سري وموضعها جر بالكاف قيل والمجرور صفة لمصدر محذوف اي
كما سرى البدر ومن يجعل الكاف اسما يجعلها هي الصفة اي سري مثل سري البدر
ويحتمل كون الكاف نعتا لمصدر محذوف كما ذكر وما موصول اسمي نعت المصدر المحذوف

ايضا اى سري مثل السّري الذى سراه وفى داج يتعلق بسرى البدر او سريت
والاول ادبج ومن الظلم صفة داج دبت عطف على سريت وجملة ترقى فى
موضع نصب خبر بات اى راقيا والى يتعلق بترقى وان مع الفعل بتأويل مصدر
مخفوض بها ومن قاب متعلق بنلت ومن للابتداء او صفة لمنزلة ومن للبيان
وجملتا لم تدرك ولم ترم صفتان لمنزلة ويجوز كونهما حالين اذ كان الجر
قبلهما صفة وقدمتك عطف على بت والكاف مفعول ــــ وجميع فاعل
والحق الفعل التا لان جميع فى معنى جماعة وقيل لاضافته الى جمع التكسير الذ
يجوز تانيثه واذا جاز فى قطعت بعض اصابعه تانيث المضاف لاضافته الى مؤنث
مع ان المضاف ليس فى معنى المضاف اليه فهنا احرى لانه فى معناه بها يتعلق
بتقدمت وتقدم ان الباء سببية ويجوز كونها ظرفية اى فيها والضمير للمنزلة
والرسل تقدم وتقديم مصدر مشبه براى تقديما مثل وعلى خدم متعلق
وجملة وانت تخترق اما معطوفة على ما قبلها واما حال من الكاف فى قدمتك
والسبع مفعول وحذف التاء منه لان المعدود مؤنث والطباق نعته وهو مصدر
فى الاصل ومعناه مطابقة او ذات الطباق بهم اما حال من فاعل تخترق اى مارا
بهم او يتعلق بتخترق او خبرنا نعن انت وكان ومعمولاها صفة لموكب وحتى
يتعلق اما بترقى او بتخترق وجملة لم تدع فى موضع خفض باضافة اذا اليها
وتدع وان كان ماضيا لان لم تصرف المضارع لذلك لكن لما عمل فيه الظرف
المستقبل الذي هو اذا لاضافتها اليه صير مستقبلا فهو منقول بعد نقل
ولمستبق صفة لشاو او يتعلق بتدع ومن الدنو كذلك ومن على الاول للبيان
وعلى الثاني للابتداء ولا مرقى عطف على شاو ولا زايدة للتاكيد المنفى ولمستنم
صفة لمرقى وجملة خفضت جوابا اذا هو وهو العامل فيه وهو مستقبل لعمله
فى الظرف المستقبل بالاضافة صفة لمقام او حالا من كل اى كاينا خفضه بالاضافة
الى مقامك والباء للمصاحبه واذ ظرف للزمان الماضى قيل وعامله خفضت وفى
نظر لان خفضت عمل فى الظرف المستقبل فلا يعمل فى الماضى لاستحالة اجتماعها
ويحتمل كون اذ حرف تعليل وبالرفع يتعلق بنوديت والباء سببية او يجعل حالا

من تاء نوديت وهو النايب عن الفاعل والباء للمصاحبة ومثل حال من النايب
ولا يقبل تعريفا بالاضافة لشدة ابهامه وانظر هل يصح جعله نعتا لمصدر
محذوف اى نداء مثل كيما تقدم متعلقها وكى حرف جر بمعنى لام التعليل ولا بد
الا ان المصدرية او ما اختها او الاستفهامية وما هنا مصدرية تسبك
مع الفعل بعدها بمصدر هو المجرور اى بفوزك وتفوز على هذا مرفوع وقد
فى المغنى بعض احكامها قيل ويحتمل تفوز ان يكون منصوبا بان مقدرة
فتكون كى جارة او تكون ناصبة بنفسها وما زايدة على التقديرين بوصل
متعلق بتفوز واى مستتر صفة لوصل وعن العيون متعلق بمستتر
وسر عطف على وصل واى مكتتم صفة له وكون اى صفة المراد به
التعظيم فرجل اى رجل اى عظيم جمع محامد الرجال ــــ وهى فى الحقيقة
صفة لموصوف محذوف اى وصل مستتر اى مستتر وسر مكتتم اى مكتتم
لانها اذا كانت صفة لنكرة او حالا من معرفة يلزمها الاضافة لفظا ومعنى
الى مماثل الموصوف لفظا ومعنى لهذا التقدير او معنى خاصة نحو مررت برجل
اى فتى وموصوفها غالبا لا يكون الا مذكورا وقد يحذف كما هنا ويحتمل ان نوى
وسر اى مكتتم من الموصوف المماثل معنى فلا يكون محذوفا فحزت الفاء توذن
بسببية ما بعدها عما قبلها وحزت عطف على خفضت او على تفوز بنا ويليه
او تا ويل حزت وكل فخار مفعول ومضاف اليه غير فى الموضعين نعتا لكل
وفى الوجهين هى منصوبة وقال ــــ بعضهم لا يصح خفضها نعتا لفخار
او مقام كما يلزم من كونا المعنى حاز فخارا لا يقبل الشركة وحاز مقاما لا يقبل
الازدحام فاستبداده بهما لعدم صحة الاشتراك فيهما لان ذلك من نوع
الحاير وهو يفسد المعنى قلت ويلزم مثله اذ نصبا نعتا لكل ثم هو مفيد صحيح
اى فخارا لا يقبل الاشتراك لكونه لا نبى اله الا هو صلى الله عليه وسلم ومقاما لا
يقبل الازدحام كذلك ايضا بل راجع الى معنى النصب على الحال ولا بد وحزت
الى اخره معطوف على ما قبله ولاعرابه كاعرابه وجملة وجل مستانفة او معطوفة
على ما قبلها وما مخفوض بالاضافة اسم موصول صلته وليت وعايد الصلة

محذوف اى وليته وهو المفعول الثانى لوليت والاول هو التاء النايب عن
الفاعل ومن ربت حال من العايد المحذوف لانه فى بنية المنطوق به او متعلق
بوليت ومن للتبعيض فيكون فى موضع نصب وليس بصواب ما وقع فى عبارة
بعضهم انه لا محل له حينئذ يعنى لتعلقه بظاهر ومن للبيان والمبين العايد
او الموصول ولا يبعد كون ما نكرة موصوفة والجملة بعدها صفة وعز الحجر
اعرابها كاعراب ما قبله بشرى خبر مبتداء محذوف اى هذه المناقب الشريفة بشرى
او مبتدأ وساغ الابتداء به على مذهب من يجيزه بمجرد حصول الفايدة نحو حصاة
سحت وشجرة سجدت لا نحو خمس صلوات كتبهن الله على العباد فى اليوم والليلة
كما مثل به بعضهم لان صلوات اذا كان مخصوصا فالمسوغ الاضافة وان كان
مرفوعا فيحتمل كونه نعتا لانه فى معنى متعبد بها وهو مسوغ والخبر كتبهن الله
وان كانت بشرى دعاء فهو المسوغ وان منعه بعضهم او المسوغ ما فيه من التعظيم
لان التنكير له نحو شر اهر ذا ناب عند بعضهم فكانها موصوفة اى بشرى
عظيمة ولنا على الاول صفة وعلى الثانى خبر ويحتمل ان يكون بشرى منصوبا
بمحذوف اى بشرنا بشرى ولنا صفة ومعشر اما منادى باسقاط حرف النداء
او منصوب على الاختصاص وهو اشبه شىء بالنداء الا انه بعد ضمير المتكلم
او غيره مما ذكر فى فن النحو والغرض منه التخر او التعظيم نحو بنا تميما يكشف
الضباب ونحوه فى كونه مضافا لما فيه الى قوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر
الانبيا لا نورث ونصبه بفعل مضمر لا يظهر اى اخص معشر وتقدم ان
الاصل معشر اهل الاسلام وركنا اسم ان ولنا خبرها ومن العناية خبر اخر
او حال من الضمير فى المجرور وهو العامل فيه ويضعف كونه من نعت النكرة اخر
ركنا تقدم عليها فانتصب على الحال اذ لا عامل فيه الا الابتداء او ان وكلاهما
لا يعمل فى الحال عند الجمهور ويحتمل ان يتعلق بالخبر وغير نعت ركنا ويحتمل غير
ذلك وقال بعضهم منهدم اسم فاعل بمعنى الاستقبال لا يصح ان يريد الناظم
سوى ذلك قلت ولا ادرى ما وجه هذا التخصيص فلم لا يجوز ان يريد
معنى الصفة الثابتة مطلقا كما تقدم اعرابها فى قوله لما ملكت وعلى انها ظرف

فالفاعل

فالفاعل فيها جوابها وداعينا مفعول دعا الاول وسكن ياؤه ضرورة لان
فتحة المنصوب تظهر فى اليا وهى ضرورة كثيرة الوقوع ومنه قول
النابغة ردت عليه اقاصيه ولبده وقرى من اوسط ما تطعمون اهليكم
بجمع التكسير وتسكين الياء ومنا فى موضع خفض باضافة داع اليه وبه يتعلق
لطاعته نحو ليدعوكم لتؤمنوا باكرم مفعول ثان لدعا وقد يحذف حرف الجر نحو
دعتنى اخاها البيت وقوله داعانى الغوانى عمهن وكنا كان واسمها اكرم
خبرها والجملة جواب لما الاشارات لما تقدم فى اشارات الفصل قبل هذا
ان لا نجاة الا فى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الكتاب والسنة
تركت فيكم شيئين لا جرم كان هو صلى الله عليه وسلم خير من يمم العافون ساحته
اذ لا يطلب العاقل قبل كل شىء الا النجاة نفسه ولا نجاة الا باتباع
السنة وسننه صلى الله عليه وسلم من افعاله واقواله وتقريراته الدينية
والدنيوية واقتفاء اثار السلف الصالح رضى الله عنهم هى ساحته فكيف لا
يجد ذو البصيرة فى طلبها سعيا بقدر طاقته ان قربت المسافة والا فيضرب
اكباد الابل والكينونة فوق متونها ان بعدت اطلبوا العلم ولو بالصين وفى
السلف الصالح رضى الله عنهم يسير الواحد منهم فى طلب الحديث الواحد مسيرة
شهر وكيف لا وفى طلب العلم النجاة وجماع الخيرات الا ترى الكليم صلوات الله
عليه وسلم وعلى نبينا كيف ارتحل الى مجمع البحرين للقاء الخضر والازدياد
من علمه واستعطافه اياه بعد وصوله اليه بقوله هل اتبعك مع انه
كتب له فى الالواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء وقد امر الله تعالى
مدينة العلم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالتضرع اليه فى الازدياد من العلم
بقوله وقل رب زدنى علما وبالعلم تعرف كون النبى صلى الله عليه وسلم
هو الاية الكبرى اذ ذلك مما هو المعتبر ولا ذلك العلم بانه نعمة عظمى
وهو المغتنم لذلك ولا ينال هذه الدرجات من لم يتامل السنن وتتبعها
ولا يحصل العلم الا مع تفرغ البال له وقطع العلائق التى يشغل عنه ولذلك
كان افضل اوقات طلبه الليل الا ترى ان اصله انما حصل لسيد البشر

بعد تنقية قلبه من علقات الدنيا التي هي حظ الشيطان وذلك تفرغ البال
وايضا في الليل وقت الخلوات وهدو الاصوات سربت من حرم البيت قيل
انما اسري به ليلا لان الله تعالى لما محا اية الليل وجعل اية النهار مبصرة
انكسر الليل فجبر بان اسري فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم انا عند المنكسرة
قلوبهم وقيل افتخر النهار على الليل بالشمس فقيل لا تفتخر ان كانت شمس الدنيا
تشرق فيك فسيعرج شمس الارض في الليل الى السماء وقيل لان الليل وقت
غفلة الرقباء وغيبة الاجانب وقيل عزة من الاحباب في ظلم الحجاب
وقيل لان الليل خلق من الجنة والنهار من النار لما خلقت الجنة قال الله
جل جلاله ادخلها فدخل فقال طوبى لمن خلقت هذه من اجله الا ان فيها
لمعة سوداء فاخرج الله تلك اللمعة وخلق منها الليل ولما خلقت النار امر
فدخلها فقال الويل كل الويل لمن خلقت من اجله الا ان فيها لمعة بيضاء فاخرج
الله تعالى تلك اللمعة وخلق منها النهار فعرج به فيما خلق من الجنة وقيل لانه
سراج والسراج انما يوقد بالليل قال تعالى وسراجا منيرا وانما لم
يوصف بالشمعة لانها يستمد من نفسها والسراج من غيره كما انه صلى الله
عليه وسلم يستمد من الغيب وما ينطق عن الهوى ولان السراج يقدر عليه
كل احد والشمعة انما هي للاغنياء وعناية الرب عز وجل بالفقراء اكثر ولا
تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي وقيل لانه سمي بدرا في قوله تعالى
طه فان الطاء تسعة والهاء خمسة وذلك اربعة عشر فكانه قيل يا بدر
اربع عشرة وانما يطلع البدر ليلا وانشدوا   قلت سيدي ولم توثر الليل
على بهجة النهار المنير   قال لا استطيع تغيير رسمي هكذا الرسم في طلوع البدر
انما زرت في الظلام لكيما يشرق الليل من اشعة نوري   وانشدوا ايضا
وعد الحبان يزور بليل   فانتظرناه للقدوم مساء   قلت لم تكره النهار فتاتي
تحت جنح تحذر الرقباء   قال لا للحذار هذا ولكن   هكذا تطلع البدور عشاء
وقيل في سبب السري في الليل غير ذلك مما يطول ذكره وهذا القول الاخير
يناسب قول الناظم كما سرى البدر في داج من الظلم قوله وبت ترقى البيت

قالوا جاء جبريل عليه السلام ليلة المعراج وقال يا محمد اجب ربك فما راى
اهتزازا فقال يا محمد موسى اهتز لسيره الى الطور وانت لا تهتز للمعراج
الى العرش قال يا جبرائيل اظل عند ربي يطعمني ويسقيني جيتني بالكورة
غيره حتى اهتز قال هو يريدك الان قال ان كان ولابد ما لم يحملني بنفسه
لا ابي قال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا وقعت هيبة الوقت على
جبرائيل قال انا حامل الغاشية ان كان البراق هو الحامل فلم تخلف عند
ابواب السموات وان كان جبريل فلم تخلف عند سدرة المنتهى فلما فارقه
قال اهنا موضع يفارق فيه الخليل خليله والساكن دليله نحن الليلة
ضيفك والضيف كيف يهرب من الضيف قال لو تقدمت انملة لاحترقت من النور
وما منا الا له مقام معلوم جبريل خلق من النور يخاف ان يحرقه النور ومحمد
صلى الله عليه وسلم خلق من التراب فزج به في النور ولم يخف يا جبرائيل
هل لك من حاجة بشرت لي جناحين سددت بهما الخافقين هذا اليوم
يومي والوقت وقتي ثم زج به في النور الى بساط قاب قوسين او ادنى
وهي المنزلة التي لم تدرك ولم ترم قوله وقدمتك الحق له المستتم في الحجب
لما وصل الى سدرة المنتهى ضرب بكفه قدمه وقال موضع لم يجاوزه احد
قبل ولا يجاوزه احد بعدك قال جبريل كنت اظن اني عرفت محمدا فالان
عرفت انني ما اعرفه وفي الحديث لما عبر محمد على موسى صلوات الله عليهما
وسلم بكى موسى وقال صعد شيخ ورفع شاب فقال له انه الحبيب فقال اعرف
هذا محمد سابق غير مسبوق وعز على جميع الموجودات فلم يعرج على شيء منها
ولا التفت ما زاغ البصر وما طغى قوله خفضت لبيت اي لما وصل الى العرش
وهو منتهى الكون والمكان صار كل مكان لان منتهى الكون فوق الامكنة
فلما انفرد بتلك الرفعة كالرفعة وقف وقال الى اين هذا هو المعنى قلت
الامنية وكان لسان الحال يقول   اسكان رامة هل من قرى فقد دفع الليل
ضيفا قنوعا   كفاه من الزاد ان تمهدوا له نظرا وحديثا وسمعا   ولا
ترجعوه كما جاء كم تخوف الصد وداطا دا الهجر عا   تشفع بالحب في وصلكم

فهل يقبل الحب فيه شفيعا   فنودي السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته ولما قيل ذلك نادتز الهمم الصادقة من خزاين الغيب يا محمد
تاكل وحدك اسمعنا واطعمنا فاتت قلت شر الناس من اكل وحده فقال كلا و
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فدخل في الصالحين الانبياء وغيرهم
وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وانه في الاخرة لمن الصالحين
قوله كيما البيت ما لذة الوصال الا بخلوصه من شوايب كدورات الوشاة
الحاسدين فلا جرم كان انعمه واكمله ما كان مستترا عن العيون جملة كان
لا لذة اكمل من مسارة الحبيب بحيث تكتم عن غيرها اشد اكتتام وفي الحديث
ان عايشة رضي الله قالت برسول الله ما الذي اوحى اليك ربك اذ قال
فاوحى الى عبده ما اوحى قال يا عايشة اتريدين ان تعلمي ما لا يعلمه جبرئيل
ولا ميكائيل ولا نبي مرسل ولا ملك مقرب فقال لا اسئلك يا بي بكر الا ما
اعلمتني قالت فقال اني لما كنت قاب قوسين قلت اللهم انك قد عذبت
الامم بعضهم بالحجارة وبعضهم بالمسخ وبعضهم بالخسف فما انت فاعل بامتي
قال انزل عليهم الرحمة من عنان السماء وابدل سيئاتهم حسنات
ومن دعاني منهم لبيته ومن سألني اعطيته ومن توكل كفيته وفي الدنيا
الستر على العصاة واشفعك فيهم ثم قال يا محمد لولا ان الحبيب يحب معاتبة
الحبيب لما حاسبنا امتك سرا ولا جهرا اللهم كما مننت علينا بحب نبيك
ارزقنا الصدق في الحب وامتنا عليه وفي هذا الحديث ما يناسب قوله بشرى
لنا ولما دعا النبيين وما اجرى صاحب هذه المناصب وبعض خصايص
تلك المناقب فيقال لله فخرت كل فخار وجل مقدار البيتين ومما يناسب قوله
بشرى لنا ولما دعا البيتين وما وصف به هذه الامة من انها اكرم الامم
وان لها من العناية ركنا لا ينهدم ما في الحديث انه روي صلى الله عليه وسلم
ليلة المعراج قايما على يدي فنودي يا محمد افتح يديك فاذا هي في احدى
يدي حسنات امتي وفي الاخرى سيئاتهم فنودي يا محمد افتح يديك فقد قبلنا
حسناتهم وغفرنا سيئاتهم ولما اراد الانصراف قال رب لكل قادم من سفره

عفة

تحفة امتي فقال انا لهم ما عاشوا وانا لهم اذا ماتوا وانا لهم في قبورهم
وانا لهم في النشور فركبنا لا ينهدم حال لحياتنا ولا حال مماتنا ولا في بيوتنا
ولا في قبورنا ولا في سكوننا ولا في نشورنا • يا صاحبي ابشر وانت مخبر
ارايت يوما مثل هذا شاهدنا • او ما كفاه ان ارانا ظاهرا من حسنه
حتى ارانا باطنا • صلني فاني عن ديارك ظاعن • والمرجو ان يرزقنا
اللهم بحق محمد صلى الله عليه وسلم وآله وازواجه وذريته ان تجعلنا في
الدنيا والاخرة من امته وان تميتنا وتحشرنا على محبته واتباع سنته رمل

راعت قلوب العدى انباء بعثته   كنبأة اجفلت غفلا من الغنم
ما زال يلقاهم في كل معترك   حتى حكوا بالقنا لحما على وضم
ودوا الفرار فكادوا يغبطون به   اشلاء شالت مع العقبان والرخم
تمضي الليالي ولا يدرون عدتها   ما لم تكن من ليالي الاشهر الحرم
كانما الدين ضيف حل ساحتهم   بكل قرم الى لحم العدى قرم
يجر بحر خميس فوق سابحة   يرمي بموج من الابطال ملتطم
من كل منتدب لله محتسب   يسطو بمستأصل للكفر مصطلم
حتى غدت ملة الاسلام وهي بهم   من بعد غربتها موصولة الرحم
مكفولة ابدا منهم بخير اب   وخير بعل فلم تيتم ولم تئم

اللغة راعه يروعه روعا اي افزعه فالروع بالفتح الفزع والروعة
الفزعة ومنه قولهم افرخ روعك اي ذهب فزعك وسكن والروع بالضم
القلب والعقل يقال وقع ذلك في روعي اي في خلدي وبالي وفي الحديث
ان الروح الامين نفث في روعي وروعت فلانا وروعته فارتاع اي افزعته
ففزع وتروع اي تفزع وقولهم لا ترع اي لا تخف ولا يلحقك خوف وانا
لا ارتاع والروعاء من النوق الحديدة الفؤاد وكذا الفرس ولا يوصف به الذكر
وراعني الشيء اي اعجبني والاروع من الرجال الذي يعجبك حسنه وامرأة
روعاء بينة الروع القلوب جمع قلب العدى بضم العين وكسرها مقصورا الاعداء
وتقدم تفسيرهما الانباء جمع نبأ الخبر نبأ وانباء اي اخبر ومنه النبي صلى الله

البث بفتح الثاء والبعثة بكسر الباء اى الارسال وتقدمت المادة فى قوله
وابعثت الى المكارم البثاة الصوت وقال الجوهرى الصوت الخفى جفلت
الغنم واجفلت اسرعت فى الهرب واجفلها غيرها جافلة وجفل القانص
الوحش واجفله هربه وقال الجوهرى جفل اسرع والجافل المنزعج والاجفل
الجبان وظليم اجفيل يهرب من كل شئ واجفل القوم هربوا مسرعين واجفلت
الريح فهو مجفل وجافله ايضا اسرعت واجفلت بالتراب اذهبته وطحاه
واجفل القوم انقلعوا كلهم فمضوا عقلا قيل انه جمع غافل كبزل فى جمع
بازل ـــــ وفى شرح القصار الغفل من الدواب الذى لاسمة عليه ولاعلامة
قلت وهذا صحيح لغة الا انه لا يشرح به ما فى البيت اذ ليس هو المراد بها هنا
وانما المراد كون الغنم غافلة لم يستعد لما ورد عليها من تلك البنات ومن
المادة غفل عن الشئ يغفل غفلة وغفولا واغفله عنه غيره واغفلت الشئ
تركته على ذكر منك والاغفال الموات وارض غفل لا علم بها ولا اثر عمارة وكذا
ارض غفل لم تمطر ودابة غفل لاسمة عليها واغفلها لم يسمها ورجل غفل
لم يجرب الامور والمغفلة التى فى الحديث جانبا العنفقة الغنم اسم جنس
مؤنث للذكور والاناث وهما جميعا والضان والمعز وتصغيرها غنيمة
لان ما لها لا واحد له من اسماء جموع غير الادمى يلزمه التانيث فيقال لخمس
من الغنم ذكور فيؤنث العدد وان عنيت الكباش اذا كان يليه من الغنم
لان العدد يجرى فى تذكيره وتانيثه على اللفظ لا على المعنى والابل كالغنم
فى جميع ما ذكر ومازال معناه الدوام وهى من اخوات كان ومضارعها يزال
يلقاهم تقدم فى قوله حين تلقاه والمعترك موضع الحرب وكذا المعرك
والمعركة بضم الراء واعتركوا ازدحموا فى المعترك وعركهم فى الحرب عركا [illegible]
القتال وعركت الشئ اعركه عركا دلكته وعرك البعير جنبه بمرفقه والعريكة
بقية السنام والطبيعة ولين العريكة اذا كان سلسا ولانت عريكته انكسرت
نخوته وما بمعروك مزدحم عليه وارض معروكة عركتها السائمة حتى اجدبت
حكوا انشابهوا وتقدم القناء جمع قناة وهى الرمح ويجمع ايضا على قنوات

وقنى على فعول وقنا كجبل وجبال اللحم معروف واللحمة اخص والجمع لحام ولحمان
ولحوم ولحمة البازى ما يطعم مما يصيده تضم وتفتح وكذا لحمة القرابة
والثوب والملحمة الوقعة العظيمة فى الفتنة والملحم الرجل المطعم للصيد
المرزوق منه والمتلاحمة الشجة التى اخذت من اللحم ولم تبلغ السمحاق
واللحيم القتيل ولحم قتل ولحم الرجل بالضم فهو لحيم كثر لحم بدنه وبالكسر اشتهى
اللحم فهو لحم ولحيم لحمهم بالفتح طعمهم اللحم فانا لاحم ولا يقال الحمت خلافا للـ
ولاحم اى ذو لحم كتامر ولاحم بايعه ولحمت العظم لحمه بالضم اذا عرقته والملحم كـ
فى بيته اللحم والملحمة الحرب فالتحمت والتحم الجرح للبرء والحمه عرضته امكنته منه
والوضم كل ما وضع عليه اللحم من خشبة او بارية توقى به الارض قال ليس
براعى ابل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم ويقال للحقير الذليل على طريق
الاستعارة لحم على وضم ويحتمل ان يكون هو المراد هنا كما يحتمل الحقيقة فى
وضمت اللحم اضمه وضما اوضعته على الوضم او وضمت جعلت له وضما ابو
دريد اوضمت اللحم واوضمت له والوضيمة طعام المأتم ودوا تمنوا واصله ودد ودوا
فسكن الاول وادغم لاجتماع المثلين تقول وددت لو فعلت ووددت لو تفعله
وودت لو انك تفعل ودا وُدا ووداده ووداد اى تمنيت ووددته اود
ودا احببته والود مثلث الواو والمودة تقول توددوا ان يكون كذا والود
الوديد والجمع اودهم ايتودان وهم اوداء والودود المحب ورجال ودا
وهو للمذكر والمؤنث لكونه وصفا داخلا على وصف للمبالغة والفرار مصدر
فر يفر اى هرب وافره غيره والفرور من النساء النوار ويقال للواحد والاثنين
والجمع والمؤنث فر وفى الحديث هذان فر قريش افلا ارد على قريش فرها
وقد يكون جمع فار كراكب وركب وتفاروا تهاربوا وفرس مفر بكسر الميم
يصلح للفرار عليه والمفر الفرار والمفر الموضع والفرير وكذا البقرة الوحشية
ومثله الفرار كطويل وطوال ويقال انه جمع فرير وفعال قليل فى المجموع
وفى المثل نزو الفرار استجهل الفرار وذلك انه اذا شب نزا فينزو غيره لنزوه
كاد يفعل كذا يكاد كودا ومكادة قارب ولم يفعل واصله كود بكسر العين

تحركت وانفتح ما قبلها وابدلت الفا وتقدم توجيهه في نظيره وحكى سيبويه
كُدْتُ بضم الكاف وكيد زيد يفعل وما زيل يفعل يريدون كاد وزال فنقلوا
الكسر الى الكاف في فعل كما في فعلت وسمع الاصمعي لا افعل ذلك ولا كودا
فجعلها من الواو ولا كثر يجرد خبرها من ان بضد عسى في ذلك وقد تقرن
تشبيها بعسى قال رؤبة ربع عفى من بعد ما قد انمحى قد كاد من طول
البلى ان يمصحا وعرف فلان ما يكاد منه اى ما يراد ولا تهمة لى ولا مكادة
اى لا اهم ولا اكاد ويقال لسائل الابراد اعطاؤه لا ولا مكادة وكاد
وضعت لمقاربة الشيء فعل ام لا فمثبتة لنفي الفعل ومنفية لثبوته حتى الغز
بعضهم فيها فقال انحوي هذا العصر ما هي كلمة جرت في لساني جرهم
وثمود ان استعملت في موضع النفي اوجبت وان اوجبت قامت مقام جحود
فيكاد البرق يخطف لم يخطف وما كادوا يفعلون قد فعلوا لانهم ذبحوا وثم
من يذكر هذا اللغز في لو والمحققون على ان نفيها نفي وايجابها ايجاب كساير
الافعال وقال في التسهيل وتنفى كاد اعلاما بوقوع الفعل عسيرا
كالاية اى ذبحوا بعد ان كانوا ما قاربوا ان يفعلوا لبعده وعدم مقاربته
فما كاد يفعل اى ما فعل وما قارب وقيل في قوله تعالى اكاد اخفيها اى اريد
كما استعمل اراد لكاد في قوله تعالى يريد ان ينقض يغبطون تقدم ان الغبطة
تمني مثل حال المغبوط من غير ان يريد زوالها عنه ضد الحسد في ارادة الزوال
فليست به تقول غبطته بفتح الباء اغبطه بكسرها غبطا وغبطة فاغتبط
كمنعته فامتنع وحبسته فاحتبس قال وبينما المرء في الاحياء مغتبط
اذا هو الرمس يعفوه الاعاصير اى مغبوط والاسم الغبطة وهو حسن الحال
واللهم غبطا لا هبطا اى نسألك الغبطة ونعوذ بك ان نهبط عن حالنا اشلاء
جمع شلو بكسر الشين وسكون اللام وهو العضو من اللحم وفي الحديث ايتني
بشلوها الايمن واشلاء الانسان اعضاؤه بعد البلى والتفرق وهم اشلاء
في بني فلان اى بقايا فيهم شالت ارتفعت وشال الميزان ارتفعت احدى
كفتيه وشالت الناقة بذنبها يشوله واشالته رفعته وشال ذنبها ارتفع

والشول النوق التي خف لبنها وارتفع ضرعها واتى عليها من نتاجها سبعة
او ثمانية الواحدة شايلة وهو جمع على غير قياس يقال منه شولت الناقة بالتشديد
اى صارت شايلة واما الشائل بلا هاء فالناقة تشول بذنبها للقاح ولا
لبن لها اصلا والجمع شول كراكع وركع وشولة العقرب ما يشول من ذنبها
وتسمى العقرب شوالة وشلت بالجرة اشول بها شولا رفعتها ولا تقل شلتها
ويقال اشلتها فانشالت هي والعقبان هنا جمع كثرة لعقاب الطائر المعروف
وجمعها في القلة اعقب لانها مؤنثة واصل تخصيص بجمع الاناث وعقاب
عقبناه وعبنقاة وبعنقاة مقلوبا اى ذات مخالب حداد والعقاب ايضا
عقاب الراية وحجر ناتئ في جوف البئر يخرق الدلاء وصخرة ناتئة في عرض جبل
شبه مرقاة والرخم بفتح الخاء جمع رخمة وهو طائر ابقع يشبه النسر في
الخلقة يقال له الانوق ويقال انه عشه لا ينال وفي المثل اعز من بيض الانوق
ومضى تذهب مضى الشيء مضيا ذهب ومضى في الامر مضاء نفذ ومضوا
على الامر مضوا ومضوا كالوقود والوقود وامر ممضو عليه الليل واحده
بمعنى جمع واحدته ليلة كتمرة وتمر ويجمع ايضا ليال زادوا الياء شذوذا
ونظيره اهل واهال ويقال الاصل ليلاة فحذفت لان تصغيرها لييلة
وقال سيبويه جمع على غير بنائه المستعمل كما صغروه كذلك اى كانهم جمعوا
وصغروا ليلاة ولم ينطقوا بها بل بليلة وليل اليل شديد الظلمة وكذا الليلة
ليلاء وليل لايل للتاكيد كشعر شاعر وعاملته ملاَيلة كمياومة من اليوم
وقيل الليلان الليل والنهار وليلى اسم امرأة ويجمع ليال وذكر قوم ان الليل
فكذا الكروان النهار وكذا الحبارى قال اكلت النهار بنصف النهار
وليلا اكلت بليل بهيم ولا يدرون لا يعلمون يقال دريته ودريت به دريا
ودرية بضم الدال وكسرها ودراية علمت به وقالوا لا ادر بحذف الياء تخفيفا
لكثرة الاستعمال وادريته اعلمته وقرئ ولا ادراكم به والوجه ترك الهمز
والعدة بكسر العين يكون مصدر عد يعده اى احصاه ويكون ايضا بمعنى العدد
والاشهر الحرم المذكورة في قوله تعالى منها اربعة حرم ذو القعدة وذو الحجة

والمحرم ووجب ثلثة سرد وواحد فرد ولا خلاف في هذا كما ورد تفسيره
في الصحيح من الاحاديث وكانت العرب لا يستحل فيه القتال فلذا سميت
حرما الاحيين خثعم وطي فانهما كانا يستحلان الشهور وكان الذين ينسؤن
الشهور ايام الموسم يقولون حرمنا عليكم القتال في هذه الشهور الا
دماء المحلين فكانت العرب تستحل دماؤهم خاصة فيها واما التي في
قوله تعالى فسيحوا في الارض اربعة اشهر فهي تعنيها اقوال لان عليا
رضي الله عنه اذن في الناس بصدر براءة يوم عرفة وقيل يوم النحر وكان
فيما بلغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ومن كان بينه وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم عهد فاجله اربعة اشهر فاذا انقضت فان الله بري
من المشركين ورسوله فهي على هذا من عشر ذي القعدة والى عشر في ربيع الاول
لان ابا بكر رضي الله عنه حج بالناس ذلك العام في ذي القعدة على مقتضى
النسأء الذي كانت الجاهلية تفعله وكان حجه صلى الله عليه وسلم قابلا
في ذي الحجة ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد
استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض قال بعضهم ان قلت انهم
لا يلتزمون كون المحرم من الاشهر الحرم دائما بل يحلونه سنة ويحرمونه
سنة الى صفر اخرى فانهم لا يأمنون الا في الاشهر الحرم عندهم لا عند
المسلمين قلت نحو فهم انما هو من المسلمين فلا يأمنون الا في الاشهر الحرم
عند المسلمين وليس نحو فهم من اعدائهم المشركين وقد علموا ان المسلمين
انما يتحامون القتال في المحرم لا في صفر سواء حرم المشركون في تلك السنة
المحرم او صفر انتهى قلت ليس كما ظن بل العمل كان على ما حرم المشركون لان
فعلهم ذلك كان قبل الاسلام وبكثير بعد الاسلام وهم يسمون الشهور
بغير اسمائها الثابتة لها في نفس الامر ولذا لم يحج صلى الله عليه وسلم في التاسع
لان الحج كان تلك السنة في ذي القعدة فلما كان قابل كان الحج في شهر الحجة
فحج صلى الله عليه وسلم فيها لما عاد الامر من تسمية الشهور وترتيبها الى الحال التي
خلقها الله تعالى وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان استدار كهيئته

يوم خلق السموات والارض في اشهر التاويلات والدين دين الاسلام حل بالمكان
يحل بالضم اي نزل حلا وحلولا ومحلا والمحل ايضا المكان الذي تحله وحللت
القوم وحللت بهم بمعنى الساحة تقدمت القرم بسكون الراء السيد والمقرم
البعير المكرم لا يحمل عليه ولا يذلل ولكن يكون للفحلة وقد اقرمته فهو مقرم
وكذلك القرم ومنه قيل للسيد قرم مقرم تشبيها بذلك قال الجوهري
واما الذي في الحديث كالبعير الاقرم فلغة مجهولة والقرم بكسر الراء اسم
فاعل من قرم الى اللحم اي اشتهاه ومصدره قرم بالتحريك وهو شدة شهوة
اللحم يجر يقود وجررت الحبل وغيره اجره جرا وسميت التي في السماء مجرة لانها
كاثر المجر وكتيبة جرارة اي ثقيلة السير لكثرتها وجيش جرار والجرارة ايضا
عقرب تجر ذنبها والجرير حبل يجعل للبعير كالعذار للدابة غير الزمام وبه سمي
الرجل وفرس جرور يمنع القياد وبئر جرور بعيدة القعر يسنى عليها والجا
نر الشيل والجرة خشبة نحو الذراع في راسها كفة وفي وسطها حبل
يصاد بها الظبا وفي المثل ناوص الجرة ثم سالمها لان الظباء اذا نشب فيها ناوص
ساعة واضطرب فاذا غلبته استقر كانها يضرب لمن خالف ثم اضطر
الى الوفاق والجارة الابل التي تجر بازمتها فاعله بمعنى مفعوله كراضية اي مرضية
وماء دافق اي مدفوق وفي الحديث لا صدقة في الابل الجارة وهي ركاب القوم
لان الصدقة في السوائم لا العوامل وجار جار اتباع والاكثر جار ربار بالباء
المثناة من اسفل وكان ذلك قبل وهلم جرا الى اليوم والخميس الجيش
ومنه قولهم محمد والخميس سمي بذلك لانه خمس فرق المقدمة
والقلب والميمنة والميسرة والساق وجعله الشاعر صفة في قوله قد نضرب
الجيش الخميس الازوراء وسبح الفرس جريه وهو فرس سابح اذا مد يديه للجري
وخيل سابحة وهو ماخوذ من السباحة في الماء وهي العوم والسبح
ايضا الفراغ والتصرف في المعاش وسبحا طويلا قيل فراغا وقيل متقلبا
وقيل الفراغ والجئة والذهاب ويقدم يرمي والمزج في الابطال جمع بطل بفتح
الطاء وهو الرجل الشجاع والمرأة وبطل يبطل بطولة وبطالة صار شجاعا

والتطمت الامواج ضرب بعضها بعضا وموج ملتطم دخل بعضه على بعض
لكثرته منتدب اسم فاعل من انتدب لكذا اى اجاب وهو مطاوع ندب يقال ندبه
لامر فانتدب له اى دعاه فاجاب واحتسب عند الله خيرا فهو محتسب اى قدمه
واعتده مما يدخر واحتسب بكذا اجرا عند الله والاسم الحسبة بالكسر وهي الاجر
والجمع الحسب واحتسب فلان ابنا له وابنة اذا مات وهو كبير وان مات
صغيرا قيل افترطه السطو القهر بالبطش يقال سطا به سطوا وسطوة اذا
قهره ببطش وشدة والسطوة المرة الواحدة والجمع السطوات والفحل يسطو
على طروقته والساطي الذي يغتلم فيخرج من ابل الى ابل وسطا الفرس
ابعد في الخطو والماء كثر وفرس ساط على سائر الخيل ويقال هو الرافع ذنبه في
حضره واستاصله فهو مستاصل قلعه من اصله ومصطلم بمعناه والاصطلام
الاستيصال واصل مصطلم مصتلم فابدلت التاء طاء وتقدم علة ذلك في نظيره
غدت بمعنى صارت وتقدم الملة بالكسر الدين والشريعة والغربة البعد والغريب
البعيد عن وطنه وقال الجوهري الغربة الاغتراب وتغرب واغترب بمعنى فهو غريب
وغروب بضم الغين والراء والجمع غربا والغرباء ايضا الاباعد واغترب تزوج
من غير اقاربه وفي الحديث اغتربوا لا تضووا اى لا تزوجوا العلة سقط في العمومة
لان العرب تزعم ان ولد الرجل من قرابته يجي ضاويا نحيفا غير انه يجيء كريما
على طبع قومه ومغرب خبر ما طرا من بلد اخر واغرب جاء بغريب وكذا
صار غريبا واستغرب في الضحك اشتد ضحكه موصولة من الوصل ضد
الهجران والوصل وصل الثوب والخف وبينهما وصلة اى اتصال وذريعة
وكل شيء اتصل بشيء فما بينهما وصلة والجمع وصل والرحم القرابة والرحم بالكسر
مثله القرابة والرحم رحم الانثى وهي مؤنثة كفله اى تحمل به فهو مكفول
والكافل من يكفل انسانا يعوله ومنه وكفلها زكريا وقرئ بكسر الفاء ابدا
اى دائما وصل الاب ابو بالتحريك لان جمعه اباء ولامه واو لقولهم ابوان وبعضهم
يثنيه على النقص فيقول ابان وفي الاضافة ابيك وجمعه ابون وكذا اخون
وحمون وهنون وقرئ واله ابيك بحذف النون للاضافة وما كنت ابا ولقد ابوت

ابوة وماله اب يابوه اى يغذوه ويربيه والنسبة اليه ابوي والابوان الاب
والام وبيني وبينه ابوة والابوة ايضا الاباء كالعمومة ويا ابت ويا امت التاء
عوض من الاضافة والوقف عليها بالهاء وفي القران بالتاء بالرسم ويا ام فتح
بسقوط التاء وصلا ولا يسقط مع الاب كذلك لان الاب على حرفين فكانه
اخل به فلزم الهاء وقوله كانك فينا يا ابات غريب اراد يا ابتاه فقلب وقولهم
يا بابي جعلوا الكلمتين لكثرتهما في الكلام كالواحدة ويا ابه بفتح تاء وبكسر
قال الجوهري فمن فتح اراد الندبة فحذف ويقال لا اب لك ولا ابا لك
وهو مدح وربما قيل لا اباك لان اللام كالمقحمة البعل الزوج والجمع بعولة
ويقال ايضا للمراة بعل وبعلة كزوج وزوجة وبعل الرجل صار بعلا ومن بعل
هذه الناقة اى من ربها وصاحبها يتم الصبي بالكسر ييتم بالفتح اذا مات
ابوه ويتمت الصبية تيتم يتما بضم اوله المصدر وفتحه وتسكين ثانيه واليتم
في الناس من قبل الاب وفي البهائم من قبل الام وجمع اليتيم ايتام ويتامى
وايتمت المراة فهي موتم صار اولادها ايتاما وكل منفرد عن نظيره فهو يتيم
يقال درة يتيمة ويتمهم الله تيتيما جعلهم ايتاما امت المراة تئيم ايما
وايوما خلت من زوج وتايمت المراة وتايم الرجل زمانا اذا مكث لا
يتزوج وفي الحديث انه كان يتعوذ من الايمة والايامى من لا زوج لهم
من الرجال والنساء واصله ايايم فقلب والواحد ايم كسيد للرجل والمراة
وسواء تزوج من قبل ام لا بكرا كانت المراة او ثيبا وقالوا اى يكون على الايم
نصيبي يقول ما يقع بيدي بعد ترك التزوج اى امراة صالحة او غير
ذلك وايمه الله تاييما وما له ام وعام اى هلكت امراته وماشيته حتى يئم
ويعيم نعيمان الى اللبن وايمان الى النساء والحرب مايمة يقتل رجال النساء
وقد امتها وانا ايمها مثل غمتها وانا اعيمها التفسير قوله راعت
البينات اى ان اخبار بعثته صلى الله عليه وسلم التي صدرت من الكهان والمنجمين
قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم وبعده في اوله حسبما صدر من الرقاب المسافرة
افزعت تلك الاخبار قلوب الاعادي لدينه وشريعته من الكفار لما كانوا يسمعون

دينه سيظهر على كل دين وانه يذل كل جبار عنيد وقوله كنباءة اى ان صوت
اخباره التى روعت قلوب العدى والحال انهم غافلون عن دين الحق دين الاسلام
وانغماسهم فى بحور الكفر والضلال وغمرة الجهالة والبطالة وابتعادهم وانشغالهم
عند سماعها لكونهم انهم على حين غفلة وامان وشدة ركونهم الى متاع الدنيا
واطمينان كصوت ورد على غفـــل من الغنم لكونها راتعة فى ربيعها مشتغلة
فى اكلها وشهواتها فاجفلها ذلك الصوت وفرقها ومن شرح الغفلة بالاسمة
عليها لان الايمان يسم القلوب بالخير فعدمه يصير صاحبه غفلا من الخير
كالبهايم بل اضل سبيلا قلت وقد تقدم استبعادنا لان يكون هذا وجه التشبيه
هنا اللهم الا ان يكون هذا مضموما للذى اخترناه فيقال الناعين من الغنم
الغفل لما ذكره هذا الشارح فلا بأس به واما ان يجعل اصلا مستقلا مقصودا
للتشبيه فبعيد عن لفظه الدال على ان المقصود خوفهم بما سمعوا من الاعلام
ولبعضهم هـــنا اعتراض سمعته بذكره مبناه على البناء مخصوصة بصوت الكلب
ذكرناه والجواب عنه فى كتابنا الاستيعاب وانما لم نذكره هنا لعدم الوثوق
بما ذكر من التخصيص لغة واما ما اشار اليه الناظم من ان قلوب الكفار ارتاعت
لانباء بعثته صلى الله عليه وسلم مشهور من التواريخ والسير وثابت فى الصحيح
من ذلك ما فى البخارى من حديث ابى سفيان حين ارسل اليه هرقل
فى ركب من قريش كانوا تجارا بالشام وسأله عن امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحديث بطوله وفيه قال ابو سفيان فلما فرغ هرقل من قراءة الكتاب الذى
بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع دحية واخرجنا كثر عنده الصخب
وارتفعت الاصوات فقلت لاصحابى لقد امر امر ابن ابى كبشة انه ليخافه
ملك بنى الاصفر يعنى ابو سفيان يابن ابى كبشة رسول الله صلى الله عليه وسلم
لان بعض اجداده لامه يسمى بابى كبشة وقيل غير ذلك ثم قال البخارى
قال ابو سفيان فما زلت موقنا انه سيظهر حتى ادخل الله على الاسلام
وكان ابن الناطور صاحب ايليا وهرقل سقفا على نصارى الشام يحدث ان
هرقل حين قدم ايليا اصبح يوما خبيث النفس فقال قد استنكرنا هيئتك

وكان ينظر فى النجوم فقال رأيت الليلة حين نظرت فى النجوم ان ملك الختان
قد ظهر قال فمن يختتن من هذه الامة قالوا ليس يختتن الا اليهود فلا
يهمنك شانهم واكتب الى مداين ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود فبينما هم على
امرهم اتى هرقل برجل ارسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنظروه فوجدوه مختتنا وسألوه عن العرب فقال هم يختتنون
فقال هرقل هـــذا ملك هذه الامة قد ظهر ثم كتب هرقل لصاحب
له برومية نظيره فى العلم وصار هرقل الى حمص فاتاه كتاب صاحبه بما يوافق
على خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه نبى فجمع عظماء الروم فى دسكرة
له بحمص وغلق الابواب واطــلع فقال يا معشر الروم هل لكم فى الفلاح
والرشد وان يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبى فحاصوا حيصة حمر الوحش
الى الابواب فوجدوها قد غلقت فلما رأى نفرتهم وايس من ايمانهم قال
ردوهم على ثم قال انى قلت مقالتى اختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت
فسجدوا له ورضوا عنه انتهى ما اريد منه وهذه كلها احوال من دخل
قلبه الروع والخور لانباء بعثته صلى الله عليه وسلم وهذا المعنى فى اخبارهم
واشعارهم كثير جدا وفى اشارة بعضهم الى هذا الحديث فى شرحه بعض تخليط
فليتأمل ويحتمل ان يكون معنى البيت راعت قلوب العدى اى من بعد مكانه
منهم اخبار حروب النبى صلى الله عليه وسلم لاعدائه وافزع الاعادى الخبر
غلبته صلى الله عليه وسلم لمن قرب من اعاديه لانهم يحزنهم ان يغلب من
شاركهم فى الدين كما كان المؤمنون يسرون بغلبة الروم فارس لانهم اهل
كتاب والمشركين بالعكس لان الفرس مشركون وايضا كانوا يظنون ان لا قدرة
له على غلبة احد لما كان عليه من قلة التابع فهم على حال غفلة من غلبته
فلما ورد عليهم من ذلك ما احزنهم راعهم ذلك كما يروع الغنم الغفل الصوت
الذى يفجأها على غفلة واصل الكلام انباء حروب بعثته وانما اضاف
الحروب الى البعثة لانه بعث صلى الله عليه وسلم بالسيف ولذلك كانوا
يرون صفته فى كتبهم وهو كما ذاع الكفار قريش هل رسول الله صلى الله عليه وسلم

يكون قوله ما زال يلقاهم استينافا واخبار وعلى الثاني يكون تفسيرا لاثنا
حروبه صلى الله عليه وسلم حتى كانه قيل كيف راعت قلوب العدى بای شی
فقال لانه صلى الله عليه وسلم ما زال يلقاهم وضمير يلقاهم على الاول
عايد على الاعداء المروعين وعلى الثاني عايد على جنس الاعداء وعلى نظير
المروعين منهم بخود رهم ونصفه ومعنى البيت انه صلى الله عليه وسلم
لم يزل يلقى العدا ويحاربهم في كل معترك كان فيه بانه صلى الله عليه وسلم
بينه وبينهم وذلك بنفسه تارة وبخيله او رجله من نفوس اخرى حتى
شابهوا اي العدى المحاربون من كثرة ما اوقع بهم من القتل والجراحات
التي تثبتهم بطعن القنى وضرب السيوف ورمي النبل لحما مطروحا على وضم
وقوله في كل معترك وقع بينه وبينهم وهذا التخصيص يقتضيه العقل فلا
حاجة الى الاعتذار عما يوهمه كل معترك من شموله ما هو كان قبل
الاسلام وبعد موته صلى الله عليه وسلم فان مثل هذا لا يتوهم كما لا يتوهم
فيمن قال انا اخصم كل جدل منطيق تناول المتكلم فيلزم ان يخصم نفسه
وان كان المخاطب داخلا في عموم متعلق خطابه على المختار من مذهب الاصوليين
وفي الكلام حذف ايضا اي يلقاهم فيطاعنهم فيطعنهم حتى قال ابن اسحق
وكان جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعا وعشرين غزوة ودان
ثم بواط ثم العشيرة ثم بدر الاولى بطلب كرز بن جابر ثم بدر الكبرى
ثم بني سليم ثم السويق ثم غطفان وهي غزوة ذي امر ثم نجران معدن
بالحجاز ثم احد ثم حمراء الاسد ثم بني النضير ثم ذات الرقاع ثم
بدر الاخرة ثم دومة الجندل ثم الخندق ثم بني قريظة ثم بني لحيان
ثم ذي قرد ثم بني المصطلق ثم الحديبية ثم خيبر ثم عمرة القضاء
ثم الفتح ثم حنين ثم الطائف ثم تبوك قاتل منها صلى الله عليه وسلم
في تسع بدر واحد والخندق وقريظة والمصطلق وخيبر والفتح
وحنين والطائف وكانت بعوثه صلى الله عليه وسلم وسراياه ثمانيا
وثلثين من بين بعث وسرية هذا نقل ابن اسحاق ونقل غيره غير ذلك

وقوله

وقوله ودوا الفرار البيت اي لما استمر فيهم القتل واثبتتهم الجراحات تمنوا
ما لا يتمنى عندهم مما هو اقبح الخصال عند العرب واذمها وهو الفرار عن الزحف
فانه من افعال اللئام الجبناء وما كانوا يرضون به فضلا عن تمنيه لكن ما
حل بهم اعظم من كثرة وجادتهم للفرار وصيرورته من شهواتهم المطلوبة
وانه لا تحين مفر لهم من غضب الله الذي حل بهم على يد رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله الاية تنزل عندهم منزلة المحال
الذي لا ينال الا بالتمني وتمنوا منه ما هو محال عادة وهو الطيران في الجو
اذ لم يروا ما يمنعهم من طلب النبي صلى الله عليه وسلم اياهم الا ذلك فكان
تمنيهم الفرار الموصوف وشدة حرصهم عليه لو امكنهم يغبطون به اي
بذلك الفرار او تشبيه اعضاء من اللحم ارتفعت في الجو مع العقبان والرخم
لرفعها اياها فكانوا يقولون يا ليت لنا مثل الارتفاع في الجو ونيل العلا قل
العالية مثلها الاعضاء اللحم التي رفعتها العقبان والرخم لا وهم ايهم على
اولاد بهم من الشدة والقوة وانما خص هذين النوعين من الطير لابعادها
في الارتفاع حتى ان المثل يضرب ببيض الانوق كما تقدم وانما قال يغبطون
ولم يقل يحسدون لان الحسد كما تقدم تمني زوال النعمة على المحسود ولا
يكون غالبا الا مع كراهية المحسود اذ المحبوب لا يتمنى محبه زوال نعمته
واعضاء اللحم لا تكره حتى تحسد اذ لا يعقل وهناك وجه غير هذا
وهذا اظهر عندي منه وقال بعضهم ونسبة الناظم الارتفاع الى الاشلاء مع انها
انما ارتفعت مطاوعة لغيرها وفي كون المتحرك بحركة غيره متحركا كتحرك
المظروف بحركة الظرف خلاف انتهى قلت واللغة لم تبن على المشاحة في
مثل هذا قوله تمضي الليالي البيت لما دخل قلوبهم من اجل طلب المؤمنين
اياهم بالقتال من الفزع وخامر نفوسهم وشغل بواطنهم من الروع والهلع
صاروا لا يدرون عدد ما يمضي عليهم من الليالي لما هم فيه من الكرب
اذا كانت الليالي التي تمضي عليهم من ليالي الاشهر الحرم فانهم يدرون انقضاءها
لانهم يأمنون فيها من طلب المؤمنين اياهم فيستفيقون من سكر الخوف

وتغرب اليهم عقولهم ويعود اليهم صبرهم فحينئذ يرجعون مع انفسهم فيتفطنون
لما مضى من الليالي ويدرون عدتها وهذا كان قبل اباحة القتال في الاشهر
الحرم عند من رأى انه ابيح فيها القتال وقال عطاء لم ينسخ ولا ينبغي القتال
في الاشهر الحرم لقوله تعالى يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه الاية
ولا خفا بان الاية دليل على العكس ونزلت في قصة عمرو بن الحضرمي حين بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية عليها عبد الله بن جحش الاسدي
مقدمه من بدر الاولى فلقوا عمرو بن الحضرمي ومعه عثمان بن عبد الله
ابن المغيرة واخوه نوفل المخزوميان والحكم بن كيسان في آخر يوم من رجب
على ما ذكر ابن اسحق وفي اسحق يوم من جمادى الآخرة على ما ذكر الطبراني عن
السدي وغيره والاول اشهر عن ابن عباس وعنه ان ذلك كان في اول
ليلة من رجب والمسلمون يظنونها من جمادى وان القتل في الشهر الحرام
لم يقصدوه واما على قول ابن اسحق فانهم قالوا ان تركناهم اليوم دخلوا
الحرم فازمعوا قتالهم فرمى واقد بن عبد الله عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله
واسر عبد الله بن عثمان والحكم وهرب نوفل فاعجزهم واستعمل المسلمون هذا
في الشهر الحرام خوف فوتهم فقالت قريش استحل محمد الاشهر الحرم وعيروا
بذلك وتوقف صلى الله عليه وسلم وقال ما امرتكم بقتال في الاشهر الحرم
وذكر الصاحب في رسالته الاسدية ان عبد الله بن جحش سمي امير المومنين
حينئذ لتأميره على جماعة منهم وذكر المهدوي انها نزلت في قتل عمرو بن امية
الضمري رجلين من بني كلاب في رجب وهو تخليط لان صاحبي عمرو كان لهما
عهد من النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمرو قد افلت من قصة بئر معونة وهذا
كله على ان الضمير الفاعل بيدرون عائد على الكفار وانظر هل يحتمل المعنى
عوده على المومنين على سبيل المبالغة لا الحقيقة اي ولاجل اشتغال المومنين
بقتال الكفار وصرف هممهم الى ذلك كانهم ليس لهم هم ولا توجه الى شيء
من الامور الا لمقاتلتهم حتى ان الليالي تمضي عليهم ولا يدرون لها عددا
لشغل البال بطلب الكفار ما لم تكن الليالي سوى ليالي الاشهر الحرم فانهم لكثرتهم

القتال فيها يدرون عدتها ويكون هذا المعنى كقوله صلى الله عليه وسلم
في غزوة الخندق شغلونا عن الصلوة الوسطى ملأ الله قبورهم وبيوتهم
نارا فاذا جاز اشتغاله صلى الله عليه وسلم عن اعظم العبادات وهي الصلوة
وعن اعظم ذلك الاعظم وهي الصلوة الوسطى بسبب الاشتغال بقتال
الكفار فلان يشتغل المومنون عن عد الليالي ادى ذلك الى تضييع كثير
مما كلفوا به فان ذلك قد يوقع في عدم تمييز الجمع ورمضان وغير ذلك
من المواسم المهمة في الدين وهذا ينافي الاهتمام باحوال الشريعة حتى انه
ذكر ان بعض بلاد الاندلس تمكن اهلها وقتا من الاوقات في اللذات والملاهي
حتى نسوا تعيين يوم من الجمعة وكان ذلك فيما يرى سببا في تسليط النصارى
على ما سلطوا عليه من بلاد الاندلس واما ثانيا فانه يؤول الى انقلاب المدح
ذما فان هذا البيت وما بعده توطئة لمدح اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم بغاية الشجاعة وقهر العدى فاذا كانوا لا يدرون عدة الليالي
دل ذلك على استغراق اوقاتهم بالحذار من الكفار واستعمال الآلات النقية
منهم واسبابها وهذا لخوفهم من الكفار واكتراثهم بهم وهو ضد المحمل
الاول واما ثالثا فلانه يلزم اختلاف مرجع الضمائر فان ضماير الجمع
في البيتين قبل هذا البيت عائدة على العدى وهم الكفار وفي هذا على هذا
الاحتمال عائدة على المومنين قلت الجواب عن هذه الاوجه على الجملة ان
يقال ان كلام الناظم كما قدمنا محمول على المبالغة لا التحقيق واما على التفصيل
وتسليم ان المراد الحقيقة فمعول ان قوله ولا يدرون اي جملتهم وان كان
بعضهم يدري ذلك فيكون نفي الحكم عن الكل بما هو كل اي المجموعي والمراد
ولا يدري اكثرهم او معظمهم اطلاق للعام وارادة للخاص الذي يقرب
من العام وهم الاكثر وهو مجاز مشهور ويؤيد هذا ان مراعاة ما مضى من
الليالي وكذا اوقات الصلوات وما شاكل ذلك قد يكون فرض كفاية اذا
كان باعتبار الامر العام كسائر العلوم قال تعالى فلولا نفر الآية وقيل في
قول عمر رضي الله عنه لولا الخليفى لاذنت انه انما قال ذلك لان الخليفة المأمور

من امر الاشتغال بامور المسلمين العامة وامور الخلافة لا يبالي معه ان يكون
مودنا لما يلزم المؤذن من مراقبة الاوقات التي يشغله عن كثير من الامور
ولئن سلمنا عدم علم الجميع بها باعتبار كل فرد لكن قد يسقط الفرض بما هو
اقوى منه اذا تزاحما كما سقط اداء الصلوة في وقتها عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لاستغراقه بامور الجهاد ونقله غير واحد لا يقال انما تركها نسيانا
لانا نقول قوله صلى الله عليه وسلم شغلونا يدل على ان الترك للشغل لا للنسيان
ولا يقال اذا لم يجمع جميعهم عدد الليالي في وقت ما فمن اين يعلمون ما هم
فيه من الايام بعد الفراغ من الشغل بالكفار ولا جائز ان يأخذوا علم ذلك
من الكفار اذ لا يجوز شهادتهم لانا نقول يرجع في ذلك الى الوحي لتمكن
منه حينئذ كقوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان استدار كهيئة الحديث
وفيه نظر او الى من لم يفرض عليه جهاد من المسلمين كالنساء والمرضى
وهذا خبر تقبل فيه النساء لا شهادة والجواب الاول لم يحض زمان حيوة النبي
صلى الله عليه وسلم والثاني نعمة وعزم وهو اولى لانه يخبر عن جهاد الصحابة
رضي الله عنهم في كل وقت واما قوله ينقلب المدح ذما فليس كذلك
لان الاستغراق بامر العدو لا يدل على الحور بل على الحزم والنجدة قال تعالى
واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله
وعدوكم ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الاية المومن
بسلاحه يا معشر الشباب لا تمنوا لقاء العدو الحديث وشوكة العدو وصلابته
ستدعون الى قوم اولي باس شديد الحرب اول ما تكون فتية تسعى بزينتها
لكل جهول حتى اذا استعرت وشب ضرامها عادت عجوزا غير ذات حليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت مكروهة للشم والتقبيل واما اختلاف مرجع
الضماير فلا يضر مع دلالة السياق والقراين وفيه مع ذلك موافقة
لمعنى البيت بعده على الاحتمال الاظهر فانه كما احتمل هذا البيت ان يكون
من وصف المؤمنين او الكفار بحسب الاحتمال في الضمير الذي اضيف اليه
ساحة فانه يحتمل ان يعود على المؤمنين وهو الاظهر والمعنى ان دين الاسلام

يشبه حالة ضيف حل ساحة اهل الاسلام المتدينين به فنزل على اهل السماحة
مع كل سيد شهي الى لحم العدي اي عدى الاسلام وبالجملة ان الكرام
يسعون في تحصيل شهوة الضيف ولم يبدل مهجهم ويؤثرونه على انفسهم
ولو كان بهم خصاصة فلذلك ترى من قطلهم للكفار ما ترى وحل بهم
من القتل والخراج ما وصف حتى كانهم جزر نحرت وقطعت اعضاؤها لتطبخ
للضيفان الذين اشتهوا لحمها وهذا المعنى على هذا الاحتمال متمكن فان
الساعي في تحصيل شهوة الضيفان حينئذ هم اهل الساحة باختيارهم
ورضاهم فيتضمن البيت وصفهم بالشجاعة والكرم ويحتمل احتمالا
مرجوحا ان يعود الضمير المضاف اليه ساحة على الكفار اي لاجل ما حل
بالكفار من القتل والجراحات حتى صاروا كاشلاء اللحم اشبه حال دين
الاسلام حال ضيف حل ساحة الكفار وهم العدى مصاحبا كل سيد
شهي الى كل لحم اولئك العدى فذبح منهم وسلخ وقطع اعضاء
لا انه على هذا المعنى يكون كضيف ينزل بالقهر والغلبة على قوم
فياخذ من اموالهم بيده ما يشتهي من غير رضى منهم فيفوت ما تضمنه
البيت على الاحتمال الاول من وصف المؤمنين بالكرم فلذلك كان المحمل
الاول وعليه فالناظم من هذا البيت اخذ في مدح اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم اجمعين وارضاهم عنه وقوله يجر البيت
هو من صفات الضيف اي ان هذا الضيف الذي وقع التشبيه هو سيد
من السادات ولذا نزل مع سادات امثاله ومن شان من هو مثل هذا
السيد ان يستتبع جيشا كثيرا يشبه في اتساعه وكثرته البحر او في صفا
دروع اصحابه والبيض التي على رؤسهم لونا مائية او فيهما جميعا كالكتيبة
الخضراء التي كان فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وانما
سميت خضراء لكثرة لامة اصحابها وصفاء كون اسلحتهم والمعنى ان هذا
الضيف يستتبع جيشا كثيرا اصحابه ذوو لامات صافية حتى تكون قلائد
هذا الجيش يشبه من بحر بحر جيش برسن كابر عن كل واحد من افراد رجال

ذلك الجيش فوق فرس سابحة اى واسعة الجرى اى كاين مجموع ذلك
الجيش فوق سابحة اى جنسها او كاين ذلك الصنف القايد لجار الجيش فوق
سابحة واذا كان فوق فرس واسعة الجرى وهو يقود الناس فذلك
يدل على سرعة طلبه للكفار وسرعة لحاق الناس به وعدم تخلفهم عنه
لكونه قايدهم كالشان فى الرئيس اذا زحف للقتال فانه لا يتخلف عنه
احد من اتباعه غالبا وكذا ايضا كون كل واحد من اصحاب الجيش فوق سابحة
مظنة ان يلحق الغادر منه فلا يفوته ومن اجل هذه الحالة واشباهها ود الكفار
الفرار حتى كادوا يغبطون به الاسلاد . ثم كون هذا الجيش كثيرا يقتضى انه يشبعهم
من لحم العدى الذى يشتهونه الا الكثير فلذا يستكثرون القتل من الكفار
وقوله يرمى بموج اى بحر ذلك الجيش موجها المتلاطم الذى يرمى به هم الابطال
اى الشجعان الخارجون من الجيش لطلب البراز او للاستباق للقتال وخروجهم
من الجيش وبقاؤه كما كان قبل خروجهم يشبه ما يقذف به البحر من الامواج
ثم لا ينقص مع ذلك ووصفه الموج بكونه ملتطما يدل على كثرة المتبادرين
للخروج من الجيش للقتال لمبارزة او غيره وتشبيه الدين بالضيف مع صفته
او وصف به كل واحد من فرسانه من كونه فوق سابحة كل ذلك مشبه
بالتسارع الى اهلاك العدو وعدم الركون الى الاقامة بساحتهم كما ان الضيف
سريع الارتحال وكان صلى الله عليه وسلم اذا ظهر على قوم اقام بساحتهم ثلاثا
ثبت ذلك عنه فى الصحيح وقوله من كل منتدب البيت اى ذلك الموج الذى
يرمى به ذلك البحر هم كل منتدب لله اى مجيب لدعاء الله ورسوله اياه
الى قتال الكفار وفسر بعضهم المنتدب بالخفيف كانه يقول اجاب داعى الله
لسرعة محتسبا اى احتسب اجره فيما اتاه له من موت وفوت على الله تعالى
ومن يخرج من بيته الاية وقيل المخلص عمله لوجه الله يسطو بمستاصل
اى يقهر ذلك المنتدب بسيفه او رمحه يستاصل ذلك الضيف وغيره العدو
اى يقلعه من اصله وذلك يوجب مصطلم ذلك المستاصل لاهل الكفر
او للكفر بقتل اهله فلا يوجد وكان مصطلما تاكيد لمستاصل وهما معا

من صفات

من صفات الالة التى يقال بها فيكون هذا تعرض لذكر جريهم كما تعرض
لذكر خيلهم ويحتمل ان يكون مستاصل ومصطلم من صفات واحد
الابطال وهو المنتدب المحتسب وقوله حتى غدت اى دام استيصال
المنتدب واصطلامه لاهل الكفر وما زال يسطو حتى صارت ملة الاسلام
موصولة الرحم اى كثر من ينتمى اليها ويدخل فيها فوصلت بذلك رحمها
تشبيها لكثرة القيام بحقها بوصل رحم ذات رحم وحصل هذا الوصل
لملة الاسلام بهم اى بالقروم الذين كنى بهم عن الصحابة رضى الله عنهم
من بعد ما كانت لقلة من يقوم بها ومن يدخل فيها غريبة لا تزور لانه ليست
من لها رحم مقطوع لقطع اهلها زيارتهم لها وهذا كان حال
الاسلام اولا كان اهله من القلة والخوف على انفسهم بالمكان الذى
لم يخف ثم لم يزل يظهر ويعتز اهله حتى ظهر على الدين كله كما قال
الله تعالى ثم يعود وامره الى الغربة كما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فموصولة على هذا
التفسير منصوب بخبر غدت ويكون معنى قوله وهى بهم اى عزها وثباتها
انما هو بهم اى باولئك القوم جار بحر خميس او بالساطين او المنتدبين
وفى الحقيقة هم شئ واحد لان الاوصاف كلها للصحابة رضوان الله عليهم
وجملة وهى بهم على هذا تاكيد للمعنى الذى استفيد من قوله صارت
موصولة الرحم فهى اعتراضية ويجوز رفع موصولة على انه خبر هى وتمام
الاعراب على هذا الوجه وعلى الاول نذكر فى ترجمة الاعراب ان شاء الله تعالى
وقوله مكفولة البيت اى وحتى صارت ملة الاسلام ايضا بحماية الصحابة
رضى الله عنهم عنها بمخالفة وقيامهم بحقها واعزازهم لرتبتها ومكانتها
تشبه المرأة المكفولة بخير الاباء وخير البعولة فلا يفوتها اكرام ابائها
ولا بعدم خير بعلها والمكفول هو الذى يقوم غيره بمصالحه كما تقدم
ولا شك ان المرأة التى يكفلها خير اب وخير بعل فى غاية عز المكان ورفاهية
العيش وقوله فلم ينتم سبب عن كونها مكفولة بخير اب وهو يستلزم انها

ابا فلا يكون يتيمة لان اليتيم في الادميين من قبل الاب كما تقدم وقوله ذي
يتيم مسبب عن كونها مكفولة بجزا بعل لان الايم من لا زوج له كما تقدم وكان
الذي يتنزل من الملة منزلة الاب هو الذي يدعو الناس اليها ويبينها
كالنبي صلى الله عليه وسلم ومن يتنزل منزلته صلى الله عليه وسلم من الخلفاء
الراشدين والعلماء رضي الله تعالى عن جميعهم فانهم الذين يدعون الى الدين
ملة ابيكم ابرهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول
شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس الى اخر السورة الكريمة والذي
يتنزل منها منزلة البعل هو الذي يدعى الى الدخول فيها فيستجيب يا ايها
الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ومن مارس ادنى
شيء من السير وكتب الاحاديث علم ما كان عليه السلف الصالح رضوان الله
عليهم اجمعين من الذب عن السنة وحماية الشريعة من التحريف والتغيير
وبذل النفوس والاموال في مجاهدة من خالفها والسعي في اعزازها مما
لا يحتاج الى الاستشهاد على ذلك بخبر او اثر وناهيك ما وقع في صلح الحديبية
حين بعثت قريش عروة ابن مسعود الثقفي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان من حديثه ان قال يا محمد جمعت اوباش الناس وايم الله لكاني بهؤلاء
قد انكشفوا عنك غدا فقال له ابو بكر رضي الله عنه امصص بظر اللات
انحن ننكشف عنه وجعل عروة يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمغيرة بن شعبة واقف على راس رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديد
يقرع يد عروة بنعل سيفه اذا تناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويقول اكفف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان تصل
اليك ورأى عروة من الصحابة رضي الله عنهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
ما رأى لا يتوضأ وضوءا الا ابتدروه ولا تسقط من شعره شيئا الا اخذوه
فرجع الى قريش فقال يا معشر قريش اني قد جئت كسرى في ملكه وقيصر في
ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في اصحابه
فلقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء ابدا فهكذا كان حالهم رضي الله عنهم في

في حيوته صلى الله عليه وسلم ولم يزالوا على ذلك بعد موته صلى الله عليه وسلم
فقاتلهم اهل الردة ومانعي الزكوة ومسيلمة والفرس والروم وساير
الامم على الدخول في دين الاسلام واعزازه وهذا مما لا خفاء به المعاني
تقديم المفعول من قوله قلوب العدى للاهتمام بذكر المروع فان المقام
للاخبار عما لقي الاعداء من الشدايد والتشفي منهم لا سيما وقد عبر
بالعدى لان ترتب الحكم على الوصف مشعر بعليته ولذا لم يقل الكفار مع انه
انظم بالعدى وهو فايدة لفظية والاول معنوية واضافة قلوب للعهد
نحو لذا الحجاج وهي ابناء للتشريف وال في العدى يحتمل الجنس والعهد
وابناء وان كان صيغة قلة فاضافته توجب عمومه وتنكير شاه وعقلاء
للنوعية وتقديم عقلاء للاهتمام بشانه فانه يفيد التشبيه بالعقل
اولا ولا يحصل اطنابا بما في عقلاء للاهتمام بشانه فانه يفيد من الايضاح
وتنكير معترك للنوعية كما تقدم في التفسير من المعنى المخصص لكل نحو قوله
بالقنا ايجاز الحذف اي بطعن القنا وال فيه جنسية وتنكير لحم ووضم يحتمل
التحقير والنوعية والاظهر ان قوله حكوا على حذف مضاف اي حكى بعضهم
وكذا يلقاهم اي بعضهم فهما من ايجاز الحذف وكذا ما بعده من الكفار
وال في القرابة للحقيقة والفاء في فكادوا للسببية وتنكير اشلاء للنوعية
وال في العقبان والرخم للجنس وهي في الليالي للجنس والعموم واضافة
ليالي الى الثاني للتعريف واضافة ساحة للتعظيم ان كان الضمير للمؤمنين
وللتحقير ان كان للكافرين وتنكير ضيف وقرم للتعظيم او للنوعية و
قوم للنوعية لان الذي يتعلق به فهو يخصصه ومن هنا اشتمل البيت على
الايضاح بعد الابهام واضافة لحم كاضافة قلوب وقال بعضهم كل قرم
عموم اريد به الخصوص اي كل قوم متبع للدين قال وفي البيت التكميل
لان قوله كانما الدين ضيف حل ساحتهم يوهم انهم قاموا وهموا ان يقوموا
الى لحم العدى قرم وعلم ان التشبيه بالضيف انما هو في عجلة الانصراف
خاصة انتهى وانظر من اين يتوهم هذا وعلى تسليمه فلا يرفعه ما ذكر وهنا

البحث على ما فيه انما يناسبان يكون ضمير ساحتهم للكفار ولم يذكر موصوفه
وتنكير خميس وموج للتعظيم والنوعية والتكثير وهو لفظهم من البيان
بعد الابهام وال في الابطال للحقيقة بمعنى الكاملين والمنتهين او للعهد
وتنكير منتدب ومحتسب كتنكير خميس ومحتسبا اي لله فهو من الحذف
من الاواخر لدلالة الاوائل او يكون مفعوله محذوفا اي اجره عند الله
وعلى التقديرين فهو من الايجاز وتنكير مستأصل ومصطلم ان اريد الكل
فكخميس وان اريد الالة فالظاهر انه للنوعية او للتعظيم وقوله من كل
منتدب البيت تفسير لقوله بموج الى اخر البيت فهو من البيان بعد الابهام
واضافة ملة للتشريف والجملة التي صدرت بها خمسة الابيات الاوائل
الظاهر ان كل واحدة منها استينافا واخبارا عما تضمنته من المعنى فلذا اتت
مقطوعة ويحتمل الذي صدر بها البيت الثاني ايضا بل البيت بكماله
ان يكون تفسيرا للذي قبله وتقدم ان جملة وهي بهم يحتمل ان تكون
اعتراضية وان جعل بهم متعلقا بموصولة فتقديمه عليه للاهتمام
بذكرهم لانه في طريق المدح وكذا من بعد غربتها ان تعلق بموصولة وهي كقوله
احسنت اليك من بعد فاقة اشارة الى ان الاحسان وقع اي موقع وال
في الرحم للحقيقة او للعهد اي رحمها والفاء في فلم للسببية **البيان**
اسناد الروع الى القلوب يحتمل ان يكون من مجاز الحذف اي اصحاب قلوب
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويحتمل ان يكون من تسمية الكل
باسم البعض فيكون من المجاز المرسل في الوجهين سميت الذوات باسم القلوب
لانها محل المعنى المسند اليها وهو الروع ومن هنا يحتمل ان يكون استعارة
ولو قيل بان الاسناد حقيقة بناء على ان المدرك هو القلب وجزءا منه
لما بعد الا انه ان كان المدرك جزءا منه رجع الى النوع الاول اي بعض
قلوب او الى صدر النوع الثاني واما اسناد راعت الى بناء فمن المجاز العقلي
لانه اسناد الفعل الى سببه لان خالق الروع في القلوب هو الله تعالى والتشبيه
في البيت مركبا اما في الهيئات بان يشبه الهيئة التي ادركت الكفار من الروع

بما ورد عليهم من ابناء بعثته صلى الله عليه وسلم بالهيبة الحاصلة من الروع
للغنم حال غفلتهم بالنباءة واما في الاطراف بان يشبه الروع بالاجفال
والغفلة بالغفلة الا انها محذوفة من المشبه والابناء بالنباه والكفار
او قلوبهم بالغنم وقوله بالقنا من مجاز الحذف كما تقدم اي بطعن القنا
وفي قوله حكوا الحما مبالغة في التشبيه ولذا لم يأت به على صورة التشبيه
بل على صورة المشابهة لان حكوا بمعنى شابهوا فهو كقوله تشابه دمعي
البيتين فرق الزجاج البيتين ووجهه هنا ما تقدم في التفسير اي
حصل فيهم من الجراح ما اشكل من اجله تمييزهم من قطع اللحم المعلقة
على الاوضام ويؤكد هذا المعنى قوله ودق البيت لانه جعلهم من وقائع
القرار يغبطون الاشلاء المذكورة والغابط انما يكون غالبا من نوع المغبوط
فهم من نوع تلك الاشلاء وقوله كانما الذين يحتمل التشبيه فيه ان يكون
من تشبيه مفرد بمفرد ويحتمل الوجهين المذكورين في البيت الاول
وفي بسطهما طول مع انه لا يخفى على من يقيس الامثال بالامثال والنظاير
على النظاير الا انه ان كان في المفردات فهي محذوفة من المشبه وقوله
بحر خميس البيت هو من التشبيه البليغ وبعيد جعله من الاستعارة
المكني عنها لذكر طرفي التشبيه وهو خميس وتقدم في التفسير وجه
هذا التشبيه الذي تضمنه البيت بكماله ووصفه الفرس بكونها سابحة
اما تخفيفا لتشبيه الجيش بالبحر فالفرس السابحة فيه كالماشي في البحر
لا يمشي الا سبحا كما ان قوله يرمي الى اخر البيت تحقيق لذلك وتشبيها المدد
الى الجري بالسابح وقوله للكفر من مجاز الحذف اي لاهل الكفر وتقدم في
المعاني وقوله من بعد غربتها موصولة الرحم من التشبيه البليغ لا من الاستعارة
لذكر المشبه وكذا قوله مكفولة البيت **البديع** راعت وقلوب
من مراعاة النظير وكذا ابناء وبعثته والفاظ الشطر الثاني من البيت الاول
كلها من ذلك وقوله ابناء وبناء من التجنيس المشبه بالاشتقاق ويشبه
ان يكون مقابلة ابناء بالنباة وراعت باجفلت وقلوب بغفلا من الغنم

من اللف والنشر المرتب وفيه نظر ثم يحتمل ان يكون قابل القلوب خاصة
بالعقل لكن فسر العقل بكونها من الغنم فهو مقابلة شيء بشيء ويحتمل
ان يريد تشبيه قلوب العدى بالعقل والعلف ثم حذف الصفة بالغنم العقل
فيكون من مقابلة شيئين بشيء والفاظ قوله مازال يلقاهم البيت كله
من مراعاة النظير وهي والفاظ البيتين قبله وبعده من ذلك ايضا وقوله
حكوا ضميره عايد على كل فان اريد العموم ففي البيت من المبالغة البليغ
فان هذا على بعده ممكن وان اريد الخصوص في بعضهم فلا يبعد ان يكون
حقيقة ومثل هذا البحث سواء يجري في قوله ودوا الفرار البيت الا
ان لفظه كادوا مما يقوي امكانه كما قيل في التي مع الاعراف لقوله تعالى
يكاد زيتها يضيء الاية وقوله اشلاء شالت من التجنيس لشبيه ما الاشتقاق
والفاظ اشلاء والعقبان والرخم من مراعاة النظير ولا يبعد ان يكون
الرخم من الارصاد قال بعضهم وفي البيت استطراد لانه
ينتقل مما قصد من الاخبار عن المصايب التي نالت الكفار الى شجاعته صلى الله
عليه وسلم ودعامة فرسانه رضي الله تعالى عنهم قلت انما الاستطراد
كما علمت ان لو افصح الناظم بما ذكروا انما هذا الانتقال من المعنى الذي تسميه
اهل اصول الفقه دلالة الاشارة كدلالة وحمله وفصاله ثلثون شهرا
مع وفصاله في عامين على ان اقل الحمل ستة اشهر وكدلالة
احل لكم ليلة الصيام الاية على جواز الاصباح جنبا وقوله تمضي الليالي
البيت الفاظه كلها من مراعاة النظير على ما لا يخفى وفي البيت التفريق وذلك
ان الليالي الاشهر الحرم والتي غيرها اجتمعت في كونها ليالي ثم حكم بانهم يدرون
عدة الاولى ولا يدرون عدة الثانية فقد حكم لشيئين من نوع واحد بحكمين
متباينين وانظر هل يحتمل كونه من التقسيم الذي هو فيه اضافة الشيء الى
ما يليق به وهل يحتمل ان يكون البيت من التبليغ لان هذا الحكم وان كان
ممكنا عقلا الا انه بعيد عادة على الجم الغفير ولما كان هذا البيت يحتمل
ان يكون من ذم الكفار كما تقدم ومن مدح المؤمنين كان من التوجيه

كقوله

كقوله في اعور وخاط لي عمرو قبا ليت عينيه سواء فانه لا يدري هل دعا له
او عليه وكذا قال بعده فاسئل الناس جميعا امدحا ام هجا وفي التكرير
في لفظ الليالي ولا يبعد ان يكون لفظ الحرم من التسهيم وفي البيت الطباق
لنفي الدراية عن عدد ليالي اشهر الحرم نصا واثباتها لليالي تلك الاشهر
بالمفهوم وقوله كانما الدين البيت في الفاظه مراعات النظير وفيه التجنيس
المحرف في القرم والقرم وهو من التجنيس الشبيه بالاشتقاق وقال بعضهم
يجوز ان يريد بالساكن العين معنى المكسور وكسرت تخفيفا فيكون التكرار
للتاكيد قلت حمل الكلام على فايدتين اولى وايضا الاصل التاسيس وعدم
التاكيد وايضا الكسر تثقيل لا تخفيف والفاظ البحر والسبح والموج وملتطم
من التناسب وكذا بحر وسابحة وقوله يجر بحر من تجنيس التصحيف ولا يبعد
ان يكون قوله يرمي بموج من التجريد بناء على ان جميع اهل ذلك الخميس ابطال
ومثله بحر خميس اذا اريد به ما ايد بكل قوم وقوله ملتطم من الارصاد
والفاظ منتدب ومحتسب ومصطلم من الموازنة وقال بعضهم منتدب
ومحتسب من الجناس لاشتراك الكلمتين في اكثر حروفها وهي ثلثة
ومنه قدح الوعيد هنا وعيدك ضايك لطنين اجنحة الذباب يضير قلت
ذكر القزويني في الايضاح والتلخيص ان المتجانسين ان اختلفا في انواع الحروف
فيشترط ان لا يقع الاختلاف باكثر من حرف اما في اوله نحو همزة ولمزة او
في الوسط نحو تفرحون وتمرحون وفي الاخر نحو امر من الامن وهاتان
الكلمتان وقع الاختلاف فيهما بحرفين فيفوت فيهما شرط الجناس واما البيت
الذي انشدوا فمن رد الصدور على الاعجاز ومن تجنيس الاشتقاق وقوله
مستاصل من التجريد لان المنتدب ولو قال الناظم يسطو بمستعصم
اي بمن هو مظنة لان يعتصم به في الحروب على معنى المصدر اي بذي عصمة
او بمعتصم اي بالله وهذا اولى ويكون للكفر حينئذ متعلقا بمصطلم
لكان البيت مشتملا على التشطير كقوله كالزهر البيت وقوله غرتها والموت
الرخم من الطباق وكذا لفظا ملة الاسلام والكفر والالفاظ الثلثة مع حج

الفاظ البيت بعد وهو قوله مكفولة من مراعات النظير وقوله يتيم راجع الى
لفظ الاب ونيم راجع الى البعل فهو من اللف والنشر المرتب وقوله منهم تجريد
اب من التجريد على راى بعضهم لان الصحابة رضوان الله عليهم هم الذين هم
لملة الاسلام ابا وبعولة فلما بلغ فى وصفهم بذلك جرد منهم الاباء والبعول
قلت وعلى هذا فالموصوف بالابوة منهم هو الموصوف بالبعولة ويكون من فى
منهم للتجريد ذكر ذلك من نعاينها ابن مالك فى لباب الالباب ونقله بن عطية
عن ابن جنى فيما اظن الان ويحتمل ان يكون للتبعيض اى بعضهم بمنزلة الاب
وبعضهم بمنزلة البعل كما تقدم فى التفسير فينبغى التجريد وفى قوله ومن
الى قوله يتيم الجمع مع التقسيم والتفريق فالجمع فى قوله موصولة الرحم والتفريق
فى قوله خير بعل وخير اب والتقسيم فى قوله فلم ييتم ولم يئم ومنه قوله تعالى
يوم يات لا تكلم الى قوله تعالى غير مجذوذ فالجمع فى قوله نفس لانه نكرة منفية
فيعم والتفريق فى قوله فمنهم والتقسيم فى قوله فاما وقوله فلم سم من المذهب
الكلامى وتقرير دليله لما كانت مكفولة بخير اب وخير بعل لم تيتم ولم تئم هذا
ان قصد الاستدلال على نفى كونها يتيمة وايمن وان قصد الاستدلال على صدق
كونها مكفولة بمن ذكر فتقريره لو لم تكن مكفولة بهما لكانت يتيمة وايما
لكنهما انتفيا فهى مكفولة بهما الاعراب لا محل لجملة راعت لانها ابتداء
كلام قلوب العدى مفعول راعت ومضاف اليه وابناء فاعل كبناء حال
من ابناء وجملة اجفلت فى موضع خفض صفة لبناء وفاعل اجفلت المضمر
هو الرابط وعقلا مفعول باجفلت ومن الغنم صفة له ومن للبيان وقال
القضاة للتبعيض وما نافية وزال فعل ماض من نوع الابتداء اذ هى من اخوات
كان ومعناها ملازمة الصفة للموصوف مذ كان قابلا لها على نحو ما قبلها اما
دايما نحو ما زال زيد عاقلا واما نفى وقات متفرقة نحو ما زال يعطى الدنانير
وهى فى البيت للنوع الثانى واسمها ضمير يعود على النبى صلى الله عليه وسلم
ويلقاهم خبرها وهو فى موضع نصب وفى كل وحتى متعلقان بيلقى وحتى
غاية للقاية اباهم وحكوا فعل ماض وواو فاعل واصله حكيوا ابدلت الياء

الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم حذفت لاجتماعها ساكنة مع الواو وبالفتى
متعلق به والباء سببية او للاستعانة وكما مفعول حكوا وعلى وضم صفة له
وذوا فعل ماض وفاعل وجملته مستانفة لا محل لها واصله وددوا كفرحوا
فلما اجتمع المثلان سكن الاول وادغم الفرار مفعول فكادوا عطف على ودوا
والواو اسم كاد وجملة يغبطون فى موضع نصب خبرها لانها من اخوات كان
الا انه التزم كون خبرها فعلا مضارعا خاليا فى الاغلب من ان وكونها
قليل وكذا كونه اسما ولا يستعمل منها الا المضارع وورد اسم فاعلها
قليل ومعناها مقاربة الفعل من غير شروع فيه قيل فان دخل عليها نفى فقد
يتوجه نفيه الى خبرها فيكون الفعل قد وقع نحو فذبحوها فما كادوا يفعلون
اى كادوا ان لا يفعلون وقد يتوجه الى نفسها فينتفى الفعل الواقع بعدها لانتفائه
لانه اذا انتفت مقاربة الفعل فقد انتفى الفعل ومنه لم يكد يريها اى لم يقارب
رويتها واذا انتفت مبادى الشروع وهو القرب انتفى الشروع انتهى قلت
والى معناها فى الاية الاولى اشار فى التسهيل بقوله وتنفى كاد اعلاما بوقوع
الفعل عسيرا اى وقع الذبح بعسر بعدما كان لم يقارب بان يقع واشار الى
معنى الثانية بقوله او بعدمه وعدم مقاربته اى او أى بعدم ولا مقاربة
ومذهب ابن مالك فى كاد انها كسائر الافعال نفيها نفى لما دل عليه ايجابها
من المقاربة وايجابها ايجاب للمقاربة لا كما يوهمه كثير من ان نفيها ايجاب
وايجابها نفى وبه يتعلق بيغبطون وضمير به عائد على الفرار ولجاز القضاة
عوده على مصدر ودوا وقال اى بسبب وداده للفرار فتامله وثلاث
مفعول به ومنع صرفه للضرورة وعلى راى الكوفيين فى جواز ذلك فى الشعر
وفاعل شالت ضمير يعود على الاشلاء والجملة صفة اشلاء ومع العقبان ظرف
وخفض به والعامل فيه شالت وجملة مضى الاظهر فيها الاستيناف وجملة
ولا يدرون اما معطوفة عليها واما فى موضع نصب على الحال من الكسب
وما فى لم تكن ظرفية مصدرية صلتها لم تكن اى مدة انتفاء كونها من الاشهر
الحرم واسم تكن ضمير الليالى ومن ليالى خبرها والعامل فى الظرف المقدر

من ماوصلتها يدرون قال القصّار ولا يصح فيها الشرطية لانها لاموضع
لها من الاعراب كما كان وكانما الذين مبتدا وخبره ضيف وجملة تحل تنام
صفة ضيفا وجزيان وبكل قرم متعلق بحل والباء للمصاحبة او للتعدية
نحو سار بزيد وقرم الاخير المكسور الراء صفة قرم الاول الساكنها والجم
متعلق بالاخير الذي هو صفة وجملة يجر اما صفة ثانية لضيف او خبر ثان
للذين او حال من فاعل حل وصفة لقرم الاولــــــ او حال منه وفاعله
اما ضمير الذين او الضيف او القرم وفوق سابحة نعت لخميس ولجرا وحال
من يجر وفاعل يرمي ضمير الجر وجملته اما صفة لجر او حال منه وبموج
متعلق بيرمي وباؤه للالصاق قال القصّار تقول رميته ورميت به وتعني
بالباء للنص على ما تركت له بيدك بلا واسطة كامسكته وامسكت به
ومن الابطال وملتطم صفتان لموج الا ان الاكثر في الكلام تقديم الوصف
الصريح على الوصف بالمجرور ومن كل منتدب بدل من الابطال ولذا اعاد
الجار او نعت لموج او حال منه ومحتسب صفة لمنتدب واللام في لله
متعلقة بمنتدب وليس منتدب ومحتسب من التنازع في قوله لله لان
شرط التنازع تقديم العاملين على المتنازع فيه وفاعل يسطو ضمير منتدب
والجملة صفة له ويحتمل غير ذلك وبمستاصل صفة لموصوف محذوف
كما تقدم وهو متعلق بيسطو او مصطلم نعت لمستاصل فيكون صفة
توكيد او منتدب فيكون للتخصيص او للمدح وللكفر متعلق بمستاصل
قالــــــ بعضهم من في من الابطال ومن في كل لبيان جنس الموج بيان
بعد بيان نحو رأيت شخصا من ناس من قريش ويحتمل ان لا يكون من كل
منتدب بدلا من الابطال بل لبيان جنسهم والفرق ان في البدل يعتمد الثاني
وينوي طرح الاول وفي غير البدل يعتمد كلاهما وفيه دقة انتهى حتى متعلقة
بيسطو وغدت فعل ماض وعلامة للتانيث والاصل غدات فحذفت الالف
لالتقاء الساكنين وملة اسم غدت لانها من اخوات كان على راي وفاعلها
على الراي الاخر وهي مبتدا خبره موصولة وبهم متعلق بالخبر والباء سببية

وضميره

وضميره عايد على معنى كل كما ان فاعل يسطو عايد على لفظه ومن بعد غربتها
متعلق بموصولة ايضا ومن لابتداء الغاية وجملة وهي يتم البيت ان
جعلت غدت من اخوات كان فهي في موضع خبرها على ما تقدم من ان الجملة
المخبر بها في باب كان يشبه بالحالية فيلي الواو وان لم يجعل من اخوات كان
كانت حالا من فاعلها وتقدم في التفسير احتمال كون موصولة خبر غدت
وجملة وهي يتم اعتراض ومكفولة اما خبر ثان لغدت وحال من فاعله
او حال من المستكن في موصولة وابدا ظرف زمان بمعنى المستقبل الدايم
والعامل فيه وفي منهم وفي بخير مكفولة وخير بعل عطف على خير اب والباء
للالصاق وجملتا فلم تيتم ولم يتم معطوفتان على جملة وهي يتم وحركة
ميم يتم عارضة فلذا استصحب بانه لالتقايها ساكنة مع سكون الميم
في الاصل للجزم الاشارات اذا رجحت احدى كفتي الميزان خفت الاخرى
ومن ارضى الدنيا اسخط الاخرى ومن دخل في حزب الله اصبح من الامنين
المفلحين ومن انحاز الى حزب الشيطان كان من الخاسرين ولما اجاب المؤمنون
داعي الله كانوا اكرم الامم ولما خالفه الكفار راعت قلوبهم مجرد انباعثه
فكيف بلاقاته نصرت بالرعب مسيرة شهر من خاف الله اخاف الله منه
كل شيء هذا في الدنيا وكذا في الاخرى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
انتم لها واردون ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون
الاجتماع على الكفر وغيره من المعاصي اخلاق اهل الجهل وكل ما بني
على اساس الجهل فهو لا ثبات له فادنى شبهة تقتلعه من اصله وتبدد شمله
كما ان الغنم الغفل يتفرق لادنى صوت وهي التباعة فما بالك بالزارة فلاجتماع
المبنية على الجهل لا اصل لها ولا ينفع كثرتها قل لا يستوي الخبيث والطيب
ولو اعجبك كثرة الخبيث كما ان المجتمعين على غير طاعة الله لا ينفع اجتماعهم
تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى اذ قلب كل واحد منهم انما يتوجه نحو شهوته كالغنم
الغفل ان هم الا كالانعام بل هم اضل وكما لا ينفع اجتماعهم في الدنيا كذلك
لا ينفع في الاخرى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون

وماكان المومن قصد نصر دين الله ولو باتلاف نفسه لا لشهوة والمجاهد
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا كان كثيرا باجره وكان قليله كثيرا
فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين واجتماعه نافع بدا الله مع الجماعة
اي المسلمين ولا جرم لما كان يد الله معهم والنصر صاحب لهم وليس عليهم
الا اظهارا بصورة القتال وما النصر الا من عند الله وما رميت اذ رميت و
لكن الله رمى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وذلك كله مشروط بان تكون
النية نصر دين الله يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم ولينصرن الله
من ينصره كتب الله لاغلبن انا ورسلي فورود الاعمال الخالصة وان قلت
على الاعمال الخبيثة وان كثرت تفرقها وتشتتها الا ترى ان التوبة تمحو السيئات
وان بلغت الغاية ان الحسنات يذهبن السيئات فكذا جمع المومنين الخلص
مهما التقى جمع الكافرين في كل معترك فالمومنين ينالون منهم بحول الله وقوته
ما يحاكي بر الكفار لحما على وضم ويودون من الفرار ما كانوا يغبطون به اسلاف
اللحم الشايلة مع العقبان والرخم ويحل بهم من النقم والكرب لا يدرون
معه ما مضى من لياليهم الا لياليا لحي رفع الطلب عنهم وهو لياليا الاشهر الحرم
ومشروعية الاشهر الحرم نعمة من الله عظيمة على الفريقين اما على المومنين
فيستريحون فيها من نصب الجهاد ومشقة الطلب وليشتغلوا فيها بعبادة
اخر من طلب العلم وغيره واما على الكافرين فليستفيقوا من حميتهم فيتفكروا
في امرهم ولعلهم يهتدون وذلك كله مبالغة في الاعذار تفضلا منه سبحانه
وتعالى مرة بالذكر ومرة بالسيف لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
واذا كانوا يودون من عذاب الدنيا ان يكونوا صنع لحم طارت بها العقبان
والرخم فكيف لا يودون من عذاب الاخرة ان يكونوا ارضا انا انذرناكم
عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا
وقوله كانما صيف الى مصطلم دين الله ينبغي ان تراعى احكامه واداب من
اداب مراعاة احكام الضيف واداب من كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم
ضيفه ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه والاسلام الانقياد

ومهما لم ينقد بشيء من احكامه وقع الخلل فيه بقدر ذلك الشيء وكما ان يجب
اكرام توابع الضيف كالقروم التي يحل بها الدين ساحة الكفار فكذا توابع
الايمان وهي فروعه وكما ان الملة صارت بالصحابة رضي الله عنهم من بعد
ان كانت غريبة موصولة الرحم ومكفولة بخير اب وخير بعل فكذا ينبغي
للجاري على سنتهم الاحب واتباع طريقتهم الواجب ان لا يدع في الشريعة
ما احدث فيها شادة ولا فادة الا استاصلها واصطلمها من اصلها فان في
تركها قطع الرحم الملة وفي استيصالها وصلها وهذا المعنى يتاتى منه بالاجتماع
والاصطحاب ما لا يتاتى مع الانقطاع والانفراد فان وجدت من تصاحبه في هذه
الشريطة فاصحبه والا فاعتزله جعلنا الله من القايمين بحدود الموفين
بتكاليفه وعهوده انه ولي ذلك والقادر عليه اصل

هم الجبال فسل عنهم مصادمهم   ماذا رأى منهم في كل مصطدم
وسل حنينا وسل بدرا وسل احدا   فصول حتف لهم ادهى من الوخم
المصدري البيض حمرا بعد ما وردت   من العدى كل مسود من اللمم
والكاتبين بسمر الخط ما تركت   اقلامهم حرف جسم غير منعجم
ان قام في جامع الهيجا مخاطبهم   تصامت عنه ذو في صمة الصمم
شاكي السلاح لهم سيما تميزهم   والورد يمتاز بالسيما عن السلم
تهدي اليك رياح النصر نشرهم   فتحسب الزهر في الاكمام كل كمي
كانهم في ظهور الخيل نبت ربا   من شدة الحزم لا من شدة الحزم
طارت قلوب العدى من باسهم فرقا   فما تفرق بين البهم والبهم

الغريب هم ضمير الصحابة رضي الله عنهم والجبال واحدها جبل والجبلان
جبلا اجا وسلمى وكني بها هنا عن الصحابة رضي الله عنهم على سبيل الاستعارة
تشبيها لهم بها لشدة باسهم في مواطن الحرب وثباتهم فيها اذ اصطكت الركب مع
العقل الرصين والراي المتين تقول سالته الشيء وسالته عنه سؤالا ومسالة
وسالته به اي عنه ومنه سال سائل بعذاب اي عنه وقد تخفف ويقال في
الامر مع تحقيق الهمزة اسال مع تخفيفها سل ومنه الذي هنا في البيت

والسوال السائل ومنه سؤلك يا موسى وقرئ بغير همز واسألته سؤلته
ومسألته فقضيت حاجته وسوله كثير السول مصادمهم اسم فاعل من صادم
يقال صدمه صدمه ضربه بجسده وصادمه فتصادما واصطدما وتصادم
للفرسان او الفارسان التقيا باجسامهما والمصطدم مكان الاصطدام
وهو افتعال من الصدم ابدلت تاؤه طاء كما في نظيره ويحتمل المصدر والصدر
بكسر الدال الجانب الجبين والصبر عند الصدمة الاولى اي انما يحمد عند حدوث
المصيبة لا بعد ذلك وحنين موضع يذكر ويؤنث واد قصد البلد البقعة
انث فلم يصرف نخوضوا بنيهم وشدوا ادنه بحنين يوم تواكل الابطال
وفي المثل رجع بخفي حنين قيل كان رجلا شديدا ادعى الى اسد بن هاشم
بن عبد مناف فاتى عبد المطلب وعليه خفان احمران فقال يا عم انا ابن
اسد بن هاشم فقال عبد المطلب لا وثياب اسد بن هاشم ما اعرف شمائل
هاشم فيك فارجع فقالوا رجع حنين بخفيه فصار مثلا وقال هو اسم اسكاف
من اهل الحيرة ساومه اعرابي بخفين فلم يشتر فغاظه ذلك وعلق احد الخفين
في طريقه وتقدم فطرح الاخر وكمن له وجاء الاعرابي فرأى الخفين فقال
ما اشبه بعين ورجع الى الاول فذهب الاسكاف براحلته وجاء في الطريق
فنزل وعقل بعيره ورجع الى الاول فذهب الاسكاف براحلته وجاء
الى الحي بخفي حنين وقيل غير هذا مما يقرب منه والذي في البيت واد قريب
من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا وفيه النبي رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمسلمون رضي الله عنهم مع المشركين من هوازن وثقيف
وذلك بعد فتح مكة سنة ثمان وعشرون فرسخا على طريق مكة وعنده
كانت وقعة بدر الكبرى قتل من صناديد قريش سبعون واسر منهم سبعون
وكان عددهم نحو الالف والمسلمون ثلثمائة وذلك يوم الجمعة لسبع عشرة
خلت من رمضان سنة ثنتين احد الجبل المذكور بالمدينة عنده كانت
وقعة احد استشهد واقها من المسلمين رضي الله عنهم سبعون منهم حمزة
رضي الله عنه وقتل المشركون اثنان وعشرون رجلا وكان جميع المشركين

ثلثة الاف والمسلمون سبعمائة وكانت غزوة احد في شوال سنة ثلث فضول
الظاهر انه جمع فضل الذي هو الوقت اي تلك الوقايع اوقات حتف ويظهر
من كلام الاستاذ القصار وانه بالضاد المعجمة لانزقل هو ما جمع فضل
وهو الزيادة او مصدر بمعناها الحتف الموت والجمع الحتوف ومات حتف
انفه اي من غير قتل ولا ضرب وقال القصار الحتف فناء الموت دهيته
ودهوته اصبته بداهية وهذا ادهى من هذا اي اشد اصابة بالداهية
وهي الامر العظيم ودواهي الدهر ما يصيب من عظيم نوبه ودهته داهية
دهيا ودهوا تاكيدها والدهي ساكنة الهاء النكر وجودة الراي ويادهاك
اي ما اصابك الوخم من قولهم ارض وخمة ووخيمة اي وبئة لم توافق ساكنها
وقد استوخمتها والجمع وخم بضم الواو وفتح الخاء ورجل وخم بكسر الخاء والفتح
وسابعدها وبتسكينها اي ثقيل بين الوخامة والوخومة والجمع وخام واوخم وخم
يقال منه واتخمني فوخمته وشيء وخم اي وبي واستوخمت الطعام وتوخمته
اذا استوبلته واما وخم الرجل اذا اتخم فتقدم هذا نص الجوهري وغيره
في الوخم وقال بعضهم هو في استعمال العرف كالمرادف للوباء وفي اللغة داء
كالباسور المصدري اصله المصدرين وحذفت النون للاضافة او لتقصير
الصلة وهو جمع سلامة واحده مصدر اسم فاعل من اصدر يقال صدر
عن الماء وعن الحج وعن البلاد اي رجع واصدره غيره اي ارجعه فالمصدرين
اي المرجعين وفي المثل تركته على مثل ليلة الصدر اي حين صدر الناس من حجهم
والصدر بفتح الدال الاسم وبالسكون المصدر واصدرته فصدر اي رجعته
فرجع والمرجع مصدر ومنه مصادر الافعال وصادره على كذا والبيض
جمع الابيض وهو السيف والبياض لون الابيض وقد ابياض وبياضه
كما قالوا منزل ومنزلة وبيضته فابيض ابيضاضا وابياض ابيضاضا واصل
ابيض الضم وابدلت ضمتها كسرة لتصح الياء وباينه فباضه ببيضه فاق
في البياض ولا يقال بيوضه واشد بياضا من كذا ولا يقال ابيض منه
خلافا للكوفيين واستدلوا بقوله ابيض من اخت بني اباض وقال المبرد

ليس البيت لشاذ يجحد على الاصل المجتمع عليه واما قوله فانت ابيضهم سربال
طباخ فيحتمل ان لا يكون افعل من بل يكون معناه مبيضهم سربالا فلما اضافه
انتصب بعده على التمييز والبيضان من الناس خلاف السودان والابيضان اللبن
والماء ومنه بيضت السقاء والاناء اى ملاته من الماء واللبن والاحمر من المصبوغ
بالحمرة جمعه حمر ومن الرجال احامرة واحمر واحمار بمعنى وادغم لانه ليس
بملحق ولو كان له مثال في الرباعي لكان كاقعنسس فانه ملحق باحرنجم الحمر
العجم لان الشقرة غالبة الوانهم والاحامرة قوم من العجم ومضر الحمراء بالاضافة
واهلك الاحمران اللحم والخمر والاحامرة هما من المخلوق اى الزعفران
ونحو من المادة فروع ووردنا اى اتينا من ورد الماء وغيره ورودا اى اتاه
وتقدمه وكذا العدد مسود اسم فاعل من اسود مشدد الدال والسواد لون
واسود اسودادا واسواد اسويدادا ويجوز في الشعر اسود لئلا يجتمع ساكنان
والامر منه اسوادد وان شئت ادغمت وتصغير الاسود اسيد واسيود
اى قارب السواد والنسبة اليه اسيدى بحذف الياء المتحركة وتصغير الترخيم سويد
وسود وسودت وبعضهم يقول سدت وكلمته فما رد سوداء ولا بيضاء
اى كلمة قبيحة ولا حسنة والاسودان الماء والتمر وضاف قوم مزيدا المدني
فقال ما لكم الاسودان قالوا فيهما مقنع قال انما اردت الحرة والليل وفروع
المادة كثيرة واللمم بكسر اللام جمع لمة وهي الشعر المجاوز شحمة الاذن
فاذا بلغ المنكبين فهو جمة ويجمع ايضا لماما والكاتبين جمع كاتب اسم فاعل
من كتب يكتب كتبا وكتابا وكتابة اى خط والكتب جمع قال ابن الاعرابي
والكاتب عندهم العالم قال تعالى ام عندهم الغيب فهم يكتبون قلت وكونه
بمعنى الخط هنا اظهر والسمر الرماح واحدها اسمر وكانه من السمرة التي هي
لون الاسمر وسمر بالضم والكسر واسمر اسمرارا واسمار اسميرارا والسمراء الحنطة والاسمران
الماء والبر ويقال الماء والرمح ويقال الماء والخبز ويقال لهما ايضا
الابيضان والخط واحد الخطوط والخط ايضا وهو المراد هنا موضع اليمامة
وهو خط هجر تنسب اليه الرماح من الهند فتقوم به واليه تنسب الرماح الخطية

والفروع

والفروع كثيرة واقلام جمع قلم وهو الذي تكتب به واستعاره هنا لاسنة
الرماح والمقلمة وعاء الاقلام ومقالم الرمح كعوبه والقلم ايضا الزلم والعلم
ايضا الحلم وحرف كل شيء طرفه وشفيره وحده ومنه حرف الجبل وهو اعلاه
المحدد والحرف ايضا واحد حروف التهجي ومن الناس من يعبد الله على حرف
اى وجه واحد وهو السراء دون الضراء وقيل غير ذلك والمراد هنا
طرف الجسم والجسم الجسد وكذا الجسمان والجثمان وقال الاصمعي الجسم
والجسمان الجسد والجثمان الشخص قال وجماعة جسم الانسان يقال
له الجسمان الذيب وذوبان وجسم اى عظم فهو جسيم وجسام بالضم
وجسام بالضم جمع جسيم وتجسمه من بين القوم اختاره كانك قصدت
جسمه والاجسم الاضخم ومعجم اسم فاعل من اعجم اى قبل الاعجام وهو مصدر
اعجمت الكتاب اذا نقطته وحقيقته اللفظ ازلت عنه العجمة مثل اشكيته
اى ازلت عنه الشكوى والعجم النقط بالسواد يقال اعجمت الحروف والتعجيم
مثله ولا تقل عجمت ومنه حروف المعجم وهي الحروف المقطعة التي يختص اكثرها
بالنقط من بين سائر حروف الامم ومعناه حروف الخط المعجم كصلوة الاولى
وقيل المعجم مصدر اى الاعجام من شان هذه الحروف ان تعجم واعجمت الكتاب
ضد اعربته قوله ان قام في جامع الهيجا البيت لم يثبت في الرواية لكنه
يثبت في كثير من النسخ ويروى في مجمع الهيجا ويحتمل لزمان اى في زمانهم
ومنه المسجد الجامع ويقال مسجد الجامع كالحق اليقين وحق اليقين
اى مسجد اليوم الجامع وحق الشيء اليقين وتجمع القوم اجتمعوا من هنا
وهنا وجماع الناس بالضم اخلاطهم وهم الاشابة من قبايل شتى والجمع
مصدر جمعت المتفرق فاجتمع وقد يكون اسم جماعة الناس وجمعه جموع
والموضع مجمع بفتح ويضم والهيجاء الحرب يمد ويقصر ويوم الهيجا يوم
القتال وتهايج الفريقان تواثبا للقتال والخطيب اسم فاعل من خطب على المنبر
خطبة بالضم وخطب المراة خطبة بالكسر واختطب ايضا فيهما والخطيب ايضا
الخاطب وخطب بالضم خطابة بالفتح صار خطيبا والخطيي الخطية بالكسر

والخطب الذي يخطب المرأة وهو ايضا خطبة وخطبته وكان يقال لام خارجة
خطب فيقول نكح وخطب فيقول نكح وهي كلمة كانت العرب تتزوج بها وا
فلان ادعاه لتزويج وليته تصامم اري من نفسه انه اصم وليس به صمم وتثنية
المادة وادني تثنية ادن تخفف وتثقل وهي مؤنثة وتصغيرها اذينة
ولو سمي بها رجل ثم صغر لم تلحق بالتاء لزوال التانيث بالنقل واما قولهم
اذينة في الاسم العلم فانما سمي به مصغرا والجمع اذان واذنته ضربت اذنه
ورجل اذن يسمع قول كل احد يستوي فيه الواحد والجمع واذاني عظيم الاذنين
ونعجة اذني وكبش اذن واذنت العقل وغيره تاذينا جعلت لها اذنا واذنت
الصبي عركت اذنه ورجل صمة بكسر الصاد وشد الميم اي شجاع ويقال ايضا
للذكر من الحياة وجمعه صمم ومنه دريد بن الصمة وقول جرير سعرت عليك
الحرب تغلي قدورها فهلا غداة الصمتين تديمها اراد الصمة ابا دريد
وعمه مالكا والصم بالكسر اسم من اسماء الاسد والداهية واما الطمع
على الرواية الاخرى فمصدر طمع فيه طمعا وطماعة مخفف فهو طمع
وطمع واطمعه فيه غيره ويقال في التعجب طمع فلان اي صار كثير الطمع
والطمع الحرص والطمع ايضا رزق الجند يقال امر لهم الامير باطماعهم و
وعطاميعهم اي بارزاقهم وامراة مطماع تطمع ولا تمكن شاكي السلاح
قيل معناه تام السلاح وقال الجوهري الشوكة شدة البأس والحد في السلاح
وقد شاك الرجل يشاك شوكا ظهرت شوكته وحدته فهو شائك السلاح
وشاكي السلاح مقلوب ايضا انتهى فالمعنى على ما قال الجوهري حاد السلاح
وقال بعضهم شاكي السلاح في البيت معناه متسلحين متدرعين وهو
عندي جمع سلامة مضاف والسلاح يذكر ويؤنث والاحسن التذكير لجمعه
على اسلحة وهو جمع يختص للمذكر قياسا وتسلح لبس السلاح ورجل سالح
معه سلاحه والمسلحة قوم ذوو سلاح والسمي بالقصر وكذا العلامة وتقال
ايضا السيما بالمد والسومة بالضم العلامة في الشاة وفي الحرب ايضا
تقول منه تسوم وفي الحديث تسوموا فان الملائكة قد تسومت والمسومة المعلمة

ومنه

ومنه مسومين وتقدم شيء من المادة وميزت الشيء تمييزا فامتاز اي
فتنحى وانماز ايضا وتميز واستماز كله بمعنى وامتاز القوم تميز بعضهم من بعض
وتميز من الغيظ اي تتقطع السلم شجر له شوك وهو من العضاه واحدته
سلمة تهدى بضم التاء مضارع اهدى اليه هدية وهي اسم ما يهدى وجمعها
هدايا ويقال اهديت له واليه والمهدى بكسر الميم ما يهدى به كالطبق وقال
ابن الاعرابي ولا يسمى الطبق مهدى الا وفيه ما يهدى والمهداء بالمد من عادته
ان يهدي والتهادي ان يهدي بعض لبعض ومنه تهادوا تحابوا الرياح تقدم
النصر التاييد وقهر الاعداء نصره الله على اعدائه ينصره نصرا والاسم النصرة والنصير
الناصر والجمع انصار كشريف واشراف وناصر ونصر كصاحب وصحب واستنصره
على عدوه سأله ان ينصره عليه وتناصروا نصر بعضهم بعضا وانتصر منه انتقم
والنصر العطاء ومنه لقائل يا نصر نصر نصرا ولا يبعد ان يراد هنا والنشر
الرائحة الطيبة قال المرقش النشر مسك والوجوه دنانير واطراف
الاكف عنم وهو هنا استعارة للثناء الجميل على الصحابة رضي الله عنهم كما
استعار الرياح للنصرة قال وليس فتيق المسك ما تجدونه ولكنه ذاك الثناء
الخلف والنشر ايضا الكلأ اذا يبس فاصابه مطر في دبر الصيف فاخضر
وهو ردي للرعاية يهرب منه بالاموال وقد نشرت الارض فهي ناشرة اذا انبتت
ذلك وهذا المعنى هنا محتمل اذا جعل الضمير المضاف اليه نشر للكفار
والاول اظهر لان هذا التفسير لا يلتئم مع قوله فتحسب فتامله الا ان يقال
الضمير للصحابة ونشرهم بمعنى انتشارهم وهو للكفار كالوخم فيجتنبونه
والله اعلم وفي النشر وجوه محتملة لغة ومعنى وبحسب الزهر تقدما والاكمام
جمع كم بكسر الكاف وهو الغلاف الذي يكون على الزهرة ويسمى برعومة
والجمع براعيم وقال الجوهري البرعوم الزهر قبل ان ينفتح وكذلك البرعم
وبرعمت الشجرة اذا اخرجت براعيمها وقال ايضا الكم بالكسر والكمامة
وعاء الطلع وغطاء النور والجمع كمام واكمة واكاميم وكمت النخلة فهي
مكمومة واكمت وتكممت واخرجت كمامها والكمام بالكسر ما يكم به فم البعير

بلا بعض فهو مكموم وكمت الشيء غطيته الكمي الشجاع المتكمي في سلاحه لانه
كمي نفسه اي سترها بالدرع والبيضة والجمع الكماة كانهم جمعوا كامي كقاضي
وقضاة والظهور جمع ظهر خلاف البطن والخيل معدد والنبت النبات يقال
نبتت الارض وانبتت بمعنى ونبت البقل وانبت بمعنى وانبته الله فهو منبوت
على غير قياس وانبت الغلام نبتت عانته ونبت الشجر تنبيتا غرسته والصبي
ربيته والمنبت موضع النبات وما احسن نابتة بني فلان اي ما نبت عليه
اموالهم واولادهم ونبتت لهم نابتة اذا نشأ لهم نشؤ صغار وهم نابتة
شر والنوابت من الاحداث الاغمار والنبت حي من اليمن والينبوت شجر الربى
جمع ربوة بضم الراء وفتحها المرتفع من الارض وربا يربو ربوا زاد والرابية
الربو وهو ما ارتفع من الارض وربوت الرابية بالضم ويقال ربوة بالحركات
الثلث في الراء ورباوة والربو النفس العالي وربا يربو ربوا اخذه الربو وربا
الفرس انتفخ من عدو او فزع واخذه رابية اي زيادة واربيت اخذت اكثر مما اعطيت
والشدة الاولى القوة شد الله ملكه وشدده اي قواه ومنه حتى اذا بلغ اشده
وشد عضده قواه واشتد الشيء وشيء شديد بين الشدة ويصح ان يكون
بفتح الشين وهي الجملة الواحدة شد عليه في الحرب يشد شدا اي حمل عليه
ويقرب من المادة الشد بمعنى العدو ويقال شد واشتد اي عدا الا
ان الرواية بالكسر والشدة الثانية من شدة اي اوثقه يشده بالضم والكسر
وهو من النوادر فان فعل المضعف العين اللازم بكسر عين مضارعه الا في حروف
شذت وتقدم شيء منها في قوله وشد من شغب والحزم ضبط الرجل امره واخذه
بالثقة وقد حزم الرجل بالضم حزامة فهو حازم واما الحزم فجمع حزام ككتاب
وكتب وهو من حزمت الشيء احزمه حزما اي شددته واحتزم وتحزم تلبب اي شد
وسطه بحبل وحزمت الدابة بحزامها وهو المعروف ومنه حاوز الحزام الطبيين
ومنه حزام الصبي في مهده ومحزم الدابة ما جرى عليه حزامها يقال طار قلبه
فرقا اذا اضطرب من شدة الخوف وطار فرحا اذا استخفه السرور وكان
حركة الفزع او الفرح يشبه حينئذ بحركة الطائر ويقال طار يطير طيرة

وطرانا

وطرانا واطاره غيره وطيره وطاير بمعنى ومن امثالهم في الخصب وكثرة الخير
قولهم هو في شيء لا يطير غرابه واطير الغراب فهو مطار وفي فلان طيرة
وطيرورة اي خفة وطيش ومنه قولهم ازجر احناء طيرك اي جوانب
خفتك وطيشك وتطاير الشيء تفرق وتطاير طال وفي الحديث خذ ما تطاير
من شعرك القلوب تقدم وكذا العداء البأس العذاب والشدة في الحرب
بؤس بالضم يبؤس بأسا اذا كان شديد البأس فهو بئيس على فعيل اي شجاع
وعذاب بئيس اي شديد وتقدم بعض هذه المادة والفرق بالتحريك الخوف
وقد فرق بالكسر فرقا وفرقت منك ولا تقل فرقتك وامرأة فروقة ورجل
فروقة ايضا ولا جمع له وفي المثل رب عجلة تهب ريثا ورب فروقة يدعى ليثا
والتفريق بين الاشياء التمييز وفرقت بين الشيئين افرق فرقا وفرقانا
وفرقت الشيء تفريقا وتفرقة فانفرق وافترق وتفرق واخذت حقي منه
بالتفاريق وقوله اشهد بالمروة يوما والصفا انك خير من تفاريق
العصا قال ابن الاعرابي العصا تكسر فيتخذ منها ساجور فاذا كسر
اتخذت منه الوتد فاذا كسر اتخذ منه اعران البخاتي فاذا فرض راسه اتخذ
منه التواد يضرب بها الاخلاف وقرانا فرقناه بالتخفيف اي بيناه وبالتشديد
انزلناه مفرقا والبهم بفتح الباء وسكون الهاء اولاد الضان وقيل اولاد
الضان والمعز والبقر وقال الجوهري البهام جمع بهم والبهم جمع بهمة والبهمة
اسم للمذكر والمؤنث والسخال اولاد المعزى فاذا اجتمعت البهائم والسخال قلت
لهما جميعا بهام وبهم ايضا وقد جعل لبيد اولاد البقر بهاما في بيت له وهم
يسمون البهم بهيما اذا افردوه عن امهاته فرعوه وحده واما البهم بضم الباء
وفتح الهاء وهي اللفظة الاخيرة في البيت فجمع بهمة بضم الباء وسكون الهاء
قال ابو عبيدة الفارس الذي لا يدرى من اين يؤتى من شدة باسه وانظره
مع تفسير ابي عبيدة فانه اعم منه ويقال للجيش ايضا بهمة ومنه قولهم
فلان فارس بهمة وليث غابة اي فارس جيش قلت ويحتمل الذي في البيت
ان يكون جمع هذا الذي يراد به الجيش وهو ابلغ ومن المادة امرهم اي لا ماتي

وابهمت الباب اغلقته والاسماء المبهمة اسماء الاشارة واستبهم عليه الكلام
استغلق ويبهم ايضا ارتج ويحشر الناس بهما اى ليس معهم شيئا وقيل اصحا
والبهيمة واحدة البهايم وفرس بهيم للذكر والانثى اى مصمت لا يخالط لونه
شئ والجمع بهم وفى بعض الشروح البهم بضم الباء والهاء شجعان قال
واصله بسكون الهاء وحركه اتباعا قلت وهذا الكلام لا يصح الا اذا
كان جمع ابهم وانت تعلم بما ذكر من اللغات انه لا يوجد ابهم فى المعنى الذى
قررناه ولو قال ان تحريكه هو الاصل حتى يكون جمع بهيم لكان اقرب الى
الصحة قليلا التفسير لما وصف الملة العظيمة ملة الاسلام زادها الله
تشريفا وتكريما بما صارت اليه من المنعة والاكرام والاعزاز والاعظام وذلك
كله بقيام اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لشانها وتثبيتها على
اكمل الحالات اتم قيام حتى كانها مكفولة منهم بجزاء وخير بعل عقب ذلك
بذكر ما هو كالدليل على انهم قادرون على ذلك واهل له بتخصيص الله
اياهم لذلك فلا يستبعد بها الجاهل ما اخبرتك به مما صارت اليه
الملة من بعد عزتها فان اولياها هم الجبال انفسهم او كالجبال التى ارسى الله
بها الارض من بعد ما كانت تكفى وتميل حتى قالت الملئكة فيها قبل خلق الجبال
يا ربنا ما هذه بمقرة على ظهرها احد فخلق الله الجبال فارسيها فثبتت
ويمكن الانتفاع بها والتمتع بخيرها ونعمها الاناسى والانعام والجبال ارسيها
متاعا لكم ولانعامكم والصحابة رضى الله تعالى عنهم ومن دان بدينهم واستمر
على شاكلتهم جبال ارض ملة الاسلام التى بهم بعد تزلزلها سكنت وتقطع
دابر من حاربها من بعد اضطرابها ثبتت وقوله فسل عنهم اى وان ارتبت
فيما اخبرتك به من انهم الجبال فلك طريق الى التوصل الى علم ذلك حتى يصير
الخبر عندك عيانا بان تسال عنهم اى عن شانهم من شجاعة وحلم ورزانة
عقل من صادمهم من اعدائهم فى كل مصطدم وهى الاماكن التى التقوا فيها مع
اعدائهم وتجالدوا فيها بالسيوف وغيرها فيخبرك المصادم لهم ماذا راى
بينهم وابهم الامر فى قوله ماذا راى منهم لانه شئ لا يعبر عنه الوصف لعظمه

فان قلت هذه الحجة ناهضة فان عدو الدين يقول احلتنى ايها الناظم
على ما اصل اليه الان فان بينى وبين زمن من صادمهم مئين من السنين
وهلا يعد من اصحاب القرون الماضين فانى بسؤال من عاد رفاتا اسنين
ولئن لم يكن وقد بقاوهم او كونى فى زمنهم فالمصادم عدو لهم فكيف
يصدقنى فى الجواب اذ فى ذلك ثناء على اعدائه فلا بد ان يكذب فتعود
حجة عليك قلت المعنى فاسل عنهم مورخ اخبار مصادمهم على ما راى مصادمهم
منهم فى كل مصطدم والمورخ اما من يحفظ ذلك بتلقى الاخبار او الكتب المصنفة
فيه فانها ايضا مخبرة او كالمخبر وحينئذ اذا تواردت واتفقت الاثار حصل
العلم بالاضطرار لا يقال ان المبهم بشان تلك الاخبار هم اهل الملة فلا تقبل
شهادتهم لانهم جارون الى انفسهم ولا تجوز شهادة خصم ولا ظنين ولا جاب
لنفسه لانا نقول لا نسلم لان تلك الاخبار لا ينقلها الا اهل الملة بل هم
وغيرهم الا ترى اشعار العرب فى حال كفرهم واخبارهم عن محاربة المومنين
بانهم غلبوا اخرى وهذا واضح ولئن ان المبهم بذلك المومنون من اسلم
من اول امره ومن اسلم بعد محاربته لكن انما يتهمون ان لو كان اخبارهم
بذلك على نهج الشهادة واما وقد ارتفع عن صورة الشهادة ارتقى الى حال
التواتر الذى لا يكون فيه خبر عدو على عدوه ولئن سلم ذلك كله فكفى
بالقران العظيم الذى دل كونه معجزا على صدقه وفيه الشاهد
من نفسه شاهدا على هذه الدعوى قال تعالى محمد رسول الله
والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الى اخر السورة ولا يكونون
اشداء عليهم الا مع غلبتهم وقهرهم والا فهم اهونا عليهم وقال تعالى
اذلة على المومنين اعزة على الكافرين ولا يكونون اعزة عليهم الا مع الاستعلاء
عليهم وكيف لا وقد وعدهم الله جل جلاله النصر عليهم فقال تعالى
قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم الاية وقال تعالى ان
تنصروا الله ينصركم وقال لقد نصركم الله ببدر وهو كثير لمن طلبه
واما قوله الاعداء لا ينصفون فليس كذلك فان اصحاب الهمم العوالى

لايرضون الكذب لاسيما الكذب الاثرى قول ابى سفيان حين ساله هرقل
فوالله لولا ان ياثروا على كذبا لكذبت عليه وقوله ايضا الحرب بيننا
وبينه سجال ينال منا وننال منه وقوله يوم احد يوم بيوم بدر والحرب سجال
وحين سال كفار قريش المبارزة فبرز اليهم بعض الانصار رضى الله عنهم
فلم يرضوا فلما برز بعض المهاجرين من قريش قالوا اكفاء كرام فانصفوا
ومن يتبع اشعارهم واخبارهم علم نعتنا هنا فان قلت هلا اكتفى الناظم
باحالة علم هذه الاخبار على القران العظيم كما ذكرت فانه دليل ظاهر ولا
يحيل على سؤال المصادم حتى يحتاج الى تكلف الجواب قلت فهم الاية جرى على
وفق المخاطبات العرفية والحسن ما شهدت به الاعداء وقال بعضهم اركان
الرواية بكسر دال المصادم فيحتاج الى مضاف آخر اى سل مورخ مصادميهم
وينبغى ان لم تكن رواية بالكسر ان يفتح الدال على انه اسم للمصدر اى مورخ
مصادمتهم انتهى قلت كلامه هذا ان لم يكن نقص منه الناسخ شيئا فلا فرق
بين التقديرين فى ان المحذوف مضاف فانه ثم الرواية انما هى الكسر وعلى
المصادم يعود الضمير القايل براى وان قدر مصدر لم يكن فى الكلام ما يعود
عليه الا ما يفهم من السياق وقوله وسل حنينا البيت لا بد فيه من مجاز اما
ان يكون امر بسؤال هذه الاماكن كما امر بسؤال من صادمهم فيها كقولهم سل الربع
[illegible] وان يكون التقدير سل اهل حنين او مورخ وقعة حنين وكذا التقدير
فى سايرها وسؤال الامكنة بهذا الاعتبار اتم منه فى سؤال المصادمين ويحتمل
ان يكون سؤال حنين وما عطف عليه مستقلا ويحتمل ان يكون المعنى وسل
من تلك المصادمات اى اماكن اصطدامهم مع عدوهم التى تناولها قوله كل مصطدم
حنينا وبدرا واحدا ويحتمل ان يكون المعنى وسل زمن وقعة حنين وما كان فيه
من حوادثهم على ضرب من المجاز فى الاخر بسؤال الزمان كما امر بسؤال المكان وهذا
الاحتمال الاقرب لان قوله فصول حتف بدل من حنين وما عطف عليه بدل مفصل
من مفصل والفصول جمع فصل وهو من اسماء الزمان اى وسل زمن حنين وزمن
بدر وزمن احد فان تلك الازمنة فصول حتف للكفار اى ازمنة موتهم

ادهى عليهم اى هى اعظم عليهم مما يصيبهم فيها من كثرة الموتى زمن الوخم اى الزمان
الذى يموتون فيه بالوباء فان ما يموت منهم فى زمن الوباء مع تطاوله لا يبلغ
كثرة ما يقع بهم منه زمن مقاتلتهم المؤمنين فى الساعة الواحدة منه وهذا
التفسير ظاهر لا تكلف فيه ولا غبار عليه واذا لم يقدر زمن حنين بل غيره مما
تقدم يكون ابدال فصول منها على تشبيه غير الزمان بالزمان وعلى ما وقع
فى شرح القصار من انه بالضاد المعجمة يكون المعنى نالهم فى حنين وبدر واحد
من القتل زيادات على ما كان يصيبهم فى غير المواطن الثلث ويكون التقدير
وسل قتل احد الواقع فيهم وكذا فيما عطف عليه هذا شرح البيت ولا بد
من الاشارة الى بعض اخبار الغزوات الثلث واولها وقوعا بدر ثم احد
ثم حنين وليس بعضها متصلا ببعض لان بين حنين واحد غزوات بل
الترتيب فى مطلق الوجود اما بدر فهو مكان كما تقدم فى الغريب تفسيره
وتاريخ زمان وقعته وتلك الغزوة وهى اعظم غزوات الاسلام اذ منها كان
ظهوره وبعد وقوعها اشرق على الافاق نوره ومن حنين وفيها اذل الله الكفار
ومن حضرها من المسلمين فهو عند الله من افضل الابرار روينا فى صحيح البخارى
من حديث رفاعة بن رافع وكان ابوه من اهل بدر رضى الله عن جميعهم
قال جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما تعدون اهل بدر
فيكم قال من افضل المسلمين او كلمة نحوها قال وكذلك من شهد بدرا
من الملائكة ومنه ايضا من حديث على رضى الله تعالى عنه حين بعثه رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع ابى مرثد والزبير بن العوام رضى الله عنهما فى طلب المراة
التى حملت كتاب حاطب بن ابى بلتعة بخبر كفار قريش ببعض امر رسول الله صلى الله
وفى اخر الحديث قال عمر رضى الله عنه دعنى يا رسول الله فلاضرب عنقه
قال اليس من اهل بدر لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم
فقد وجبت لكم الجنة او فقد غفرت لكم فدمعت عينا عمر وقال الله
ورسوله اعلم وكانت غزوة بدر من غير قصد من المسلمين اليها ولا ميعاد
كما قال تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله امرا كان مفعولا

وانما قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بخروجهم التعرض لعير قريش قدم بها ابو سفيان من الشام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اعلم ان كفار قريش يخرجون من مكة قصد الحماية عيرهم وقد وعد الله تعالى ان يظفره باحدى الطائفتين اما العير واما ناصريها فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفرا ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبسا وصاحبه يتجسسان وحلا بموضع ثم ارتحلا عنه فاعقبهما ابو سفيان فوجد في منزلهما بعرا ففته فوجد فيه نوى فقال هذا تمر يثرب فعدل الى طريق الساحل وقد كان نذر بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين اليه فارسل الى اهل مكة يستنجدهم لحماية العير فلما علم انه قد نجا بعيره لاخذه طريق الساحل ارسل الى قومه ان ارجعوا فقال ابو جهل عند ذلك وقد جاوله اصحابه على ان يرجع فاني لا ارجع الى ان نصل بدرا فنقيم به وننحر فتسمع بنا القبائل ويرهبنا الناس وكان عدد المسلمين رضوان الله عليهم ثلثمائة وثلثة عشر او اربعة عشر او اربعة عشر وعدد المشركون الفا او تسعمائة او قد كانوا اكثر من ذلك لكن انخزل عنهم الاخنس ببني زهرة ولما علم المسلمون نجاة العير استشارهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في اللحاق بالقوم ومقاتلتهم ثم تكلم المهاجرون ولما اراد النبي صلى الله عليه وسلم ما عند الانصار فقال المقداد وسعد يا رسول الله لا نقول كما قالت بنو اسرائيل اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن انا مقاتلون فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال امضوا على اسم الله تعالى واخبرهم بما وعد الله تعالى من النصر على القوم واخبرهم بمصارع اقوام منهم سماهم فساروا حتى بدر ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم دون ماء بدر فقال بعض اصحابه رضي الله عنهم يا رسول الله نزولك هذا المنزل بوحي ام هو الراي والمكيدة فقال بل الراي فقال يا رسول الله الراي ان نقطع القوم من الماء فننزل وراءه فيردوا ولا يردون وذلك عون عليهم ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان

وكان من نعم الله تعالى على المسلمين ان نزل المطر فلبد طرقهم وثبت اقدامهم لان ذلك الموضع كثير الرمال تسوخ فيه الارجل ويصعب فيه المشي فضلا عن القتال قال الله تعالى مذكرا بنعمة هذا المطر وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام فلما اجتمع القوم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاجتهاد في الدعا اللهم ان تهلك هذه العصابة لن تعبد في الارض حتى سقط الرداء عن منكبيه صلى الله عليه وسلم وجعل ابو بكر رضي الله عنه يقول حسبك يا رسول الله بعض مناشدتك ربك فانه منجز لك ما وعدك قيل وكان من دعائه يومئذ وهو ساجد يا حي يا قيوم برحمتك استغيث ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم سيهزم الجمع ويولون الدبر وقال هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فما اخطاء احد منهم المصرع الذي عين له وذلك مما ظهر من اياته العظيمة في ذلك اليوم ومنها انه رمى بكف من تراب في وجوه القوم وقال شاهت الوجوه فما غادرت احدا الا وقد اصابت عينه قال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقاتلت الملئكة في تلك الغزاة العظيمة ولم تكن تقاتل في غيرها بل يحضرون خاصة على المختار من الاقوال عند بعضهم وكان كثير من الصحابة رضي الله عنهم يريدون ان يضربوا الكفار فيسبق ضربته زوال راس الكافر وذلك بضرب الملك وابلى علي وحمزة رضي الله عنهما يومئذ بلاء عظيما وكذا عكاشة رضي الله عنه حتى اندق حسامه فناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا فقاتل به فعاد في يده سيفا صقيلا وبالجملة ما احتوت عليه غزوة بدر من الايات العظيمة لا يكاد ياتي عليها الحصر وكان من قتل من المشركين سبعين رجلا واسر مثل ذلك فاخذ منهم المسلمون الفداء ومن ايات بدر وقوفه صلى الله عليه وسلم على القليب وقوله لهم بعد ندائهم باسمائهم هل وجدتم ما وعد ربكم حقا وقول الصحابة رضي الله عنهم كيف تنادي من لا يسمع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتم باسمع لما اقول منهم قال العلماء رضي الله تعالى عنهم انهم احيوا حينئذ

حتى سمعوا كلامه صلى الله عليه وسلم ومن آيات بدر الباقية ما كنت اسمع كثيرا من غير واحد من الحجاج انهم اذا اجتازوا بذلك الموضع يسمعون كهيئة طبل ملوك الوقت ويرون ان ذلك لنصر النبي اهل الايمان وربما انكرت ذلك وربما تاولته بان الموضع لعله صلب فيستجيب فيه حوافر الدواب وكان يقال لي انه دهس رمل وغالب السير هناك الابل واخفافها لا تصوت في الارض الصلبة فكيف بالرمال ثم لما من الله سبحانه وتعالى علي بالوصول الى ذلك الموضع المشرف اتفق ان نزلت عن الراحلة امشي وقد كان في يدي عود طويل من شجر السعدان المسمى بام غيلان وقد نسيت ذلك الخبر الذي كنت اسمع فما راعني وانا اسير في الهاجرة الا واحد من عبيد الاعراب الجمالين الذين كانوا معنا يقول اتسمعون الطبل فاخذتني لما سمعت كلامه قشعريرة بينة وتذكرت ما كنت اخبر به وكان في الجو بعض ريح فسمعت صوت الطبل وانا دهش مما اصابني من الفرح او الهيبة او ما الله اعلم به فتشككت وقلت لعل الريح سكنت في هذا العود الذي في يدي وحدث مثل هذا الصوت وانا حريص على طلب التحقيق بهذه الاية العظيمة فالقيت العود من يدي وجلست الى الارض او ثبت قايما لا امشي او فعلت جميع ذلك فسمعت صوت الطبل سماعا محققا وصوتا لا اشك في انه صوت طبل وذلك من ناحية اليمن ونحن سايرون الى مكة المشرفة ثم نزلنا ببدر المذكور فظللت اسمع ذلك الصوت يومي اجمع المرة بعد المرة من الله علينا بالعود اليه وحرمه وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم والممات باحدهما على الحالة التي رضيها ربنا جل وعلا لاوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بجاه محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم وقد اخبرت ان ذلك الصوت لا يسمعه جميع الناس فلله المنة والفضل

ومثل هذه الحكاية ما حكى ابن عمر رضي الله عنهما مررت مرة بذلك المكان فاذا رجل يعذب ويئن وهو مغلل فلما اجتزت به ناداني يا عبد الله قال ابن عمر رضي الله عنهما فلا ادري اعرف اسمي ام كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه يا عبد الله فالتفت اليه فقال اسقني فاردت ان افعل فقال الاسود

الموكل

الموكل بتعذيبه لا تفعل يا عبد الله فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر واخبار غزوة بدر شهيرة كبيرة فلذلك ولا يناسب الاختصار ولان ذكر الغزوات هنا ليس مقصودا بالذات فقصرنا على الاشارة المحققة اليها واما احد فكانت في شوال سنة ثلث كما تقدم وذلك ان قريشا حين رجع فلهم من بدر على الحالة الخبيثة قالوا لابي سفيان ومن كان له في تلك العير الا ان محمدا قتل خياركم فاعينونا بهذا المال لعلنا ندرك بعض الثار ففعلوا وفيهم نزل ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها الى قوله تعالى ثم يحشرون فاجتمعت قريش باحابيشها ومن اطاعها من كنانة وغيرهم وكان فيمن صحبهم وحشي غلام جبير بن مطعم كان يقذف بالحربة قل ما يخطي فقال له جبير ان قتلت حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنه بعمي طعيمة بن عدي كان قتله حمزة ببدر فانت عتيق وحملت قريش النساء ليلا يفروا وفيهن هند بنت عتبة امرأة ابي سفيان وكانت تقول لوحشي كلما مرت به او مر بها ويها ابا دسمة وتلك كنيته اشف واستشف فلما قربوا من المدينة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين اني رأيت والله خيرا بقرا لي تذبح ورأيت في ذباب سيفي ثلما ورأيت اني ادخلت يدي في درع حصينة فالبقر ناس من اصحابي يقتلون والثلم رجل من اهل بيتي يقتل والدرع المدينة قلت وفي صحيح مسلم ما يقتضي ان هذه الرؤيا كانت منه صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة فالله اعلم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان رايتم ان تقيموا بها وتدعوهم حيث نزلوا فان اقاموا اقاموا بشر مقام وان دخلوا علينا قاتلناهم فيها وهذا كان رأي عبد الله بن ابي سلول وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم بدر اخرج بنا يا رسول الله الى اعدائنا لا يرون انا جبنا عنهم وقال ابن ابي والله ما خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فما زال من احب لقاء الله برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بيته ولبس لامته وذلك يوم الجمعة

بعد الصلوة وندم الناس فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله
استكرهناك ولم يكن لنا ذلك فان شئت فاقعد صلى الله عليك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان للنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الف من اصحابه فلما كانوا بين المدينة
واحد انخزل ابن ابي بثلث الناس ممن اطاعه من المنافقين وسار رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى جعل ظهره الى جبل احد ونهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن القتال حتى يامر به ثم تهيا المسلمون للقتال وهم سبعمائة
وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة وهم خمسون عبد الله بن جبير
اخا بني عمرو بن عوف وقال انضح الخيل عنا بالنبل لا ياتونا من خلفنا
واثبت مكانك كانت لنا او علينا وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين درعين ودفع اللوا الى مصعب بن عمير العبدري وتعبات قريش وهم
ثلثة الاف معهم مائتا فرس قد جنبوها وعلى ميمنتهم خالد ابن الوليد
وعلى ميسرتهم عكرمة ابن ابي جهل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ياخذ هذا السيف بحقه فقام اليه رجال فامسكه عنهم واعطا
ابن ابي دجانه سماك بن خرشه الساعدي قال وما حقه قال صلى الله
عليه وسلم ان تضرب به في العدو حتى ينحني فاخذه وكان رضي الله عنه
رجلا شجاعا له عصابة حمراء اذا لبسها علم انه مقاتل فلبسها يتبختر بين الصفين
فقال صلى الله عليه وسلم انها لمشية يبغضها الله تعالى الا في مثل هذا
المواطن وابلى ابو دجانة في ذلك اليوم بلاء شديدا ووفى بما ضمن لرسول الله
صلى الله عليه وسلم شهد له بذلك الزبير بن العوام وغيره وقاتل حمزة في
ذلك اليوم قتالا شديدا قال وحشي فلما رايت حمزة رضي الله عنه
يهد الناس بسيفه ما يليق شيئا مثل الجمل الاورق هززت حربتي حتى اذا
رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثلثة حتى خرجت من بين رجليه
فاقبل نحوي فغلب فاخذت حربتي وعدلت الى العسكر ولم يكن لي حاجة
بغيره وقاتل مصعب دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتله ابن قمئة

وهو يظن

وهو يظن انه رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الراية عليا رضي الله عنه وقتل يومئذ حنظلة بن ابي عامر وهو الذي يدعى
الغسيل لقوله صلى الله عليه وسلم فيه ان صاحبكم لتغسله الملئكة فقالت
زوجته خرج وهو جنب قال صلى الله عليه وسلم فلذلك غسل ثم نصر الله
المسلمين وصدقهم وعده فحسوهم بالسيف حتى كشفوهم عن العسكر وكانت
الهزيمة لا شك فيها حتى ان لواء المشركين لم يزل صريعا فما دفعه لهم الا عمرة بنت
علقمة الحارثية فحينئذ لاثوا به فمال الرماة الى العسكر وخلوا ظهور الخيل
فاتى المسلمون من خلفهم وصرخ صارخ وهو الشيطان الا ان محمدا قد قتل
فرجع اول المسلمين واجتلدوا مع آخرهم وحينئذ قتل اليمان ابو حذيفة
رضي الله عنهما فانكشف المسلمون واصاب منهم العدو وكان يوم بلاء
وتمحيص اكرم الله فيه من المسلمين بالشهادة من شاء وخلص الى رسوله
صلى الله عليه وسلم فكسرت رباعيته وشج في وجهه وكلمت شفته
فجعل يمسح الدم ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم فنزل في ذلك
ليس لك من الامر شيء الاية ووقع صلى الله عليه وسلم في حفرة فاخذ
علي بيده ورفعه طلحة حتى استوى وترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابو دجانه يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه صلى الله عليه وسلم ورمى
عن ابي دجانه ورمى سعد بن ابي وقاص دونه وهو صلى الله عليه وسلم
يناوله النبل ويقول ارم فداك ابي وامي ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قوسه حتى اندقت سنتها واصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ
فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت احسن عينيه واحدهما
ثم نهض الى الشعب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس من المسلمين
ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير رضي الله عنهم جميعهم
وطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ابي بن خلف لعنه الله وصدق
الله مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه انا اقتلك ان شاء الله تعالى
فبينما هم في الشعب علت الخيل خيل لقريش عليها خالد بن الوليد فقال

اللهم انه لا ينبغي لهم ان يعلونا فقاتلهم عمر ورهط من المهاجرين رضي الله عنهم
حتى اهبطوهم ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعلوا صخرة وقد كان بدن
وظاهر بين درعين فلم يستطع فنهض به طلحة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر قاعدا
من الجراح وصلى المسلمون خلفه قعودا ومثل المشركون بقتلى المسلمين يومئذ
ثم ان ابا سفيان حين اراد الانصراف اشرف على الجبل وصرخ انعمت فعال
ان الحرب سجال يوم بيوم بدر اعل هبل اي اظهر دينك فاجابه عمر
رضي الله عنه الله اعلى واجل لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار
هكذا ذكر ابن اسحق وفي البخاري من حديث البرا اشرف ابو سفيان فقال افي
القوم محمد فقال لا تجيبوه فقال افي القوم عمر بن الخطاب فقال ان هؤلاء
قتلوا فلو كانوا احيا لاجابوا فلم يملك عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله
ابقى الله ما يخزيك فقال ابو سفيان اعل هبل فقال صلى الله عليه وسلم
اجيبوه فقالوا ما نقول قال قولوا الله اعلى واجل قال ابو سفيان انا العزى
ولا عزى لكم قال النبي صلى الله عليه وسلم اجيبوه فقالوا ما نقول قال
قولوا الله مولانا ولا مولى لكم قال ابو سفيان يوم بيوم بدر والحرب سجال
وتجدون مثلة لم امر ولم تسؤني انتهى ولما انصرف ابو سفيان قال
موعدكم بدر العام القابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل قل
نعم هو بيننا وبينك فقال صلى الله عليه وسلم لن ينالوا مثلها ابدا نغزوهم
ولا تغزونا وكان كما اخبر صلى الله عليه وسلم وذلك من ايات الله وظهرته
صلى الله عليه وسلم وكانت هذه الغزاة المباركة تمحيصا من المؤمنين كما اخبر الله تعالى
في قوله عز وجل ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام
نداولها بين الناس وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب
الظالمين وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين الايات ومن اياته صلى الله
عليه وسلم الكاينة يوم احد ما في صحيح البخاري سعد بن ابي وقاص قال
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ومعه رجلان يقاتلان عنه

عليهما

عليهما ثياب بيض كاشد القتال ما رايتهما قبل ولا بعد واخبر صلى الله عليه وسلم
صلى عليهم بعد كالمودع للاحياء والاموات وكثيرا ما ثبت عنه صلى الله عليه
وسلم انه كان يقول الجبل احد هو جبل يحبنا ونحبه واما حنين فتقدم
تعريفها مكانا وزمانا ولما فتح الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم
مكة سمع مالك بن عوف النصري فاجتمع اليه مع هوازن ثقيف ونصر وجشم
وسعد بن بكر وناس من بني هلال وسيدها دريد بن الصمة شيخ كبير
ليس فيه الا الراي ومعرفة الحرب فاجمع مالك وهو رئيس القوم السير
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل مع الناس اموالهم ونساءهم
وابناءهم فلما نزل بهم اوطاس قال دريد باي موضع انتم قالوا باوطاس
قال نعم مجال الخيل لا حزن ضرس ولا سهل دهس ما لي اسمع رغاء البعير
ونهاق الحمير وبكاء الصبي ويعار الشاء قالوا مالك فعل ذلك فناداه
وقال يا مالك هذا يوم كاين له ما بعده فلم سقت مع الناس المال والعيال
قال اردت ان يقاتل كل رجل عن ماله واهله فقال دريد راعي ضان والله
هل يرد المنهزم شيء ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه وان كانت
عليك فضحت في اهلك ومالك ارفع البيضة الى ممتنع بلادهم ثم الق الصبا
على متون الخيل فان كانت لك لحق بك من وراءك وعليك حرزتها فابى مالك
وقال كبرت وكبر عقلك وكره ان يكون لدريد فيها ذكر ثم قال يا معشر
هوازن لتطيعنني او لاتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري فقال
دريد هذا يوم لم يفتني ولم اشهده ثم قال مالك للناس اذا رايتموهم
فاكسروا جفون سيوفكم وشدوا شدة رجل واحد ثم بعث مالك عيونا
فاتوه وقد تفرقت اوصالهم رعبا فقال ويلكم ما شانكم قالوا راينا
رجالا بيضا على خيل بلق والله ما تماسكنا ان اصابنا ما ترى فلم يرده
ذلك عن المضي ولما اجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير الى هوازن
قال لصفوان بن امية اعرنا سلاحا نلقى بها العدو غدا فقال صفوان
اغصبا يا محمد فقال صلى الله عليه وسلم بل عارية مضمونة حتى نؤديها اليك

قال ليس بهذا باس فاعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح وقيل وساله
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكفيهم حملها ففعل فخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم في اثني عشر الفا عشرة الاف من اصحابه الذين فتحوا معه مكة
والفان من اهل مكة واستعمل صلى الله عليه وسلم عتاب بن اسيد ثم
مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما استقبل الناس وادي حنين في
غماية الصبح وكان القوم سبقوا الى الوادي وكمنوا في مضايقه وشدوا على
المسلمين شدة رجل واحد وهم منحدرون فرجع المسلمون لا يلوي احد على احد
وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين يقول هلم الي ايها الناس
ولم يبق معه الا نفر من المهاجرين والانصار منهم ابو بكر وعمر ومن اهل بيته
علي والعباس وابنه الفضل وابو سفيان بن الحارث وابنه وربيعة بن الحارث
واسامة بن زيد وايمن بن ام ايمن بن عبيد قتل يومئذ رضي الله تعالى
عن جميعهم ولما انهزم المسلمون تكلم رجال من اهل مكة بما في انفسهم
من الضغن حتى قال اخ لصفوان بن امية الا بطل السحر اليوم فقال صفوان
فض الله فاك لان يربني رجل من قريش خير من ان يربني رجل من هوازن قال
العباس رضي الله تعالى عنه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الناس لا يلوون على شيء وانا اخذ بحكمة لجام بغلته البيضاء قد شجرتها
مخافة ان اتصل العدو لانه صلى الله عليه وسلم كان يتقدم في نحر العدو
وابو سفيان بن الحارث اخذ بركابه وقيل بثغر بغلته امرني ان اصرخ
يا معشر الانصار يا معشر اصحاب السمرة فصرخت فاجابوا لبيك لبيك
فيذهب الرجل ليثني بعيره فلا يقدر على ذلك من حطمة الناس فيقتحم عن
بعيره ويأخذ سلاحه ويؤم الصوت حتى اذا اجتمع منهم مائة اقتتلوا وكانت
الدعوة اولا بالانصار ثم خلصت بالخزرج وكانوا صبرا عند الحرب
فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القوم يجتلدون فقال الآن حمي الوطيس
فوالله ما رجع الناس من الهزيمة حتى وجدوا الاسارى مكتفين عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال استلب ابو طلحة وحده ذلك اليوم عشرين رجلا

وفي ذلك اليوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا له عليه بينة
فله سلبه وفي حديث ابي قتادة في ذلك مشهور وفي حديث ابن اسحق بن
يسار عن جبير بن مطعم قال لقد رايت قبل هزيمة القوم مثل البجاد
الاسود اقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم فنظرت فاذا نمل اسود
مبثوث قد ملأ الوادي لم اشك انها الملائكة ثم لم تكن الا هزيمة القوم وقتل
من ثقيف سبعون رجلا تحت رايتهم وقتل ابو عامر الاشعري يومئذ
تسعة اخوة من المشركين وهرب سائرهم واسلم فحسن اسلامه وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول له شريك ابي عامر ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم
يومئذ بامرأة مقتولة قتلها خالد بن الوليد فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يقتل وليدا او امرأة او عسيفا وهو الاجير ثم جمعت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبايا حنين واموالها فامر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحبست بالجعرانة حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة الطائف
ورجع الى الجعرانة فلحقه وفد هوازن بها وقد اسلموا فقالوا يا رسول الله
انا اهل وعشيرة واصابنا ما لم يخف عنك فامنن علينا من الله عليك
وانما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ولو
نزل بنا هنا مع غيرك من الملوك لرجونا عطفه فانت خير المكفولين فقال
صلى الله عليه وسلم اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم واذا صلينا
الظهر فقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين وبالمسلمين
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابنائنا ونسائنا ففعلوا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم وقال المهاجرون
وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتمسك ناس فقال صلى الله
عليه وسلم اما من تمسك له فله بكل انسان ست فرائض من اول ما يفيء الله
علينا فردوا الى الناس ابناءهم ونساءهم ثم قسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المال في الناس ولم يعط الانصار شيئا فوجد بعضهم في نفسه
من ذلك فجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا معشر الانصار الم ترضوا

ان يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله صلى الله عليه وسلم
الى رحالكم لو سلك الناس واديا او شعبا لسلكت وادي الانصار وشعبها
الانصار شعار والناس دثار وفي حنين انزل الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم
كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا الى قوله تعالى جزاء الظالمين وناهيك من ثباته
صلى الله عليه وسلم ان قام بنفسه على بغلته جيشا قومه اثني عشر الفا
وما النصر الا من عند الله روينا في صحيح البخاري من حديث البراء قيل او لسيم يوم
حنين قال اما النبي صلى الله عليه وسلم فلا كانوا رماة فقال انا النبي لا كذب
انا ابن عبد المطلب رواه البخاري عن البراء من غير طريق قال ابو عمارة كنا انا
حمي الناس نتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها ايضا احد رسول الله
صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فرمى بها في وجوه القوم وقال شاهت الوجوه
قال سلمة بن الاكوع فما خلق الله انسانا منهم الا ملا الله عينيه ترابا
فهزمهم الله تعالى وقوله المصدري البيض البيت لما وصف الصحابة رضي الله
عنهم بانهم الجبال وامران يسأل عن ذلك المصادم واما كن جلادهم
اردف ذلك بهذه الاوصاف فهو اما على معنى مدح المصدري او اذكر او على
معنى قال المسل لما يسأل لما راى منهم فقال رايت منهم المصدري وفيه
على هذا التقدير تجريد ومعنى البيت ان الصحابة رضي الله عنهم يرجعون
صفايح السيوف البيض حمرا بعدما وردت تلك الصفايح من دماء الاعناق
التي هي تلك الاعضاء كل مسود من نحرهم او من اللمم منهم شبه السيوف
بابل بيض وردت ينبوعا اسود يجري بماء احمر ثم اصدرت وقد عادت
بعد بياضها حمرا من تلبسها بذلك الماء الذي وردته وفي هذا البيت لطايف
الاولى انهم اصدروا تلك السيوف كرها ولولا اصدارهم اياها ما صدرت
ولذا لم يسند الصدر اليها بل قال المصدري ولم يقل صادرات سيوفهم
واما الورد فلما كان من مشتهياتها ومحابها فهي تطلبه بنفسها فلذا اسند
اليها فقال وردت ومن مشتهاها طبعا الا الاترال واردة الثانية في قوله
بعدما وردت فانه يستلزم انها اخذت حظا معتبرا من الورود وان كانت

بحسب شهوتها لا يشبع منه وذلك احتراز من ان يقال مثلا انقلبت حمرا
من دم هناك اتفق لم ترده اولانها قاربت الورود ولم ترد واذا عرفت ان هذه
فايدة الاتيان بلفظ بعدما تبين لك انها اولى من لفظة كل كما عند بعضهم حيث
قال لو قال لما وردت لكان انص على المعنى قلت ولا فرق بين كلما ولما
فان المراد بهما في مثل هذا المقام الوقت وليس فيهما من تحقيق الاخبار عن الورود
ما في لفظة بعد فتأمله الثالثة في قوله من العدى احتراس من ان يكون ذلك
الدم من جراحات نالت اصحاب السيوف الرابعة في قوله كل مسود فانه
ادل على شجاعة الصحابة رضي الله تعالى عنهم وارتفاع هممهم
فانهم لا يرضون بقتل شيخ ونحوه واما النساء فلا يدخلن في هذا لان
مقامات الحروب ليست من مقاماتهن كتب القتل والقتال علينا وعلى
الغانيات جر الذيول قال بعضهم ويحتمل ان يكون تخصيص المسود
من التشبيه بالادنى على الاعلى انتهى قلت كذا وجدته ولعله من تبديل
الناسخ اي بالاعلى على الادنى لان قتل الشيخ ادنى من قتل الشاب
الخامسة في تخصيصه المسود بكونه من اللمم فانه دليل على شوقهم
وتانيهم حتى يميزون ذلك المحل للضرب فيه دون ما سواه وهو المحل الذي
يختاره الابطال للضرب من الاعداء وبذلك امر الله المومنين فقال
تعالى سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق
واضربوا منهم كل بنان فقوله تعالى سالقي تنبيه للمومنين على الثبات
حتى يضربوا ذلك المحل فان الكفار قد اشتغلوا عن المدافعة بما القي في
قلوبهم من الرعب وقد اختلف المفسرون في لفظة فوق في الاية فقيل
زايدة اي اضربوا الاعناق وقيل ليست بزايدة وان فوق العنق يعني
الراس مفصل والمعنى ان يلوا الرؤوس عن الابدان وحكمة ذلك
التنبيه على انه لا يكتفى من الاعداء باقل من ذلك وفي المثل دونا الراس
يخلق وقد قال لدريد بن الصمة يوم حنين لربيعة بن رفيع حين ضربه
بسيفه فلم يغن شيئا بئس ما سلحتك امك خذ سيفي هذا من موخرة الرجل

في الشجار ثم اضرب بروارض عن العظام واحصص عن الدماغ فاني كذلك كنت
اضرب الابطال وفيه ايضا التنبيه على ان الاعادي ولواء المومنين اقفيتهم
وحكموهم فيها يصنعون بها ماشاؤا وبهذا وصفهم بعض الانصار رضي الله عنهم
في بدويته غير هذا من اللطايف لكن القصد الاختصار كما شرطنا غير
والشرط املك ثم البحث في مثل هذه اللطايف اشبه بترجمة المعاني
منه بترجمة التفسير وقوله والكاتبين البيت معطوف على المصدر عاملين
والمعنى كان الصحابة رضي الله عنهم عاملون بالضرب بالسيوف حالة ايرادها
واصدارها وبالمواضع التي يوردونها اياها كذلك هم عالمون
بالطعن بالرماح وبالاماكن التي يطعنون بها فيها فيشبه سمر الخط وهي
الرماح الخطية باقلام والطاعنين بها بكتبة واطراف الجسم من الخواصر
وغيرها التي تطعن بالرماح ويتمكن الطعن فيها بحروف الخط والطعن في
تلك الاطراف بالرماح بنقط الحروف بالاقلام فالتقدير امدح او غيره من
العوامل المتقدمة الكاتبين الطاعنين بسمر الخط الذي هي شبيهة باقلام
الكتاب وقوله ما تركت الى اخره اي ما تركت اقلام اولئك الكتاب التي
هي السمر او اقلام تلك السمر كما تقدم في الغريب طرف جسم من اجسام الكفار
الذي ذلك الطرف شبيه بحروف الكتاب غير منعجم اي غير مطعون وعن مطعون
كني بمعجم وفي البيت ايضا لطايف الاولى تشبيههم بالكتاب والسمر بالاقلام
دليل على غاية احكامهم للطعن بها حتى انها في ايديهم كالاقلام في يد الكتبة
لا تكثر مشقة عليهم في التصرف بها الثانية انهم لا يطعنون طعنة الا في
محلها كما لا ينقط حرف الا بما يستحق الثالثة انما اعجموا حروف اجسام الكفار
اي ازالوا العجمة عنهم بالنقط المبين ليتميزوا من المومنين فان الامر يختلط
في فيتميز الكافر بنقطه والمومن بسلامته وخرج من هذا البيت والذي
قبله ان الصحابة رضي الله تعالى عنهم مع علمهم بالتصرف بالة الحرب يمكنوا
من الاعادي بكلها اما على سبيل التوزيع فيضربون فريقا بالسيوف وهم للتنحي
ويطعنون اخرين بالرماح وهم العزل ومن الصحابة رضي الله تعالى عنهم

الفارس

الضارب بالسيف ومن الطاعن بالرمح واما على معنى انهم يقاتلون الاعادي
بالرماح حتى تتكسر ثم بالسيوف حتى تتقطع واما كل ذلك فدعناه واما على
معنى انهم لا يبالون بما يلقون به الاعادي من الالات لحقارتهم عندهم
وقوله ان قام في جامع الهيجاء البيت لست على يقين من رواية هذا
البيت كما تقدم ومعناه ان المسلمين لما ثبت من فعلهم بالكفار وما ذكر
ال الكفار الى انه اذا قام خاطب المومنين في جامع الحروب من مكان او زمان
يطلب من يخرج له من الكفار للمبارزة لا يجيبه احد منهم ولا يخرج اليهم
لما يعلمون من ان الغلبة للخاطب حتى ان شجاع شجعانهم وهو الذي عني بقوله
حمية الصم اي اشدهم شجاعة يتغافل عن سماع ذلك الصوت ويتصام
ادناه عنه اي يري من نفسه انه اصم ولا صمم به وانما احتاج الى ان يظهر
الصمم اظهار الصورة العدو لان في اقرار العدو بالعجز عن مقاومة عدوه معرة
كبيرة على ذوي الهمم لا سيما العرب ولذا يقفون في تلك المجامع وان كانوا
لا يريدون القتال فان قلت قد قررت في قوله فسل عنهم مصادمهم انهم
لا ينكرون حق اعدائهم وهذا مخالف لذلك قلت لا مخالفة فان ذلك باعتبار
اقرارهم بشجاعة الاعداء وهذا باعتبار انكار عجزهم في انفسهم وذلك
الاقرار مقول هذا الانكار فانهم اذا انكروا عجزهم واقروا بقوتهم ولا علم لهم
قوة الامع شجاعة مقابليهم ويمكن حمل هذا البيت على معنى من المجاز الا انه
بعيد من سياق الابيات قبله وبعده وذلك ان يكون المراد وصفهم بالنهاية
في فصاحة الكلام وبلاغته وانهم جاوزوا ذلك وضموه الى ما لهم من الشجاعة
ويراد بجامع الهيجا على هذا مقامات المساجلة بالخطب والشعر عند المفاخرة
وتلك شبيهة بمقامات الحروب بل ربما كان الغبن فيها اشد على المغبون من الغلب
في الحرب ومن يساجلني يساجل ماجدا يملا الدلو الى عقد الكرب والخطيب من
خطبة الكلام وضمه الصم اي شجاع شجعان الكلام وفرسان الفصاحة والبلاغة
والمعنى ان قام في مجامع المفاخرة بالكلام والتعبير عن خصال المحامد خطيبهم
اي خطيب الصحابة رضي الله تعالى عنهم النايب عن جماعتهم في الكلام فيتكلم وخطب

تصاممت عنه اذنا اشدهم شجاعة في الفصاحة والبلاغة وانما اظهر التصامم
لانه يسمع ما طاقة له على معارضته من الكلام البليغ الصادق وكيف لا وهم
اهل كتاب الله يتلونه رطبا وبلسانهم انزل الى اخصوا به من السليقة ومما
يناسب معنى البيت على هذا المحمل اتفق لهم حين ورد على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفد تميم قبل اسلامهم وفيهم الزبرقان ابن بدر وغيره وظنوا
انهم افصح وقام خطيبهم فتكلم واثنى على احسابهم وافعالهم بما ظن
انه الغاية القصوى في البلاغة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثابت بن قيس رضي الله عنه ان يجيبه فجابا فصح وابلغ من خطبته
ثم قال شاعرهم كذلك فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت
رضي الله عنه فانشد ابلغ من انشاد شاعرهم فعند ذلك قال الوفد والله
لخطيبهم افصح من خطيبنا ولشاعرهم ابلغ من شاعرنا وبعد هذا الامر ابى
لا يسعهم ان سمعوا خطيب المسلمين الا ان يتصامم اذا انهم اما لعجزهم عن المعارضة
واما لتقطع قلوبهم من اجل الحسد ان اصغوا الى تلك البلاغة واما على ابيات
عند القصاص من ان اللفظ اذن قام في طمع الهيجا فمعناه على ما يظهر لي ان
قام خطيبهم يدعو الى مطمع الهيجا اي يحرض على القتال لما يرجى من اخذ اموال
الكفار بعد الغلبة لم يستمع اليه وتصاممت عنه اذنا شجاع الشجعان لانهم
لا يرضون بالقتال على الاموال فان قلت ولاي شيء خص التصامم بالشجاع
على هذا المعنى من بينا وبالجمع في ذلك قلت انما خصه لان القتال عليه
سهل لشجاعته فلو كان ممن يقاتل للطمع لكان يقول وما ذا على ان قاتل
فاغلب فاسلب المال فيسارع الى اجابة دعوة الخطيب واما الجبان فصممه
عن الاجابة قد يقال انه لعجزه عن القتال لا استنكافا عن قصد الطمع فهو
يتصامم على كل حال فخص الشجاع بالتصامم عن الاجابة فيدخل غيره في التصامم
عنه من باب احرى وهذا المعنى الذي قررته معتبر شرعا ففي الحديث الرجل
يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والمجاهد في سبيل الله من قاتل لتكون
كلمة الله هي العليا ومنه ايضا ما من احد يكلم في سبيل الله والله اعلم بمن يكلم

في سبيله الا جاء يوم القيمة وجرحه يشخب دما اللون لون الدم والريح ريح
المسك فنبه صلى الله عليه وسلم على المقاصد والنيات بقوله والله اعلم
بمن تكلم في سبيله ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله
ورسوله الحديث وقال في المدونة واكره للامام ان يقول قاتلوا ولكم
كذا او من قاتل موضع كذا او تقدم الى الحصن او قتل قتيلا فله كذا او نصف
ما غنم واكره ان يسفك احد دمه على مثل هذا وكذلك اكره للاسيران
يقاتل مع الروم عدوا لهم لان يخلى الى بلاد الاسلام ولا يسفك احد دمه
على هذا انتهى وقال قبل هذا بقليل وانما نفل النبي صلى الله عليه وسلم
يوم حنين من الخمس بعد ان برد القتال فان قلت اذا كان الشرع على ما ذكرت
فكيف يصح من الناظم ان يضيف هذا الخطيب الذي يدعو الى القتال لهذا القصد
من الصحابة رضي الله عنهم قلت الاضافة لادنى ملابسة فقد يكون هذا
الخطيب لم يزل كافرا وورد عليهم ليستنصرهم على اعداء له كافرين ويطمعهم
مع ذلك في اموالهم فيتصاممون عنه واضافه اليهم لدعوته اياهم وهذا الوجه
وان كان محتملا الا انه بعيد ويقال قد يكون منهم من يفعل ذلك قبل ان
يعلم الحكم او قبل ان شرع او يدعو بذلك من ليس هو من خالص الايمان من لا
يرغب في الجهاد لمجرد الثواب كالمنافقين لان الله تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل
الفاجر وقد حكى الله تعالى ذلك منهم بقوله وان منكم لمن ليبطئن
الى قوله تعالى ولئن اصابكم فضل من الله الاية وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين اراد الخروج لغزوة تبوك للجد بن قيس هل لك العام
في جلاد بني الاصفر لتغنم من نسائهم فقال له ائذن لي ولا تفتني فنزل
قوله تعالى ومنهم من يقول ائذن لي ويحتمل ان يكون المعنى ان قام خطيبهم
يدعو الى اخذ مطمع الهيجاء وهو مال الغنيمة او مرتبات الجند كما تقدم في
الغريب لم يسارعوا الى ذلك ويتباطؤن فيه وانما يسارعون الى الدعاء
للمقاتلة ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم للانصار انكم لتكثرون عند الفزع
ويقلون عند الطمع وكان عمر رضي الله عنه يدعو حكيم بن حزام رضي الله

الى اخذ عطائه فيأبى عليه حتى اشهد عليه عمر الصحابة رضى الله تعالى
عن جميعهم وهذا التفسير هو الذى اشار اليه القصار لكنه لا يظهر
لتخصيص سمته الصمم بتصاممه اذنيه عن هذه الدعوى دون غيره فانه
اللهم الا ان يقال ان هذه الصفة لا تثبت لاكثر الناس وانما توجد
فى القليل منهم فيكون على هذا المراد بصمه الصمم شجاع الشجعان فى الصبر
عن ملاذ الدنيا وشهواتها وهى الشجاعة فى الصبر عن ملاذ الدنيا
وشهواتها وهى الشجاعة الحقيقية التى تحتاج للجهاد الاكبر جهاد النفس
ليس الشديد بالسرعة وانما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب
لكنه حينئذ يفوت ما قصد الناظم من مدح جميع الصحابة رضى الله عنهم
اللهم الا ان يريد انهم الصنف الذى يوجد فيهم هذا المعنى القليل الوجود
فنعم لا يخلو من تكلف وتعسف وهذا الشان فى كثير ما ادخل فى هذه
القصيدة المباركة مما ليس للناظم لا يناسب المعانى التى قصد الناظم الا
بتكلف وفى هذا ما يدلك على مكان هذا الناظم رحمه الله وخلوص نيته
وصدق محبته فان كلامه مطرح المعا متناسق الارتباط سهل المأخذ
وقوله شاكى السلاح البيت هذا البيت ظاهر الاتصال بقوله غير منهجم
وذلك مما يدل على ان الذى قبله دخيل وذلك انه لما اخبر
ان الصحابة رضى الله عنهم لما نقطوا احرفا اجسام الكفار وازالوا
الاعجام عن اجسامهم حتى ميزوا بما حصل فيهم من الطعن عن المؤمنين
اراد ان يخبر عن علامة المؤمنين التى تميزهم فى انفسهم لان سلامتهم
من الطعن وان كان مميزة لهم عن الكفار لكن تلك علامة اضافية
تميز من قتل منهم مع الكفار عن مقاتلتهم فيبقى ما يميزهم بالاطلاق
فقال شاكى السلاح وهو يحتمل ان يكون منصوبا على المدح اى
امدح تام السلاح او حادى السلاح على ما تقدم فى معناه لغة وقوله
سيما تميزهم اى ان كل واحد له سمى تميز كونه من المؤمنين وتلك السيما
اما كونهم اشداء على الكفار رحماء بينهم وهذا اشبه لما الكلام فيه

من الاخبار

من الاخبار عنهم بشدة البأس على الكفار وعلى هذا يكون وصف كل منهم
بانه شاكى السلاح كناية عن شدة بأسه على الاعادى وشجاعته التى
يمنعه من ان ينال منه الاعداء شيئا وقاية الله اغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عال من الاطم واما كونهم يرون ركعا سجدا وسيماهم
فى وجوههم من اثر السجود واما غير ذلك من صفاتهم الحميدة التى
نص عليها القرآن وصحيح الاخبار والحاصل انه احال على علامة
لهم معرفة لم يذكرها وهذا على ان شاكى اصله شائك من جمع شائك
ويحتمل ان يكون مفردا ويكون المعنى تام السلاح ان رايته هو لهم
سيما تميزهم رايته منهم منهم فان قلت هذا وصف يشترك فيه المؤمن
والكافر فكيف يكون سيما للمؤمن قلنا المقصود من تمام السلاح او حديده
التمنع من الاعادى والحفظ والنجاة منهم ولما كان الكافر لم يمنعه حد سلاحه
الحسى وتمامه من وقوع الطعن والقتل به فكانه فى الحقيقة اعزل ولما خص الله
المؤمنين واكرمهم بالنصر على الاعادى بالظفر بهم والنجاة منهم كانوا هم
التامين السلاح حقيقة واما قوله والورد الى آخره فيشبه ان يكون جوابا
عن اعتراض مقدر بان يقال هذا الفرق الذى ذكرت بين الفريقين على الوجه
فى شاكى معنوى خفى لا يفطن له الا الاذكياء فلا يحسن جعله سيما لكل احد
وانما يرى الاكثر تساويهم فى لبس السلاح الحسى فاجاب انهم وان هم
استووا فى ذلك فانه لا يمنع استواء وهم فيه من ادراك الفرق ظاهر بين
غاية البيان فان المؤمن شجاع مقدام ممتنع على الاعادى الا رذال سهل على
الاحباء الافاضل طيب الثناء والخلق والخلق شريف المنزلة بهى المنظر
محبوب والكافر ضد ذلك كله فكيف يخفى مثل هذا الفرق كما ان الورد
وان ساوى العضاة الذى هو السلم فى كونهما شجرين مورقين بورق اخضر
ذوى شوك الا ان ذلك لا يمنع ادراك الفرق لكل ذى بصر فان الورد ممتنع
على الحيوانات الخسيسة كامتناع الشجاع من الاعداء الاندال حتى انهم ذكروا
ان الجعل ونحوه اذا شم الورد مات وهو سهل التناول على الافاضل وطيب

رايحة الورد وحسن خلقه وخلقه وشرف منزلته وبها منظره لايخفى وفي السلم
بضد في اكثر هذه الاوصاف فكانه يقول فكما لايخفى امتياز الورد بسيماه
من السلم كذلك لايخفى امتياز الصحابة رضى الله تعالى عنهم بسيماهم من غيرهم وفي
تشبيه الصحابة رضى الله تعالى عنهم بالورد موافقة لقوله صلى الله عليه وسلم
مثل المومن كالخامة من الزرع فان الورد مع ما اشتمل من الاوصاف الجميلة في اللطف
كلما ظهر اكل اماله لانه ينقل من الارض الى المواضع الشريفة من الثياب وغيرها
كالازال التي تصيب المؤمن تحصا له وسببا في حط الذنوب وانالة الثواب
وتشبيه الكفار بالسلم موافق لقوله صلى الله عليه وسلم ومثل الكفار كالارزة
حتى يقصمه الله فان السلم شجر اقوى من الورد بكثير ولا يميل في العطف
كالورد اذ لاحاجة به بل يجتنب لشوكه ومضرته فهو ثابت سالم من الافات حتى
يحطب لوقيد الناس وسلامة الكافر حتى يكون انجعافه للنار مرة واحدة
وتهدي اليك البيت لما بين ان سيماهم كونهم شاكي السلاح وفي ذلك ثبوت
غلبتهم اعداءهم وان تميزهم بذلك ولا يخفى كتميز الورد من السلم اتبع ذلك
بما يزيده بيانا وتثبيتا فقال ان خفي عليك امتيازهم بذلك فرياح النصر
تهدي اليك اي توصل اليك نشرهم اي ريحهم الطيبة التي يمتازون بها
كامتياز الورد برائحته عن السلم فعند ايصال الرياح اليك روائحهم الطيبة
تحسب كل كمي منهم اي كل شجاع مكتنف في سلاحه الزهر في كمامه وهي غلافه
التي يكون فيها فشبه اجسادهم الظاهرة الطيبة حالة كونهم مقنعين في
السلاح بالازهار في كمامها قبل ان تنفتق عنها فهم رضى الله عنهم من لم يميزهم
بسيماهم الظاهرة التي هي كسيما الورد في بهاء المنظر وطيب الرائحة وذلك لمن
شاهدهم ميزهم بما يوصل اليه رياح النصر من طيب الثناء عليهم وصدق الخبر
عنهم لتواتره بانهم المنصورون واصحاب الخصال الحميدة حتى يظن من جا او وصل
من اخبارهم الطيبة كل كمي منهم الزهر في اكمامه التمييز بين لمن لم يشاهدهم
وجاء بعدهم فقال ... شاكي السلاح علامة تميزهم بها من رآهم وقوله
تهدي اليك علامة غيرهم بها من لم يشاهدهم لان كونهم شاكي السلاح هيئة

الاستعداد

الاستعداد للحرب ومقدمته وهي تكون اول النهار غالبا فلذا خص هذه العلامة
باول الناس ورياح النصر تكون بعد الزوال غالبا لان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان ينتظر ذلك الوقت للقاء العدو والزوال اخر النهار فكانت
هذه علامتهم عند اخر الناس وانما نصابهم بالخبر ولما كان هذا الخبر عن
حادث قد يم جعل ما يصل به من ذلك كالامر الذي توصله الرياح من طيب
الكائن بموضع بعيد فلا يصل منه الا مبادي الامور الدالة على عظيم منتهاها
الغايب عنا اذ ليس الخبر كالمعاينة ولذا شبههم بالزهر في اكمامه قبل ان يتفتق
فيظهر للعيان فغيبتهم عن من وصل اليه خبرهم كغيبة الزهر في اكمامه والقدر
الذي علم بالخبر عنهم كالقدر الذي يحمله الرياح من الزهر قبل ان يتفتق عنه
كمه ولما كان متعلق ذلك الخبر امرا عظيما سماه هدية لان الهدية في العرف
انما يقال على ما يستعظم وحكمة تشبيههم بالزهر بما تقدم في الورد
من سهولة التناول على الاحباب وصعوبته على الاعداء وما يمتحن به الزهر
من القطاف وتقدم في الغريب اشارة الى تفسير آخر يحتمله هذا البيت
فراجعه وقال بعضهم الاكمام هنا اكمام الثياب والمعنى ان الرياح
الفاصلة وهي المراد برياح النصر جلبت اليك روائحهم العطرة يخرج من
اكمام اثوابهم فتحسب ان الزهر في كمام كل فارس منهم والمقصود بهذا المزاج
ان ما روي من نصرهم فهدى للسامع ثناء جميلا واضحا لاحميته تطيب
انفس السامعين كانها روائح طيبة يخرج من كمام اولئك الفرسان ومن
ثيابهم تطيب النفوس بسماعها انتهى فتامله والرواية على هذا التفسير بتنكير
الكمام واضافته الى كل وقوله كانهم في ظهور الخيل البيت شبههم رضى الله عنهم
بالنسبة الى احد لكن بالنسبة الى بعض احوالهم وهي حال كونهم على ظهور
الخيل بنبت الربا في بهاء المنظر وحسن المخبر وطيب الرائحة والثبات في استقرار
وانهم ان يحركوا عليها لم يتحركوا بما يقلعهم من اصل ظهورها بل انما يتحركون
للطعن والاتقاء مع ثبوت اصلهم كما يتحرك نبت الربا اذا حركته الرياح فان
المتحرك فرعه واصله ثابت ولو انقطع من اصله لم يبعد ثم ثبات اصلهم

على ظهور خيلهم انما هو من اجل حزمهم اى ضبطهم للامور ومعرفتهم بركوب
الخيل وطراوتهم بذلك ومعرفتهم بالضرب والطعن عليها الا من اجل شدهم
حزم سروج الخيل ولا من اجل شدهم انفسهم عليها بحزم واستلزم تشبيههم
بنبت الربا الاحيا عن كون خيلهم غاليه كالزنخ فان قلت لم يقل زهر زنخ
او نور زنخ بدل نبت فانه ادل على الحسن من مطلق النبت قلت نبت زنخ
يشمل النور منه وغيره لانه اسم جنس اضيف فيعم وانما لم يخص الزهر بالذكر
لوجهين الاول ان زهر الزنخ انما يحسن لاختلاطه بانواع النبات حتى يظهر
كانه ممتزج من الوان شتى فصارت واحدة الثانى ان وجه التشبيه عنده
انما هو الثبوت والاستقرار وذلك عام فى ساير نبات الزنخ وليس خاصا
بالزهر منه فلو خص الزهر بالذكر لتوهم انه قصد بوجه التشبيه الحسن
فيفوته ما قصد من الثبات بل ربما اوقع فى ابهام ضد ما قصد فان زهر
الزنخ يصدق على نبت فهنا منه وعلى ما قطف من غيرها فوضع عليها لان القصد
هذا النقد ظهور الحسن فوق المرتفع وهذا النوع لا ثبات له اذ قد تذهب
به الرياح فينعكس ما قصد من المعنى فان قلت اذا كان قصده بالوجه الثبوت
فلاى وجه خص النبات بالذكر فان الاشجار العظام الكفار واما النبت
فلان الرياح تعسه يمينا وشمالا صفة المومن فى المحن الدنيويه واما تخصيص
نبت الزنخ دون غيرها قلت انما لم يشبه بالاشجار العظام لما قصد من موافقة
الحديث كما تقدم فى تشبيههم بالورد والزهر وانما يشبه بالاشجار العظام
الكفار واما النبت فان الرياح تغيبه يمينا وشمالا صفة المومن فى المحن الدنيويه
واما تخصيص نبت الربا فلانه احسن النبات لانه يأخذ حظه من الماء ثم يسيل
ويأخذ حظه من الشمس ومن الرياح على اختلاف انواعها فيخرج اخضر ناعما
غضا يروق للناظرين ويعجب حسنه المتاملين واما نبت المنخفض من الارض
فقد يستقر فيه الماء فيقتله ويصفر لونه لان الظلال التى احاطت به
تمنعه الشمس والرياح يعرف ذلك اهل الفلاحه وتامل قوله صلى الله عليه وسلم
كالحبه فى حميل السيل الحديث وقوله طارت قلوب العدى البيت يعنى انه

لما ثبت من وصف الصحابة رضى الله عنهم بالشجاعة وبالتاييد الالهى بالنصر
ومن قتالهم بالكفار ما ثبت لم يقدر اعاديهم على الثبات لهم ولا الصبر لشدة
باسهم بل طارت قلوبهم فرقا منهم فجعلت ترتعد وتضطرب اضطراب
الطاير فى طيرانه من اجل ما تعوده وذاقته عند لقايهم من باسهم حتى ان امرا غايا
من اجل ما بهم من الرعب وهو الفزع من المومنين ان يفعلوا بهم ما تعوده منهم
من العذاب الى انهم لا يفرقون بين البهم وهو اولاد الضان وبين البهم وهم شجعا
الفرسان ذهب تمييزهم واختلطت عقولهم صفة الدهش من الامر العظيم
الحال به لا يقال انما لا يفرق بين البهم والبهم من لا يحفل بالفرسان لشجاعته
حتى كانهم اولاد الضان عنده لانا نقول قوله فى البيت فرقا وطارت يرفع
هذا التوهم على ان هذا الاحتمال يصح فى البيت على معنى اخر وذلك ان من لا
يفرق بين اولاد الضان وشجعان الفرسان قد يكون للشجاعة كما ذكر السائل
وهذه صفة الصحابة رضى الله عنهم وقد يكون للخوف وهذه صفة الكفار
لعنهم الله وكذلك حمل كلام الناظم على كل من المعنيين فان جعلته مدحا للصحابة
كان فاعل تفرق ضميرا عايدا عليهم اى من اجل ما بلغ الكافرين من الخوف وصار
عند الصحابة رضى الله عنهم شجعانهم كاولاد الضان فكما لا كلفة عليهم فى
قتل اولاد الضان ان ارادوه كذلك لا كلفة عليهم فى قتل شجعان الكفار
وان جعلته ذما للكفار ففاعل تفرق ضمير العدى او ضمير قلوبهم وهذا الوجه
انسب واقل تكلفا وخص القلوب بالطيران لانها محل الخوف واراد بالقلوب
العقول تسمية للحال باسم محله وقال بعضهم معنى هذا البيت انه
شبه مفارقة الكفار عقولهم من اجل الخوف بمفارقة اولاد الغنم لامهاتها
خوفا من سبع ونحوه قال وفى تطبيق اللفظ على هذا المعنى قلق انتهى قلت
ولا ادرى من اين يفهم هذا المعنى من الفاظ البيت وسمعت من يقول ان
البهم الاول نبت من قولهم [illegible] اسم نبت وابهمت الارض كثر بهماها قال او
وهو من النبات النجم والبهم الثانى بفتح الباء والهاء جمع بهمة وهى اولاد
الضان واصل هاية السكون ثم فتحت اتباعا للفاء والمعنى انهم من الرعب لا يفرقون

بين المنت والخرقان وهذا تفسير ترده اللغة والتصريف ومن معنى قوله
المصدري البيت قول عمرو بن كلثوم التغلبي ابا هند فلا تعجل علينا وانظرنا
نخبرك اليقينا فانا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حمرا قد روينا ومن معنى
قوله والكاتبين قول ابي الشعائر الحمداني الخا الفوارس لو رايت مواقفي
والخيل تحت الاسنة تختط لرايت منها ما تخط يد الوغى والبيض تشكل
والاسنة تنقط المعاني تعريف المبتداء والخبر في هم الجبال لافادة
الحصر وال في الجبال تحتمل الجنس والعهد والفاء في فسل فصيحة لاقتضاء
الكلام محذوفا اي ان شككت وانكرت ونحوه فسل والامر بسوال ما امر
سواله في البيتين لغير معين مخصوص من الخطاب العام وقدم عنهم على مصادمهم
لان الاهم السوال عنهم لا ذكر المسول والتعبير بالموصول في ما وجدها اوفى
مع ذا التفخيم والتعظيم لشان ما يسئل عنهم من الافعال والمراد بكل مصطدم
الخصوص اي وقع لهم او حضروه او نحوه ومن هنا كان فيه ايجاز الحذف
لحذف النعت ومن ثم كان تنكير مصطدم للنوعية ويحتمل التعظيم واضافة
مصادم للتخصيص اي لابطال عزه وجمل وسل حنينا البيت هي متناسبة
فالعطف فيها صادف المحز لانها مواضع صقع واحد واماكن غزوات
المصطفى صلى الله عليه وسلم واضافة فصول للتخصيص وتنكير حتف للتنو
او التعظيم وانما قدم لهم وان كان وصفا بالظرف على احد هي وان كان نعتا
لان الاهم الاشعار بان ذلك الحتف لهم وال في الوخم الظاهر جنسيتها
وتنكير حمرا ومسودا للنوعية على وال في اللمم للجنس والقطع في المصدري
والكاتبين لقصد المدح وال في الوصفين للعهد واضافة سمر واقلام
للتعريف فمن ثم كانت ال في الخط للتعريف والحصر فيما تركت من باب قصر
الموصوف على الصفة واضافة حرق للتخصيص وتنكير جسم ومنعم للنوعية
اي جسم عدو كافر ومنعم انعاما يليق به واضافة جامع وخطيب وادنا
للتعريف لان ال في الهيجاء والصم لتعريف الجنس واضافة شاكي للتخفيف
وجملة والورد تذييله ويشبه ان يكون مما جرى مجرى المثل وال في البيا

والسلم

والسلم جنسية واضافة رياح ونشر للتعريف وال في النضر والزهر والاكمام
جنسية ويحتمل العهدان اريد الزهر العرفي كما تقدم في تفسير والزهر في نشر
او اريد نشرهم ويحتمل ال في الاكمام النيابة عن الضمير اي في اكمامه وان
قدر الاكمام منه ففيه ايجاز الحذف وعلى رواية الاكمام بالتعريف يكون
تقديم الزهر وان كان مفعولا ثانيا على كل تقدير الذي هو الاولى ما للاهتمام
به او للقافية واضافة ظهور وشدة في الموضعين وقلوب وبابس للتعريف
وبنت للتخصيص وتنكير فرقا ورنا للتعظيم او النوعية وفي قوله من شدة
الحزم احتراس حسن وال في البهم والبهم جنسية والعطف بالفاء في فيما تنا
لاشعارها بسببية ما بعدها عن الطيران البيان هم الجبال تشبيه
بليغ لا استعارة وسل عنهم من مجاز الحذف اي مورخيها كما تقدم ومن تسميه
الحالين بهذه المواضع باسمائها تجري الميزاب وقوله فصول حتف ان جعلنه
بدلا من اهل او من مكان فمجاز كما ذكرنا ويحتمل ان يكون على معنى التشبيه
البليغ اي وهي كفصول وان جعل بدلا من مكان الفتح فحقيقة واما قوله
المصدري البيت والكاتبين البيت فمن باب الاستعارة بالكناية على
الظاهر وهو في البيت الاول اظهر منه في الثاني وذلك بان يشبه
السيوف بابل لم يذكر وذكر من لوازمها الصدور والورد والبيض والحمر
اما الصدر والورد فقرينتان مختصتان بالمستعار منه فيشبه ان يكون
بهذا الاعتبار من الترشيحية واما البيض والحمر فمحتملان لذلك ولان
تكونا من صفات المستعار له فتكون بهذا الاعتبار من الترشيحية واما البيض
والحمر فمحتملان لذلك ولان تكونا من صفات المستعار له فتكون بهذا الاعتبار
مطلقة وهذا على راي من جعل التجريدية والمطلقة والترشيحية في الاستعارة
بالكناية وغيرها واما قوله كل مسود من اللمم فانما يلائم المستعار له خاصة
ويحتمل تكلفا ان يكون مما يلائم المستعار منه على وجه من المجاز واما قرينة
في البيت الثاني فبان يشبه سمر الخط باقلام لم تذكر وذكر ما يلائمها الكتب
والخط وهذا ان جعل الكلام تم عند قوله الخط فانه مستقل او جعل الضمير

فى اقلامها عايد على القوم ويزداد على هذا التقدير فى القراين الدالة على
الحرف والاعجام وكلها مما يلايم المستعار منه فهى ترشيحية واما ان جعل
ضمير اقلامها عايد على الكاتبين فيمتنع كونه من الاستعارة ويتاكد دخوله
فى التشبيه الا على بعد من التقدير ولكنه ان تجعل المجاز فى الالفاظ المفردة
من هذين البيتين بان يكون شبه رفع السيوف عن الابدان باصدار
الابل عن المورد والضرب بها بايرادها الماء ويشبه الطعن بتصرف القلم
فى الكتابة ويشتق من هذه المعانى اوصافا واطرافا الاجسام بالحروف
ووجه التشبيه على هذا التقدير لا يخفى عليك وهذا التقدير على
احد الاقوال الاربعة التى قررت لك فيما تقدم فى مثال هذه الاستعارة وقوله
ان قام فى جامع البيت يحتمل ان يكون جامع الهيجاء من الحقيقة ويحتمل ان يكون
من الاستعارة استعار الجامع الذى هو المسجد لمشاهد الحروب والجامع الاجتماع
المطلق فى كل منهما فى وقت مخصوص واجتماع المومنين للطاعة وترشح هذه
الاستعارة بذكر الخطيب وتصامم الاذان عن خطبته الذى هو ضد المطلق
من الخطبة والضد يستلزم تصور ضده فى كثير من المواضع واما قوله تصامت
اذن ضمت فيحتمل ان يكون شبه تغافله بالتصامم ويحتمل الحقيقة واسناد
التصامم الى الاذنين يحتمل ان يكون من المجاز الاسنادى لان المتصامم صاحبها
ويحتمل ان يكون اراد بالاذنين صاحبهما من باب تسمية الكل باسم بعضه فيكون
مجازا افراديا وهذا على الخلاف المشار اليه وقوله شاكى السلاح على ما تقدم
فى التفسير من تسمية الملزوم باسم اللازم هو الغالب وقوله والورد الى الخد
يشبه ان يكون من المجاز المركب التمثيلى لان المقصود تشبيه صورة امتيازهم
من اعدائهم الامتياز البين مع الاشتراك فى كثير من الصفات فصورة امتياز
الورد الامتياز البين من بعض النبات الذى يشاركه فى كثير من الصفات
ويحتمل ان يكون من التشبيه الذى الغرض منه بيان امكان الحالة المدعاة
للمشبه من الامتياز نحو فان تفق الانام وانت منهم البيت وقد تقدم وقوله
رياح النصر استعار الرياح للاخبار والجامع ان الرياح اضطراب الهواء والخبر

يدرك بالسمع بسبب تكيف الهواء بالصوت الحادث من القرع والقلع العنيفين
واما تسمية الثناء الطيب بالنشر فالظاهر انه حقيقة لان اللفظ مشترك وان
كان مجازا فالعلاقة العشق وقوله فيحسب الزهر مما يزيد التشبيه قوة وتحقيقا
فهو يشبه الايغال الذى هو من علم المعانى او البديع على الرايين فيه
والتشبيه فى قوله كانهم البيت من تشبيه محسوس بمحسوس فى الطرفين والحال
ومن تشبيه الهيئات وهذه هى المرتبة الخامسة من مراتب التشبيه اعنى
المراتب التى هى باعتبار ذكر كل منها من الطرفين والاداة والوجه او حذف
بعضها وهذه حذف منها الجامع لانه الثبوت وعدم الاضطراب وليس
قوله من شدة الحزم هو الجامع بل هو تعليل له وهذه المرتبة فيها نوع قوة لعموم
وجه الشبه من حيث الظاهر وقوله طارت البيت استعار الطيران للاضطراب
والجامع سرعة الحركة والاستعارة باعتبار دخول الجامع فى مفهوم الطرفين
وعدمه نوعان وهذه من النوع الثانى نحو رايت شمسا اى انسانا يشبهها
فالجامع التهلل وهو غير داخل فى مفهوم المشبه والمشبه به بخلاف الاول
فانه داخل فى مفهوم المستعار والمستعار له وهو قطع المسافة بسرعة
والطيران فى البيت مستعار لسرعة الحركة والاضطراب وذلك لازم للطيران
اعم من مفهومه الذى قطع المسافة بسرعة البديع مصادمهم ومصطدم
من تجنيس الاشتقاق وهو من رد الصدور على الاعجاز ولا يبعد ان يكون
فيه ارصاد كما لا يبعد ان يشتمل على التوشيح وفيه طباق خفى لان الجبال
من صفاتها الثبوت ولما اخبر عنهم انهم غالبون دل على ان مصادمهم مغلوبون
ومن لوازم المغلوب الاضطراب فالغالب والمغلوب ضدان كما ان الثابت
والمضطرب كذلك وفى هذا البيت مع الذى بعده الجمع مع التقسيم ثم
الجمع لجمع المصطدم ثم تفصيله بذكر هذه المواضع ثم جمعها فى انها
فضول حتف وجعل بعضهم الجمع الذى فى الثانى هو جمع هذه المواضع
فى سوالها والفاظ البيت الاول من مراعاة النظير وكذا الفاظ البيت
الثانى وفى الثانى التفويف وهو قريب من التفويف وسماه بعضهم التقسيم

ثم استشهد عليه بما لا يناسب واحدًا من القسمين بل هو اشبه باللعب المنتهي
بالرجوع وتقدم في التفسير ان المصدر من التجريد على بعض الاعاريب جمعه ثم
بين المصدر ووردت من الطباق وكذا بين البيض والحمر اوسودا وفي هذا
البيت تدبيج التورية اما التدبيج ففي ذكر الالوان في البيض والحمر والسود
واما التورية ففي البيض والحمر فانه اراد بهما وصفي السيف مثل التاطح بالدم
وهذا معناهما البعيد والقريب الا بل القرينة نسبة الورود والصدد
اليهما وهي تورية مجردة لانها لم تقترن بما يلايم المورى به بل بما يلايم المعنى
البعيد وهو قوله من العدى كل مسود من اللمم الا ان يقال انه ورى
بالمسود الذي هو المكان الخصيب من امكنة الاعداء اذ الخصب من الامكنة
يسود بما فيه من النبات الاخضر وذلك يستلزم غالبا المياه وشبهت اللمم
بها بجامع السواد وكثرة ما يخرج من الدم من ذلك المحل الذي يشبه بالمياه
فعلى هذا يكون في المسود تورية ايضا ويحتمل هذا التدبيج من الطباق كما تقدم
وفي البيت الغلو لان صدور السيف احمر كما اورد له من اللمم خلاف العادة
وفي قوله الكاتبين تورية اذ معناه القريب الكتابة والبعيد المراد الطاعنون
وكذا الخط لان معناه القريب الكتابة والبعيد المراد الموضع المتقدم والخط
والاقلام مما يجامع المعنى القريب فالتورية ترشيحية وحروف جسم من التورية
اذ معناه القريب حروف الكتابة والبعيد المراد اطراف الجسم وغيرها كذلك
اذ معناه القريب نقط الحروف والبعيد المراد مكان الطعن وكلها ترشيحية
لان بعضها يلايم بعضا من معانيها القريبة ومن هنا اشتمل هذا البيت على مراعاة
النظير وفيه مع الذي قبله تناسب ايضا لاشتمال الاول على السيوف والثاني
على الرماح ويحتمل ان يكون قوله شاكي السلاح جمع بعد تفصيله الى سيف
ورمح وانظر هل ذكر الورد والسلم من التناسب لانهما شجران او من الطباق
لان الورد من شجر الخاضرة ومن النافع منه المعظم والسلم بضده وسبي
والسبي من التكرير وجعله بعضهم من الجناس وفيه نظر والسبي والتمييز
من التناسب وكذا الشاكي والسلاح وقوله والورد يمتاز بالسيما من السلم

من ارسال المثل وهو ايضا من الكلام الجامع ويقرب من المذهب الكلامي
لانه بالخطابة اشبه منه بالبرهان قال بعضهم قوله والورد يمتاز الى آخره
قصد به التمثيل ولم يتبين لي وجهه ومن التمثيل قوله ومن الخير بطوء سيبك عني
اسرع السحب في المسير الجهام يريد ابطاء العطاء يدل على انه كثير واتي بالشطر
الثاني تمثيلا لذلك وهو في الحقيقة لعكس دعواه لانه يدل على ان السرعة
دليل القلة بل دليل العدم فان الجهام السحاب الذي لا ماء فيه انتهى قلت لما
بيان ما اراد الناظم بقوله الورد الى آخره من التمثيل فقد تقدم بيانه في
التفسير بما فيه كفاية واما قوله ان اسرع السحاب البيت يدل على عكس
دعوى الشاعر فليس كذلك لان دليله على دعواه انما هو من مفهوم الكلام
ولازمه لا من منطوقه وهو بين وبميزهم ويمتاز من تجنيس الاشتقاق وليس
السيمى والسلم من التجنيس لان الاختلاف في اكثر من حرف والفاظ الجامع
وقام والخطيب والصام من التناسب وكذا صما ممت وادى ويحتمل انه تورية
جامع من التورية الا انه اجتمع فيها ما يدل على التجريدية والترشيحية وفي لفظ
صما ممت مع لفظي صمة الصم التجنيس الشبيه بالاشتقاق وليس من التاكيد
والتكرير كما فهم بعضهم فان معناه عنده ادنا صمم ولفظ صمة عنده فعل مبني
للمفعول وآخره تاء التانيث الساكنة والصم تاكيد له قلت وفي هذا تخليط
فان ادنى عنده مثنى كما عند غيره والحكم بان فعل ماض يقتضي انه مفرد منون
وحينئذ يكون مرفوعا وصمة في موضع الصفة له والصم لا يصح مع هذا
التقدير الا ان يكون مصدرا منصوبا مؤكدا الصمة فيكون من الاصرار
وهو معيب وعلى تثنية ادنى فحذف النون لا يكون الا للضرورة اذ لا مضاف
اليه لان الفعل لا يصلح لذلك وايضا كما يجب ان يقول صمتا وفي قوله
تهدى اليك البيت ادماج لانه ضمن مدحهم بطيب الرائحة الذي هو كناية
على الثناء الحسن مدحهم بالنصر على اعدائهم وشجاعتهم كقوله كل كمي
والفاظ الرياح والنشر والزهر والاكمام من التناسب والاكمام وكم من التجنيس
الشبيه بالاشتقاق وذكر الخيل والظهور والحزم وكذا النبت والكم في

وقوله من شدة الحزم من حسن التعليل لا الاصطلاحى وهو من الاحتراس كما مر
فى المعانى وفى قوله من شدة لا من شدة طباق السلب والحزم والحزم من التجنيس
ومن تجنيس التصحيف ايضا قيل وان قطع النظر عن النافية كان فى تفطنى شبه
جناس وفرقا وتفرق من التجنيس الشبيه بالاشتقاق وكذا البهم والبهم وهو ايضا
من التجنيس المحرف الاعراب جملة هم الجبال فلا محل لها من الاعراب ويحتمل
مع ذلك ان تكون من الاستيناف البيانى بان يكون جواب سؤال مقدر كما تقدمت
الاشارة اليه فى التفسير بان يقول قائل من هؤلاء الذين صارت بهم الملة
الى هذه الحالة فيقال هم الجبال وهذا البحث اشبه بفضل المعانى فرده اليه
وسل فعل امر واصله عند البصريين اسئل بوزن احذر فنقل حركة الهمزة الى
السين وحذفها وذهبت همزة الوصل لتحرك السين قلت وتقدم فى الغريب
غير هذا وعنهم يتعلق به وهو مفعوله الثانى ومصادمهم مفعوله الاول وجملة
فسل معطوفة على جملة هم وهو من عطف الانشائية على الخبرية وقد علمت ان فيه
ما ذا يحتمل ان تكون اسم استفهام مبتدأ وذا خبرها وهى موصولة ورأى
فعل ماض فاعله ضمير المصادم ومفعول رأى محذوف وهو عايد على الموصول
اى رآه والجملة صلة ذا وجملة ماذا فى موضع نصب باسقاط الجار بدلا من
موضع المجرور بعن لا من لفظه لان المجرور لا يعلق وهو بدل شىء من شىء
ان قدرت عن شانهم وبدل الاشتمال ان لم يقدر مضافا اى عن رؤيته منهم
فى كل وسل معلق عن الجملة الاستفهامية ونظير هذا على التقديرين فى البدل
فى قوله تعالى يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها ويحتمل ان يكون ماذا
بجملته اسم استفهام مفعولا مقدما لرأى ويجب تقديمه لان الاستفهام
له صدر الكلام وجملة ايضا بدل من المجرور بعن كالوجه الاول ويصح
جعله بجملته اسما موصولا بدلا من المجرور بعن اى عن الذى رآه ومنهم وفى
كل متعلقان برأى ومن لابتداء الغاية وجمل سل الثلث معطوف على جملة
فسل وفضول حتف بدل من حنين وبدر واحد بدل المجمل من مفصل او منصوب
بفعل مضمر اى ذكر او احص او اعنى او ما اشبه ذلك ويجوز رفعه على انه

خبر مبتداء محذوف اى هذه الوقايع ولهم نعت لحتف وادهى نعت له اخر وهو على غير
الاكثر من النعت بالمجرور قبل المفرد وجمل القضا وادهى صفة فضول ومن الوخم متعلق
بادهى والمصدوكى منصوب على المدح كما تقدم او برأيت مضمرا كما تقدم فى التفسير
او بسل مقدرا اى وسل المصدوكى وهم هم فهو على معنى التجريد والبيض مضاف اليه
وحذفت النون للاضافة وان نصب البيض فحذفها للتقصير الصلة وهم الحاملين
وان ضمن المصدوكى معنى المرجعين او المصدرين كان مفعولا ثانيا والبيض هو
الاول تقديرا الجر ولفظا ايضا ان نصب عامل بعد المصدوكى وما مصدرية
وهى مع الفعل بعدها فى موضع خفض باضافة بعد اليها ومن العدى متعلق
بوردت ومن للابتداء وكل مفعوله ومن اللمم نعت لمسود والكاتبين عطف على
المصدوكى وبهم يتعلق بالكاتبين والباء للاستعانة وما نافية وحرف مفعول تركت
وغير نعت لحرف او حال منه وجملة ما تركت وما تعلق بها حال من سمر الخط العجم
فى اقلامها وان جعلته للكاتبين على انا وليهم بالجماعة فهى حال من الضمير الكاتبين
نضا بمعنى ماض وحلامة وعنه يتعلق به وادنا فاعله حذفت نون التثنية
للاضافة الحكمة والضم مضاف اليه ايضا ولما اضاف صمة المفرد الجمع
تاكيدا للمدح كقولهم طلحة بن عبيد الله بن خلف الخزاعى طلحة الطلحات
وكان جوادا فاق فى الجود خمسة اجواد اسم كل واحد منهم طلحة شاكى
اصله شايك الهمزة عن واو لانه من الشوكة فقلبوه بجعل عينه لاما ولامه
عينا فوقعت الواو طرفا بعد كسرة فقلبت ياء فسكن فى الرفع والجر لثقل
حركتها على حرف العلة فبقيت الياء ساكنة والتنوين كذلك فحذفت الياء
لالتقاء الساكنين كما فعل بقاص وتحذف ايضا لامه فى الجمع لالتقائها ساكنة
مع واو الضمير فيقال شاكون وشاكين وتحذف النون للاضافة فشاكى السلاح
الجمع صورته صورة المفرد المضاف فان جعلت شاكى فى البيت جمعا فهو اما منصوب
على المدح او ما يشبه ذلك من التقديرات واما حال من الكاتبين او من ضمير
او من ضمير غيرهم المفعول او من الضمير فى ظم على ما صنعت فى هذين الوجهين
الاخيرين وان جعلته مفردا فهو مبتداء وسمى خبر مبتداء محذوف اى هو

اى ساكى السلاح سيمى لهم والجملة خبر شاكى ولهم يتعلق بسيمى ويضعف كونه
حالا من سيمى من نعت النكرة المتقدمة فينتصب حالا لان عامل المبتداء
او الابتداء ويحتمل ان يكون سيمى مبتدأ وتميزهم صفته ولهم خبره والجملة
فى موضع خبر شاكى ولا يحتاج الى رابط لانها نفس المبتداء فى المعنى والورد
مبتداء خبره يمتان وبالخير يتعلق بالسيمى ومن السلم والباء للسببية
ومن للفصل نحو ليميز الله الخبيث من الطيب ولا محل للجملة والورد لا
ورياح النضر فاعل تهدى واليك يتعلق به ونشرهم مفعوله ولا محل للجملة
لاستينافها فحسب عطف على تهدى وكل كم مفعول اول لحسب مضاف الى
والزهر مفعوله الثانى وفى الاكمام حال من الزهر وعلى رواية التنكير فى
اكمام يكون الزهر مفعولا اول لحسب وفى كامنة مفعوله الثانى يتعلق بكامنة
اى كاينا وكل مضاف وكم كمى بالتشديد على وزن فعيل حذف اليا الساكنة وكسر
المتحركة لنقل الكسرة على حرف العلة كا تم كان وهم اسمها وبنت ربى خبرهم
ومضاف وفى ظهور الخيل حال من اسم كان والعامل فيه وفى من شدة التشبيه
وفى الظرفية وبمعنى على عند بعضهم والوجهان فى قوله تعالى فى جذوع النخل
ومن للتعليل وللاعاطفة من شدة على مثله من بابهم متعلق بطارت ومن للتعليل
وفرقا مفعول له من اجله فهو والمجرور علتا للطيران او يقال الفرق علة الطيران
والباس علة للفرق فالمجرور ولا محل للجملة طارت لاستينافها وما نافية
وهى وما بعدها معطوف على طارت وعامل بين تفرق الاشارات كما ارسى الله
جل جلاله الارض بالجبال ان تميد بساكنيها كذلك ارسى ساكنيها من المكلفين
ان لا ينزل بهم عذاب وتخسف بهم الارض جزاء لعصيانهم بحال من عبادة الصالحين
باوليائه المفلحين لولا شيوخ ركع وصبيان رضع وبهايم رتع
لا نزلت البلاء صبا صبا وخرج الحافظ ابو النعيم من حديث
عبدالله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله
فى الخلق ثلثمائة وهو حديث طويل يتضمن الاخبار عن صفات اولياء الله
تعالى وفى اخره فبهم يحيى ويميت وبهم يمطر وبهم يدفع البلاء

وهو حديث طويل يتضمن الاخبار عن صفات اولياء الله تعالى وفى آخره فبهم
يحيى ويميت وبهم يمطر وبهم يدفع البلاء وهو حديث مهم فيه اشكالات
ولنا عليه مجموع سميناه بنور اليقين فى شرح اولياء الله المتقين وهؤلاء
القوم هم الذين يجاهدون فى الله حق جهاده فيبذلون الانفس والابدان
والاموال فى اعلاء كلمة الله تعالى فى اظهار دينه يجاهدون اعداء
الدين من الكفرة الملحدين بالسيوف القاطعة واهل الزيغ الملحدين بالحجج
الساطعة والمجاهرين بالمعاصى بالانكارات الرادعة يثبتون فى ذلك ثبوت
الاهوال قايمين بالحق فى الخلوات وفى المعالم لا يخافون فى الله لومة لائم
ومن جهلهم فليسأل عنهم من انكروا عليه وما ذا يلقى منهم فى مقامات الانكار
وهم رضى الله عنهم لا يتركون الجاهدة فى الله تعالى على اختلاف انواعها سواء
كان الظهور لهم بعدان كان عليهم كما فى حنين او لهم كما فى بدر وعليهم بعد ان كان
لهم كما فى احد ورتب هذه المقامات كما ذكروا ان كان وقوعها فى الوجود على
خلاف ذلك لان المقام الاول مقام المجاهدة ولا بد فيها من المشاق الكثيرة
على لا يخفى لكن لا تخيب تلك المشاق فان الهدى يعقبها والنصر يتبعها والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ولينصرن الله من ينصره ثم يتولى هذا الظهور
تحقيقا للوعد وهو المقام الثانى ثم لا يخلو هذا المقام من ان يتخوف فيه
الحظوظ النفسية فيمحص الله بعد بالبلايا وهو المقام الثالث تمحيصا لما
بقى فيهم من الكدورات ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
ونبلو اخباركم وتنبيها ايضا على ان الجهاد فى اول الامر شاق وهو فى آخره
كذلك او اشد بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا وما ورد فى فضايل
العامل فى آخر الزمان لشدة الامر وعدم المعين على الدين وعلى هذا التقدير
فيكون فصول حتف من صفات المجاهدين وانما يلقونه فى ذات الله اولا وآخرا
ادهى من الموت فان قلت ان صح هذا الاعتبار فما حكمة الواقع فى الوجود قلت
وقعة بدر بدر اول تانيسا للمؤمنين بنصر الله وتقوية لقلوبهم كما قال تعالى
فيما كان فيها من الايات وهو انزال المطر وليربط على قلوبكم ولانه شبيه

وباقلامه السمر حتى لا يدع حرفا من حروف النفس المتشكلة باتباع الهوى الا وازال اشكاله باعجامه بالحمل على اسطر السنة وطرقها واذا حصلت له هذه المعرفة بمجاهدة الاخلاق بسيف الايمان ورماح الاسلام فحينئذ يصح منه ان يقوم في جامع الهيجا التي هي حروب اخلاق النفس الذميمة خطيبا فيدعوا اسعى الهوى ان يبا [illegible] ويسلكوا طريقه ولما كان هو لم ينل تلك المرتبة وهي جهاد النفس التي هي الجهاد الاكبر الا بما لا يخفى من المشاق لزم عن ذلك عادة ان تتصامم عنه ادنا شجاع الشجعان لان مخالفة الهوى شاق الا على الخاشعين وهم الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هديهم الله واولئك هم اولوا الالباب والمتصاممون هم الذين حقت عليهم كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار ويل لكل افاك اثيم يسمع ايات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها الاية ومن اقدره الله تعالى على مخالفة شهوات النفس والتزام السنة فهو شاكي السلاح بالحقيقة وطائفته هم الذين لهم سيما يميزهم سيماهم في وجوههم من اثر السجود وما ثبت الغرسيما فيهم المصحف في هذا الموضع دون غيره الا لانها سيما تمتز لا تبدل فيحظى صاحبها فيبقى الايمان ثابتة وسيما النفاق مزلزلة واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم فالكافر والمنافق وان كان ظاهرهما نجبا فباطنهما حنث دنس كما ان شجر السلم مورق الاوراق ونضرها وتحت تلك الاوراق شوكه واما المؤمن فظاهره حسن وباطنه احسن كالورد ظاهره حسن منظرا ورائحة وما سرى فيه من الماء احسن واذا كانت هذه علامة الورد فلا تستلك ثنة يمنا نذلك من السلم فمن طابت سريرته وعلانيته قارنه النصر من الله تعالى فاهدت رياح السبي النضر نشر طيبه وحسن ثنا به الى الافاق فطيبها رائحة فتحت بما تهديه تلك الارياح من ثناتهم على الدين كل محتف منهم على الناس بما يطلب من الخمول وغلبة رائحته بما نشر اليه من حسن ثناء الزهر المختفي في اكمامه ورائحته التي تاتي الا ان تدل على طيب ما اختفى منه وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ومن اسر سريرة كساه الله رداءها

بما يظهر من المعجزات اولا على يدي الرسل ليؤمن الخلق فلما تمكن الايمان في القلوب وضعت المحنة لاحد كما قال تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين الايات فيعلم المخلص نصره والمرتاب باضطرابه الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون فليعلمن الله الذين وليعلمن الكاذبين ثم لما لم يزدهم ذلك الا ثبوتا ورسوخا نصرهم الله في المواطن كلها حتى اخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لن تنالوا منكم مثلها ابدا وانما كان الذي وقع يوم حنين تاديبا لما عرض من السهو والغفلة من بعضهم فنظر الى الاسباب وقال لن تغلب اليوم من كثرة وهذا وان كان من حيث الظاهر توحيدا خالصا لان فيه اثبات الغلب بقضاء الله وقدره لان معناه لا يغلب لكثرة عددنا فانا كثيرون بل نغلب بجند لان الله ان قدره علينا لكن لما كان قوله فانا كثيرون الذي يعطيه مفهوم الكلام نظرا الى النفس من هذه الجهة ولم يقل انا متوكلون ادبوا فتفرق ذلك الجمع الذي اعجبهم ونظروا اليه تفرقوا لم يكد معه يجمع حتى عاينوا ان ما عدا الله جل جلاله لا ينفع فتابوا ثم تاب الله عليهم من تلك النزع فحينئذ عاد اليهم ما القوه من النصر والمدفع وثبوتهم بعد اضطرابهم ببركة من جعله الله فيهم من ابناء نوعهم كالجبال فارساهم بهم وهم النبي صلى الله عليه وسلم ومن ثبت معه من الصحابة كما تقدم وقوله المصدق اليقين لا ينال احد مقام الصالحين حتى يورد سيف ايمانه البيضا الخالصة من شوائب النفاق كل مسود من لحم الكفر وظلمة العصيان فيسقي بسيفه تلك المصيبة لازالة ذلك السواد فيصدرها قد احمرت بما لقيت من الشديد وذلك بلقائها في ذات الله ما هو كالموت الاحمر وكما تغيير السيف بالدم انما هو في ظاهرها وحقيقتها لم تتغير كذا ما يلقى المؤمن من الشدائد انما تسلط على ظاهره وباطنه ملحوظ محفوظ عند الله تعالى واولى ما ينبغي ان يسلط المؤمن بسيفه على اعدائه الذين يكنوا له بين جنبيه وهي اخلاق النفس الذميمة ويمحو حروف اجسامها بتوجيه بالكتابة والنطق

وقوله

ولما ثبت لهؤلاء القوم وما ثبت من ثبوت القدم في مجاهدة النفس والرسوخ
في مقامات العرفان والصبر على لأواء العبادات فكأنهم على حفظهم وحفظ
تلك المجاهدات في الثبات عليها وعدم الاضطراب بنت ربا وذلك كله انما
هو من شدة حزمهم وقوة قلوبهم مع ضعف ابدانهم بانهماك العبادات اياها
وليس هو من قوة اجسامهم وعظم ابدانهم الذي هو بمنزلة شدة الحزم
واذا رآهم الاعداء من ابليس والنفس وجنود هما على تلك الحال من الثبات
طارت قلوبهم فرقا من بأسهم الذي يلقونه منهم من مخالفة الهوى والصبر
على الطاعة وما يلقونه من التعب في اعمال الحيل في صرفهم عما هم عليه ثم لا
تنجع لهم حيلة لا تفرق اولئك الاعداء بين صفتي القوم من الميل والانقياد
بغاية السهولة والمحبة الى الطاعة التي هي صفة اليهم ومن الصلابة والتقى
عسر بغاية الصعوبة والنقضة والامتناع من الوقوع في المعاصي وهذه
صفة اليهم جعلنا الله من اوليائه المهتدين وحزبه المفلحين ونصرنا على اعدائنا
من القوم الكافرين وجنود النفس الامارة بالسوء ابليس اللعين بجاه
محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعين سنتهم وهديهم الى يوم الدين

اصل ومن تكن برسول الله نصرته ... ان تلقه الاسد في آجامها تجم
ولن ترى من ولي غير منتصر ... به ولا من عدو غير منقصم
احل امته في حرز ملته ... كالليث حل مع الاشبال في اجم
كم جدلت كلمات الله من جدل ... فيه وكم خصم البرهان من خصم
كفاك بالعلم في الامي معجزة ... في الجاهلية والتأديب في اليتم
خدمته بمديح استقيل به ... ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم
اذ قلداني ما تخشى عواقبه ... كأنني بهما هدي من النعم
اطعت غي الصبا في الحالتين وما ... حصلت الا على الآثام والندم
فيا خسارة نفس في تجارتها ... لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم
ومن يبع آجلا منه بعاجله ... يبن له الغبن في بيع وفي سلم

الغريب النصرة بضم النون اسم للنصر وهو التأييد وقد تقدم الاسد بضم الهمزة

وسكون السين او ضمها ايضا جمع اسد ويجمع ايضا على اسود واسد واساد
كاجبل واجبال والانثى اسدة وارض ماسدة ذات اسد واسد الرجل بالكسر
دهش من رؤية الاسد او صار كالاسد في الاخلاق وفي حديث ام زرع
اذا دخل فهد واذا خرج اسد الاجمة الغيضة وهو مغيض الماء ينبت فيه
القصب والشجر ملتفا بعضه ببعض تأوي اليه الاسد وجمعه اسد باسقاط
التاء وجمعه في الكثرة آجام بهمزة مفتوحة ممدودة وفي القلة اجمات
وقال الجوهري الاجمة من القصب والجمع اجمات واجم واجام واجم كاقلنا
في الاكمة والاجم ايضا حصن بناه اهل المدينة من حجارة قال يعقوب
كل بيت مربع مسطح اجم وقال الاصمعي هو مخفف ويثقل والجمع آجام
وتجم اي تسكت فلا يسمع لها صوت خوفا من ان يفطن بها يقال وجم يجم
واصله يوجم وتقدم وجه التصريف في نظيره غير مرة وجوما امسك
عن الكلام لخوف او غيظ او هم ووجم من الامر وجوما والواجم الذي اشتد
حزنه حتى امسك عن الكلام يقال ما لي اراك واجما ولم اجم اي لم اسكت عنه
فزعا ويوم وجيم وبالحاء ايضا اي شديد الحر ورأيت في بعض التقاييد
ان الذي في النظم تخم بالخاء المعجمة ومعناه تخنس والولي ضد العدو وهو
فعيل ويقال منه تولاه والولي القرب والدنو يقال تباعد بعد ولي وكل
مما يليك اي مما يقاربك ويقال منه وليه يليه بالكسر فيهما وهو شاذ وولي
الشيء فوليه والمولى المعتق وابن العم والناصر والجار والحليف وكل من
ولي امر احد فهو وليه والنسبة الى المولى مولوي والموالاة ضد المعاداة
منتصر اسم فاعل من انتصر مطاوع نصر ومثله في مطاوعة افتعل لفعل غمه
فاغتم والقياس يفعل ويحتمل ان يكون من انتصر بمعنى انتقم نحو ولو يشاء
الله لانتصر منهم والمعنى غير منتصر من عدوه بسببه اي منتقم من عدوه المخذول
المفعول والعدو ضد الولي الصديق وهو بين العداوة والمعاداة
وقد تقول بمعنى فاعل لا يحتم مؤنثه بالهاء كصبور وشكور وشدة عدوة قال
ابن السكيت فعول بمعنى فاعل لا يحتم مؤنثه بالهاء كصبور وشدة عدوة قال الفراء

وكانهم شبهوه بصديقه لان الشيء قد يبنى على ضده ومنقصم اسم فاعل من
انقصم مطاوع قصمه قصما بالقاف اذا كسره حتى يبين يقول قصمته فانقصم
وينقصم ورجل اقصم الثنية اي منكسرها من النصف بين القصم وجاء
القصماء يذهب به الى تأنيث الثنية والقصماء من المعز مقصورة القرن
الخارج والعضباء مكسورة الداخل وهو المشاش والقصمة بكسر القاف
الكسرة وفي الحديث استغنوا ولو عن قصمة السواك والقصمة بالفتح
مرقاة الدرجة كالقصعة ورجل قصم سريع الانكسار وقصم كقثم يحطم
ما بقي ويروى منفصم في البيت بالفاء وهو من فصمه فانفصم وتفصم اذا
ذكره من غير ان يبين ومنه لا انفصام لها وافصم المطر اقلع وافصمت عنه الحمى
واحل اي انزل امته من حل بالمكان حلا وحلولا ومحلا والمحل المكان
وتقدمت المادة والامة يحتمل ان يريد بها الجماعة من الناس وهو كل
من امن به صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يريد بها الدين والطريقة اذ ذلك
من معانيها كما تقدم اما على حذف مضاف اي اهل ملته واما على ان المراد
الملة نفسها مجازا والامة لفظ مشترك بين معان الحرز الموضع الحصين
ومكان حريز اي حصين ومنه سمي التعويذ حرزا وهذا حرز حريز واحترزت
من كذا وتحرزت اي توقيته والملة بالكسر الدين والشريعة الليث الاسد
والليث ايضا ضرب من العناكب يصطاد الذباب بالوثب ولايثه عامله
معاملة الليث وفاخره بالشبه بالليث وانه لاشجع من ليث عفرين
قال ابو عمرو هو الاسد وقال الاصمعي دابة مثل الحرباء يتعرض للراكب
نسب الى عفرين اسم بلد الشبل ولد الاسد والجمع اشبل واشبال ولبوة
مشبل معها اولادها وناقة مشبل قوي ولدها ومشى معها واشبلت
المراة بعد بعلها صبرت على اولادها فلم تتزوج وشبلت في بني فلان
نشأت فيهم وشبل الغلام احسن شبولا نشا واشبل عليه عطف جدله
بتشديد الدال صرعه يقال طعنه فجدله وبتخفيف الدال ايضا الا ان المشدد
يفيد التكثير والجدالة الارض وطعنه فجدله اي رماه بالارض فانجدل

اي سقط قلت ويحتمل ان يكون معناه قطعه عضوا لان الجدل العضو
والجمع الجدول وجدل بكسر الدال الاسم فاعل من جدل جدلا اي احكم
وجادله اي خاصمه مجادلة وجدالا والاسم الجدل وهو شدة الخصومة
وجدلت الحبل اجدله جدلا فتلته فتلا محكما ومنه جارية مجدولة
الخلق حسنة الجدل وغلام جادل ومشتد وجدل الحب في سنبله قوي
والجادل من ولد الناقة فوق الراشح وهو الذي قوي ومشى مع امه والجديل
الزمام المجدول من ادم وربما سمي الوشاح جديلا والجدلاء من الدروع المنسوجة
وكذلك المجدولة وهي المحكمة وخصم بفتح الصاد غلبه في الخصومة وقياس
مضارعه الضم لكنه انما سمع فيه بالكسر وهو شاذ وخاصمه خصاما
ومخاصمة والاسم الخصومة وخصمته اخصمه قال الجوهري ومنه قراءة
حمزة يخصمون بسكون الخاء وتقدمت المادة والبرهان الحجة وزاد بعضهم
الواضحة وبرهن عليه اقام الحجة وفي بعض الشروح القران بدل البرهان
والخصم بكسر الصاد الشديد الخصومة وهو من امثلة المبالغة كفاك اي
يكفيك العلم يقال كفاك الشيء يكفيك واكتفيت به واستكفيته الشيء فكفانيه
وكفاه مؤنته كفاية ويقرب من المعنى المكافاة وجوزيت مكافاتك اي كفايتك
ورجل كاف وكفي كسالم وسليم ورجل كافيك من رجل ورجلان كافياك
من رجلين ورجال كافوك من رجال وكفيك بتسكين الفاء اي حسبك
والكفية بالضم القوت والجمع الكفى الامي قيل منسوب الى امة العرب وكانوا
لا يكتبون ومنه في الاميين رسولا وانما حدثت الكتابة فيهم بعد وقيل
منسوب الى ام القرى وقيل غير هذا وقال صلى الله عليه وسلم نحن امة امية
لا نحسب ولا نكتب الشهر هكذا وهكذا وقال تعالى وما كنت تتلو من
قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الاية وهو على حذف موصوف اي
الشخص الامي قال القصار وفي وصف العصر الامي تجوز المعجزة تقدمت
الجاهلية هم مشركو العرب ومفرده جاهلي وهو نادر جاءت منه الفاظ
يسيرة والقياس كون الواحد بالتاء والجمع بغيرها وقولهم كان ذلك

في الجاهلية للجهلاء هو تاكيد للاول يشتق له من اسمه ما يؤكد به كقولهم
وتد واتد وهمج هامج وليلة ليلاء ويوم ايوم وادب الرجل بالضم فهو
اديب وادبته فتادب وابن فلان قد استادب في معنى تادب وادبته
فتادب تاديبا اى صار ذا ادب والادب ما يحصل من الاخلاق والحسنة
او ما يحصل من العلوم المكتسبة واليتم بسكون التاء وانما ضمها اتباعا
لضمة الياء لضرورة الوزن وهو في الناس فقد الاب وفي البهائم فقد
الام وقد قيل انه كذلك في الناس وجمع اليتيم ايتام او يتامى وقد
يتم الصبي بالكسر ييتم يتما ويتمانا بالتسكين فيهما وايتمت المراة فهي موتم
صار اولادها ايتاما وكل شيء مفرد يعز نظيره فهو يتيم يقال درة
يتيمة ويتمهم الله تيتيما جعلهم الله ايتاما خدمه يخدمه والخادم واحد
الخدم غلاما كان او جارية واخدمه اعطاه خادما والخدم في آخر البيت
بكسر الخاء وفتح الدال جمع خدمة مصدر خدمته ومخدومون اى مخدومون
يراد به كثرة الخدم والحشم ورجل مخدوم له تابعة من الجن المدح والمدحة
والمديح الثناء الحسن وقد تقدم استقيل طلب الاقالة وهو من اقلته
البيع اقالة وهو فسخه وربما قالوا اقلته البيع وهي لغة قليلة واستقلته
البيع فاقالني اياه ذنوب جمع ذنب وهو الجرم اى الاجرام وقد اذنب الرجل
والعمر الحيوة وقال الجوهري عمر الرجل بالكسر يعمر عمرا وعُمرا
على غير قياس لان قياس مصدره التحريك اى عاش زمانا طويلا ومنه
اطال الله عمرك وعمرك وهما وان كانا مصدرين بمعنى الا ان الفتح
يستعمل في القسم فاذا دخلت عليه اللام رفع بالابتداء واللام لتوكيد
الابتداء والخبر محذوف فالتقدير لعمر الله لافعلن لعمر الله قسمي او ما
اقسم به فان لم تدخل اللام نصب نصب المصادر عمر الله وعمرك الله ما
ما فعلت ومعنى لعمر الله وعمر الله احلف ببقاء الله ودوامه ومعنى عمرك الله
اي بتعميرك الله اي باقرارك له بالبقاء وقول عمر ابن ابي ربيعة ايها المنكح
الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان اى سألت الله ان يطيل عمرك ولم يرد

ولم يرد القسم ولابن مالك فيه كلام غير هذا وحكى يعقوب ضم العين مع القسم
مضى ذهب والشعر واحد الاشعار يقال ما رايت قصيدة اشعر جمعا
منها وهو لغة العلم شعرت بكذا اى تفطنت له وعلمته ومنه وما يشعرون
ايان يبعثون قال ابن رشيق سمي شعرا لان العرب شعرت به اى فطنت له
قال وكان الكلام كله منثورا فاحتاجت العرب الى الغناء بذكر محاسنها
وايامها فتوهموا اعاريض جعلوها موازين للكلام فلما تم لهم وزنه
سموه شعرا لشعورهم به وجمع الشاعر على شعراء غير مقيس وقال الاخفش
الشاعر صاحب الشعر كلابن وتامر شاعر الفطنة وما كان شاعرا ولقد شعر
بالضم وهو يشعر والمتشاعر متعاطي الشعر هذا ما يتعلق بمعناه لغة وحقيقة
الشعر في اصطلاح اهل الادب الكلام الموزون الذى قصد وزنه فارتبط
لمعنى وقافية ويحتاج باربعة علوم علم الاوزان وعلم القوافي وعلم البلاغة
وعلم النقد وبحوره المشهورة خمسة عشر والدواير التى تدور عليها البحور
خمسة واعاريضه اربع وثلثون وضروبه ثلثة وستون قلدته الامر
جعلته كالقلادة له والقلادة التى في العنق وقلدت المراة فتقلدت
هي ومنه التقليد في الدين وتقليد الولاة الاعمال وتقليد البدنة وبه
شبه الناظم هواه يعلق في عنقها شيء ليعلم انها هدي وتقلدت السيف
مقلد الرجل موضع نجاد السيف على منكبيه والمقلد من الخيل السابق يقلد
شيئا ليعرف انه سبق خشي يخشى خشية فهو خشيان خاف والمراة خشى
وخاشاني فلان فخشيته اخشيه بالكسر اي كنت اشد خشية ومنه
وهذا المكان اخشى من ذلك وقوله ولقد خشيت بان من اتبع الهدى
سكن الجنان مع النبي محمد اى علمت وقوله تعالى فخشينا ان يرهقهما اى
كرهنا وخشاه تخشاه خوفه يقال لخشي د والله بالجبال له عواقب جمع عاقبة
وهي ما يؤول اليه الامر اخرا وعاقبة كل شيء آخره وليست له عاقبة اى ولد
والسيد والعاقب فالعاقب من يخلف السيد بعده وقوله صلى الله عليه وسلم
انا العاقب اى آخر الانبياء وكل من خلف بعد شيء فهو عاقبة وعقب مكانه

عامة خلفه وهو اسم بمعنى المصدر نحو لو قيتها كاذبة خافضة والعقب
والمعقب العاقبة كعشر وعشر ومنه خير عقبا وفروع المادة كثيرة الهدي
ما يهدى الى الحرم ويقال هدى بالتشديد على فعيل وقرى حتى يبلغ الهدى
محله مخففا ومشددا والواحد هدية وهدية وقولهم مالى هدى ان كان
كذا يمين النعم اسم جمع يقع على الابل وقد يدخل فيه البقر والغنم تبعا
فاذا انفرد لم يقع عليهما وقد تقدم ما في هذا طاع واطاع وانقاد واطاع
الامر امتثله رباعيا لا غير وتقدمت المادة الغى الضلال ضد الرشد
والخيبة ايضا وهو مصدر واصله غوي اجتمعت الواو والياء وسبقت
الواو بالسكون فابدلت ياء وادغمت في الياء ومثله شويت شيا ولويت
ليا وقد غوى بالفتح يغوي بالكسر اى ضل غيا وغواية فهو غاو وغوى واغواه
غيره فهو غوي على فعيل قال الاصمعي لا يقال غيره وانشد للمرقش
فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغى لائما والتغاوي
التجمع والتعاون على الشر من الغواية او الغى ومنه تغاووا على عثمان رضي الله عنه
الصبي بكسر الصاد مقصور حداثة السن تقول رايته في صباه اى في صغره
والصبي الغلام والجمع صبية وصبيان وهو واوي واستغنوا بصبية عن
اصبية كغلمة عن اغلمة وتصغير صبية صبية وجاء في الشعر اصيبية وصبي
بين الصبي بكسر الصاد مع القصر وان فتحتها مددت والجارية صبية وجمعها
صبايا وصبا يصبو صبوا وصبوة مال الى الجهل والفتوة واصبته الجارية
وصبي يصبى صبا لعب مع الصبيان كسمع يسمع سماعا واصبت المراة اذا
كان لها ولد ذكر وامراة مصبية بالهاء صبيه والحال البين تثنية حاله وهي
واحدة حال الانسان واحواله اى هيئاته وصفاته وما حصلت اي بقيت
ومن المعنى حصلت الشيء تحصيلا وحاصل الشيء ومحصوله بقيته في
البقا يا الواحدة حصيلة وتحصيل الكلام رده الى محصوله الاثام على فعل
جمع اثم وهو الذنب والاثام ايضا الجزاء الاثم ومنه يلق اثاما وكانوا اشد فزعا
من الاثام اشد مما يفزعون من الاثام واثم بالكسر اثما وما ثما وقع في الاثم

فهو

فهو آثم واثيم واثوم وآثمه الله في كذا يأثمه بالضم والكسر عده عليه اثما
فهو مأثوم واثمه بالمد وقعه في الاثم واثمه بالتشديد قال له اثمت
ويسمى الخمر اثما وتأثم تحرج عنه وكف وندم على ما فعل ندما وندامة وتندم
مثله وفي الحديث الندم توبة واندمه الله فندم ورجل ندمان اى نادم
والبمين حنثا ومندمة وجمع ندمان ندامى والمراة ندمانة وجمعها ايضا ندامى
وخسر في تجارته خسارة وقال الجوهري خسر في البيع خسرا وخسرانا
وهو كالفرق والفرقان وخسرت الشيء بالفتح واخسرته نقصته ووجد
الاخسرين الاخسر والخسار والخسارة والخسرى الضلال والهلاك
وتجر يتجر تجرا وتجارة واتجر افتعل فهو تاجر والجمع تجر كصاحب وصحب
وتجار وتجار والعرب تسمى بايع الخمر تاجرا وناقة تاجرة اى نافقة واخرى
كاسدة وحكى ابو عبيد ناقة تاجر وارض متجرة يتجر فيها وتشتر مضارع
اشترت والمصدر الشراء يمد ويقصر ويقال منه شريت الشيء اشريه شرا
اذا بعته واذا اشتريته ايضا فهو من الاضداد ومنه وشروه بثمن وعكسه
الضلالة اصله اشتريوا فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت وحركت
الواو بحركتها لالتقاء الساكنين ويجمع الشرى على اشرية وهو شاذ والدين
الطاعة ودان له اطاعه والجمع الاديان ودان يدين ديانة وتدين
فهو دين ومتدين ودينت الرجل تدينا وكلته الى دينه ودينى كل احد
مدة حياته وتقدمت وتسم من السوم في المبالغة ومعناها بين واصله
تسوم مضارع سامت حذفت الواو لالتقائها ساكنة مع سكون الميم
للجزم وتقول ساومته ساوما واستام على وتساومت وسمتك بعيرك
سيمة حسنة وانه لغالى السيمة وقد تقدم هذا وبعت الشيء شريته واشتريته
ايضا فهو من الاضداد ابيعه بيعا ومبيعا وهو شاذ وقياسه مباعا قال
الجوهري وقوله صلى الله عليه وسلم ولا يبع على بيع اخيه اى لا يشتر على شراء
اخيه انما نهى المشترى لا البايع قلت وقيل النهي لهما معا والشيء مبيع ومبيوع
كمخيط ومخيوط ناقص وتام والذى حذف من مبيع عند الخليل واو مفعول

لزيادتها فهي اولى بالحذف وعند الاخفش عين الفعل وقد تقدم هنا والبياع السلعة والبيعان البايع والمشترى وابعته عرضته للبيع والابتياع الاشتراء وبايعته من البيع والبيعة والتبايع مثله واستبعته الشيء سألته ان يبيعه مني وهو حسن البيعة للهيئة الاجل المتأخر نقيض العاجل بكسر الجيم فهو اجل والاجل مدة الشيء واستأجلته فاجلني الى مدة والآجل والآجلة ضد العاجل والعاجلة والعاجل ضد الآجل يقال عجل بالكسر فهو عاجل وبان الشيء يبين ظهر بيانا فهو بين وللجمع ابيناء كهين واهيناء وتقدمت المادة وحذفت الياء في بين لسكونها مع سكون النون للجزم الغبن في البيع بسكون الباء وفي الراى بفتحها وهو النقص فيهما يقال غبنته في البيع بالفتح اى خدعته وقد غبن فهو مغبون وغبن رايه بالكسر اذا نقصه فهو غبين اى ضعيف الراى وفيه غبانة ورواية يمين منقول من الفاعل ومثله سفه نفسه وبطر عيشته ورشد امره والم بطنه ووفق امره و الغبينة من الغبن كالشتيمة من الشتم والتغابن ان يغبن بعض بعضا ومنه يوم التغابن ليوم القيمة لغبن اهل الجنة فيه اهل النار السلم نوع من البيع يتقدم فيه الثمن ويتأخر المثمون الى اجل معلوم ويقال فيه ايضا السلف واسلم الرجل في الطعام اى اسلف فيه التفسير لما اخبر عن صفات الصحابة رضي الله تعالى عنهم من الشجاعة والانتصار على الاعداء بما آل اليه امر الاعداء بسبب ذلك نبه هنا على ان ذلك لا يسكر في حقهم لان نصرتهم اى انتصارهم انما هو برسول الله صلى الله وسلم اى بسبب نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم او اتباعه او اتباع دينه وشريعته وحقوقه انتصر به اى ينتصر ويخافه اعداؤه ولو كانوا اسودا او كالاسود في الشجاعة حتى ان المنتصر به اذا لقيه الاسد في عزها يكون من مواضعه وهي الآجام اى الغيض التي يستتر فيها بالاشجار الملتفة فانا احد لا يقدر على الدخول عليه فيها وان انتزع منه اعز ما يكون عليه ودخل به فانه لا يتبعه لشدة الخوف فهو في آجام ممتنع على ان ينال ولو احترق عليه من يريد كل الاحتراق

وحشد عليه الخيل والرجل لانه اذا زاد من يريده في مكانه ذلك فرق جمعه ولو كرها عنى خوفا من هيبة صوته لكن ان لقي ذلك الاسد من ينتصر برسول الله صلى الله عليه وسلم انعكس الحال فيصير الاسد ان احس بذلك المنتصر وعرف هيبته اى سكت ولم يسمع له صوت خوفا من ان يكون صوته دالا على مكانه فيأتيه المنتصر برسول الله صلى الله عليه وسلم فيقبض عليه وهذا البيت من معنى قوله تصاممت عنه ادنى صمة الصمم ويحتمل ان يريد بالاسد الشجعان وبالآجام الحصون اى ان يلقه الشجعان في حصونهم يسكتون فلا يتكلمون خوفا من ان يسمع المنتصر صوتهم فلا يفارقهم حتى يظفر بهم واذا كان هذا حال الشجعان في حصونهم ومعاقلهم التي يمتنعون فيها من ان ينالوا فكيف بهم في غيرها ام كيف بغيرهم فيها ام كيف بغيرهم في غيرها ويناسب حمل الاسد على الحقيقة قصة سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الاسد ويناسب حملها على الشجعان في معاقلها ما اتفق في قتل كعب بن الاشرف بل في قتل ابن ابي الحقيق فانه كان يسكت مخافة ان يضربه حتى بدل الصحابي رضي الله عنه صوته واستنطقه ليعرف مكانه فيقتله وما اتفق في حصار قريظه والنضير وخيبر والطائف وغيرها ولما كان قوله ومن تكن برسول الله البيت ليس فيه ما يقتضي كثرة ومن ثبت له هذه الصفة لا سيما والمعلوم ان ذوى الاوصاف الحميدة من الشجعان وغيرهم قليلون وربما يقول القائل من يكون بهذه المثابة اقل من القليل عقب ذلك بقوله ولن ترى من ولى البيت اى ولست رأينا احدا من اولياء رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو منتصر به اولياؤه كل من آمن به وكان على هديه وطريقته وهؤلاء هم اولياء الله فان كل منهم ان يلقه الاسد في آجامها يجم ان يكن منكم عشرون الآيات وقوله ولا من عدو غير منقصم اى ولست رأينا ايضا احدا من اعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعادي الا كافر وهؤلاء هم اعداء الله غير منقصم او غير منفصم بل ترى ذلك العدو الا منقصما او منفصما وهذا الانتصار للولي في الدنيا بالسيف او بالحجة وفي الآخرة بالتشفي مما يرى

من حاله العدو والسرور بما يرى من نفسه وهذا الانفصام او الانفصام في حق العدو في الدنيا والآخرة كذلك ايضا وليس هو خاصا بما يحل به في الآخرة كما قرره بعضهم فان قلت اذا اخبر ان الولي منتصر علم ان العدو منفصم لان من المعلوم ان احد المتقاومين اذا انتصر فهنا ومنه مخذول فما حكمة قوله ولا من عدو قلت لا نسلم دلالة الشطر الاول على كونه منفصما لجواز ان يغلب بالهزيمة ويسلم مع ذلك والاعم لا اشعار له بالاخص المعين سلمنا دلالة الشطر الاول على ذلك لكن دلالته على انفصام العدو باللزوم ودلالة الثاني عليه بالمطابقة ولما كان سياق هذا المدح فيما نال الاعداء من المهالك ناسب الاطناب في الاخبار عن احوالهم بدلالة المطابقة والالتزام ولفظة غير في الموضعين يروى بالنصب والجر والنصب ارجح لان الجر هو على جعل غير الاول صفة لولي والثاني صفة لعدو والمعنى حينئذ ان الولي الذي لا ينتصر برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرى والعدو الذي لا ينفصم بعداوته لا يرى واما ان الولي المنتصر به يرى او لا والعدو الذي لا ينفصم بعداوته يرى او لا فلا تعرض لذلك في الكلام بخلاف رواية النصب فانه يجعل غير منصوبة على الاستثناء المفرغ اي لست ترى وليا على حالة من الاحوال الا على حالة الانتصار به فالتفريع في الحال هذا ان كانت رأى بصرية كما هو الظاهر وان كانت علمية فهو مفعول ثان والاول هو المجرور من الزائدة اي لا ترى وليا مغايرا للانتصار به وان قدرت النصب على الصفة لمحل ولي رجع الى الجر فان قلت الولي والعدو من الامور الاضافية وهما في البيت مطلقان غير مضافين الى ولي وعدو معين فمن اين علم ان المراد ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم او عداوته قلت الضمير في به عائد على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصرح به في البيت قبله ومعلوم ان المنتصر باحد لا يكون الا وليا له فتعين الولي فتعين ان من خالفه في الصفة هو العدو وقوله احل امته البيت اي انه صلى الله عليه وسلم انزل امته بما نصر لديهم من صدقه صلى الله عليه وسلم وصحة هذا الدين

واليه

وما اليه يؤول امره في منزلة حصينة محرزة لا تنال ولا يقدر احد على الدخول عليهم فيها بما يخالفها وتلك المنزلة هي حرز ملته وشريعته التي هي كاعظم الحصون المنيعة التي لا تنال ولا يدخلها الا من هو من اهلها الحرز مكان الاسد مع اشباله في اجمة فانه لا يستطيع الدخول عليه في ذلك المكان الا واحد من اشباله وابناء جنسه فهو صلى الله عليه وسلم بمثابة الليث وامته بمثابة الاشبال ودين الاسلام بمثابة الاجم وهذا التشبيه باحد الاعتبارين اما الاول ما حصل لهم من اليقين بصحة دين الاسلام في قلوبهم يهون عليهم صلى الله عليه وسلم وعليهم بذل نفوسهم في ذات الله فيشتد لذلك قتالهم لانه موتهم في سبيل الله اشهى عندهم من الحيوة فحينئذ لا يبالون بعدد وان كثر فيتالون من عدائهم ان ارادوهم ويمتنعون من ريبهم وهذا هو الحصن الحقيقي والتي في المساكن لا في المنزل واعداؤهم لما لم يكن لهم الا الحيوة الدنيا توهم المحافظة عليها الخوف والضعف والخذلان ضرورة واما الاخر ما حصل من الايمان في القلوب بعد مخالطتها بشاشته بمثابة من حصل في حصن حصينة فمن اراد ان يدخل عليهم فيه شيئا مما يخالفه لم يجد الى ذلك سبيلا كمن اراد الدخول على الاسد على اشباله في اجمة والاعتبار ان انما حصل للامة ببركته صلى الله عليه وسلم فهو الذي اجلهم في ذلك الحرز وهو باعتبار بين مضاف الى ملة الاسلام فلذا كان حرزها والتشبيه بالاعتبار الاول من تشبيه متعدد بمتعدد وبالاعتبار الثاني من تشبيه متحد الا ان المشبه به مشروط وتشبيهه صلى الله عليه وسلم بالاسد وامته بالاشبال لان الانبياء عليهم السلام لا ابا لا مهم وفي قراءة ابي مسعود رضي الله عنه النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو اب لهم وقال مجاهد كل نبي فهو ابو امته ولذا صار المؤمنون اخوة لان النبي صلى الله عليه وسلم ابوهم وعلى كل تقدير فهو على سبيل التقريب للافهام لان الاسد اشجع ما وجد في الحيوانات ولما والاقتداء صلى الله عليه وسلم في الشجاعة وغيرها من الاوصاف الحميدة عند معتقد دين الاسلام لا يتناهى ولا يوازى لكن ما استعمله الناظم

على عرف مخاطبات العرب في تشبيه من تناهى في الشجاعة بالاسد ومنه قول الصديق رضي الله عنه في ابي قتادة لاها الله اذا يعمد الى اسد من اسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه هذا ان سلم ان المشبه في البيت هو صلى الله عليه وسلم وامته ولقائل ان يقول ان المشبه هم الامة خاصة شبههم في تمنعهم ممن ارادهم وخوف الاعداء من الدخول عليهم في منازلهم او اعتقادهم بالليث مع اشباله وليس في كلام الناظم ما يدفع هذا ومن تشبيه الشجاع بالاسد وهو مع اشباله في اجمة قوله ليث مدل هزبر عند خيسته بالرقمتين له اجر واعراس وهو اول بيت من شواهد الايضاح لابي علي الفارسي ورجوع التشبيه الى الامة خاصة هو الذي ينبغي ان يعول عليه في فهم هذا البيت فان قلت هب ان الامر كذلك لكن ما كان ينبغي ان يشبههم في هذا المقام بذلك لانه قد سبق قريبا تشبيهه اعداءهم به في قوله ان تلقه الاسد البيت فلا خصوصية اذن وايضا مقصوده بتشبيههم بالاسد مع اشباله في اجمة الغرض منه وصفهم بغاية للعز والمنعة وتلك صفة لم تثبت للاسد في ذلك المكان الا ترى بما عنه يجم في اجامها ان لقيت بعض الشجعان كالمنتصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس اذا في غاية المنعة هناك فينعكس ما قصد من التشبيه وايضا فان الاسد من الكلاب لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكل الاسد المدعو عليه ولا ينبغي تشبيههم بالكلاب قلت اما قوله ان تلقه الاسد فهو مقو لما قصد هنا لا مناف له وذلك ان الاسد انما تجم في اجامها ان لقيت المنتصر رسول الله صلى الله عليه وسلم واما غيره فهو الذي يخاف منها فاذا هم لا يخافون من اعدائهم وعدوهم يخاف منهم وذلك هو المقصود بهذا البيت او نقول اذا كانت الاسود من شانها التمنع مع اشبالها في اجامها لكنها تجم من المنتصر رسول الله صلى الله عليه وسلم هناك فالمنتصر رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاسد حقيقة لان الاسد يخافه او نقول انما اخبر في البيت السابق عن الاسد بالاطلاق

وهنا انما شبهه به مع اشباله في اجامه ولا شك ان يكون مع اشباله على حالة اتم منها ان كان وحده فانه مع اشباله يحتاج الى المدافعة عن نفسه وعنها فانها لا تقدر ان تفر بفراره لصغرها فهو يحتاج الى الصبر على المدافعة عنها ما لا يحتاج اليه منفردا فلذا يجم ويكفيه ذلك في انه لا يفطن له وهذا مشاهد من كثير من الحيوانات الا انه يتجه هذا التاويل [illegible] التخصيص في لفظ الاسد السابق واما ان الاسد من الكلاب فهذا باعتبار اخر وهو انه وان كان على ما هو عليه الان بالنسبة الى تصريفه فيما شاء خالقه جل جلاله بامره كتصرف غيره في ذلك من الحيوانات الحقيرة وانه يتصرف بتصريف الله تعالى اياه فيما شاء ويسخره لذلك كما يتصرف الكلب الكبير للادب يصرفه ربه او اشد ولله المثل الاعلى ولا بعد في تعظيم امر باعتبار وتحقيره باعتبار اخر ومن هذا المعنى قوله تقول هذا مجاج النحل تمدحه وان تعب قلت ذا قيء الزنابير ومنه ما سلك ابن الرومي في ذم الورد وقوله كم جدلت البيت قدمنا ان انتصار دين الاسلام يكون بالسيف تارة وبالحجج تارة واقوى تلك الحجج حجج القران فانه مع ما فيه من الادلة القاطعة هو بنفسه حجة قاطعة اذ لا يقدر احد ان ياتي بمثله لخروجه من لفظه ومعناه كما قال تعالى ويتلوه شاهد منه في تاويل وهو المراد بكلمات في هذا الموضع وقد تقدم هذا المعنى في قوله [illegible] ويحتمل ان يريد بكلمات الله كل ما فيه حجة قاطعة بالخصم الكافر او المبتدع صح في الدين مما ليس منه من قران او سنة او مستند اليهما من اجماع او قياس او غيرهما فان الادلة الشرعية كلها راجعة الى الكلام النفسي كما تقدم ولما قدم الناظم من احوال الانتصار بالسيف ما قدم اخبر في هذا البيت انه كثيرا من الاوقات صرعت كلمات الله تعالى غير واحد من العدو للدين المجادل فيه بالدليل على زعمه فغادرت كلمات الله ذلك العدو صريعا لليدين وللفم لانقطاع حجته وافحامه عن تقرير ادلته والمغادر له رسول الله صلى الله عليه وسلم او الصحابة او التابعون لهم باحسان رضي الله عنهم اجمعين

كما كانوا رضي الله عنهم يبادرون بالسيوف لاعادي المكافحين بها صرعى
كانهم اعجاز نخل خاوية فالظفر لاهل الايمان بكل حال فقوله من جدل
اي من عدو جدل اي شديد الشكيمة في الجدال وقوله فيه اي في امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم او في دينه اي جادل في ابطال ذلك
وخاصم فيه او بسبب واحد من المقدرين وقوله وكم خصم اي وكثيرا
من الاوقات ايضا غلب البرهان الحق من خاصم فيه بالشبهة المضمحلة
باول فكره وقوله من خصم اي من عدو شديد الخصومة وغلبة اهل الاسلام
لاهل الكفر بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة مما يداني الضروريات بل
هو من البديهيات كنصارى نجران ووفد تميم ومجادلة اليهود وغيرهم مما لا
يحصى احاده ولا يجمع افراده فان قلت ما الفرق بين كلمات الله المجادلة
وبين البرهان الذي خصم فان الظاهر ببادي الرأي انهما بمعنى واحد قلت
الفرق بينهما ما بين الخاص والعام وذلك ان الجدل اخص من مطلق الغلب
وكلمات الله اخص من مطلق البرهان فاضاف الاقوى من الغلب وهو الجدل
الى الاقوى من البرهان وهو كلمات الله تعالى واضاف مطلق الغلب في
الخصومة الى مطلق البرهان قوله كفاك البيت لما اخبر ان ما اتى به صلى الله
عليه وسلم من كلمات جدلت كل مجادل وبرهانه خصم كل خصم دل على ان
علمه صلى الله عليه وسلم فوق كل ذي علم ممن عاصره ومن كثير من المخلوقين
وذلك منه صلى الله عليه وسلم اعظم الايات انه نبي الله ورسوله
وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يكتب كتابا ولا يقرؤه ونشا
بين ظهراني قوم لا يتعاطون شيئا من معشار العشر مما جاء به من العلوم
المختلفة الانواع التي يعجز البشر كلهم عن الاتيان بها فضلا عن قومه
وما كانوا عليه من الجهل قبل بعثه صلى الله عليه وسلم ولم يثبت انه صلى الله
عليه وسلم سافر لطلب علم ولم يخرج من مكة الا سفرا للتجارة لم يفارق
قومه فيه ولا فارقوه ولم يثبت انه كان يخالط احدا من الغرباء لاخذ العلم
ولو ثبت شيء من ذلك لكان اكبر حجة للكفار عليه مع كثرة بحثهم على ما يثلم

ويطعن

ويطعن فيها وان قلت فكيف هذا للذي هو اس الامر وقد ادعوا هذا فيما
كذبهم فيه احسن على ما حكى الله تعالى عنهم في قوله تعالى ولقد نعلم
انهم يقولون انما يعلمه بشر فرد الله جل جلاله عليهم بقوله لسان الذي
يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين فقوله كفاك اي يكفيك
من المعجزات الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم في زمن الجاهلية
وفي اهلها فان كونه اميا وفي زمن الجاهلية وبين ظهرانيهم مظنة لئلا
يعلم شيئا مما جاء به ولا يكون على غير ما هم من الجهل الا بتعليم الله اياه علم
من ذلك لانحصار القسمة في تحصيل البشر او تعليم الله تعالى فاذا انتفى
احدهما وهو تعليم البشر اذ لا يكون الا بملاقاة العلماء وهو منتف او بمطالعة
كتب العلم وهو لا يقرء تعين الاخر وهو تعليم الله تعالى اياه بالوحي والى هذا
اشار بقوله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
اذا لارتاب المبطلون وقوله والتاديب اي وكما كفاك علمه في صبيه
صلى الله عليه وسلم عن سائر المعجزات يكفيك في ذلك عنها ايضا اذ نشأ
من الاخلاق الكاملة والشيم الفاضلة من غير مؤدب له ولا معلم حتى ابيه
فانه مات وهو صلى الله عليه وسلم وهو في بطن امه على ما تقدم ونشأ
اليتيم في الاغلب ان لا يكون فيه من الاداب ما يكون في ذي الاب لان الاب
يشتغل بتاديب ابنه ويسعى في تكميله باكتساب الصفات الحميدة وغير الاب
لا يكون منه من الاعتناء بالولد ما يكون من الاب على هذا استمرت العادة
فلما وجد منه صلى الله عليه وسلم من العلوم ما لا يبلغ بتعليم لمن تصدى
لها فكيف بمن لم يتصدق من الاداب ما ينال بارشاد لمن له مؤدب فكيف
بمن عدمه دل على انه نبي رسول حقا صلى الله عليه وسلم وعلى اله وصحبه
وسلم تسليما كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون وكانه
اشار في البيت الى البراهين على حقيقة النبوة وهما اللمي والاني كما من
الاشارة اليهما بهما في هذا التاليف فالاول العلم فانه يقال لم كان نبيا
فيقال لما ظهر على يديه من العلوم التي لا ياتي بها الا نبي والثاني الا بلانه

يقال انما كان نبيا لانه على اخلاق لا يكون عليها غير النبي صلى الله عليه وسلم
وفي الحديث ان رجلا من بني سليم قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله
الرجل ينال اهله فقال صلى الله عليه وسلم نعم اذا كان ملغفا فقال ابو بكر
رضي الله عنه يا رسول الله ما قال لك وما قلت له قال قال الرجل
يماطل اهله قلت نعم اذا كان مفلسا فقال ابو بكر رضي الله عنه لقد طفت
في العرب وسمعت فصاحتهم فما سمعت افصح منك فمن ادبك فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ادبني ربي ونشات في بني سعد ملغج بضم الميم وفتح الغا اسم فاعل
من الغج الرجل فهو ملغج وهو غير مقيس ومثله احصن فهو محصن واسهب فهو
مسهب في الفاظ شذت والقياس الكسر ومن تاديب الله اياه حين كان يحمل
الحجارة وهو صغير ثم حل ازاره وجعله على عاتقه ليقيه الحجارة فلما انكشف
سقط الى الارض وجعل يقول ازاري ازاري فرده ثم ما راى بعدها عريانا
صلى الله عليه وسلم وهذا بحر لا ساحل له قوله خدمته البيت من هنا اخذ
الناظم يفصح بالاقرار بما ارتكبه من الاثام ويتوسل الى الله جل جلاله في
غفرانها بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ويبدله الله تعالى من علته التي اصابته
بما كسبت يداه فاقعدته النهوض والقيام فاستجاب الله دعاه فعفى عنه
وشفاه ببركة ممدوحه صلى الله عليه وسلم من العلة التي اعيت جميع الاطباء
وذكر من السيئات التي ارتكبها ما حصل له من ذلك من اجل ما نظم من الشعر
في مدح الناس وما خدمهم به مما ليس بطاعة الله تعالى وتحصيل امر دنيوي
وهذا وان كان مباحا الا انه قد يخرج منه الى الامر المحرم ولما كانت ذنوبه
التي اراد ان يخرج عنها من هذا الحس سعي في تكفيرها بما يناسبها ويماثلها من
افضل الطاعات وذلك مدح النبي صلى الله عليه وسلم وخدمته بذلك
ليكون ماحية لما صدر منه من ذلك في غير طاعة والحساب وان كانت
مكفرة للسيئات لان الاتيان بالحسنة في صورة السيئة امكن في ذلك
وادخل وله غير نظير من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم من حلف
باللات والعزى فليقل لا اله الا الله ومن قال تعالى اقامرك فليتصدق

فان قلت

فان قلت الجملة الاولى ظاهرة في الاستدلال واما الثانية فلا لان الصدقة
فعل وقوله تعالى اقامرك قول والفعل ضد القول لا من جنسه قلت هو ضده
باعتبار ومن جنسه باعتبار وذلك ظاهر وانما رتب صلى الله عليه وسلم
الصدقة على مجرد القول تحذيرا من الوقوع في القمار والا فالقصد تكفير ما يقع
من القمار بالصدقة لكن اذا رتبت الصدقة على مطلق الاستدعاء الى القمار
فما بالك بالمقامرة والصدقة انما تناسب تكفير القمار وان يتم فلكم
رؤس اموالكم فهو يقول خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمديح استقيل له اي اطلب الله بسببه ان يقيلني مما استحقه من جزاء
ذنوب عمر مضى اي اثام ارتكبتها في عمر مضى في نظم الشعر وخدمة
الناس وكانه بهذا الجزء يخاطب الله تعالى فيقول يا رب خدمت
رسولك صلى الله عليه وسلم بمديح الى اخره وانما حسن منه هذا لان
الشرع ورد بان الداعي يتوسل الى الله تعالى بارجى عمل عمله وحديث الثلثة
الذين اووا الى كهفهم يلتجئون من المطر فوقعت صخرة فسدت باب الغار حسبما
ذلك في صحيح البخاري يدل عليه واذا عرفت ما يمكن ان يكون سببا
في ذكره هذا البيت كما قررنا وهو من اعظم الاسباب ارتاح عند ما استشكله
بعض من لم يظهر له وجه ذكر هذا البيت قائلا ليس هذا البيت فايدة الا
لتعريف بخس ما يرجوه من الجزاء على هذا المدح وهو ما قاله عنانه مما سلف
له من شعر وخدمة لغيره صلى الله عليه وسلم ولم يتضح لي اي فايدة تحصل له
في تعريف الناس هذا ولو قال خدمتكم لكان له وجه لانه يعرف الممدوح
بما يطلب منه فان قلت لعله استحيى من تعريف الممدوح بعرف غيره بمن يرجو
ان يحدث مع الممدوح قلت هذا معتذر منا انتهى مختصرا ولا يخفى عليك
ان ما قدمت في سبب ذكره من اعظم الفوايد ومنها ايضا فرحه بما من الله به
عليه من نظم هذا القصيد وما تيسر له فيها من الحسن الدال على صدقه
مع الله فيما قصد من ذلك وما رزقت من القبول وانتشار الذكر في المشارق
والمغارب فهو يتحدث بهذه النعمة وينبه لكل احد واما بنعمة ربك فحدث

اويقال انه اتى لهذا البيت استعدادا جواب لما عسى ان يلومه من لحد
فى الدين او نفس امارة موسوسة من الجن او شيطان لذلك على استغاله
بالشعر ويرى ان صرف ما بقى من العمر لغير هذه الطاعة اولى فكان
هذا البيت علاجا لهذا اللائم لان مدحه صلى الله عليه وسلم من اكبر الطاعات
ولعله يكون مكفرا لما مضى من هذا النوع فى غير طاعة اويقال انه لما
غلب على قلبه من قوة الرجاء فى قبول هذا العمل وايقن او كاد ان [illegible]
احب ذلك من عمله واشتغاله به فهو لا يزال يذكره ومن احب شيئا اكثر
من ذكره وكان يقول لا ازال اذكر حسن فعلى فى نظمى لهذه القصيدة التى
نجانى الله بها من المهالك ومن هذا المعنى ما فى صحيح البخارى من حديث عايشة
رضى الله عنها فى السوداء التى كانت تجالسها الا انشدت ويوم الوشاح
من تعاجيب ربنا على انه من بلدة الكفر انجانى الحديث ويقوى هذا الوجه
وما يناسبها مما لم يذكر انه انما اتى به فى اخر القصيدة وبعد الفراغ
من مدحه صلى الله عليه وسلم ومدح اصحابه رضى الله عنهم جميعهم قوله
اذ قلدانى البيت يقول لخدمته صلى الله عليه وسلم بهذا المديح حين
قلدنى الشعر الذى قلته فى الناس والخدم التى صدرت منى لهم اى جعلا
فى عنقى من الاثام والحكم باستحقاق العقاب ما هو كالقلادة التى تجعل
فى عنق البعير او غيره من هدايا الحج وذلك الذى قلدانى وجعلاه فى عنقى
هو شىء او الشىء الذى تخشى عواقبه اذ هو ان لم يغفره الله تعالى
مود الى الهلاك الدنيوى والخسار الاخروى حتى كانى من اجل ذلك
الشىء الذى قلدانى لظهوره لكل احد هدى من النعم فكما لا يخفى الهدى
الهدى من النعم على رائيه بما جعل فى عنقه من تعليق نعل او غيرها وبما
شق فى سنامه للاشعار بذلك ايضا فكذلك انا لا يخفى استحقاقى للعقاب
بما اكتسبته من الاثام بسبب مدح غير رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل
الدنيا وخدمتى اياهم على من رانى وعرف حالى وفى هذا التشبيه لطايف
لا يخفى انه نزل ما يتخيل من الاوزار منزلة المحسوس الذى هو النعل وغيرها

حتى كانه مشاهد مثلها الثانية الاعلام بتوقع العقوبة سريعا بسبب هذه
الاثام كما يتوقع فى الهدى ذبحه او نحره سريعا اذ لا يقلد منها غالبا الا ما قرب
وقت هلاكه الثالثة ان النجاة من عقوبة تلك الاثام نادرة اذ هى
معينة لهلاك من قامت به كتعيين الهدى بالتقليد والاشعار لذلك
اذ لا يجوز الرجوع فيه لكنه قد ينجو نادرا بهرب او نحو ذلك فكذا صاحب
هذه الاثام قد يعفو الله تعالى عنه وان كان الله تعالى وجل يعفو عن
كثير لكن لشدة خوف المذنب وكثرة الخلايق قد يظن انه لا ينجو ولما كان
عقاب الاثم عند اهل الحق غير متحتم لجواز عفو الله عما عدا الشرك احترز
الناظم هذا المعتقد فجعل هذا الجزاء فى محل الخشية فقال ما تخشى عواقبه
ولم يقل ما يعلم والضمير فيهما عايد على الشعر والخدم او على مضاف اليهما او
بعقوبتهما او على ما فى قوله ما تخشى باعتبار معناها الا انها واقعة على عقوبتى
الشعر والخدم وفى تعلق اذ غير اذكره هنا وجوه يذكر فى الاعراب انشاء الله
تعالى قوله اطعت البيت يحتمل كونه جوابا لسؤال مقدر كان لائما لامه
فقال لم حين حصلت لك هذه المنزلة من اتقان النظم ومعرفة محاسن
الشعر وعلمت ان فى مدح من ليس من اهل طاعة الله وخدمته ما تخشى
عواقبه وان الفوز كل الفوز والنجاة التامة فى مدح خير البرية محمد صلى الله
عليه وسلم فلم لم تجعل مدحك كله له ولم صرفت منه الى من تاثم بسبب مدحه
فقال مجيبا اطعت فى مدحى لغيره وخدمتى له وهما المراد بقوله
الخالتين داعى غى الزمن المعروف بالصبى وهو زمان الجهل والبطالة الداعى
الى الهلاك لان الشباب شعبة من الجنون فان العقل لم يكمل فى زمنه فقد [illegible]
المعاصى متوفرة فى زمن الشبيبة غالبا من القوة والمال وطول امل العيش
الداعى الى تسويف التوبة والتمتع باللذات وغير ذلك ثم قال وما حصلت
من مدحى لغيره وخدمتى اياه على شىء من المنافع الدنيوية والاخروية بل
حصلت على الاثام اى استحقاق العقوبات والندم على ما صدر منى ولو صحبنى
التوفيق لكان ما صدر منى من شعر او خدمة له صلى الله عليه وسلم خاصة لكن

التوفيق بيد الله سبحانه وتعالى لمن يريد متى شاء فان قلت ظاهر هذا
انه ما نال على شعره شيئا من متاع الدنيا وانه حرم ثواب المدح من اهل
الدنيا قلت ذلك محتمل ولئن سلم انه نال شيئا من ذلك وهو الظاهر
لانه رحمه الله تعالى ورضي عنه على ما قيل كان في اول امره متعلقا بشيء من
الخطط الادبية لكن جعل متاع الدنيا هو نفس الاثام والندم لانه
ال الى ذلك ثم كان منه رحمه الله بعد ذلك ميل الى الصالحين و
مخالطة لهم وكان من اصحاب الشيخ الامام العارف ولي الله تعالى ابي
العباس احمد بن عمر الانصاري المرسي رحمه الله ورضي الله عنه ونفعنا به
ومدحه بقصيدة اولها اما الحبة ممن بدل نفوس فتنعمي يا مهجتي بالبوس
ومنها قبل الاله تقربي بمديحه وتوجهي لجناب المحروس ومنها يذكر
ابا العباس المذكور وشيخه الامام الاعظم الولي الاكبر ابا الحسن الشاذلي
رضي الله عنه ونفع به شرفت شاذلة ومرسية سرت لهما الرياسة
من اجل شمس ما ان نسبت اليهما شيخيهما الاجلو تماجاد عروس
وما خاب من تعرف بالصالحين او كان منهم بسبب جعلنا الله من عباده
الصالحين بمنه وفضله ويحتمل البيت وهو الاظهر ان لا يكون جوابا
بل اضرابا عن ذم النفس وابتداء نعي عليها ويتضمن هذا البيت الاقرار بالذنب
في قوله اطعت وحصلت على الاثام وذكر بعض الاعذار الحاملة على ذلك
وهو قوله الصبى فانه شعبة من الجنون كما ذكرنا فهو يحمل على الدخول في
المعصية كرها ان لم تكن حماية من الله تعالى بالتوفيق للمجاهدة بالصبر
والتوبة في اخباره انه حصل على الندم والندم توبة وهذه الثلثة
الامور تستلزم رجاء العفو لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له وفي حديث
الافك من صحيح البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعايشة رضي الله عنها
ان العبد اذا اقر بالذنب ثم اعترف وتاب تاب الله عليه انتهى معناه
فكلام الناظم يدل التزاما على اخباره عن نفسه بانه يرجو العفو لاعترافه
وتوبته وقال بعضهم قوله في الحالتين يحتمل ان يكون في موضع الحال يعني من فاعل

اطعت قال وعلى هذا ليس في كلامه بيان ما وقعت طاعة غي الصبى
فيه من المعاصي بل اخبر انه اطاعه في هذا الزمان ولم يبين في ما اذا
وقعت الطاعة ويحتمل ان يتعلق باطعت ويكون ما اطاعه فيه هو
شعره وخدمته ووقعت تلك الطاعه في ذلك لم يعترض عليه الا انه
يفهم من ذكر الصبى ان ذلك كان زمنه لان الصبى هو باعثه على
وخدمته فلا ينفك عنها اذ لا يحسن ان يقال بعثني الصبى عليهما
واطاعه فيهما بعد مفارقة زمنه فتبين ان الوجه الثاني يفيد ما افاده
الاول وزيادة فيتعين الحمل عليه انتهى وهو حسن وانظر هل يحتمل
ان يريد بالحالتين حالة الصبى وحالة مفارقته ويكون ال للعهد
الذهني والمعنى اني اطعت غي الصبا فيما عاد به ان يدعو اليه في زمن
التلبس به وزمن مفارقته ويكون قوله وما حصلت اي في جميع
ماضي عمري وهذا ابلغ في توبيخ النفس كقوله اول القصيد فان
امارتي بالسوء البيت وقوله لو كنت اعلم اني ما اوقره البيت حتى
يكون توبيخه النفس صدر منه في اول النظم واخره ويقوي
هذا المحمل تعقيب هذا البيت بقوله فيا خسارة نفس البيت فانه
تفجع لفعل النفس وتعجب من خسارتها في تبديلها الدين لتفريطها
في تحصيل الطاعات بالدنيا لاخذها فيها بالجد وهذه الحالة شبيهة
بحال من لم يشتر الدين وتحصيله بدفع الدنيا فيه بل لم يسم الدين في شيء
من الاعواض وهو مع هذا يعتقد انه تاجر فما اعظم خسارة من
عدل عن العظيم القدر الباقي الى الحقير الخسيس الفاني وهذا التفجع سواء
كان لفظ النفس مضافا الى ياء المتكلم او منكرا الا انه مع الاضافة يتقوى
المحمل الاخر في الحالتين فان قلت اي الروايتين في النفس ارجح من رواية التنكير
ام رواية التعريف قلت كل منهما راجحة من وجه مرجوحة من اخر اما رجحان
رواية التعريف فلان في البيت معها اطنابا لاشتماله على الاجمال في خسارتها
في تجارتها فانه لم يعلم ما تلك الخسارة فتتشوق النفس الى تفسيرها فصرح بها

بقوله لم تشتر الى آخره فكان الكلام الذ واما مرجوحيتها فلما يوهمه التعريض
من قصور هذا الحكم عن نفس الناظم فربما يتوهم ان ذلك لخصوصية فيها
من زيادة عصيان او عزم واما ان كل نفس لم تشتر الدين بالدنيا فهي
خاسرة في تجارتها فليس في الكلام ما يدل عليه لا يقال انه لما علل خسارة
نفسه بانها لم تشتر الى آخره اذ نساق ذلك الكلام مساق التعليل دل
ان كل نفس وجدت فيها تلك العلة يثبت لها ذلك الحكم علا بمقتضى
ما شرط في العلة من الاطراد فلا يخلو الكلام من العموم لانا نقول ليس شرط
الاطراد في العلة مجمعا عليه بل يصح مع كونها منقوضة اي مع تخلف الحكم
عنها في بعض المواضع عند كثير من الاصوليين ولئن سلم ان الاطراد من
شرطها لكن يكون العموم حينئذ بالقياس لا بالصيغة على ما هو مذهب
المحققين من اهل الاصول في هذه المسئلة وعموم الصيغة ابلغ واما رجحانها
برعاية التنكير فلافادتها العموم بالصيغة لان ضميرها وهو فاعل تشتر
في سياق النفي لا سيما عند من يرى ان ضمير النكرة نكرة وفيه بعد نظر
يطول تتبعه والحاصل ان ادعاء العموم في هذه النكرة فيه تكلف واما
مرجوحيتها من جهة ان لم تشتر يجب ان يكون حينئذ صفة لنفس اذ لا تتم
للفائدة الا بذلك الوصف اذ لا يخلو الوجود من خسارة نفس لم تشتر
الى آخره وحينئذ يلزم الفصل بين النعت والمنعوت بقوله في تجارتها
وهو غير جائز قلت وفيه نظر اذ ليس باجنبي محض فانه معمول لخسارة
العامل في نفس الذي هو المنعوت على ان المجرور يتوسع فيه ما لا يتوسع في غيره
لا سيما في النظم فان قلت في كلامه تناقض وبيانه ان نسبة الخسارة
في التجارة الى النفس يقتضي انها باعت واشترت وقوله لم تشتر ولم تسم
ينفي ذلك فمن اين تكون الخسارة ان لم يكن شراء ولا بيع حتى قال بعضهم
بناء على هذا الاشكال لو قال في الشطر الثاني اخرى بدنيا شرت بالصفقة الذم
وما يؤدي هذا المعنى لكان اولى ولئن سلم ان قوله لم تشتر لا يدل
على نفي الشراء والبيع المستلزم في الخسارة حتى لا يلزم التناقض فما فائدة

قوله ولم تسم بعد كلامه حشو اذ المستلزم للخسارة نفي الشراء لا نفي السوم قلت
الدين والدنيا ضدان والله تعالى مكن العبد من ابتياع واحد منهما وان كان
كل ذلك مخلوقا لله تعالى لكن باعتبار الكسب فمن اخذ باحدهما
فكأنه ترك الآخر اختيارا للتمسك بما اخذ وبدلا لما ترك فيشبه هذا الحال
بمن قدر على تحصيل احد العوضين فاخذ لاحدهما وتركه للآخر كان عوض
ما تمسك به بما ترك وذلك لا يفعله العاقل الا مع اعتقاده ترجيح ما تمسك
على ما اخذ وهذه هي عين التجارة فقوله لم تشتر الدين بها دل على انها
بما كالصق بالثمن ورفض المثمون وهذا المعنى اخذ الناظم من قوله تعالى
اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم فانه شبه
اختيارهم للكفر بعد التمكن منه ومن الايمان مختارا لاحد العوضين مرجحا له
على الآخر مع التمكن منهما حتى قال الفقهاء المالكية انه يؤخذ
من الآية انه لا يجوز في البيع التخيير بين شيئين مختلفي الجنس على ان يشتري
ايهما شاء على اللزوم وذلك من بيعتين في بيعة المنهي عنه في الحديث
لان الايمان ليس من جنس الكفر ولم يخير الله تعالى في اخذ اي واحد كان منهما
بل الزم احدهما على التعيين وهو الايمان واما قوله ولم تسم فانه يفيد
غير ما افاد لم تشتر فانه يلزم من نفي الاشتراء الذي هو ملزوم السوم لكونه
اخص نفي السوم الذي هو لازم لكونه اعم فان من لم يشتر ما ينبغي ان يشتري
قد لا يسومه مع ذلك ولا يقف عليه يوما ما وهذا ابلغ في التقبيح على فاعل
ذلك وعدم سوم وهو اقل قبحا لانه يرى في تلك السوق وفي الحديث ما يشهد
لهذا وذلك قوله صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة ولم يفعلها
كتبت له حسنة فان فعلها كتبت له عشرا فليجعل السوم هنا بمثابة
الهم والشراء بمثابة العمل ولا شك ان خسارة من هم ولم يعمل فان الاول
خسر عشرا ولم يحصل شيئا والثاني خسر تسعا وحصل واحدة فان قلت
ولو قال لم تسم لم يحتج اي لم تشتر لان نفي اللازم الاعم يستلزم نفي الملزوم
الاخص قلت لا لانه نبه بذكر الاشتراء على انه المقصود فينبغي تحصيله

فمن لم يحصله ففعله قبيح ثم ترقى فى القبح الى ما هو اقوى وهو من لم يسم
كانه قال لم تشتر بل لم تقارب الشراء لعدم استعمالها بمقدماته ولو قال
لم تسم ملوم ان يحصل السوم بزوال الذم وان لم تشتر وليس كذلك
فان قلت العطف الذى يفيد كون المعطوف اولى بالحكم هو عطف الخاص
على العام كقوله وجبريل وميكال بعد قوله وملئكته وهو الذى فى البيت
عكسه لانه من عطف العام على الخاص لان السوم قلت ليس عكسه
بل هو عينه لان الاعم والاخص يتعاكس العموم والخصوص بينهما فى النفى
فنفى الاخص اعم من نفى الاعم وقد قدمنا ذلك فالذى فى الاية ثبوت
والذى هـنا فى النفى واما قول من قال لو قال الناظم اخزى بدنيا شريت
يا صفقة الندم لكان اولى مما ذكر فليس كذلك بل الاولى ما ذكر الناظم
لوجوه الاول ان فى شطر الناظم اطنابا لتضمنه عطف الخاص على العام
كما قررنا وهو فايت من لفظ المعترض الثانى سلامة شطر الناظم من التكرار
فان قوله المعترض يا صفقة الندم هو فى المعنى قوله فيا خسارة والتكرار
وان كان من المحسنات اللفظية فى بعض المواضع الا ان غيره ارجح منه
ثم لم يفت شطر الناظم ايضا اعنى المحسن وذلك فى قوله لم ولم ارجح
من تكرار المعترض فانه معنوى الثالث ان فى قول المعترض ايهاما لان
شرى من الاضداد فلا يدرى هل اراد باعت او اشترت فعلى التقدير
الثانى يفهم من البيت عكس المقصود لان من اشترى الاخرة بالدنيا
رابح لا خاسر واما اشترت فليس من الاضداد على المختار ويقوى فهم التقدير
الثانى ان الناظم فى هذا البيت استعمل الالفاظ العرفية عند الفقهاء
والشراء وما تصرف منه فى عرفهم حقيقة عرفية فى دفع الثمن واخذ
المثمون فاذا اطلق فى اصطلاحهم لا يفهم منه الا هذا وان كان مشتركا
بحسب الوضع اللغوى قوله ومن يبع البيت كما بين ان خسارة النفس
او نفسه فى تجارتها انما كانت بكونها لم تشتر الدين بالدنيا وكان هذا
شبه الدعوى منه وان كان معلوما من الدين ضرورة اخبر فى هذا البيت

ان صدق

ان صدق هذه الدعوى سيتبين يوم القيمة للمكذب بها فقال ومن يبع
اجلا وهو نعيم الاخرة الهنى السالم من الشوايب المكدرة الباقى ابد الاباد
الذى لا يفنى بطول الازمنة والاماد بعاجله وهو متاع الدنيا الشاق الصعب
المشوب بالمكدرات التى تربى عليه الفانى فى زمن مثل لمح البصر يظهر له
الغبن اى انه مخدوع منقوص الحظ فى بيعه العاجل وفى سلمه وهو بيعه
الاجل فان قلت السلم الذى قدمه فى البيت قبل هذا هو اخذ الدنيا
العاجلة وترك الاخرة الاجلة وهو معنى قوله فى البيت باع اجلا بعاجله
وهذه صورة بيع السلم الاول وان صورة البيع غير السلم قلت هو كما ذكرت
الا ان العذر له انه لو اقتصر على قوله يبن له الغبن فى سلم ربما يتوهم
ان فاعل هذا انما يغبن اذا ترك الاخرة الاجلة لما يرجو تحصيله فى المستقبل
من متاع الدنيا كمن ترك الاشتغال بالطاعات ويشتغل بالاسفار وغيرها
رجاء ما يحصل له من متاع الدنيا فى المستقبل منها وما حصل له منها شئ
فى الحال فيكون ترك الطاعات كالثمن المعجل لاسيما ان قلنا الترك فعل وما يرجوه
كالمثمون المؤخر وهذا سلم وحينئذ يقال لا يلزم من غبن هذا
لما لم يحصل له شئ فى الحال ان يكون من باع الاجل من الاخرة بالعاجل
من الدنيا الحاصل فى الحال مغبونا فزاد قوله فى بيع اسقطها على وهم هذا
المتوهم فقال هو مغبون فى كلتى بيعتيه العاجلة والاجلة فانه خاسر
على كل حال وهذا لاحرز بيعة فقد لان ترك الطاعة دفع لها فى الحال
واخذ متاع الحياة الدنيا العرض انه فى الحال ايضا فاحتاج الى زيادة البيع
لان الغالب ان الغبن انما يكون فى السلم لان مع الاجل يتوقع التفليس
والموت وغيرهما واما فى النقد فذلك منتف ولذا يقال الدرهم المنقود
خير من الدرة الموعودة وهنا باعتبار متاع الدنيا ويحتمل ان يكون
فى كلامه حذف معطوف وحذف قيد اى ومن يبع اجلا من متاع الاخرة
بعاجله من متاع الدنيا ويشترى عاجله من متاع الدنيا باجله من متاع
الاخرة يبن له الغبن فى بيع وهى الحالة الاولى المصرح بها وفى سلم

وهي الحالة الثانية المقدرة الا انه على هذا التقدير هو المسلم اليه
وهذا ان اولى توجيه يلتمس له عن هذا الايراد وهناك وجوه آخر
ضعيفة وقدم في بيع لانه الذي يتوهم بمقتضى العادة نفي الغبن عنه لتعجيل
فانا كان الغبن فيه كان في السلم احرى فان قلت فما فايدة ذكر السلم
على هذا قلت لان فيه الربح في كثير من الاوقات وعند بعضهم هو من القافية
المستدعاة الا انه قال لا ينبغي لفظ السلم للحشو بل انما هو واما اللفظ بيع
قال ولا انسب منها هنا ذكر السلم لانه دفع عاجل في اجل قلت اما تنبيها
ترك الطاعة كما قدمنا فيشبه واما باعتبار اخذ متاع الدنيا بالبيع انسب
لان المقدم السلعة في بيعه تاخر فيها الثمن والسلم انما يتاخر فيه
المثمون الا ان يسلم عرض في عرض يخالفه فيشبه وفيه نظر وضمير منه
عند بعضهم عايد على من قال واقرب ما في مرالزيادة للوزن وهو على مذهب
الاخفش وكان عاجلا عنده مضاف الى ضمير الغايب لانه قال الضماير كلها
التي في البيت عائدة على الدين والمجرور وصفة لاجل فليس بحشو ثم قال بناء على
ان ضميرمنه عايد على من اضافة المبيعين من عاجل وآجل الى من مجاز لان
كلا من المتبايعين انما يملك احد العوضين قلت وما قرر في البيت قبل مثل
يبين وجه تشبيه هذا التبديل بالعوضين ومنه يظهر لك استلزام الشقاء
وفي الحديث ان كل احد له منزلة في النار ومنزلة في الجنة فاهل الجنة يزادون
الى منازلهم فيها منازل اهل الجنة من دخل النار واهل النار يزادون الى
منازلهم فيها منازل لمن دخل الجنة فعلى هذا فالتعارض بين الفريقين ولهذا
سمي يوم القيمة يوم التغابن لان اهل الجنة غبنوا اهل النار باخذ منازلهم
التي كانوا يستحقونها في الجنة لو اسلموا واعطائهم منازلهم التي كانوا
يستحقونها في النار لو لم يسلموا المعاني قدم برسول الله
على ضمير الفاعل لان الاهم عند ذكر المنتصر به لا الانتصار ولا الاعتبار
واضافة نصرة واجام للاختصاص وال في الاسد الظاهر جنسيها ونفي
ونفي الوعيد بلن دون لا لان النفي بلن اقوى اذ هي مركبة من لا ان عند الخليل

ولاسيما

ولاسيما على راي الخليل والزمخشري في نفيها التابيد وان كان المذهبان
مردودين وافاد بذلك ان شان الولي ابدا الانتصار به فان قلت ولم لم
يفعل ذلك في العدو فان شانه ابدا الانفصام قلت قد فعله
فانه معطوف على ولي والعامل في المعطوف هو العامل في المعطوف عليه
وهو هنا نفي المنفي بلن ولا مع العدو وانما هي لتاكيد النفي ويقال
انما لم يفعل ذلك في العدو لان في اخر الزمان لا ينفصم العدو فلا
يصح نفي التابيد فيه لا يقال يلزم مثله في الولي لان الاسلام
بدا غريبا وسيعود غريبا واذا لم ينفصم العدو لم ينتصر الولي لانا
نقول الولي حين لا ينفصم العدو لا يصح نفي الانتصار برسول الله
صلى الله عليه وسلم عنه مع وجوده بل انما لم ينفصم العدو لعدم
الولي حينئذ بالكلية لا لرؤيته غير منتصر لان الساعة لا يقوم الا على
شرار الخلق ولا تقوم حين لا يبقى على وجه الارض من يقول
الله الله على انه لا بد من ولي ايضا الى اخر الدهر لا تزال طايفة من
امتي ظاهرين على الحق حتى ياتي وعد الله والخطاب في قوله ترى من
الخطاب العام ومن في من ولي ومن عد ولتخصيص العموم وتنكيرها
للنوعية في وجه وللتعظيم في ولي والتحقير في عدو في وجه آخر
واما تنكير منتصر ومنفصم فللنوعية وفي البيت ايجاز الحذف اذ التقدير
غير منفصم براي بسبب مخالفته فهو من الحذف من الاواخر لدلالة
الاوايل وجملة احل كالتفسير بها والتعليلية لمنتصر فلذا فصلت واضافة
امة وملة للتخصيص والتشريف واضافة حرز للتعظيم وال في الليث
لتعريف الجنس وفي الاشبال نايبة عن الضمير اي اشباله وان قدر بالاشبال
على المذهب الاخر فعهدية وتنكير اجم للنوعية والتعظيم اي اجم عظيم
حصين وال في بكم الخبر لافادة التنكير فهو مستفاد من وضعها وتنكيرها
واضافة كلمات للتعظيم وتنكير جدل وخصم للتعظيم او النوعية وال
في البرهان للعهد وفي البيت ايضا ايجاز الحذف اذ التقدير من خصم فيه

خذف لدلالة الاولى وكذاك للتعجب وال فى العلم للعهد اى علمه وكذا هو فى
التأديب اى تأديبه وكذا فى اليتم اى يتمه وكذا هو فى الجاهلية اى الجاهلية
الذين كان فيهم وكذا هى فى الامى لان المراد به صلى الله عليه وسلم وتنكير معجزة
للتعظيم وتنكير مدح للتعظيم او النوعية وتنكير عز للتحقير او النوعية وال
فى الشعر والخدم للعهد وما فى ما تخشى للتعظيم كانت موصولة او نكرة
موصوفة وتنكير هدى للنوعية وال فى النعم لجنس ما يقع عليه اللفظة ولفظ
النعم من الايغال فيه تحقيق التشبيه اذ لا يكون الهدى عرفا غالبا
الا من النعم وان سمى غيرها هديا فمجاز ولزمه حكم يخصه وتفصيل ذلك وفرقه
فى علم الفقه واضافة غي للاختصاص والتعريف وال فى الحالتين عهدية وفى
الانام والندم محتملة للعهد والجنس والعوض فى قوله وما حصلت الى آخره
ادعاى لا حقيقى ونداء الخسارة للتعجب واضافة نفس للتعريف وتنكيرها
للتحقير او النوعية او للعموم وهو ضعيف كما تقدم وال فى الدين والدنيا
عهدية وقوله لم تشتر ولم تسم من الاطناب كما تقدم فى التفسير وتنكير
آجلا للتعظيم والتكثير وفيه ايجاز الحذف اذ التقدير متاع اجل وتنكير
عاجلة للتحقير والتقليل والنوعية فيهما ايضا محتملة وال فى الغبن للحقيقة
وتنكير بيع وسلم للعموم لانهما نكرتان فى سياق الشرط او التحقير او الضد
او للنوعية البيان يحتمل الاسد الحقيقة ويحتمل المجاز بان يكنى عن الصحابة
بالاسد على سبيل الاستعارة او غيرها ويحتمل التشبيه اى ان تلقه الرجال
الذين هم كالاسد فى الشجاعة فحذف المشبه والاداة والوجه وهى من مراتب
التشبيه القوية كما ان اجامها يحتمل الحقيقة والمجاز بان يكون كناية عن الحصون
كما تقدم وهما على التنزيلين فى الاسد وقوله منتصر بالظاهر من مجاز
الحذف اى منتصر بركته او نحوه مما تقدم وقوله احل البيت شبه الزام
الامة الملة مع ما حصت به من العزة والنصرة بانزالهم محلا حصينا الايغالى
فهو من تشبيه معقول بمحسوس واضافة الحرز الى الملة تحقيق التشبيه و
يتمكن واما قوله كالليث الى آخره فقد تقدم فى التفسير احتماله الا انه يكون
من تشبيه المتعدد بمثله او من تشبيه مخلد بمقيد وقوله كم جدلت

البيت شبه انحام الخصم وانقطاعه بالحجة بمجدل برمح او سيف وتشبيه
سنان الحجة بسيف الحديد مبتذل وحسنه فى البيت ما فيه من التجنيس والتكرار
وغيرهما من المحاسن البديعة واما قوله وكم خصم الى آخره فحقيقة لا مجاز
فيه فقوله كذاك البيت والبيت بعده لا مجاز فيهما الا فى قوله فى الشعر فانه
من مجاز الحذف اى فى نظم الشعر واما قوله اذ قلدانى فهو تشبيه لما لزم
رقبته من الحكم بالاثم او بتخلصه بما يجعل فى عنق الهدية وتقدم تقريره
وهو ايضا من تشبيه معقول بمحسوس وقوله كما تق بها تحقيق للتشبيه
فهو يشبه الايغال كما ان لفظ النعم من ذلك كما تقدم فهو من الايغال فى
الايغال وقوله غى الصبا يشبه ان يكون من الاستعارة المكنى عنها بان شبه
المعنى المذكور بامير قاهر ولم يذكر وذكر من لوازمه الطاعة واستعارة
الشرا المنفى لتبديل الدين بالدنيا من الاستعارة الترشيحية لانها قرنت
بما يلائم المستعار منه وهو الخسارة والسوم ويحتمل ان تكون الاستعارة
فى ذكر الخسارة فى التجارة وذكر السوم والاشتراء هو المرشح وبالجملة
فالاستعارة فى البيت موافقة للاستعارة فى قوله تعالى اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم فى المعنى والنوع وكان قصد
عقد معنى الاية وقوله ومن يبع البيت يحتمل الفاظه ان تكون من مرشحات
الاستعارة فى البيت قبله ويحتمل ان يكون الشطر الاول منه استعارة مستقلة
لتبديل الدين بالدنيا ويكون الترشيح فى الفاظ الشطر الثانى ويحتمل الشطر
الاول الحقيقة فى الاجل والعاجل والمجاز فى يبع ويحتمل الحقيقة فى الجميع وكذا
قوله فى يبع على بعد فيه واما قوله فى سلم فالظاهر القوى فيه المجاز لكن
البديع قوله ومن تكن البيت من حسن التعليل ومن الاستطراد فانه
خرج الى مدحه صلى الله عليه وسلم من مدح اصحابه وان ذلك مما لزمهم
الا بركته وهو ايضا من المذهب الكلامى لانه استدلال على صحة ما وصف
الصحابة رضى الله عنهم به من اول الى هنا وتقرير دليله من الضرب الاول
من الشكل الاول وحذف الصغرى للعلم بها والتقدير الصحابة رضى الله عنهم

ان تلقهم الاسد فی اجامها ثم واذا كانوا بهذه المثابة فهم جديرون
بان يفعلوا باعدائهم ما ذكر وهو ايضا من الكلام الجامع وفيه مراعاة النظير
فی لفظی الاسد والاجام وفی الاجام وبجم التجنيس الشبيه بالاشتقاق وهذا
البيت قريب من المزاوجة وهی ان تزاوج بين معنيين فی الشرط والجزاء كقول
البحتری اذا ما نهی الناهی فلج بی الهوی   اصاخت الی الواشی فلج بها الهجر
وقد تقدمت وفی له ولن ترى البيت الفاظه كلها فيها الموازنة الا ترى
وبر وفيه الطباق ولی وعدو ومنتصر ومنقصم وان شئت جعلته
من الطباق الخفی وفيه التخيير لان روايتی منقصم بالقاف يصلح موضعها
منفصم بالفاء وبالعكس وربما قيل ان فيه الارصاد وجمعه الولی غير المنقصم
والعدو غير المنقصم فی ان كلا منهما لا يبرى من الجمع وفيه من التقسيم اضافة
الشئ الی ما يليق به ولفظ الليث والاشبال واجم من مراعاة النظير وكذا لفظ
احل وحرز وفی احل وحل التجنيس الناقص نحو الساق والمساق وفی
جدلت وجدل تجنيس الاشتقاق وكذا هو فی خصم وخصم وهذا من الخفی
ايضا وجدل وخصم من الموازنة وخصم من الارصاد والفاظ كم جدلت
البيت من مراعاة النظير وقوله كفاك البيت من المذهب الكلامی ومن
الكلام الجامع وفيه من التقسيم رد الشئ الی ما يليق به كرد العلم الی
الجاهلية والتاديب الی اليتم وفی الجاهلية والعلم طباق وكذا فی العلم
والامی وهو ايضا فی التاديب واليتم الا ان هذا من الخفی وقوله خدمته
البيت فيه رد الصدور علی الاعجاز فی خدمته والخدم وهو من تجنيس
الاشتقاق وقال بعضهم ان فيه نوعا من العكس فالتبديل نحو عادات
السادات سادات العادات قلت ولا ادری فی ای الفاظ البيت هو
هذا النوع وفی لفظ الشعر والخدم مراعاة النظير وفيه الاستطراد
فانه خرج من الاخبار عما مدحه به صلی الله عليه وسلم الی التسجيل علی نفسه
بالمعاصی والاقرار بالذنب ولفظ استقيل وذنوب من مراعاة النظير
وكذا عمر ومضی وخدمته ومديح وقوله اذ قلدانی البيت وفيه تورية

فتهيه لان التقليد عندهم التی هو من سنة الهدی كالاشعار معناه القريب
تقليد نعل او ما تنبته الارض فی عنق البدنة او البقرة ومعناه البعيد
المراد هنا الحكم الذی الزمه وجعل له كالقلادة من نظم الشعر والخدم
لغيره صلی الله عليه وسلم وهذه التورية مجردة لتشبيه نفسه بالهدی
من النعم ولفظ التقليد والهدی والنعم من التناسب وقوله قلدانی وكانی
بهما بعد ذكر الشعر والخدم من الجمع وقوله من النعم يحتمل ان يكون من
الارصاد وهو الاظهر ويحتمل ان يكون من التخيير لانه يصلح ان يكون
مكانه من الغنم ويترجح الاول بان التقليد فی غير الغنم من النعم متفق عليه
ويختلف فيه فی الغنم والاشهر من مذهب مالك الا ان يقلد لضعفها مخافة
ان تمسكها من قلادتها شجرة فلا تقدر علی خلاص نفسها فتموت بخلاف
الابل والبقر علی انه ورد فی بعض الاثار الصحيحة تقليدها فلا يترجح
بان اللفظ خاص بالابل لغة فان الصحيح لغة عمومه فی الجميع ولقائل ان
يقول يترجح من الغنم لان فيه مع ما تقدم فی التفسير اشارة الی نهاية
من الذلة والضعف من اجل ما احاط به من الاثام وعدم القدرة علی الفرار
مما يستحقه من العقاب الی حالة يشبه معها اضعف ما يقلد من الانعام
وهو الغنم وهذا ظاهر حسن فان الابل والبقر قد تفر وتعيش فی الفيافی
فتنجو بذلك منها ابيد منها من النحر او الذبح ولذا لا يلتقط ضالة الابل
لان معها سقاءها وحذاءها كما قال صلی الله عليه وسلم ترد الماء وتاكل الشجر
حتی يجدها ربها والبقر لها اصل فی التوحش وامر صلی الله عليه وسلم
باكل الشاة فانما هی لك او لاخيك او للذئب وبهذا النظر يضمحل قول
بعضهم يترجح من النعم لان السامع اذا كان ذا عقل يعلم ان الغنم لا خصوصية
لها فی هذا التشبيه وان العدول فيه عن ذكر النعم اليها عی ودخول فيما
لا يحتاج اليه انتهی واتی بهذا الكلام استدلالا علی ان فی البيت ارصادا
اذ لا يصلح غير النعم وفی قوله اطعت غی طباق خفی من وجهين احدهما
ان الطاعة رشد والغی ضده الثانی ان الغی لا طاعة فيكون من طباق السلب

والنبي والصبا من مراعاة النظير وكذا الانام والندم وجمعه الانام والندم
وهما متعددان في حكم واحد وهو انه ما حصل الا عليهما من الجمع وكذا
منه ذكر الحالتين بعد ذكر الشعر والخدم ان كان المراد اياهما والفاظ
الخسارة والتجارة والشراء والسوم من مراعاة النظير وكذا هذه الالفاظ
مع الفاظ البيت بعد ولا يبعد ان يكون جمعها من التورية القهقهة وكذا لفظ
الدين والدنيا بل هذا من الطباق لان الدنيا ضد الدين وهذا البيت والذي
بعده من الكلام الجامع وقوله لم تشتر الى اخره من المذهب الكلامي ومن
حسن التعليل وقوله ومن يبع البيت في بعض الفاظه مراعاة النظير
في جمعه العاجل والاجل وكذا البيع والسلم ولا يبعد ان يكون فيه الاد
وفيه اللف والنشر المعكوس لرجوع السلم الى الاجل والبيع الى العاجل
والبيت من الكلام الجامع ولا يبعد كونه من المذهب الكلامي كما لا يبعد ان
يكون من المزاوجة بل هو منها وفي يبع ويبع رد الصدور على الاعجاز وهما
من تجنيس الاشتقاق وكان آجلا وعاجلا ان لم تعتبرها التاء ينت من
التجنيس المضارع والظاهر كون السلم من الارصاد الاعراب من اسم
شرط وهو مبتداء واختلف في خبر اسم الشرط المبتداء فقيل شرطه وجزاوه
وقيل هما تكن مضارع مجزوم بمن علامة جزمه سكون النون واصله
تكون وحذفت الواو لالتقاء الساكنين وحرف المضارعة منه ان كان
تاء فاسم تكن نصرته وجزه برسول الله وان كان بالياء فاسمها ضمير يعود
على من ونصرته مبتداء والجز في المجرور ايضا ونصرته وجزه خبر يكن ويحتمل
ان يكون نصرته بدلا اشتمال من الضمير وجملة تكن وما تعلق بها على
التقديرين خبر من ان قلنا خبره الشرط والرابط الضمير المضاف اليه نصرة
ان جعل اسما وان جعل نصرته بدلا او مبتداء فالرابط اسم تكن وان جعل
الخبر الجواب فالرابط المنصوب بتلق وذلك ان تجعل نصرته اسمها وذكر لانه
في معنى النصر اولان تانيثه غير حقيقي او للفصل بينه وبين الفعل بالمجرور
وللك ان تجعل تكن تامة وبرسول الله متعلق تكن بها او بنصرة ونصرته فا

وان

وان حرف شرط تلقه مجزوم بان ومفعول وعلامة الجزم حذف الالف واصله
تلقاه والاسد فاعل في اجامها في موضع نصب على الحال من الاسد او من المفعول
او يتعلق بتلق قال القصار وعلى هذا التقدير فلا محل له من الاعراب
قلت يعني مقدرا كما مر تاويلنا عليه في مثله والا فهو في محل نصب على المفعول
كما في ساير المجرورات المتعلقة بالظاهر ويجوز تعلقه بيجم او يكون حالا من فاعل
ويجم مضارع مجزوم في جواب ان واصله السكون وانما كسر للقافية وان
وجوابها جواب من والاصل فان تلقه بالفاء لكنه حذفها ضرورة نحو من
يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان ولن حرف
ينصب المضارع ويخلصه للاستقبال وهو بسيط خلافا للخليل في قوله
انه مركب من لا ان فحذفت الهمزة تخفيفا ثم الف لا لاجتماعها ساكنة مع النون
ونقض بتقدم معمول معمولها عليها في نحو زيدا لن اضرب ورد قوله واجيب بجواز
بالتركيب ما لا يكون قبله ورد بان المركبين ان ذهب معناهما الافرادي
فقد حدث ما لم يكن وان بقي لزوم مراعاة احكامه ولن عند الخليل من هنا
ترى مضارع منصوب بلن علامة نصبه فتحة مقدرة في الالف من زايدة
في المفعول لتنصيص العموم كما تقدم في المعاني وعبر عنه بعضهم بتعميم النفي
وغير بالخفض صفة لولي على لفظه وبالنصب صفة له على الموضع او حال
من ولي وصح وقوعها من النكرة لانها بعد النفي هذا ان كانت ترى بصرية
وان كانت ترى علمية ونصب غير فهي المفعول الثاني وان خفضت فهي محذوف
اي موجودا والباء في به سببية او للمصاحبة اما الذات صلى الله عليه وسلم
كما في حق الصحابة واما لسنته كما في حق غيرهم من المومنين ولا من عدو الخ
معطوف على من ولي فاعرابه كاعراب كل كلمة كنظيرتها ولا زايدة لتاكيد النفي
وجملتا ومن تكن ولن ترى مستانفتان فاعل احل ضميره صلى الله عليه وسلم
امته مفعوله في حرز متعلق باحل كالليث حال من فاعل احل ومفعوله معا وفاعل
حل ضمير الليث ومع وفي اجم متعلقان بحل وجملته حال من الليث والعامل
في محلها العامل في محل كالليث او التشبيه كم خبرية وهي مفعول جدلت و

فاعل جذلت ومن جدل تمييز لكم وتمييز الخبرية غالبا مجرور وربما نصبا فيها السه
لا بمحذوفة خلافا للفراء وينصبان فصل تشبيها بمميز الاستفهامية وربما
نصب غير مفصول وقد يجر بمن كما هنا قال في التسهيل وقد يجر في الشعر مفصولا
بظرف وجار ومجرور لا بجملة وفيهما معا وفيه يتعلق بجذلا وبجذلت واعراب
الشطر الثاني كاعراب الاول كفاك فعل ماض ومفعول وبالعلم فاعله وزيادة
الباء في فاعل كفى كثير وقد يزاد في مفعوله نحو فكفى بنا فضلا على من غيرنا
حب النبي محمد ايانا اي فكفانا في الامي يتعلق بالعلم او هو حال منه معجزة تمييز
لكفى وهو العامل فيه في الجاهلية متعلق بمعجزة او بكفى او بدل من في الامي اي في
عصر الجاهلية او حال من الامي ومن العلم والتاديب معطوف على العلم
اما بالخفض على موضعه او بالرفع على محله وفي اليتم متعلق بالتاديب والرابط
مع ال من التاديب محذوف اي فيه او هي نائبة عن الضمير اي تاديبه ويجوز
جعل في اليتم حالا من هذا الضمير المقدر بمديح متعلق بخدمته وجملة
استقيل بي صفة لمديح والرابط ضميرها والباء سببية اي بمديح مستقيل
انا ويحتمل كونها حالا من ضمير خدمته وذنوب عمر مفعول ثان باستقيل
ومفعوله الاول محذوف اي الله او ربي وجملة مضى الى اخره صفة عمر والعائد
في دنيا مضى او خدمته او استقيل ويجعل حرف تعليل عند من يرى ذلك فيها
فلا يتعلق بشيء ويكون معناها الامتهان فلداني فعل ماض وفاعل وهو الالف
والياء مفعوله والنون للوقاية وما موصولة او نكرة موصوفة وهي مفعول
فلداني الثاني وعواقبه مفعول لم يسم فاعله بتخشى والهاء عائدة على ما وجملة
تخشى صلة او صفة كانني كان وياء اسمها هدى خبرها وبهما حال من هدى من نعت
النكرة المنتصب حالا لتقدمه او من اسم كان والعامل التشبيه او يتعلق بها
بالتشبيه والباء سببية على كل حال ويجوز على تقدير الحال كونها للمصاحبة
من النعم صفة هدى ومن للتبعيض وجملة اطعت يحتمل ان تكون مفسرة لذنوب
او مستانفة وعين مفعول اطعت وفي الحالتين تقدم متعلقه في التفسير
وما نافية وهي وجملة حصلت معطوفة على جملة اطعت والا ايجاب بعد النفي

وعلى الاثام

وعلى الاثام متعلق بحصلت والاستثناء مفرغ فيا الفاء عاطفة ما بعدها
على جملة اطعت ويا حرف نداء المتعجب منه او هي للندبة فيكون خسارة
مندوبا او للتنبيه وخسارة منصوب بفعل مضمر ويا يستعمل في جميع
وجوه النداء للقريب والبعيد والمندوب والمستغاث في محاذيها متعلق
بخسارة وجملة لم تشتر ان كانت النفس معرفة بالاضافة تفسير
للخسارة فلا موضع لها وان كانت منكرة فهي صفة لها والدين مفعول
بتشتر وبالدنيا متعلق به ايضا فالباء للعوض نحو اشتريت الفرس
بالف وجعلها بعضهم للاستعانة ككتبت بالقلم والباء في باب الاشتراء
تدخل على الخارج من اليد وفي باب البيع تدخل على الحاصل فيها ولم تشم
عطف على لم تشتر ومن شرطية وهو مبتدا ويبع مجزوم بالشرط وعلامة
جزمه السكون واصله يبيع وحذفت الياء لالتقاء الساكنين وفاعل
يبع ضمير من وتقدم الخلاف في خبر اسم الشرط المبتدا آجلا مفعول
منه صفة اجل بعاجله صفة لموصوف محذوف اي بدنيا عاجلة
وهو متعلق بيبع ويجوز ان يتعلق به ايضا منه ومن جواب الشرط
وعلامة جزمه السكون ايضا واصله يبين حذف الياء ايضا للساكنين
وله وفي بيع متعلقان بين ويجوز تعلق في بيع بالغبن والغبن
فاعل وفي سلم معطوف على في بيع **الاشارات** لا يكون النصر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم الا باتباع سنته وترك كل ما جاء على خلاف شريعته فمن
حصلت له هذه الرتبة طاردت قلوب العدى من باسه واعز في نفسه
ومن عدا ثم سلم وان لقيه الاسد في اجمته استحيى ووجه اتباع السنة
عين تقوى الله والحامل على التقوى خوف الله وما خاف الله لخاف منه كل شيء
فملاك الامر اتباع فبه يظهر الربح والنجح في كل عمل وتكمل المنة والعمل القليل
معها نافع والكثير مع مخالفتها ضائع روى ابن المبارك بسنده عن ابي بن كعب
رضي الله عنه انه قال عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد
على السبيل والسنة ذكر الله عز وجل ابدا وما على الارض عبد على السبيل

ذكر الله عز وجل في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله عز وجل الا كان مثله
كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك اذا اصابتها ريح شديدة فتحات عنها
ورقها الا حط عنه خطاياه كما تحات عن تلك الشجرة ورقها فان اقتصادا
في سبيل الله وسنته خير من اجتهاد في خلاف سبيل الله وسنته فانظروا ان
يكون عملكم ان كان اجتهادا واقتصادا ان يكون على منهاج الانبياء عليهم السلام
اتباع لا جرم لا يرى ولي الله ولرسوله الا منتصرا به اي متبعا سنته ولا يرى
عدو الله ولرسوله الا معرضا عن السنة واتباعها فاتباع السنة من علامات
الولاية كما ان مخالفتها من علامات العداوة قال ابن عطاء رحمه الله متى جعلك
في الظاهر ممتثلا لامره ورزقك في الباطن الاستسلام لقهره فقد اعظم
المنة عليك وفي بعض مناجاة موسى عليه السلام يا رب اخبرني عن اهلك
الذين هم اهلك قال المتحابون في الذين يعمرون مساجدي ويستغفرونني
بالاسحار الذين اذا ذكرت ذكروني واذا ذكروا ذكرت بهم الذين يأوون الى طاعتي
كما يأوي النسور الى وكورها الذين اذا استحلت محارمي غضبوا لي كما يغضب النمر
اذا حرب وعن سعيد بن جبير قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اولياء الله قال الذين اذا رأوا ذكر الله والى هذا اشار ابن عطاء في حكمه
بقوله سبحان من لم يجعل الدليل على اوليائه الا من حيث الدليل عليه
ولم يوصل اليهم الا من اراد ان يوصله اليه قوله احل امته البيت امته صلى الله
عليه وسلم محفوظون محروسون من ان يستأصل العدو شأفتهم او تستبيح بيضتهم
لدعائه صلى الله عليه وسلم ان لا يسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم فهم في
حرز الملة كالليث الحال في اجمة مع اشباله لا يقدر العدو ان يدخل على جميعهم
وان دخل على بعضهم فلذلك لعدم محافظته على السنة ان الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بانفسهم ولما كانت الامة لا تزال طائفة منها ظاهرين على الحق
حتى يأتي امر الله منع الله استيصال جميعهم ببركة تلك الطائفة وبسببهم
يدفع الله عن جميعهم لولا شيوخ ركع الحديث قوله كم حدلت البيت ان الله
يدافع عن الذين امنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور دفع الله عن المؤمنين

اعاديهم

اعاديهم بالسيف تارة قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم اذ تقول للمؤمنين
الن يكفيكم الاية وبالحجة اخرى ليظهره على الدين كله وتلك حجتنا
اتيناها ابرهيم على قومه فبهت الذي كفر قوله كفاك ان شككت في ان الله
يدافع عن المؤمنين او يختص رحمته من عباده الصالحين فيكفيك معجزة
دالة على ازاحة شك العلم في الامي زمن زمن الجاهلية والتادب في
اليتم قوله خدمته البيت فاذا ثبت لك بالبرهان الساطع والدليل
القاطع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم المخصوص من الله بالمنزلة الرفيعة
والرتبة المنيفة فكيف لا يبذل مجهودك في مدح حبيب الله والثناء الجميل
على صفي الله مع ما ترجوه بذلك من تطهيرك من الاثام وشفاعته
فيك لنيل دار السلام فواجب ان تخدمه بمديح تستقيل به ذنوب عمر مضى
في الشعر والخدم لغيره فان الحبيب يرضى بمدح حبيبه ويغضب لمدح عدوه
ولذا امرنا صلى الله عليه وسلم ان نحثي التراب في وجوه المداحين الذين
يمدحون من لا يستحق المدح ويقولون في الممدوح ما ليس فيه واما مدح
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدح اوليائه فذلك في الحقيقة مدح الله
تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله ولا احد احب اليه المدح من الله ولذلك
مدح تعالى وجل نفسه وحمده تعالى من اجل القرب التي يرضى بها اجل جلاله
وعن انس سمعت عمر رضي الله عنهما يسلم على رجل فرد عليه السلام فقال
عمر للرجل كيف انت قال الرجل احمد الله اليك قال عمر هذا اردت
منك وعن سعيد بن جبير ان اول ما يدعى الى الجنة الذين يحمدون الله في
السراء والضراء او قال على كل حال وعن ابن عمر ان كنا لعلنا نلتقي في اليوم
مرارا يسأل بعضنا بعضا ان نريد بذلك الا الحمد لله واما حمد غير الله ومدحه
فذلك قاصمة ولذا سعى الناظم في تكفيرها بمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذي هو مدح الله تعالى وجل وعن الحسن مدح رجل صاحبه عند النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ويحك قطعت عنق صاحبك لو يسمع ما قلت له
ما افلح الى يوم القيمة وعن يحيى بن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا مدحت اخاك في وجهه فكانما امررت على حلقه موسى رميضا وقال عمر
مولى عفرة ابعد الناس من النفاق اشدهم تخوفا على نفسه منه الذي يرى
انه لا ينجي منه شي واقرب الناس اليه الذي اذا زكي بما ليس فيه ارتاح قلبه
وقبله وقال قل اذا زكيت بما ليس فيك اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تواخذني
بما يقولون فانك تعلم ولا يعلمون ولما كان القائل مقالته مرهونا بها حتى
ياتي منها بالمخلص لاجرم اخبر الناظم عن مدح بر الناس من الشعر وخدمهم
من الخدم بانما قلداه في عنقه ما يخشى عواقبه حتى صار كالهدي من النعم
المتعين للهلاك ولا يجوز تبديله ولا الرجوع عنه بعد التقليد والاشعار
الا ان يعفو الله ولما كان حالتا مدح الناس وخدمتهم في غير طاعة تودي
الى هذه المنزلة من الهلاك لم يسع ان تصدرا الا زمن الجهل كزمن غي الصبا
او الجري على شاكلة ذلك الزمان وهي حالة لا يحصل من اطاعها ولم يعصها
الا على الاثام والندم التي لا يسعى في تحصيلها الا جاهل لا سيما جناية
اثام اللسان والندم على المقالات الصادرة التي لا يمكن ان يتلافى وهل
يكب الناس على وجوههم في جهنم الا حصايد السنتهم وعن عمرو بن دينار
عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عند لسان
كل قائل فاتقى الله امرء علم ما يقول وعن سعيد بن عبد الله الثقفي قلت
يا رسول الله حدثني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قلت يا رسول الله
ما اخوف ما تخوف علي فاخذ بلسان نفسه فقال هذا وفي الصحيح من حديث
ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال من كان يومن بالله واليوم الاخر
فليقل خيرا او ليصمت واخذ ابو بكر رضي الله عنه بلسانه وقال هذا اوردني
الموارد ومثل ذلك ابن عباس رضي الله عنهما قايلا ويحك قل خيرا تغنم
واسكت عن سوء تسلم فقيل له فقال بلغني ان العبد ليس على شي من جسده
اخوف منه على لسانه يوم القيمة وسئل مسروق عن بيت من شعر فكرهه
وقال اني لاكره ان اجد في صحيفتي شعرا وعن ابن مسعود الرجل يخرج ومعه
دينه ثم يرجع وما معه من شي ياتي الرجل لا تملك له ولا لنفسه ضرا ولا نفعا

فيقسم

فيقسم له بالله انك لذيت وذيت فيرجع وما حلي من حاجته بشي وقد
اسخط الله عليه وعنه ايضا رضي الله عنه ما من شي احق بطول السجن
من اللسان وعن الحسن كانوا يقولون لسان الحكيم من وراء قلبه اذا
اراد ان يقول رجع الى قلبه فان كان له قال وان كان عليه امسك
والجاهل قلبه في طرف لسانه لا يرجع الى قلبه ما اتى على لسانه تكلم به وعن
مكحول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكونوا عيابين ولا مداحين
ولا طعانين ولا متماوتين قال ابن المبارك يعني المرائين فمن عدل
عن النطق بما ينبغي الى ما لا يحتاج اليه من الفضول واخرى ان كان من
المعاصي فما احقه ان يندب خسارة نفسه او نفسه في خسارة تجارتها
ويتعجب من بركبها الاخروي لنافع واحدها بنوى الضار فما اشد غبن
من باع الاجل من الاخرة بالعاجل من الدنيا في بيعه وفي سلمه جعلنا الله
من الاكياس الذين يحاسبون انفسهم على ما صدر منهم من الاعمال والاقوال
العاملين لما بعد الموت الذين يتركون العاجل من الدنيا الاجل من الاخرة
بمنه وفضله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اصل

ان آت ذنبا فما عهدي بمنتقض … من النبي ولا حبلي بمنصرم
فان لي ذمة منه بتسميتي … محمدا وهو اوفى الخلق بالذمم
ان لم يكن في معادي اخذا بيدي … فضلا والا فقل يا زلة القدم
حاشاه ان يحرم الراجي مكارمه … او يرجع الجار منه غير محترم
ومنذ الزمت افكاري مدائحه … وجدته لخلاصي خير ملتزم
ولن يفوت الغنى منه يدا تربت … ان الحيا ينبت الازهار في الاكم
ولم ارد زهرة الدنيا التي اقتطفت … يدا زهير بما اثنى على هرم
يا اكرم الخلق ما لي من الوذ به … سواك عند حلول الحادث العمم
ولن يضيق رسول الله جاهك بي … اذا الكريم تحلى باسم منتقم
فان من جودك الدنيا وضرتها … ومن علومك علم اللوح والقلم

للعزيب مضارع اتى ياتي اتيانا اي جاء والاتية الاتوة لغة والاتيان الجي

وتقدمت المادة والذنب تقدم العهد الامان واليمين والموثق والذمة
والحفاظ والوصية وعهدت اليه اوصيت ومنه ما يكتب للولاية من العهد
وتقول عهد الله لا فعلن والمادة طويلة وهي كلها ترجع الى ملازمة الشئ
والمحافظة عليه والعهدان العهد والمعاهد الذى وعهدك من يعاهدك
وتعاهده ورجل عهد يتعاهد الامور والولايات نقض العهد لم يف به
والعهد منتقض والنقض نقض البناء والحبل والعهد والنقاضة ما
نقض من حبل الشعر والمناقضة فى القول التكلم بما يتناقض معناه والانقاض
الاسكات والنقض يطلق على معان منها المنقوض كالنكث والبنى تقدم
وكذا الحبل انصرم الحبل فهو منصرم وصرمت الشئ صرما قطعته والرجل
قطعت كلامه والاسم الصرم وصرم النخل جده واصرم النخل جاز له ان يصرم
واصطرام النخل اجترامه والانصرام الانقطاع والتصارم التقاطع والتصرم
التقطع وتصرم تجلد وتصرم الجبال تقطعها شدة الكثرة والمادة طويلة
محصولها الانقطاع الذمة الحرمة والامان والجمع ذمم والذمام الحرمة واهل
الذمة اهل العقد ابو عبيد الذمة الامان فى قوله عليه السلام ويسعى
بذمتهم ادناهم واذمه اجاره واخذتنى منه مذمة بفتح الدال وكسرها اى رقة
وعار من ترك الحرمة واذهب مذمتهم بشئ اى اعطهم شيئا فان لهم
ذماما وفى الحديث ما يذهب عنى مذمة الرضاع فقال غرة عبد او امة يعنى ذمام
المرضعة قال النخعى كانوا يستحبون عند فصال الصبيان يامروا للظئر بشئ
سوى الاجر وتقدم استنكف يقال لو لم اترك الكذب تاثما لتركته تذمما التسمية
مصدر سماه يسميه اى جعل له اسما وهى تطلب مفعولين والثانى منهما قد
يكون بحرف الجر يقول سميته زيدا او بزيد واسميته مثله فتسمى به وهو سميه
وافق اسمه ومثله كنيه وهل تعلم له سميا اى نظيرا يستحق مثل اسمه وتقول
مسامية يساميه والاسم عند الكوفيين مشتق من السمة وهى العلامة لان
الاسم علامة على المسمى وهو واوى الفاء وعند البصريين من السمو وهو الارتفاع
لان الاسم يرفع المسمى بزوال الاشكال عنه وهو محذوف اللام عندهم

وهى واو وزن افع ومذهب الكوفيين ظاهر فى المعنى بعيد من جهة
التصريف ومذهب البصريين بالعكس لانهم قالوا فى جمعه اسما ولو كان
على ما قال الكوفيون لقالوا اوسام وفيه خمس لغات اسم بضم الهمزة وكسرها
وسم بضم السين والقصر هدى وحكى بعضهم كسر السين مع القصر
والفه الف وصل وربما قطعت للضرورة والنسبة اليه سموى وان شئت
اسمى وجمع الاسماء اسام وحكى الفراء اعيذك باسماوات الله الوفا
ضد الغدر يقال وفا بعهده فاء بمعنى واوفى الذى فى لبيت اهل النفس
من وفى البلادى و وفى الشئ وفيا على فعول اى تم وكثر والوفى الوافى
واوفاه حقه ووفاه بمعنى اعطاه وافيا واستوفاه حقه وتوفاه بمعنى
الخلق تقدم والذمم جمع ذمة كما تقدم المعاد تقدم آخذ بيده فى السنة
خلصه منها وهو من الكناية واصله من اخذت الشئ اخذه اخذا تناولته
والاخذ بالكسر الاسم والامر منه خذ والاصل اؤخذ فاستثقلوا الهمزتين
فحذفوهما تخفيفا وكذا الامر من اكل وامر قال الجوهرى واشباه ذلك
وقولهم خذ عنك اى خذ ما اقول ودع عنك والمراء وخذ الخطام بمعنى
اليد والفضل تقدم ما قوله والالاى وان لا يكن عهد الاخذ بان يكون الاخذ
ضد فرت وزلت قدمه زلت كناية عن الهلاك والوقوع فى شدة واصله
ان زل عن صخرة او مكان عال وزللت بالفتح تزل زليلا اذا زل فى
طين او منطق وقال الفراء زللت بالكسر تزل زللا والاسم الزلة والزليلى
واستزله غيره وزحلوقة زل اى نزل زلل والزحلوقة اثار تزلج الصبيان
من فوق التل الى اسفله وهى لغة اهل العالية وتميم تسوله بالقاف والجمع
زحالف وزحاليف وقال ابن الاعرابى الزحلوقة مكان منحدر عكس لانهم
يتزحلقون فيه والزحلفة كالدحرجة والدفع يقال زحلفته فتزحلف وزل
الدراهم تزل زلولا نقصت والمنزلة بكسر الزاء وفتحها المكان الدحض وهو
موضع الزلل القدم تقدمت حاشاه وحاشا له وقد يحذف منه الالف
فيقال حاش له وهو اسم بمعنى المحاشاة يستعمل فى التنزيه ما خوذ من الحشى

وهو الناحية واما حاشى المستعمل في الاستثناء فهو حرف وقد يستعمل فعلا
قليلا فالحرف يجر المستثنى والفعل ينصبه والتزم سيبويه حرفيتها مستدلا
بانها لو كانت فعلا ومنه ولا احاشي من الاقوام من احد فتصرفه يدل على
فعليته ولانه يقال حاشى لزيد وحرف الجر لا يدخل على مثله ولان الحذف
يدخلها ولا يدخل الحروف بل الاسم او الفعل وقال في التسهيل وان وليها
مجرور باللام لم يتعين فعليتها خلافا للمبرد بل اسميتها لجواز تنوينها وكذا قيل
حاش وقيل حشى وحاش وربما قيل ما حاشا وليس احاشي مضارع حاشى
المستثنى خلافا للمبرد انتهى حرمت الرجل الشيء اي منعته اياه واحرمته
ايضا لغة فيه قال الاعشى وانبئتها احرمت قومها لتنكح في معشر اخرين
اي حرمت قومها نفسها وقال الجوهري حرمه الشيء يحرمه حرما كسرقه سرقا
بكسر الراء وحرمة وحريمة وحرمانا واحرمه ايضا اذا منعه اياه والحرم ايضا
بكسر الراء الحرمان ومنه قوله لا غايب مالي ولا حرم واحرم دخل في حرمة
لا تهتك والحرم المنع والمادة مع طولها تدور مع المنع الراجي اسم فاعل
من رجي يرجو والرجا الامل والرجاء من الامل ممدود يقال رجوته ارجوه رجوا
ورجاء ورجاوة وما اتيتك الا رجاوة الخير وترجيته وارتجيته ورجيته
كله بمعنى رجوته وقلى في فلان رجيه اي ما ارجو مكارم جمع مكرمة وارض
مكرمة للنبات اذا كانت جيدة النبات وقال الكسائي المكرم والمكرمة ولم يجئ
مفعل بالضم للمذكر الا حرفان مكرم ومعون وقال الفراء الذي جاء منه هو
جمع مكرمة ومعونة ومفعل ليس من ابنية الكلام وبالجملة فالكرم نقيض
اللوم وتقدمت المادة رجع يرجع اذا انصرف عما كان متوجها اليه
قال الجوهري رجع بنفسه رجوعا ورجعه غيره وهذيل تقول ارجعه
غيره وهو قوله تعالى يرجع بعضهم الى بعض القول اي يتلاومون والرجعى
الرجوع وكذا المرجع ومنه ثم الى ربكم مرجعكم وهو شاذ لان ما كان مصدر
فعل يفعل الفتح وفلان يؤمن بالرجعة اي بالرجوع الى الدنيا بعد الموت
والمادة طويلة الجار لفظ مشترك تقدم بعض معانيه في اول بيت من هذه

القصيد والمراد به هنا الذي اخبر ان يظلمه ظالم على انه لا يبعد
ان يريد ما هو اعم من ذلك ومن المجاور في المنزل فان حق الجار والحماية
عنه معروفة قديما وحديثا ولا سيما شرعا قال صلى الله عليه وسلم
ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وقال تعالى
والجار ذي القربى ومن المعنى الاول قول الهذلي وكنت اذا جاري دعا لمضوفة
اشمر حتى ينصف الساق مئزري ومنه وان احد من المشركين استجارك
الاية واستجاره من فلان فاجاره منه واجاره الله من العذاب انقذه
ومحرم اسم مفعول من حرمه وهو من الحرمة وهي ما لا يحل انتهاكه وكذلك
المحرمة بفتح الراء وضمها ومحرم صحبته وحرمة الرجل حرمه واهله وتقدم
المادة منذ مبني على الضم ومذ على السكون ويكونان حرفي جر بمعنى في
فيجر ما بعدهما ولا يكون الا زمانا انت فيه نحو ما رايته منذ الليلة
ويكونان اسمين فيرفع ما بعدهما على التاريخ نحو ما رايته منذ يوم الجمعة
او على التوقيت نحو ما رايته منذ سنة اي امد ذلك سنة ولا تقول منذ سنة
كذا لانه لا يقع هنا الا نكرة وقال منذ للزمان نظير من للمكان
وناس يقولون ان منذ في الاصل كلمتان من اذ جعلتا واحدة وهذا لا
دليل على صحته هذا نقل الجوهري وقال الاستاذ القصار والغالب
على مذ الاسمية وعلى منذ الحرفية قلت ولم ار هذا النقل لغيره قال
ولا يكون ما بعدهما الا زمانا اما لفظا كما مثل او تقديرا نحو مذ قام
لحوه او منذ زيد امير اي زمن قام وزمن زيد فان كان اسم الزمان معهما
حالا فهما للغاية ولا بد من جره نحو مذ عامنا وان كان ماضيا معدودا فهما
للغاية ويجر ويرفع نحو مذ يومان ويومين اي امد انقطاع الرؤية يومان
وان كان الماضي غير معدود معرفة فهما لابتداء الغاية نحو مذ يوم الجمعة
اي اول انقطاع الرؤية يوم الجمعة ولا ينفعان اول الكلام حتى يقول ما رايته
او نحوه فان كان الكلام المتقدم منفيا فلا بد ان يكون ماضيا وان كان
موجبا زيد مع كونه ماضيا ان يكون متطاولا ممتدا نحو وجد صالحا

مذ رايته ولا تقل قلت زيدا مذ رايته قال ابو الحسن لو قلت رايته مذ يوم
الجمعة وانت تعني رايته يوم الجمعة ثم انقطعت الرؤية الى وقت اخبارك
لم يجز لان هذا التركيب في مثل وجدته عالما مذ رايته معناه وجدته
عالما اول زمن الرؤية الى وقت الاخبار وهو وقت ممتد ووجودك
ممتد مثله واذا قلت رايته مذ يوم الجمعة والرؤية منقطعة عما بعد يوم
الجمعة كان كذبا انتهى وفي التسهيل ان منذ اصل مذ وقد تكسر ميمهما
ويضافان الى الجملة مصرح بجزئيها او محذوف فعلها بشرط كون الفاعل
وقتا يجاب به متى او كم وقد يجران الوقت وما يستفهم به عنه حرفين بمعنى
من ان صلح جوابا لمتى والا فبمعنى في او بمعنى من والى معا وقد يغني عن جواب
متى في الحالين مصدر معين الزمان او ان وصلتها وليسا قبل المرفوع مبتدئين
بل ظرفين خلافا للبصريين وسكون ذال مذ قبل متحرك اعرف من ضمها وضمها
قبل ساكن اعرف من كسرها انتهى وانما اتينا بنصه لجمعه فروع الكلمتين
باختصار فقول الناظم ومنذ الزمت فيه حذف اسم زمان مضاف الى الجملة
الفعلية والعامل في منذ وجدت فهو متقدم في التقدير وهو من الماضي
المتطاول اي وجدته صلى الله عليه وسلم لخلاصي خير ملتزم منذ زمان
الزمت افكاري مدايحه وهي لابتداء الغاية لانها مع الزمن الماضي
غير المعدود تكون كذلك فان قدرت منه حرفا فالزمان المقدر مخفوض
بها وهي متعلقة بوجدت وان قدرته اسما كان مبتداء وخبره
اسم الزمان المحذوف وجملة الابتداء مرتبطة بما قبلها وليس لها
محل من الاعراب عند الاكثر وعند بعضهم في موضع الحال وعلى راى
ابن مالك فمنذ مع المعروف ظرف وانما قدمنا اعراب هذه الكلمة في ترجمة
الترتيب لان معناها لا يفهم الا بذلك الزمته الامر فالتزمه اي جعلته
لازما له ولزمت الشيء الزمه لزوما ولزمت به ولازمته والتزام الملازمة
وصار كذا ضربة لازم لغة في لازب والالتزام الاعتناق وسببه
سبة يكون لزاما كعظام والملزم بالكسر خشبتان تشد اوساطهما بحديد

تكون مع الضاقلة والافكار جمع فكر قيل وهو قوة في الانسان
يحصل بها التامل قلت يعني يحصل بها تامل الاشياء فيعلم او يظن ما يؤول
تؤول اليه من خير او شر وقال الجوهري التفكر التامل والاسم الفكر
والفكرة والمصدر الفكر بالفتح قال يعقوب يقال ليس في هذا الامر
فكر اي ليس فيه حاجة قال والفتح فيه افصح من الكسر وافكر في الشيء
وفكر فيه وتفكر بمعنى ورجل فكير كثير التفكر كفسيق قلت وقال
الاصوليون في حد النظر هو الفكر الذي يطلب به علم او ظن ذلك انه نعكس
لتساويهما فان الحد في المعنى من حيث الجملة هو المحدود ومعقول الفكر هو
النظر الذي يطلب به علم او ظن وفيه نظر لانه على هذا التقدير قد يقال انه
من التعريف بالمساوي الذي يجتنب في التعريفات المدايح جمع مديح وهو قليل
في باب فعيل وبابه فعيلة والمديح والمدحة والمدح الثناء الحسن وكذا
الامدوحة قال لو كان مدحة حي منشرا احدا احيا اباكن يا ليلى الاماديح
وتقدمت المادة وجد مطلوبه يجده بكسر الجيم وضمها لغة عامرية لا نظير لها
في باب المثال ومنه لو شئت قد نقع الفؤاد بشربة تدع الصوادي لا يجدن
غليلا والمصدر وجود ووجد ضالته وجدانا واوجده الله مطلوبه
اظفره به ووجد الشيء عن عدم فهو موجود مثل حم فهو محموم واوجده الله ولا يقال وجده
كما لا يقال حمه الخلاص النجاة من المشاق والمراد هنا الانقاذ من المهالك
الدنيوية والاخروية وكانه اسم للتخليص يقول خلصته من كذا تخليصا اي
فخلص خير تقدم وهو من صفات النبي صلى الله عليه وسلم لان الضمير المنصوب
بوجدت يعود ايضا اليه صلى الله عليه وسلم وعند بعضهم يعود
على مدحه ولعله يعني المفهوم من مدايحه وعلى هذا فخير من صفات المدح
وملتزم ان كان خبرا من صفاته صلى الله عليه وسلم فيصح فتح الزاي على انه
اسم مفعول وكسرها على انه اسم فاعل فات الشيء يفوت فوتا اي سبق فلم
يدرك والفوت الفوات فاته الشيء وافاته اياه غيره وموت الفجاءة
وجعل الله رزقه فوت فمه اي حيث يراه ولا يصل اليه وهو مني فوت الرمح

اى جئت لا يلقه الاقتيات افتعال من القوت وهو السبق الى الشئ دون ايثار
من يومه وتقوت عليه في ماله فاتربه الغنى بكسر الغين مقصوراليسار
ضد الفقر وممدود السماع وبالفتح والمد النفع والكفاية واليسار
او النفع هما المراد هنا تقول من اليسار غنى فهو غنى وتغنى استغنى
واغناه الله وتغانوا استغنى بعضهم عن بعض غنى به عنه غنيه وغنيت
المراة بزوجها غنيانا استغنت السيد تقدمت تربت فتقرب وتربت يد
بكسر الراء خاب وخسر واصله من ترب الشئ اذا لصق بالتراب وقال
الجوهرى ترب الشئ بالكسر اصابه التراب ومنه ترب الرجل افتقر كانه
لصق بالتراب وتربت يداه اى لا اصاب خيرا وتقدمت المادة والحيا مقصور
المطر والخصب وتثنيه حييان بيائين لان الحركة غير لازمة واحيا القوم صاروا
في الحيا وهو الخصب واحيا الارض فاحيتها اى وجدتها خصيبة يقال نبت البقل
وانبت بمعنى وانبته الله ايضا فهو منبوت على غير قياس وتقدمت المادة
الازهار جمع زهر بالفتح وازهر البيت ظهر زهره وتقدم الاكم بفتح الكاف
جمع اكمة وهى الربوة وقال بعضهم الجبال الصغار وقال الجوهرى الاكمة معروف
والجمع اكمات واكم وجمع الاكم اكام كجبل وجبال وجمع الاكام اكم ككتاب وكتب
وجمع الاكم اكام كعنق واعناق والمكمة الحجيرة والجمع المكام ارد مضارع
اراد واصله اريد سكن الدال للجزم ثم حذفت اليا لالتقاء الساكنين والاد
المشية واصله الواو لقولك راوده الا ان الواو سكنت فنقلت حركتها
لما قبلها فقلبت في الماضى الفا وفى المستقبل يا وسقطت فى المصدر لمجاورتها
الالف الساكنة وعوض منها الهاء فى اخره وتقدم شئ من المادة زهرهم الذ
تقدم قطفت معناه قطعت ومنه قطفت العنب قطفا والقطف بالكسر
العنقود وبجمعه جاء القران قطوفها دانية والقطاف وقت القطف والقطاف
بالضم ما يسقط من العنب اذا قطف كالجرامة من التمر واقطف القوم حان قطاف
كرومهم والقطف نبات رخص عريض الورق الواحدة قطفه تقال له بالفارسية
سرنك وقطفه يقطفه خدشه زهير بن ابى سلمى بضم السين واسم ابى سلمى

ربعه

ربيعة بن رباح المزنى شاعر مجيد من فحول شعراء العرب وهو احد الشعراء الثلاثة
وهو ابو كعب وبجير ابناء زهير الصحابيين رضى الله عنهما وابنه كعب
هو القائل يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بانت سعاد القصيدة
المشهورة والشعر فيهم وراثة وكان زهير يمدح هرم بن سنان ابن ابى حارثة
المرى وكان يصله بالصلات الجزيلة ومن مدحه له قوله من قصيدة اولها
قف بالديار التى لم يعفها القدم   بلى وغيرها الارواح والديم   وفيها ان
البخيل ملوم حيث كان   ولكن الجواد على علاته هرم   هو الجواد الذى
يعطيك نائله   عفوا ويظلم احيانا فيظلم   وان اتاه خليل يوم مسئلة
يقول لا غايب مالى ولا حرم   وله فيه قصايد شتى كلها فايقة واثنى اى
مدح يقال اثنى عليه خيرا والاسم الثناء وقال بعضهم الثناء يكون بالخير
والشر والاكثر استعماله فى الخير والثناء بتقديم النون فى الشر اكرم والخلوذ
تقدم لاوذ لجا والطوف لاذ به يلوذ لوذا او لياذا اى لجا اليه وعاذ به
اى طاف به واللياذ مصدر لاذ وذيلاوذا اى تستر واللوذ ايضا جانب
الجبل وما يطيف به والجمع الواذ ولاوذ القوم ملاوذة ولواذا لاذ بعضهم
ببعض ومنه قوله تعالى يتسللون منكم لواذا ولو كان من لاذ لقيل لياذا
وسواك بكسر السين وضمها وفيها لغة اخرى فتح السين والمد وحكى
بعضهم كسرها والمد وهى بمعنى غير يستثنى بها الا انها عند سيبويه لازمة النصب
على الظرفية وراى بن مالك انها تتصرف بوجوه الاعراب وان ذلك الاصح
فيها واتى على ذلك بادلة وشواهد وعند قال فى التسهيل للحضور او القرب
حسا او معنى وقال الجوهرى واما عند فحضور الشئ ودنوه وعينها بالحركات
الثلاث والكسر اكثر وتستعمل ظرف زمان او مكان بحسب ما تضاف اليه
نحو عند الليل وعند المسجد الا انها ظرف غير متمكن لا تستعمل غير ظرف
الا بالجر بمن وقد يغرى بها فتقول عندك اى خذ وهى فى النظم ظرفيتها
اى عند وقت حلول والحلول النزول وتقدم والحادث الواقع اى كان
وجوده مسبوقا بعدمه وقيل واراد به هول المحشر قلت والظاهر انه اراد

كل هول واقع في الدنيا والاخرة والحدوث كون شيء لم يكن واحدثه الله
فحدث وحدث امر اي وقع والحدث والحدثى والحادثة والحدثان كله بمعنى
العمم الظاهر انه بكسر الميم اسما على من عم الشيء عمما اذا طال واصله عمم
كفرح على صاحب الافعال عمت النخلة وغيرهما عمما اذا طالت فمعنى الحا
العمم اي الطويل من الرجال والنبات والجمع العم والعمم الطوال من النخل
انتهى وقال الجوهري شيء عميم اي طويل والجمع عمم كسرير وسرر وهل في هذا
دليل على ان فعله فعل بالضم فلا يصح ما ذكرته من انه بالكسر حتى يكون
الوصف منه بالكسر ايضا قلت لا لان فعيلا ورد في الوصف من فعل
المكسور اللام ذكره في التسهيل نحو حزن فهو حزين ومرض فهو مريض وفي
بعض الشروح زعم بعضهم ان الذي في البيت العمم بفتح الميم واسم من العموم
اي الى سواك عند حلول الحادث الذي يعم جميع الخلق قال ذلك الشارح
وهذا وان كان يتعين لكن الرواية بفتح الميم والعمم هذا هو الطويل
وكانه يقول الحادث الذي يطول امره قلت اتفقا على فتح الميم واختلفا
في التفسير وتفسير الثاني اقرب الى نصوص اللغة الا ان ادعاء فتح الميم
بعيد ولا يصح الا ان يكون من الوصف بالمصدر مبالغة على التاويل ويكون
الثلث في شكله ومن المادة اعتم النبت اذا اكتهل ويقال للشاب اذا طال
فلا عتم واستوى على عممه اي تمام جسمه وشبابه وماله ونخلة عميمة
ونخيل عم اي طوال وامراة عميمة تامة القوام والخلق ولن يضيق اي لن
لا يسعني شيء ويضيق عنك وصف بر درعا اي ضاق ذرعه به وتضايق
القوم اي لم يسعوا في خلق او مكان وضاق الرجل بخل واضاق ذهب
ماله وضيقت عليك الموضع وضاق الشيء يضيق ضيقا وضيقا والضيق
ايضا تخفيف الضيق والضوقى والضيقى تانيث الاضيق قلبت
الواو ياء لسكونها وضم ما قبلها الجاه والقدر والمنزلة وفلان ذو جاه
واوجهته ووجهته جعلته وجيها الكريم من اسمائه جل جلاله قيل معناه
ذو الجود فيكون من اسماء الافعال وقيل معناه العلي والعرب تسمي الشيء

النفيس الخطير كريما قالوا فيكون من صفات الذات وقالوا في تفسير العلي
هو استحقاقه سبحانه وتعالى لنعوت الجمال ولم يزل تعالى وجل عاليا
عليا ومن الافات والنقايص بريا وقال ابو حامد هو الذي اذا قدر عفا
واذا وعد وفى واذا اعطى زاد على منتهى الرجاء ولا يبالي كم اعطى ولا لمن
اعطى واذا رفعت حاجة الى غيره لا يرضى واذا جفي عاتب وما استقصى ولا
يضيع من لاذ والتجا ويغنيه عن الوسايل والشفعاء فمن اجتمع له ذلك
لا بالتكلف فهو الكريم المطلق وذلك لله تعالى وجل فقط وفيه اقوال
آخر تحلى تحلية اي اتصف وحلية الرجل صفته ويقرب منه حلية
السيف وجمعها حلى بالضم والكسر كلحية ولحى والتحلية في حقه تعالى تستحيل
ان تكون كما هي في حق البشر لان تجدد الصفة في حقه جل وعز وجل محال
والمعنى ان الكريم اظهر الانتقال كما سياتي تمام تقريره في التفسير انشاء الله تعا
وقال الاستاد القصار المعنى ان الكريم اوقع مسمى الانتقام بمن شاء من
خلقه اي بمدلول الانتقام والاسم هنا المسمى انتهى وسترى ما فيه من البحث
انشاء الله تعالى وقوله باسم اي بمسمى والخلاف في ان الاسم هو المسمى كما
هو مذهب اهل السنة او غيره كما هو مذهب المعتزلة والاستدلال للفريقين
والجواب عن الاحتجاج مشهور معروف ولا طائل تحته اذ الخلاف عند
المحققين لفظي المنتقم من اسمائه تعالى ومعناه المعاقب لمن عصاه وهو
من اسماء الافعال وانتقم الله منه اي عاقبه والاسم منه النقمة والجمع
نقمات ونقم كالكلمة وكلمات وكلم وان شئت سكنت القاف ونقلت
حركتها الى النون فقلت نقمة والجمع نقم كنعمة ونعم ويحتمل ان يريد الناظم
بالكريم والمنتقم الجنس والمراد من المخلوقين اي اذا الكريم انقلبت صفته
من الكرم الذي يشمل الصفات الحميدة التي من جملتها العفو والتجاوز وعدم
الاستقصاء في العتب على الجناية الى صفة الشح والتضايق واستقصاء
الحق وهي صفة الانتقام وذلك مما يرى من اهل القيمة فكل احد في ذلك
اليوم يشتهي ان يذوب له الحق ولو على ابيه وابنه واقرب الناس اليه يسكن

في استجلاب الثواب ودفع العقاب وعلى هذا الوجه يندفع الاعتراض الوارد
على الوجه الاخر الجود مصدر جاد الرجل بماله يجود جودا بالضم فهو جواد
وهم جود كقذل وقذل وانما سكنت الواو لانها حرف علة واجود وجاد
وجودا وامراة جواد ونسبة جود وتقرب من معنى المادة جاد الفرس صار
رائعا يجود جودة بالضم فهو جواد للمذكر والانثى من خيل جياد وشى جيد
والجمع جياد وجيايد بالهمز على غير قياس وجاد الشئ جودة وجودة
صار جيدا واجدت الشئ واجودته فجاد والتجويد مثله وجاودت الرجل
من الجود كماجدته من المجد وضرتها اى الاخرة لانها ضرة الدنيا لما بينهما
من التضاد لان من صرف عنايته الى احدهما اضر بالاخرى وضرة المراة
امراة زوجها سميت كل واحدة منهما ضرة لانها تضر صاحبها لما بينهما من التحاسد
والتنافس فشبهت الدنيا والاخرة بهما لما بينهما من التنافر الا انهما لا يجتمعان
لطالب واحد والضر بالكسر تزوج المراة ضراة يقال نكحت فلانة على ضر
اى على امراة كانت قبلها وحكى ابو عبد الله فيه الضم والكسر علومك جمع علم
ومن تعلمها اللوح هو اللوح المحفوظ الذى كتب الله فيه ما كان وما هو
كاين واللوح الكتف بالضم والهواء بين السماء والارض يقال لا افعله
ولو نزوت في اللوح اى في السكاك وقرا يحيى بن يعمر في لوح محفوظ قال
الزمخشري وهو الهواء اى الهواء الكاين فوق السماء السابعة الذى فيه
اللوح المحفوظ من الشياطين القلم هو الذى ورد في الحديث ان اول
ما خلق الله القلم فقال اكتب قال اكتب القدر ما كان وهو كاين الى الابد
التنبيه لما اخبر عن خسارة نفسه في تجارتها وتعجب من ذلك
وذكر موجبه وانه ممن غبن لبيعه الاجل بالعاجل كان ذلك كله معربا
للقنوط والاياس فعقبه بما يونس النفس ويرجيها في رحمة الله تعالى وذكر
عدته في ذلك وما يطمع فيه وهو الاعتصام بحبل الايمان بالنبي محمد صلى الله
عليه وسلم لان ال في النبي للعهد فانه سمه محمد وحده وبسنته الدين
يعني ايضا وميثاقه الذي لم يزل من دين الاسلام الذى جاء به صلى الله عليه وسلم

والتمسك

والتمسك بحبل شريعته فكانه يقول للنفس يا نفس وان استوجبت ذكر من العقاب
باجترامك ما ذكرت ولسانك بما اثبت من صارلك كالقلادة من الاثام
فلا تياسي مع ذلك فان لك جاها كريما وشافعا عظيما وهو رسول الله
صلى الله عليه وسلم والوصلة بينك وبينه كون عهدي ليس بمنتقض من دينه
فانه معتقد صحته ملازم له وكونه حبلي وهو السبب الدال على انه وفى
بميثاق الدين من الالتزام بعض العبادات كالتى بني عليها الاسلام وبلا
ان الملتزم لعقيدة الايمان ينجو بفضل الله من الخلود في النيران فكيف من
يلتزم مع ذلك امهات العبادات من مات وهو يعلم انه لا اله الا الله دخل
الجنة ومن كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة ومن مات لا يشرك بالله
دخل الجنة وان زنى وان سرق خمس صلوات كتبهن الله على العبد في اليوم
والليلة فمن وفى بهن كان حقا على الله ان يدخله الجنة الذين يقيمون
الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم
واولئك هم المفلحون رمضان الى رمضان كفارة لما بينهما والحج مبرور
ليس له جزاء الا الجنة فالحاصل والله اعلم انه اشار بقوله فما عهدي
بمنتقض من النبي الى اعتقاد الايمان وتصديق النبي صلى الله عليه وسلم
فيما جاء به وبقوله ولا حبلي بمنصرم يعني منه اى من دينه الى التمسك ببعض
العبادات من الفرايض ومن النوافل التى رجا بها مدحه صلى الله عليه وسلم
فان صح هذا الاحتمال لم يكن قوله ولا حبلي تاكيدا لقوله فما عهدي
على راى بعضهم فان قلت قوله فان لي ذمة البيت يبطل ما فسرت به العهد
والحبل فان اتيانه فيه بالفاء دليل على ان تفسيرهما وانهما بمعنى واحد
وانما ياتى تفسيرهما ان لو قال وان لي بالواو فان الكلام حينئذ يدل على
انها وصلة اخرى قلت بل الفاء انسب لما فسرت به والاتيان بها دليل
عليه وكانه قصد الاستدلال على ما ادعى من ان عهده من النبي لم ينتقض وكذا
ان حبله منه لم ينصرم على المعنى الذى قررناه الا انه يمكن تقريره على انه
دليل على الجملتين معا وعلى انه دليل على الثانية فقط اما الاول فكانه يقول

ان شككت في صدقي فيما ادعيته من الجملتين فاعتبر بما يظهر لك
على من التعلق بدمه في الظاهر فان لي ذمة ظاهرة وذلك تسميتي محمدا
كتسميته هو صلى الله عليه وسلم بذلك فاختياري التسمية باسمه دليل على
محبتي فيه فان احدا لا يسمي باسم الا وهو يحبه او يحب من يسمى به ومن نكره
الاسم او مسماه لا يسمي به الا ترى اليهود عليهم اللعنة لا يتسمون بهذا الاسم
الكريم لبغضهم فيه وان كان في الحقيقة كرامة من الله تعالى له صلى الله عليه وسلم
لصون اسمه عن السنتهم الخبيثة فالتسمية باسمه صلى الله عليه وسلم
دليل على محبته ومحبته تستلزم تصديقه ومن صدقه صلى الله عليه وسلم
فهذه منه لم ينقض او تصديقه هو ميثاق الايمان وهذه هي الجملة الاولى
وايضا التسمية باسمه تستلزم ترديد ذكره وذكره عبادة فكان يقول
الدليل على ان حبلي غير منصرم من اظهار دينه ترديدي لذكره الذي هو عبادة
ظاهرة وهذه هي الجملة الثانية اذا عرفت هذا تبين لك ان قول بعضهم
في هذا البيت والذي قبله انما ترجيه للنفس بالرجاء في رسول الله
صلى الله عليه وسلم من وجهين كونه من اهل ملته وكونه سميا له فالبيت الاول
للاول والثاني للثاني قال الا ان الواو انسب لهذا الشرح لان الفاء يعطي
انه شيء واحد وان الثاني تفسير الاول لقصير في التفسير فانه يلزم
عليه التكرار في جعل العهد والحبل بمعنى واحد واخراج الفاء عن موضعها
وجعل معنى البيتين معنى واحدا وقوله وهو اوفى الخلق بالذمم اي اذا
ثبت لي منه هاتان الذمتان مع عظم جاهه وعلو مكانته عند ربه
فلا اخاف ولا ابالي فانه اوفى الخلق بالذمم لا يسلمني الى العذاب ولا يضيعني
فهو قادر على تخليصي بالشفاعة التي اذن له ان يشفع بها في محبيه الكونين
اللهم ثبت لنا ما رزقتنا من الايمان به والمحبة واحشرنا يوم القيمة في
زمرته بجاهه صلى الله عليه وسلم عندك قال بعضهم قوله ان مستقبل
المعنى لانه شرط لان وهي تخلص الماضي للاستقبال فاجري المضارع وفيه
اغراء لنفسه بالعصيان في المستقبل وتحصيل لامره اتكالا على عهده

الذي لم ينقض من النبي وحبله الذي لم ينصرم منه قال والجواب ان هنا
غائية بمعنى لو فهي تصرف المضارع الى المضي نحو لم يسمعون كما سمعت كلامها
خروا للعزة سجدا وركوعا اي لو سمعوا والمعنى هنا اني وان اتيت الذنب فليس
ذلك بالذي ينقض به عهدي منه صلى الله عليه وسلم ثم قال واشار بقوله
هذا الى بطلان قول المعتزلة فانهم يرون لمدافعة الذنب تخرج عن الايمان
انتهى مختصرا وفيه امور الاول قوله فيه اغراء لنفس بالمعصية ليس كذلك
وانما يتم هذا الوالي بلفظ اذا فانها التي لتحقيق الوقوع فان فانما
يفيد الشك والشك في الشيء لا يستلزم وقوعه اي ان يتصور يوما ان
اتى الذنب فلا يكون ذلك موئسا لي من مغفرة الله تعالى بشفاعة من لم
ينقض عهدي من اصل دينه ولم ينصرم حبلي من فروعه كالتوبة وغيرها الثاني
قوله في الجواب ان غائية بمعنى لو لا اعرف من نص على ذلك في معاني ان غاية
ان تكون بمعنى لو الشرطية في صرف المضارع الواقع بعدها الى المستقبل
واما تسميتها اغيائية فوقع في كلام المعربين كثيرا ويستعملها العلماء كثيرا
كقول ابن الحاجب في كتابه الفقهي وعلى عصابة العصابة ان خافها في الغسل
والوضوء وان شدت بغير طهارة وكذا قوله ويؤكل ميتة البحر وان كانت
تعيش في البر اربعة ايام وكذا قوله في الاصول في حد القياس لانه صحيح
وان تبين الغلط والرجوع وكذا قول ابن مالك في التسهيل ولا يوعز
وزن مستوي فيه وان نقل من فعل خلافا لعيسى ويمكن ان يكون منه
قالت بنات العم يا سلمى وان كان عيبا معدما قالت وان وانما ذكرته
من الشواهد ليعلم ان المسماة بالاغائية هي شرط في الحقيقة فلا فرق
بينها وبين غيرها الا انها مقارنة للواو وهي في كلام الناظم بلا واو ثم
المقول فيها اغائية لا اغائية كما وقع في كلام من نقلنا عنه هذا الكلام
ثم انه قال ان المعنى اني وان اتيت وهذا التقدير لا يرفع شيئا مما اورد
فانها ان شرطية وهي تصرف الماضي الى الاستقبال وغاية ما فعل ان بدل
لفظ المضارع بالماضي واما معنى الاستقبال الذي هو مثير الاشكال

فلم يزل فان قلت كلامك يقتضي دخول ان على الماضي معنى وما تصنع في قوله تعالى
حكاية عن عيسى عليه السلام ان كنت قلته الاية وحكاية عن شاهد
يوسف عليه السلام ان كان قميصه قد الاية ولا يصلح في هذين الفعلين
الاستقبال لانقضاء وقوعهما قلت قد اجابوا عن مثلها بان المعنى ان تبين
اني كنت قلته وقد تقدمت الاشارة الى بعض ابحاث هذه المسئلة الثالثة
قوله اشار بكلامه الى بطلان قول المعتزلة الى اخره القائل بان الذنب يخرج
من اصل الايمان هم الخوارج ويعنون بشرط الموافاة على ذلك وعدم
التوبة واما المعتزلة فيقولون انه يوجب المنزلة بين المنزلتين لكن كلامه
في هذا قريب فان قلت وبماذا يعتذر عن الناظم فان كلامه لا يدل الا على
انه ان واقع الذنب في المستقبل فان رجاوه في الخلاص منه يكون عهده الى
ولما ما صدر منه في الماضي فلم يذكر رجاوه فيه قلت تقدم منا في قوله
وما حصلت الا على الاثام والندم ان كلامه يدل على انه ندم على ما فات منه
من الذنب والندم توبة والتائب من الذنب كمن لا ذنب له فهو بوعد الله
وفضله مغفور له ما مضى لتوبته فخواطر النفس والشيطان ان وسوست اليه
بما يوجب ياسه بسبب ما وقع من الذنب في الماضي دفعها بالتوبة والاحتفاء
الذي عبر عنهما بالندم لكن ربما وسوست اليه بان تقول هب ان توبتك
قبلت وذنوبك الماضية غفرت فما يومنك وانت معرض للفتن طول
حياتك ان تواقع الكبائر في المستقبل ثم لا تتوب حتى تموت فتهلك وهكذا ينبغي
ان يكون العبد حاله الخوف عليه فقابل ذلك بان يقول ان اتى الخ
وهذا وجه لا باس به ويحتمل ان يقال انما عدل الى التعبير بالصيغة
التي تستلزم المضارع لان في التعبير بالمضارع التنبيه على حضور الحالة
وذلك حيث يستعظم وقوع ذلك فكان المتكلم يقول للمخاطب تامل
وقوع هذه الحالة القريبة العجيبة كقوله تعالى والله الذي ارسل الرياح
فتثير سحابا مع ان مقتضى الظاهر يا حذ الراي فاثارت وكقوله فاضربها
بلا دهش تخر بصريعا لليدين وللجران وكان الناظم يقول دفعا للكل الخواطر

والوساوس تامل حالة وقوع الذنب وان عظمت لكونها مخالفة رب الارباب
فالعفو جائز عنها بفضل الله والاعتصام بذمة الرفيع المقام وهو النبي
عليه السلام معتصم قوي وفي كلام الناظم دليل على الترغيب في التسمية
باسمه صلى الله عليه وسلم لانها من الذمم التي يمت بها اليه في رجا شفاعته
صلى الله عليه وسلم وذلك يستلزم جواز التسمية باسمه صلى الله عليه وسلم
وقد اختلف العلماء في ذلك فمن مجيز التسمية باسمه والتكنية بكنيته
ومن مانع لهما ومن مجيز التسمية دون التكنية والثاني هو الظاهر من
مذهب عمر رضي الله عنه فانه قال لابن تسمى محمد لا اسمع محمدا يسب بك
ابدا وقالت الانصار للذي سمى ولده ابا القاسم لا نكنيك ابا القاسم ولا
ننعمك بذلك عينا والاول هو الذي ذهب لعله اليه الاكثر لتسمية كثير
من السلف بذلك والتكني به ووجه القول الثالث قوله صلى الله عليه وسلم
للذي نادى يا ابا القاسم فالتفت اليه صلى الله عليه وسلم فقال لم اعنك
يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسموا باسمي ولا تكنوا
بكنيتي ومنهم من اجاز ذلك بعد موته لا في حياته صلى الله عليه وسلم
لرفع هذا المحذور والخلاف في المسئلة اكثر من هذا ومن استوفى الكلام
فيها القاضي ابو الفضل عياض في الاكمال وجاءت اثار في فضل التسمي
بمحمد منها ما ذكر القاضي عياض رحمه الله عن شريح بن يونس انه قال ان
لله ملائكة سياحين عبادة كل دار فيها احمد ومحمد اكراما لمحمد صلى الله
عليه وسلم قال وروي عن جعفر بن محمد اذا كان يوم القيامة نادى مناد
الا ليقم من اسمه محمد فيدخل الجنة لكرامته صلى الله عليه وسلم وفي لفظ
آخر ينادي يوم القيامة يا محمد فيرفع راسه في الموقف كل من اسمه محمد
فيقول الله جل جلاله اشهدكم اني غفرت لكل من اسمه على اسم محمد
نبي وروى ابن وهب في جامعه عن مالك سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت
فيه اسم محمد الا ورزقوا وعن مالك ايضا قال صلى الله عليه وسلم
ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد او ثلثه وجاء خير الاسما ما عبد وحمد

وقال بعضهم قوله صلى الله عليه وسلم تسموا باسمي امر وحمله على الندب
ليس ببدع قلت لا يبعد ما قال لكن الظاهر انه للاباحة ودليله ما تقدم
في سبب الحديث وتقدم شيء من فضايل هذا الاسم الكريم عند قوله
محمد سيد الكونين والثقلين البيت قلت وانا والحمد لله دايما من له
منه صلى الله عليه وسلم دمة التسمية باسمه الكريم فنسئله جل جلاله
كما انعم على بهذه النعمة العظيمة ان لا يحرمني بركتها لا في الدنيا ولا في الاخرة
انه المنعم الجواد وقد اتفق لي في هذه التسمية اتفاقه يقوى من حسن الرجا
في بركتها والانتفاع بها انشاء الله تعالى اذ كانت اضطربت الى التسمية بها
وانقذت بها من مهلكة فكان الله سبحانه اختارها فضلا منه ومنه
وذلك اني على ما حدثتني به امي عايشة بنت الفقيه المحدث الصالح
القاضي الاعدل ابي العباس احمد بن الحسن بن سعيد المديوني قاضي الجماعة
كان بتلمسان المحروسة توفي في سنة سبع وستين وسبعمائه وكان من
المعمرين واجاز له الاستاذ الجليل ابو جعفر بن الزبير الاندلسي وحج
فلقي الشيخ اثير الدين اباحيان وجلال الدين القزويني وغيرهما واحد
من الاكابر رحمه الله ورضي عنه وكانت ابنته عايشة المذكورة من الصالحات
وقد الفت مجموعا في ادعية اختارتها وكان لها قوة في تعبير الرؤيا
اكتسبتها من كثرة مطالعتها لكتب ذلك الفن رحمها الله تعالى ورضي عنها
وغيرها اني كنت وانا ابن سنة اونحوها وهي سنة ست وستين وسبعمائة
اصابني مرض شديد اشرفت منه على الموت وكان من شانها وشان ابيها او
شانها انها لا يعيش لهما ولد ذكر الا في النادر لهما وكان يسموني
ابا الفضل اول الامر فدخل عليها ابوها احمد المذكور فلما راى ما بلغ
مني من المرض غضب عليها وعلى من معها وقال لها اقل لكم لا تسموه ابا الفضل
ما الذي رايتموه له من الفضل حتى يسموه ابا الفضل سموه محمد ولا اسمع
احدا ينادي بغير محمد لا تخلت بروفلت تتوعد بالادب قالت فحي وعجبا
فسميناك محمدا ففرج الله عنك وها انا الان قد جاوزت الاربعين وكلما

رحمه الله قصد التيمن والاستشفاء بهذا الاسم العظيم وانا اسئل الله جل
جلاله كما نجاني من ذلك الالم ببركة من سميت باسمه ان يحيني من مهالك
الدنيا والاخرة وان يختم لي ولاحبابي من اقارب وغيرهم بما ختم به لاوليائه
الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون نعم ولي من مولانا محمد صلى الله عليه وسلم
دمة اخرى وهو اني ساركته في الشهر والليلة الذي ولد فيها عليه
الصلوة والسلام فان ولادتي كانت ليلة الاثنين الرابع من شهر ربيع الاول
عام ستة وستين وسبعمائة لا حرمنا الله من بركة هذا القدر من الاتفاق
في الدنيا والاخرة بجاهه صلى الله عليه وسلم قوله ان لم يكن البيت لما
اخبر انه اعني صلى الله عليه وسلم من اكبر عدده عند الله تعالى التي يرجو
خلاصه من عقابه على ما اكتسب من الجرايم اخبر ان شدة الحاجة التي تلك
العدة انما هي في معاده ويوم حشره عند شدة الاحوال وعظم ما يعاين
من الاهوال فقال ان لم يكن النبي الذي ليس عهده بمنتقض منه ولا
حبلي بمنصرم منه ايضا وهو محمد صلى الله عليه وسلم اخذا بيدي في
يوم حشري مع ساير المخلوقات حتى لا ازال مع من يزل في تلك المضيقات
واخذه بيدي حينئذ انما هو مجرد فضل منه لا لسابقة مني استحق بها
اخذه بيدي فان المنة والفضل لله ولرسوله فقلت انت يا كل من يصلح
الخطاب والقول يا زلة قدم هذا الرجل في تلك المداحض لما كان عليه
من تضييع النوافل والفرايض وقوله والا شرط حذف فعله وجوابه لدلالة
السياق والعقل عليه اي والا كان اخذا بيدي في معادي فقل يا ثبوت قدمه
او يا سعادته او فوزه او نجاته او ما اشبه ذلك من المعاني وبعد هذا الشرح
لا يبقى عليك اشكال في فهم قوله والا فانه لم يزل يستشكل ووجه الاشكال
ان اصل الكلمة ان لا فادغمت النون في اللام ومعناه ان لا يكن ما ذكر فهي
لرفع ما تقدم فان وقعت بعد الثبوت فهي للنفي وان وقعت بعد النفي كما هنا
فهي للايجاب ثم قوله فقل جعله هذا المستشكل جوابا لقوله والا وقد كان
الاخذ باليد في قوله ان لم يكن منفيا فيجب ان يكون في قوله والا مثبتا

ولادة الامام المرزوقي في التلمسان وفي عام ست وستين وسبعمائة

اى وان لم يكن اخذا بيدى فقل يا زلة القدم وهذا لا يشك فى استحالته
فمن مجيب بان الرواية بتنوين والا اى فضلا فان يكن فى معادى وهذا
بين الاشكال فيه ان صحت الرواية ومن مجيب بان الرواية بتنوين والا
اى فضلا وعهدا من قوله تعالى لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة وهذا
كالذى قبله واخبرت عن بعضهم انه خرجه على عرف الناس اليوم فى
تخاطباتهم فانهم لا يريدون به ما يقتضيه القانون النحوى ولا ادرى
اى الناس الذين عرفهم هذا ورايت لبعضهم ان قوله والا توكيد كررها
حشوا للوزن والكلام مستقل دونها لان قوله لم يكن جواب فقل قلت
وهذا اضعف الاجوبة فانه جعل الشئ توكيدا لنقيضه لانا قررنا انها بعد النفى
للثبوت وكيف يؤكد النفى بالثبوت وهما نقيضان والعجب مما رايت فى
بعض الشروح ان معنى والا اى وان لم تاخذ بيدى زلت قدمى ثم قال
اخر كلام له وبهذا يندفع الاشكال ولا ادرى ما هو الاشكال عنده وهو فى
الحقيقة عين ما شرح به فان ما شرح به انما يصح مع رواية فان يكن اى
اما مع ان لم يكن التاكيد فليس بمعنى والا ما قدمناه وهو نقيض ما فسر به
ولعله لم يحقق معنى والا واصل بعد التكليف كله والتخليط ضيق العطن
فى علم اللسان وسيجئ فى فصل الاعراب تمام تحقيق ما بقى من هذه القواعد على
اعنى حذف الشرط والجواب او احدهما انشاء الله تعالى قوله حاشاه
البيت يحتمل حاشى هنا ان يكون اسما بمعنى المحاشاة كما تقدم فى الغريب اى
احاشيه محاشاة والمعنى اره محمدا صلى الله عليه وسلم من حرمان راجيه
او الراجى منه مكارمه او من رجوع المستجير به منه او الجار له غير محترم منه
بل لا يحرم الراجى مكارمه ولا يرجع الجار منه الا محترما او المعنى محاشاته
مما ذكر اى تنزيهه من حرمان الراجى مكارمه ورجوع الجار منه غير محترم
ثابت معلوم ويحتمل ان يكون فعلا اى حاشيته حرمان الراجى مكارمه و
رجوع الجار منه غير محترم والمقصود بهذا زيادة تسكين النفس من خوفها
وتطمينها من قلقها وزيادة تعظيم من اعد شفاعته لتخليصه من اهوالها

عن

عنه لا يجيب ورجاء يحصر ولا يخيب ويحرم يحتمل البناء للفاعل وفاعله
ضمير يعود على النبى صلى الله عليه وسلم ويحتمل البناء للمفعول وهو
الراجى فيكون على الاخير مرفوعا وعلى الاول منصوبا قد نصبه
للضرورة ويحتمل الهاء من مكارمه ان تعود على الراجى اى يكرم وهو
اى الراجى به قوله ومنذ الزمت البيت هذا كالدليل على قوة رجائه
فيه صلى الله عليه وسلم وانه لا يخيب فهو يقول الوسواس النفس
والشيطان ان خالجته قايلة ما يوصلك الى التمسك باذيال النبى
صلى الله عليه وسلم وانى تصل اليه مثلك من المخلطين العاصين
هذا لا اسمعه فانه صلى الله عليه وسلم بعث رحمة للعالمين وبابا
من ابواب رحم الراحمين الذى لا يغلق باب عن الطالبين جعله واسطة
بينه وبين خلقه واكرمهم والكريم لا يصد عن بابه احد ولذا قال
فى البيت قبله مكارمه وقال بعد يا اكرم الخلق فنبه بوصفه بالكرم
فى هذا المقام على ما ذكرناه واذا كان كذلك فكل من طلبه متمسكا
باذياله وجد وقد جربت ذلك بالحس والعيان فحصل لى
العلم الاستقرائى بانه على تلك الحالة فى كل زمان من دنيا واخرى وفى كل
مكان فانى منذ الزمت فكارى مدايحه اى من حين جعلت افكارى ملازمة
لمدايحه فى الدنيا متوسلا بها فى مطالبى العظيمة لطلبى الخلاص من الداء
العضال الذى لا يقدر على دفعه الا ذو الجلال ببركة محمد صلى الله عليه وسلم
خير الانبياء والارسال وجدته صلى الله عليه وسلم الخلاص من جميع الشدايد
التى تصيبنى ومن ذلك الداء خصوصا الذى اصابنى حين سقيت منه اركان
الحق هذا البيت فى القصيد بعد ما شفى والى لا ارجو الشفاء منه كما تخلصت
من غيره خير الاشياء التى كنت الزمتها مما يرجى بها باستعمالها الخلاص من
الشدايد من الامور الدينية كبعض الادعيه او الدنيوية كبعض الادوية
فان هذه اسباب يلتزم لرجاء الشفاء بسببها لكنه صلى الله عليه وسلم
خته او مدحه او التوسل به لو بر خيرها يلتزم من ذلك فهذا البيت بالجملة

سبب انشاء هذه القصيدة المباركة الشريفة

شكر الله تعالى على شفائه من العلة التي كانت به ان كان الحقه في القصيد
بعد برئه او تعريض منه بالحاجة التي توسل في نيلها بهذا القصيد ثم نالها
مطلوبه بعد ذلك وهذه العلة التي اصابته هي كانت سبب انشائه بهذه
القصيدة المباركة على الاخبر به رضى الله عنه كما حدث ذلك عنه غير واحد
انه قال سبب انشائي بهذه القصيدة انه اصابني خلط فالج ابطل نصفي ولم
انتفع بنفسي ففكرت ان اعمل قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم
واستشفع بها الى الله عز وجل فانشات هذه القصيدة ونمت فرأيت النبي
صلى الله عليه وسلم في المنام فمسح بيده المباركة على فعوفيت من وقتي وخرجت
من اول النهار فلقيني بعض الفقراء فقال لي يا سيدي اريد ان اسمع القصيدة
التي مدحت بها سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ولم اكن اعلمت بها احدا
فقلت وقد حصل عندي منه شيء واي قصيدة تريد فاني مدحته صلى الله
عليه وسلم بقصايد كثيرة فقال لي التي اولها امن تذكر جيران بذي سلم
والله لقد سمعتها البارحة تنشد بين يدي من وضعت فيه ورأيته صلى الله
عليه وسلم يتمايل كما يتمايل القضيب قال فاعطيته القصيدة فذهب وذكر
ما جرى بيني وبينه للناس فبلغت الصاحب بهاء الدين وزير الملك الظاهر
فاستنسخ القصيدة ونذر ان لا يسمعها الا حافيا واقفا مكشوف الراس
وكان يحب سماعها كثيرا ويتبرك بها هو واهل بيته وراوا من بركاتها امورا
عظيمة في دينهم ودنياهم ولقد اصاب سعد الدين الفارقي موقع الصاحب
هذا رمد عظيم اشرف منه على العمى فراى في منامه قائلا اما النبي
صلى الله عليه وسلم واما غيره يقول له امض لبهاء الدين وخذ منه البردة
واجعلها على عينيك تفق فنهض من ساعته وجاء الى الصاحب فقال له
ما عندي البردة وانما عندي مدح النبي صلى الله عليه وسلم انشاء البوصيري
فنحن نستشفي بها واخرجها ووضعها الفارقي على عينيه وقرأت وهو
جالس فعوفي من الرمد لوقته وبركة هذه القصيدة كثيرة فلتقرأ عند طلب
الحاجات ونزل المهمات فانها عظيمة البركات نفعنا الله بها وعن قبلتنا

بركة هذه القصيدة كثيرة فلتقرأ عند طلب الحاجات

صلى

صلى الله عليه وسلم ورضي عن اله واصحابه في الدنيا والاخرة انه سميع الدعا
واقتدى الناظم في استشفائه برسول الله صلى الله عليه وسلم بالاعمى
الذي لا يرجى برؤه نطق بالصحابي رضي الله عنه انه كان اعمى وسئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعوا الله في رد بصره عليه فامره
صلى الله عليه وسلم ان يتوضا ويصلي ويدعو بالدعاء الذي علمه
وفيه التوسل به صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى في ان يرد بصره عليه
فقبل الله سبحانه وتعالى توسله به صلى الله عليه وسلم ورد عليه بصره
ذكره القاضي ابو الفضل عياض في كتاب الشفاء فقوله ولن يفوت الغنى
البيتان ومع كونه صلى الله عليه وسلم مرجو الخلاص من الشدايد ومخلصا
منها لا يقتصر على ذلك بل يخلص من الشدايد في الدنيا ومن عذاب النار
في الاخرى وينيل الغنى في الدنيا والجنة في الاخرى فلن يسبق الغنى
منه يدا افتقرت او حترت ما كان بيدها اما من الاموال في الدنيا
فمن تعلق به يجبره واما من الثواب لا فتراقه المعاصي فهو يشفع فيه
ويدخل الجنة فغناه صلى الله عليه وسلم لا يسبق اليد المفتقرة بل يلتقيها
ويصاحبها مهما طلبته ولا يبالي ان المفتقر من المال ومن الحسنات
يعيان يستغني بالمال او بالثواب ولما لم يكن له راس مال ولا عمل
صالح فانه غير قابل لذلك لان فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنده عظيم فببركته يخصب المحل المحل الجديب حتى يصير اخضر
مانعا فانه كالحيا اي المطر الذي اذا توالى ينبت الازهار حتى في الاكم
التي قد يقال انها لا تقبل استقرار الماء فيها لارتفاعها واقتداره منها اي
كما ان الحيا ينبت الازهار في المواضع التي لا يظن ان ينبته فيها كالاكم لعموم
بركته فكذا هو صلى الله عليه وسلم لعلو منزلته وشرف قدره عنده ينيل
الغنى من يظن ان لا يستغني لشدة فقره وفاقته واذا كان المطر ينيل الدنيا بهجتها
من بركته صلى الله عليه وسلم علمت ان تشبيهه بالمطر انما هو على سبيل التقريب
للافهام وجريا على عادة الشعراء في تشبيه الكريم بالحيا والا فالاولى ان

التمثيل بمثل قول الآخر   من قاس جدواك بالغمام   فما انصف
في الحكم بين شكلين   انت اذا جدت ضاحك ابدا   وهو اذا جاد دامع
العين   على ان هذا كله لا يخلص في هذا المقام فانه ارفع من كل مقام
على ان الناظم رحمه الله تأدب في عدم التصريح بالتشبيه وانما ذكر ما عنه
يستدل بما تضمنت من التشبيه على مقصوده فكم من فقير في الدنيا اغناه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدم من ذلك في ذكر خلقه صلى الله
عليه وسلم ما يشير الى بعض النوازل واختصر جميع الوقايع والنوايل واعتبر
بما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم والعرب بل وجميع الامة من الفقر وبآل
امر الجميع من الملك والغنى قال صلى الله عليه وسلم تالله ما الفقر اخشى عليكم
ولكن اخشى ان تنافسوا فيها واما اناله الغنى يوم القيمة والاخراج
من النار وادخال الجنة فيكفيك في ذلك ما في حديث الشفاعة والتجاء
الخلايق كلهم اليه صلى الله عليه وسلم بل اخبر صلى الله عليه وسلم ان رجلا
من امته يدخل الجنة بشفاعته اكثر من ربيعة ومضر فكيف به صلى الله
عليه وسلم   اللهم اغننا به في الدنيا والاخرة بمنك وفضلك قوله ولم
ارد زهرة الدنيا البيت هذا البيت ادل دليل واقواه على صدق اعتقاد
هذا الناظم رحمه الله تعالى ورضي عنه فانه لما علم علما يقينا لا يخالجه
السكون ان من تعلق باذياله صلى الله عليه وسلم وتوسل الى الله تعالى بجاهه
يظفر بالمطلوب وينيله منه مولاه المنى والمرغوب وعلم يقينا انه صلى الله
عليه وسلم انما كان يرغب في تحصيل المطالب الاخروية وان التمتع باللذات
الدنيوية ينقص حظه من لذات جنته الاخروية وكان قوله ولكن يقول الغنى
تعريض بالطلب بادر لمن يسمعه برفع ما يتوهم عليه من ازدياد في ثواب
امداحه له صلى الله عليه وسلم شيئا من غنى الدنيا بهذا البيت العظيم فقال
لا يتوهم اني اتعرض بامداحه صلى الله عليه وسلم العظيمة الجزاء عند الله
الى نيل شيء من متاع الدنيا الحقير فاني اجل مقدار امداحه عن ذلك اذ لا يتوسل
بالعظيم الا لنيل العظيم فانا لم ارد بما توسلت به من امداحه صلى الله عليه

نيل زهرة الدنيا ونضارتها التي تروق الابصار ولا يصلح للادخار
فانها سريعة الزوال قريبة الاضمحلال ولذا سماها الله تعالى زهرة الحيوة
الدنيا تشبيها لها بالزهر الذي لا يدوم التمتع به بل يتغير سريعا ويعود
للحين ضريعا ولوصفها الله تعالى اياها بذلك فقدى الناظم وقوله التي
قطفت الى آخره اي انما يتوسل بمدحه الى قطف زهرة الدنيا بيدين من
ممدوحه مثل زهير بن هرم بن سنان تخير الحقير في نيل حقير واما المتوسل
المحب في رسول الله صلى الله عليه وسلم العظيم المنزلة عند الله فانه يتوسل
بالعظيم من امداحه صلى الله عليه وسلم الى عظيم العظما وهو الله جل جلاله
او الى عظيم وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في امر عظيم وهو السلامة
من النيران والتنعم بنعيم الجنان وهذه المطالب الاخروية وهذا الذي
ذكر الناظم من انه لا يتوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم في نيل متاع الحقير
الدنيا هو الذي كان يحرص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرغب فيه
كقوله صلى الله عليه وسلم لعلي وفاطمة رضي الله عنهما حين اتت فاطمة
رضوان الله عليها تسأله خادما الا ادلكما على ما هو لكما افضل من خادم
اذا اخذتما مضاجعكما ان تسبحا الله الحديث ومنعه صلى الله عليه وسلم
الرجلين من اهل بيته الذين سألاه العمل ليصيبا ما يتزوجان به ما طلبا
وامر من يزوجهما وقوله صلى الله عليه وسلم لزوجته ام حبيبة وقد سمعها
تقول اللهم متعني بزوجي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبابي ابي سفيان
وباخي معاوية سألت الله لآجال معدودة وارزاق مقدرة ولو سألت الله
ان يعيذك من عذاب القبر وعذاب في النار لكان اولى وكقوله صلى الله
عليه وسلم لعمر رضي الله عنه حين دخل عليه في المشربة واثر السرير
في جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى عمر رضي الله عنه حين لم ير
في البيت غير اهب ثلثة وقرظ فقال له صلى الله عليه وسلم ما يبكيك
فقال يا رسول الله فارس والروم بما هم فيه من النعيم وانت رسول الله
على هذه الحالة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا فجلس وقال

او فى شك انت يا ابن خطاب اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخرة فقال
استغفر لي يا رسول الله وقال عمرو عبد الله بن عوف رضي الله عنهما منا من اينعت له
ثمرته فهو يهديها ومنا من لم ياكل من اجره شيئا منهم مصعب بن عمير مات
يوم احد فلم نجد ما نكفنه به الا نمرة كانت عليه اذا غطينا بها راسه بدت
رجلاه واذا غطينا رجليه بدا راسه فامرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فغطينا بها راسه والقينا على رجليه من الاذخر فرايا رسول الله عنهما
ان من فتح له شيء من الدنيا فقد اكل من اجره حتى ان طلب دفع بلايا الدنيا
مما ينقص من اجر الاخرة فقد قال صلى الله عليه وسلم للمراة التي كانت تصرع
وطلبت منه ان يدعو الله تعالى لها ليكشف ما بها ان شئت دعوت الله
لك فيكشف ما بك وان شئت صبرت فيعظم اجرك فقالت اصبر ولكني
انكشف اذا صرعت فادعو الله الا انكشف ففعل صلى الله عليه وسلم
فلم يكشف بعد وهذا كثير فان قلت ان الناظم لم يعتد بهذه المرتبة بل توسل
بهذا القصيد في كشف ما به من الضر وايضا كشف المضرات الدنيوية من زهرة
الدنيا فكيف طلبها وهو يقول لم ارد زهرة الدنيا قلت لا شك ان الصبر
على البلاء مقام عظيم لكنه مقام الاكابر وليس كل احد يقدر عليه ولذا
قال صلى الله عليه وسلم اذا سالتم الله شيئا فسالوه العافية وقال
حين ناله من اهل الطائف ما ناله ودعا الله تعالى ولكن عفوك اوسع لي
وقال للصحابي الذي صار من المرض كالفرخ هل لا سالت الله العافية فان
المبتلى قد لا يصبر لشدة الالم فيخاف عليه الفتنة ولان التمكن من عبادة
الله تعالى انما يستقيم من عامة الناس مع صحة الجسم ولذا كان في الدعاء
الماثور اللهم متعنا باسماعنا وابصارنا لخدمتك وفي بعضها واجعل
ذلك الوارث منا فالناظم رحمه الله طلب كشف البلاء ليستعين
بصحة جسمه على عبادة ربه فيكثر اجره في الاخرة ومخافة ان لا يفتتن
من شدة البلاء فيضيع العبادة ويؤول به الحال الى شيء آخر فسال الله
العافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والاخرة وانما تبرا من زهرة

الدنيا المطغية التي توجب نقص حظ الاخرة واما القدر الضروري به
يتقوى على العبادة فلا بد منه وسواله من الله تعالى مرغب فيه قال
صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وفي بعض مناجاة موسى
عليه السلام يا رب اني استحيي من سؤالك الدنيا او كلام هذا معناه
فقال الله تعالى يا موسى لا تفعل بل اسالني حتى ملح عجينك وعلف
شاتك وعن بعض السلف واظن ابن عمر رضي الله عنهما كان يفعله انه
كان يسال الله تعالى في صلوته علف حماره وهذا كله محمول على القدر
الضروري لا الكثير الفائت ودعاؤه صلى الله عليه وسلم لانس رضي الله عنه
وغيره بالغنى نادر مع ان في دعائه لانس وبارك له والبركة تستلزم
نفي الفتنة ولانه راى صلى الله عليه وسلم ان ذلك لا يضرهم وفي هذا
البيت تفسير آخر ورواية اخرى وهي قطعت بالعين مكان الغا انظره
في ترجمة الاعراب قوله يا اكرم الخلق البيت من قوله ان آت ذنبا الى هنا
هو ثناء عليه صلى الله عليه وسلم ومدح على سبيل الاخبار عن الغايب
فلما ذكر من اوصافه الكريمة ما ذكر بحسب ما فتح الله عليه منها التفت بالتوجه
اليه ومبتدا بالخطاب عليه فقال اياك اعني وانت اردت يا اكرم الخلق
يا محمد فاني ليس لي من الجا اليه واعتصم به عند حلول الخطب الملم والامر
المدلهم ونحو وقوع الحادث الطويل كربه الشديد مسمعه وحطمه
وهو حادث يوم القيمة يوم الحسرة والندامة سواك وسوى جاهك
وحرمتك عند مولاك فان ذلك مقام لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من
اتى الله بقلب سليم ومن عاد بجاهك الرفيع العظيم قال بعضهم يحتمل ان
يريد يا اكرم الخلق على الله او يا من هو من المخلوقين ذا كرم على كل مخلوق
او المعنيين جميعا اي يا كريما في ذاته كريما على ربه كريما فايقا في التوجه
كرم الخلق كلهم قال لكن بهذا الاحتمال انما يصح على راي الشافعي في تعميم
اللفظ المشترك انتهى وهو حسن قوله ولن يضيق البيت اي لن يضيق
يا رسول الله جاهك بي اي عني وبسببي في كوني التجات اليه في التوسل به

لاستنفاد كمما استحقه من العقاب او المعنى ليس لا يسعني جاهك لان ضاق
بمعنى لم يتسع ولن يعنيه ونفى النفي اثبات فلذا كان المعنى بل جاهك الرحب
الواسع يسعني وسيع كل مذنب عاص من المؤمنين مثلي في الاستنقاذ من
وقوع الهلاك او في الخلاص منه بعد الوقوع فيه وتلك السلعة الموصوف
بها جاهك ومقامك هي في اعظم مقامات الشدايد واصعبها وذلك حين
يوقع الله مولانا سبحانه وتعالى الانتقام بالعصاة وبظهره وهو يوم القيمة
فان كلا من المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين حين يلتجأ
اليهم في الشفاعة للازاحة من طول الموقف يقول نفسي نفسي ويخبر كل منهم
عن الله تعالى بانه غضب اليوم غضبا لم يغضب مثله قبله ولا يغضب مثله
بعد وانت صلى الله عليه وسلم يقول امتي امتي حسبما تضمن ذلك حديث
الشفاعة والمراد بغضب الله تعالى ايقاع العذاب بمستحقيه فهو من صفات
الافعال او هو معنى وصفة بمنتقم فقوله في الحديث لم يغضب مثله اي لم
يعاقب قبل ذلك اليوم مثل ما عاقب فيه فانه سبحانه وتعالى تجاوز عن عباده
في الدنيا وحلم عليهم فلم يعاجلهم بالعقوبة مع عظيم ما اتوه من الذنوب
بل عاملهم سبحانه وتعالى بضد ما يستحقونه من الصحة والعافية ووسع عليهم
في ارزاقهم وسخر لهم البلاد والعباد وهذه ثمرات وصفه صلى الله عليه وسلم
بالكريم على ما تقدم في تفسير انه من صفات الافعال فتحصل ان الكريم والمنتقم
والمنتقم من اسماء الله تعالى هما من صفات الافعال والمعنى لا يضيق جاهك
في المواطن او الزمن الذي يخلق الله فيه من الانتقام ما لم يكن خلقه قبل ذلك
فان قلت في كلامه اشكال كبير وقلق عجيب لان قوله اذا الكريم تجلى
يقتضي ان الكريم يتصف في الزمن المستقبل بمنتقم لان اذا للاستقبال
ولان تجلى في حيزها والماضي الذي في سياق الشرط مستقبل المعنى فمعناه
فمعناه يتصف بالمستقبل وصفات الله سبحانه وتعالى قديمة لم تزل ولا تزال
هذا هو الاشكال واما القلق ففي قوله باسم منتقم فان الاسم عند اهل السنة
هو المسمى فسبح اسم ربك اي ذاته فالكريم في البيت بمعنى المسمى واسم

المسمى ايضا ومنتقم بمعنى المسمى فيكون التقدير اذا اتصف المسمى الذي هو
الكريم بمسمى الذي هو الاسم المسمى الذي هو منتقم وهذا كما ترى وايضا
يوذن كلامه باجتماع صفتي الفعل المتضادين في وقت واحد فان المراد
بالكرم التجاوز او ما يتضمنه والمراد بالانتقام المواخذة بالذنب ولا يتاتى
اجتماعهما في الوقت الواحد في المحل الواحد قلت اذا تقرر ان الكريم في
وجه والمنتقم صفتان فعليتان فالكريم من له الكرم والمنتقم من له الانتقام
كما ان الخالق من له الخلق والصفة الفعلية لا يرجع من معناها الى الفاعل
معنى قايم به هذا هو الصحيح من مذهب اهل السنة وهو مذهب ابي الحسن
الاشعري ولذا قال ائمتنا رحمة الله عنهم لا يتصف البارى تعالى بكونه خالقا
في الازل اذ لا خلق في الازل لا مجازا وقال ابو الحسن من اسمائه تعالى ما يقال
انه غيره وهو كل ما دلت التسمية به على فعل كالخالق وذهب بعض ائمة
اهل السنة الى ان كل اسم هو المسمى بعينه فالخالق هو الاسم وهو الرب
تعالى وليس الخالق اسما للخلق ولا الخلق اسما للخالق والمرضي طريقة
الشيخ ابي الحسن نقل القولين الامام ابو المعالي في الارشاد وغيره فكلام
الناظم على طريقة الشيخ لا اشكال فيه نعم يبقى النظر في قوله تجلى فان معناه
يتصف كما تقدم ونحن فقد قلنا انه لا يرجع من الصفة الفعلية الى الفاعل معنى
فنقول ضمن تجلى معنى دعى اي يدعى في ذلك المقام باسم منتقم واما على غير
طريقة الاشعري فكلامه مشكل ويمكن ان يقال ان قوله اذا تجلى الكريم
باسم منتقم يجوز فيه باطلاق التجلي على اظهار صفة الانتقام وفيه ما لا يخفى
واما القلق فيزول اذا قلنا ضمن تجلى معنى دعى وبالجملة لو بدل هذه الالفاظ
بغيرها لكان اولى فان المقام ضيق واذا قلنا ان المراد بالكريم والمنتقم جنس
من اتصف بالوصفين من المخلوقين اي اذا اتصف من شانه الكرم والتجاوز
عن الهفوات بعد لو الاسم منتقم اي تبدل صفاته من الكرم الى الانتقام
والاخذ بالجرايم لشدة الامر كما قدمنا ذلك كله في فصل الغريب زال جميع
الاشكال وهو وجه حسن لا تكلف فيه والله تعالى اعلم وقال بعضهم

ان قوله لن يضيق اذا الكريم تقييد وجاهه صلى الله عليه وسلم لا يضيق به
في كل وقت واجاب بانه من مفهوم الموافقة اي اذا كان لا يضيق حينئذ
فبان لا يضيق في غيره احرى وقال ايضا الا حفظ المتقدم ورد عنه عليه السلام
في اسمائه تعالى ثم في القرآن فينعم الله منه قال ولعله على مذهب من يجيز
اطلاق ما لا يوهم من الاسماء وان لم يرد به سمع قلت اورده جماعة ممن تكلم
في شرح اسماء الله الحسنى وتكلموا عليه وهذا البيت يحتمل من الكلام
اكثر من هذا وانما اثرنا الاختصار قوله فان من جودك البيت اي انما يضيق
جاهك بي لانه جاه عظيم ومقامك مقام كريم فان لك جودا بعضه نعيم
الدنيا والاخرة او من اجله وجدت الدنيا والاخرة او من اجله وجد
نعيمهما ولك علوم بعضها علم اللوح والقلم او من اجلها كان علم اللوح والقلم
اما اللوح المحفوظ والقلم المخلوق او المخلوقات او جنس اللوح والقلم
وهي التي يكتب فيها وبها الخلائق فان قلت ظاهر قوله فان البيت تعليل
لكون جاهه صلى الله عليه وسلم لا يضيق عنه وذلك في الجود ظاهر واما
في العلم فغير ظاهر حتى قال بعضهم ان قوله ومن علومك ليس معطوفا على
من جودك وانما هو مستانف للمدح وعلم اللوح مبتداء قلت الجاه القدر
والمنزلة كما تقدم والعلم من اكبر اسباب علوهما ولذلك كان شرطا في المناصب
الشريفة كالامامة العظمى والقضاء وامامة الصلوة وقال تعالى
حكاية عن يوسف الصديق اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فذكر
من الاوصاف ما يستحق به ذلك وادلته هذا اشهر من ان تذكر وايقن للجاهل
وان كبير القوم لا علم عنده صغير اذا التفت عليه الجحافل فان قلت ما ان
الدنيا والاخرة بعض جوده صلى الله عليه وسلم او من اجل جوده فظاهر على
ما ورد لولاه ما خلقت جنة ولا نار واما ان علم اللوح والقلم من اجل
علومه فمشكل لان الله تعالى كتب في اللوح علم الكائنات التي من جملتها الخمس
التي استاثر الله بعلمها كما في الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم في خمس من الغيب
لا يعلمهن الا الله ثم تلا ان الله عنده علم الساعة الاية فالنبي صلى الله عليه وسلم

من المخلوقين

من المخلوقين لا يعلم هذه الخمس فكيف يكون ما تضمنها بعض علومه فيتعين
ان يكون المراد باللوح والقلم في كلامه جنسهما من الالواح والاقلام التي
يكتب فيها وبها الخلائق علومهم كما ذكرتم ثانيا قلت لا نسلم ان هذه الخمس
ما كتب في اللوح المحفوظ اذ لو كانت مما كتبت فيه لاطلع عليها بعض الملائكة
المقربين عليهم السلام ممن شانه ان يطلع على اللوح الكريم ولئن سلم انها فيه
وان الله لم يطلع عليها احدا وان كانت فيه فالمعنى وبعض علومك علم اللوح
والقلم الذي يطلع عليه المخلوق وفي بعض الشروح ان قيل اذا كانت
الدنيا من جوده فلم حرم منها كريم من امته ونالها كثير من الكفار قيل الاضافة
للمفعول اي من جودك الذي يجود عليك والله تعالى جاد عليه بالدنيا ففتح
عليه منها ما فتح ونصره بالرعب واحل له الغنائم وجعل الارض مسجدا وطهورا
وعرضت عليه جبال تهامة ذهبا وفضة واما الاخرة فهو صاحب الحوض المورود
واللواء المعقود والشفاعة العامة فان قيل اذا كان بعض علومه علم اللوح والقلم
فما البعض الاخر قيل لا نسلم كون من للتبعيض حتى يرد هذا السؤال فالمعنى ان
علم مادة اللوح والقلم التي خلقا منها من بعض معلوماتك فانه صلى الله
عليه وسلم وصل الى مستوى يسمع فيه صريف القلم في اللوح فقد تكون رؤيته
اللوح بما فيه بعض معلوماته او نقول البعض الاخر ما اخبر عنه من احوال الاخرة
مما ليس في اللوح لان القلم انما كتب في اللوح ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة
قلت وهو كلام فيه ابحاث في مواضع تركناها خشية الملل المعاني
التعبير بان التي للشك في قوله ان آت تقدم وجهه وعبر بالفعل في آت
تنبيها على ان اتيان الذنب يتجدد وينقطع وبالاسم في ينقض وينصرم تنبيها
على ثبوت التمسك بالايمان وبعض العبادات واستمرارها وفيه فائدة ثانية
معنى ونفي الفعل ابلغ لان نفي الجنس يستلزم نفي النوع وتنكير ذنبا للتكثير
والتعظيم اي كثيرا عظيما وللنوعية ايضا لان معناه نوع من الذنب مغاير
للشرك لان الشرك لا يغفر واضافة عهد وحبل للاختصاص وتعظيم المضاف
اليه وتنكير منتقض ومنصرم للتقليل وان كان من النبي صفة له ففيه النوعية

وزيادة الباء في بمستعصم ومتصرم للتقليل وال في النبي للعهد وتقديم
في فان لي للاهتمام وفا فانه للاشعار بعلية ما بعدها لما قبلها وتنكير
ذمة للتعظيم والنوعية لوصفها وتقديم المسند في وهو للاهتمام
وشبه تقوي الحكم وجملة وهو اوفى الخلق بالذمم من التذييل وال
في الخلق والذمم للجنس وجمع الذمم لاختلاف اعراض الخلق واضافة
معاد للاختصاص وتنكير ضلال للتعظيم وهو احتراس وقوله والا
من يحان الحذف اي وان كان اخذا فقد فزت وتقدم والخطاب نح
قل من الخطاب العام ونداء لزلة للتعجب وهو للندبة وفي ضمنه عظم
الامر النازل به وال في القدم للعهد اي قدمي حاشاه ان كان فعلا
فهو يفيد الحدوث والتجدد وان تلك الصفة التي تنزه عنها تتجدد له
بحسب القوة والتعبير بقوله ان يحرم ويرجع يرجح الاول ولو كان اسما
لقال حرمان ومكارمه وغير محترم بالعكس في الترجيح وال في
الراجي والجار للجنس وعبر بالاسم فيهما لتحقيق ثبوت مدلولهما واضاف
المكارم الى ضميره صلى الله عليه وسلم لان المكارم من صفاته وان كان
في الحقيقة على حذف مضاف اي اثرات مكارمه ولما كان الاحترام فعلا
من افعاله لم يضفه اليه بل قال منه وهذا على ان ها مكارمه تعود عليه
صلى الله عليه وسلم وجمع الافكار تنبيها على انه لا فكر له الا وهو يدله
على ان طريق نجاته مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجمع المدائح لكل
اي كل نوع منها سبب في النجاة او تنبيها على انها لا تتناهى ولذا جمعه بصيغة
الجمع الذي لا نظير له بخلاف افكاره لما كانت متناهية لاسيما باعتبار
مدحه صلى الله عليه وسلم فانه لا يفكر في نوع من المدح الا وهو دونه وما وقع
منه فلذا جمعها جمع قلة اذ لا يحيط افكاره بانواعها وهذا المعنى مقرر
في قوله فما تطاول امال المديح البيت وقد مر تخلصه على خير ملتزم للعناية
والاهتمام بذكره في هذا المقام والرغبة في طلبه وحصوله وفي الثاني
نظم وقوله ومنذ الزمت البيت هو كالتذييل للبيت قبله ونفي قوة

الغنى للبيد التربة بلى لتاكيد الخبر فانها اكد من لا لاسيما عند من يرى انها
للتابيد والنفي الغنى يحتمل الحقيقة وبالجنس وقدم منه على يدا لانه اهم وتنكير
يدا للعموم لانه نكرة في سياق النفي او للتقليل اي وان قلت فلا يخطيها
او للتكثير اي وان كثرت فلا يغني بها او للاجرين او للنوعية لوصفها
وجملة ان الحيا مستانفة جواب سؤال مقدر اي لم قلت ذلك فقال لانه
يشبه الحيا والحيا ينبت الى الحزم وال في الحيا والازهار والاكم للجنس
واكد الحيا بان لان الخطاب مع المنكر او الطالب السائل ولما اراد بالازهار
متاع الاخرة جمعها بينها على كثرتها وعدم تناهيها باعتبار المنتهى ولما كان
متاع الدنيا قليلا وحدته اتى بها بصيغة المصدر المختوم بالهاء
للدلالة على المرة كانها مرة واحدة واضافها الى الدنيا تحقيرا لها وانها
ليست بزهرة الا بالاضافة اليها واما نعيم الاخرة فازهار في نفسها لا باضافة
والنداء في قوله يا اكرم الخلق التفات كما قررنا في التفسير وال في الخلق
للجنس عند من يرى الانبياء افضل من الملائكة على الجميع السلام او للعهد
عند من لا يراه والقصر في قوله ما لي من الوذ به سواك حقيقي وهو من قصر
الصفة على الموصوف والابهام في من الوذ للتعظيم سواء كانت موصولة
او نكرة موصوفة وال في الحادث للعهد والنفي بلي في لن يضيق مسألة
ولن يفوت ورسول الله منادى وليس هو التفاتا من الخطاب الى
الغيبة لانه من ايقاع الظاهر موقع المضمر الذي هو المخاطب لان الفاعل
وال في الكريم اما للعهد او للجنس كما تقدم البيان تسمية الايمان عهدا
الظاهر انه حقيقة وتسمية ما تمسك به من فروعه حبلا الظاهر انه مجاز من
نوع الاستعارة منه لان العبادات لما كانت سببا في نيل الثواب يتوصل بها اليه
اشبهت الحبل الذي يتوصل به الى الاشياء البعيدة ولما كان اطلاق العهد
على الايمان حقيقة كان وصفه بنفي الانتقاص كذلك تشبيها لقطع الاثابة
بها بانقطاع الحبل واطلاق الذمة على التسمية بالاسم يحتمل الحقيقة والمجاز
وتسمية الانقاذ من الهلاك بالاخذ باليد والوقوع فيه بزلة القدم الظاهر

انه من باب الاستعارة بالكناية او من المجاز المركب المسمى بالتمثيل ويحتمل ان
يكون من استعارة محسوس لمحسوس وهو الاظهر او من استعارة محسوس
لمعقول والظاهر في الفاظ الراجي والمكارم والجار ومحترم الحقيقة وقوله
ألزمت افكاري اي نفسي والمراد باليد في قوله يدا الذات فهو مجاز مرسل
من تسمية الكل باسم البعض واطلاق ترب على افتقرت الظاهر انه من الكناية
لان لازم اليد المفتقرة ان لا تصل الى شيء تتناوله الا التراب الذي لا يعدمه
احد والتشبيه في قوله ان الحيا مثله في قوله فان المسك بعض دم الغزال
وقد تقدم تقريره غير مرة ويحتمل ان يقصد تشبيه الهيئة الحاصلة من
نيل الغنى لليد التربة بالهيئة الحاصلة من نيل المطر الازهار للاكم ويحتمل
ان يقصد تشبيه كل من النبي صلى الله عليه وسلم وغناه واليد التربة بكل
من المطر والازهار والاكم فعلى الاول هو من تشبيه متحد بمتحد وعلى الثاني
من تشبيه متعدد بمتعدد والمقصود ان نسبة النبي صلى الله عليه وسلم
وغناه من اليد التربة لنسبة المطر وازهاره من الاكم واسناد الانبات
الى الحيا من المجاز العقلي لانه سببه والظاهر ان اسناد الفوت الى الغنى
من ذلك وحدوث الحادث ان كان بمعنى وقوعه فحقيقة وان كان بمعنى
حل بالمكان فمن تشبيه المعنى الحادث بالشخص النازل ووصفه بالعمم
من هذا المعنى الاخير ونفي الضيق عن الجاه تشبيه له بالمكان الرحب
البديع في البيت الاول الطباق الخفي لجمعه بين اتيان الذنب وهو
معصية ونفي النقض والانصرام عن العهد والحبل وهو طاعة ولما كان ما
عهد بمنتقض بمعنى باتيت هذا الذنب كان من طباق السلب وفيه طباق
من وجه آخر لذكره في الذنب ما يدل على التجدد وفي الطاعة ما يدل على الثبوت
كما تقدم في المعاني وفي العهد ونفي الانتقاض مراعاة النظير وكذا في الحبل
ونفي الانصرام واما العهد والنقض والحبل والانصرام فمن الطباق وهذا
البيت والابيات بعده كلها من المذهب الكلامي ومن الكلام الجامع واضافة
نفي الانتقاض الى العهد ونفي الانصرام الى الحبل من التقسيم وبمنصرم من الاد

وان صح

وان صح ان يقع موقعه بمنفصم من قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى
لا انفصام لها كان من التخيير وهذا اللقب تكرر في هذا الشرح مرارا ولظني
اني ذكرت حقيقته ورأيت ان اعيد ذكره ههنا لطول العهد به واذكر مثالا له
اما حقيقته فان يأتي الشاعر ببيت يسوغ فيه ان يقفى بقواف شتى فيتخير منها
قافية مرجحة على سايرها تدل بتخيرها على حسن اختياره واما مثاله فقول
ديك الجن   قولي لطيفك ينثني عن مضجعي عند المنام
الرقاد الهجوع الهجود   فعسى انام فتنطفي نار تاجج في عظام
فؤاد ضلوع كبود   جسد تقلبه الاكف على فراش من سقام
قتاد دموع وقود   اما انا فكما علمت فهل لوصلك من دوام
معاد رجوع وجود   فالبيت الاول يصلح في قافية كما ترى المنام والرقاد
والهجوع والهجود وهي القوافي المكتوبة في سطره وكذا كل بيت بعده
يصلح في قوافيه ما في سطره وكل قافية تصلح مع موافقتها في الروي والزنة
ما اشبه او لا يظهر بالتامل ورجح قافية الناظم كثرة استعمال الانصرام
مع الحبل لان الحبل سبب موصل والانصرام قطع بخلاف الانفصام فانه
كسر من غير بانة بينا سب الاشياء الصلبة كالعود ونحوه والبيت الثاني
من المذهب الكلامي باعتبار البيت الذي قبله خصوصا فانه دليل
على صحة دعواه فيه وتقريره انا الى ذمة منه صلى الله عليه وسلم بتسميتي
باسمه وكل من له منه تلك الذمة فعهده غير منتقض منه وحبله غير
منصرم منه وفيه رد الصدور على الاعجاز في ذمة والذمم وهو من النوع
ايضا وفيه الارصاد والوفاء والذمة من مراعاة النظير وفي البيت الثالث
التقسيم وهو من التقسيم الحاصر لانه ليس هنا الا ان ياخذ بيده فينجو ويتركه
فيهلك قال بعضهم وفيه حسن التعليل لان فيه ذكر الحكم وهو
اخباره عن نفسه بالهلاك وعلة ذلك تركه صلى الله عليه وسلم ان يأخذ
بيده قال وحسن التعليل فيما نعتقد ذكر العلة كما هنا وتقدم ذكر المعلول
كقوله قد قال قوم اعطه لقديمه جهلوا ولكن اعطني لتقدمي

ففيه حسن التعليل لقوله فى قوله لمد يمه اى اشرف سلفه وفى قوله التعدى
اى على اقرانى لا لترف سلفى وقدم فى الموصفين المعلول على علته انتهى
فتامله وفى البيتين الطباق باعتبار الشرطين المذكورين والجوابين
المذكورين والمقدر وذكر اليد والقدم من مراعاة النظير وكذا الزلة والقدم
واضافة نفى حرمان المكارم الى الراجى ونفى الاحترام الى الجار من التقسيم
والجار والراجى من قلب الكل ان قطع النظر عن الداء والا فمن قلب البعض
قال بعضهم والحرمان والمكارم من الطباق ويحرم ويحترم من تجنيس
الاشتقاق والزمت وملتزم من رد الصدور على الاعجاز وجعله بعضهم
من العكس والتبديل قال كقوله فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله ولا مال
فى الدنيا لمن قل مجده بدأ بالمجد وختم به كما اتى الناظم اول البيت بالزمت
وختمه بملتزم انتهى وهو سهو فان ما جعله من العكس والتبديل فى
الشاهد انما هو من رد الصدور على الاعجاز وانما العكس والتبديل فيه
من جهة عكس جمله الشطر الاول بكماله فى الشطر الثانى والزمت وحرمت
من الموازنة والزمت وملتزم من تجنيس الاشتقاق وفى البيت شبه
المزاوجة وجعله الزام الفكر المدائح سببا للخلاص من حسن التعليل
وجمع الغنى وتربت من الطباق والحيا والازهار والاكم من مراعاة النظير
وقوله ان الحيا من حسن التعليل ومن ارسال المثل ومن الكلام الجامع ويحتمل
ان يحمل كلامه على معنى يكون معه من التورية بان يكون الحيا له معنيان
قريب وهو المطر وبعيد مراد هنا وهو الجنة وانبات الازهار كناية
عن العطايا التى يفيدها والاكم كناية عن منزلته صلى الله عليه وسلم
الرفيعة وهى من التورية القريبة لاقترانها بما يلايم المورى به لا يقال
لا يصح ادعاء التورية لان الحياء الذى هو المطر مقصور والذى بمعنى الحشمة
ممدود فهما لفظان والتورية انما تكون فى اللفظ الذى له معنيان لانا
نقول يحتمل ان يريد الحشمة وقصره للضرورة فلما قصر الممدود صار
مشتركا وفيه تعسف وبعضهم يسمى نحو قوله زهرة الدنيا مع قوله

الازهار فى رد الصدور على الاعجاز اى صدر البيت على عجز الذى قبله
وجمع الزهرة والقطف واليد من مراعاة النظير ونقرة وزهير من التجنيس
الشبيه بالاشتقاق وفى البيت التلميح الى قصة مدح زهير هرم بن سنان
وامامه على ذلك ولفظة هرم من الارصاد عند العالم بتاريخ هرم
واكرم والود من التناسب وقوله يا اكرم البيت من الافصاح بالمطلوب
وهو من المواضع التى ينبغى ان يتانق فيها وليس هى محصورة فى الثلاثة
او الاربعة على ما تقدم او لا النظر عام عند بعضهم وانما طلب التانق فى
تلك على سبيل التاكيد فيها ونفى الضيق عن الجاه من التناسب والجمع بين
لفظى الكريم والمنتقم من الطباق الخفى لاستلزام الكريم التجاوز والعفو
وهما ضد الانتقام وقوله الدنيا وضرتها من الطباق وجمع العلم واللوح
والقلم من مراعاة النظير ولفظ القلم من الارصاد وجمع الدنيا والاخرة
فى كونهما من وجوده من الجمع وكذا علم اللوح والقلم فى كونهما من علمه و
اضافة الدنيا والاخرة الى جوده وعلم اللوح والقلم الى علمه من التقسيم
والبيت من المذهب الكلامى ومن حسن التعليل الذى قبله خصوصا وهو
من الكلام الجامع ان فعل مضارع مجزوم من باب الشرطية
وفاعله ضمير المتكلم وعلامة جزمه حذف الياء واصله ءاتى همزة المتكلم
مفتوحة وفاء الكلمة ساكنة فابدلت الفاء واذا اجتمعت همزتان فكل العرب
على تخفيف احدهما الا العليل ذنبا مفعول والفاء رابطة جواب الشرط
به وما نافية عهدى مبتدأ ومنتقض خبره فان جعلت ما حجازية فالخبر
منصوب وان كانت تميمية فهو مرفوع وهذا على راى من يجيز زيادة الباء
فى خبر التميمية فى الجملة وما يتعلق بها وما عطف عليها جواب الشرط من النفى
متعلق بمنتقض فصل بينهما والمصدر لا يفصل بينه وبين معموله باجنبى وفيه
نظر ولا حبلى بمنصر اعرابه كاعراب الجملة قبله فى الوجه الثانى وزيادة الباء
فى الخبر قليل ولا يصح عمل لا هنا عمل ليس لانها لا يعمل كذلك على المشهور

والغالب الا في النكرات وحلي معرفة فان قلت الجواب لا يقع الا بعد وضع
الشرط وعهدي ثابت اني دنيا فاني ارجو سنته لان عهدي ثابتا وبسطه تقدم
في التفسير ومثله قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت اي لا تنجون
لانكم تموتون وقوله ومن هاب اسباب المنية لا يلقها ولو رام اسباب السماء
بسلم اي لا ينجيه ذلك لانه لا بد من لقائها ذمة اسم ان ولي خبرها منه
صفة ذمة وكذا تسميتي والباء سببية ومن للابتداء وفي كلام بعضهم
ما يقتضي تعلق منه بذمة والمفعول الاول لتسميه هو ياء المتكلم المخفوض
لفظا باضافة تسمية اليه ومحله نصب والثاني محمدا وفا على التسمية محذ
لان المصدر يجوز حذف فاعله ويجوز كون ياء المتكلم في محل رفع على المفعول
الذي لم يسم فاعله اي بان سميت وفي نصب المصدر بفعل المفعول خلاف
ويجوز تعلق تسميتي بما يتعلق به خبر ان هو مبتدأ او في الخلق خبره والذم
متعلق با وفي يكن مضارع مجزوم بلم فلم يكن محله جزم بان واسم كان
ضميره صلى الله عليه وسلم وخبره اخذا في معادي متعلق بيكن او باخذا
وضد مفعول من اجله وعامله اخذا والا نفي ان الشرطية زيدت عليها
لا النافية رفعا لما قبلها من النفي فتكون موجبة لان نفي النفي ايجاب
واستغنى بها عن الشرط وجوابه لدلالة السياق كما تقدم واذا دل
الدليل على فعل الشرط جاز ان يحذف ويستغنى عنه بالجواب نحو قوله
فطلقها فلست لها بكفؤ والا يعل مفرقك الحسام فقوله والا اي والا
يطلقها فحذف فعل الشرط الذي هو يطلقها لدلالة السياق واذا دل
الدليل على الجواب جاز ان يحذف ويستغنى عنه بالشرط نحو قوله تعالى
فالله هو الولي اي ان ارادوا اولياء بحق وقد يحذف الشرط وجوابه كما
هنا ومنه قوله قالت بنات العم يا سلمى وان كان عييا قالت وان
اي وان كان كذلك اتزوجه والتقدير في البيت كما تقدم اي وان
يأخذ ضد يخون وقوله فعل الجواب ان لم يكن وهو عند الاكثر جواب

والا

والاولى عمم جاء الاشكال ويا حرف نداء على معنى ما تقدم وذلة القدم
منادى مضاف ويجوز كونه مندوبا ويا للندبة واجاز الاستاذ
الفضالي كون يا للتنبيه وذلة مفعول بفعل مضمر ولعل التقدير
عنده تنبه يا هذا او احضر او شاهد ذلة القدم وعظم جرمها
والمخاطب هو المخاطب نقل وليس واحد بعينه تنبيها على ان الامر
لفظاعته وشهرته يدركه كل احد وبهذا التقدير يندفع ما قال
بعضهم ان قوله قل حشو وهذا البحث انسب بفضل المعاني لكنه
مفرغ عن الاعراب كما ترى ويا ذلة القدم في موضع المفعول لحاشاه
ان جعل اسما فمنصوب بفعل مضمر وهو اسم واقع موقع المصدر
اي احاشي حاشاه والهاء في موضع خفض باضافة حاشى اليها وقال
الاستاذ الفضالي كانه قال لا حاشيه محاشاه وان تجرهم اصله
من ان تجرهم وحذف من وفي محله بعد حذفها خلاف قيل نصب وقيل
جر وتقدم نظيره وعلى كل تقدير فعامله اما حاشاه او العامل فيه
المقدر وان جعل حاشى فعلا فهو فعل ماض والهاء مفعوله ولا
تجرهم فاعله والراجي مفعول لم يسم فاعله وهو مرفوع وفاعل
تجرهم هو الله تعالى وعلى بنائه للفاعل ففاعله ضمير يعود
على النبي صلى الله عليه وسلم ومكارمه مفعول ثان تجرهم
او يرجع عطف على تجرهم الجار فاعل غير مجترم حال من الجار ومنه
يتعلق بيرجع او بمجترم ومن لابتداء الغاية وهو على حذف مضاف
اي من عنده ويحتمل التعليل واو في او يرجع قال الاستاذ للاباحة
والظاهر انها للتقسيم او بمعنى الواو ومنذ الزمت تقدم انه على
حذف زمن اي منذ زمن الزمت وهي لابتداء الغاية وهي ظرف زمان
او حرف جر عامله وجدت اي وكل وقت اومن كل وقت الزمت وجدت
وقال الاستاذ الفضالي ان كل اسما فهو مبتدأ خبره اسم الزمان
المحذوف وجملة الابتداء مرتبطة بما قبلها وليس لها محل من الاعراب

على هذا اكثر النحاة وقال بعضهم في موضع الحال افكاري مفعولا اول لالزمت
ومضاف اليه ومدايحه مفعوله الثاني وها بوحيدة مفعوله الاول وخير
ملتزم مفعوله الثاني ان كانت وجد بمعنى علم او حال من الهاء ان كانت بمعنى
وبخلاصي متعلق بوجدت والظاهر ان جملة وجدت معطوفة على جملة حاملا
والتقدير ووجدته لخلاصي خير ملتزم مذ الزمت افكاري مدايحه فالواو
والداخلة على مذهبي في الحقيقة داخلة على وجدته فقدم واخر للضرورة
الغنى فاعل يفوت ومنه يتعلق به ومن للابتداء ويدا مفعول وجملة تربت
صفة ليدا وفي الاكم متعلق بنبت وجملتا ان يفوت وان الحيا مستانفتان
زهرة الدنيا مفعول أند والتي صفة زهرة وقطفت صلة التي ويدا زهير فاعل
ومضاف اليه وعايد الصلة محذوف اي قطفتها ويحتمل ان يكون فاعل
قطفت ضميرا يعود على زهرة الدنيا اي بانت ويدا زهير مفعولا اما على لغة
بني الحارث في الزام المثنى الالف او على ان يكون يدا مفردا اي يد زهير
ويكون على لغة من يقصرها لعصى ومنه يا رب سار بات ما توسدا الا ذراع
العنس او كفا اليدا ويروى هذا البيت قطعت يدا زهير بالعين مكان الفاء
من القطع والتقدير ان في اليد مع العين كما انهما مع الفاء والمعنى كالمعنى
سواء والمعنى الذي تقدم في التفسير ان يدا زهير هي التي قطفت زهرة
الدنيا التي هي كناية عما اخذ منهم من ثواب مدحه وكذلك هو ايضا
مع العين اي ان يدا زهير قطعت زهرة الدنيا اي اخذت ثوابا المدح و
يحتمل ان يكون المعنى مع العين لم ارد زهرة الدنيا التي تقطع ايدي حرصة
كما ارد زهير من زهرتها التي قطعت يديه والمراد بيديه ذاته فهو من تسمية
الكل باسم بعضه وانما لم اذكر هذا الوجه في التفسير لان فيه تكلفا ولان
الرواية بالعين لم تثبت عندي مع انه لا يمنع جريانه مع الفاء ايضا الا انه
مع العين امكن بما يتعلق بقطفت والباء سببية وما مصدرية وفاعل
اثنى ضمير زهير اي بثنائه ويجوز كونها موصولا اسميا والعايد المحذوف
مجرور اي بالذي اثنى به وعليهم متعلق باثنى وما نافية ومن ستأ

وهي نكرة موصوفة او موصولة والاول ادل على العموم والو صفة او صلة
وبه يتعلق بالو والهاء عايد على من وهو الرابط ولي خبر من وسواك استثناء
من النفي بمعنى غير الا انه منصوب على الظرف على راي سيبويه والعامل فيه العامل
في الخبر وهي على راي من يرى تصرفها بدل من من او من الضمير في الخبر والكاف
على القولين مضاف اليه وعند متعلق بالخبر ايضا وهو ظرف زمان اي عند
وقت حلول كما تقدم ولا يصح ان يعمل في سوى وعند الو قال الاستاد الفاضل
لانه لو عمل فيهما لكان مستثنى قبل كمال النفي ولا يكمل النفي الا بالخبر فتعين
ان العامل في سوى هو الخبر ولو عمل في عند لكان من الصلة ويكون حينئذ
فصل بين اجزاء الصلة باجنبي وهو سوى العمم نعت للحادث رسول الله
منادى مضاف حذف منه حرف النداء جاهك فاعل يضيق الكريم
فاعل بفعل مضمر يدل عليه تجلى من باب الاشتغال اي اذا تجلى هذا على
راي سيبويه لان اذا عنده من الظروف المستقبلة التي لا يدخل الا على
فعل اما ظاهر واما مضمر والكريم عند الاخفش مبتدا لانه يجيز ايلاءها
الاسم والخبر تجلى فهو في محل رفع ولا محل له على راي الاخر لانها جملة
مفسرة وجواب اذا عند الجمهور محذوف يدل عليه السابق وليس هو الجواب
لانهم لا يجيزون تقدم جواب الشرط اي اذا تجلى الكريم فلن يضيق ولمن
يجيز تقدم جواب الشرط جازما كان او غير جازم فيضيق المتقدم هو العامل
وباسم متعلق بتجلى والدنيا اسم ان وضرتها عطف عليها ومن جودك
خبرها ومن علومك الى اخر البيت معطوف على من جودك الدنيا الخبر على
الخبر والاسم على الاسم وكرر حرف الجر لئلا يكون من العطف على معمولي
عاملين لانه لو قال وعلومك علم اللوح والقلم لعطف مخفوضا على مثله
ومنصوبا على مثله وفي نيابة الحرف الواحد مناب شيئين في حين واحد
خلاف منعه سيبويه واجازه الاخفش ويجوز ان يكون من علومك
مستانفا فيكون خبرا وعلم اللوح مبتدا ، اشارات المؤمن بين
الرجاء والخوف مثاله جناحي الطائر فكما ان الطائر لا يعتدل طيرانه

على الاستقامة حتى يعتدل جناحاه ومهما مال باحدهما الى جهة سقط
اليها كذلك المؤمن مهما اعتدل خوفه ورجاؤه استقام ايمانه ومهما مال
باحدهما ميلا ما ساخيف عليه السقوط الى الامن من مكر الله او الاياس
من رحمة الله وكلاهما مناف للايمان ولما اطنب الناظم في ذكر موجب
الخوف وهو ما صدر منه من الاثام عقب ذلك بذكر موجب الرجاء وهو
تدمه بذمة الاسلام واعتصامه بجاه النبي محمد صلى الله عليه وسلم
وما ذكرنا من ان المطلوب استواء الرجاء والخوف وهو مذهب المحققين
ومن العلماء من غلب طلبيته الرجاء ومنهم من غلب الخوف حال الصحة ليكون
باعثا على العمل الصالح والرجاء عند الموت والاياس من الدنيا لقوله
تعالى كما في الحديث انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وكان مذهب
الناظم تغليب الرجاء فانه حين ذكر موجب الخوف ذكر خمسة ابيات
من قوله خدمته الى قوله وفي سلم وحين ذكر موجب الرجاء ذكر عشر
ابيات من قوله ان آت الى قوله القلم فان قلت قوله يا نفس البيت
وقوله لعل البيت من موجب الرجا ايضا فهي اكثر من ضعف الخوف قلت
ليس البيتان من موجب الرجاء بل نتيجتان له ومسببان عنه لانهما خطاب
منه للنفس بتحقق المرجو فقوله ان آت البيت من اجترأ على الله مولاه
وعصاه ثم تاب وتوسل اليه في الغفران بحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم
ومصطفاه تاب الله عليه واجتباه وهداه ولو انهم اذ ظلموا انفسهم
جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما
ولا تظنن ان ذلك خاص به صلى الله عليه وسلم حال حيوته بل هو باق
مستمر بعد موته وحديث الاعرابي في كتاب الشفاء للقاضي دليل على هذا
مهما حفظ رأس المال رجي جبران الخسران في الربح فراس المال الا ان نقض
عهدك من اصل دين النبي صلى الله عليه وسلم وان لا ينقض حبل بعض اصول
طاعته ولا تحتقرن من الندم بذمه والاعتصام بجاهه ادنى شيء من
ولو بالتسمي بتسميته فان ذمته وافيه وهمته عاليه وانه صلى الله عليه وسلم

الكرم

اكرم الامم واوفى الخلق بالذمم واكبر الندم بذمته الاقتدا بسنته
وذلك بالتزام الطاعات وترك المخالفات ولا تحقرن شيئا من الطاعات
فان الله جل جلاله اخفى رضاه في طاعته كما اخفى وليه في خلقه ولا
تظنن ان باتباعك سنته صلى الله عليه وسلم تكون لك بذلك عنده
يد فانك وان اجهدت نفسك في ذلك بقدر المقدرة لم تصل الى عشر
المعشار مما كلفت به من ذلك كلا لما يقض ما امره فلا تمنن عليه
بذلك فانك لم توف ما عليك فضلا عما تدعيه من الفضل فالله
ورسوله امن يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله
يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين فان لم يكن صلى الله
عليه وسلم في معادك وحشرك اخذا بيدك تفضلا من الله تعالى ثم
منه عليك الاحزول ندمك فتقع في تلك المهالك وتنجو من ضيق تلك
المسالك فقل بقرينة حالك وبلسان مقالك يا زلة القدم ويح
حيث لا ينفع الحسر والندم والآن اخذ بيدك فقل يا عظم سعدك
واياك ان تقول ما يفعل تفضلا فقد يكون وقد لا يكون فيضعف اذ
ذاك الرجاء ويقل السعي في الاعتماد على الالتجاء وان ذلك انما يقابل
به سواه واما هو فحاشاه ثم حاشاه فانه منزه عن ان يحرم الراجي مكارمه
التي عمت كل فضل وكرم او يرجع الجار المستجير به غير معظم ولا محترم
ثم يقول الناظم ان شككت في ان يخلص في القيامة بشفاعته من ذا الكرب
الذي لا يخلص منه سواه من ابناء الاخرة وهم الانبيا عليهم السلام
فاعتبر بتخليصه في الحال من الداء الذي عجز عنه ابناء الدنيا وهم الاطبا
فاذا كان حاله في هذه الدار ما ترى وليس من ابنائها فكيف تظن ان يكون
في الاخرة وهو اكبر اوليائها ولا اخبرتك الا عما شاهدت وما اثره
في جسمي ونفسي عاينت فاني منذ الزمت فكاري مدايحه وجدته
لخلاصي خير ملتزم واذا كان نعماينال ببركته صلى الله عليه وسلم صحة
الاجسام فكيف يفوت الغني منه يدا افتقرت والصحة اصل ساير الانعام

وكيف يفوتها ايضا وهو صلى الله عليه وسلم كالحيا الذى تعم بركته كل مكان حتى ينبت الازهار فى الاكم غيران الغنى الذى يكتسب بصحة الاجسام مال فان وطاعات باقية فهو منقسم فمنه الدايم والمنصرم وجميعها مبتغى من فضله صلى الله عليه وسلم ومن احسانه مغتنم فاذا تمكنت من النوعين ووجدت طريقا الى تحصيل احد الامرين فلا يجعل التعلق به صلى الله عليه وسلم سببا فى تمكنك من قطف زهرة الحيوة الدنيا التى تذبل ثم ييبس سريعا وتفنى وسل لتحصيل جنى ثمرة الاخرة التى تدوم ابد الاباد ولا تفنى ومن قطف الزهرة لم يجز الثمرة ومن جنى على جنى الثمرة لم يلتفت الى الزهرة واذا انتفع بالثمرة قد لا يفوته بعض الانتفاع بالزهرة بل يصل منها الى ما يصل اليه قاطفها فان المقصود الاعظم منها الرايحة وكلاهما يصل اليها وقاطفها حرم غايتها وتاركها انتفع بها وبغايتها وكذا الدنيا المقصود منها البلغة وهو حاصل لكل احد وهو بمثابة الرايحة من الزهر فمن اكتفى من الدنيا بالرايحة انتفع بها وبالاخرة ولم يكتف برايحتها واقتطعها من اصلها فاته التمتع بنعيم الاخرة ثم لم يصل من الدنيا الا الى الرايحة من كان يريد حرث الاخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها وما له فى الاخرة من نصيب فمن طلب الدنيا فاته حظه من الاخرة ولم يصل من الدنيا الا الى ما كتب له منها ومن طلب الاخرة ظفر بها ولم يفته حظه من الاخرة واتته وهى راغمة فلا تكن ممن يريد بالتمسك باذياله صلى الله عليه وسلم قطف زهرة الحيوة الدنيا سدى فان ذلك ليس من اخلاق المؤمنين فان همة المؤمن اعلا من ان يجعل سعيه للدنيا فضلا عن ان يتوسل الى الله تعالى فى نيلها بمدح اعظم الخلايق عند الله وانما التوسل بالمدح فى نيل زهرة الحياة الدنيا اخلاق الكافرين فى مدحهم هرما بل انما يتوسل المؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم فى كشف كربات القيمة وهو الحادث العمم ودفع ما يمنع من العبادة من بلاء

كما فعل الناظم فيقول كقوله يا اكرم الخلق البيت ولن يضيق البيت وانما يطلب منه صلى الله عليه وسلم كربات الدنيا والاخرة لا من جوده الدنيا والاخرة وكانت له تلك المنزلة العظيمة بعد تخصيص الله سبحانه وتعالى اياه بها لان علومه كثير حتى ان منها علم اللوح والقلم وزيادة العلم موجبة لزيادة رفع المنزلة يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين الى قوله تعالى الفضل المبين اللهم يا من يخص من يشاء بما يشاء هب لنا من لدنك علما نافعا وعملا متقبلا ورزقا واسعا فى الدنيا والاخرة واكشف عنا كرب الدنيا ومحا منها الكل الاخرة يا عليم

اصل يا نفس لا تقنطى من زلة عظمت ... ان الكباير فى الغفران كاللمم

لعل رحمة ربى حين يقسمها ... تاتى على حسب العصيان فى القسم

يا رب واجعل رجائى غير منعكس ... لديك واجعل حسابى غير منخرم

والطف بعبدك فى الدارين ان له ... صبرا متى تدعه الاهوال ينهزم

وائذن لسحب صلوة منك دائمة ... على النبى بمنهل ومنسجم

ما رنحت عذبات البان ريح صبا ... واطرب العيس حادى العيس بالنغم

الغريب النفس تعدمت والقنوط اليأس وقنط بفتح النون يقنط بالضم والكسر قنوطا فهو قانط وقنط بكسر النون ايضا يقنط بفتحها ايس قنطا وقناطة فهو قنط وقرى فلا تكن من القانطين قال الجوهرى واما قنط يقنط بالفتح فيهما وبالكسر فيهما فانما هو على الجمع بين اللغتين قاله الاخفش الزلة الذنب واصله من زل عن الصخر وعن الطين زليلا سقط وتقدم عظم الشئ عظما كبر فهو عظيم وتقدم الكباير جمع كبيرة وتقدمت المادة واختلف العلماء فى تعيينها فى الشرع

فقال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وسئل ايضا
اهي سبع فقال هي الى سبعين وفي رواية الى سبعمائة اقرب وقيل هي كل ما
ختمه الله بالنار او عذاب او غضب او لعنة وقيل ما يضمنه ثلثون اية
من اول سورة النساء الى قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
نكفر عنكم سيئاتكم وقيل هي سبع عشرة مفرقة على الاعضاء وقيل
ما توعد الشرع عليه بخصوصه وقيل لا صغيرة بل كل معصية كبيرة
وقيل هي الشرك بالله وقتل النفس وقذف المحصنات والزنا والفرار
من الزحف والسحر واكل مال اليتيم ظلما وعقوق الوالدين المسلمين
والالحاد في الحرم قاله ابن عمر رضي الله عنهما وزاد ابو هريرة رضي الله
اكل الربو وزاد علي السرقة وشرب الخمر وزاد غيرهم شهادة الزور واليمين
الغموس وان يزني الرجل بحليلة جاره وعدوا الاصرار على الصغاير منها
واكبرها الشرك بالله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
الا اخبركم باكبر الكباير الشرك بالله الحديث وفيها كلام كثير اللمم بفتح اللام
صغاير الذنوب وهي التي تكفر باجتناب الكباير والمراد بالرجل من اللمم وهو
صغار الذنوب قال ان تغفر اللهم تغفر جما واي عبد لك لا الما وقيل
هو مقاربة المعصية من غير مواقعة وقال الاخفش اللمم المقارب من الذنوب
ومن المادة غلام ملم قارب البلوغ وفي الحديث مما ينبت الربيع يقتل حبطا
او يلم اي يقرب من ذلك ومن الناس من تعرض لتعيين الصغاير ثم اختلفوا
في تعيينها على اقوال شتى لعل حرف ترج قال في التسهيل وللاشفاق
وللتعليل وقال بعضهم هي للترجي في المحبوب وللتوقع في المكروه
وقال الجوهري لعل كلمة شك واصلها عل واللام في اولها زايدة ويقال
لعلي افعل ولعلني افعل بمعنى انتهى قلت وغيره يقول ان عل لغة فيها وحكي
ايضا فيها لعن وعن ولان وان ورعن ولعلت وهي من اخوات ان تنصب
الاسم وترفع الخبر قال في التسهيل والجر بلعل ثابتة الاول ومحذوفة
مفتوحة الاخر او مكسورة لغة عقيلية رحمه الله عبادة ان رجعت الى

ارادة الانعام كانت صفة ذات وان رجعت الى نفس الانعام كانت
صفة فعل وتقدم رب كل شيء مالكه والرب من اسمائه تعالى ولا يقال
لغيره الا بالاضافة وقالوه في الجاهلية للملك قيل وهو اما من ربه
يربه ربا اذا ملكه واما من رباه يربيه اذا قام بمصالحه وشونه فرب
اما فعل واما فاعل اصله راب ثم ادغم وقصر والرباني المتالة العارف
بالله تعالى ومنه كونوا ربانيين كذا ذكر الجوهري وفي البخاري عن ابن عباس
الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره وربيت القوم سستهم
اي كنت فوقهم قال ابو نصر هو من الربوبية ومنه قول صفوان لان
يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن ورب ولده يربه
ربا وربه ورببه بمعنى اي رباه والمربوب المربى قلت والمملوك والمسوس
ايضا والمادة طويلة الحسب والقسم والاتيان تقدمت الحسب بفتح السين
القدر والمعدود محسوب وحسب ايضا وهو فعل بمعنى مفعول
كنقض بمعنى منقوض ومنه قولهم ليكن عملك بحسب ذلك اي على
قدره وعدده قال الكسائي ما ادري ما حسب حديثك اي ما قدره
وربما سكن في ضرورة الشعر والعصيان خلاف الطاعة وقد تقدم
والقسم بكسر القاف وفتح السين جمع قسمة وهي ما قسمه الله لخلقه
وقيل مصدر قسمت الشي قسما وقسمة وتقدمت المادة واجعل صير
جعلت كذا اجعله جعلا ومجعلا وجعله نبيا اي صيره وجعل تاتي
بمعنى سمى قال الجوهري ومنه وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن
اناثا وقال غيره هي بمعنى اعتقد وياتي للترتيب جعلت المتاع بعضه
فوق بعض اي رتبته وهي ايضا من افعال المقاربة وهي من اقسامها التي
للشروع في الفعل جعلت افعل كذا اي شرعت فيه الرجاء ممدود الامل وهو
مصدر رجوته ارجوه رجاء وتقدم قريبا وقيل الرجاء تعلق القلب
بمطموع فيه تحصيله في المستقبل مع الاخذ في عمل محصل قلت كان هذا
رسمه شرعا الا ان فيه اشياء يطول تتبعها لا يخفى على المتامل من غير عكس

اى غير خائب لان العكس لغة رد آخر الشئ الى اوله وآخر امر الراجى
حصول ما يترقب ويرجو فاذا لم يحصل له آخر شئ فقد رد آخره الى
اوله لان اول امره لم يكن حصل له شئ ومن العكس لغة عكس البلية
عند القبر لانهم كانوا يربطونها معكوسة الراس الى ما يلى كلها وبطنها
ويقال الى مؤخرها مما يلى ظهرها ويتركونها على تلك الحال حتى تموت
ويقال انهم يفعلون ذلك لانهم يرون ان صاحبها اذا بعث من قبرها
يحشر راكبا عليها والعكس ايضا ان يشد حبلا فى خطم البعير الى رسغ
يديه ليذل واسم ذلك الحبل العكاس يقال دون ذلك الامر عكاس
ومكاس والعكس عند المنطقيين على التقريب تبديل كل واحد من طرفى
القضية بعين الآخر فى العكس المستوى وبنقيض الآخر فى عكس النقيض
لدى نقدمت حسابى ذهب كثير الى ان المراد المحاسبة يوم القيامة
قبل القصاص وطلبا ان تبقى حسناته تامة غير منقوصة وذلك عن سيئاته
ونقل حسناته وقال بعضهم يريد المحرم للحساب الذى لم يتخلص صاحبه
قلت ويحتمل ما قالوه ان يكون من الظن اى واجعل ظنى بك فيما يفعل بى
غير ناقص لكن يتوقف على ورود حساب مصدر حسب بمعنى ظن وهذا
هو المانع ايضا من حمله على القدر اى واجعل قدرى عندك غير ناقص
ومخزم اسم فاعل من اخزم والخزم القطع والنقص واذن مخرومة
وخرم السيل الجبل والجرف كسر منهما وخرمت انفه فهو مخروم مشقوقه
وهو مجاز كناية عن الفساد لانه اذا انخرم الشئ فقد فسد ويريد به النقص
ايضا وفى حديث سعد رضى الله عنه ما خرمت من صلاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم شيئا اى ما نقصت ومنه الخرم فى العروض لسقوط
الحرف الاول من الجزء كفا فعولن وميم مفاعيلن والخرم انف الجبل ومصدر
خرمت الخرز اخرمه بالكسر اذا ثقبته اى افسدته وما خرمت منه شيئا
ما نقصت وما قطعت وما خرم الدليل عن الطريق ما عدل وبقيت من
المادة فروع مناسبة لطف الله بعباده رفقه بهم والرفق منه سبحانه تعالى

الانعام وترك المواخذة فيكون صفة فعلية واللطيف اسم من اسماء الله
تعالى نطق به القرآن قال تعالى الله لطيف بعباده وهو فى اللغة
اما العالم بدقايق الامور وغوامضها ومشكلاتها واما الصغير الدقيق
ضد الكثيف واما من لطف به اذا رفق به واوصل اليه المنافع من حيث
لا يعلم هو ولا يقدر عليه فالمعنى الثانى مستحيل فى حقه تعالى والاول
من صفات ذاته الواجبة والثالث من صفات افعاله فاسمه عز وجل من
لطف بضم الطاء وهو من ابنية المبالغة ومعناه العالم بدقايق الاشياء
وغوامضها فيكون من صفات الذات ويكون معناه المحسن برفق فيكون
من صفات الافعال وذكر المفسرون المعنيين جميعا الصبر حبس النفس
عن الجزع وصبر عن المصيبة يصبر صبرا وصبرته انا حبسته ومنه واصبر
نفسك مع الذين يدعون ربهم وفى الحديث فى رجل امسك رجلا وقتله
آخر اقتلوا القاتل واصبروا الصابر اى احبسوا الذى حبسه للموت حتى
يموت وحلف صبرا احبس حتى يحلف وقتل صبرا احبس حتى قتل وكذا
اصبرته والمصبورة اليمين والمحبوسة على الموت وكل ذى روح يصبر حيا
ثم يرمى حتى يقتل فقد قتل صبرا والتصبر تكلف الصبر الاهوال
جمع هول وهو الامر العظيم المساق وتقدم نهزم بكم وقد تقدم
واذن اى مكن واخر فعل امر من اذن له فى الشئ ياذن اذنا بكسر الذال
وفتح المضارع والاذن من الله تعالى يكون بمعنى التمكين من الشئ ويكون
بمعنى الامر وتقدم القول فيه والسحب بضم السين والحاء جمع سحابة وانما
سكن الحاء تخفيفا والسحابة الغيم والجمع سحاب وسحب وسحائب وكنى
بالسحب والمنهل والمنسجم عن كثرة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره
الغافلون صلاة وتسليما لا انقطاع لاحدهما ولا نهاية لاعدادهما
والصلوة من الله تعالى رحمة ومن المخلوق دعاء واصل الصلاة فى اللغة الدعاء
والصلاة واحدة المفروضات وهو اسم يوضع موضع المصدر يقول

صليت صلوة ولا يقال تصلية وصليت على النبي صلى الله عليه وسلم
تصلية ومنهل اسم فاعل من انهل السحاب بالمطر وانهل المطر فهو منهل
اشتد انصبابه والمنسجم السائل وقد تقدما رنحت الريح الغصن امالته
وترنح تمايل من السكر وغيره ورنح عليه وترنيحا على من لم يسم فاعله
اى غشى عليه او اعتراه وهن فى عظامه فيمايل فهو مرنح قال امرؤ القيس
مصف كلما طفه نور فظل يرنح فى عيطل كما يستدير الحمار النعر عذبة الشجرة
غصنه فعذبات البان اغصانه وعذبة اللسان طرفه والعذبة احد
عذبتى الصوت وعذبة الميزان الخيط الذى يرفع به وقلت ولعل منه
عذبات العمايم المستعملة عند المشارقة والعذبة عندهم ما يرخيه
المتعمم خلف قفاه من العمامة والبان والريح تقدما والصبى الريح الشرقية
سميت صبى لانها تقابل بهبوبها باب الكعبة فكانها تصبوا اليها اطربته
فطرب طربا والطرب خفة تجدها الانسان لشدة السرور وقد يكون
فى الحزن وطرب يطرب طربا فهو طرب واطربه غيره وابل طراب تسرع
الى وطنها والتطريب فى الصوت مد وتحسينه العيس اصله بضم العين
وانما كسرت لوجود الياء الساكنة بعد كبيض وهو جمع اعيس
والانثى عيساء بنا العيس قال هو للذكر وعيساء للمونث والاعيس
من الابل الابيض يخالطه شقرة وقال الجوهري العيس بالكسر الابل
البيض يخالط بياضها شئ من الشقرة واحدها اعيس والانثى عيساء
بناء العيس قال اقول تجاربى همدان لما اثار اصرمة حمرا وعيسا
اى بيضا ويقال كرايم الابل حادى سايق الابل بالغنا الحدو سوق
الابل والغنا لها وقد حدوت الابل حدوا وحداوا ويقال للشمال حدواء
لانها تحدو السحاب اى تسوقه ولا يقال للمذكر احدى وربما قيل للحمار
اذا قدم اتنه حاد النغم بكسر النون جمع نغمة بفتح النون وهى الصوت
والنغم الكلام تقول منه نغم ينغم بالكسر والفتح نغما وسكت فلان
فما نغم بحرف وما تنغم مثله وفلان حسن النغمة اذا كان حسن الصوت

فى القراءة قال الجوهري التفسير لما ذكر من موجب الرجاء ما ذكر
وهو ما حصل له من التعلق باذياله صلى الله عليه وسلم ووصفه صلى الله
عليه وسلم باوصاف تقتضى ان رجاءه ورجا من سلك طريقه اعتمادا على
المتصف بتلك الصفات لا يخيب اقبل على نفسه مخاطبا بتحقيق رجائه
ومونسا اياها لئلا يؤول بها شدة الخوف الى القنوط من رحمة الله تعالى
يا نفس البيت اى بعد ان قربت لديك من موجبات الرجاء ما قربت فلا
تقنطى من اجل اتيانك زلة عظمت لانها معصية الله جل جلاله الذى
يحق عند العارف بجحده ان يبارزه بالعصيان فان فضله عظيم وحلمه
وعفوه من الذنب عميم وان الكبائر العظام كمثل التى اتيته ان اتتها النفس
فى جانب عفوه وغفرانه كعفوه عن اللمم وهى صغاير الذنوب فانه ورد
انه سبحانه وتعالى يغفر الصغاير باجتناب الكبائر فلذلك سبحانه وتعالى
يعفوا عن الكباير ان شاء بفضله وكرمه وبشفاعته اكرم الخلق عنده محمد
صلى الله عليه وسلم وبشفاعة من ارتضاه من خلقه ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم الاية
نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم الاية وقال صلى الله عليه وسلم لكل نبى
دعوة يدعو بها واختبات دعوتى شفاعة لامتى يوم القيمة ومن حديث
بن عباس رضى الله عنهما عنه عليه السلام توضع للانبياء عليهم السلام
منابر يجلسون عليها ويبقى منبرى لا اجلس عليه قايما بين يدى ربى
منتصبا فيقول الله تعالى ما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم
فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة
بشفاعتى ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى النار
حتى ان خازن النار يقول يا محمد ما تركت لغضب ربك فى امتك من نقمة
ومن حديث ابى موسى رضى الله عنه صلى الله عليه وسلم خيرت بان يدخل
نصف امتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها اعم اترونها للمتقين
ولكنها للمذنبين وفى رواية للمومنين الخطائين وعن ابى هريرة رضى الله عنه

قلت يا رسول الله ماذا رد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي لمن اشهد
ان لا اله الا الله مخلصا يصدق قلبه واحاديث هذا الباب اكثر من ان
تحصى وكان الانسب ذكرها عند قوله ولن يضيق البيت وذكرها هنا
مناسب ايضا لانها من اسباب الغفران وما ذكر الناظم هنا من ان الكباير
في جواز العفو عنها كاللمم هو مذهب اهل الحق والسنة وهو الموافق للقرآن
والحديث والدليل العقلي لانه تعالى لا يجب عليه ثواب ولا يجب عليه
عقاب فالثواب منه فضل والعقاب منه عدل لا يسئل عما يفعل وهم
يسئلون وللمعتزلة في هذه المسئلة تخليط وخباط في قولهم بالموازنة
والاحباط تركنا ذلك لان له موضعا اليق به من هذا وتضمن كلام
الناظم دعوى الحق ودليله في قوله ان الكباير الى اخره فانه اشار الى
قياس الكباير على الصغاير في جوازه في العفو والجامع ان كلا من النوعين
معصية ومخالفة الامر فكما جاز العفو عن الصغاير اتفاقا يجوز عن الكباير
لا سيما على القول بان لا صغيرة قال بعضهم قوله ان الكباير يحتمل ان
يشير به الى انه اقترف شيئا منها فيسكن النفس بان ما اتت منها في جانب
الغفران كاللمم ويحتمل ان يكون ايما الى صغيرة او صغاير فاستعظمها
وذكر الكباير استعظاما اي ما اجترحت اعظم مما تخشى فان الكباير في جنب
ما ترتجين كاللمم فما بالك وانت لم تأت الا صغاير ويرجح الاول وصفه
زلته بالعظم ويحتمل المعنى مع ذلك عظمت عليك لا في نفسها انتهى
قلت والظاهر انه انما اراد بقوله ان الكباير الى اخره حقيقة الكباير و
الصغاير وهذا لا يناسب الا اخباره بان ما جناه من المعاصي هو من الكباير
ليطابق الدليل والمدلول فقوله عظمت بما ذلك يكون ما كبيرة وايضا
فكل معصية ينبغي ان تكون عند فاعلها عظيمة وان كان صغيرة اياكم و
محقرات الذنوب وان كانت عظيمة بالنسبة الى عظمة العفو ولله در القائل
الهي لا تطردني فينا تضرعنا اليك ولو جادت بما ليس يغفر فكل عويص
عند مجدك هين وكل كبير عند عفوك يصغر فقوله بما ليس يغفر

اي عند

اي عند المخلوقين وذلك غير الشرك قوله لعل البيت لما نهى النفس عن القنوط
فقد كانها قالت له انا لا اقنط من رحمة الله فانه كفر ولكني اخشى
ان يكون حظي الذي اعطاه من الرحمة لا يفي بتبعات ذنوبي لكثرتها
وعظمها فاجابها بانه يرجو ان تكون رحمة الله تعالى التي ينال العصاة تكثر
على ذنوبهم حين يقسمها الله سبحانه وتعالى اذا وزعت عليهم تاتي اقسامها
في العظم والصغر على حسب اي قدر اقسام العصيان في ذلك فمن حمل
من ايام المعاصي حملا كبيرا كان مما يناله من اقسام الرحمة شيئا كثيرا وكبيرا
لا يرجو الناظم هذا الرجاء وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لله مائة رحمة
يرحم بها عباده وضع منها رحمة واحدة في الدنيا فبها يتراحمون ويتعاطفون
حتى البهيمة لترفع حافرها عن ولدها خشية يطاه واخر سبحانه وتعالى تسعا
وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة قال بعضهم كلام الناظم يقتضي
ان من كانت ذنوبه اكثر واعظم كان نصيبه من الرحمة اعظم ولا يقصد
حقيقة هذا لانه محال والمحال لا يتعلق به الترجي فان اراد بلعل التمني فجائز
مستقيم لان التمني يتعلق بالممكن والمستحيل والترجي لا يتعلق الا بالممكن
فان لم يرد بها التمني فكلامه من تجاهل العارف قال وظاهر كلامه موافق
لقوله تعالى في التائبين فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات فانه يستلزم
كون الاكثر سيئات اكثر حسنات وهو يبعث من اراد التوبة ان يكثر بين
يديها السيئات ليكثر ما يعطى من الحسنات فلا بد من تاويل الاية وباب
التاويل متسع انتهى قلت بل كلامه لا يحتمل الا الحقيقة فانه اذا كان المراد
بهذه الرحمة التي تقسم بين العصاة لستر ذنوبهم ومحوها فبالضرورة
من كان ذنبه اكثر انما يعطى منها مقدار ما يغطي ذنبه وهو اكثر بل مقدار
ما يعطى الاقل منها وهذه الرحمة ممكنة لجوازه العفو عن ما عدا الشرك
من الذنوب كما قرر في البيت قبله فهو ترج حقيقة واما الاية فهي اخبار
عن التائب الذي يعمل الصالحات لقوله الا من تاب وامن وعمل عملا
صالحا ولا شك ان الحسنات يذهبن السيئات ويبقى الحسنات مكان السيئات

اي عند

التي ذهبت وذلك مع التوبة والعمل الصالح او نقول ان للكفاد
بدليل قوله تعالى وامن والذي عنى الناظم انما هو العاصي الذي لم
يتب لان التايب لا يقال فيه عاص با لاصطلاح الحادث وهو قد
على حسب العصيان والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وسمعت من
يعترض هذا البيت بوجه آخر قائلا ان هذا ترج غير ممكن لان الرحمة
اذا قسمت على حسب العصيان لا يبقى للطيع منها حظ وهو باطل وايضا
رحمة الله عز وجل لا يتناهى والمعاصي متناهية اذ لا تصدر الا
في دار التكليف وهي الدنيا فاذا اقتسم الرحمة في اقسامها على قدر اقسام
العصيان تناهت اقسامها والا لما صدق ان انقسام الرحمة
بحسب اقسام المعصية لكون ما لا يتناهى لا تنحصر اقسامه فان قيل لعل
معنى قوله تاتي على حسب العصيان اي تستوي في اقسام العصيان بحيث
لا يبقى معصية الا اتت عليها الرحمة فتندرج معصيته في ذلك وحينئذ
لا يلزم ما ذكر قيل وهذا المعنى ايضا اذا اخذ على ظاهره باطل لانه
يلزم ان يكون غفران كل معصية حتى الكفر ممكنا وان يكون عدم دخول
كل احد من المؤمنين النار ممكنا لان الناظم اتى بصيغة لعل التي للترجي وهو
باطل لانعقاد الاجماع من اهل السنة ان الكفار يخلدون في النار
وان طائفة من المؤمنين غير معينة لا بد لهم من دخولها ثم تخرج بشفاعة
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والجواب عن هذا كله ان المراد رحمة خاصة
اما التي تقسم بين العصاة كما قدمنا ويعني المؤمنين واما الشفاعة
العامة للاراحة من الموقف فان منفعتها عامة واما التي للعصاة من امته
كما قال صلى الله عليه وسلم في شفاعته التي هي من الرحمة للمذنبين اتروها
للمطيعين بل هي لاهل الكباير من امتي وحينئذ يكون هذا النوع من الرحمة
متناهيا واقسامه على حسب العصيان ولا ينافي دخول طائفة من المؤمنين
النار لان الشفاعة تكون للنجاة منها بالكلية وتكون لانقطاع عذابها
وهو الخروج منها وذلك نوع من الغفران ينقطع به دوام العذاب

وطول

وطول زمانه ويحتمل ان يريد بصيغة الترجي التمني مجازا وسبب هذه
الارادة غلبة الخوف حتى صار المرجو كالمتمنى ولان الترجي انما يكون
مع العمل الصالح فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا والعمل
لا يتقبل الا من المتقين انما يتقبل الله من المتقين وهو اقر على نفسه
بالعصيان فانى له الرجاء فليس الا التمني وقال علماء المعاني يجري
الترجي لبعد حصول المرجو مجرى التمني فينصب المضارع بعد ان وقع
بعد الفاء وان كان من اصل البصريين انه لا ينصب بعد الفاء في الترجي
وفي هذا نظر لانه انما كان يتم ان لو اتى بصيغة التمني في مقام الترجي
فان قلت يرد الجواب بان المراد الشفاعة للخروج من النار ان يقال انما
يرتجى ما لا يقطع بحصوله واما ما يقطع بحصوله فلا فايدة في ترجيه ولا
ان الشفاعة التي فسرت الرحمة بها مقطوع بها لثبوت الخبر الصحيح بها ورد
على انه اراد بالترجي التمني انه مجاز لا يصح لان حقيقة التمني لاتباع
حقيقته بالمستحيل وحقيقة الترجي تنافيه فلا يستعمل اللفظ الموضوع
لما ينافي ما وضع له لان ذلك يؤدي الى اللبس قلت الجواب عن الاول
ان غلبة الخوف حملته على ان نزل المقطوع به منزلة غيره وعليه يتخرج
ما روي عن عمر وغيره من الصحابة رضي الله عنهم عن بشرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالجنة ان الواحد منهم يقول يا ليت امي لم تلدني
ويا ليتني نسيا ويقول عمر رضي الله عنه لو قبلت مني صلوة ما باليت الى
غير ذلك مما ورد في هذا المعنى وعن الثاني بان تنافي الحقايق لا يمنع
من استعمال لفظ احدهما في الاخرى وكل مجاز كذلك فانه استعمال اللفظ
في غير الحقيقة التي وضعت له لعلاقة والحقايق كلها متباينة وسواء كان
تباينهما ما تباين التضاد او غيره ومن اقسام المجاز تسمية الشيء باسم ضده
نحو وجزاء سيئة سيئة مثلها ان قلنا ان جزاء السيئة حسنة وانما
المعتبر في صحة الاطلاق المجازي وجود العلاقة وقد وجدت بين التمني
والترجي وهو عدم حصول المرجو واستبعاده قوله يا رب البيت قيل

ان الناظم نوع هذه القصيدة خمسة انواع تغزل لتنشيط النفس ومدح
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو المقصد الاعظم وتسكين النفس
بتقوية رجائها وتضرع الى الله تعالى في قبول توبته واقالة عثرته وهذا
هو الذي شرع فيه وصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وبه ختم القصيدة
انتهى قلت بل اشتمل على التغزل وتوبيخ النفس والوعظ ومدح القرآن
ومدح الصحابة وذم الكفار وتوبيخ النفس ايضا والاقرار بالذنب وذكر
معتصمه في الخلاص من الاثام وختم بالدعاء ثم بالصلوة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي كل فصل انواع يطول التعرض لشرحه فقوله
يا رب طلب من الله سبحانه وتعالى ان يجعل رجاءه لديه وهو يوم القيمة
حيث يكون الثواب والعقاب غير منعكس اي يرجع احزن من الرجاء خائبا
كما كان اوله وذلك بان يحرم ما رجاه ولا يحصل له منه شئ وطلب
منه سبحانه ايضا ان يجعل حسابه غير ناقص والاولى ان يفسد حسابه بظنه
اي واجعل ظني الجميل فيك ان تعفو عن زلاتي وتنيلني من فضلك ما املته
من كراماتي غير ناقص ذلك الظن بل اجده حسب ما قدرته كما قال الاخر الذي
غلب عليه الرجاء واني لا ارجو الله حتى كانني ارى بجميل الظن ما الله صانع
واما من قال طلب ان لا ينقص من حسناته شيئا اي واجعل حسابي على
حسناتي غير ناقص فالمقام ينبو عن هذا التفسير لانه في مقام الاعتراف
بالزلات والتبري من فعل شئ من الحسنات ولم يرو الافضل عالم الخفيات
وايضا فانه طلب لا بد من وقوعه فان الله سبحانه وتعالى يقول
ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وكذا لا ينبغي
ايضا ان يقال معناه واجعل حسابي غير منقطع فانه حينئذ يكون طلب
ان لا ينقطع عذابه لان نفس الحساب عذاب فكيف بدوامه ومن نوقش الحساب
عذب ومن قال الحساب المنخرم هو الذي لا يتخلص فهو طلب ان لا يصدر
ما يكثر عليه الحساب حتى لا يتخلص ومن قال المنخرم الفاسد فان كان الحسا
من الظن فليق اي واجعل ظني غير فاسد بل اجعله صحيحا واما ان نجعل

من المحاسبة

من المحاسبة ففيه تكلف لان المحاسبة من الله سبحانه وتعالى صحيحة لا يضل
ربي ولا ينسى وهو سريع الحساب واسرع الحاسبين قوله والطف ابيت
لما طلب من الله سبحانه وتعالى حسن الاخرة في الاخرى طلب منه ايصال النعم
اليه برفق في الدنيا والاخرى لان مما يعظم فيه الاجر الاخروي المشاق الدنيوية
التي يحتاج معها الى الصبر ليعظم الاجر انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
فلو اقتصر على طلب الفضل الاخروي كما في البيت قبل هذا لكان معرضا بنفسه
لطلب جميع الاسباب الموصلة لذلك حتى المشاق التي يحتاج الى الصبر معها
فطلب في هذا البيت من ربه جل وعلا ان ينيله احسانه وانعامه برفق في الدنيا
والاخرة وطلب العافية من الامور الشاقة فانه لا صبر له عليها وهو المراد
بقوله ان له اي لعبدك ويعني نفسه صبرا متى يدعوا ذلك الصبر الاهوال ينهزم
اي متى تنادي الامور المهولة صبره بان تقول له تعال بارزني واحمل عني صابرا
فانه حال بينهن هو امامها ويعجز ويبقى كمي فريدا عن الصبر فاجزع فافضح
واقتدى الناظم في هذا المعنى بامره صلى الله عليه وسلم فانه قال صلى الله
عليه وسلم اذا سالتموا الله فسلوا العافيه وقال للصحابي الذي
راه كالفرخ من المرض ما كنت داعيا به فقال كنت اقول اللهم
ما كنت معاقبني به في الاخرة فعجله لي في الدنيا فقال له صلى الله عليه وسلم
لولا سالت الله العافية فانك لا تطيق ذلك وقال صلى الله عليه وسلم
في دعائه حين رأى من اهل الطائف ما رأى حين عرض نفسه عليهم ولكن
عفوك اوسع لي وسمع عليه السلام رجلا يقول اللهم هب لي الصبر
فقال له عليه السلام طلبت من الله البلاء فاطلب منه العافية
وقال احب شئ الى الله العفو والعافية وقال لعايشة رضي الله عنها
حين قالت له ما تامرني ان ادعو به ان ادركت ليلة القدر فقال لها
صلى الله عليه وسلم قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنا والاحاديث
في هذا المعنى كثيرة وفي الدعاء الماثور اللهم انا نسئلك العفو والعافية
والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والاخرة وكاد بيت الناظم ان يكون

عقد الهذا الدعاء قوله وادن البيت اى وامر يارب سحايب الصلوات منك
على النبي عليه السلام الدايمة عليه ان تمطر عليه بنوع منهل من الصلوات
اى منصب ومنبجس منها اى سائل والمعنى انه شبه ما يعم الاوقات من التحية
مما امر الله به على الدوام من الصلوات عليه صلى الله عليه وسلم بالسحاب
التى تعم الافاق وطلب من الله سبحانه وتعالى ان ياذن لتلك السحايب انتج
لها ويامرها ان تدوم على النبي صلى الله عليه وسلم بصلوة كثيرة متصلة
لا تنقطع بشبه المنصب والسايل من المطر من سحابه لا القليل القطر منه الذى
ينقطع وقوله منك اى سحب الصلوات التى طلبت منك ان تاذن لها بالامطار
عليه صلى الله عليه وسلم بالمطر لان الصلوة من الله سبحانه وتعالى على نبيه
رحمة وختم الناظم دعاءه بالصلوة عليه صلى الله عليه وسلم اقتداء بما ورد
عنه صلى الله عليه وسلم من ذلك على ما ذكر القاضى ابو القاسم خلف بن عبد
الملك بن بشكوال فى كتابه المسمى بالقربة عن على رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من داع الا بينه وبين الله حجاب حتى يصلى
على محمد صلى الله عليه وعلى ال محمد فان فعل انخرق ذلك الحجاب ودخل الدعاء
واذا لم يفعل رجع ذلك الدعاء وذكر عنه ايضا صلى الله عليه وسلم
انه قال الدعاء كله محجوب حتى يكون اوله ثناء على الله سبحانه وصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو فيستجاب لدعائه وذكر القاضى ابو الفضل عياض
فى كتاب الشفاء بسنده عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه قال سمع النبي
صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو فى صلوته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى
احدكم فليبدا بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم ليدعو بعد بما شاء ومثله عن ابن مسعود رضى الله عنه وعن عمر
رضى الله عنه الدعاء والصلوة معلق بين السماء والارض ولا يصعد منه شيء
حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعن جابر رضى الله عنه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلونى كقدح الراكب فان الراكب

يملاء قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب شرب او الوضوء
توضا والا اهراقه ولكن اجعلونى فى اول الدعاء واوسطه واخره
وقال ابن عطاء للدعاء اركان واجنحة واسباب واوقات فان
وافق اسبابه انجح فاركانه قوى وان وافق اجنحته طار فى السماء
وان وافق مواقيته فان وافق اسبابه انجح فاركانه حضور القلب والرقة
والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الاسباب
واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلوة على النبي
صلى الله عليه وسلم وفى الحديث الدعاء بين الصلوتين لا يرد
وحكم الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم الوجوب مرة فى العمر
وفى كونها واجبة فى كل صلوة من الصلوات للفرض او سنة خلاف
وذهب الشافعى وبعض المالكية الى الفرض ومشهور مذهب مالك
السنة واما كيفيتها فوردت الروايات فيها بالفاظ كثيرة من اصحها
اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد وعلى
ال محمد كما باركت على ابرهيم فى العالمين انك حميد مجيد واما ما ورد
فى فضلها فكثير جدا من ذلك ما خرجه مسلم من حديث عبد الله
بن عمر رضى الله عنهما انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم
المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلوة
صلى الله عليه بها عشرا ثم اسئلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى
الجنة لا ينبغى الا لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون انا هو فمن سال لى
الوسيلة حلت عليه الشفاعة وعن انس رضى الله عنه انه صلى الله
عليه وسلم قال من صلى على صلوة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه
عشر خطيئات ورفع له عشر درجات ومن كتاب القربة لابن بشكوال
وذكره القاضى فى الشفاء عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من صلى على فى كتاب لم تزل الملئكة تستغفر له ما دام
اسمى فى ذلك الكتاب ومنه عن بعض الصوفية رايت الملقب بمسطاح بعد وفاته

في المنام وكان رجلا ما جا في حيوة فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي
قلت باي شيء قال استمليت على بعض المحدثين حديثا مسندا فصلى
الشيخ على النبي صلى الله عليه وسلم فصليت انا ورفعت صوتي فصلى اهل
المجلس فغفر لنا كلنا في ذلك اليوم صلى الله عليه وسلم وعلى اله وصحبه
وسلم تسليما عددما خلق الله وعدد ما هو خالق وعن زيد بن الحباب
رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل
على محمد وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي وعن
ابن مسعود رضي الله عنه اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم علي صلوة
وعن ابي بن كعب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها
الرادفة جاء الموت بما فيه فقال ابي يا رسول الله اني اكثر الصلوة عليك
فكم اجعل لك من صلوتي قال ما شئت وان زدت قال ما شئت وان زدت
فهو خير قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين قال
ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله فاجعل صلوتي كلها لك
قال اذن تكفي ويغفر ذنبك وفي بعض الاثار ليردن علي اقوام ما اعرفهم
الا بكثرة صلوتهم علي وفي اخرى ان انجاكم يوم القيمة من هوالها
ومواطنها اكثركم علي صلوة وعن ابي بكر رضي الله عنه الصلوة على النبي
صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد والسلام عليه افضل
من عتق الرقاب قوله ما رنحت البيت اي ايذن يا رب لهذه التحية مدة
ترنح اي تميل ريح الصبا عذبات شجر البان ومدة اطراب حادي العيس بنغمة
العيس والمعنى ايذن لها او ادمها او صل عليه ما امالت الريح الشرقية بهب
تميل اغصان شجر البان عند هبوبها وما انعبت الابل تشتاق بحدوها الحادي
وتطرب بحدايه ومعلوم ان هذين الامرين لا ينقطعان ما بقيت الدنيا
قال بعضهم ومدة الاولى اطول من مدة الثانية لان الثاني ينقطع في مدة البرزخ
دون الاول لغلبة وقيه وللابل خاصية عظيمة في حصول الطرب لها عند

سماع صوت الحادي وذلك معلوم بالاخبار ومشاهد بالابصار وكلما
كان الصوت احسن كان طربها اكثر حتى انها لتقطع المسافة في الزمن القليل
بسبب ما يحصل لها من النشاط عند سماع الصوت الحسن حكمة العزيز القادر
واكثر ما يسيرها اصحابها في الطرق المنقطعة ولذا بالحدا فقصروا همتها لسماع
الصوت ولسرع السير ولا تحس بجوع ولا عطش ولا كلل وربما اوقعا
شدة السير لذلك مع ثقل الاحمال الى ان تموت وهي لا تشعر فان قلت خرج
من مضمون هذا البيت والذي قبله انه صلى الله عليه وسلم ما بقيت
الدنيا وذلك قصور وهلا قال وما بقيت الاخرة او نحو ذلك
مما يدل على عدم نهاية مدة الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم قلت لا نسلم
انما ذكر خاص بالدنيا فان ريح الصبا وشجر البان موجودات
في الجنة وكذا العيس وحاديها لان من الف ذلك من العرب وغيرهم
يتمنى ذلك في الجنة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم وورد في الاحاديث
صفة ركايب اهل الجنة وخطامها وقيل في قوله تعالى يوم نحشر المتقين
الى الرحمن وفدا اي راكبي الابل وهو معنى الوفد لغة لا يقال ريح الصبا
انما سميت بذلك لانها تقابل بهبوبها باب البيت والبيت لا يكون في الجنة
لانا نمنع كونه لا يكون في الجنة فان اصله منها واليها يعود وايضا
وايضا نظيره فيها البيت المعمور وايضا فان الريح واحد وان اختلف
اسمها سلمنا ان ما ذكره خاص بالدنيا واما الذي في الاخرة نوع اخر
لكن الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم التي هي عبادة من المخلوق ودعاء منهم
له انما يطلب التعبد بها في الدنيا واما في الاخرة فلا معنى للتعبد بها ولا
بغيرها من العبادات لانها دار جزاء لا دار تكليف والجواب الاول اقوى
يظهر بالتامل المعاني نداء النفس لتسكين قلقها وتانيسها وتنكير
زلة للتعظيم والنوعية واتى بالجملة الاسمية موكدة بان لتحقق قوله ان الكرام
لان الخطاب مع النكرة او المنزل منزلته من لاح عليه شيء من امارات الانكار
وان لم يكن منكرا الا ان النفس لما غلب عليها الخوف خاف عليها انكار حصول الغفران

وال فى الكباير واللمم للجنسه او للعموم لكن حض الشرك من الكباير وهى
فى الغفران للحقيقه وفى هذا البيت مع الذى بعده اطناب لان قوله لا يتقضى
يستلزم بمفهومه انه امرها بالرجاء فكانه قال لا تقنطى وارجى ثم صرح
بهذا المفهوم فى قوله لعل فلم يقتصر على النهى دون الاتيان بما فهم منه
من الامر بضده كما لم يقتصر الشاعر على الامر دون الاتيان بمفهوم النهى
عن ضده فى قوله اقول ارحل لا تقيمن عندنا البيت وقد تقدم وجملة
ان الكباير من الاستيناف لانها جواب سؤال عن سبب الحكم الخاص كانها
قالت لم لا اقنط او لم تنهينى عن القنط و زلتى عظيمة فقال ان الكباير
ويشبه ايضا ان يكون جملة ان الكباير من التذييل الخارج مخرج المثل
وجملة لعل البيت يحتمل من الوجهين ما احتملت جملة ان الكباير واضافة
الرحمة للتشريف والتعظيم وتخصيص اسم الرب فى هذا المقام للايما الى
قوة الرجاء فان الرب القايم بالمصالح والشؤن او من التربية وكل ذلك
ابتداء احسان منه فالرجا سبحانه وتعالى ان يختم بما به ابتداء كما احسن الله
فيما مضى كذلك يفعل فيما بقى و لذا ذكر الله سبحانه وتعالى هذا الوصف
مع الرحمن الرحيم ملك يوم الدين واضافة حسب للتعريف وال فى العصيان
الظاهر انها للعموم ما عدى الشرك هى فى القسم للعهد اى اقسامها على اهل
العصيان ونداء الرب وتخصيص هذا الاسم العظيم بالنداء للاستعطاف
كما ذكرنا والتوسل الى الله تعالى بنعمة السابقة واضافة رجاء وحساب
للعهد وتنكير منعكس ومنخرم للتقليل وقوله غير منخرم من ايجاز الحذف
اى لديك فهو من الحذف من الاواخر لدلالة الاوايل ويحتمل ان لا يكون
معلقا بشئ كالمستعمل استعمال القاصر اى غير منخرم ابدا قوله والطف البيت
من الاحتراس لانه رفع الايهام المخل الذى يتوهم من البيت قبله كما قدمنا
وقوله بعبدك من ايقاع الظاهر موقع المضمر لان مقتضى الظاهر بى لكن المقام
اقتضى الالتفات عن التكلم الى الغيبة بالتعبير بالاسم الظاهر وفايدته الاستعطاف
لحصول المطلوب كقوله الهى عبدك العاصى اتاكا ومقتضى الظاهر اتيتك

وقد تقدم اول الكتاب وال فى الدارين عهدية وجملة قوله ان لى شئ
احتمال الاستيناف والتذييل كجملة ان الكباير واما تاكيدها فلكونها
طلبية وتنكير صبرا للتقليل والنوعية وال فى الاهوال يحتمل العهد
اى اهوال يوم القيمة او الجنس وجمعها تنبيها على ان مصيبات الزمان
كثيرة وجمع السحب جمع كثرة لان القصد تكثيرها وتكثير انواعها قيل والمنهل
اعظم من المنسجم فهو من التدلى وتنكير صلوة للتعظيم والنوعية لانها
وصفها بمنك ودايمة وتنكير منهل ومنسجم للتعظيم او التكثير وقدم
عذبات البان على ريح ليعلم من اول انه قصد ادنى ما تمليه تلك الريح
ولذا نكر صبا ليفيد اى ريح مثلت فتنكيرها للتقليل ولو عرفها لتوهم
ان المراد حتى توجد حقيقتها بكمالها واضافة ريح للاختصاص وخصها
بالذكر لانها الين الارواح فتدخل العقوبة اخرى وال فى البان وفى العيس
وفى النغم للجنس وجمع النغم وعرفها ليثنا ولجميعها على اختلاف انواعها وعلم
انما خص البان والعيس لانهما من مالوفات الاحبة وهم العرب وخص
ريح الصبا اظهر فى ذلك لصبوها الى باب الكعبة اعظم مكان فى البلد
الذى هو مسقط الكل حبيه وحبيب كل مؤمن محمد رسول الله صلى الله عليه
كما خص بالذكر فى اول بيت من هذا القصيد جيل الاحبة وهو ذو سلم
ليتطابق حسن الابتداء وحسن الاختتام فى الدلالة على ان القلب معمور
بذكر الاحبة اولا وآخرا ووسطا نفعه الله بقصده ولا حرمنا من بركة
التعلق باذياله بجاه محمد صلى الله عليه وسلم واله وقوله ثانيا العيس
بايقاع الظاهر موقع المضمر لهذا المعنى لانها اعلق بقلوب الاحبة على ما
لا يخفى ومحبوب الحبيب محبوب ولاقامة الوزن ايضا البيان
تسمية المعاصى العظام كباير الظاهر انها حقيقة عرفية ومجاز اللغوى
اما باعتبار ما تؤول اليه من العذاب العظيم الكبير او باعتبار انها سبب فيه
والظاهر انه شبه حظوظ الرحمة والعصيان بما يقسم من المحسوسات
فهو من تشبيه معقول بمحسوس ان اريد الحكم بهما وان اريد متعلق الرحمة

وهو المنعم به فمن محسوس بمحسوس واطلاق العكس على خيبة اخر الز
الرجاء من باب التشبيه الصوري وقوله صبرا متى تدعه الاهوال ينهزم
الظاهر من الاستعارة بالكناية كانه شبه الصبر بفارس يطلب لمبارزة
ولم يذكر ذلك الفارس وذكر من لوازمه الدعاء والاهوال والانهزام
والمناسب للفارس الدعاء والانهزام واما الاهوال فيحتمل المناسبة
لكل من المشبه والمشبه به وبالجملة فكلامه كناية عن ضعف صبره وقلته
وقوله بسحب الظاهر انه تشبيه بليغ لا استعارة لذكر طرفي التشبيه
وهي الصلوة الكبيرة التي هي رحمة المشبه بالسحب التي هي جمع كثرة والتي
منها ارجى وقوله بمنهل ومنسجم تاكيد للتشبيه وقوله عذبات البان
يحتمل في بعض الوجوه ان يكون من الاستعارة بالكناية لانه شبه شجر البان
لالتفافها وتذليل اغصانها بعمايم لها عذبات ارخيت خلف المنعم كما هو
زي فقهاء المشرق وكبرائهم ولم يذكر العمايم لها وذكر من لوازمها العذبات
ولعمري انه تشبيه متمكن في كثير من الاشجار كشجر السرو كما انها يشبه
ايضا بالقيان اي الجواري المتلفعات كما قال يصف روضة حفت بسرو
كالقيان وتلحفت خضر الحرير على قوام معتدل فكانها والريح جاء يميلها
تبغي التعانق ثم يمنعها الخجل وفي هذا التشبيه تفصيل دقيق لمراعاته
حركة النهوض للدنو والعناق وهي حركة بطية لطول امر الوصال وقلة
تاتيه كما ان تحرك الشجرة المعتدلة عن الاعتدال بطي لانه قسري وباحركة
الرجوع عن النهوض للعناق فسريعة لاجل الخجل فان حركة الخوف اسرع من
حركة الرجاء كما ان حركة الشجرة المعتدلة عن المكان الذي اميلت اليه
قسرا الى مكان اعتدالها اسرع لا محالة من حركة خروجها وان قصد بعذبات
البان اغصانه فالكلام حقيقة وانما ذكر حركة عذبات البان وطرب العيس
لنغم الحادي لاشتراكهما في سرعة الحركة ويزيد الاول بان حركة الريح
مناسبة لذكر السحب فكانه يقول ادم يا رب لتلك السحب كما كانت
عسل من ريح الصبا لعذبات البان ولا يخلو الوقت غالبا من حركتها فكذلك

العذبات

العذبات لانها ضعيفة فادنى ريح تحركها فكانه طلب دوام الصلوة على النبي
صلى الله عليه وسلم وهذا البحث يشترك فيه الفنون الثلاثة من المعاني والبيان
والبديع البديع وقوله يا نفس من مخاطبة الانسان نفسه وهو من العاب
البديع على الجلي ومنه قول المتنبي لا خيل عندك تهديها ولا مال
فليحسن النطق ان لم يسعد الحال ومن هنا كان التفاتا على راي السكاكي
فان مقتضى الظاهر عندي اهديها والفاظ القنوط والزلة والكباير
واللمم من مراعات النظير وكذا زلة مع عظمت وكذا الكباير والغفران
والكباير واللمم من الطباق وكذا عظمت واللمم وهذا البيت قريب من
العقد لانه من معنى قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله الاية وليس باقتباس وفي البيت الجمع لجمعه الكباير
واللمم لا في حكم الغفران وجوازه وفيه نظر وفي البيت حسن التعليل في
قوله ان الكباير وهو من المذهب الكلامي ومن الكلام الجامع وتقسيمها
والقسم من رد الصدور على الاعجاز ومن تجنيس الاشتقاق ويقرب من التج
ولفظ القسم من التسهيم او من التخيير قال بعضهم وتكريره لفظتي اجعل في
جناس قلت ولعله بحسب متعلقيهما والاولى كون ذلك من التكرير وفي
هذا البيت الموازنة فان رجا غير منعكس موازن لحسابي غير منخرم وفيه
التقسيم لنفي الانعكاس عن الرجا والانخرام عن الحساب وفي قوله الدارين
طباق معنوي وجمع الصبر والدعاء والاهوال والهزيمة من مراعاة النظير
وقوله ان له صبرا من حسن التعليل ويقرب ان تكون جمل واجل والطف
واذن من التفويف وان شئت جعلتها من التقسيم بحسب مطالبه والفاظ
السحب والدايمة والمنهل والمنسجم من مراعاة النظير وكذا الصلوة والنبي
ومنهل ومنسجم من الموازنة وجمع المنهل والمنسجم في كون السحب تاتي
بكل منها من الجمع والفاظ دحت وعذبات والبان والريح والصبا
كلها متناسبة فهي من مراعاة النظير وكذا كلمات فاطرب الى اخر السطر
الثاني كلها من مراعاة النظير لتناسبها وفي البيت التقسيم لاضافة

الترنح الى العذبات والطرب الى العيس هنا باعتبار المفعول وباعتبار
الفاعل اضافة الاول الى الرنح والثاني الى الحادي وقد يكون التقسيم باعتبار
اضافة كل منهما الى فاعله ومفعوله جميعا وصبي ونغم من الموازنة
ونغم من التخيير اذ يصلح مكانه الكلم لكن النغم اولى لان الابل انما
تدرك الاصوات من حيث انها اصوات لا من حيث انها كلم وجعل بعضهم
تكرير لفظ العيس من التجنيس وليس كذلك اذ هو شئ واحد وهو
دوام الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ما دام كل منهما وفي هذا
البيت والذي قبله براعة الختام وسماه بعضهم حسن المقطع وبعضهم
حسن الخاتمة وهو في الشعر عبارة عن ختم القصيد باجود بيت يحسن
السكوت عليه لانه آخر ما يبقى في الاسماع وربما حفظ دون غيره لقرب
العهد به فان كان مختارا جبر ما عسى ان يقع قبله من التقصير وان
كان غير مختار كان بخلاف ذلك وربما انسى محاسن ما قبله والاعمال
بالخواتيم ختم الله لنا بخواتم السعداء بمنه وطوله وانما كان ختام الناظم حسنا
لختمه بالصلوة على سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وشرف
وكرم واحسن الختام ما اذن بقطع الكلام وجرت العادة بقطع
الكلام الذي هو من انواع العبادات بالصلوة على محمد عليه افضل
الصلوة والسلام ومن حسن الانتهاآت قول ابي نواس فبقيت للعلم
الذي تهدى له وتقاعست عن يومك الايام وقوله واني جدير
اذ بلغتك بالمنى وانت بما املت منك جدير فان تولني منك
الجميل فاهله والا فاني عاذر وشكور وقوله بقيت بقاء الدهر
يا كهف اهله وهذا دعاء للبرية شامل وقوله فلا حطت لك
الهيجاء سرجا ولا ذاقت لك الدنيا فراقا ومن احسنها قول المتنبي
واعطيت الذي لم يعط خلق عليك صلوة ربك والسلام
الاعراب نفس منادى مضاف الى ياء المتكلم حذفت الياء استغناء
عنها بالكسرة ويجوز اثبات الياء ساكنة ومتحركة بالفتح بلا الف ومعه

بعد الفتحة وبالفا ايضا وقلب كسرة ما قبل الياء فتحة والياء الفا وحذف
الياء وضم ما قبلها فهذه ست لغات في المنادى المضاف الى ياء المتكلم
ولا ناهية وتقنطي مجزوم بها وعلامة جزمه حذف النون والياء فاعل
ومن زلة متعلق بتقنطي ومن للتعليل وعظمت في موضع الصفة
لزلة وكاللمم خبر ان وفي الغفران الاظهر تعلقه بما يتعلق به الخبر وظاهر
كلام الاستاذ انه يتعلق بكاللمم قال والمعنى الكبائر مثل الصغائر في
الغفران اي تغفر كما يغفر الصغائر قال وهذا في قوم مخصوصين في
علم الله والا فالاجماع على انه لا بد من انفاذ الوعيد في طائفة من العصاة
لخبر الصادق بذلك انتهى قلت وظاهره تعلقه بالتشبيه وتقدم في
الشرح ان قوله في الغفران اي في جوازه والجواز لا يستلزم الوقوع لا
يقال لا يحصل على هذا للنفس ترجيه لانا نقول بل يحصل لان القنوط
انما يكون مع تحقق انفاذ الوعيد واما مع جواز العفو فيبقى العبد
بين الرجاء والخوف وهو المطلوب منه لعل حرف ترج وتقدم ما قيل
فيها رحمة اسمها وتاتي خبرها وهو العامل في حين وعلى حسب وفي القسم
ويجوز تعلق في القسم بحسب وجملة يقسمها في موضع خفض باضافة
حين اليها وبنا حين لانه اضيف الى مضارع جائز باد باعرابه كاعراب
يا نفس واجعل فعل امر وفاعل والمراد به الطلب والدعاء بذلك يسمى
في مثل هذا المقام والظاهر ان جملة معطوفة على فعل مقدر اي خفي ظني
او اسمع دعائي واجعل رجائي مفعول ومضاف اليه وعلامة نصبه فتحة مقدرة
في الهمزة التي قبل الياء وغير منعكس فالاولى جعلها بمعنى اوجد وغير منعكس
حال اي اوجد رجائي يوم القيمة على هذه الحال الا ان يقال انه لما كان في
مقام الاقرار بالذنوب ناسب ان يقر بان رجاءه كاذب لانه لم يعمل من الاعمال
الصالحة ما يناسب الرجاء فرجاؤه منعكس لانه في الحقيقة تمن فناسب كون
اجعل بمعنى صير فتامله وقد يك معمول لاجعل والمنعكس بقيد النفي واعراب
باقي البيت كاعراب ما قبله والطف عطف على واجعل والمجرور ان بعد

يتعلقان به وقال بعضهم يصح تعلق في الدارين بعبدك وصبرا اسم ان
وله خبرها ومتى ظرف زمان مضمن معنى الشرط ولذلك بني وتدعه
مجزوم به وهو عامل فيه وعلى قول العامل فيه جوابه والضمير المنصوب
عايد على الصبر وعلامة جزم تدعه حذف الواو والاهوال فاعل
تدعو بهن مجواب الشرط واصله الجزم وانما كسر للساكنين وجملة
الشرط وجوابه صفة لصبرا واذن عطف على واجعل وحذف منه همزة
الوصل استغناء عنها بحركة حرف العطف بسحب مفعوله لان ايذن يتعدى
بحرف الجر ومنك ودايمة صفتان لصلوة ويجوز جعلها نعتا بسحب وينبغي
جعل النعت بالمجرور لغير المنعوت بدايمة لئلا يتقدم النعت بالمجرور
على النعت بالمفرد وغيره احسن منه وعلى النبي متعلق بصلاة او بدايمة
او يكون صفة لسحب والباء للمصاحبة وبعض هذه الوجوه اقوى من بعض
يظهر بالتامل وما ظرفية مصدرية ورنحت صلتها اى مدة ترنح وقدره
القصار مدة ما رنحت قال فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه
ولهذا سميت ظرفية فتامل ما فايدة هذا التقدير وما معنى هذا التعليل
والعامل في الظرف المقدر من ما ايذن او دايمة او غيرهما ولا يصح ان يعمل
فيه صلوة لان دايمة ان كان نعتا لسحب فهو اجنبي من صلوة لا يفصل بين
المصدر الذي هو صلوة ومعموله باجنبي وان كان نعتا لصلوة لزم نعت
المصدر قبل ان يعمل وهو ان   وعذبات مفعول رنحت وريح فاعله
والطرب معطوف على رنحت والعيس مفعول الطرب وحادي فاعله وبالنغم
متعلق بالطرب **الاشارات** ما احسن اشارات هذا الناظم رحمه الله
ورضي عنه في هذا النظم فانه بدأ فيه بالبكاء الشديد الممزوج دموعه بالدم
اشارة الى اختيار ملازمة الخوف حال الابتداء للسالكين والمداومة عليه
مدة الحيوة والصحة مع ملازمة السنن التي اشار اليها والعبادات التي حض عليها
في اثناء النظم ولما انتهى الى الختام ختم بالرجاء تنبيها على ان العبد يغلب الرجاء
في اخر زمن من الدنيا ليلقى الله تعالى وهو محسن به الظن وعلى ذلك

الوقت

الوقت حمل اكثر العلماء قوله تعالى على ما حكى عنه بنبيه صلى الله عليه وسلم
لقوله من احب لقاء الله احب لقاءه ومن كره لقاءه كره الله لقاءه
فان عايشة رضي الله عنها لما سمعت هذا الحديث قالت يا رسول الله
كلنا يكره الموت فقال صلى الله عليه وسلم ليس كذلك يا عايشة وانما
هو المومن اذا حضر اجله راى ما اعد الله له من الخير فاحب لقاء الله فاحب
الله لقاءه والكافر بالعكس الا ان ذكر هذا الحديث في باب الرجا ضعيف
فانه الى المعاينة اقرب فمحبة اللقاء للمعاينة لا للرجاء وفي كلامه ايضا
اشارة الى انه ينبغي ان يحمل الخوف على النفس حتى اذا كانت في اخر درجة
منه وهو ما يقارب القنوط بعثت بالرجاء لئلا يهلك فمخاطبة النفس
بقوله لا تقنطي عند الختام تنبيه على الحالتين والله اعلم وكانه بلغ من
الخوف الدرجة العظمى فلذا رجاها ايضا باقوى درجات الرجاء اما الاول
فلقوله لا تقنطي وقوله من زلة عظمت وقوله ان الكباير واما الثاني
فلنسبه ولتسويته بين الكباير والصغاير في الغفران ولقوله في البيت الثاني
لعل رحمة ربي فذكر رحمة ارحم الراحمين التي جاء منها تسعة وتسعين جزء في
الوقت الفاقة العظيمة ولقد كان الجزء الواحد كافيا واضافها الى الرب
المحسن في الابتداء من غير سبب استحقاق الاحسان فالظن برجل جاد له ان
يتم ذلك الاحسان بالانقاذ من اليم النيران وهي كاللطمة التي ذكر البكاء
في ثاني بيت من القصيد من اجلها كما قدمنا وبالانالة من نعيم الجنان وهي
ذو سلم التي اشار اليها في اول بيت من القصيد وتقدم لنا انه قدمها اشارة
الى سبقية الرحمة الغضب فاشار هنا الى تلك الرحمة السابقة بها يكون
الختم بفضل الله وتقسيم على حسب الصبابات حتى لا يدع قسما من اقسام الصبابات
الا اتى عليه ثم الرجاء به حياة القلوب وهو معين على زيادة محبة علام
الغيوب والفرق بين الرجاء والتمني مع تقدم ان التمني يورث صاحبه الكسل
ولا يسلك سبيل الجد ويعكسه صاحب الرجاء وتقدم ان حقيقة الرجاء
تعليق القلب بمحبوب يحصل في المستقبل وقيل الرجاء ثقة الجود من الكريم

وقيل رؤية الجلال بعين الجمال وقيل قرب القلب من ملاطفة الرب
وقيل سرور الفؤاد بحسن المعاد وقيل النظر الى سعة رحمة الله وسئل
احمد بن عاصم ما علامة الرجاء قال ان يكون اذا احاط به الاحسان
الهم الشكر راجيا لتمام النعمة عليه من الله في الدنيا وتمام عفوه في الاخرة
وقال ابو عثمان المغربي من حمل نفسه على الرجاء تعطل ومن حمل نفسه
على الخوف قنط ولكن من هذه مرة ومن هذه مرة وقال ابن خبيق اهل
الرجاء ثلثة رجل عمل حسنة فهو يرجو قبولها ورجل عمل سيئة ثم تاب
فهو يرجو المغفرة وعن ابي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
عن جبريل عليه الصلوة والسلام قال تعالى وجل عبدي ما عبدتني
فرجوتني ولم تشرك بي شيئا غفرت لك ما كان منك ولو استقبلتني
بملاء الارض خطايا وذنوبا استقبلتك بملئهن مغفرة فاغفر لك
ولا ابالي وفي بعض طرق حديث الشفاعة اخرجوا من النار من كان في
قلبه مثقال حبة خردل من ايمان ثم يقول الله عز وجل وعزتي وجلالي
لا اجعل من امن بي في ساعة من ليل او نهار كمن لم يؤمن بي وقال بكر بن
سليم الصواف دخلنا على مالك ابن انس رحمة الله في العشية التي قبض
فيها فقلت يا ابا عبد الله كيف تجدك فقال لا ادري ما اقول لكم الا انكم
ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم من حساب ثم ما برحنا حتى اغمضناه
وحديث الرجاء والاثار والحكايات الواردة فيه كثيرة جدا وتقدم في
صدر الكتاب شيء من ذلك قوله يا رب هكذا ينبغي للعبد ان يتضرع الى الله
فان تحقق له ما تقرب اليه به من رجاء او غيره من العبادات اخر كل عبادة
فان في ذلك براءة من حوله وقوته الى حول الله وقوته ولان في الدعاء
ثناء على الله تعالى وحمدا له واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين
والصلوة على محمد صلى الله عليه وسلم من حمد الله والثناء عليه وفي اخر
وهي ايضا من الدعاء وقال تعالى ادعوني استجب لكم واذا سألك عبادي
عني الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة والمخ

هو اللب

هو اللب من كل شيء واخر مطلوب من الاشياء المحبوبة لها فاذا انتهى المتعبد
الى الدعاء فقد انتهى الى لب العبادة ولم يبق له منها مطلب فجدير بالمتعبد
ان لا يفارق الدعاء وايضا المخ من ذي المخ دليل على القوة ومن لا مخ له
لا قوة فيه فالعبادة ان خلت من الدعاء خلت من المخ فضعفت وكانت بصدد
السقوط وان اشتملت عليه كانت قوية وقال سهل خلق الله الخلق
وقال ناجوني فان لم تفعلوا فانظروا الي فان لم تفعلوا فاسمعوا مني
وان لم تفعلوا فكونوا ببابي فان لم تفعلوا فانزلوا حاجاتكم بي الله يغضب
ان تركت سؤاله وبني ادم حين يسال يغضب وقال سهل اقرب الدعاء
الى الاجابة دعاء الحال وهو ان يكون صاحبه مضطرا لا بد له مما يدعو
لاجله وقصة المرأة مع الجنيد في فقدها الاسير من ذلك امن يجيب المضطر
اذا دعاه وهذا كله يدل على ان الدعاء افضل من السكوت على علم المحدود
قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم وقال قوم السكوت افضل وراوا
انه من الرضاء بالقضاء وقال قوم يجب ان يكون العبد صاحب دعاء
بلسانه صاحب رضى بقلبه ليأتي بالامرين جميعا وقال قوم هو
بحسب الاوقات فقد يكون الدعاء في وقت افضل وقد يكون السكوت
في وقت افضل ويعرف ذلك بعلم الوقت فان وجد بقلبه اشارة
الى الدعاء فالدعاء وان وجد اشارة الى السكوت فالسكوت وقيل
ما كان للمسلمين فيه نصيب وللحق سبحانه وتعالى فيه حق فالدعاء اولى
وما كان لنفسه فيه حظ فالسكوت اتم وفي الخبر ان العبد يدعو الله
تعالى فيحب فيقول يا جبريل اخر حاجة عبدي فاني احب ان اسمع صوته
وعن يحيى بن سعيد القطان انه راى الحق سبحانه وتعالى في منامه فقال الهي
كم ادعوك ولا تجيبني فقال يا يحيى لاني احب ان اسمع صوتك وقال
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان العبد ليدعو الله وهو عليه غضبان
فيعرض عنه ثم يدعوه فيقول الله للملئكة ابى عبدي ان يدعو غيري فقد
استجبت له قلت ولعل لهذا والله اعلم قال صلى الله عليه وسلم يستجاب للعبد

ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي ودعاه باللطف اشارة الى الترغيب في
طلب العافية من البلاء في الدنيا والاخرة وبذلك وردت السنة كما
قدمنا واشار بقوله ان له صبرا الى ان مع البلاء يحتاج الى الصبر وهو
امر من مدلول اسمه وان كان ناجره كثيرا قال تعالى واصبر وما صبرك
الا بالله وقال ان الله مع الصابرين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصبر عند الصدمة الاولى وما اعطي احد عطاء خيرا واوسع من الصبر
لكنه درجة الاولياء الاقوياء اشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل
فالامثل والعفو اولى بالعامة والضعفاء وقد تقدم شيء من القول في
الصبر اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنا بمنك وفضلك وكرمك
ولما دعا الناظم الله سبحانه وتعالى ان ينجح رجاءه وان لا يخيب ظنه
وان يلطف به في الدارين لطفا يعينه عن الصبر على المشاق استشفع
في قبول دعائه بان ختمه بالصلوة على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ما قدمنا من ذلك في التفسير واختار تشبيه الصلوة عليه في كثرتها
بالسحايب الدايمة بالمنهل والمنسجم تنبيها على ان من اكثر منها لا يعدم الخير
الكثير كما لا يعدمه من السحب الموصوفة كما قال صلى الله عليه وسلم لابي
لما قال له صلى الله عليه وسلم اجعل صلوتي كلها لك اذا تكفى ويغفر ذنبك
وطلبا ان يكون دوامها بدوام ميل الغصون بريح الصبا فجاراه الله
بمناسب ذلك وقبل دعاءه وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما كانت هذه القصيدة المباركة ينشد بين يديه كان يتمايل كما يتمايل
حينئذ كما انه جوزي بطلبه دوامها بدوام طرب العيس لنغم الحادي ان كل
من سمعها من محبته صلى الله عليه وسلم ليطرب لنغم منشدها طربا بينا وكانه
اشار بالبان الى ذاته صلى الله عليه وسلم الظاهرة فان قده صلى الله عليه وسلم
قد القضيب المعتدل ورايحته اطيب الروايح والبان يستخرج منه طيب عطر
واشار بالعيس الى امته فانهم البيض الوجوه الغر المحجلون كما ان العيس البيض
يشرب بياضها حمرة ولان العيس يطرب فتسرع السير عند سماع صوت حاديها

فيحد السير الى الغاية المرادة لاصحابها فكذا المؤمن يطرب عند سماع القرآن
والسنة فيحد السعي في العمل بمقتضاهما ويسير الى الغاية المقصودة السير
الحثيث جعلنا الله ممن يطرب لسماع اياته ويحث السير الى ان تصل اشاراته
واجتنب باشاراته وجعلنا من المحبين في النبي واصحابه واله وذريته
وحشرنا يوم القيمة في زمرتهم وزمرة المتبعين لطريقتهم ونجانا بهم
من اهوال ذلك اليوم وشدايد عرصاته وصلى الله على سيدنا محمد
واله وصحبه وسلم صلوة وسلاما يبلغنا بمعجزاته واياته قال
مؤلف هذا الشرح ابقاه الله تعالى ونفع به وهذا اخر
ما قصدت ذكره في مجموع مختصرا والحمد لله الذي من فضله
مبدؤنا والى رحمته انشاء الله تعالى الرجوع وقد جاء
بحمد الله كما املت وببركة محمد صلى الله عليه وسلم فوق
ما اردت فانه شرح اشتمل على سبعة شروح وبالنظر
فيه تنبسط النفس وتنتعش الروح وليكن ختامنا
بما كان به ابتدأنا الحمد لله الذي افضل فاحسن
وانعم فتمم نواله وغفر الذنوب فكامل الحسن
وستر العيوب فتواصل غفرانه وحسبنا الله
وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى
وكان الفراغ من نسخه في يوم الاحد
المبارك ثالث عشر شوال المبارك
سنة ثمان وخمسين وثمانمائة
وحسبنا الله ونعم الوكيل
غفر الله تعالى
لكاتبه وللقارئ
ولمن نظر فيه
و

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى آلاء ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور بناظرزاده عفي عنه
١١٧٥ وكفى عبده